72330—73864 MEG IMP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

DECEMBER — 1995

صدر حديثاً :

واقع العالم الاسلامي

وما هو الطريق السديد لمواجهته واصلاحه

تحدث فى هذا الكتاب سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى عن واقع العالم الاسلامى المعاصر ، و عن مسئولية كل مسلم واع و دوره فى إنقاذ العالم الاسلامى من هذا الواقع الخطير

قام بنشره و توزيعه

دار عرفات للترجمة ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

يطلب الكتاب من :

المجمع الاسلامى العلمى

ندوة العلماء ـ لكناؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ
من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ـ رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

الإنسان من الكبت ، لكنهم لا يهمهم كبت الشعوب المسلمة في بلدانها ، بل يتمادون ويزدادون اصرارا على هذا الكبت ، فيفرضون على الشعوب الإسلامية قوانين ومناهج لا تقبلها طبيعة هذه الشعوب ، فكيف لا يحدث الصراع ، وفي هذه الشعوب نفوس طيبة تحب الخير ، وتحرص على أن ينتشر الخير ، وتكره الشر ، وتحرص على أن لا يشيع الشر والفساد ، ولها قيم ثابتة ، وهي تسير في ضوء تعاليم مقررة ، وهي راسخة العلم في صلاحيتها ، ومؤمنة إيمانًا قويًا لسدادها ولا تزحزح إيمانها المحن والشدائد مهما تضخمت ، وعند ما تظهر مساوئ الحضارة الغربية ، ومضارها ، تزداد هذه النفوس ثقة وإيمانًا وعزيمة ، واستعدادًا للتضحية والفداء فتجتهد لتغيير الوضع ، وإصلاح الفساد ، وتحاول أن تتحرر الأمة من عبودية الغرب ، والتقيد بنظمه الاقتصادية ، والسياسية ، وترتفع من الحضيض الذي انحطت إليه في عهد الاستعمار ، وبعد الاستعمار في عهد الولاة الموالين للغرب ، والمؤمنين بعقائده وثقافته ، وتدعو إلى طرق الخير وإتباع المثل العليا والنزاهة في الحياة ، والعفاف ، فتفرض عليها القيود ، وتمنع من التحرك ، وتكبل ، وتكمم أفواه رجالها ، وهم لا يريدون بأمتهم إلا خيرًا ، ورشدًا ، وصلاحًا ، ولا لأعدائهم نقمة أو شرًا ، ويقال : إنهم إرهابيون ، وأصوليون ، وأعداء الحضارة .

٧٧٧

العدد القادم

يبتدئ به المجلد الحادي والأربعون بمشيئة الله تعالى ،

وسيصدر بعد فترة شهر إن شاء الله تعالى ويتضمن شهر رمضان ١٤١٦هـ ، يناير و فبراير ١٩٩٦م

[التحرير]

العادية مهجورة ، فكيف يمكن أن تتطور الصناعة العالية ؟

وقد اقفلت كثير من الصناعات الشائعة في العالم الإسلامي ، ليزداد الاعتماد على الصناعة الأوربية ، ولا يستغرب الذهن العام هذا الموقف الغربي في ضوء الضجة التي تثار حول احتمالات صناعة القنبلة الذرية ، في أي بلد إسلامي ، في الوقت الذي يجرى فيه سباق في عشرات الدول في هذه الصناعة ، وتجرى التجارب على مشهد من الاعلام المعاصر ، وتتخذ إسرائيل الدويلة المغروسة في المحيط العربي وسائل دفاعية ، وصناعة مضاعفة ، ولا يعترض عليها أحد .

إن معظم القضايا التي تستنفد طاقات الدول الإسلامية والمجتمعات الإسلامية المعاصرة ترجع إلى سياسة تقسيم الدول الاستعمارية ، فإنها عند ما انسحبت خلفت في المنطقة مشاكل سياسية وقومية وعنصرية ، وتركت الحدود لكل بلد انسحبت عنه متنازعًا حولها بين الدول المجاورة ، وقطعت بعض المناطق الإسلامية عن بلدها الأم وضمتها إلى بلد غير إسلامي ، وبهذا التخطيط الظالم يستمر الصراع ، وتبقى المنطقة في حالة قلق واضطراب ، ولا تزال الدول الغربية تقيم صلتها بالفرق المتصارعة ، و تمد جميع الفرق المتحاربة بالأسلحة ، لكيلا تحل هذه المشاكل ، والمتتبع لخريطة العالم الإسلامي يواجه هذه الخطوط المتأرجحة في بقاع العالم المختلفة ، وهي أكثر عددًا من المناطق الأخرى في العالم .

إن الصراع يحدث عادة للكبت والقمع ، والحرمان من الحقوق الشرعية وهو أمر طبيعي ، ويبقى هذا الصراع ما دام القمع قائمًا ، ويعترف بذلك علماء النفس والاجتماع الأوربيون ، وقد شغلتهم مسألة الكبت النفسي والجنسي ، فعقدوا من أجل ذلك مؤتمرات عالمية ، وأعدوا برامج لتحرير

والهيبة على النفوس من قوة المسلمين قائمة إلى آخر القرن التاسع عشر للميلاد ، فكان المسلمون هدفهم الرئيسي ، وصبوا جام غضبهم وانتقامهم عليهم ، وبذلوا ما كان في وسعهم لاستئصال شأفتهم وكسر شوكتهم .

ومما يدل على هذا الموقف أن الإنجليز لما استقرت أقدامهم في الهند أصدروا تعليماتهم بأن تملأ كل وظيفة عالية شاغرة بالإنجليز ، وإذا لم يوجد من يملأ هذه الوظيفة من الإنجليز ، يملأها غير المسلمين من الهندوس وغيرهم .

وكان موقفهم في مجال التعليم العالي ، موقف التمييز في العالم الإسلامي كله ، و وضعت في كثير من الدول الإفريقية ذات الأغلبية الإسلامية عقبات في سبيل تعليم المسلمين تعليمًا عاليًا ، ومن حمل كفاءات عالية وتجاوز هذه العقبات ، كان يبذل جهد لاسقاطه في الاختبار الشفوي ، وفي الفحص الطبي ، ولا تزال بعض الحكومات تسلك هذا المسلك بالنسبة للمسلمين ، لإثبات أن المسلمين أقل درجة في الكفاءة والصلاحية الذهنية ، وتتخذ بعض لجان الامتحان وسائل استفزاز الشباب المسلمين بتوجيه أسئلة تمس كرامة المسلمين ، وتجرح مشاعرهم فيفقدون أعصابهم ، وعلى الأقل يحدث فيهم انفعال .

ومن يلقى نظرة فاحصة على تاريخ عهد الاستعمار يصادف تصريحات لبعض أقطاب الفكر الغربي ، والدعاة إلى تقليد الغرب ، أن هذا التقليد يجب أن يكون محصورًا ، في إطار الثقافة والفلسفة ، ولهم تصريحات بأن لا تصرف الطاقات إلى التقدم الصناعي والمهني ، لكي يبقى العالم الإسلامي عالة على مصنوعات الغرب ، ومنتوجاته ، فإذا كانت الصناعة

[illegible]

الغربية والشرقية ، واتخذت لها وسائل ، وتدل عليها قرارات مؤتمراتها السياسية وبيانات زعمائها ، فإنها هي التي روجت القوميات في المسلمين ، وقامت بحماية وتأييد زعماء القوميات المتعارضة ، كالطورانية ، والإيرانية ، و العربية ، و الكردية ، و البربرية ، و أخرجت الحضارات القديمة المطمورة ، من مزابل التاريخ ، ودعمت رجالاً يتحمسون لها ، ويدعون إلى تمجيدها لقطع الصلة بالإسلام ، وتمزيق المجتمع الإسلامي القائم على فكرة واحدة ، وحضارة واحدة ، على أساس كلكم من آدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي .

لقد كان المجتمع الإسلامي مجتمعًا واحدًا قبل الاستعمار يقبل العربي سيادة التركي ، والهندي للمغولي ، والصومالي ، والزنجباري للعربي ، وكان المسلمون قوة عالمية لهذا الترابط ، ولم يقع هذا الانفصال إلا بتدسيس القوى الاستعمارية التي روجت فكرة القومية الإقليمية ، ولا يزال عملاؤها يجتهدون لترسيخ هذه النزعات التي تفرق بين مختلف كيانات الأمة الإسلامية ، وكان تصور الجامعة الإسلامية ، والتضامن الإسلامي تصورًا خطيرًا في عهد الاستعمار ، وكل من كان يرفع هذا الهتـاف كان يعتبر رجعيًا ، وعدوا للتقدم والحضارة ، ولكن خيانة الغرب ، وخذلانه بالنسبة لأصدقائه الذي اعتمدوا عليه ، وربطوا مصيرهم به ، في الستينات أدى إلى تصدع هذا السدّ الغربي ، وتجمعت القوى الإسلامية ، ولو إسميًا ، و وجد نوع من التزامل والتشاور بين الدول العربية وغير العربية ، وعادت الأخوة بين الأتراك والعرب ، والفئات الأخرى ، التي كانت متحاربة فيما بينها ، ويرجى أن هذه الوحدة

إن هذا السؤال عن سبب بؤس المسلمين وشقائهم ، والاضطراب الدائم في بلدانهم ، سؤال عالمي ، له دوافع سياسية ، ويوجه عادة إلى المسلمين في اللقاءات بين مختلف الجاليات ، كأن هناك تخطيطًا أو تعليمًا لتوجيه هذا السؤال إلى المسلمين ، ومعالجته بهذا الطريق ، سؤال تطرحه وسائل الاعلام المعاصرة وحملة الأقلام الغربيون ، ويحاولون البحث عن الجواب ، ويلومون طبيعة الإسلام والمسلمين ويرجعون المسئولية الكاملة إلى الإسلام ، وذلك لاجبار المسلمين على الشعور بأنهم في حالة التمزق ، والتشتت والصراع الفكري ، وأنهم في حالة تشنجية ، لأنهم يتبعون دينًا قديمًا ومتزمتًا ، فلا يستطيعون في مثل هذه الحالة ، أن يتقدموا أو يسايروا ركب الحياة ، لأنهم مشغولون بقضايا مشتبكة ، وأن طاقاتهم تستنزف في مواجهة هذه القضايا ، ولا تسبب تمزقهم المذاهب ، والعقائد ، والملل والنحل الكثيرة في المسلمين فحسب بل تمزقهم القوميات الكثيرة ، والثقافات المتعددة ، ونظم الحكم المتعارضة ، والصراع بين القديم والحديث ، والأصولية ، والمعاصرة ، الذي يقسم مجتمعهم بالإضافة إلى تخلفهم في العلم والتكنولوجيا وشيوع الجهل والفقر .

يقدم هذه الصورة القاتمة للمجتمع الإسلامي ، أو العالم الإسلامي المثقفون المعاصرون وهم الذين يوجهون هذا السؤال إلى المسلمين ، ولا ترتسم هذه الصورة في أذهانهم بالوضع المعاصر للمسلمين ، فإنه وضع مختلف عن هذه الصورة ، وإنما هو الوضع الذي أراده الاستعمار الغربي ، واتخذ له وسائل ، وتدابير مدروسة ، وهو صورة متصورة أو حلم من أحلام القوى الاستعمارية ، وقد ركزت على تحقيقها القوى الاستعمارية

البلشفية في الاتحاد السوفياتي ، من سفك الدماء ، وتشريد المواطنين ، وتغيير المعالم ، ونقل السكان قسريا من أوطانهم ، واسكانهم في غير أوطانهم ، والقضاء على اللغات والثقافات ، والعادات المحلية ، وتغيير الأسماء ، وفرض رجالها عقيدتهم ، ومنهجهم على شعوبهم المقهورة ، وسدّ جميع نوافذ الفكر ، و وضع سدود بين الشعوب المختلفة لمنعها من الامتزاج والاختلاط بالأمم الأخرى ، وغلبة روح التوسعية عليها ، واخضاع الأمم الأخرى لها مباشرة أو إخضاعها لمنهجها.

من لم يطلع على هذا التاريخ الطويل للاستعمار والاشتراكية ، ولم يطلع على الخلفيات لها ، ولم يطالع تاريخ العهود التي سبقت هذا العهد الجديد الذي يعرف بعهد غلبة الغرب ، ولم يطلع على الفظائع والمآسي التي تعرضت لها الشعوب تحت حكم الدول الأوربية المعاصرة ، يجد نفسه في حيرة ، ويتعثر في الرد على السؤال الذي يوجه إليه عن حالة المسلمين في العالم كله ، وجيرتهم ، والصراعات القائمة في مجتمعاتهم .

ولو كان هذا المسلم الذي لا يعرف عن ماضي الغرب القريب ، كان يعرف حاضر الغرب ، ولا ينخدع بالاعلام المعاصر الذي يركز فقط على مآسي العالم الإسلامي ، ويصور البؤس والشقاء في غير العالم الأوربي ، لما طالت حيرته وارتباكه ، ولرد على هذا السؤال بطريقين ، لا بطريق واحد ، طريق الهجوم على السائل والمجتمع الذي ينتسب إليه ، وطريق الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وشرح أسباب المآسي والصراعات التي تعم المجتمع الإسلامي ، وادان المسئول الحقيقي عن هذه المآسي والصراعات والسبب الكامن وراءها .

صور و أوضاع:

من المسئول عن معاناة المسلمين

واضح رشيد الندوي

يعتقد كثير ممن يثق بالاعلام المعاصر ، أن المسلمين هم أكثر الأمم تعرضا للفتن والأزمات ، وأن بلدانهم تظل مسرحا للقتال ، والصراعات السياسية حينًا بعد حين . ويوجه إلى المسلمين ، وخاصة من يبدو مثقفًا منهم في مناسبات الاختلاط بغير المسلمين ، سؤال مهم ، وهو لماذا يوجد هذا الوضع في العالم الإسلامي أكثر مما يوجد في غيره ؟ فيحار كل من يوجه إليه هذا السؤال المحرج في الإجابة عليه ، لأن كل مسلم ومنهم المثقفون اليوم لا يقرأ إلا ما يكتبه أعداء الإسلام و المتشككون والمشككون ومن لم تنشرح قلوبهم للإسلام ، ولم تسنح له فرصة لدراسة تاريخ الإسلام ، وتاريخ الاستعمار الغربي ، ولم يتعرف على الحركات المعاصرة التي قامت بعد النشأة الثانية في أوربا ، ولم يطلع على فترات الظلام ، والكفاح المرير ، والثورات والحروب ، التي دامت في أوربا مدة طويلة من الزمن ، والحروب الطاحنة التي قامت على أساس الاختلاف في العقيدة بين البروتستنت ، والكاثوليك ، وعقوبات محكمة التفتيش ، وما ارتكبته الدول المستعمرة في مستعمراتها من قتل ، وتشريد ، ومحو معالم الحياة السابقة ، وقمع الحريات ، وممارسة التمييز على أساس العقيدة ، وحتى في المحن والكوارث البشرية ، وما أدت إليه الثورة

ومع صغر حجم كتابه فإنه تضمن فكرة واضحة وتناول معظم الأبحاث اللغوية . ولم يكن فيها رجوعه إلى القدماء قليلاً .

والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الهوامش :

(١) محمد المبارك : فقه اللغة . دمشق . مطبعة جامعة دمشق (بدون تاريخ الطبع) تقديم الكتاب - ج - د .

(٢) السيوطي جلال الدين : « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » شرح وتحقيق محمد أحمد جاد المولى بك القاهرة . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه : ط/٢ . ج/١ . ص/٢٥١ .

(٣) شتكيفنش : العربية الفصحى الحديثة . ترجمة وتعليق : د/محمد حسن عبد العزيز - القاهرة . دار الفكر العربي : ص/١٨٥ .

(٤) محمد المبارك : فقه اللغة . مقدمة : هـ - و .

(٥) المصدر السابق : مقدمة : و - ز .

(٦) المصدر السابق نفسه : ص/٤٩ .

(٧) المصدر السابق : ص/٨٥ .

(٨) المصدر نفسه : ص/٦٢ .

(٩) كان جرجي زيدان في طليعة القائلين بالأصل الثنائي . وقد أطال النفس في دعم مذهبه في كتابه : « الفلسفة اللغوية » .

(١٠) فقه اللغة : ص/١١٨ .

(١١) نفس المصدر السابق : ص/١٨٨ .

(١٢) د/صبحي صالح : « دراسات في فقه اللغة » بيروت . المكتبة الأهلية : ط/٢ . ١٩٦٢م - ص هـ - و من المقدمة .

(١٣) فقه اللغة . للأستاذ محمد المبارك : ص/١٣٩ .

هي لإبراز المعالم وإيضاح الملامح . وقد عبر عنها تعبيرًا صادقًا مع الانفعال والتجاوب مع السلوك اللغوي .

في ميزان النقد والاستدراك :

لقد انتقد الدكتور صبحي صالح المنهج الذي ساره الأستاذ المبارك ، يقول : « .. إن في كتابه نظرات ثاقبة وآراء في العربية ناضجة ، ولكنها لم تبرأ من المآخذ . إن الأستاذ المبارك لا يبالي بالنصوص القديمة كثيرًا ، فما يذكرها إلا قليلاً ، ونادرًا ما يعزوها في الحواشي إلى أصحابها ، مع أنه أوثق الناس صلة بالقديم وأنه في هذا الباب تلميذ أبيه العلامة عبد القادر المبارك ، وعلى أنه أوضح في مطلع كتابه : « أنه لم يعمد إلى حشد الشواهد الكثيرة » (١٢) .

ورأينا أن الاعتراض غير وارد من جهتين :

الأولى : إن الأستاذ المبارك أراد إعطاء صورة إجمالية عن القضايا التي ناقشها ، ولذلك رسم لنفسه منهج الاختصار والاقتصار ، وأوضح بذلك في مطلع كتابه ، فكيف نلزمه بشئ لم يقبله مبدئيًا ؟

الثانية : إنه اعترف بأهمية النصوص والمتون واعتبر إغفالها نوعًا من العبث ، حيث يقول : « إن الألفاظ لا تعيش منعزلة ، بل في متون النصوص مجتمعة ، مركبة مع غيرها من الألفاظ ، ولذلك كانت دراستها مجردة منفردة دراسة عقيمة غير منتجة ، فيجب أن يستنتج معناها ، أو معانيها المتعددة من مجموع النصوص التي تحدد استعمالها ويمكننا من ضبط معناها ضبطًا دقيقًا » (١٣) .

المتفردة مع مرونته وتحمسه للنظريات الحديثة المتطابقة .

ذاتيتـــه في تحليل القضايـــا :

وقد برزت ملامح شخصيته القوية في تحليل القضايا ، وأبانت مباحثه عن الذاتية والأصالة الفكرية ، واتسمت عباراته بوضوح الفكرة ودقة التنسيق ، واستطاع صياغة أفكاره ونظرياته في ضوء ثقافته المزدوجة - عربيته الأصيلة وفرنسيته البارعة - وأن يصف لنا الحقائق اللغوية وصفًا صادقًا دون أن تختفي شخصيته في خضم الآراء والنظريات القديمة والحديثة التي استقى منها معلوماته ، ولم تختلط عليه المناهج رغم رجوعه المتكرر إلى القديم والحديث منها ، ومن بين هذه الغمرة من النظريات العلمية الجديدة المبتكرة والقديمة الأصيلة ، شق طريقه الموصل إلى العربية ، مرسوم الخطى ، محدد المعالم .

كانت فكرة التحرر والذاتية جاءت عنده عن كثب ، ونشأت كنتيجة طبيعية منطقية بعد التجارب العملية التي مر بها الأستاذ المبارك ، فكانت عنده بمثابة سجية ومنهج طبيعي خالط اللحم والدم وأصبح مزية من مزايا شخصيته وعقليته ونفسيته ، ومن ثم كانت الخطة التي سارها في بحثه في قضايا اللغة العربية مستفادة ومنتقاة من تلك التجارب العملية ، والتحرر والذاتية التي دعى إليها في شخصية المجتمع الإسلامي وثقافته العامة وعقيدته ، وهي التي ميزت أعماله اللغوية عن الآخرين ، وكانت مهمته في فقه اللغة البحث عن الحقائق في جميع مظانها ، في المصادر القديمة والحديثة ثم الاستقراء والتجربة والمقارنة و وصفها كما

[illegible]

[illegible]

(١١) [illegible]

[illegible]

القيمة التعبيرية للحرف الواحد في الألفاظ العربية ، خلص إلى أن هناك تأثيرًا للحروف في تقوية المعنى أو إضعافه ، وأن هناك نوعًا من الانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الألفاظ ودلالاتها ، الأمر الذي يدعو إلى مزيد من التحري والاستقراء (٧) .

وبحثه في الاشتقاق دقيق جدًا وقد أولى الموضوع عناية فائقة إذ أن الاشتقاق يمثل الوسيلة الأساسية لإثراء المعجم العربي في إطار البناء الصارم للصرف العربي ، وهو مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطبيعة في « إرجاع الجزئيات إلى الكليات وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع » (٨) .

وفي هذا الباب اتصفت آراؤه بالدقة والحيطة العلمية ، حيث إنه لم يستعجل في قبول بعض النظريات التي ارتجت الأجواء بصداها ، من ذلك ما نرى من توقفه في ثنائية الكلمة العربية ، واعتبار الأصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيه مجديًا ، وأن العربية استقرت على الأساس الثلاثي (٩) .

ويتقدم الأستاذ المبارك إلى موضوع الأبنية والأوزان ويأتي بنتائج علمية ممتعة بعد دراسة البناء الصرفي وأثر التقاليب وتصاريف الكلمة في تحديد المعنى ودور الحركات في تحديد صلة المعاني . كما يلاحظ في هذا النظام الموسيقية وجمال الإيقاع ، وبان له أنه حدث تطور بطيء في الأوزان والأبنية العربية على مدى العصور (١٠) .

ملاحظاتـــه في المعانـــي :

وملاحظاته في تطور الدلالة ومعاني الألفاظ دقيقة أيضًا ، فقد أوضح

استفادته من المصادر الأجنبية وآثارها في ثقافته اللغوية :

وقد كانت له مقدرة جيدة على اللغة الفرنسية ، واطلاع مباشر على فقه اللغة الفرنسية ، زد إلى هذا أنه عاش تجارب عملية في فرنسا ، فكانت بذلك ثقافته عالية واسعة الآفاق ، تيسرت له من خلالها المقارنة والموازنة بين اللغة العربية واللغات الحديثة الأخرى ، وفي مقارناته ركز على الأمثلة الفرنسية ، مما أكسبت دراساته طابعًا من فقه اللغة العام والمقارن وفقه اللغة العربية في الوقت نفسه .

أهم القضايا التي ناقشها :

لقد عرض الأستاذ المبارك لطائفة كبيرة من المواضيع اللغوية ، فبدأ بتعريف علم اللغة وعناصره وأقسامه ، ثم مر مرًا سريعًا باستعراض مساهمة العرب في فقه اللغة إلى أن استطرد في الحديث إلى العصر الحديث ، ثم تناول الأصوات اللغوية ، واستوعب أهم جوانبها وصفًا وتطورًا ، وبعد قطعه أشواط البحث والمناقشة خرج بنتيجة أن البحث العلمي قد اقتنع بثبات الأصوات العربية وذلك بفضل القرآن الكريم ، حيث نجدنا حين نتكلم بالفصحى ، لا يختلف نطقنا عن نطق الناس في الجاهلية وصدر الإسلام ، وكان السبب الجوهري هو القرآن الكريم في « احتفاظ لغتنا بأصواتها ثابتة » و بأنسابها صريحة و بحروفها واضحة (٦) .

رأيه في القيمة التعبيرية للحرف الواحد :

وتعرض الأستاذ المبارك للاشتقاق و وقف مع كل أنواعه وقفة تأمل مع استناده إلى دراسة كافية للمراجع القديمة ، وفي غضون حديثه عن

المفردة لأنها لا تزال بمثابة حجر الزاوية في المباحث اللغوية . ثم إنه لم يتناول فيها إلا أهم وأبرز النواحي من الأبحاث ، ولم يتعرض لما قد يأتي في المرتبة الثانية .

منهجه في الدراسة اللغوية :

درس اللغة العربية من خلال النظرات الحديثة واستفاد من فقه اللغة المقارن ، دون إدخال الضيم على العربية أو إغفال أصولها وخصائصها .

لم يرتض لنفسه التقليد والاحتذاء لدراسات اللغات الأخرى ، وأخذ بالاعتبار عبقرية اللغة العربية وخصائصها ، وبالتالي لم يأخذ من النظريات الحديثة إلا اتجاهها وبعض مناهجها ، والقضايا العامة المشتركة بين اللغات (٥) .

وراجع المصادر القديمة واستفاد من القدماء وتحاشى عن سوق الشواهد الكثيرة وآثر الاختصار .

لقد استفاد الأستاذ المبارك من المصادر القديمة وعرف لها قدرها ، وأشاد بجهود القدماء واعترف لهم بالفضل على بينة من الأمر ، وكثر استشهاده ورجوعه إلى ابن جنى ، اللغوي المفضال الذي يمثل أولى الأدوار في تطور الفكر اللغوي عند العرب ولا تزال ملاحظاته الدقيقة مسلمة بجدارة إلى الآن .

واعتمد كثيرًا أيضًا على السيوطي الذي التزم في كتابه « المزهر » بحسن الترتيب ، ودقة التبويب وجمع مادة غزيرة ، وقد كانت أهميته مزدوجة ، ذلك لأن كثيرًا من المصادر التي عول عليها السيوطي ونقل منها ، قد ضاعت وفقدت فيما بعد .

استفادته من المصادر الأجنبية وآثارها في ثقافته اللغوية :

وقد كانت له مقدرة جيدة على اللغة الفرنسية ، واطلاع مباشر على فقه اللغة الفرنسية ، زد إلى هذا أنه عاش تجارب عملية في فرنسا ، فكانت بذلك ثقافته عالمية واسعة الآفاق ، تيسرت له من خلالها المقارنة والموازنة بين اللغة العربية واللغات الحديثة الأخرى ، وفي مقارناته ركز على الأمثلة الفرنسية ، مما أكسبت دراساته طابعًا من فقه اللغة العام والمقارن وفقه اللغة العربية في الوقت نفسه .

أهم القضايا التي ناقشها :

لقد عرض الأستاذ المبارك لطائفة كبيرة من المواضيع اللغوية ، فبدأ بتعريف علم اللغة وعناصره وأقسامه ، ثم مر مرًا سريعًا باستعراض مساهمة العرب في فقه اللغة إلى أن استطرد في الحديث إلى العصر الحديث ، ثم تناول الأصوات اللغوية ، واستوعب أهم جوانبها وصفًا وتطورًا ، وبعد قطعه أشواط البحث والمناقشة خرج بنتيجة أن البحث العلمي قد اقتنع بثبات الأصوات العربية وذلك بفضل القرآن الكريم ، حيث نجدنا حين نتكلم بالفصحى ، لا يختلف نطقنا عن نطق الناس في الجاهلية وصدر الإسلام ، وكان السبب الجوهري هو القرآن الكريم في « احتفاظ لغتنا بأصواتها ثابتة » و بأنسابها صريحة و بحروفها واضحة (٦) .

رأيه في القيمة التعبيرية للحرف الواحد :

وتعرض الأستاذ المبارك للاشتقاق و وقف مع كل أنواعه وقفة تأمل مع إستناده إلى دراسة كافية للمراجع القديمة ، وفي غضون حديثه عن

المفردة لأنها لا تزال بمثابة حجر الزاوية في المباحث اللغوية . ثم إنه لم يتناول فيها إلا أهم وأبرز النواحي من الأبحاث . ولم يتعرض لما قد يأتي في المرتبة الثانية .

منهجه في الدراسة اللغوية :

درس اللغة العربية من خلال النظرات الحديثة واستفاد من فقه اللغة المقارن ، دون إدخال الضيم على العربية أو إغفال أصولها وخصائصها .

لم يرتض لنفسه التقليد والاحتذاء لدراسات اللغات الأخرى ، وأخذ بالاعتبار عبقرية اللغة العربية وخصائصها ، وبالتالي لم يأخذ من النظريات الحديثة إلا اتجاهها وبعض مناهجها ، والقضايا العامة المشتركة بين اللغات (٥) .

وراجع المصادر القديمة واستفاد من القدماء وتحاشى عن سوق الشواهد الكثيرة وآثر الاختصار .

لقد استفاد الأستاذ المبارك من المصادر القديمة وعرف لها قدرها ، وأشاد بجهود القدماء واعترف لهم بالفضل على بينة من الأمر ، وكثر استشهاده ورجوعه إلى ابن جني ، اللغوي المفضال الذي يمثل أولى الأدوار في تطور الفكر اللغوي عند العرب ولا تزال ملاحظاته الدقيقة مسلمة بجدارة إلى الآن .

واعتمد كثيرًا أيضًا على السيوطي الذي التزم في كتابه « المزهر » بحسن الترتيب ، ودقة التبويب وجمع مادة غزيرة . وقد كانت أهميته مزدوجة ، ذلك لأن كثيرًا من المصادر التي عول عليها السيوطي ونقل منها ، قد ضاعت وفقدت فيما بعد .

المبارك وضعًا غير مستقيم في الشئون التي تخص لغة الضاد - كما سبق أن لاحظنا - سرح طرفه فرأى في الكتب العربية القديمة في فقه اللغة علما مشتتًا ومادةً غزيرةً تنقصه الدقة والموضوعية . وتنتظر يدًا رفيقة أمينة تلم شعثها وتنسّقها وتسلك فيها مناهج البحث العلمي الرزين وتستخرج منها جواهرها الكريمة . ورأى في الكتب العصرية ولوع الباحثين العرب المعاصرين بتقليد الأعاجم والمستغربين وتطفلهم على موائد علماء . الغرب في دراسة اللغات الإنسانية .

ومن جهة ثالثة عرف التقدم الهائل الذي أحرزته الدراسات اللغوية في الآونة الأخيرة واتساع نطاقها . وقد وصلت الدراسات اللغوية على المستوى الدولي إلى أحدث النتائج وأحرزت تقدمًا ملموسًا . واطلع على الكتب التي تشرح علاقة اللغة بالمجتمع . واحتكاك فقه اللغة بجوانب من العلوم الاجتماعية . مما يسلط الأضواء على أهمية إعادة النظر في دراسة فقه اللغة طبق المناهج المستجدة . والقيام بتضييق الفجوة بين فقه اللغة العربية وبين الأبحاث الجديدة .

في خضم هذه الأوضاع مع جوانبها السلبية والإيجابية كان الأستاذ المبارك أفضل من يقوم بدراسة فقه اللغة العربية . بصفته لغويًا متخصصًا له إتصال مباشر ومعرفة تامة بلغة أجنبية . وكان أقدر وأوثق من يتصدى لهذا الوضع . فبدأ بتأليف كتابه : « فقه اللغة » في آخر سنة ١٩٥٧م لكي يسد هذا الفراغ (٤) .

موضوع الكتاب :

واقتصر الأستاذ المبارك في كتابه على الأبحاث المتعلقة بالكلمة

طبيعة اللغة العربية ، ولم يأخذوا بالاعتبار المكانة المتفردة التي تتمتع بها اللغة العربية.. فكان دور كثير منهم أشبه بدور الناقل والحاطب بالليل ، ومن أجل ذلك نرى غالبيتهم جانبت الصواب في كثير من الأحيان في تحديد معالم فقه اللغة ، وموقف العربية منها أخذا ورفضًا .

الدراسات المتخاذلة :

إن الدول المستعمرة في العصر الحديث استغلت نفرا من أبناء الضاد في الأقطار العربية المختلفة بوسائل شتى ليدعوا إلى تدوين اللهجات العربية بالحرف العربي آنًا ، وبالحروف اللاتينية آونة ، ولقد استجابت هذه الشرذمة إلى تلك الاستمالة الاستعمارية عن طيب قلب أو بدوافع أخرى ، فشنوها حربًا شعواء على اللغة العربية تحت ستار التمشي مع التقدم في ركب الحياة ، وبحجة أن اللغة كائن حي يجب أن يتطور ويتقدم .

إن هذه السياسة اللغوية الاستعمارية شغلت أقلامًا من النصارى اللبنانيين ، والذين استوطن كثير منهم في الولايات المتحدة ، ومن نحا نحوهم من المرتزقين ، فأرادوا تحطيم وحدة الأمة الإسلامية بتحطيم اللغة العربية وزعزعتها عن مكانها المسيطر ، فرددوا كثيرًا من قضايا تبسيط النحو والتحلل من قيود الإعراب وتغيير الخط ، وقد برز في هذا المجال الخوري مارون غصن والجبور ، وانساق إليهم أحمد أمين ، وكان ساطع الحصري يتمنى لو ألغى النحو العربي وطبقت القواعد اللغوية الغربية مكانه (٢) .

سبب تأليف الأستاذ المبارك في فقه اللغة العربية : صادف الأستاذ

محددة عندهم ولم ترتسم معالمه وأبعاده لديهم ، وبالتالي اضطربت مناهجهم فيما يتناولونه بالدراسة من المسائل اللغوية كما تلخبط عرضهم وتحليلهم ، ونلاحظ كذلك أيضًا أنهم أطالو النفس في بيان خصائص اللغة العربية ، ولم يكن ذلك من خلال المقارنة باللغات الأخرى التي تربطها بالعربية أواصر القربى ، بل انعكست فيه العقلية المتأثرة بالمنطق الأرسطي اليوناني الذي اكتسح جميع مجالات العلوم والفنون في تلك الآونة ، فكان له أثر في الفقه والكلام مثلما كان له أبلغ الأثر في الدراسات اللغوية ، ومن هنا خرج فقه اللغة عن المنهج اللغوي الوصفي وتزايد اهتمامه بالمناسبة الطبيعة بين اللفظ ومدلوله ومباحث نشأة اللغة الإنسانية التي هي أشبه شئ بفلسفة ما وراء الطبيعة .

الدراسات اللغوية الحديثة :

ويرجع أكبر قسط من الفضل في تجديد البحث في فقه اللغة العربية إلى حصيلة اللغات الأوربية الحديثة في فقه اللغة العام والمقارن ودراساتها التجريبية لجميع الوحدات التي يضمها فقه اللغة وعلم الأصوات بصورة أخص ، هناك طائفة كبيرة من العلماء والكتاب الذين عالجوا القضايا اللغوية وأدلوا بآرائهم فيها ، مما أثرى المكتبة العربية بعلم غزير ومعلومات كثيرة عن المصادر الأجنبية ، وامتازت هذه الإسهامات بإعطاء فكرة جلية عن الوعي والفكر اللغوي على مدى أوسع وأثارت تساؤلات جادة في تماسك الكيان اللغوي و وحدة نظامه ، إلا أن الذي لوحظ على أوسع نطاق هو إساءة التطبيق ، حيث لم يوفق الجدد - غالبا ما - إلى التطبيق والجمع ولم يحسنوا الأخذ والترك فيما يخص

حدودها الأربعة ، ولكي نستطيع تقدير مساهمة الأستاذ المبارك كلغوي متخصص في حلول مشاكلها وتحليل أجزائها ، لابد لنا أن نقف وقفة تأمل ونظر مع فقه اللغة ، يتيسر لنا من خلالها تقييم الأعمال ونقدها وفق الموازين والمقاييس العلمية المتزنة والسلوك فيها بطريق مستقيم لا يميل ذات اليمين وذات الشمال .

إن التأليف في فقه اللغة قد مر بأدوار جديرة بأن تسجل وتدرس ، ولكنه من العسير استيعاب جميع الكتب المتعلقة بفقه اللغة تعلقا غير مباشر ، كالمصنفات النحوية والصرفية والبلاغية والقراءات ، فلنضرب عن هذا النوع صفحًا ، رغم أنها تسجيلات دقيقة لملاحظات ونتائج أبحاث لغوية في طورها الأول ، ولنقتصر النظر في التأليفات التي توفر فيها أصحابها على دراسة ما يرتبط ارتباطًا قويًا بفقه اللغة ، علما قائمًا بنفسه .

بدأ علم اللغة عند العرب بجمع وتدوين مفردات اللغة ، وكانت فيما بعد النواة الأولى في جمع المعاجم الكبيرة ، ومن أعلام هذه المرحلة الأصمعي وأبو عبيدة والنضر بن شميل وأبو زيد وقطرب ، وتتلو هذه المرحلة مرحلة النظر في القواعد يمثلها النحاة الذين ألفوا في الاشتقاق وما إلى ذلك ، منهم أبو الحسن الأخفش والمبرد والزجاج وابن السراج والرماني وغيرهم (٢) .

وتأتي بعد ذلك مرحلة اتساع الفكرة اللغوية على يدي ابن الجنى وابن الفارس ، حيث ناقشا لأول مرة أبحاثًا مهمة في علم اللغة ، وقد تجاوز ابن جنى شاؤا أوسع وأبعد ممن قبله ، واتضحت عنده فلسفة اللغة واستطاع

مبحث في فقه اللغة العربية :

الأستاذ محمد المبارك

و دوره في خدمة فقه اللغة العربية

بقلم : عبد الماجد الكشميري
الباحث بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية - بعليجراه

رضع الأستاذ محمد المبارك بلبان اللغة العربية وترعرع في أحضانها ، ونهل من معينها الصافي في رعاية والده الشيخ عبد القادر المبارك ، الراوية واللغوي البارع الذي حمل ولعه وشغفه الزائد بهذه اللغة على إنشاء بيئة لغوية فريدة في بيته ، تنمى الذوق الأدبي وتربيه ، يقول الأستاذ المبارك : « وقد طفقت منذ كنت ناشئًا أعب من معين روايته - والده الشيخ عبد القادر المبارك - الواسعة وأنهل من ينبوع لغته العذبة في جلسات خاصة ، أو مع زملائي في تجهيز دمشق أي مدرستها الثانوية ، أو في مدرسة الأدب العليا التي كانت النواة الأولى لكلية الآداب » (١) .

وقد كانت من آثار هذه الصلة والحب للعربية من جهة ، والحرص الشديد على التوعية والتوجيه الرشيد من جهة أخرى أنه عند ما كان يراسل والده من باريس ، كانت المراسلات تدور حول القضايا العلمية ، ولا سيما اللغوية منها ، ومن ثم اكتمل شعوره بخطورة فقه اللغة ونضج ذوقه وانبعثت فيه الدواعي لخدمة هذا العلم ، واستغل الفرصة المتاحة للقيام بمهمة تدريس فقه اللغة في كلية الآداب بدمشق سنة ١٩٤٩م .

وضع اللغة وفقهها ، والتحديات :

ولكي نتمكن من إرساء الجوانب النظرية للقضية المطروحة ورسم

الأصفهاني - كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد - الدار السلفية ، الهند : ص/١٢ .

(٤٨) أبو عبد القاسم بن سلام : كتاب الأمثال ، حققه وعلق عليه الدكتور عبد المجيد قطامش دار المأمون للتراث ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) : ص/١٧ ، وأنباء الرواة : ٢/١٢٤ .

(٤٩) انظر للتفصيل : كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، لأبي محمد عبد الله الأصفهاني ، وكتاب الأمثال ، لأبي القاسم بن سلام ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ .

(٥٠) انظر للتفصيل : الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، بيروت ١٩٧٩م ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ١٩٢٩م ، وابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة - مصر ١٨٦٨م ، والقلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء مصر ١٩١٩م .

(٥١) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي : ص/١٢٠ .

(٥٢) كتاب الأمثال في الحديث النبوي : ص/٢٩٥ .

(٥٣) أبدل فيه آل بأم كما يضع بعض العرب من حمير ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي : ص/٤١ .

(٥٤) تاريخ الأدب العربي : ص/٩٥ .

(٥٥) مصطفى صادق الرافعي - تاريخ آداب العرب - الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي - بيروت لبنان : ص/٢٨٥ .

(٥٦) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي - بيروت لبنان : ص/٢٠١ .

(٥٧) نفس المرجع : ص/٢٨٢ .

(٥٨) تاريخ الأدب العربي : : ص/٩٧ .

(٥٩) نفس المرجع : ص/٩٧ ، وانظر العقد الفريد : ج/١ ، ص/١٨١ .

(٦٠) تاريخ آداب العرب : ص/٢١٦ .

(٦١) نفس المرجع : ص/٢١٧ .

(٦٢) نفس المرجع : ص/٢٢٥ .

(٦٣) نفس المرجع : ص/٢٤٠ .

الأعمال بالنيات » ، « الدين النصيحة » ، « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات » ، « لا تجن يمينك على شمالك » ، « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » ، « آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله » ، « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، « الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس » (٦٢) .

وفي الختام نقول : إن الحديث الشريف هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي وهو يشمل جميع آفاق الحياة الإنسانية ، وقول الرسول -ﷺ- وفعله وتقريره محبوب لدى جميع المسلمين ومهم جدًا ، فعنوا عناية فائقة بحفظه وصيانته وتدوينه وتحقيقه ، وانتشر الصحابة والتابعون إلى الآفاق وأخذوا يبلغون سنة رسولهم ويحصونها وينقلونها من رجل إلى رجل ، واتسعت الفتوحات الإسلامية وتفرقت الأشياع والفرق والمذاهب فكان المحدثون يدونون كتب الأحاديث ويشرحونها وكتب علوم الحديث ومصطلحه حتى صارت التصانيف والمؤلفات ثروة عظيمة وخزانة أثيرة في اللغة العربية ، وكان أسلوب الحديث أقرب إلى أسلوب القرآن الكريم ، وكان الرسول -ﷺ- هو أفصح العرب وأبلغهم بيانًا ، ففيه جلاوة النبوة ورونقها ، وأسلوب النبي -ﷺ- فاش في كلام الصحابة والتابعين وعلى لسان الشعراء والأدباء ، فأخذ الشعراء والأدباء يقلدونه وجعلوا يعتمدون عليه في الكتابة والخطابة وفي الأقوال والأمثال وفي الوصايا والأقاصيص وفي الأشعار والمنثورات حتى تمت النهضة الأدبية والبيانية .... في اللغة العربية وآدابها .

---

(٤٦) أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي – دار العلم للملايين بيروت : ص/٨٥ .

(٤٧) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ

ماهرين باللغة العربية كما في الحديث، إنه -ﷺ- قال لأبي تميمة الهجمي: « إياك والمخيلة » فقال: يا رسول الله نحن قوم عرب، فما المخيلة؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - : « سبل الإزار » (٦١).

١٦)- وإنما يحمل هذا على قوة فطرته اللغوية التي تتميز بالإلهام عن سائر العرب من قومه وغير قومه على النحو الذي اختصت به ذاته الشريفة بالوحي من ربه . وكانت فطرته اللغوية في تمكنها وشدتها واستحصافها وانطوائها على أسرار الوضع ، لها أثر وافر وضعًا واشتقاقًا واستجادةً وبلاغةً .

١٧)- وإذا لاحظنا كلامه - عليه الصلاة والسلام - بملاحظة خاصة وجدناه مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب ، متناسب الألفاظ والأجزاء في تأليف الكلمات ، فتتم الجملة بوضوح الصلة بين اللفظ ومعناه ، ولم نجد حرفًا مضطربًا ولا لفظًا مستكرهًا على المعنى ، ونجد حسن العرض بيّن المعنى واضح التفصيل ظاهر الحدود بديع الإشارة غريب اللمحة ناصع البيان ، كما نرى في كلامه من سمو المعنى وفصل الخطاب وحكمة القول ودنوا المأخذ وإصابة السر شيئًا كثيرًا ، وهذا كله يكون لكماله - عليه الصلاة والسلام - وقدرته في الإفصاح وبلاغته في التعبير ، وكان له من عظمة النفس وكمال العقل وثقوب الذهن ، وتمكّن اللسان ما فاق به على جميع الفقهاء والعقلاء والفصحاء والبلغاء والأدباء والشعراء (٦٢) .

١٨)- ومن الكلم الجامعة التي هي جوامع الحكمة والبلاغة ، وذات رصانة أدبية ونكت فنية كثيرة كقوله - عليه الصلاة والسلام - : « إنما

وهذا من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره (٥٩) . ولكنه في غير ذلك لم يستلزم الألفاظ الغريبة ولا السجع .

١٢)- وله قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار . كقوله - عليه الصلاة والسلام - : « إن المنبت لا أرضًا قطع ولا أظهر أبقى » المؤمن هين لين كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخـــــرة استناخ » . « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » . « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا » . « مثل المؤمن كالنخل لا يأكل إلا طيبًا ولا يطعم إلا طيبًا ». « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ». « المرأة الحسناء في المنبت السوء » . « المرأة كالضلع إن رمت قوامها كسرتها » .

١٤)- وكان - عليه الصلاة والسلام - على حد الكفاية في قدرته على الوضع استعمل ألفاظًا كثيرة لم تسمع العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها وهي تعد من حسن البيان لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها وقوة الدلالة وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها . وكلها قد صار ميراثًا خالدًا في البيان العربي كقوله : « مات حتف أنفه » . « الآن حمى الوطيس » . « بعثت في نفس الساعة » . « كل أرض بسماتها » . « يا خيل الله اركبي » . « ولا تنطح فيها عنزان » . « هذا يوم له ما بعده » . وهذا ضرب عزيز من الكلام يحتذيه البلغاء ويطبعون على قالبه (٦٠) .

١٥)- يوجد كثير من الألفاظ والمصطلحات الشرعية مما لم يرد في القرآن الكريم . ومنه ألفاظ كان العرب أنفسهم يسألون عنه . ولو كانوا

[illegible]

[illegible] (٥٥) .

[illegible] « (٣٥) . [illegible] « : [illegible]

٦) – [illegible] –

« [illegible] » (٨٥) .

[illegible]

٧) – [illegible]

[illegible] .

[illegible]

٨) – [illegible]

[illegible] (٨٥) .

[illegible]

[illegible]

العرب والعجم حسب الاقتضاء والاعتقاد والأحوال . فكانت رسائله نموذجًا واضحًا وقعت في قلوب الكتّاب والأدباء . لذلك فإنهم سلكوا على هذا المنهج و قلدوه . و اختاروا لكتاباتهم الألفاظ الفصيحة و الأسلوب البليــغ .

إضافة على هذا فان خطابة الرسول -ﷺ- لها أهمية كبيرة فـي اللغة العربية وآدابها . وأنه خطب طوال حياته في مكة المكرمة قبل الهجرة . وفي المدينة المنورة بعد الهجرة واتسعت جنباتها بما أخذ يشرع للمسلمين ويرسم لهم من حدود دولتهم ونظم حياتهم التي ينبغي أن تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون في سبيل الحق والخير . وإذا لاحظنا خطب الجاهلية وجدنا فيها غلبة السجع للكهان والتفاخر بالآباء والأنساب والأحساب . والإسلام نهي عن ذلك . والرسول -ﷺ- لا يسجع في خطابه . وكان ينفر منه حين يلهج به أحد محدثيه كراهية للتشبيه بالكهان في سجعهم . ونقول إن صنعة الخطابة نهضت مع خطبة النبي -ﷺ- ونهض معها النثر العربي المرسل نهضة واسعة . وبها وسعت جنبات النثر الفني وزادت في معانيه ومادته بأداء البيان الكامل وأسباب البلاغة الوافرة . و هذه الخطب تصور بدقة حسن منطق الرسول في خطابته وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع ولا بلفظ غريب وحشي (٥١) . وقال - عليه الصلاة والسلام - في بعض خطبه : « إن أشرف الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى . وخير الملل ملة إبراهيم . وأحسن السنن سنة محمد -ﷺ- وأحسن الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها . وأحسن الهدي هدي

« لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » ، « زر غبا تزدد حبًا » ، « الخير كثير ومن يعمل به قليل » ، « البلاء مؤكل بالمنطق » ، « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » ، « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » ، « القناعة مال لا ينفد » ، « الحياء خير كله » ، « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » ، « ما عال من اقتصد » ، « أي داء أدوى من البخل » ، « ومن لا يشكر في القليل لا يشكر في الكثير » ، « إن لكل نعمة حسدة » ، « تعس عبد الدرهم » ، « المؤمن غِرٌّ كريم والكافر خِبٌّ لئيم » ، « من صمت نجا » ، « الآن حمى الوطيس » ، « إياك والطمع فإنه فقر حاضر » ، « الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق » ، « تهادوا تحابّوا » ، « من كثر كلامه كثر سقطه » ، « أحب للناس ما تحب لنفسك » (٤٩) .

و رسائل النبي -ﷺ- هي كانت نموذجًا للنثر العربي المرسل وهي ثروة كبيرة أثرت على اللغة العربية بوجوه شتى . أرسل النبي -ﷺ- رسائل الدعوة إلى الملوك والأمراء والقبائل كما أرسل رسائل إدارية رسمية ، فأرسل إلى هرقل ملك الروم وإلى كسرى ملك الفرس وإلى مقوقس عظيم القبط وإلى حارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة وإلى رفاعة بن زيد الخزاعي وإلى أهل البحرين وأهل هجر ونصارى نجران وغير ذلك من القبائل والرؤساء والأشخاص (٥٠) .

فألفاظ هذه الرسالة وكلماتها وتراكيبها جامعة مختصرة ومعانيها واضحة . ولها أهمية كبيرة في اللغة العربية وآدابها وأنه استلزم فيها ألفاظا موافقة للمخاطبين . فتختلف عباراتها باختلاف المخاطبين من

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٧٣) .

[illegible]

[illegible] (٨٣) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحديث الشريف وأثره على اللغة العربية

[الحلقة الثانية الأخيرة]

أبو الخير محمد ولي الله
الأستاذ المساعد في قسم الحديث والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية - كوشتيا

وإذا نظرنا إلى منثورات العرب قبل بعثة النبي -ﷺ- ما وجدناها إلا قليلة جدًا بحيث لا تسد الحاجات ، وهي مكوّنة بسجع الكهان ومزينة بالألفاظ المسجعة المحدودة دون المعاني الواسعة ، ومن منثوراتهم الأمثال والحكم والوصايا والأوصاف والأقاصيص ، ويشهد التاريخ بأنهم لم يشتهروا في العالم الأدبي بمنثوراتهم كما اشتهروا بالأشعار لتضمنها بلاغة وطلاوة ورونقا وفصاحةً - ولكن بعد نزول القرآن الكريم وتدوين أحاديث الرسول صارت منثوراتهم مملوءة بطلاوة ورونق كبير ، وسلك الأدباء والشعراء على منهج عال وأسلوب بارع متأثر بكلام الله تعالى ورسوله ، وهنالك ترك السجع الكهان والألفاظ الوحشية واستعملوا الألفاظ المتينة البليغة ، وحلت المنثورات المرسلة محل المسجعة ، وزخر بها الأدب العربي ، ففي الحديث ذخيرة وافرة من عناصر اللغة العربية وآدابها ، ويحتوي آداب الحديث بالأمثال والحكم والخطابة والوصايا والأقاصيص ، ومن مزاياه العامة (٤٦) :

١- البساطة والبعد عن تكلف السجع والبديع - كما قال ابن عباس - رضي الله عنه - : إياك والسجع في الدعاء فإني شهدت النبي وأصحابه لا يفعلون ذلك .

(١٥) وقد سبق له أن نقل هذا القول عن أحمد في بحثه السابق عن القرآن في كتابه فجر الإسلام .

(١٦) راجع : على سبيل المثال : صحيح البخاري ، في كتاب التفسير (فتح الباري : ج/٨) .

(١٧) انظر : تفسير الطبري : ج/١ ، ص/٢٥ ، من الطبعة الأميرية .

(١٨) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٧٦ ، طبع مصطفى البابي - الطبعة الثانية .

(١٩) انظر : البحر المحيط ، لابن حيان : ج/١ ، ص/١٦ ، والقرطبي : ج/١ ، ص/٢١ .

(٢٠) راجع : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٢٤٢ .

(٢١) انظر : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٨٠ .

(٢٢) المرجع السابق : ج/٢ ، ص/١٧٨ .

(٢٣) راجع : السنة ومكانتها في التشريع : ص/٢٤٤ بتصرف .

(٢٤) راجع : الرفع والتكميل : ص/٨٦ من طبعة حلب .

(٢٥) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، نسابة ، راوية ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب وهو ضعيف بالحديث ، انظر : تهذيب التهذيب :٩٠/١٧٨ ، و وفيات الأعيان : ١/٤٩٣ .

(٢٦) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن : من أعلام المفسرين كان متروك الحديث ، من كتبه « التفسير الكبير » خ ، ونوادر التفسير ، ومتشابه القرآن ، انظر : وفيات : ٢/١١٢ ، وتهذيب : ١/٢٧٩ ، وميزان الاعتدال : ٢/١٩٦ ، والإعلام : ٨/٢٠٦ .

(٢٧) ٢/١٧٨ الطبعة السابقة .

(٢٨) المعلق في اصطلاح المحدثين : ما حذف من مبتدأ إسناده راو أو أكثر ، والمراد بأول السند من جهة الإمام الراوي وذلك مثل قول البخاري : وقال مجاهد كذا ، وقال ابن عباس كذا ، انظر : التقييد والإيضاح : ص/٣٢ ، شرح مقدمة ابن صلاح .

(٢٩) راجع : فتح الباري : ج/٨ ، ص/٦٠٤-٦٠٥ .

(٣٠) راجع : مناهل العرفان ، للزرقاني : ج/٢ ، ص/٤٩٢ ، بتصرف .

ضلاله وخطئه حتى لا يغتر به أحد . كما فعل ذلك المحققون من أيقاظ المفسرين كالإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - الذي كان يتحرى الصحة فيما ينقل ويزيف ما هو باطل أو ضعيف (٣٠) .

---

(١) راجع : علوم القرآن . د/عدنان محمد زرزور : ص/٤٠٤ .

(٢) انظر : التقريب مع التدريب : ص/١٨٦ . والباعث الحثيث : ص/٩١-٩٤ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ص/٢٥٥ .

(٤) حديث عرق الخيل هو ما روى كذبًا « أن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل وأجراها . فعرقت فخلق نفسه منها » قال ابن عساكر : هذا موضوع وضعه الزنادقة . أما حديث عيادة الملائكة فهو ما روى كذبًا : « إن الله اشتكت عيناه فعادته الملائكة » وأما حديث زغب الصدر . فهو ما روى زورًا : « خلق الله -عزوجل- الملائكة : من شعر ذراعيه وصدره أو نورهما . راجع التدريب : ص/١٨٦ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي : ص/٢٥٦ .

(٦) انظر : التبصير في الدين : ص/٨١ .

(٧) راجع : طائفة من تفسير الرافضة في : مقدمة في أصول التفسير : ص/٢٨-٤٠ .

(٨) راجع : لمحات في أصول الحديث : د

(٩) انظر : الألفية للزين العراقي مع ا   . ص/٧٢ .

(١٠) راجع : مقدمة في أصول التفسير   ا بعدها ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : ص

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المعسير . ... فتح الباري : ج/٨ . ص/١٢٠ .

(١٢) راجع : الإتقان : ج/٢ . ص/١٧٨ الطبعة السلفية .

(١٣) انظر : فجر الإسلام : ص/٥٢٩ . لأحمد أمين .

(١٤) راجع : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٢٤٢ .

إن الاستشهاد بعبارة الإمام للتشكيك في أحاديث التفسير كلها غير صحيح . يبطله ثبوت أحاديث التفسير في أمهات الكتب الصحيحة كالبخاري ومسلم والمؤطأ والترمذي . بل في مسند الإمام أحمد نفسه .

ونشير هنا إلى أصح كتاب في السنة وهو صحيح البخاري فنجد أن هذا الكتاب أورد فيه مؤلفه كتابًا كبيرًا وهو : « كتاب التفسير » استغرق نحو جزء من ثلاثة عشر جزءًا من تجزئة الإمام الحافظ ابن حجر في شرحه : « فتح الباري » (٢٧) فقد قال ابن حجر : بعد ما فرغ من شرحه : « كتاب التفسير » قال : خاتمة : اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث . وثمانية وأربعين حديثًا من الأحاديث المرفوعة . وما في حكمها . الموصول من ذلك أربعمائة حديث . وخمسة وستون حديثًا . والبقية معلق (٢٨) . وما في معناه . المكرر من ذلك فيه أربعمائة وثمانية وأربعون حديثًا . والخالص منها - يعني من غير تكرار - مائة حديث . و وافقه مسلم على تخريج بعضها . ولم يخرج أكثرها لكونها ليست ظاهرة الرفع . والكثير منها من تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - وهي ستة وستون حديثًا . وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم خمسمائة وثمانون أثرًا » (٢٩) .

وخلاصة القول : إن التفسير بالمأثور نوعان : « أحدهما » ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله . وهذا لا يليق بأحد رده ولا يجوز إهماله وإغفاله . ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هذا القرآن . بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن الكريم .

« ثانيهما » ما لم يصح لسبب من الأسباب الآنفة أو غيرها . وهذا يجب رده . ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به . اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه إلى

على مصرحاتهم . فقد قال علي القاري في « تذكرة الموضوعات » : لا يلزم من عدم الثبوت وجود الوضع (٢٤) .

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار المسمى بـ « نتائج الأفكار » : ثبت عن أحمد بن حنبل أنه قال : لا أعلم في التسمية « أي التسمية بالوضوء » حديثًا ثابتًا . قلت (أي ابن حجر) : لا يلزم من نفي العلم ثبوت العدم . وعلى التنزل : لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف . لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة . فلا ينفي الحسن اهـ .

ثالثًا : لم يقل الإمام أحمد : إنه لم يصح في التفسير شئ . وإنما قال ثلاثة ليس لها أصل . والظاهر أن مراده نفي كتب خاصة بهذه العلوم الثلاثة . بدليل ما جاء في الرواية الثانية مصرحًا به « ثلاثة كتب » .

وهذا المعنى هو ما فهمه الخطيب البغدادي . حيث قال : إن هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة . فأشهرها كتابان :

للكلبي (٢٥) ومقاتل بن سليمان (٢٦) وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي : من أوله إلى آخره كذب لا يحل النظر فيه .

رابعًا : يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد في عبارته المذكورة أن ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح . وعلى هذا المعنى حملها كثير من أهل العلم .

ففي « الإتقان » قال ابن تيمية : وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد . وإن قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل إلخ . وذلك لأن الغالب عليها المراسيل .

وخلاصة القول :

إلى أنه لا يجوز التفسير إلا بما ورد عن النبي -ﷺ- .

قال السيوطي - رحمه الله تعالى - (٢٠) : « اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لأحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شئ من القرآن وإن كان عالماً أديبًا متسعًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار ، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي -ﷺ- في ذلك .. إلخ » .

وأما ما نقله عن الإمام أحمد في أحاديث التفسير فهو يشير إلى ما روى عنه من قوله : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » ، وفي رواية : « ثلاثة كتب لا أصل لها : المغازي والملاحم والتفسير » (٢١) والكلام عن هذه العبارة من وجوه :

أولاً : لم تثبت هذه الكلمة عن الإمام أحمد بطريق صحيح تطمئن إليه النفس ، ومما يدل على ذلك أن الإمام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده كثيرًا من أحاديث التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الأحاديث ويثبتها في مسنده عن شيوخه ، ثم يحكم بأن لم يصح في التفسير شئ ؟ (٢٢) وأيضًا فمقتضى هذه العبارة أن يكون كل ما روى عن أخبار العرب ومغازي المسلمين مكذوبًا من أصله ، ومن يقول بهذا ؟ (٢٢) .

ثانيًا : إن نفي الصحة لا يستلزم الوضع أو الضعف ، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة ، وقالوا في تأويل ذلك : إن هذا اصطلاح خاص به ، قال اللكنوي في الرفع والتكميل : كثيرًا ما يقولون « لا يصح » و « لا يثبت » هذا الحديث ، ويظن منه من لا علم له أنه موضوع ، أو ضعيف وهو مبني على جهله بمصطلحاتهم وعدم وقوفه

علماء التفسير على من يفسر كتاب الله -عزوجل- أن يعتمد فيه على ما نقل عنه -ﷺ- في ذلك .

قال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره (١٧) : « إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول -ﷺ- ، و ذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ونهيه ، وندبه وإرشاده ، إلى آخره » .

وفي الإتقان - للسيوطي (١٨) ، قال ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبي -ﷺ- بين لأصحابه معاني القرآن الكريم ، كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [سورة النحل ، الآية : ٤٤] يتناول هذا .

وقال أبو حيان صاحب البحر المحيط (١٩) في صدد ما يحتاج إليه المفسر :

« الوجه الرابع » تعيين مبهم وتبيين مجمل ، وسبب نزول ، ونسخ ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله -ﷺ- ، وذلك من علم الحديث وقد تضمنت الكتب والأمهات التي سمعناها و رويناها ذلك كالصحيحين ، والجامع للترمذي ، وسنن أبي داؤد .. وأخذ يعدد كتب السنة .

هذا وقد قسم الزركشي القرآن إلى قسمين : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وهو ما أنت ترى أنهم جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه ، ولو لم يصح فيه شئ بل لو لم يصح منه شئ كثير لما فعلوا ذلك ، وهنالك من العلماء من ذهب

دليلاً على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شئ ، قد جمع فيها آلاف الأحاديث ، وأن البخاري وكتابه يشتمل على سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة ، قالوا : إنه اختارها وصحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره . يقـــول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى - (١٤) :

كثرة الوضع في الحديث مما لا ينكره أحد ، و لكنه أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير ، وأحاديث البخاري .

وظاهر عبارته في أحاديث التفسير أنه يشكك فيها كلها إذ ينقل عن الإمام أحمد أنه قال لم يصح منها شئ (١٥) ومع أنهم قد جمعوا فيها مئات الأحاديث والإمام أحمد لا تخفي مكانته في السنة ، فإذا قال في أحاديث التفسير : لم يصح منها شئ كان كل ما روى فيها مشكوكًا بصحته إن لم يحكم عليه بالوضع ، أ ليست هذه نتيجة منطقية لكلام الأستاذ ؟

والكلام معه في مقامين :

الأول : في أحاديث التفسير .

والثاني : فيما نقله عن الإمام أحمد .

أما أحاديث التفسير فقد أثبتت كتب السنة شيئًا كثيرًا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها مما هو معلوم لكل من طالع ما ورد في كتب السنة وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه بابًا خاصًا لما ورد في التفسير عن الرسول -ﷺ- . أو الصحابة أو التابعين (١٦) وقد اشترط

لاحتمال أنه مما حرفوه في تلك الكتب ، ولا نكذبهم لاحتمال أنه مما حفظوه منها ، فقد قال تعالى فيهم : ﴿ أوتوا نصيبًا من الكتاب ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٢٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (١٠) : « والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، والمنقول إما عن المعصوم أو غيره ، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لا يمكن ذلك » وهذا القسم « أي الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه » عامته مالا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أهل الكهف واسمه ، وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، وفي قدر سفينة نوح وخشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك ، فهذه الأمور طريقة العلم بها النقل ، فما كان منها منقولاً نقلاً صحيحًا عن النبي -ﷺ- قبل ، وما لا ، بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب و وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه ، لقوله -ﷺ- : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » (١١) .

نُقل نقلاً صحيحًا فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين ، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي -ﷺ- ، أو من بعض من سمعه منه أقوى ، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم ؟

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثيرًا ، ولله الحمد ، وإن قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » لأن الغالب عليها المراسيل (١٢) .

شبهة و ردها : قال صاحب « فجر الإسلام » (١٣) : وحسبك

أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة .

ومما يؤسف له أن بعض المفسرين كالثعلبي والواحدي والزمخشري والبيضاوي - على جلال قدرهم - تساهلوا في ذلك وذكروه في تفاسيرهم ، وقرر العلماء أنه خطأ ما كان ينبغي لهم أن يقعوا فيه ، قال الحافظ العراقي : « لكن من أبرز إسناده منهم كالثعلبي والواحدي فهو أبسط لعذره إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده وإن كان لا يجوز له السكوت عليه من غير بيانه » (٩) .

٥)- اختلاط الصحيح بغير الصحيح ، ونقل كثير من الأقوال المعزوة إلى الصحابة أو التابعين من غير إسناد ولا تحر ، مما أدى إلى التباس الحق بالباطل ، زد على ذلك أن من يرى رأيا صار يعتمده دون أن يذكر له سندًا ، ثم يجئ من بعده فينقله على اعتبار أن له أصلاً ، ولا يكلف نفسه البحث عن أصل الرواية ، ولا من يرجع إليه هذا القول .

٦)- أن تلك الروايات مليئة بالإسرائيليات ، ومنها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها ، ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن ولا برواية الآحاد ، بل لابد من دليل قاطع فيها كالروايات التي تتحدث عن أشراط الساعة ، وأهوال القيامة ، وأحوال الآخرة ، تذكر على أنها اعتقاديات في الإسلام .

٧)- أن ما نقل نقلاً صحيحًا عن الكتب السابقة التي عند أهل الكتاب كالتوراة والإنجيل ، أمرنا الرسول -ﷺ- أن نتوقف فيه ، فلا نصدقهم

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] -(٧
[illegible] (٧).

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] -(٨
[illegible] (٨).

[illegible]

عن النبي -ﷺ- وعن الصحابة ، والتابعين ، وكان للتفسير نصيب كبير من هذه الأحاديث (٢) .

قال ابن قتيبة (٣) : « الحديث قد دخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة : الزنادقة ، واحتيالهم للإسلام ، وتهجينه ببث الأحاديث المستبشعة ، والمستحيلة ، كالأحاديث التي قدمنا ذكرها من عرق الخيل ، وعيادة الملائكة ، وقفص الذهب على جمل أورق ، وزغب الصدر ونور الذراعين ، مع أشياء ليست تخفي على أهل الحديث » (٤) .

٢)- الخلافات السياسية والمذهبية : فقد سولت هذه الخلافات لأرقّاء الدين ، وضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذاهبهم وأحاديث في فضائل متبوعيهم ، وفي مثالب مخالفيهم .

قال حماد بن زيد : « وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث ، ولما جئ بعبد الكريم بن أبي العوجاء ، خال معن بن زائدة ، الذي قتله محمد بن سليمان بن علي العباس ، أمير البصرة ، بعد سنة مائة وستين في زمن المهدي ، اعترف حينئذ بوضع أربعة آلاف حديث ، يحرم فيها الحلال ، ويحلل فيها الحرام ، وكان عبد الكريم هذا متهمًا بالمانوية ، وكان يضع أحاديث بأسانيد يغترّ بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل ، وتلك الأحاديث ضلالات في التشبيه والتعطيل وبعضها بعيد عن أحكام الشريعة (٥) ، كما كان ينتمي إلى الرافضة في الظاهر ، و وضع لهم الأحاديث التي اغتروا بها (٦) ، وقد كان الزنادقة حملوا الكثير من الخرافات والأباطيل ، مما هو مسطور في كتبهم ، ودسوها في الرواية الإسلامية ، وفسروا بها بعض الآيات القرآنية ، ونسبوها زورًا إلى النبي -ﷺ- ، أو الصحابة ، والتابعين ، فجاء من لا يعلم الحقيقة فطعن في

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير بالمأثور

وموقف العلماء منها

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون - جامعة قطر

المبحث الثالث : أسباب الضعف في التفسير بالمأثور :

لقد دخل الوضع والكذب في الحديث . فلا جرم أن دخل في التفسير بالمأثور . فقد كان التفسير جزءًا من الحديث وبابًا من أبوابه . ومن المعلوم أن الحديث كان هو المادة الواسعة التي شملت جميع المعارف الدينية تقريبًا . لأنه كان يقوم على الرواية . التي هي الأصل في نقل جميع العلوم الدينية واللغوية والأدبية (١) . وإن أقدم كتاب وصل إلينا في الحديث وهو : مؤطأ الإمام مالك اشتمل على « كتاب التفسير » وقد سار على هذا بعض المؤلفين في الحديث . حتى بعد أن انفصل التفسير بمعناه الفني الدقيق . وصار علماً مستقلاً . والضعف والوضع في التفسير بالمأثور يرجع إلى الأسباب الآتية :

١)- ما دسه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية فقد دخل هؤلآء الإسلام وهم يضمرون له الشر والعداوة والكيد . وتستروا بالإسلام بل بالغ بعضهم في التستر فتظاهر بحبّ آل بيت النبي -ﷺ- ولما كانوا لا يمكنهم مواجهة سلطان الإسلام لا عن طريق الحرب والعداوة السافرة . ولا عن طريق الحجة والبرهان . فقد توصلوا إلى أغراضهم عن طريق الوضع والاختلاق والدس في المرويات الإسلامية

تلخيص القول :

يمكن أن نلخص هذه العجالة على ما يلي من النقط :

(١) إن العلم حضارة إنسانية لا يصلح لأحد من الشعوب أو الأمم أن يدعى بحيازته .

(٢) الأمم والشعوب ساهموا منذ قرون وعصور في تقديم العلم الحديث إلى المستوى الحالي مع تفاوت مساهمتهم حجمًا وقيمةً وخيرًا وشرًا .

(٢) ساهم الإسلام في العلم الحديث والحضارة الإنسانية مساهمة فعالة بنّاءة لا يستهان بها أبدًا .

(٤) صبغ الإسلام العلم الحديث بصبغة الدين وأصلح ما كان فيه من الفساد واستعمله في خدمة الإنسان وبناء المجتمع الإنساني الأفضل بينما استعمله كثير من الشعوب في هدم العقيدة وصرف الإنسانية إلى الحيوانية .

(٥) يرغب الإسلام في طلب كافة أنواع العلوم النافعة ويجعله عبادة إذا حسن الطلب والاستعمال .

(٦) ينبغي للعلم أن يكون واعيًا ملمًا بما يجري حوله في العالم من التقدم العلمي . فيقبل خيره ويرفض شره .

(٧) العلم الحديث أعان ولم يزل يعين في فهم بعض الأمور الدينية فهمًا واضحًا .

(٨) في العلم الحديث ما يجب رفضه إذ أنه من الخرافات العلمية ومنه ما لا ينبغي أن ينكر عليه .

عقلاً ونقلاً .

٢- ومن ذلك قولهم : إن الأرض كروية ، وليست بمسطحة ، وهذا لا ينبغي الإنكار عليه ، لأنه قد ثبتت استدارة الأرض بالعلم والمشاهدة ، وأوضح دليل في ذلك اختلاف المواعيد ليلاً ونهارًا في بلدان العالم الشتى ، فحينما تطلع الشمس في نيجيريا تغرب في اليابان وفي أمريكا ما زال نصف الليل . وأما قوله تعالى : ﴿ والأرض فراشًا ﴾ فذلك على حسب مشاهدتنا . والقرآن الكريم يأتي بتعبير على حساب المشاهدة والتمتع فنحن أينما نذهب من الأرض نشاهد بأعيننا أنها كالفراش مسطح . وأما الاستدارة ولو كان حقيقة فإنما هي أمر علمي أكثر مما يكون ملموسًا ، مثله كمثل قوله تعالى عن ذي القرنين : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ ومن الظاهر لا تغرب الشمس في عين أو بحر إلا على حسب مشاهدة الناس .

٣- ومن ذلك قولهم : إن الأرض تدور حول الشمس . لا ينبغي لعلم الدين أن ينكر على هذا . لأن الشمس أكبر من الأرض حجمًا وجاذبية فمن البديهي أن يدور الأصغر حول الأكبر . وأوضح دليل على هذا اختلاف مواسم السنة . وذلك على حسب بعد الأرض من الشمس وقربها وقت دورانها حولها . وأما قوله تعالى : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ فهذا الجريان ليس حول الأرض ، وإنما لمستقرها فلكها أو المكان الذي تستقر فيها يوم القيامة . - والله أعلم -.

٧٧٧

ولن يمكن له أن يترك عقيدته بأي ثمن كان . فمن أين له اليقين بأن الآثار التي أجريت عليها الدراسة هي آثار عيسى ابن مريم . ثم ما الصلة بين هذه الآثار وبين موت عيسى ابن مريم . فالمعلم الواعي والمسلم الصحيح . لن يترك بسبب هذه الخرافات ما قرره صريح القرآن ونصوص الحديث في حياة عيسى ورفعه إلى السماء ونزوله قبل الساعة إمامًا عادلاً .

ولن يكون الرفع هنا رفع المكانة لأن الآية نزلت ردًا على اليهود الذين زعموا انهم صلبوا عيسى وقتلوه فالتفوّه برفع المكانة إثبات لزعم اليهود لا الرد عليهم . وقد ورد عن الحسن البصري - رحمه الله - مرسلاً رفعه إلى رسول الله -ﷺ- قال : قال رسول الله -ﷺ- لليهود : « إن عيسى لم يمت وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة » [نقله الحافظ ابن كثير في تفسيره - كذا في التصريح] .

أمور لا ينبغي أن ينكره العلم :

وهناك أمور لا ينبغي لعلم الدين أن يبادر إلى الإنكار بها . وإليكم بعضهـا :

١ - صعود الناس إلى أرض القمر ونزولهم على سطحه . هذا أمر لا ينكر عليه . لأنه ليس لدينا دليل قاطع من القرآن أو الحديث يدل على أن هذا مستحيل أو يخالف الدين . وإنه من المعلوم ان القمر تحت سماء الدنيا لقوله تعالى : ﴿ ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نورًا ﴾ [سورة نوح] وكلمة « فيهن » معناها في وسطهن ولا يكون في وسطهن إلا إذا كان تحت سماء الدنيا . فما دام القمر تحت سماء الدنيا فلا مانع من الصعود إليه

الاجتماعية بين سائر الخلايق . من أجل ذلك قال بها الناس برهة من الزمن . ثم تركوها كما تركوا الشيوعية بعد فشلها في النظام الاقتصادي . فقد قرر الإسلام وكذلك سائر الأديان السماوية بأن الله خلق بقدرته آدم من تراب إنسانًا . كامل العقل والدين . وأعطاه العلم والذكاء . ثم خلق زوجه . ثم خلق منهما رجالاً كثيرًا ونساءً ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [سورة الإسراء] .

٢– ومن ذلك قولهم : لا وجود للسماء وكل ما نشاهد فوقنا فهو الخلاء والفضاء فحسب . لأن الآلات الراقية والمعدات المتطورة لا تجد شيئًا من وجود السماء .

فنقول لهم : إن عدم العلم لا يدل على عدم الوجود . فإن لم تستطيعوا أن تدركوا وجود السماء بآلاتكم . فهذا يدل على عجزكم . والعجز ليس بعلم . وقد أخبرنا الصادق المصدوق بأنه صعد السماوات وشاهد بعض عجائبها وكفى مشاهدته لنا شهادة . وقد قرر الوحي من السماء بأن الله خلق سبع سماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام .

٣– ومن ذلك قول الأحمديين : إن عيسى – عليه السلام – مات موتًا طبيعيًا . ومن مات فات ولن يعود أبدًا . ويقولون : إن الدراسة والتحليل العلمي لبعض الآثار القديمة التي وجدت مؤخرًا في الكهوف والمغارات تدل على ذلك .

فنقول هذه الدراسة دراسة زنديقية لأن الدارس قرر رأيه وعقيدته في موت عيسى قبل أن يبدأ بالدراسة لأنه أحمدي وموت عيسى عقيدته .

شاء وكما شاء ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب • إن الله على كل شئ قدير ﴾ [سورة النحل] ويقول : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ • إنه خبير بما تفعلون ﴾ [سورة النمل] ويقول : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ [سورة ابراهيم] .

الخرافات العلمية يجب رفضها و الرد عليها :

ثم إن هناك خرافات علمية ، قلت : خرافات علمية ، لأنها في الحقيقة خرافات كان ينبغي أن لا ينطق بها العقلاء ، ولكنهم قالوا : وبل عرضوها على الناس في لباس العلم كأنها حقائق علمية ، و إليكم لذلك بعض الأمثلة :

١ – ومن ذلك فلسفة النشوء والتطور ، زعم زعيم هذه الفلسفة أو النظرية وهو عالم الطبيعة البريطاني المعروف بـ داروين ، زعم هذا العالم اليهودي بأن الناس لن يخلقهم الله من آدم وإنما خلقهم من أصل القرد على طريقة التطور والنشوء والارتقاء خلال مليون من السنة ، فلقد تطور الإنسان في خلقه كما تطور في دينه ، فإنه لم يكن له في بدء الأمر دين ، فاخترع دينا وطوره من الشرك إلى التوحيد ومن الآلهة إلى إله واحد ، كما طور حياته من البدائية إلى الحضارة ومن الفوضوية إلى النظام ، وجاء من بعده عالم نمساوي بعلم النفس فزاد الطين بلة قائلاً : إن الخُلق في الإنسان أمر اصطناعي والحيوانية ما زالت هي طبيعة الإنسان .

هذا كله خرافات تخالف طبيعة الإنسان وكرامته وعقله ومكانته

والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة » [جلالين ، سورة والذاريات] .

ولكن علم النبات وعلم الطبيعة والفيزيا الحديث أثبت ان الزوجية الحقيقية موجودة في النبات كسائر الحيوانات وإن للنبات لحياة ومتطلبات الحياة سواء بسواء مع سائر الحيوانات كالتنفس والتغوط والتناسل والتلاقح وما إلى ذلك . وأما في الجماد والذرات ففيها أيضًا توجد الزوجية وذلك في صورة الإيجاب والسلب والتعادل ما يسمى بالالكترون والبروتون والنيوترون . وهذه الكهارب الثلاث تشكل ذرة وهي فيها كالذكورة والأنوثة .

٧- يقول الله -عزوجل- : ﴿ أ لم تر كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾ [سورة العنكبوت] ويقول : ﴿ كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [سورة الرحمن] .

كان الفلاسفة الأقدمون من الاغريق كأرسطو (٣٢٢-٣٨٤ق م) و سقراط (٣٩٩-٤٧٠ ق م) وأفلاطون (٣٤٧-٤٢٨ ق م) يزعمون أن الأرض مكونة من (الهيولي) يعني المادة الأولى التي لا تقبل التحليل والتجزئة وبالتالي لا تقبل الدنيا الفناء والزوال من حيث المجموع وكان الناس يقولون بمقالتهم قرونًا من الزمن . ولكن العلم الحديث برهن على أن الأرض مكونة من الذرات والذرات قابلة للتقسيم والتجزئة إلى ما مضى من الالكترون والبروتون والنيوترون فالذرة بذاتها لا يمكن أن تُشاهد ، ولو بالمنظرة المكبرة فكيف إلى هذه الكهارب الثلاث . فالذي استطاع أن يخلق الروابط بين الذرات يستطيع أن يفكها متى شاء ، ثم يعيدها متى

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾ [سورة الكهف] .

إن تسجيل الأصوات والأفعال والحركات والانفعالات كان من غريب ما آمن به المؤمنون وارتاب فيه المذبذبون وأنكر به الكافرون ، ولكن اختراع آلات التسجيل والفوتوغرافات لتصوير الأصوات والأعمال والحركات دحض حجج المبطلين وقطع نزاع المعاندين وشرح صدور المؤمنين والحمد لله رب العالمين .

٥- نقل التاريخ أن عمر بن الخطاب نادى مرة من فوق محرابه بالمدينة المنورة جيشه الذين كانوا يقاتلون بالشام قائلاً : يا سارية الجبل ! أي انسحبوا إلى الجبل واجعلوه وراءكم ، سمع هذا النداء في ساحة القتال مع بعد مئات من الأميال فكان هذا أيضًا من الخرافات عند المنكرين ولكن اختراع الوسائل لنقل الأصوات والرسائل من مكان إلى مكان ومن قارة إلى أخرى بل من كوكب إلى كوكب عن طريق القمر الصناعي جعل الأمر ممكنا ومفهومًا .

٦- يقول الله -عزوجل- : ﴿ ومن كل شيئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ [سورة الذاريات] ويقول : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [سورة ياسين] .

فكانت الزوجية مفهومة في ذوات الأزواج وأما في النبات وفيما لا نعلم من الجماد والذرات لم تكن الزوجية معلومة مألوفة ، من أجل ذلك فسر علماؤنا السابقون الزوجية فيه بالأصناف وبالمقابلات ، كما قال السيوطي - رحمه الله - : « صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس

-ﷺ- إلى السماوات السبع وإلى سدرة المنتهى لم يكن أمرًا مستحيلاً .

٢- روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمدًا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون [مسلم باب الإسراء - وكذا في الرحيق المختوم : ص/٦٥] .

فكان سلفنا يقرأون هذا الحديث ويؤمنون به كمعجزة النبي -ﷺ- وأما المعارضون والملحدون فكانوا يستهزؤن به ويعتبرونه من الخرافات الدينية التي نجمت في الإسلام من غلو المسلمين وفرط حبهم لمحمد -ﷺ- .

لأن القلب مقر الروح والروح حياة فشق الصدر واستخراج القلب من الجسم يسبب فصل الروح من الجسم وما ذلك إلا موت ، إذن هذا أمر مستحيل عقلاً وغير واقع فعلاً .

ولكن التقدم العلمي في الطب والعلاج واختراع آلات دقيقة مكنا الإنسان أن يشق صدر الإنسان وأن يستخرج قلبه ويجرح فيه ويرده في مكانه أو يبدله بغيره من القلب البلاستكي الصناعي ثم لا يموت الإنسان ، فذهب الاستغراب وغلبت الاستحالة وبهت الذي كفر .

٤- يقول الله -عزوجل- : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [سورة ق] ويقول : ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ [سورة انفطار] ويقول : ﴿ يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر

المعلم و العلم الحديث

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم : دكتور محمد مسلم خان

المدرس في كلية الجامعة بزاريا - نيجيريا

و إليكم الآن بعض الأمثلة على سبيل المثال :

الأمثلـــــة للعلوم الحديثة التي نفعت في فهم القرآن الكريم وسيرة الرسول الكريم -ﷺ- :

١- يقول الله -عزوجل- : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [سورة النحل ، الآية : ١٦] . إن وسائل النقل والحمل كانت محدودة في الخيل والبغال والحمير والإبل في وقت نزول القرآن الكريم ، ولكن الله أخبر بأنه سوف يخلق وسائل النقل ما لا يعلمون بعد ، فاختراع السيارات والطيارات والقطارات حقق أخبار الله إلى حد ما ، لأننا لا ندري ماذا يكسب الإنسان غدًا ، وماذا يخلق الله لنا من وسائل النقل في المستقبل .

٢- يقول الله -عزوجل- : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ١] .

ويقول : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٥٢] فاختراع الصواريخ وقدرة الناس على الصعود إلى كرة القمر ونزولهم على سطحها ، كل ذلك برهن على ان صعود النبي

وإنني - يا صديقي - اكتفي بهذا وإنكم تعرفون جيدًا الآيات المذكورة في القرآن والتي تثبت ألوهية المسيح وسيرته الطاهرة عند وجوده في العالم -ومما يثبت أيضًا عدم وجود أي تحريف في كتب الله - وإن المعجزات التي عملها له المجد . من إقامة الأموات وشفاء الأمراض المستعصية وفتح عيون العميان وتطهير البرص إلخ .. لا يمكن لأي نبي بشر عملها - وكنت أود ذكرها لك إلا أن وقتنا الثمين نشغله في الطواف في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ومستقبلاً في أوربا لجذب أكبر عدد ممكن من اخوتي المسلمين إلى حظيرة المسيح - كما ارغب وأتمنى الخلاص لجميع المسلمين - وأنت أولهم - بالإقناع والمعجزات - كما خلصني المسيح - وأقول لكم (تعالوا جميعًا بالروح للمسيح المجروح والمصلوب من أجلكم ولكي يفديكم والذي أنتم تعبدونه دون أن تدروا) .

لك مني تحية مسيحية وإلى اللقاء في مناسبة أخرى ...

المخلص دائمًا

مصري متنصر يقيم في أمريكا

عن جمعية المسلمين للمسيح

الصوت الصارخ - نيو يورك

[نيويورك تائمز بتاريخ ١٢/يولية ١٩٩١م]

٧٧٧

وهذا ما نفذه محمد عند ما أخذ قريبته الجميلة من ابنه : كتاب نساء النبـــــي (عائشة عبد الرحمن) ص/١٦٥ « زواج بأمر الله - أي بالوحي ؟؟؟

"Gibreel had recited verses giving him (Mohamed) full divine support. God's own permission to fuck as many women as he liked. Ayesha said "Your God certainly jumps to it when you need him to fix things up to you"

وهناك فضائح أخرى كثيرة وردت في هذا الكتاب القيم (آيات شيطانية) لا نرغب في ذكرها هنا حفاظا على شعور اخوتي المسلمين والذين أكن لهم كل محبة واخلاص - ولا يخفي عليكم سمعه المسلمين في العالم أجمع من توالي أعمال الإرهاب الإسلامي في مصرنا العزيزة - هذا الإرهاب الذي يتكلم عنه كثير من الاعلام الغربي - آخرها بيان الأحداث الخطيرة الأخيرة في أمبابة (النيويورك تائمز العالمية بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٩١) مما يسئ إلى سمعة مصر في الخارج - والغريب أن توافق لجنة النشر بالأزهر على طبع مثل هذه الكتب الهابطة والتي تهيج هذه الجمعيات الإرهابية وأين هي وزارة الاعلام ؟ وأصبحت دولة داخل دولة - ويحرق الصبية والفتيات بيوت الله (لعب عيال) باشراف رجال الأمن والمطافي ؟

والغريب في موضوع تأليف الكتب التي تمس الدين الإسلامي وشخصية محمد أمثال (آيات شيطانية) أن يدعى مؤلفوها بأن مصادرهم هي (القرآن ، الحديث الشريف ، السيرة لابن هشام ، تاريخ الطبري ، الإصابة لابن حجر ، السمط الثمين ، طبقات ابن سعد .. إلخ) فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان العكس صحيحًا فلماذا لا تردون عليهم بدلاً من تأليف كتب لا تفيد الإسلام في شئ ؟

شتيقها واضطجع مع كثير من الكتاب في المدينة :

"Hinds posters were more influential that any poet's verses . She was still sexually veracious and had slept with every writer in the city as she was rampant. Hind, who butchered the prophet's uncle, and ate old Hamza's liver and his heart".

صفحة ٢٦٩ (Satanic Verses page 369) محمد كان يشرب النبيذ

ويسكر ثرثارا :

"Mohamed was coming and Salman said maybe he would never kiss another woman. Why has this chatterbox drunk come to me ? "

صفحة ٢٧١ (Satanic Verses page 371) هند تعتقد بأن محمدًا نبي

كذاب ودجال - وتحاربه بقوة لتحرير الجاهلية :

"Hind herself is prepared to fight beside them and die for the freedom of Jahilia. Will you merely lie down before this false prophet, this Dajjal?"

صفحة ٢٨٠-٢٨٧ (Satanic Verses page 380-387) فضيحة عائشة مع

(الشاب الوسيم) صفوان - وكيف اعتدى عليها هذا العجوز وهي طفلة

وانتزع بكوريتها في سن ١٢ عامًا (نفس القصة في كتاب « نساء النبي

للسيدة عائشة عبد الرحمن ») :

"Musa the grocer asked Ayesha and she whispered in his ear. She told him and he asked about her deflowering at the age of twelve and she told him that. Ayesha and the prophet had gone on expedition to a far village, and on the way back to Yathrib she was obliged by a call of nature. When she returned back after relieving, she found herself alone. A young man, a certain Safwan brought Ayesha to Yathrib, two young people had been alone in the desert for many hours. Safwan was a handsome fellow, and the prophet was much older; at which point tongues began to wag".

صفحة ٢٨٦-٢٨٧ (Satanic Verses page 386-387) جبرائيل يوهم

محمدًا بآيات يسمع فيها الله تعالى له أن يضاجع أي عدد من النساء كما

يحلو له - عائشة تعارضه وتقول له « ربك لاهم له إلا للعمل لمزاجك »

and describe it exactly as it is, accurate down to the last detail. On the return journey I met Moses and he said, the burden is too heavy go back and plead for less in his bounty he asks for five instead of forty".

هل حقيقة أخذ الملاك جبرائيل قلب محمد وغسله في مياه زمزم ؟ وهل يوجد شخص في العالم يصلي أربعين مرة في اليوم - إنها دروشة وهلوسة دينية ؟

صفحة ١١٩ (Satanic Verses page 119) المؤلف يذكر بأن محمدًا يضاجع الذكور ويزني وهو عريان مع امرأة اسمها هند (زوجة أبو سفيان وارملة عم أمير المؤمنين عثمان بن عفان) :

"He (Mohamed) recognizes Hind's voice sits up and finds himself naked beneath the creamy sheet. He asks Hind (Was I struck ?) Hind says (Oh Messenger, Messenger, she mocks him : Couldn't you have come to my room consciously, of your own will ? She gose on "My last lover was the boy, Baal. I heard he had got under your skin. But he doesn't matter. Neither he nor Abu Simbel is your eoual. But I am" .

صفحة ١٢٤ (Satanic Verses page 124) المؤلف يذكر بأن الشيطان يضحك على محمد ويقنعه بأنه الملاك جبرائيل ويعطيه بعض الآيات الشيطانية والتي وردت في القرآن الحقيقي ثم أزيلت بعد ذلك ؟ :

"He (mohammed) stands in front of the statues of the Three and announces the abrogation of the verses which Shaitan whispered in his ear. These verses are banished from the true recitation, al-Quran. New verses are thundered in their place".

كان هذا الباب الثاني من الكتاب بعنوان (محمد) صفحة ٨٩ ، ثم انتقاد بعد ذلك إلى صفحة ٢٥٧ ، الفصل الخامس (الرجوع إلى الجاهلية) نورد لكم بعض الفضائح :

صفحة ٢٦١ (Satanic Verses page 361) المـؤلف يذكر بأن هند تقتل عم محمد (حمزة) بالسيف تأكل الكبد والقلب نكاية في محمد الذي قتل

والإلحاد وينفونه عنهم بالرغم من أنهم وحلوا في الكفر وغرقوا في براثن الوثنية اللادينية واستقوا من عقائد الوثنية من البوذية وغيرها والفلسفة الاغريقية الوثنية ما جعلوا منه دينًا وثنيًا الله سبحانه وتعالى شأنه منه بريء وعيسى منه بريء .

نحن نقدر تحمسك هذا ودفاعك عن الله والمسيح - ولكن إن كنت صحيحًا تريد إظهار الحق بالبحث العلمي أنت والخواجة ديدات وغيركم ممن يجيدون الترجمة واللغة الإنجليزية وتريدون إظهار الحق - فلماذا لا تحاولون الرد على الكتب بهذه اللغة أو لغات أخرى والمنتشرة في العالم كله والتي تتعرض للدين الإسلامي ولمحمد وزوجاته الاثنتى عشرة وسيرته « المخجلة » مع النساء عامة وأهمها كتاب « آيات شيطانية » من تأليف الكاتب الكبير الهندي والمسلم « سلمان رشدي » - والذي جاء وقت باع منه الملايين وترجم ولا يزال يترجم بلغات كثيرة - حتى اليابانية - وكم نسخة طبعت . أو غيرك من تلاميذ الخواجة ديدات من كتبه الهابطة بالمقارنة إلى كتاب « سلمان رشدي » ؟

قد يكون لكم عذر لأنكم لم تقرأوا هذا الكتاب - وإنني يسرني أن أورد لكم ما جاء (والمهم) في هذا لكتاب القيم باللغة الإنجليزية حتى تتكاتفوا أيها المسلمون والدعاة الغيورون وتردوا عليه :

صفحة ١١٠ (Satanic verses page 110) المؤلف يستهزئ بالإسراء والمعراج ويدعي أنها قصة من خيال محمد :

"Mohamed asked Archangel Gibreel : They were showh miracles but they didn't believe. you saw you came to me, in full view of the city, and open my breast, they saw you wash my heart in the waters of Zamzam and replace it inside my body. And when you came at night and flew me to Jerusalem and I hovered above the holy city, didn't I return

الصوت الصارخ

جماعة المسلمين للمسيح - صندوق بريد : ١٠٠٠٨ - نيويورك

السيد علي عثمان - طرف المختار الإسلامي للنشر والتوزيع - القاهرة

بعد التحية - لقد كانت لنا فرصة قراءة كتاب من (مكتبة ديدات - ١١) بعنوان : « الله في العقيدة المسيحية » - ولم تذكروا - بعد أن ادعيتم انكم ترجمتم هذا الكتاب - بأي لغة ترجم - وإننا نعلم أن الخواجة أحمد ديدات لا يعرف اللغة العربية وهو من جنوب أفريقا فهل كانت أصل اللغة الإنجليزية أو لغة أخرى من لغات البربر السواحيلي أو الهلاهيلي بجنوب أفريقا - ولكن يخيل إلينا أن هذا الكتاب (من بنات أفكارك) و وضعت عليه صورة هذا الخواجة حتى يباع بسرعة في مصر -والله أعلم - .

ولقد لاحظنا بأنه هناك كتب كثيرة تباع في مصر منسوبة لهذا الخواجة ، وكلها هجوم وافتراء على الدين المسيحي وشخصية المسيح ، ومترجمة ببعض الكتاب المصريين - وطبعا تشرفت إدارة النشر بالأزهر بالمراجعة والموافقة على الطبع طالما أنها لا تتعرض للدين الإسلامي الحنيف ؟ - ويخيل لي بأن الخواجة ديدات يجيد اللغة الإنجليزية كما يوجد كثير من أتباعه في مصر يجيدون هذه اللغة أيضًا لتفرغهم لترجمة كتبه العديدة - ومنهم سيادتكم ؟ - ولقد ذكرتم في مقدمة الكتاب (سنناقش ذلك بهدوء مراعين اتخاذ كل طرق البحث العلمي حتى يتسنى لنا إظهار هذه العقيدة للناس جميعًا ولإقامة الحجة عليهم ولدحض شبهاتهم التي بها يدافعون عن عقيدتهم ويذبون عن أنفسهم براثن الكفر

فقد حقق الله الرؤيا ، وأتانا الفرج ، وصدقت الرؤيا ، فقال سليمان بن وهب : كيف نمشي مع بعد منازلنا ؟ ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب .

فاغتاظ أحمد بن إسرائيل ، وقال : نعم ، نقعد ، حتى يجلس خليفة آخر ، فيقال له : إن في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال ، فيأمر بالتوثق منّا ، إلى أن ينظر في أمرنا ، قم عافاك الله ، حتى نمرّ ، فخرج وخرجنا على أثره .

فقبل أن نخرج من باب الهاروني ، سمعنا رجلين يقول أحدهما للآخر : سأل الخليفة جعفر المتوكل عمن في الحبس ، فقيل : فيه جماعة من الكتاب ، فقال : يكونون فيه إلى أن ننظر في أمرهم .

فجددنا في المشي ، وقصدنا غير منازلنا ، واستترنا ، وبحثنا عن الأخبار ، فبلغنا أن الخليفة ، قد أقرّ محمد بن عبد الملك الزيات في وزارته ، فكتبت إليه رقعة عن جماعتنا ، نعرفه خبرنا واتساع آمالنا فيه ، ونستأذنه فيما نعمل .

فلما وصلت إليه الرقعة ، وقّع على ظهرها : لم استخفيتم ؟ وليس منكم إلا مَن عنايتي تخصه ، ورأيي فيه جميل أما أبو أيوب ، فقد تكلم في حقه أبو منصور إيتاخ ، واستوهبه فوهب له ، وأمرت بإحضاره ليخلع عليه ، فليحضر ، وأما أبو جعفر فإنه طولب بما لا يلزمه ، وقد وضحت حجته في بطلانه ، فليصر إليّ ، وأما أبو الحسن ، فإنه قذف بباطل .

فاظهروا جميعًا واثقين بما عندي من حياطتكم ورعايتكم .. فصرنا إليه جميعًا ، وزال عنّا ما كنا فيه ، فخلع على سليمان خاصة .

[٢ : ٢٥٩-٢٦١]

الباقطائي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال لي أحمد بن المدبّر .. لما أمر محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بحبستي أدخلت محبسًا فيه أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب ، وهما يطالبان ، فجعلت في بيت ثالث ، ولم يشدد علينا في الحبس ، فكنا نتحدث ونأكل جميعًا ، وربما أدخل إلينا بعض الشراب فنشرب سويًا .

وكان أحمد بن إسرائيل شديد الجبن ، وكان ينكر علينا ويمنعنا أن نتحدث بشيئ أو نرجو لأنفسنا أمرًا ، فجاءني يومًا سليمان بن وهب ، فقال لي : رأيت البارحة في نومي ، كأن قائلاً يقول لي : يموت الواثق إلى ثلاثين يومًا ، فقم بنا إلى أبي جعفر نحدِّثه .

فقلت : والله إن سمع بهذا أبو جعفر ، ليشقنّ ثوبه ، وليسدن أذنه خـــوفًا .

فقال لي : قم على كل حال ، فقمنا فدخلنا عليه ، فأخبره سليمان بما رأي ، فقال له : يا هذا ، أنت أجسر الناس ، وأشدهم جناية على نفسك وعلينا ، إنما تريد أن يسمع هذا فنقتل .

فقال له : فتكتب هذه الرؤيا عندك ، لنمتحن صدقها ، فنفر وقال : أنا لا أكتب مثل هذا ، فكتبته في رقعة صغيرة .. فلما كان يوم الثلاثين ، دخل علي أحمد بن إسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن ، هذا يوم الثلاثين ، فأخرجت الرقعة ، فإذا هو قد حفظ اليوم ، ومضى يومنا إلى آخره ، فلما كان الليل ، لم نشعر إلا والباب يدقّ دقًا شديدًا ، وصاح بنا صائح : البشرى قد مات الواثق أخرجوا ، فقال أحمد بن إسرائيل : قوموا بنا ،

وهذا ملك الروم لما سأل أبا سفيان عن رسول الله ودعوته . قال بعد ما سمع كلامه . حسبما ذكره ابن كثير في تاريخه : كنت أعلم أنه خارج . ولكن لم أكن أظن أنه فيكم . ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشّمت لقيه . ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . و لئن كان حقًا ما تقول . ليملكن موضع قدميّ هاتين . و كذلك وقع و الحمد لله [٢ : ٢٤٥] .

ولو لا ضيق الحيّز لسرت مع صاحب الرسالة وأمثاله في مناقشة أقواله بآراء مدعومة بالدليلين العقلي . الذي يخاطب أبناء عصر التكنولوجيا والنظريات العلمية . بما يفهمون حيث هدى الله بذلك عقولاً غافلة . وفتح الله قلوبًا مقفلة . فاستجابوا لداعي الحق . وانقادوا إلى شرع الله السليم ودينه السليم : الإسلام الذي لا يقبل سبحانه من البشر دينًا سواه ..

والنقليّ من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال المستقيمين على الدرب الصحيح قديمًا وحديثًا . وفي قصة سلمان الفارسي واتصاله برهبان النصارى ونصيحتهم له . أكبر دليل على إدراك عقلاء النصارى أن دين الإسلام الذي جاء به محمد -ﷺ- هو الناسخ لليهودية والنصرانية . وأنه الدين الحق الذي يجب اتباعه .

أما النقطة الثانية : فهي في تكراره التحذير بالسماح بطبع ونشر أي رد على النصرانية ويسميها الكتب الهابطة . ثم يتهدد بما سيضطر إليه إن لم يُستَجَب لتحذيره .. ولهذا موقف آخر إن شاء الله تعالى .

أطلقوا الموت الوالق :

مما ذكر التنوخي في قصصه التي يريد منها العظة والتسلية . قال : حدثنا محمد بن عيدوس . في كتاب الوزراء . حدثني الحسين بن علي

قد آتاه الله تسع آيات منها العصا التي تتحول إلى حيّة تسعى ، وتلتهم ما قام به السحرة من أعمال ، وابراهيم ألقي في النار فكانت عليه بردًا وسلامًا ، ويونس ألقي في اليم فالتهمه الحوت ، وبقي في بطنه زمنًا يسبح الله ويدعو خالقه حتى ألقاه الحوت على الساحل ، ثم أنبت الله بجواره شجرة يقتات منها رزقًا جاء إليه ، ومحمد -ﷺ- له معجزات كثيرة وكبيرة ، فقد انساب الماء بين أصابعه حتى شرب واستقى أصحابه وهم كثير ، وانشق له القمر ، بل إن قصة الإسراء والمعراج ، وقصة الهجرة إلى المدينة ، كلتيهما ملآى بالمعجزات البينات .

والقلب السليم هو الذي يقبل الإقناع ، وينقاد إليه ، وكم من النصارى دخلوا الإسلام بالنقاش الهادئ ، والتبصير السليم ، ذلك أن تعاليم الإسلام تخاطب بشاشة القلوب ، وتتلمس الإقناع بما يلائم مدارك العقول المتفتحة ، فهذا النجاشي ، وهو أول ملوك النصارى في بلاد الحبشة استجابة لدعوة محمد -ﷺ- عند ما هاجر إليه مجموعة من صحابة رسول الله ، فرارًا بدينهم من طغيان جبابرة الكفر في مكة ، نراه يسمع من الصحابة ما جاء من الله على لسان رسول الله ، وينفتح قلبه لما في سورة مريم من توضيح لحقيقة عيسى - عليه الصلاة والسلام - ، فيقارن هذا بما في صحيح النصرانية من تبليغ ، وما جاء به عيسى من بشارة بمحمد فيسلم ليكون له الفوز الأخروي ، وهذا ورقة بن نوفل وكان من نصارى العرب ، لما أبلغته خديجة عما رآه رسول الله -ﷺ- في بدء الوحي ، ولما سمع من الرسول توضيح ذلك قال : هذا هو الناموس الأكبر الذي نزل على موسى ، لئن بقيت حيًا لأنصرنك نصرًا مؤزرًا ،

أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [الآيات: ٢٩-٣٥] . ويقول الله سبحانه في أسلوب حواريّ مع عيسى - عليه الصلاة والسلام - ليرد عيسى على النصارى وما قالوه فيه ، وليبين كذب وبطلان ما قالوه واعتقدوه فيه ، وأنه يتبرأ من ذلك أمام خالقه -جل وعلا- : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله • قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق • إن كنت قلته فقد علمته • تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به • أن أعبدوا الله ربي وربكم • وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم • فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد • إن تعذبهم فإنهم عبادك • وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [١٦-١٨] .

فأي دلالة من هذه النصوص الكريمة في كتاب الله ، مما ذكرنا وما لم نذكر يقرّب ما يزعمه صاحب الرسالة ، وغيره من أبناء ملته ، فضلاً عن دلالته ممن ختم الله على قلوبهم فكانوا يحرّفون كلام الله ، حسبما تصبو إليه ألسنتهم ، ويفسرون المعاني على ما يريدون بأهوائهم ، فهم يفسرون المعجزات التي جعلها الله آية من المعجزات لعيسى - عليه السلام - ، من إحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، على أنها صفات خاصة بالألوهية ، لا يمكن لأي بشر عملها ، وغاب عن عقولهم القاصرة ، أن الله يهب من يشاء من خلقه قدرات ومعجزات هي من الله فضل ، ولن منحها ارتباط بالله ، ودعوة إلى دين الله الحق ليجذب بها من يريد الله هدايته للطريق المستقيم ، ولتكون حجة على من طغى وتجبّر ، فموسى

موسى وعيسى ويخالفون ما جاء به عن الله من العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى ، والصدور عما جاءت به رسل الله إليهم ، إذ كل رسول يدعو إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الحق ، الذي لا يقبل من البشر دينًا سواه ، بل إن كل رسول يدعو إلى اتباع محمد -ﷺ- ، وإلى توحيد الله بالعبادة ، وأنه الإله الحق ولا معبود سواه .. وهؤلاء بدّلوا كلام الله ، وقتلوا أنبياء الله ، وخالفوا شرع الله ، وقالوا على الله ما لم يقله .. ، وكلام صاحب الرسالة امتداد لتلك الجذور ، فالقرآن لم يثبت هذه الإلهية ، بل نفاها بشدة ، والمفترين على الله لعنوا بهذا القول ، واللعن هو الطرد من رحمة الله .

قال تعالى في سورة التوبة في إبانة عما يجول في أذهان النصارى ، وما تتلفظ به ألسنتهم من الزور على الله -جل وعلا- ، وعلى عيسى -عليه السلام- : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله • وقالت النصارى المسيح ابن الله • ذلك قولهم بأفواههم • يضاهئون قول الذين كفروا • قاتلهم الله أنى يؤفكون • اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله • والمسيح ابن مريم • وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [الآيات: ٢٨-٢١] .

وقال سبحانه في سورة مريم : ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا • قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا • وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا ﴾ إلى أن قال سبحانه ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون • ما كان لله

يسلون لهم بما يريدون الوصول إليه ، وما جاء في رسالة هذا الكاتب ما هو إلا تجديد للحقيقة التي أبانتها سورة الفاتحة التي يقرؤها المسلم في اليوم والليلة ١٧ مرة في صلاة الفريضة وحدها : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالّين ﴾ حيث جاء في صحيح مسلم حديث لرسول الله -ﷺ- أبان ما تعنيه دلالة الآيتين : بأن المغضوب عليهم اليهود ، معهم علم ولم يعملوا به ، وأن الضالّين النصارى ، يعبدون الله على جهل وضلال ، وسورة الفاتحة التي هي مناجاة بين العبد وربه ، يسأله فيها العبد بأن يهديه سبحانه للصراط المستقيم ، الذي هو طريق الحق ، ومنهج أولياء الله ، وأن يجنبه طريق هاتين الفرقتين ، لأن المنتمين إليهما أفسدوا ما شرع الله لهم ، وانحرفوا بهذا العمل إلى طريق الغواية والضلال .

أما الغاية التي أراد أن يصل إليها في ختام رسالته المطولة فهي ترتكز في نقطتين :

الأولى : قوله : إنكم تعرفون جيدًا الآيات المذكورة في القرآن التي تثبت ألوهية المسيح وسيرته الطاهرة عند ما كان موجودًا في العالم .. وهذا قول باطل لأن أبسط تلميذ من طلاب المسلمين يرد عليه من نصوص القرآن الكريم بما يكذّب زعمه ، ويبيّن جهله ، وجهل أبناء ملته بنصوص القرآن ، بل إن المسيح ابن مريم عليه يكذب ، هؤلآء الذين ينتسبون إليه زورًا وبهتانًا ، لأن حقيقة الانتساب تعنى الاتباع والتصديق ، أما المخالفة والتكذيب سواء ممن ينتسبون للإسلام ويخالفون كتاب الله ، وما جاء به محمد -ﷺ- ، أو من اليهود والنصارى ، الذين يدعون اتباع

القراء لعل فيهم من هو أقدر مني في النقاش وأمكن في الحوار . وأبين مني في الإدلاء بالحجة . وأكثر اطلاعًا على ما في أيدي النصارى من كتب محرّفة . وما أوضحه ممن أنار الله بصيرته من النصارى فدخل الإسلام . ليتحدث بنعمة الله عليه . ويكشف عن ضلالات وخفايا ما يسير عليه أبناء هذه الملة . فيكون الحوار معهم من باب مخاطبة الناس بما يعرفون مع أن كتاب الله -جل وعلا- . قد أبان الكثير والكثير جدًا . من هذا الطريق . الذي ضاعت فيه النصرانية بسبب الجهل . والانقياد للرهبان فيما يقولون ويشرعون .

هذه الرسالة موجهة لإحدى دور النشر بالقاهرة في أصلها . يهاجم فيها الكاتب هذه الدار فيما تنشره من كتب مترجمة لديدات عن المسيحية . ويتجنى فيها على الداعية أحمد ديدات . الذي كشف عورات القساوسة في حواره معهم . حتى لم يجدوا أسلوبًا في الرد عليه إلا بالتشويش . والتهديد كما في هذه الرسالة التي بين أيدينا . والتي تضمنت من التهديدات التلويح بما سوف تقوم به جمعيته من ترجمة كتاب رشدي : (آيات شيطانية) إلى العربية لأنه كما قال وبمنظوره الحاقد . وتهديده الأجوف : كتاب قيم . و وصفه مؤلفه بأنه الكاتب الكبير . ومن جهله أو بتجاهله أغفل أن علماء المسلمين حكموا بردته وكفره . ومعلوم حكم المرتد في شريعة الإسلام .

ولا شك أن الأباطيل والكذب . والتهديد والحقد . كلها من أساليب العاجزين . الذين يتصوّرون أنهم بهذا يخيفون من أمامهم . ويجعلونهم

الناس الذين يبلغونهم . إلى المنهج السليم . يقول الله سبحانه لأفضل الخلق . وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد -ﷺ- في إراحة لقلبه . وإبانة لدوره في التبليغ : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [سورة يوسف . الآية : ١٠٣].

فطريق الحق منهجه واضح . و معـالمه بارزة لبني آدم . منذ خلق الله آدم . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . تُبرز معالمه كتب الله . ويدل عليه أنبياء الله ورسله . وبعد ختم الرسالة بمحمد -ﷺ- أبان - عليه الصلاة والسلام - بأنه ترك في الأمة أمرين لن يضلوا ما تمسكوا بهما : كتاب الله . وسنة رسوله -ﷺ- . وجاء في فضائل القرآن بأنه : حبل الله المتين . وسراجه المنير . وصراطه المستقيم . من تمسك به هدي . ومن أخذ به عصَم .

كما أن طريق الباطل واضح . وعليه علامات تبيّنه . فيعرفها القلب المستنير . ليتجنبها . وينقاد لها من طمس الله على قلبه . وأعمى بصيرته . ليقوده الشيطان إلى ما فيه شقاوته الأبدية .

يقودني هذا إلى الحديث عن رسالة من ثلاث صفحات . يبدو أنها تعميمية . ذيّلت بتوقيع : مصري متنصر يقيم في أمريكا عن جمعية سماها : الصوت الصارخ (١) نيويورك . وقد أبان عن عنوان هذه الجمعية بالعربية والإنجليزية . وهو ص. ب ١٠٠٠٨ - نيويورك . أضعها أمام

---

(١) هذه الرسالة ننشرها في آخر هذا المقال وقد استغرقت ست صفحات من المجلة .

لإسلامية :

القلب و ثقل الأمانة

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

منهج القرآن الكريم ،وتوجيهه للقلوب النيّرة ، هو الطريق الأقوم في إسعاد النفوس ، وإصلاحها ، وتوضيح معالم الخير ، الذي تسترشد به في دروب الحياة ، والطريق الموصل للآخرة ، ذلك أنه توجيه رباني ، يتمثل فيه الخير بحذافيره ، ويحذر من الشرور وما تقود إليه أعماله من شقاوة أبدية ، نلمس مثل هذا في واحد من النصوص الكريمة في كتاب الله - جلّ وعلا- ، يقول سبحانه وتعالى في سورة الزمر : ﴿ أ فمن شرح الله صدره للإسلام • فهو على نور من ربه • فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله • أولئك في ضلال مبين ﴾ [الآية : ٢٢] .

والصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله الكونية ، التي أرادها -جل وعلا- لحكمة ، وتمايزت العقول والأفكار في هذا المنحى لغاية ، لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق ، قال : هؤلآء للجنة ولا أبالي ، وهؤلآء للنار ولا أبالي ، وقد وزّع عليهم عقولهم كما وزّع عليهم أرزاقهم ، فهم يتفاوتون في الإدراك كما يتفاوتون في الأرزاق .

وحتى أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام - لا يهدون من اقتضت حكمة الله ضلاله ، مع حرصهم واهتمامهم بالتبليغ لإصلاح القلوب ، وبجذب

في ذلك أن الآية تحتمل احتمالات مختلفة و وجوهًا عديدة . أما الأحاديث والروايات فهي أوضح من القرآن في ذلك مع أن القرآن هو أصل وجدير بالاعتماد والاستناد عليه .

الهـــــوامش :

(١) الإمام حميد الدين الفراهي : التكميل في أصول التأويل : ص/٨ ، الدائرة الحميدية بسرائ مير (الهند) الطبعة الأولى ١٢٨٨هـ .

(٢) نفس المصدر : ص/٥-٦ .

(٣) نفس المصدر : ص/٥ .

(٤) نفس المصدر : ص/٧-٨ .

(٥-٦) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/٧ ، مكتبة الإصلاح بسرائ مير ١٣٥٧هـ .

(٧) الإمام الفراهي : التكميل في أصول التأويل : ص/٦٥-٦٦ .

(٨) الإمام الفراهي : رسائل الإمام الفراهي : ص/٢٧٩ ، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح سرائ مير ، أعظمجراه ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩١م .

(٩) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/٧ .

(١٠) الدكتور عناية الله الإصلاحي : الإمام حميد الدين الفراهي : ص/٦٤ ، طبعة بمطبعة إسرار كريمي ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

(١١) العلامة ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير : ص/١٦ ، الطبعة الثالثة بالمطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٧هـ .

(١٢) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/٧ .

(١٣) الإمام الفراهي : رسائله : ص/٢١٧ .

(١٤-١٥) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/١٠ .

(١٦) نفس المصدر : ص/١٧ .

القرآن مباشرة ويتدبر فيه في ضوء سياق الآيات وسباقها والآيات المماثلة لها ومع ملاحظة أساليب كلام العرب واستعمالاتهم فينبغي للدارس أن يعين بتدبره ودراسته معنى الآية ومقصودها . وبعد ذلك يرجع إلى الأحاديث والروايات والتفاسير لكي يطمئن قلبه وينشرح صدره . أما إذا اطمأن قلبه بتأويل فليحمد الله وإلا فليطل التدبر والتفكر فيه معترفًا بقلة علمه وضآلة فهمه . وليدع الله أن يوسع عليه سبيل فهم القرآن . ولا يقطع هذا الدعاء ما دام الاطمئنان لم يحصل . فقال الإمام الفراهي وهو يوضح منهجه في دراسة القرآن :

« ما أخذت معنى الآيات من كتب التفسير ولكن تأملت في رباط الكلام وآيات مماثلة فإذا تقرر عندي معنى جملة من الآيات نظرت في تفسير الرازي والطبري - رحمهما الله تعالى - فربما وافقني واحد من أقوال السلف وربما كنت قريبًا من بعضهم وربما فهمت معنى ثم رجعت فيه وربما أشكل على شئ فوقفت ومع كل هذه الأمور نحول الإشكال والإبهام إلى قلة علمنا وقصور فهمنا وتقليدنا لما قد أخذنا من الآراء التي أخطأنا فيه » (١٦) .

فما تبين من وجهة نظر الإمام الفراهي في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي هو بعيد عن كل إفراط وتفريط . وفي غاية من الحذر . وباعتدال مناسب . تمسك بها الفراهي وعض عليها بالنواجذ . وإن تأملت تفسيره تجد أنه يسير من أوله إلى آخره على هذا المنهج العدل . إذ أن المتأخرين من العلماء اعتمدوا كثيرًا على الأحاديث والروايات وهي صحيحة وسقيمة معًا . فأولوا آية بتأويلات متناقضة وبعيدة عن الفهم . ومستدلهم الوحيد

« وكلاهما متلقى بالمعقول بين المسلمين عامة ، مع اتفاق العلماء على أن كليهما يحتوي على الغث و السمين و لابد للناظر فيهما من النقد والإمعان » (١٢) .

وقال أيضًا في مقدمة نظام القرآن :

« وجب على من يحاول فهم القرآن أن لا يأخذ من الروايات ما يهدم الأصل أو يقلعه فإني رأيت بعض الروايات تقلع الآيات وتقطع نظمها إلا أن تُأول .. فينبغي لنا أن لا نأخذ منها إلا ما يكون مؤيدًا للقرآن وتصديقًا لما فيه كما أن الآثار المنقولة من ابن عباس – رضي الله عنه – أقرب الأقوال من نظم القرآن » (١٤) .

الإسرائيليـــــات :

وصرح أيضًا الإمام الفراهي وجهة نظره عما تسرب في كتب التفسير والحديث مما روى عن أهل الكتاب ، فقال :

« وكذلك تاريخ أهل الكتاب أقرب من الأخبار المنقولة عندنا فإن المفسرين أخذوها من أفواه العامة والذين قلّ علمهم بالكتب التاريخية في قصص الأنبياء وبني إسرائيل فالصواب أن نأخذ من كتبهم المعتبرة كالتبع فحيث يختلف عن القرآن نتركه فإنهم كتموا الشهادة » (١٥) .

منهجه في دراسة القرآن الكريم :

بعد ما أوضحنا موقف الإمام الفراهي عن كل من التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور وفي المنقولات في التفسير يليق بنا أن نوضح قليلاً منهج دراسة القرآن له .

فالمنهج الصحيح عند الإمام الفراهي لدراسة القرآن هو أن يفكر في

الواضح والحق المبين . والعلم إما نقل مصدق عن معصوم وإما قول عليه دليل معلوم . وما سوى ذلك . فإما فريق مردود وإما موقف لا يعلم أنه بهرج ولا منقود . وحاجة الأئمة ماسة إلى فهم القرآن » (١٠) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل :

« ثلاثة أمور ليس لها إسناد : التفسير والملاحم والمغازي » (١١) .

وأوضح الإمام الفراهي وجهة نظره عن تفسير ابن جرير فقال :

« وقد أسس تفسيره بعض العلماء على الأحاديث كابن جرير الطبري الذي حكموا على تفسيره أنه لم يصنف مثله ولكن الأحاديث فيها أكثرها ضعاف والمرفوع فيه قليل وإنما جمع فيه أقوال أهل التأويل مع كثرة الاختلاف فيما بينها » (١٢) .

وقال في كتابه : « التكميل في أصول التأويل » :

« وإذ كان المروي في ذلك عن النبي -ﷺ- قليلاً جدًا ولم يكثر فيه أيضًا ما روى عن الصحابة فأضافوا به ما روى عن التابعين أو تبعهم مع اختلاف الأقاويل بينهم . وعلى هذا صنف ابن جرير - رحمه الله تعالى - تفسيره وهو أحسن التفاسير حتى قيل إنه لم يصنف مثله » .

« والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى وقد حث القرآن نفسه على التفكر والتدبر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنها الآيات ولم يجدوها فيما روى عن السلف فذكروها في تفاسيرهم،وأكبر التفاسير المتداولة التي كتبت على هذا الطريق ما ألفه الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - » .

« [illegible] :

[illegible]

[illegible] :

[illegible] (١) [illegible]

[illegible] » (٧) .

« [illegible] :

[illegible] » (٨) .

[illegible]

[illegible]

فهم النبي -ﷺ- والذين معه ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي -ﷺ- وأصحابه - رضي الله عنهم - » (٥) .

وقال بعد ذلك :

« إني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن ولا أتي بها إلا كالتبع بعد ما فسرت الآيات بأمثالها لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم » (٦) .

فالإمام الفراهي لا يخالف التفسير بالحديث الصحيح ولكنه يرى أن الأحاديث الصحيحة قليلة جدًا ولا يمكن أن نقرر تأويلاً معينًا لآية بحديث لأن الروايات تحتمل تأويلات مختلفة فسميت الأحاديث بالظني بمعنى أن كونها ظنية أو قطعية باعتبار دلالتها على معنى معين لا باعتبار صحتها وعدم صحتها . فذهب الإمام الفراهي إلى هذا الأصل : « تفسير القرآن بالقرآن » الذي استحسنه العلماء والبلغاء . وبعد ذلك نرجع إلى الأحاديث . فإن كان هناك حديث يعارض معنى القرآن فلنأول ذلك تأويلاً يوافق القرآن . ولا نأول القرآن نفسه . ومن الممكن أن يلبس الحق بالباطل للاعتماد كليًا على الحديث . لأن في الأحاديث ما هو صحيح وما هو سقيم . ولا يمكن أن نميز بينهن . فقال في كتابه : « التكميل في أصول التأويل » :

« ولكن ههنا مزلة وخطر . وذلك أنك قبل أن تفهم القرآن تتهافت على الحديث وفيه صحيح وسقيم فيعلق بقلبك من الآراء ما ليس له في القرآن أصل وربما يخالف هدى القرآن فتأخذ في تأويل القرآن إلى الحديث ويلبس عليك الحق بالباطل .

وعدم الفرق بين صحيحه وسقيمه وتسويته في الاعتماد ، فإن المنقول جله الأحاديث الضعاف والمتناقض بعضها بعضًا ، بل المتناقض لظاهر القرآن ، فهل يعتمد عليها ؟ أو يترك القرآن لا يتدبر فيه ولا يفهم معانيه ؟ نعم ، ينظر فيما نقل من السلف للتأييد عند الموافقة ورجع النظر عند المحافظة حتى يطمئن القلب مما يفهم من الكلام فإنه أوثق وأبعد عن الخطأ ، ولذلك قال علماء التفسير : إن أحسن التفسير ما كان بالقرآن ..

لما رأي أهل السنة أن أهل البدعة والباطل جعلوا يأولون القرآن بالهوى ويحملون النصوص على غير مرادها ، حرّموا الاشتغال بالأقاويل في التفسير إلا ما روى عن الصحابة والتابعين ولا شك أنهم لم يريدوا بذلك إلا سدًا لأبواب الفتنة وكان ذلك هو الفرق ، فإن التأويل إذا لم يؤسس على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل ، لم يمنع عن القول بالرأي المحض » (٤) .

فقد علمنا من هذا التفصيل أن المنع عن التفسير بالرأي له معنى خاص وخلفية خاصة ليس القصد منه المنع عن التدبر في القرآن بل غرضه أن يكون المفكر فيه ماهرًا واعيًا ناقدًا وحذرًا سليمًا عن الوقوع في الخرافات والأوهام وهوى النفس منعًا له عن مخالفة القرآن وسدًا لأبواب الفتنة .

التفسير بالمأثـــــور :

يولي الإمام الفراهي حديث الرسول وآثار الصحابة من الأهمية ما أولاه الأئمة والمفسرون ، فيقول :

« فعلمت من هذا أن أول شئ يفسر القرآن هو القرآن نفسه ثم بعد ذلك

وكأن الإمام الفراهي يجب عنده لفهم القرآن استخدام العقل والفكر بجانب المرويات والمأثورات وشواهد اللغة ودلائلها . ذلك لكي يتيسر استخراج ما في القرآن من معان بعيدة وعميقة خفية .

إيضاح أقوال السلف :

لابد لفهم القرآن من التدبر والتفكر واستخدام العقل والفهم ، وقد برهن عليه الإمام الفراهي بدلائل ساطعة وبراهين قاطعة ولكن نضرب عنه صفحًا ونرى من الواجب أن نوضح ، كيف نوجه وبماذا نأول قول العلماء الذين ذموا التفسير بالرأي وحرموا التدبر والتفكر في القرآن ، فقال الإمام الفراهي وهو يوضح ذمّه :

« إن السلف اختلفوا في تأويل القرآن كثيرًا لكونه جامعًا لوجوه كثيرة ولكونهم متفاوتين في مدارج العقول وهذا كما اختلفوا في الفتاوى ولكنهم مع ذلك اعتمدوا علىأصول راسخة للتأويل كما سيأتيك في هذا الكتاب (التكميل في أصول التأويل) فلم يعتمدوا على الرأي المحض وهوى النفس » .

ومن قال : إن التفسير الذي لم يكن منقولاً عن السلف فهو التفسير بالرأي ، فمحمول على أن من ترك المنقول أوشك أن يقع في أوهامه فيرى الباطل معقولاً كما قالوا : فيمن لم يتقلد السلف في الفتاوى وركب رأسه فلا يؤمن ابتعاده عن جادة الشريعة كل البعد ، وكذلك محمول على أخذ ما يحتاج إليه في علم أسباب النزول ومواقعه ، فلابد أن يؤخذ من النقل مع التنقيد والاختيار بما صح وثبت ، ولا يحمل ذلك على ترك النظر في دلالة القرآن وحمل الآية على نظائرها والجمود على المنقول المحض .

ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل ، وبالجملة فإنهم لم يأولوا القرآن بالرأي المذموم الذي لا مستند له في الكتاب والسنة ولسان العرب .. » (٢) .

يعني بذلك أن ما أثر عن الصحابة الكرام من معاني القرآن ومطالبه ليس كلها مأخوذة عن النبي -ﷺ- ولا سمعت عنه ، فمنها ما ذكروه عن النبي -ﷺ- ومنها ما استنبطوه بفهمهم وبصيرتهم وباجتهادهم ورأيهم . ولو كان الاجتهاد والرأي في تفسير القرآن ممنوعًا وحرامًا لما فعلوه . وهل يصح أن نقول : إنهم ارتكبوا حرامًا ؟ فلما استخدم الصحابة عقلهم وفهمهم في تفسير القرآن وتأويله وقد حث القرآن هو نفسه على التدبر والتفكر فيه فلا يصح أن نحرم على الإطلاق التدبر والتفكر في تأويل كتاب الله وتفسيره بما يوافق أصول العلم والنظر ، وليس ذلك مصداقًا للحديث الذي يمنع عن التفسير بالرأي ، يقول الإمام الفراهي :

« قد حذر العلماء قديمًا عن التفسير بالرأي ولكنهم لم يبينوا كل البيان ما هو المراد من التفسير بالرأي ؟ وإذ كان المروى في ذلك عن النبي -ﷺ- قليلاً جدًا ولم يكثر فيه أيضًا ما روى عن الصحابة ، فأضافوا به ما روى عن التابعين أو تبعهم مع اختلاف الأقاويل بينهم ، وعلى هذا صنّف ابن جرير - رحمه الله تعالى - تفسيره وهو أحسن التفاسير حتى قيل انه لم يصنف مثله .

والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى ، قد حث القرآن نفسه على التفكر والتدبر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنتها الآيات ولم يجدوها فيما روى عن السلف فذكروها في تفاسيرهم » (٢) .

المتورعين ، عن حدود التفسير ما هي ؟ .. وعن مدى سعة نطاق الفكر والتدبّر فيه ، ومجال استنباط المسائل واستخراج المعاني ؟ وانقسم العلماء في الرد على هذا السؤال بين فئتين .

ففئة تقول : إن تفسير القرآن ليس إلا بما روى وثبت عن النبي -ﷺ- وأصحابه الكرام دون أن نستعين بالرأي والاجتهاد فيه ، لأنهما يفتحان أبواب المباحث غير الضرورية فمنعوا بالكلية عن الاجتهاد وعن الرأي في تفسير القرآن وشرحه وبيانه .

وفئة أخرى ذهبت في تفسيره إلى الاستعانة فيه بالاجتهاد والرأي بشرط عدم مخالفتهما الكتاب والسنة وأصول اللغة العامة .

الإمام الفراهي و وجهة نظره :

وأما الإمام حميد الدين الفراهي فهو يؤيد الذين أجازوا الاجتهاد والرأي في تفسير القرآن بل يوجب التدبر (١) فيه ، فقسم الرأي إلى قسمين : مذموم لا يجوز ، وصحيح يجوز ، فالرأي الذي ليس له مستند ولا صراحة في الكتاب والسنة وأيضًا لا يوافق أصول اللغة المسلة ويقوم على الرأي المحض وهوى النفس فقط فهو مذموم وحرام ، وأما الذي لا يعارض الكتاب والسنة ولا يمنعه لسان العرب وقواعد لغتهم فهو جائز ومحمود ، يوضح مذهبه في هذا الموضوع قوله :

« فاعلم أن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - قد اختلفوا كثيرًا في التأويل مع تقارب خطاهم فلو أخذوا تأويلاتهم عن النبي -ﷺ- لما اختلفوا ولكنهم أخذوا عن علمهم باللسان واقتصارهم على علمهم بنظائر الآيات وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطيها الله عباده

التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور

عند الإمام الفراهي

بقلم : الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي

ترجمة : ابن لليق الأعظمي

فكر الإنسان وعقله في تطور مستمر منذ وجوده في هذا الكون ، ففي عصر الصحابة - رضي الله عنهم - ، بعد النبي -ﷺ- نجد فرقًا في منهج التفكير بين شخص وآخر ، حتى ظهرت الخلافات بينهم في بعض المسائل باختلاف الطبائع وتفاوت المواهب ، واتسع نطاقها في عهد التابعين ، فلما أخذت تحدث تغيرات علمية وسياسية واجتماعية واقتصادية لاختلاطهم أقوامًا غيرهم ولمخالطتهم أممًا أخرى تغيرت مناهج الفكر وتحولت طرق النظر ، فلم تعد المسائل الفرعية والجزئية فحسب موضع نقاشهم بل تناولوا بعض المسائل الأصولية والأساسية كذلك بالنقاش ، وبحثوا في العقائد ، وجعلوا القرآن مجالاً للمباحث الكلامية والفلسفية ، فظهرت مدارس للفكر وتعددت فرق مختلفة ، وأخذ يفسر القرآن علماء كل فرقة وأصحاب كل مدرسة فكر ، وفقًا لميولهم واتجاهاتهم ، و طفق أنصار كل مدرسة يثبتون مذهبهم بالقرآن ويردون على غيرهم مستدلين بالقرآن كذلك .

المنع عن التفسير بالرأي :

عند نقطة التطور - الازدهار والتغير - انبعث السؤال في ذهن العلماء

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إنّ الجميل و إن طال الـــــــزمان به
فليس يحصده إلا الـــــــذي زرعا

أثر التوافق الاجتماعي : المسلم يستمد اتجاهاته وقيمه وأنواع سلوكه من تعاليم الإسلام فهدفه إرضاء الله تعالى والسير على منهاجه ليكون من المتقين .

والعلم الحديث يعطينا معلومات جديدة تفيدنا في حياتنا فقد عكف الطبيب جانمس هاوس وزملاؤه في مركز الدراسات الاستطلاعية في آن أربور التابعة لجامعة ميتشين على دراسة حالات ثلاثة آلاف شخص طوال أربعة عشر عامًا وخلص إلى النتيجة الآتية «التوافق الاجتماعي » يمد في الأعمار ، ونسبة قلة أعمار الذين ليس لديهم توافق اجتماعي تزيد مرتين ونصف عن الذين لديهم توافق اجتماعي ، ومثل هذه النتيجة توصل إليها أطباء الأوبئة في جامعة ميل بيوهن ، فقد توصلوا إلى أن أفعال الخير تعيد نظام المناعة في الجسم ، فالذهن ونظام المناعة مترابطان على نحو دقيق ، وقالوا : « إن ثمة مسارب عصبية تربط الذهن بالجسم وتمنح العظام والطحال اللذين يفرزان الخلايا الضرورية المادة اللازمة لمكافحة الأمراض السارية » .

وهذه الأبحاث تفيد الإنسان في جعل أهم هدف له في الحياة التوافق الاجتماعي حتى يعيش في أمن وطمأنينة ورضا عن النفس وعن المجتمع وعن الكون وعن الحياة ، وهذا التوافق لا يقدر بمال .

إن المجتمع الاسلامي يبنى لأهداف يحققها كل مسلم في حياته - وبناؤه للحياة هو بناء لما بعد الحياة أيضًا ما دام يريد بعمله وجه الله

والتوافق الاجتماعي حقيقة واقعة : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة • ادفع بالتي هي أحسن • فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم • وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظٍ عظيمٍ ﴾ [سورة فصلت ، الآيتان : ٣٤-٣٥] .

وفي الجانب الاقتصادي : يقرر الإسلام أن المال مال الله والمسلمون مستخلفون فيه - وهم مطالبون بأن يكتسبوا من حلال ، فلا ربا ولا غش ولا سرقة ولا احتكار ولا تجارة فيما حرم الله وهم مطالبون أيضًا بإعطاء الفقراء والمساكين وغيرهم حقوقهم من زكاة وصدقة وإنفاق في سبيل الله بحيث لا يبقى في المجتمع محروم ولا محتاج إلى جانب صلة الرحم وإعطاء الجار حقه والإحساس بالرابطة الإسلامية العامة .

٣- القناعة : والقناعة من عناصر التوافق الاجتماعي وذلك يجعل المجتمع مطمئن النفس هادئ القلب قادرًا على أن يؤدى وظيفته في ظل القيم الاجتماعية وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري : « من بات آمنًا في سربــه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت لــــه الدنيا بحذافيرها » .

٤- عمل الخير : وعمل الخير في المجتمع لما فيه ومن فيه له أثره في التوافق الاجتماعي ما دام الإنسان لا يبتغى إلا رضوان الله تعالى - فالجزاء يجده في الدنيا في الإحساس بالرضا وطمأنينة النفس ويجده في الآخرة في جنة عرضها السماوات والأرض ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ازرع جميلاً و لو في غير مــــــوضعه
فلن يضيع جميـــــــــل أينما زرعا

أو باللسان أو بالقلب ، إذا لم يستطع غير ذلك - وإذا ما جلس المسلمون في الطريق فعليهم أن يعطوا الطريق حقه الذي يتمثل في غض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عناصر التوافق الاجتماعي : وتتلخص عناصر التوافق الاجتماعي في :

١- وحدة المجتمع الإسلامي :

فالمؤمنون إخوة تشيع بينهم المودة وكل فرد يحس بأنه لبنة في بناء عظيم يشد بعضه بعضًا وبأن المسلمين جميعًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر - وتبدأ الوحدة بالأسرة الصغيرة التي لها نظامها وضوابطها فذلك يجعل التوافق الاجتماعي قائمًا بصورة محسوسة تجعل المسلم سعيدًا سليمًا مطمئنًا .

٢- العدالة الاجتماعية :

وهي تتناول الشعور والسلوك والضمائر و الوجدانات والقيم التي تتناولها هذه العدالة هي القيم المعنوية والروحية .

والمطلوب في المجتمع الإسلامي أن يكون أفراده قوامين بالقسط شهداء لله - ولا يقبل أن تؤثر المشكلات الخاصة أو الاحتكاكات الاجتماعية على العدالة - لأن العدالة مردها إلى الله الذي يحاسب كل إنسان على شهادته : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنـآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقـــرب للتقوى ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٨] .

ويغرس الإسلام في نفوس المسلمين الإحسان في المعاملة وذلك يعني التماس الأعذار للناس وذلك يشيع المودة ويجعل الحياة الصعبة مقبولة

[سورة النحل ، الآية : ٩٧] .

ولذلك فليس في الإسلام من يدعى أنه من نسل الآلهة أو أن الدم الذي يجرى في عروقه ليس من نوع دماء العامة ، أو أن الله فضله وقومه بصفة خاصة - وبذلك أنهى الإسلام كل الموانع التي توجد عدم التوافق الاجتماعي مثل التفاخر والتعصب والتكبر - كما أوجد كل العناصر التي تربط المجتمع كله بعضه ببعض ، وتجعل التوافق الاجتماعي قائمًا بصورة قوية حتى يستطيع أن يقوم بوظيفته .

فالإسلام : يسكب في الحياة كلها التوافق الاجتماعي لأن الناس جميعًا من أب واحد ومن أم واحدة وهم متساوون في الحقوق والواجبات - والأسرة قائمة على السكن والمودة - والمجتمع تشيع فيه الأخوة والحب والمساواة والعدالة والتعاون على الخير والتكافل الاجتماعي الكامل . وإحساس المسلم بأن له رسالة سامية في الحياة تجعله يرتفع بشعوره وضميره ونشاطه وعمله - فلا يستخدم إلا الوسائل المشروعة ليصل إلى الأهداف المشروعة .

ويرسم الرسول -ﷺ- صورة للتوافق الاجتماعي فيقول : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضًا ، وكونوا عباد الله إخوانًا » . [البخاري]

ويوصى النبي -ﷺ- بالإيجابية في الحياة الاجتماعية فلا يكون المسلم إمعة يقول : أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن على المسلم أن يحسن إذا أحسن الناس وأن يتجنب إساءتهم إذا أساؤوا - بل إن النصيحة واجبة على كل مسلم ، كذلك منع المنكر باليد

التوافق الاجتماعي في الإسلام

بقلم : سعادة الدكتور علي القاضي

التوافق الاجتماعي :

تعبير يقصد به قدرة الفرد على الثبات والجلد حيال الأزمات والشدائد التي تحل به بحيث ينتج إنتاجًا معقولاً في حدود ذكائه وإمكاناته الجسمية والعقلية وبحيث يعقد مع الناس صلاتاجتماعية راضية مرضية - وذلك كله يجعله يشعر بالأمن والاطمئنان وراحة البال فتنساب حياته خالية من التوتر والقلق وضيق الصدر .

والمتوافق اجتماعيًا : يوصف بأنه ناضج انفعاليًا لأنه يتعامل مع مجتمعه بالحب وهو أقدر على ضبط نفسه في المواقف التي تثير الانفعال ولا يشعر بحاجة إلى السيطرة أو العدوان على من يقترب منـه من الناس أو برغبة ملحة في إطرائهم له أو استمرار عطفهم أو طلب المعونـة منهم .

التوافق الاجتماعي في الإسلام :

وعقيدة المسلم : تجعله يحس بالتبعة الإنسانية الملقاة على كاهله ، تبعة الوصاية على البشرية وهداية أفرادها إلى الطريق المستقيم .

والتوافق الاجتماعي في الإسلام يبدأ من صلة المسلم بخالقه والسير على منهاجه ومن نظرة الإسلام إلى الناس ، فهم متساوون أمام الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة : ﴿ من عمل صالحًا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

الإنسانية وتوفير التسهيلات و الوسائل والإمكانيات ولكن لا تنفع هذه الوسائل الضخمة الحياة الإنسانية شيئًا ولا تعطيها راحة البال و طمأنينة القلب ، بسبب انقطاع الصلة عن اسم الرب وفقدان الاخلاص له و ركود الشعلة الإيمانية الملتهبة و خمود جمرة الإيمان الوهاجة التي تغير مجرى الحياة وتثير ثورة عظيمة فيها .

إنه يتحتم على مثل هذه المؤسسات أن تؤسس بناءها العلمي على اسم الرب لتكون نافعة للإنسانية وتخدمها خدمة جبارة .

إن هذه الدنيا لا تستطيع أن تنقذ نفسها من الوقوع في هاوية الخيبة والخسران ومن براثن الانتحار الغاشمة ، ولا تستطيع أن تتحف النوع البشري تحفة الأمن و الأمان والتعاون والمواساة و التواثق ، إذا لم يكن العلم والإسم يسيران معا في حقول الحياة المختلفة .

وإني أحب أن تقام مثل هذه المؤسسات العلمية والصناعية و التقنية وتؤسس الجامعات والكليات والمعاهد في جميع أنحاء الهند وأرجائها ، وفي الجاليات الإسلامية كلها ، لتتطور حياة المسلمين وترتفع مستوياتهم على الصعيد العالمي ، و على ذلك يجب على جميع هذه المؤسسات أن لا تنقطع صلتها عن اسم الرب تبارك وتعالى ، بل لا تضعف وشائجها بالدين شيئًا ، ويجدر بها أن تضفى عليها صبغة الدين وطابعه المميّز،حينئذ تستطيع هذه المؤسسات أن تقوم بدور رائع ملموس في الحياة ، وتقود الإنسان المعاصر إلى ساحة العزّ والسمّو ، وتمهد الطريق إلى غد أفضل ومستقبل أضمن .

وما ذلك على الله بعزيز ...

بالمسئولية فلا توجد هناك أصابع توضع على هذا الكمبيوتر الإنساني من جديد ، لينهض لأداء تلك الواجبات والمسئوليات . ومن هناك ترجع المسئولية إلينا في هذه الظروف الحرجة القلقة أن نستخرج كنوزنا المطمورة المنطوية علينا ، المكنونة المودعة فينا من الله ، ونقدحها قدحا لنقوم بتلك الأعمال الجسيمة التي يقوم بها اليوم جهاز الكمبيوتر ، هذه الآلة المادية ، ونضع أصابع التعاليم النبوية على الإنسانية حسب المتطلبات والمتغيرات والظروف و الملابسات وأوضاع الأمة وأحوالها .

إن الحاجة ماسة اليوم إلى مثل هذه المؤسسات التي تفرض على نفسها أنها لا تعلم مجرد الفن والعلم ، بل تعلم خشية الله وتقواه في السر والعلن ، وتعلم الناس علما قائمًا على معرفة الله و عرفانه وإقرار وجوده وخالقيته وقدرته على كل شئ ، وعلما مبنيا على احترام رسالات رسله وتعاليمهم الصادقة .

إن أسواق أوربا وأمريكا مكتظة وحافلة بالمخترعات الغريبة والانتاجات البديعة التي تقود العالم كله إلى الشقاء والدمار ، لكن الشئ الذي لا يوجد في هذه البلاد إنما هو روح تقوى الله وخشيته و اتباع أوامره والاجتناب من نواهيه و احتساب العمل ، ورجاء ثواب الله ، و لذلك قلت مرة في خطبتي التي ألقيتها في واشنطن ، قلت إن أمريكا حافلة معمورة بكل شئ ولكن ليس هناك « ما شاء الله » وليس هناك من يقول : ما شاء الله .

نتيجة لذلك تبذل أمريكا اليوم كل المحاولات في مجالات خدمات

الله رب العالمين ﴾.

إخواني : إن ديننا وإسلامنا يتطلب منا أن تقوم مؤسساتنا العلمية والتعليمية والهندسية و مختبراتنا التقنية على أساس اسم الرب ومعرفته ، وبهذا تستطيع مجامعنا العلمية والتقنية و التحقيقية أن تقوم بدور نافع للإنسانية جمعاء ، والحقيقة أن هذا العمل الكبير الذي يؤثر على جميع نواحي الحياة لا يستطيع أحد أن يؤديه إلا إذا وضع أساسه من أول يومه على اسم الرب تبارك وتعالى .

إنني رجل مكب على القراءة والدراسة والكتابة لم يكن لي عهد قبل هذا بالكمبيوتر وليست عندي تجربة وخبرة في هذا المجال ، ولكنني اليوم لما وضعت أصابعي على أزراره إيذانًا بالافتتاح ، لمحت تلك الآثار والنقوش التي كنت قصدتها ، فدار بخلدي أن الله تعالى جعل الإنسان في الواقع – وخاصة المسلم – مثل الكمبيوتر ، ففيه تتوافر جميع المؤهلات والطاقات الهائلة ولكنه يحتاج إلى من يثير كوامن هذه المؤهلات المطمورة والطاقات المغمورة فيه ، فإن الأنبياء وأتباعهم قد قاموا بهذا الدور الرائع النبيل على مر العصور و الأزمان في تاريخ الإنسانية و وضعوا أصابع النبوة والرسالة على هذا الكمبيوتر الإنساني فتجلت مواهبه الفطرية والطبيعية جلية واضحة مبهرة .

ومن الأسف الشديد نحن المسلمين الذين ألقى الله على كواهلهم مسئولية الدعوة إلى الله وتوجيه الإنسانية في الحياة إلى أهداف سامية ، قد فقدنا هذه القوة المعنوية الحيوية وضيعنا هذا الوعي و الشعور

[illegible]

إن العالم الإنساني يتعرض اليوم لأخطار رهيبة ويواجه مشاكل متنوعة رغم انتشار العلوم و تنوعها ، و نموها و ازدهارها و رغم الاختراعات الجديدة النادرة و الانتاجات البديعة الفائقة . فتتسع العلوم والمعارف ، ولكن تتشابك المشاكل وتتفاقم الأخطار مع ذلك ، لأن العلم وحدة ، والمعرفة وحدها لا تصلح لهداية البشرية ، فإن الله سبحانه وتعالى ربط العلم باسمه .

ويدل على هذه الحقيقة الوحي الأول حينما أوحى الله إلى رسوله محمد -ﷺ- ، فقال : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فإن هذا الوحي يحمل معاني كثيرة ويفتح كوة جديدة أمام الإنسان للتدبر و التفكير الواسع العميق وتلقّي الدروس والعبر ، إنه من اقتضاء النعمة التي منحها الله الإنسان في صورة العقل لكي يفكر في مصيره وعاقبة أمره ، ويفكر في عشيرته وبيئته ، و لكن يجب عليه أن يفكر في جميع هذه الأمور على منوال الربوبية وعلى النحو الذي عله الله صريحا واضحًا بدون التواء أو غموض ، ويجب عليه أن يؤمن به إيمانًا كاملاً واعيًا لا يشوبه شئ من الريب والشك والضعف في العقيدة .

فالوحي الذي نزل لأول مرة على النبي الأمي -ﷺ- الذي لم يقرأ حرفًا من أي كتاب ، ولم تخط يده على ورق قط ، يبدأ بهذه الألفاظ ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فإن هذه الحقيقة تشير إلى هذا المعنى البليغ ، ذاك أن الأمة التي ستخرج وستبعث من جديد في هذه الدنيا نتيجة لهذه الرسالة السماوية الجديدة ، منوطة بالعلم ومتميزة بها ، وعلاقتها بالعلم رصينة وطيدة . إنها تهتم بالقراءة والعلم باستخدام القلم وتتخذه لها شعارا في

التوجيه الإسلامي :

انقطاع صلة العلم بالاسم

مصدر الفساد في هذا العصر

[تفضل سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بإرساء حجر الأساس للمعهد العالي للعلوم والتكنولوجيا ، الذي أسسه جماعة من المثقفين المسلمين الغيارى في مدينة لكناؤ ، كمشروع علمي وتقني وهندسي كبير لرفع مستوى الشباب المسلم ، وسد حاجة المسلمين في مجال التقنية والهندسة .

وقد كان ذلك في ٣/من شهر نوفمبر ١٩٩٣ م ، ولكن في ظرف أقل من عام ونصف في ١٢/من شهر مارس ١٩٩٥ م طلب من سماحته المسئولون عن هذا المعهد وفي مقدمتهم مديره الدكتور السيد وسيم أختر ، أن يتكرم سماحته بافتتاح قسم الكمبيوتر في المعهد فقبل دعوته ، وشرف هذه المناسبة العلمية التي ضمت عددًا وجيهًا من كبار المثقفين والمهندسين ، وخبراء التعليم ، وأساتذة الجامعات وأعضاء المؤسسات العلمية والتحقيقية ، وألقى فيها سماحته الكلمة التالية بلغة أردو ، مراعاة للظروف ، ونقلها إلى العربية الأخ الفاضل محمد أحمد الندوي ، نتحفها لقرائنا الكرام نظرًا إلى قيمتها العلمية]
[التحرير]

سادتي وإخواني ! يغمرني فرح وسرور بهذه المناسبة السعيدة أن ألاحظ روح العمل والعاطفة الصادقة والواقعية و الذهن البناء في هذه الخطوة الجريئة لفتح قسم الكمبيوتر في هذه المؤسسة الحديثة ، إنه يبشر بتقدم ملحوظ للمؤسسة في مدة قصيرة .

ويطعنه بالروايات المختلقة ويتناوله بالذم والهجو ، أن ذلك جريمة كبرى يجب تطهير الأرض من مرتكبيها ، لأنه من تمام ظهور الدين وعلو كلمة الله وكون الدين كله لله ، يقول :

« إنّ سبّ رسول الله -ﷺ- - مع كونه من جنس الكفر والحراب - أعظم من مجرد الردة عن الإسلام ، فإنه من المسلم ردة وزيادة .. فإذا كان كفر المرتد قد تغلّظ لكونه قد خرج عن الدين بعد أن دخل فيه ، فأوجب القتل عينًا ، فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده أولى أن يتغلظ فيوجب القتل عينًا ، لأن مفسدة السبّ في أنواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة ، ويقول : إن من سب النبي -ﷺ- من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله .

فحيثما ظهر سبّه ولم ينتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرًا ، ولا كلمة الله عاليةً » . [الصارم المسلول على شاتم الرسول : ص/٢٩٨-٢٩٩]

لقد كان من أدنى حق رسول الله -ﷺ- علينا وعلى كل من يتمتع بنعمة من القلم واللسان أن ينبه الشاتمين على فعلتهم اللعينة ويحذرهم من سوء عاقبتهم في الدنيا ، ومالهم في الآخرة من عذابٍ أليمٍ .

إن الغرب الحاقد على الإسلام اليوم بدأ يحصي جميع الطرق والأساليب لتدمير صرح الإسلام وتعقيم شريعته ، ومن أجدى الأساليب لديه أن يشتري الأقلام والأفكار المشبوهة لتشويه هذه السيرة الطاهرة الزكية العطرة الندية وقلب الحقائق التاريخية الثابتة والأسوة الحسنة التي خلدها الله في كتابه ، وأعلنها مدوية مجلجلة فقال : ﴿ لقد كان لكم رسول الله أسوة حسنة ﴾ ولعل في ذلك نهاية الغرب الحاقد المادي الأليمة من غير عودة ، وإيذانًا باقترابه إلى مزابل التاريخ القذرة ، بدون أسف .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم ..

سعيد الأعظمي

الاتباع والحب . الاتباع الذي هو السبب المباشر لمحبة الله تعالى . وما عُرف عن النبي -ﷺ- من الولاء لدين الله والتفاني في حب الله تعالى بالطاعة والعبادة ليس خافيًا على أحد . وفي ذلك تتجلى طبيعة الدين القيم الذي أنزل معه بطريق الوحي . و وجدت فيه البشرية التائهة هداها . وتسنى لها الخروج من ظلمات الجهل والأنانية والصلف والحقد وجميع الأدواء النفسية والخلقية إلى نور العلم والإيمان والتواضع والحب والخلق العظيم . فمن بات قلبه خاليًا عن هذه المعاني بعيدًا عن الفضائل والطهر والعفاف وراغبًا في الرذائل . بحيث إنه لا يستريح إلا في القاذورات ولا يجد لذة العيش إلا إذا رتع في زبالات الكفر والعمالة الملعونة . فقد ختم الله على قلبه وعلى سمعه . وجعل على بصره غشاوة لا يهتدى من ورائها إلى الحق المبين . ولا يذوق مع ذلك طعم العيش الكريم . بل وينتقل من متاهة إلى متاهات مظلمة تطارده فيها الأشباح من الموت الذريع فلا يقر له قرار . ويبحث عن ملجأ يقي فيه نفسه ويرضى سادته فيؤلف كتابًا آخر باسم « أنفاس العرب الأخيرة » يذم فيه هذا التائه الملحد كاتب « آيات شيطانية » العرب الذين اختارهم الله للإسلام أول ما اختار . فكانوا السبب المباشر للولاء للإسلام والخضوع أمام شريعته وانتشاره في العالم كله .

هذه الصورة الكريهة للحياة يعيشها كل من تعرض بنفسه وباع قلمه وفكره لهدم دين الله . وخرق كرامة رسول الله -ﷺ- وشتمه بالأكاذيب والافتراءات . ثم تزيينها بأسماء و لافتات جذابة . وهو مرتد كافر ليس له أي مكان في خريطة الإسلام . مهما كان هو يصدع بالإسلام وينمى نفسه إلى المسلمين . وقد تحدث شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي (م ٧٢٨هـ) في كتابه القيم الذي ألفه في من يشتم الرسول -ﷺ-

شخصيته والاستهانة بحياته الحافلة بأمثل النماذج الإنسانية وأزكاها . ولذلك فان عظماء التاريخ الإسلامي الغيارى لم يرضوا بأي حال بالعفو عمن يشتم الرسول -ﷺ- ، وينال من مكانته العالية الفريدة في العالم البشري ، وهل ينسى التاريخ غيرة البطل المسلم الكبير السلطان صلاح الدين الأيوبي في هذا المجال ، وقصته مع « ريجي نالد » أحد القادة الصليبيين الكبار في الحروب الصليبية .

ومن حديثه أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لما كتب الله له الفتح المبين والانتصار على الصليبيين في معركة حطين الحاسمة أمر بضرب خيمته في ميدان القتال وإحضار الأسرى ، وكان من بينهم الملك الصليبي « كائي » ومعه « ريجي نالد » و « جاتيلان » وكان ريجي نالد قد هجم ذات مرة على قافلة الحجاج وغدر بهم ، فلما غدر بهم ناشدوا الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فقال : « قولوا لمحمدكم يخلصكم » فلما بلغ ذلك السلطان نذَر أنه متى أظفره الله قتله بنفسه ، فلما كان ذاك اليوم وأمكنه الله منه قام إليه وقال : « ألا إني نذرت قتلك مرتين ، مرة حينما كنت أردت الزحف على الحرمين الشريفين ، وأخرى حينما هجمت على قافلة الحجاج وغدرت بهم ، وها أنا ذا انتصر اليوم لمحمد -ﷺ- على غدرك واستخفافك بالمقدسات . قال ذلك وسلّ سيفه وضرب عنق ريجي نالد بيده وفاءً لنذره » (السلطان صلاح الدين ، والنوادر السلطانية لابن شداد) .

ومع هذه الغيرة الشديدة على شخصية الرسول -ﷺ- والحب الخالص له يتم الإيمان ويخلص الإسلام ، ويعيش المرء مسلماً مطيعًا لله وللرسول ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ وقد أمر -ﷺ- بأن يخبر المسلمين بالصلة العميقة الدقيقة التي هي بينه وبين الله تعالى ، صلة

ويُعرض ما يصدر منهما من سوانح الأفكار والآراء، كأنه عقيدة مسلم عاش الإسلام وجربـه ، ثم وجده مضادًا لطبيعة البشر ، وممثلا لأهبط الأخلاق وداعيًا إلى الرذائل ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم • إن يقولون إلا كذبًا ﴾ .

ومن خلال هذه السياسة الرخيصة يريد أعداء الإسلام أن يأتوا على الإسلام ويحطموه عقيدةً وشريعةً ، ثم يرفعوا على أنقاضه صرح الديانة النصرانية ويخضعوا العالم كله أمام دولة نصرانية موحدة ، ترتفع أعلامها على أركان العالم الأربعة ، وتلتجئ جميع شعوب الدنيا تحت رأيتها طوعًا أو كرهًا ، وقد قام لإنجاز هذا المشروع جماعة من المرتزقة ممن ينتمون إلى الأسر والعائلات المسلمة وهم يتظاهرون بأنهم مسلمون ، وإن كانوا قد مرقوا من الدين الإسلامي وارتدوا عنه من أول رشدهم ، وإن كانوا يسمون أنفسهم بأسماء إسلامية ، ولكنهم لا علاقة لهم بالإسلام أو بالمسيحية إنما هم عبيد أرقاء يحنون رؤسهم أمام كل مطمع وغرض خسيس ، ولا يتلكأون شيئًا عن خرق أكرم عرض ودوس أعظم كرامة ، ولقد رصدت الدول الغربية مبالغ هائلة تصرفها في أغراض تنصيرية في المجتمعات الإسلامية ، وقد بلغت ميزانية التنصير في الفترة الأخيرة إلى ١٤٥ بليون دولار تصرف على التنصير وخدمة المتنصرين والقائمين بدور الهدم والتخريب وتشويه تاريخ الإسلام النقي .

لقد أدرك الغرب المناوئ أن أخصر طريق (Short way) للتوصل إلى أغراضهم التافهة ضد الإسلام ، هو الهجوم على السيرة النبوية الزكية والخلق العظيم الذي أكرم الله سبحانه به نبينا محمدًا -ﷺ- ، وشهد له بذلك في كتابه العظيم بقوله : ﴿ وإنك لعلى خُلق عظيم ﴾ والنيل من

فعلّق عليه صاحب « الصوت الصارخ » ردًا على الناشر قائلاً :

« نحن نقدر تحمسك هذا ودفاعك عن الله والمسيح - ولكن ، إن كنت صحيحًا تريد إظهار الحق بالبحث العلمي ،أنت والخواجة ديدات وغيركم ممن يجيدون الترجمة واللغة الإنجليزية ، وتريدون إظهار الحق ، فلماذا لا تحاولون الرد على الكتب ، بهذه اللغة أو لغات أخرى ، والمنتشرة في العالم كله ، والتي تتعرض للدين الإسلامي ولمحمد -ﷺ- وزوجاته الاثنتي عشرة ... وأهمها كتاب « آيات شيطانية - SATANIC VERSES » من تأليف الكاتب الكبير الهندي والمسلم (سلمان رشدي) والذي جاء وقت باع منه الملايين ، وترجم ، ولا يزال يترجم بلغات كثيرة - حتى اليابانية - وكم نسخة طبعتَ أنت أو غيرك من تلاميذ الخواجة ديدات من كتبه الهابطة بالمقارنة إلى كتاب (سلمان رشدي) .

وقد يكون لكم عذر ، لأنكم لم تقرأوا هذا الكتاب « آيات شيطانية » وإنني يسرني أن أورد لكم ما جاء (المهم) في هذا الكتاب القيم باللغة الإنجليزية ، حتى تتكاتفوا أيها المسلمون والدعاة الغيورون وتردّوا عليه » .

وبعد هذا التحدي الصارخ الذي وجهه نحو المسلمين ودعاتهم الغيارى ، وطلب منهم أن يردوا على ما جاء في هذا الكتاب المرذول ، قدم نماذج عديدة منه ، كلها اختلاق وكذب وبهتان لا تمت إلى الحقائق التاريخية والأمانة العلمية بأي صلة ، إنما هي أعظم مثال للخبث والانهزامية ، والافلاس العقلي ، وتصوير كامل للالتهاث كما يلهث الكلب ، إذا أعيا والتصق بالأرض .

ليس ما كتبه هذا الشقي شيئًا مما يرد عليه ، ذلك لأن هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

عملاء الغرب أمام تحدي الإسلام

سيطلع القارئ الكريم خلال قراءته لهذا العدد ضمن مقال بعنوان « القلب وثقل الأمانة » على رسالة مرذولة بعث بها أحد المتنصرين من مصر ، يقيم في أمريكا ، وينتمي إلى جمعية المسلمين للمسيح ، التي تسمّى بـ « الصوت الصارخ » بعثها إلى دار المختار الإسلامي للنشر والتوزيع في القاهرة ، وقد زعم هو في رسالته أن كتاب « الله في العقيدة المسيحية » الذي ألفه الداعية الإسلامي الأفريقي الشهير ، أحمد ديدات ، ليس من تأليفه البتة ، بل هو من « بنات أفكار » صاحب المختار الإسلامي ، الذي كتبه باللغة العربية ونماه إلى أحمد ديدات ترويجًا لبضاعته ، وتضليلا للرأي العام .

وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب « الله في العقيدة المسيحية » بقلم الناشر الذي أبدى انطباعه عن الموضوع ما يأتي : « سنناقش ذلك بهدوء ، مراعين اتخاذ كل طرق البحث العلمي ، حتى يتسنى لنا إظهار هذه العقيدة (المسيحية) للناس جميعًا ، ولإقامة الحجة عليهم ، ولدحض شبهاتهم التي بها يدافعون عن عقيدتهم ، ويذبّون عن أنفسهم براثن الكفر والإلحاد ، وينفونه عنهم ، بالرغم من أنهم وحلوا في الكفر ، وغرقوا في براثن الوثنية اللادينية ، واستقوا من عقائد الوثنية ، من البوذية وغيرها ، والفلسفة الاغريقية الوثنية ، ما جعلوا منه دينًا وثنيًا ، الله سبحانه وتعالى شأنه منه بريئ ، وعيسى منه بريئ » .

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد العاشر

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

رجب - شعبان ١٤١٦هـ
ديسمبر ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإســلامـــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93. Lucknow (INDIA)

ولقد كانَ المؤلف الفاضل موفقًا كل التوفيق في إخراج هذا الكتاب الذي يحكي عن حياة هذا الإمام بجوانبها المشرقة ، إنه تحدث فيه عن عصره وعن الأحوال التي توافرت فيه اجتماعيًا وسياسيًا ، وعلميًا ، ففي الفصل الأول قام بتعريف شخصيته ، والأسرة التي ولد فيها وامتيازاتها التي كانت تتميز بها ، أما في الفصل الثاني فتحدث عن شيوخه وتلاميذه ، وفي الفصل الثالث تناول ثقافته الواسعة ومؤلفاته الجليلة ، ثم أقبل في الأخير على الحديث عن أقرانه والعلماء الذين دارت بينه وبينهم مناقشات علمية ودينية ، وفي مقدمتهم العلامة الأمير صديق حسن خان صاحب المؤلفات القيمة في العلوم الإسلامية ، الذي ليس غريبًا على الأوساط العلمية والدينية في العالم .

وهكذا جاء هذا الكتاب وافيًا للغرض وحاويًا الجوانب المهمة التي يحتاج إلى معرفتها الباحثون والمؤلفون ، وما دام هذا الكتاب جزءًا من الرسالة التي أعدها المؤلف الفاضل لنيل شهادة الدكتوراة ، فإن رسالته ستكون أشمل كتاب لحياة الامام اللكنوي ، وأجدر بأن تكون زيادة قيمة في المكتبة الإسلامية وفي تراجم العلماء والأئمة والمحدثين والفقهاء الكبار في تاريخ الإسلام .

وقد شهدت جماعة من العلماء المحققين في عصرنا هذا بشرف مكانة الإمام اللكنوي في العلوم الإسلامية ونظره الفاحص في الحديث وأصوله ، واطلاعه الواسع في الفقه وأصوله ، وفي المباحث العلمية الدقيقة ، ولذلك فقد أكرمه الله تعالى بتخليد مآثره الدينية والعلمية ، ورزقها من القبول ما يماثل أعمال المتقدمين من أعلام العلماء والمحدثين .

والله ولي التوفيق ...

كتب حديثة :

الإمام عبد الحي اللكنوي

علامة الهند و امام المحدثين والفقهاء

قلم التحرير

أهدى إلينا الأخ الفاضل الدكتور وليّ الدين الندوي هذا الكتاب القيم الذي هو جزء من الرسالة التي أعدها المؤلف بإشراف الدكتور مصطفى الصاوي الجويني بالجامعة الاسكندرية في مصر ، لنيل شهادة الدكتوراة .

تحدث المؤلف الفاضل في هذا الكتاب الذي أصدرته دار القلم بدمشق ، عن حياة الإمام عبد الحي اللكنوي العلمية . ذلك الرجل العبقري الذي عُرف في بلاد الهند وخارجها بغزارة مادته وتبحره في العلوم الشرعية ، ونظره الشمولي في المذاهب الفقهية ، وبتعمقه في أسرار وحقائق الشريعة الإسلامية من خلال الكتاب والسنة . فقد وفقه الله تعالى رغم قصر عمره إلى اهتمام كبير بتأليف مؤلفات قيمة حول السنة والفقه وأصولهما والعقائد والفرائض والتاريخ والتراجم . والمنطق والحكمة . والمناظرة . وعلوم العربية . ولم يكتف بالتأليف والتدوين بل وقد ناقش معاصريه وأقرانه من العلماء في المسائل العلمية والدينية . وبرز بذلك اماماً كبيراً في العلوم الدينية والشرعية ، وعبقرياً سجل التاريخ العلمي لهذه البلاد مآثره ومواهبه النادرة بمداد من نور . وقد استفادت منها الأوساط العلمية والدينية وأقبل كبار العلماء المعاصرين على تحقيق بعض مؤلفاته القيمة ونشر مواده العلمية .

[illegible]

وهذه هي نقطة هامة خطيرة ، تلتقى فيها الجامعة الإسلامية العربية بجامعة ندوة العلماء المؤقرة التي تتشرف برعاية سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - حفظه الله تعالى - .

وتحدث بعدها فضيلة الأستاذ عبد الله الحسني الندوي ، وقدم تعريفًا بخدمات سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، ومآثره العلمية ، وأسدى إلى الطلاب بهذه المناسبة نصائح غالية ، وبعد كلمته تحدث سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، وأعرب عن بالغ سروره وفرحه بهذه الزيارة التي أتاحها الله سبحانه وتعالى ، لهذه الجامعة الإسلامية التي تقوم بحاجات المسلمين العلمية والدينية في المنطقة الشمالية لولاية أترابراديش .

وأكد على الطلاب بهذه المناسبة أن يستفيدوا مما تهيئ لهم هذه المؤسسة التعليمية الشهيرة ، ويعرفوا مكانتهم ودرجتهم الرفيعة عند الله ، فإن منزلتهم أعلى وأرفع من أولئك الطلاب الذين يدرسون في الجامعات الرسمية أو جامعات أمريكا وبريطانيا ، وجامعة كيليفورنيا ، وينهضوا لإحباط المؤامرات التي تحاك خيوطها بغاية من الدقة والبراعة من القوى الغربية الهدامة ، للقضاء على الصحوة الإسلامية ، ولإخراج الإسلام عن ميادين الحياة وشئونها .

وهذه هي فريضتهم الدينية ، و وظيفتهم الأساسية ، فعليهم أن يضحوا بنفوسهم ونفائسهم لتحقيق هذا الغرض ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ .

هذه هي نقطة هامة غابت عن أذهان المسلمين اليوم ، فوقعوا فريسة المؤامرات والدسائس ، ومنوا بشتى المشاكل والمصاعب .

وانتهى الحفل بكلمة شكر من مدير الجامعة ، وكانت مناسبة سارة

-والحمد لله-

أخبار علمية و ثقافية :

وفد ندوة العلماء يزور الجامعة الإسلامية بأجراره - بمديرية ميرت

الأستاذ محمد شاهجهان الندوي

استقبلت الجامعة الإسلامية العربية بأجراره في مديرية ميرت ، لولاية أترابراديش (الهند) مسئولين وأعضاء وأساتذة وطلابًا صباح يوم الـ س ٥/٢/١٤١٦هـ المصادف ٣/من شهر أغسطس ١٩٩٥م ضيوفًا كرامًا ينتمون إلى جامعة ندوة العلماء بلكناؤ .

وهم سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، وصاحب الفضيلة عبد الله الحسني الندوي ، وفضيلة الأستاذ عبد العزيز البتكلي الندوي .

شرّف هؤلاء الضيوف الكرام الجامعة في الساعة التاسعة وقاموا بجولة في الجامعة وزاروا المكتبة العامة ، ومختلف أقسامها وصفوفها ، وألموا بالنشاطات التعليمية والتربوية ، والأعمال الدعوية للجامعة ، و وضعوا حجر الأساس للمطهى .

ونظم النادي العربي لطلاب الجامعة بعد صلاة الظهر حفل تكريم وترحيب بالضيف الجليل سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي في مسجد الجامعة برئاسة فضيلة مديرها الشيخ عبد الله المغيثي ، قُدمت فيها كلمة شكر وترحيب ، وجاء فيها : « إن خدمات جامعة ندوة العلماء في حقول الدعوة ، وميادين التعليم والتربية ، ليست خافية على أحد ، فقد خرجت قوافل من الدعاة إلى الله ، والكتاب الإسلاميين ، الذين لهم دور طليعي في إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ونشر التوحيد الخالص النقي ، والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإلهية العادلة الرحيمة ، في أسلوب عصري جذّاب ، والصمود أمام التيارات الهدامة والحضارة الغربية .

دولة ، متخلف ، أو مقيد عن العمل ، في هذا القطاع الهام للتأثير على النفوس ولعرض قضايا المسلمين على جميع المستويات ، ومهما تكن من أسباب لهذا التقيد ، فإن إغفال هذا القطاع يؤدى إلى الانعزال للعالم الإسلامي .

لقد كان من بواعث سيادة اليهود اقتحامهم في قطاع الاعلام ، وقد اتخذوا قرار الاستيلاء على الاعلام وهم أمة منعزلة ، في عام ١٩٢٥م ، وتوجهت إليه عناية أثريائهم ، فأثبتوا للعالم باعلامهم المنظم أنهم اضطهدوا ، أن حقوقهم ضاعت ، وأنهم أمة تائهة ، فكسبوا عطف العالم ، ولا يزالون يسيرون على هذا الخط ، وهم يملكون الآن وسائل الاعلام بجميع أقسامها ، ويفهم العالم الأوضاع من رؤيتهم ، إنهم سيطروا لتحقيق هذا الهدف على وسائل الاعلام ، وقاموا بشراء معظم الجرائد والمجلات العالمية ، ومنظمات الاعلام ، و وكالات الأنباء ، وأدخلوا عقائدهم فيها ، قاموا بشراء الضمائر ، واستمالوا الكتاب والصحفيين ، والعقلاء ، لتقديم تصورهم عن العالم رغم أنهم يشكلون دولة صغيرة محاطة بالدول الكبرى المعاندة ، لكن كلمتهم تنفذ إلى تلك الدول ، وتسمع بجانب دول العالم الأخرى .

لقد ضاعت قضية المسلمين في هذا العصر رغم شرعيتهم ، ورغم كون قضيتهم قضية عادلة ، لإهمالهم هذه الأداة ، الفعالة في التوعية ، وتعبئة الرأي العام ، فهم يعانون الاضطهاد والظلم ، ويعرف العالم انهم هم الإرهابيون ، وهم المخربون ، وسيبقى هذا الوضع ما لم يتخذ إجراء لردع الإعلام المعاند لهم ، ولعرض قضيتهم بقوة ، وثقة بالنفس .

٧٧٧

وبجانب الاعلام والمخابرات التي تقوم بنقل هذه الأحداث إلى حكام العالم الغربي ، لتمكنهم من الهيمنة على العالم ، وفرض نظامهم عليه . تقوم السفارات لهذه الدول أيضًا بوظيفة الاعلام والاستعلام ، فإنها أيضًا أداة قوية عاملة للاستخبار والاطلاع ، وابلاغ حكوماتها بالوضع السائد والاتجاهات الساحقة في البلدان التي تعمل ، ويختلط رجالها بالعناصر المختلفة ، ولا تقتصر صلاتهم برجال الأعمال ، ورجال الحكومة ، بل تتعدى علاقاتهم برجال مجتمعات شعبية مختلفة ، ليتعرفوا على الأوضاع المحلية ، لتكون حكوماتهم على معرفة تامة ، ولكل حكومة مصلحة سياسية وتجارية ، وكذلك لها عقيدة تتمسك بها ، وهكذا تمثل السفارات دورًا ملحوظًا في ربط دول العالم ، ولذلك يتجه الاهتمام الأول إلى فتح السفارات وملحقاتها المختلفة ، وتصدر هذه السفارات نشرات لتطلع سكان البلد الذي تقوم فيه على أحداث بلدها ، وتتابع ما ينشر في ذلك البلد ، وتقيم اتصالا بالأفراد والجماعات ، والصحفيين والكتاب في البلدان التي تعمل فيها .

وللدول الأوربية في هذا المجال نشاط ملحوظ ، ونظام دقيق ، ولها صلة وثيقة بالطبقات المختلفة ، وقد دخلت في هذا المضمار إسرائيل ولها نشاط كبير ، وسفارتها أو قنصليتها تؤدى مسئوليتها بدقة وحذر ، واجتهاد بالإضافة إلى المنظمات الاجتماعية والاقتصادية التي لا تؤدى وظائفها الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل تقيم علاقاتها مع رجال الحياة العامة ، وتؤدى خدمة كبيرة في إقامة صلات وثيقة ، وفي جمع الأخبار .

من سوء الحظ ، إن العالم الإسلامي بدوله التي يزيد عددها على خمسين

العالم ، أو البلاد أو المجتمعات ، وتكون منها صورة ، وتصطنع أسطورة وتنقل إلى الحكام ليرسموا سياستهم في ضوئها .

وقد ركز الاعلام اهتمامه على ما يسميه بالخطر الإسلامي ، فيرى من وظيفته أن ينقل إلى المسئولين في الغرب كل ما يحدث في العالم الإسلامي ، وتساعده فيه المخابرات العالمية ، فتقوم بعملية التمشيط والتنقيب عن أذهان الشباب والكهول ، وخواطر الحكام والمحكومين ، وتعرف أوربا بكل من ثار على الإسلام ، أو تحمس له ، فإذا اعتدى أحد على الإسلام نال أمره اهتمام القيادات السياسية في الدول الأوربية ، فتسرع إلى إعلان حمايتها لذلك المارد ، وتتدخل في المسألة وتعلن استعدادها لمنحه اللجوء السياسي ، وتأمين سلامته ، وكانت قضية أبو نصر في مصر الذي أدين في محكمة الاستيناف القضية الأخيرة لا الآخرة ، بعد قضية تسليمه نسرين وسلمان رشدي وآخرين .

وتدل هذه المواقف على المعرفة الدقيقة لا تجاه العالم ومراقبة ما يحدث فيه ، كما تدل على انحياز الحكومات في أوربا انحيازًا كاملاً في مسألة الدين ، وقد أعلنت الحرب على الأصولية الإسلامية ، والإرهاب الإسلامي أخيرًا ، وهي أيضًا خطوة متقدمة من خطوات موقف أوربا العدائي للإسلام ، والموالي للمسيحية ، وتلعب وسائل الاعلام فيها دورًا رائدًا فتلتقط هذه الأحداث المنعزلة في العالم ، وتفخمها وتبرزها وتحلل عناصرها ، وتجعلها قضية حاسمة ، وتحدث الحرارة فيها ليحدث بها انفعال في أوساط الغرب المسيحي ، وتضطر الحكومات إلى التدخل ، ولا يمنعها من التدخل ستار العلمانية الذي تتخذه منذ قرون ، وتعلنه الدول المحبة للتقدم .

كله ، واهتزت الحكومة الباكستانية ، و واجهت تهديدات خطيرة من دول العالم الغربي الذي يدعى بالعلمانية وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، وظهرت لافتات حرية التعبير ، والحرية الشخصية والإكراه الديني ، واتهم الإسلام والمسلون بالتحجر والتزمت والإكراه ، واضطرت الحكومة إلى إطلاق سراحهما وإرسالهما إلى بلد أوربي ، وبعد فترة حدث أن قتل ولد مسيحي في باكستان في حادث لم يكن إلا جريمة من الجرائم العادية ، التي لا صلة لها بالدين والعقيدة ، فحولت وسائل الاعلام العالمي هذا الحادث قضية القمع الديني ، واضطهاد الأقليات في بلد إسلامي ، وتدخلت الحكومات الأوربية كما تدخلت في قضية المسيحيين اللذين أدينا في تهمة الإساءة إلى ذات الرسول -ﷺ- .

كان حادث مماثل حدث في الهند ، فقد تعرضت جماعة من الرهبان والراهبات في جنوب الهند لحادثة ، أثناء الاضطرابات الطائفية ، ولم يكن الهجوم عليهم موجها إليهم ، وإنما كان نتيجة لسوء فهم ، وصارت هذه الحادثة قضية بين الهند وبعض الدول الأوربية ، واتخذت خطورة تهدد العلاقات بين البلدين .

ومما يستغرب أن بعض الأحداث التي لا تحمل أهمية كبيرة ، تفخمها وسائل الاعلام ، وتشترك فيها الحساسية الزائدة التي يعاني منها المجتمع الأوربي ، وتتجاوز هذه الحساسية إلى الحكومات ، وتتضخم وتبحث وتناقش في البرلمانات ، وفي الاجتماعات العلمية والاقتصادية والعسكرية ، وتتخذ شكل خطر يهدد سلامة أوربا كلها ، وقد تكون بعض الأحداث منفصلة ومنعزلة ، تجمعها وسائل الاعلام من مختلف بقاع

[illegible]

صــور و أوضـــاع :

فراغ في الاعلام والاستعلام

واضح رشيد الندوي

إن الأحداث التي تقع على المسرح العالمي ، إن اختلفت في طبيعتها ومواضعها ، وبواعثها ، وإن ظهرت بعيدة عن المساس بالمسلمين مباشرة لبعدهم عنها ، أو لعدم تورطهم فيها ، لا تخلو من التأثير على المسلمين إيجابيًا أو سلبيًا ، ولا يستطيع المسلمون أن يغفلوها ، أو يعتبروا أنفسهم في نجوة من ملابساتها ، فإن العالم اليوم بفضل تسهيلات المواصلات والاتصالات التي تعبر القارات ، وتخرق سرعة الضوء والصوت ، والعناصر التي تتمتع بالسيادة العالمية ، وتتحكم في مصير العالم ، وتصرف الأمور في دول لا تخضع لسيادتها ، وتتخطى سيادتها الحدود الجغرافية ، عالم موحد متشابك بعضه ببعض ، ومصالح منطقة واحدة مرتبطة ، بمصالح منطقة أخرى ، فيتأثر الإنسان الذي يعيش في أقصى الشرق ، بما يحدث في أقصى الغرب ، وإن لم يكن هذا التأثر عمليًا والانعكاس فعليًا ، كان ذهنيًا وشعوريًا ، وقد ضيقت المسافات والفواصل التي كانت بين مختلف مجتمعات الإنسان جغرافيًا ، وثقافيًا ، الوسائل المعاصرة ، ولا تنقل أحداث منطقة إلى أخرى ، والأحاسيس والمشاعر التي تختلج في صدور رجال مجتمع إلى أذهان رجال مجتمع آخر ، بوسائل الاعلام ومواد القراءة فحسب ، بل كان تنقل الرجال والوفود ، والبعثات من مكان إلى مكان ، واختلاط رجالها برجال منطقة أخرى عاملاً آخر لنقل الأفكار والميول والنزعات ، وتدرك الدول الكبرى مدى هذا

انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر ، فقالا : طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه ، قال عبد الله بن عمر : ولم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص قال قال فذكر لي أخي انه قد سكر فقلت له ادخل الدار أطهرك فآذنني أنه قد حدث الأمير قال عبد الله بن عمر فقلت والله لا يحلق اليوم على رؤوس الأشهاد ادخل أحلقك وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخل معي الدار ، قال عبد الله : فحلقت أخي بيدي ثم جلدهم عمرو بن العاص ، فسمع عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - فكتب إلى عمرو أن ابعث إلى بعبد الرحمن بن عمر على قتب ففعل ذلك عمرو ، فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه ثم أرسله فلبث شهرا صحيحًا ، ثم أصابه قدره فتحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده ، قلت لا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر وإنما شرب النبيذ متأولا يظن أن الشرب منه لا يسكر وكذلك أبو سروعة وأبو سروعة من أهل بدر فلما خرج بهما الأمر إلى السكر طلبا التطهير بالحد وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط غير أنهما غضبا لله سبحانه على أنفسهما المفرطة فأسلماها إلى إقامة الحد ، وأما كون عمر أقام الحد، على ولده فليس ذلك حدًا ، وإنما ضربه غضبًا وتأديبًا وإلا فالحد لا يكرر

وقد أخذ هذا الحديث قوم من القصاص فابدوا فيه وأعادوا فتارة يجعلون هذا الظن - الحد - مضروبًا على شرب الخمر وتارة على الزنا ويذكرون كلامًا ملفقًا يبكي العوام لا يجوز أن يصدر عن مثل الخمر ، وقد ذكرت الحديث بطرقه في كتاب الموضوعات ونزهت هذا الكتاب عنه .

٧٧٧

ورأس أبي سروعة ، فوالله ما كتبت إلى عمر بشئ مما كان حتى إذا تحينت كتابه إذ هو نظم فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمين إلى العاص بن العاص ، عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك على وخلاف عهدي ، أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك وأخير لك،بجرأتك عني وإفقاد عهدي وأراك تلوثت بما تلوثت فما أراني إلا عازلك فمسئ عزلك ، تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك ، وقد عرفت أن هذا يخالفني ، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلين ، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع ، فبعثت به كما قال أبوه وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه وكتبت إلى عمر كتابًا أعتذر فيه وأخبره إني ضربته في صحن داري وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على الذمى والمسلم ، وبعث بالكتاب مع عبد الله بن عمر ، قال أسلم : فقدم بعبد الرحمن على أبيه فدخل عليه وعليه عباءة ولا يستطيع المشى من مركبه فقال يا عبد الرحمن فعلت كذا وفعلت السياط ، فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال : يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد مرة فلم يلتفت إلى هذا عمر وزبره ، فجعل عبد الرحمن يصيح أنا مريض وأنت قاتلي فضربه وحبسه ثم مرض فمات رحمه الله ، عن عبد الله بن عمر قال شرب عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث ونحن بمصر في خلافة عمر - رضوان الله عليه - فسكرا ، فلما أصبحا

(١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الزبير بن بكار أن عبد الرحمن الأوسط من أولاد عمر كان يُكنى أبا شحمة وعبد الرحمن هذا كان بمصر خرج غازيًا ، فاتفق أنه شرب ليلة نبيذًا فخرج إلى السكر فأصبح فجاء إلى عمرو بن العاص فقال له : أقم علي الحد ، فامتنع ، فقال له : إني أخبر - أني - [أبي] إذا قدمتُ عليه ، فضربه الحد في داره ولم يخرجه ، فكتب إليه عمر يلومه في مراقبته لعبد الرحمن ويقول : ألا فعلت به ما تفعل بجميع المسلمين فلما قدم على عمر ضربه ، واتفق أنه مرض فمات ، هذا الذي ذكره محمد بن سعيد في الطبقات وغيره ، وليس بعجيب أن يكون شرب النبيذ متأولا فسكر عن غير اختيار ، وإنما لما قدم علي عمر ضربه ضرب تأديب لا ضرب حد ، ومرض بعد ذلك لا من الضرب ومات ، فلقد أبدوا فيه القصاص وأعادوا ..

وفي الإسناد الأول من هو مجهول ثم هو منقطع ، وسعيد بن مسروق من أصحاب الأعمش [فأين هو] وعمر ، وكذلك الإسناد الثاني فيه مجاهيل ، قال الدارقطني : حديث مجاهد عن ابن عباس في حد أبي شحمة ليس بصحيح ، وأما الإسناد الثالث فإن عبد القدوس كذاب ، قال ابن حبان : كان يضع الحديث على الثقاة ، لا يحل كتب حديثه ، وأما صفوان الراوي عن عمر فبينه وبين عمر رجال ، والمتهم بهذا الحديث الرجال الذين في أول الإسناد ، ولا طائل في الإطالة بجرح رجاله ، فإنه لو كان رجاله من الثقاة عُلم أنه من الدساسين لما فيه مما يتنزه عنه الصحابة ، فكيف ، وليس إسناده بشيء (١) .

----

(١) كتاب الموضوعات ، الجزء الثالث لابن الجوزي : ص/٢٦٩-٢٧٥ .

نذر واجب لئن ألبس الله -عزوجل- ابني العافية أن أصوم ثلاثة أيام ، وقالت والدته مثل ذلك . فلما أن قام من مرضه أضافه نسيكة اليهودي ، فأتوه بنبيذ التمر فشرب منه . فلما طابت نفسه خرج يريد منزله ، فدخل حائطًا لبني النجار ، فإذا هو بامرأة راقدة فكابدها وجامعها . فلما قام معها شتمته وخرقت ثيابه وانصرفت إلى منزلها » وذكر الحديث بطوله .

هذا حديث موضوع . كيف رُوى ومن أي طريق نُقل ؟ وضعه جهال القصاص ليكون سببًا في تبكية العوام والنساء . فقد أبدعوا فيه وأتوا بكل قبيح ونسبوا إلى عمر ما لا يليق به . ونسبوا الصحابة إلى ما لا يليق بهم . وكلماته الركيكة تدل على وضعه . وبُعده عن أحكام الشرع يدل على سوء فهم واضعه وعدم فقهه . وقد تعجل واضعه قذف ابن عمر بشرب الخمر عند اليهودية . ونسب عمر إلى أنه أحلفه بالله ليقر . وحُوشي عمر. لأنه لو رأى أمارة ذلك لصدف عنها فإن ما عزًا لما أقر أعرض عنه رسول الله -ﷺ- . فلما أعاد الإقرار أعرض عنه إلى أن قال له : أبك جنون . وقد قال : « ادرأوا الحدود ما استطعتم » وقال عمر لرجل : أقر بذنب عند رسول الله -ﷺ- « لقد سترك الله لو سترت نفسك » وكيف يحلف عمر ولده بالله هل زنيت . هذا لا يليق بمثله . وما أقبح ما زينوا كلامه عند كل سوط . وذلك لا يخفى عن العوام أنه صنعه جاهل سوقي . وقد ذكر أنه طلب ماء فلم يسقه . وهذا قبيح في الغاية . وحكوا أن الصحابة قالوا : أخر باقي الحد . وأن أم الغلام قالت : أحج عن كل سوط . وهذا كله يتحاشى الصحابة عن مثله . ومنام حذيفة أبرد من كل شئ . ثم شبهوا أبا شحمة برسول الله -ﷺ- . ثم قذفوه بالفاحشة . ولعمري إنه قد ذكر

حجة ماشية»، وأتصدق بكذا وكذا درهمًا». قال : إن الحج والصدقة لا تنوب عن الحد . يا غلام أتم الحد . فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتًا . فقال عمر : يا بني محص الله عنك الخطايا . وجعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول : بأبي من قتله الحق . بأبي من مات عند انقضاء الحد . بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه .! فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا . فم يُرَ يوم أعظم منه . وضج الناس بالبكاء والنحيب . فلما كان بعد أربعين يومًا أقبل عليه حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال : إني أخذت وِردي من الليل فرأيت رسول الله -ﷺ- في المنام وإذا الفتى معه حلتان خضراوان . فقال رسول الله -ﷺ- : أقرئ عمر مني السلام وقل له : هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود . وقال الغلام : أقرئ أبي مني السلام وقل له : طهرك الله كما طهرتني . والسلام».

حُدثت عن هارون بن طاهر أنبأنا صالح بن أحمد بن محمد في كتابه حدثنا أبو الحسين علي بن الحسين الرازي إملاءًا حدثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد المروزي حدثنا محمد بن أحمد بن صالح التيمي حدثني الفضل بن العباس حدثني عبد العزيز بن الحجاج الخولاني قال أبو الحسين - هكذا قال - وهو عندي عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان عن عمر أنه كان له ابنان يقال لأحدهما عبد الله والآخر عبيد الله . وكان يُكنى أبا شحمة . وكان أبو شحمة أشبه الناس برسول الله -ﷺ- تلاوة للقرآن الكريم . وأنه مرض مرضًا . فجعل أمهات المؤمنين يَعدنه . فبيناهن في عيادته قلن لعمر : لو نذرت على ولدك كما نذر عليّ بن أبي طالب على ولده الحسن والحسين فألبسهما الله العافية . فقال عمر : عليّ

يبكى : ربك يرحمك ، وإنما هذا كي يرحمني ويرحمكَ ، ثم قال : ياأفلح اضرب ، فضرب أول سوط ، فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : نعم الاسم سميتَ يا بني ، فلما ضربه به ثانية قال : أوّه يا أبة ، فقال عمر : اصبر كما عصيت ، فلما ضرب ثالثًا قال : الأمان ، قال عمر : ربك يعطيك الأمان ، فلما ضربه رابعًا قال : واغوثاه ، فقال : الغوث عند الشدة ، فلما ضربه خامسًا حمد الله ، فقال عمر : كذا يجب أن تحمده ، فلما ضربه عشرًا قـــال : يا أبة قتلتني قال : يا بني ذنبك قتلك ، فلما ضربه ثلاثين قال : أحرقت والله قلبي ، قال : يا بني النار أشد حرًا ، قال : فلما ضربه أربعين قال : يا أبة دعني أذهب على وجهي ، قال : يا بني إذا أخذت حد الله من جنبك اذهب حيث شئت ، فلما ضربه خمسين قال : نشدتك بالقرآن لما خليتني ، قال : يا بني هلا وعظك القرآن وزجرك عن معصية الله -عزوجل- ، يا غلام اضرب ، فلما ضربه ستين قال : يا أبي أغثني ، قال : يا بني إن أهل النار إذا استغاثوا لم يُغاثوا ، فلما ضربه سبعين قال : يا أبة اسقني شربة من ماء ، قال : يا بني إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد -ﷺ- شربة لا تظمأ بعدها أبدًا ، يا غلام اضرب ، فلما ضربه ثمانين قال : يا أبة السلام عليك ، قال : وعليك السلام ، إن رأيت محمدًا -ﷺ- فأقرئه مني السلام وقل له : خلفتُ عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود ، يا غلام اضربه ، فلما ضربه تسعين انقطع كلامه وضعف ، فوثب أصحاب رسول الله -ﷺ- من كل جانب فقالوا : يا عمر انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر ، فقال : كما لا تؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة ، فأتى الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة ، وقالت : يا عمر أحج بكل سوط

[illegible]

حتى بلت خمارها بالدموع ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين إن لم يكن ولدك من ظهرك فهو ولد ولدك ، قال : أيّ أولادي ؟ قالت : أبو شحمة ، قال : أبحلال أم بحرام ؟ قالت : من قبلي بحلال ومن جهته بحرام ، قال عمر : وكيف ذاك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي فوالله ما زدت عليك حرفًا ولا نقصت ، فقال لها : اتقى الله ولا تقولي إلا الصدق ، قالت : يا أمير المؤمنين كنت في بعض الأيام مارة في بعض حوائجي إذ مررت بحائط لبنى النجار ، فإذا أنا بصائح يصيح من ورائي ، فإذا أنا بولدك أبي شحمة يتمايل سكرًا ، وكان قد شرب عند نسيكة اليهودي ، فلما قرب مني توعّدني وتهدّدني وراوَدَني عن نفسي وجرّني إلى الحائط فسقطت وأغمى عليّ ، فوالله ما أفقت إلا وقد نال مني ما ينال الرجل من امرأته ، فقمت وكتمت أمري عن عمي وجيراني ، فلما تكاملت أيامي وانقضت شهوري وضربني الطلق وأحسست بالولادة خرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام فهممت بقتله ثم ندمت على ذلك ، فاحكم بحكم الله بيني وبينه ، قال ابن عباس : فأمر عمر - رضي الله عنه - مناديه ينادى ، فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال : يا معاشر المهاجرين والأنصار لا تتفرقوا حتى آتيكم بالخبر ، ثم خرج من المسجد وأنا معه ، فنظر إلي وقال : يا ابن عباس أسرع معي ، فجعل يسرع حتى قرب من منزله فقرع الباب فخرجت جارية كانت تخدمه ، فلما نظرت إلى وجهه وقد غلبه الغضب قالت : ما الذي نزل بك ؟ قال يا هذه ولدي أبو شحمة ههنا ؟ قالت : إنه على الطعام ، فدخل وقال له : كل يا بني فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا ،.قال : قال ابن عباس : فرأيت الغلام وقد تغير لونه

النيسافوري أنبأنا أبو سعد عبد الكريم بن أبي عثمان الزاهد حدثنا أبو القاسم بن بالويه الصوفي حدثنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى حدثنا أبو حذيفة عن شبل عن مجاهد قال :

« تذاكر الناس في مجلس ابن عباس ، فأخذوا في فضل أبي بكر ، ثم أخذوا في فضل عمر بن الخطاب ، فلما سمع عبد الله بن عباس بكى بكاءً شديدًا حتى أغمى عليه ، ثم أفاق فقال : رحم الله رجلاً لم تأخذه في الله لومة لائم ، رحم الله رجلاً قرأ القرآن وعمل بما فيه وأقام حدود الله كما أمر، لم يزد عن القريب لقرابته ، ولم يخف عن البعيد لبعده ، ثم قال : والله لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه ، ثم بكى وبكى الناس من حوله وقلنا : يا ابن عم رسول الله إن رأيت أن تحدثنا كيف أقام عمر على ولده الحد ، فقال : والله لقد أذكرتمونى شيئًا كنت له ناسيًا ، فقلت : قسمنا عليك بحق المصطفى إما حدثتنا ، فقال : معاشر الناس ، كنت ذات يوم في مسجد رسول الله -ﷺ- وعمر بن الخطاب جالس والناس حوله يعظهم ويحكم فيما بينهم ، فإذا نحن بجارية قد أقبلت من باب المسجد ، فجعلت تتخطى رقاب المهاجرين والأنصار حتى وقفت بإزاء عمر فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال عمر : وعليك السلام يا أمة الله ، هل من حاجة ؟ فقالت : نعم أعظم الحوائج إليك ، خذ ولدك هذا مني فأنت أحق به مني ، ثم رفعت القناع فإذا على يدها طفل ، فلما نظر إليه عمر قال : يا أمة الله أسفرى عن وجهك فأسفرت ، فأطرق عمر وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا هذه أنا لا أعرفك ، فكيف يكون هذا ولدي ؟ فبكت الجارية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تحقيق ابن الجوزي في موضوع أبي شحمة !

الدكتور هارون الرشيد الصديقي

خلال دراستي بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية منذ سنوات تشاجر إليّ ذات يوم طالبان من طلابها واحتكما إليّ علماً بحقيقة الرواية التي تنسب إلى عمر بن الخطاب وابنه أبي شحمة أن الأخير شرب وسكر حتى أتى الفاحشة بمصر وأقام عليه الحد أميرها عمرو بن العاص سرّا . وبلغ ذلك عمر - رضي الله عنه - فغضب وضربه ثانية . فمات أثناء الحد فأكمله عمر على جثته أو على قبره . أ فصحيح أن ابن عمر شرب وأتى الفاحشة ؟ وأن عمر ضربه ثانية حتى مات قبل انتهاء الحد ثم ضرب بقية السياط على جثته أو على قبره .؟

العقل لا يستسيغ هذه الرواية إلا أن تثبت بسند صحيح فليس هناك عذر . وكنت أعرف الرواية بما هي عليه إلا أنني أنسيت مرجعها فرجعت إلى شيخ لنا . فدلنا على كتاب الموضوعات لابن الجوزي وتاريخ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - . فألفيتها فيهما مفصلة مسهبة وقرأتها عليهما فاقتنعت قلوبهما وابتل غليلهما .

وفي العام الحالي ١٤١٦هـ قرأت في بعض الكتب الأردية نفس الرواية بغثها وسمينها . كما سمعت بعض الخطباء يحكى على الناس نفس الرواية فأنكرتها عليه وبينت له ما عرفت . ثم اشتد حرصي أن تنشر

تشير إلى عدم احتياج كثرة الصيغ الزمنية للفعل في أية لغة ويرى مـــودى (Mody) « إن تميز الزمن لا يعتمد كليًا على عدد صيغ زمن الفعل في أية لغة » (٨) .

إن براعة عقل الإنسان في استعمال اللغة هائلة وهي تستطيع ان تتلاعب بصيغها وتراكيبها مهما قلت أنواعها وتجعل اللغة أن تؤدي مهمتها ومرامها بأية وسيلة يسهل الوصول إليها .

٧٧٧

المقتبسات :

(١) فقه اللغة المقارن ، للدكتور ابراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨م : ص/٥٢ .

(٢) "Understanding Grammar" by Robert. P, Harper & Bros, New York (1954) P- 134 .

(٣) الفعل زمانه وابنيته ، للدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦م : ص/٢٤ .

(٤) "Essentials of Eng. Grammar" - Jesperson, Allen Unwin, London (1969) Page- 231.

(٥) "A Grammar of Contemporary English" by Quirk. R & others, Longman & co New York (1985) Page - 87.

(٦) "Modern English Grammar" by Mohanan, K. P. PGCTE Course, CIEFL, Hyderabad (1987) P- Les 8, pp 3.

(٧) « الترجمة من الإنجليزية إلى العربية - مناهجها وأصولها » للدكتور معين الدين الأعظمي حيدرآباد ١٩٩٠م : ص/٢٤ .

(٨) "A Comprative Study of English & Gujrati Syntaxes" by Mody J. J. M.S. University - Broda (1973) Page - 46 .

بعض أوزانه لا تكشف إلا عن حيرتهم وعدم قرارهم في ضبط دلالة هذا الفعل وإعطائه اسمًا مناسبًا .

وإننا نجد في الإنجليزية عدة من الصيغ الفرعية الواضحة الممتازة التي بنيت كلها بمساعدة ما يسمى : « الأفعال المعاونة » (Auxillaries) . وبنيت صيغة المستقبل أيضًا على هـــذا النمط . (فعل معاون + فعل حال = فعل المستقبل) (Auxiliary + Present - Future) .

وكذا توجد ثلاث صيغ فرعية لكل من صيغة الماضي وصيغة الحاضر وصيغة المستقبل الاصطناعية للدلالة على ما يسميها الأستاذ معين الدين الأعظمي « الفعل الاستمراري (Continuous Tense) والفعل الكامل (Perfect Tense) والفعل الكامل الاستمراري (Perfect Continuous Tense) .. (٧) وهذه كلها أمكن بنائها بفضل المختلفة الكثيرة ، وهي كما يلي :

(Be verbs, Do verbs, Have verbs + shall, should, will, would, may, might, can, could, must, ought to etc).

وهل هناك أفعال أو صيغ معاونة في العربية كما نجد « في الإنجليزية ؟ والجواب نعم توجد هناك مثل هذه الصيغ ولكن عددها قليل ومحدود ، ومن تلك الأفعال والصيغ : يمكن ويجوز ويلزم وينبغي ويصح ويتعين ويتحتم ويحتمل ويفرض ، والأفعال الناقصة مثل كان وأخواتها وأفعال المقاربة مثل عسى وأفعال الشروع مثل شرع وكذلك اداة قد ، إلخ .

وإذا لم نجد أشكالاً أو صيغًا كثيرة مماثلة للصيغ الفرعية الإنجليزية في أية لغة أخرى بما فيها العربية فهو لا يعني ان تلك اللغة ضعيفة أو فقيرة ولعله هو العكس وربما هي غنية لأنها تخدم الإنسان الحديث وتشبع حاجة وذوق لسانه بقلة مواردها الفعلية ، وإن هذه الحقيقة أيضًا

وهما الماضي والحال .

أما الصيغ الباقية كلها بما فيها صيغة المستقبل فهي عندهم صيغ فرعية مبنية بمساعدة أفعال معاونة ، ولا يزال النحاة المحدثون الكبار من هذا القرن يتمسكون بهذا الرأي ومنهم جيسپرسون (Jesperson) الذي يقول : « لا يوجد في الإنجليزية إلا صيغتان كاملتان لزمن الفعل » (٤) وكيرك (Quirk) الذي ينكر وجود صيغة مستقلة للفعل المستقبل في الإنجليزية (٥) ، وموهانن (Mohanan) اللغوي الهندي الحديث الذي بحث بحوثًا جيدة ومتركزة في هذا الأمر والذي أعد منهجًا دراسيًا للمدرسين المتدربين في المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد ، وهو يقول : « إن الإنجليزية تستطيع أن تعبر عن زمن الماضي وزمن الحال وزمن المستقبل وهذا لا يعني أن لديها ثلاث صيغ مستقلة لزمن الفعل ، وهو يقول طالبًا الطلبة ألا يتعجبوا من هذه الحقيقة :

("Tense can be either Past or Present. Those of you who have been told that there are three tenses in English namely the Past, the Present and the Future might be a little surprised at this. Now it is true that English can express the Past time, the Present time and the Future time, but it does not follow that English has three tenses too"). (6)

فاذن الصيغة الأصلية لزمن الفعل في العربية والإنجليزية متساوية عددًا - الأمر الذي يؤكد على أن النحاة العرب قديمًا لم يخطئوا في تقسيم زمن الفعل وإنما أخطأوا في تسمية ما عدا الماضي مضارعًا لأن هذا الاسم لا يدل على زمن معين إما حالاً أو مستقبلاً كما يفعل اسم الماضي ، فهذه التسمية الالتباسية التي تشير إلى كون الفعل مساويًا للاسم في

النحاة القدماء كانوا متحيرين في تحديد الزمن للأفعال وتركيب الصيغ لها لمعرفتهم على أن الزمن الحاضر مجرد خط تفريق بين الماضي والمستقبل وليس له واقع الوجود ، وإذا قال الأستاذ لتلميذه : « اقرأ هذا السطر هذه اللحظة » فلن يستطيع التلميذ المسكين إطاعة أستاذه لأن الوقت قد مضى وأصبحت هذه اللحظة تلك اللحظة حتى قبل وصول صوت أستاذه إلى أذنه . ويقول السامرائي : « قد أنكر بعض المتكلمين فعل الحال ، وقال : إن كان قد وجد فيكون ماضيًا وإلا فهو مستقبل وليس ثم ثالث » (٢) .

وكذلك هم عرفوا إن المستقبل أيضًا مجرد احتمال « كما كان الحاضر مجرد خط » ولا يمكن أن يكون الحديث عن المستقبل أمرًا واقعيًا إلا إذا أصبح ماضيًا . وهكذا كانت قضية زمن الفعل وتحديده أصعب الأمر للنحاة القدماء حتى إنهم فضلوا ترك علاجها للأجيال القادمة من النحاة .

ويقول روبرت : « إن صيغة زمن الفعل تطور مؤخر في اللغات الهندية الأوربية (Tense was a late developement in the Indo-European-Languages) والإنجليزية الحديثة قد استطاعت أن تشكل وتركب صيغًا كثيرة مختلفة للزمن نستطيع بها أن نحدد عند كلامنا درجات معينة من زمن حدوث الفعل ماضيًا وحاليًا ومستقبلاً . وهناك في الانجليزية مفهوم الماضي القريب والبعيد والحال العادي والمستمر والمستقبل القريب والبعيد . وهذه كلها والأخرى يمكن التعبير عنها في الإنجليزية .

ولكن الأمر الذي يعجبنا ويدهشنا هو أن النحاة المحدثين يتفقون مع أسلافهم على أن الصيغة الأصلية لزمن الفعل الإنجليزي اثنتان فقط

دراسة لغوية :

صيغة زمن الفعل في العربية والإنجليزية

بقلم : الدكتور بشير أحمد
الأستاذ المساعد في جامعة جواهر لال نهرو - دلهي الجديدة

كل ذرة حية في هذا العالم الواقعي لها نشاط ونشاطها يتقدم كل لحظة ، وتقدمه يقاس بالزمن ، فاذن توجد هناك علاقة وثيقة بين النشاط وزمن النشاط ، واللغة - أية لغة - تحاول أن تعبر عن هذه العلاقة بينهما قدر طاقتها اللغوية وفي حدودها التركيبية ، وليست هذه المهمة للغة بسهلة وهي أصعب من أية مهمة نحوية أخرى في أية لغة .

كان النحاة العرب في قديم الزمن يهتمون بالفعل اهتمامًا عظيمًا وبحثوا فيه بحوثًا طويلة وكتبوا في ماهيته ومعانيه و أوزانه وأشكاله كتبًا كثيرة ، تكاد تتشابه بعضها المعجمات اللغوية ، ومع ذلك هناك انتقاد عام من قبل اللغويين المحدثين مثل الدكتور ابراهيم السامرائي على أن الأقدمين العرب ، لم يبحثوا في زمان الفعل وتحديداته « كما كان اهتمامهم الزائد بالفعل ومعانيه وصوره » (١) . ولكن هذا الانتقاد لا يختص بالنحاة العرب فقط بل الآخرين أيضًا مثل نحاة الإنجليزية كما ينتقدهم روبرت قائلاً : « يبدو أن كان أسلافنا الأقدمون مهتمين بنوع الفعل أكثر من زمن الفعل » (٢) .

(Our primitive ancestors seem to have been more interested) in the kind of action than in the time of action.

إن عدم الاعتناء بزمن الفعل يبدو ظاهرة عالمية في الماضي ولعل

فأسلوبه إيجاز وتطويل بحسب الحال (١٦) .

---

(١) انظر « أبو عثمان الجاحظ للدكتور خفاجي : ص/٢٠ .

(٢) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف : ص/١١٩ وما بعدها .

(٣) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ص/١٢٢ .

(٤) نفس المصدر : ص/١١٧ وما بعدها .

(٥) الزهر للسيوطي : ج/٢ ، ص/٢١٢ مطبعة الحلبي .

(٦) هذه تمثل الدرسة الكوفية في النحو كما أن هناك كتابًا آخر يمثلها وهو « معاني القرآن الكريم » للفرّاء .

(٧) أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي : ص/٢٨٢-٢٨٣ .

(٨) لقد ذكرهم الجاحظ في كتاب البخلاء من منظور خاص وهو البخل : ١/٦٢ .

(٩) من يريد التفصيل فليراجع ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ، جزءه الثاني وأدب المعتزلة للدكتور عبد الحكيم بلبع : ص/٧٠-٩٩ ، وأبو عثمان الجاحظ للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي : ص/٢٠-٢٥ .

(١٠) هذه الأسباب استنتجتها من خلال ما كتبه الأستاذ محمد كرد علي في « أمراء البيان » عند حديثه عن البيان العربي . (١١) أمراء البيان : ص/١٥ .

(١٢) نفس المصدر نفس الصفحة . (١٣) نفس المصدر : ص/١٤ .

(١٤) البيان للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد ، هذه الكتب الثلاثة من أمهات كتب الأدب (مقدمة ابن خلدون : ص/٢٥٥) .

(١٥) فليراجع للتفصيل إلى - أبي عثمان الجاحظ للدكتور خفاجي وضحى الإسلام لأحمد أمين - .

(١٦) والجاحظ إلى البسط أقرب في الأحايين ، لأنه يقرر أنظارًا ويضع تعاليم ، ويفسر علماً وأدبًا ، ويشرح معارف وحقائق ، ويحاج ويجادل ، فليس له غنى عن التوسع في فنون الكلام ، وإذا أفاض فكلامه كلام أهل القرن الثاني والثالث ، أما بلاغته فبلاغة أهل القرن الأول ، لا سجع في كلامه إلا ما جاء عفوًا ، ولا تحس الصنعة فيه إلا إذا كان في تجديد المعاني والتراكيب ، واستعمال الجزل من الألفاظ (أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي : ص/١٤) .

أوشك البيان أن يصاب بما يخرجه عن رونق القديم فقال (١٢) : « إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا » .

رابعًا : هذا يترتب على حمل الخلفاء وإعجابهم بمن يسير على خط القدماء وهو ميلان الأدباء والكتاب إليه .

هذا وقد زخر الأدب في عصر الجاحظ بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم ، وبما ترجم من قصص الهند وأدب الفرس ، فصبغت هذه الأشياء عقلية الأدباء والشعراء بآثارها العميقة في التفكير والمعاني وطرافة التقسيم والخيال ، فانتبح الأدباء أدبًا عربيًا فيه معاني الفرس وبلاغة العرب .

وكذلك يمتاز أدب هذا العصر بظهور الحياة العقلية فيه والحياة الاجتماعية وبظهور كثرة الحكم والقصص فيه وبظهور المؤلفات الجامعة ، كالبيان والحيوان ، وأمثالهما أدب الكاتب ، والكامل ، وما إلى ذلك (١٤) .

وقد ظهرت في أدب هذا العصر نزعة شعوبية تزرى على العرب بتلمس المثالب لهم وتسجل ذلك في الشعر ، أمثال بشار والحزيمي وأبي نواس ، وفي الكتب يضعها أمثال أبي عبيدة والهيثم بن عدي وسعيد بن حميد ، وعلان الشعوبي ، وانبرى لهؤلآء من الشعراء والعلماء من يرد عليهم ويدفع عن العرب وينتصر لهم كالجاحظ وابن قتيبة ومحمد بن يزيد الأموي (١٥).

وتلك هي بعض ملامح الحياة الأدبية في عصر الجاحظ باختصار ، بما فيها من تأثير الحضارة في أدب الكتاب وشعر الشعراء ، واحتلال الكتابة ، وخاصة كتابة الرسائل منزلة مرموقة ، وفتح أبواب البديع ، ولكن الجاحظ لم يتأثر بهذه المؤثرات بل إنما ترك أثرًا عميقًا في النثر الأدبي ،

[illegible]
[illegible] :
[illegible] (٨١) »

[illegible]
[illegible] «
[illegible] :
[illegible] (١١) » [illegible]

[illegible]
[illegible] ([illegible])
[illegible] : « [illegible] : [illegible]
[illegible] : [illegible]
(١٠) [illegible] :
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] :

[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

« عمرت مجالس العلم والأدب ، وأمست دور الكبراء مثابة المغنين والإخصائيين ، يغشاها أرباب الأفكار ، وحملة الآثار والأشعار ، والعهد بعلماء البصرة يختلفون إلى المسجد والمربد ، وكان المسجديون (٧) والمربديون جماعًا من شعب الأدب والرواية ، والعهد بالكوفة يختلف المنورون من بيتها إلى الكناسة مجمع الشعراء والأدباء ، ومسجدهم مجمع علمائهم ، ومغنى قرائهم ، والمنافسة بين المصرين ، الكوفة والبصرة ، في الفقه والحديث واللغة والنحو والتصريف مشهورة مذكورة ، وبغداد تنعقد مجالسها ، وتغص مساجدها بأرباب العقول وحفدة الشريعة ، وقادة الفكر ، وشعراء الحضارة ، وأمراء البلاغة (٨) .

وبالإضافة إلى ذلك تلوّن هذا العصر بثقافات مختلفة ، كما حلت في البداية ثقافة فارسية ، ويونانية ، وهندية ، دخلت هذه الثقافات على الفكر الإسلامي بامتزاج العرب بهم ، فكان لهذه الثقافات أثر كبير في تغذية العقلية العربية وبناء الفكر الإسلامي ، ولكن مع ذلك كله كانت الثقافة الإسلامية هي الذائعة ، وهي أساس التكوين العقلي للطالب العربي في عصر الجاحظ ، وقوامها علوم الدين ، واللغة والأدب ، وما يتصل بكل ذلك من علوم ومعارف ، ولها أكبر الأثر في الفكر الإسلامي في عصر الجاحظ ، كما كانت المورد العذب للناس جميعًا (٩) .

وتلك هي معالم الحياة العقلية في عصر الجاحظ باختصار ، بما فيها من مؤثرات وتأثيرات ، وبما اشتملت عليه من تطورات ونهضات ، وكان الجاحظ يعيش في قمة هذا الطود الشامخ من الثقافات ، يدرس هذه البيئات الثقافية ، مصورًا ومؤرخًا ، يحيا ويراقب ، يختبر وينظر ،

هكذا شقت الحركة العلمية طريقها إلى الأمام فنبغ عظماء في جميع العلوم الدينية والدنيوية . « و في هذا الدور نبغ أئمة المذاهب الأربعة التي وقع الاكتفاء بها عند أهل السنة . ودوّن مذهب مالك وأبي حنيفة و غيرهما . وتم تدوين الحديث وتدوين اللغة والشعر . وكثر علماء القراء . وزاد عدد النقلة من الفارسية والسريانية واليونانية . وراجت الوراقة رواجًا عظيمًا . لما بدأ الملوك يجمعون خزائن كتب في قصورهم . ويقيمون دور الحكمة في عاصمة الخلافة . وعلق الأمراء وعلية الأمة يتنافسون في اقتفاء آثار خلفائهم في خدمة الآداب . يحظون ويعطون كل من ينقل لهم ضربًا جديدًا من المعارف . وبعد أن كانت البصرة والكوفة مستأثرتين بالحركة العلمية . شاركتهما بغداد بهذا الشرف . ثم أربت عليهما منذ وافاها أهل الفضل من الأمصار . فما هي إلا أعوام قليلة حتى أصبحت بغداد مدينة علم . وكانت من قبلَ مدينة ملك . بما نقل من صنوف العلم إلى الخلفاء وأتباعهم » .

« وأيقن أرباب البصائر أن الدنيا لا تأتي من غير طريق الكفاية . وأن (كل عزّ لم يؤكد بعلم فإلى ذلّ يؤول) فانكبوا على التأدب . وحرص أرباب اليسار على تثقيف أبنائهم . وكان إذا تفرس رب البيت في ولده ذكاء جاء بالمؤدبين يلقنونه ما تشتهي نفسه من الآداب . ولذا أصبح التعليم صناعة . وحسن عيش المؤدبين . وغدا التأديب أيضًا طريقًا إلى المجد والسؤدد . على ما أمست منادمة الملوك والأمراء صناعة برأسها . وقد يبلغ سلطان النديم في قصور العظماء ما لا يبلغه سلطان الوزراء والكتاب . وهو ابن الخلوة والجلوة . والمؤتمن على الحرم والأسرار » .

أنه أخذ من تلك الأسرة سبعمائة ألف درهم (٢) » .

« وكان من أهم ما عمل على إشعال الجذوة العلمية وإمدادها بوقود جزل لا ينفد ، مناظرات العلماء في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء في الكلام والفقه وفي اللغة والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتد فيها الخلاف والجدل ، وكان الشباب يختلف في المساجد إلى هذه المناظرات ، ليتعلم قرع الحجة بالحجة وغلبة الخصم بالحق وبالباطل أحيانًا (٣) .

هذا الشغف المفرط بالعلم لم يكن مقصورًا على الطبقات الخاصة من العلماء ومن يبتغون من الطلاب أن يكونوا على شاكلة أساتذتهم المتخصصين . بل كان خطًا مشتركًا بين طبقات العامة .

يقول الدكتور شوقي ضيف : « لم تكن هناك مراحل التعليم مثلنا اليوم ، بل كان الكتاب يحل محل تعليمنا الابتدائي والإعدادي ، ومن يريد أن يكمل تعلمه بعده يختلف إلى حلقات المساجد ، وكانت أشبه بمعاهد عليا ، فلم تكن فقط دورًا للعبادة ، بل كانت أيضًا دورًا ، بل قل : جامعات ، للعلم والعلماء ، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى » (٤) .

هذا وقد كانت الطريقة الشائعة في المحاضرات ، وخاصة محاضرات المتكلمين والمحدثين واللغويين هي الإملاء ، ويعرض السيوطي لإملاء اللغويين حينئذ ، فيقول (٥) : « أملى ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم (٦) » وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري و ولده أبو بكر ما لا يحصى ، وطريقهم في الإملاء كطريقة المحدثين سواء ، غير أن المحدثين يراجعون ما كتبه تلاميذهم .

دراسات أدبيـــــة :

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الرابعة]

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

الحياة العقلية في عصره :

لقد مرّ بنا قبل قليل أن عصر الجاحظ قد امتاز بالمنافسة في الترف وتشييد القصور ، وبشيوع الغناء واللهو ، والفجر والمجون بين مختلف الطبقات ، فليس يعني هذا ، أنه كان طابعًا للحياة بأكمل جوانبها بل إنما كان هذا العصر من أزهى عصور العلم في البلاد الإسلامية حيث تلاقت شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم والثقافة « فأخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في شتى جوانبها ويضفون عليها ظلال رعايتهم وكانوا يبالغون في إكرام الأدباء والعلماء ويجالسونهم ويقربونهم إليهم ، وصار العلم والأدب وسيلة إلى المناصب العالية ، والنفوذ والجاه ، وكان كل من نبغ في العلم ، أو شهر بالأدب ترفع منزلته ، ويتنافس العظماء في تكريمه ، كما يتنافسون في إنشاء دور العلم ، وترجمة الكتب إلى العربية من مختلف اللغات (١) » .

فقد نشطت حركة التعليم في هذا العصر « ولم يكن الخلفاء العباسيون و وزراؤهم وحدهم الذين عملوا على تنشيط العلم وإعطاء الرواتب الجزيلة للقضاة والعلماء من كل صنف ، فقد كان يشركهم في ذلك حكام الولايات ، وفي مقدمتهم أسرة الصفارين حكام سجستان ، إذ نرى أبا عبد الله السيد شنجي شيخ أهل الحديث بنيسافور المتوفى سنة ٢٩٠هـ يذكر

(٢٨) طبع هذا الكتاب في أربعة عشر مجلدا في ليدن سنة ١٢٢٢هـ كما طبع في بيروت .

(٢٩) توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ونسخة منقولة عنها في خزانة دار الكتب المصرية .

(٢٠) فيه نحو أربعين ألف ترجمة . وقد طبع في ثمان مجلدات في حيدرآباد سنة ١٣٦١-١٣٦٢هـ .

(٢١) قد طبع بالهند سنة ١٢٢٥-١٢٢٧هـ في اثنى عشر مجلدا .

(٢٢) قد طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٩هـ في أربعة عشر جزءًا تضم ٧٨٢١ ترجمة .

(٢٢) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٢٥٦ .

(٢٤) طبع سنة ١٩١٢م بمدينة ليدن .

(٢٥) قد طبع في ثلاثة أجزاء بمصر سنة ١٢٥٦-١٢٥٩هـ .

(٢٦) يوجد منه الجزء الأول مخطوطًا في دار الكتب الظاهرية في ٤٢ ورقة .

(٢٧) في أربعة أجزاء كبيرة . ضمت ١٨٠٥٠ ترجمة . وقد طبع بالهند سنة ١٢٧٣هـ في تسع مجلدات .

(٢٨) طبع أكثر من مرة . وطبع أخيرًا في مصر سنة ١٩٦٣م في أربعة أجزاء ضمت ١١٠٥٢ ترجمة .

(٢٩) وفيه نحو ١٤٢٤٣ ترجمة . وطبع بالهند سنة ١٣٢٩-١٣٣١هـ في ستة أجزاء .

(٤٠) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٤٢٧ .

(٤١) وكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ) في هذا الباب . وطبع أخيرًا من دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٢هـ-١٩٦٢م بتحقيق الأستاذ طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي .

(٤٢) انظر للتفصيل : تاريخ التراث العربي في علوم القرآن والحديث - المجلد الأول .

(٤٣) الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، الطبعة الحادية عشرة دار المعارف : ص/٤١ .

جعلته حجة بيني وبين الله . فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه .

(١٤) وجمع صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث وهو ثاني صحيح البخاري في الصحة والمكانة .

(١٥) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ وترمذ مدينة على جيحون .

(١٦) هو أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ . وسجستان الاقليم الشمالي من بلوجستان .

(١٧) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٢هـ . ونسأ بفتح النون وفتح السين وبعدها همزة . مدينة بخراسان .

(١٨) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣هـ . الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني - الوسيط في الأدب العربي وتاريخه . المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م .

(١٩) أشار إليه تفصيلاً فؤاد سزكين في كتابه : تاريخ التراث العربي في علوم القرآن والحديث . المجلد الأول . الجزء الأول . وزارة التعليم العالي . المملكة العربية السعودية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

(٢٠) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٢٢٥ .

(٢١) المرجع السابق : ص/٢٢٦ .

(٢٢) طبع هذا الكتاب في مجلد وسط بتحقيق الدكتور معظم حسين سنة ١٣٧هـ بالقاهرة .

(٢٣) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٤٥٥ .

(٢٤) طبع سنة ١٢٨٩هـ-١٩٧٠م بمصر بتحقيق السيد أحمد صقر .

(٢٥) طبعت أخيرًا بتحقيق الدكتور نور الدين عتر سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م في مطبعة الأصيل بحلب . ونشرتها المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(٢٦) انظر تفصيلاً أصول الحديث علومه ومصطلحه : ص/٤٥٠ .

(٢٧) المرجع السابق : ص/٤٠٩ .

يسمع من حديث ، فأذن له ، وكان يسمى صحيفته التي كتبها عن الرسول « الصادقة » .

(٦) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/١٤٧ .

(٧) أكثر الصحابة رواية عن الرسول -ﷺ- سبعة وعدة ما رواهم أبو هريرة (٥٩هـ) ٥٢٧٤ حديثًا ، وعن عائشة ٢٢١٠ حديثًا ، وعبد الله بن عمر ٢٦٣٠ حديثًا ، وعبد الله بن عباس ١٦٦٠ حديثًا ، وأنس بن مالك ٢٢٨٦ حديثًا ، وجابر ابن عبد الله ١٥٤٠ حديثًا ، وأبو سعيد الخدري ١١٧٠ حديثًا ، أصول الحديث علومه ومصطلحه : ص/٤٠٤-٤٠٥ .

(٨) فتحت بلاد الشام (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) والعراق في سنة ١٧هـ ومصر ٢٠هـ ، و وصل المسلون إلى ما وراء النهر في خلافة عثمان - رضي الله عنه - بعد أن فتحوا فارس سنة ٢١هـ، و وصلوا سمرقند سنة ٥٦هـ ، و وصلوا في ربوع الأندلس سنة ٧٢هـ ، وارتفعوا على ذرا جبال البرانس سنة ٩٦هـ و وصلوا إلى حدود الصين في نفس السنة .

(٩) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/١١٦ .

(١٠) وفي رواية « فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي -ﷺ- وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا » فتح الباري : ج/١ ، ص/٢٠٤ ، وأول من دون هو ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) .

(١١) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي - الطبعة الرابعة والعشرون - ص/٢٧٨ .

(١٢) المرجع السابق : ص/٢٧٨ ، هو أبو يعقوب إسحاق بن ابراهيم راهوية التميمي الحنظلي المفسر المحدث ، توفي سنة ٢٢٨هـ .

(١٣) ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤هـ ومات في خرتنك ، قرية من قرى سمرقند سنة ٢٥٦هـ واستخرج كتابه الجامع الصحيح من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة جمع فيه تسعة آلاف حديث مع التكرار ، وقال : إني

٤- ومنه نشأت علوم الحديث ومصطلحه ، وألفت الكتب القيمة وصُنّفت التصانيف والمؤلفات باللغة العربية التي أثرت عليها أثرًا مؤزرًا .

٥- ومنه نشأت الكتابة التاريخية لا في السيرة النبوية فحسب بل في الغزوات ، وتراجم الصحابة والتابعين والحفاظ والرواة والمحدثين ، ومما لا ريب فيه أن المسلمين أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم على نحو ما نعرف ، مثل طبقات ابن سعد وأسد الغابة والإصابة والاستيعاب وميزان الاعتدال ، فقد فتح ذلك باب الكتابة التاريخية وهيأ لظهور كتب الطبقات مما بعث على نهضة علمية رائعة (٤٢) .

٦- هو خزانة ثمينة قد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسائلهم وأشعارهم ومنثوراتهم وأمثالهم وحكمهم ، ما أضاف إليه على مر العصور رونقًا وطلاوة وما يزال هذا شأنهم إلى اليوم .   [يتبع]

---

(١) الدكتور محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث علومه ومصطلحه ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م : ص/١٩ .

(٢) أخرجه الإمام مالك بن أنس ، الموطأ ، طبع عيسى البابي الحلبي سنة ١٢٧٠هـ الجزء الثاني : ص/٨٨٩ .

(٣) الإمام أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داؤد ، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٢٧١هـ : ج/٢ ، ص/٢٧١ .

(٤) عبد الملك بن هشام : سيرة النبي -ﷺ- ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦هـ-١٩٢٧م : ج/٤ ، ص/٢٧ .

(٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه استأذن رسول الله -ﷺ- أن يكتب ما

(٨٤٩-٩١١هـ) طبع بمصر أكثر من مرة .

٥- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة . لأبي الحسن علي بن محمد الكناني (٩٦٣هـ) طبع بمصر سنة ١٢٧٨هـ في مجلدين .

٦- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة . للقاضي أبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٥هـ) قد طبع سنة ١٢٨٠هـ بمصر .

ومن أشهر مؤلفات علم غريب الحديث « الفائق في غريب الحديث » لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) . قد طبع الكتاب أكثر من مرة في حيدرآباد وفي مصر . و « كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير الجزري (٤١) ٦٠٦هـ . وهكذا كتب كثيرة قيمة نشرت في الحديث وعلومه وشروحه وفروعه حتى أصبحت ثروة عظيمة مفيدة للإسلام والمسلمين وأثرت هذه الكتب المدونة أثرًا عظيمًا على اللغة العربية قراءة ودراسة ولهجة وكتابة .

وتأثير الحديث الشريف على اللغة العربية صريحة كثيرة لا يحصى عددها ونذكر هنا من أهمها بالتالي :

١- إنه مفسر للقرآن الكريم ومادة غزيرة لشرحه وحفظه وبقائه . وهو يوضح أشكاله . ويفصل إجماله . ويقيد إطلاقه . ويخصص عمومه . ومنه نشأ كتاب التفسير وأبواب التفسير وتطورت كتب التفاسير .

٢- ومنه يوسع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص .

٣- وقد أقبل العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية وعلى تعاقب الأعصار يدرسونه . ويحفظونه ويشرحونه ويستنبطونه (٤٢) .

حاتم بن حبان (٢٥٤هـ) ، والكامل في معرفة ضعفاء المحدثين ، وعلل الحديث للحافظ عبد الله بن محمد الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ) ، و « كتاب ميزان الاعتدال » لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٢-٧٤٨هـ) (٣٨) ، و كتاب « لسان الميزان » لابن حجر العسقلاني (٣٩) .

والحديث الموضوع هو ما نسب إلى الرسول -ﷺ- اختلاقًا وكذبًا بما لم يقله أو يفعله أو يقره ، تتجلى بها ثمرة الجهود العظيمة التي بذلها العلماء من أجل حفظ الحديث وتخليصه من الموضوع في الكتب القيمة التي صنفها الأئمة والأعلام في أسماء الصحابة ، وفي تواريخ الرجال وأحوالهم وفي طبقات الرواة ، وفي معرفة الأسماء و الكنى والألقاب والأنساب وفي الجرح والتعديل ، وفي الوضاعين والموضوعات ، وتبلغ نحو أربعين مؤلفًا ومن أشهرها (٤٠) :

١- تذكرة الموضوعات لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨-٥٠٧هـ) رتبه على حروف المعجم ، ويذكر من جرح راويه من الأئمة ، طبع بمصر سنة ١٣٢٢هـ .

٢- الموضوعات الكبرى لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) أربع مجلدات وقد تساهل في الحكم على بعض تلك المرويات بالوضع .

٣- الباعث من الخلاص من حوادث القصاص ، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (٧٢٥-٨٠٦هـ) ، وقد لخصه السيوطي في كتابه ، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص .

٤- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للحافظ جلال الدين السيوطي

أحمد الدولابي (٢٢٤-٣٢٠هـ) ، والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا البغدادي (٤٢١-٤٨٦هـ) ، ومن أجمع ما صنف في المشتبه من أسماء الرواة كتاب المشتبه في أسماء الرجال للحافظ الذهبي (٦٨٣-٧٤٨هـ) ، ومن أجمع ما صنف في ألقـــاب الرواة نزهة الألباب في الألقاب » لابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ).

ومن أشهر ما صنف في الأنساب لتاج الإسلام عبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ) ، قد رتب على حروف المعجم (٢٤) ، وكتاب اللباب في ثلاثة مجلدات لعلي بن محمد الشيباني الجـــزري (٥٥٥-٦٢٠هـ) (٢٥) لخص السيوطي كتاب اللباب في كتاب سماه : « لب اللباب في تحرير الأنساب » طبع في ليدن سنة ١٨٥٠م ، والمصنفات في تاريخ الرواة كثيرة تزخر بها مكتبات العالم .

وتختلف مؤلفات الجرح والتعديل ما بين موجز ومبسوط ، فأصغرها ما يضم في مجلد على أحوال مئات من الرجال وأوسعها ما يقع في مجلدات كبيرة تضم أحوال عشرة آلاف راو أو عشرين ألفًا ، ومن أقدم ما وصلنا من هذه المصنفات كتاب : « معرفة الرجال » ليحيى بن معين (٢٦) و « كتاب الضعفاء » للإمام البخاري - رحمه الله تعالى - ، طبع بالهند سنة ١٣٢٥هـ ، و « كتاب الضعفاء والمتروكين » للإمام أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٢هـ) .

وأجمع كتاب المتقدمين في هذا الباب « كتاب الجرح والتعديل » لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠-٣٢٧هـ) (٢٧) و « كتاب الثقات » لأبي

الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار » و « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » و « كتاب توجيه النظر إلى أصول الأثر » للشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨-١٣٣٨هـ) وهو كتاب قيم عرض فيه علوم الحديث عرضًا دقيقًا (٢٦).

وقد صنف في الصحابة - رضوان عليهم أجمعين - نحو أربعين مؤلفًا وأشهر ما صنف فيهم :

١- كتاب معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان - خمسة أجزاء ، للإمام علي بن عبد الله المدني (١٦١-٢٣٤هـ).

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) ، طبع مرارًا في مصر والهند ، وفيه (٤٢٢٥) ترجمة من الصحابي والصحابية .

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، خمس مجلدات ، للمؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير (٥٥-٦٣٠هـ) طبع في مصر ، وفيه ٧٥٥٤ ترجمة .

٤- تجريد أسماء الصحابة ، جزءان للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) وقد طبع بالهند سنة ١٣١٠هـ .

٥- الاصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أحمد بن علي الكناني ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، قد طبع أكثر من مرة في مصر والهند ، وفيه ١٩٤٧٧ من الأسماء،و ١٢٦٨ كنية للصحابة و ١٥٥٢ ترجمة للصحابيات (٢٧) .

وعلم تاريخ الرواة هو العلم الذي يعرف برواة الحديث من الناحية التي

تاريخ الرواة وعلم الجرح والتعديل وعلم أصول الحديث وعلم أسباب ورود الحديث وغيرها من العلوم التي خدمت السنة النبوية وتكلفت بيانها (٢٠) . ونشرت التصنيفات المخالفة والكتب القيمة حول هؤلاء العلوم حتى أصبح كل علم من العلوم علماً مستقلاً . ومن أشهر ما صنف من علوم الحديث ومصطلحه (٢١) .

١- معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسافوري الحاكم (٣٢١-٤٠٥هـ) .

٢- سنن التحديث لأبي الفضل صالح بن أحمد التميمي الهمداني (٢٨٤-٤٥٤هـ) قد ذكر فيه اثنين وخمسين نوعًا من أنواع علوم الحديث ، ولكنه لم يرتب ولم يهذب (٢٢) .

٣- الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي المعروف بخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ) ، وهو أجمع كتاب في فنه ، طبع سنة ١٣٢٥هـ بالهند . وصنف في آداب الرواية كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . وهو أجمع وأقدم في آداب السماع والرواية وما يتعلق بهـــا (٢٣) .

٤- الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للحافظ أبي الفضل عياض بن موسى (٤٧٦-٥٤٤هـ) (٢٤) . كما صنف المحدث أبو حفص عمر بن عبد المجيد النبانشي (٥٨٠هـ) جزءًا سماه : « ما لا يسع المحدث جهله » توجد منه عدة نسخ مخطوطة . وهكذا كتب كثيرة في هذا الموضوع ، منها « مقدمة ابن الصلاح (٢٥) » و « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » و « تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي » و « توضيح

فاكتبوه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » (١٠) ، وكان أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨) أول من عني بتدوين الحديث بعد عمر بن عبد العزيز مخافة ذهابه بموت أصحابه . فأمر مالك بن أنس بوضع المؤطأ فوضعه جامعًا بين الحديث والفقه (١١) .

ثم تبارى العلماء في تحصيل الحديث توسعًا في الفقه ، فراجت بضاعته وكثر أشياع الفرق واتباع الضلالة ، فتقوّلوا على الرسول وأدخلوا زور الحديث على إغفال الرواة . فكثرت المفتريات فشغل أئمة الحديث بالنقد والتمحيص والرواة بالجرح والتعديل . وكان أسبقهم إلى ذلك إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) (١٢) ، وقد جمع شيخ الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) (١٣) ، وإمام السنة أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (١٤) (٢٠٦-٢٦١هـ) صحاح الحديث في كتابيهما ، ثم دون بعدهما أربعة كتب الأحاديث في عصر واحد ، تمت بها الصحاح الستة ، والكتب البواقي من الصحاح الستة : الجامع لأبي عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) (١٥) والسنن لأبي داؤد السجستاني (٢٧٥هـ) (١٦) والسنن لأبي عبد الرحمن النسائي (٣٠٢هـ) (١٧) والسنن لأبي عبد الله بن ماجة (٢٧٣هـ) (١٨) . وقد أطبق الناس على صحة هذه الكتب فشغلوا بها ما بين جمع وشرح وتلخيص (١٩) ، فتضافرت الحوافظ والأقلام من أجل حفظه كما تضافرت جهود المسلمين وعلمائهم في سبيل خدمته وصيانته فنشأت حول حديث الرسول -ﷺ- علوم كثيرة لم يحفظ علم من العلوم مثل ذلك . فنشأ علم غريب الحديث وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه وعلم علل الحديث وعلم مختلف الحديث ومشكله وعلم

حتى دون بعض الأحاديث في حياته (٥) . ولكن لم تعم الكتابة والتدوين لنعه عنها خوفًا للاحتفاظ مع كتاب الله تعالى ، وقال : « لا تكتبوا عني . ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » (٦) . ولما توفي الرسول -ﷺ- انتشر الصحابة في الامصار الإسلامية وأخذوا يبلغون كتاب الله وسنة رسوله أينما ذهبوا . وكادوا لا يتركون صغيرة ولا كبيرة من أفعاله وأقواله إلا أحصوهـا و تناقلوها و اشتهر من بينهم جماعة بكثرة الرواية (٧) مثل أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك - رضي الله عنهم - وكثير غيرهم . وخلفهم التابعون يحكون ما سمعوه منهم وبذلك ينتقل الحديث من جيل إلى جيل . ومن ثم تكوّن سند الحديث وتكونت السلاسل الطويلة من رواته . وبذلك تعددت طرق رواية الحديث كما تعدد حاملوه . وأصبح يحتوي متنا وسندًا يطول .

ارتحل الرسول -ﷺ- إلى الرفيق الأعلى بعد أن عم الإسلام الجزيرة العرب كلها واتسعت الفتوحات الإسلامية (٨) . وكلما دخل المسلمون بلدًا أقاموا فيه المساجد وعلموا أبناءه القرآن الكريم وسنة رسوله . وهكذا حفظوا السنة الشريفة . فأصبحت في الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة . ومراكز السنة النبوية . ومنها المدينة المنورة ومكة المكرمة والكوفة والبصرة والشام ومصر والمغرب والأندلس واليمن وجرجان وقزوين وخراسان (٩) .

واشتهر كتابة السنة وتدوينها في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١) حينما أعلن إعلانًا هامًا وقال : « انظروا حديث رسول الله -ﷺ-

الآية : ٧].

٤- ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ [سورة النور ، الآية : ٥٦].

٥- ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة • وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٦٤].

وقال الرسول الكريم -ﷺ- :

١-«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي»(٢).

٢- « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » (٣).

٣- وكان كثيرًا ما يقول للوفود : « احفظوا أحاديثي وأخبروا بها من وراءكم من العشائر ».

٤- وقال في خطبة حجة الوداع : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » (٤).

٥- « نضر الله أمرًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه ، فرب مبلغ أحفظ من سامع ».

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تدل على وجوب طاعة الرسول -ﷺ- والعمل بسنته والاقتداء بهدايته . وكل هذا دليل على الاعتداد بالسنة وعلى اعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي.

فلهذا اهتم المسلمون بالحديث النبوي اهتمامًا عظيمًا وحرصوا على حفظه ونقله وتبليغه منذ الصدر الأول كما حرصوا على جمعه وتدوينه

الحديث الشريف وأثره على اللغة العربية

[الحلقة الأولى]

أبو الخير محمد ولي الله
الأستاذ المساعد في قسم الحديث والدراسات الإسلامية . الجامعة الإسلامية - كوشتيا

الحديث هو كل ما أثر عن الرسول -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير . وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي (١) . وهو مصدر للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم . إذ أن القرآن الكريم يذكر أصول الدين الإسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل والحديث شارحه . وهو يشمل كل آفاق التشريع الإسلامي .

اهتم المسلمون بقول الرسول -ﷺ- وفعله وتقريره وخلقه وسيرته كل الاهتمام . لأنه بُعث رحمة للناس وهاديًا ومتممًا لمكارم الأخلاق كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٢١] . وقوله -عزوجل- : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [سورة النجم ، الآيتان : ٣-٤] . وقد أكد الله الناس لاتباعه و إطاعته والأخذ بما أخذه وترك ما تركه . وقال تعالى في القرآن العظيم :

١ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥٩] .

٢ - ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٨٠] .

٣ - ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .. ﴾ [سورة الحشر

العاملة على وضع علم النحو . راجع : تفسير روح المعاني للألوسي : ج/١٠ . ص/٤٧ .

(١٠) كالمسيح: أ هو من السياحة . أو المسح . فمن الأول يسمى المسيح مسيحًا لكثرة سياحته . وأما من الثاني . فلأنه كان لا يمسح على ذي عاهة إلا برأ بإذن الله تعالى - ومثل ذلك أيضًا النبي . أ هو من النبأ بمعنى الخبر . فهو مخبر - بكسر الباء - عن الله . أو مخبر - بفتح الباء - منه أو هو من النبوة بمعنى الرفعة . وليس من شك في أن المعنى يتغير بتغير أصل الاشتقاق .

(١١) كالعلم بتاريخ البشر . وعلم السيرة . والعلوم الكونية . أفاد ذلك الأستاذ محمد رشيد رضا نقلاً عن الشيخ محمد عبده . راجع : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : ص/٣٧ .

(١٢) راجع : المصباح المنير مادة أثر : ص/٢ .

(١٣) عرض الحائط : أي جانبه والمراد إهماله . وعدم الأخذ به . انظر : مختار الصحاح : ص/٤٤٦ مادة عرض .

(١٤) راجع : الأباطيل والمناكر : ص/١٢ للحافظ الجورقاني . طبعة أولى ١٤٠٢هـ .

(١٥) راجع : الإتقان : ج/٢ . ص/٥٠٢ .

(١٦) المرسل عند جمهور المحدثين : هو ما رواه التابعي عن النبي -ﷺ- من غير ذكر الصحابي . وأما المرسل عند الفقهاء وبعض المحدثين فهو : ما لم يتصل إسناده على أي وجه . سواء أكان المحذوف الصحابي أم غيره . وسواء أكان المحذوف واحدًا من الرواة أو أكثر . انظر : التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : ص/٧٠-٧١-٧٢ وفتح الباقي على ألفيه العراقي : ١/٤ وقواعد التحديث : ص/١٣٢ واختصار علوم الحديث : ص/٦١ وتوضيح الأفكار : ١/٢٨٢ .

(١٧) انظر : شرح علل الترمذي لابن رجب : ص/١٠٢ .

(١٨) راجع : الإتقان : ج/٢ . ص/٥٢٢ .

(١٩) المصدر السابق : بتصرف .

(٢٠) راجع « علوم الحديث ومصطلحه . د/صبحي الصالح : ص/٢٦٨ والإتقان في علوم القرآن : ج/٢ . ص/٢٤هـ .

أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا » (١٨) .

يظهر أن علي بن أبي طلحة لم يسمع هذه الصحيفة من ابن عباس مباشرة ، وإنما سمعها من مجاهد أو ابن جبير ، وكلاهما ثقة ، فكأن ابن طلحة أخذها عن ابن عباس نفسه (١٩) .

ثانيًا : طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه ، وهذه الطريق على شرط الشيخين ، وبها خرّج الحاكم النيسافوري عددًا من الأحاديث في « مستدركه » .

ثالثًا : طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو ابن جبير عنه ، وبهذه الطريق أخرج ابن جرير الطبري كثيرًا من الروايات في تفسيره (٢٠) . [يتبع]

---

(١) بحوث في أصول التفسير لأستاذنا الدكتور محمد بن لطفي الصباغ : ص/٢٤٧ . (٢) راجع : جامع بيان العلم وفضله : ج/٢ ، ص/١٩٢-١٩٩ .

(٣) راجع : الباعث على الخلاص : ص/١٤٧-١٤٨ .

(٤) راجع : تحذير الخواص : ص/٢٣٠ .

(٥) انظر : التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي : ص/١٠٩-١١٠ .

(٦) راجع : الباعث على الخلاص : ص/١٤٨-١٤٩ .

(٧) السقي : بفتحتين القرب وبابه طرب ، ويروي بالصاد المهملة والمعنى واحد انظر مختار الصحاح ، للرازي : ص/٣٠٢ .

(٨) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٨٠-١٨٢ .

(٩) ومن لم يعرف النحو فربما يقع في أخطاء فاحشة ، قد تؤدي إلى الكفر ، ومثل ذلك الرجل الذي قرأ قوله تعالى : ﴿ إن الله بريئ من المشركين ورسوله ﴾ « بجر » « رسوله » فكاد يقع في الكفر وهو لا يعلم فكان هذا من الأسباب

وروى عن الإمام الشافعي أنه قال : « لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث » ومهما كان في هذه الكلمة من مبالغة ، فهي تدل على كثرة ما وضع على ابن عباس ، وألصق به ، ونسب إليه زورًا .

ذكر النسائي أن أصح أسانيد ابن عباس في الحديث ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ، وأضعفها ما يرويه (محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي)عن أبي صالح ، وهذه تسمى : « سلسلة الكذب » قال الثوري : « اتقوا الكلبي ، قال فقيل له : فإنك تروى عنه ؟ قال : أنا أعرف صدقه من كذبه » (١٧) .

ومما هو جدير بالإشارة في هذا المقام أن ابن عباس – رضي الله عنهما – لقّب بترجمان القرآن ، وقال الناس في تفسيره : « لو سمعه أهل الروم والديلم لأسلموا » إلا أن الناس تزايدوا عنه في الرواية ، ونبه العلماء على أن أوهى طرقه في التفسير هي بالدرجة الأولى سلسلة الكذب التي أشار النسائي إليها ، ثم بالدرجة الثانية طريق الضحاك بن مزاحم ، وهي منقطعة لأنه لم ير ابن عباس ، وهذا السند عن رواية جويبر البلخي عن الضحاك زاد ضعفًا أما طرقه الجيدة في التفسير فهي :

أولاً : طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي ، وقد اعتمد البخاري هذه الطريق فيما يعلقه عن ابن عباس ، وكانت نسخة التفسير المروية عن ابن عباس بهذه الطريق عند أبي صالح كاتب الليث بمصر ، يرويها عن علي ابن أبي طلحة معاوية بن صالح ، ويرويها عن معاوية كاتب الليث ، وفيها يقول الإمام أحمد بن حنبل : « بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن

صح الحديث فهو مذهبي ، وأضرب بقولي عرض الحائط» (١٢) وإذا كان هذا في الحلال والحرام ، فما بالك بتفسير القرآن الكريم الذي اشتمل على أصول وقواعد ، وأما الضعيف والموضوع المختلق : فأحرى به أن يرد .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : « إن العالم إذا لم يعرف الصحيح والسقيم من الحديث لا يسمى عالماً » (١٤) .

وأما تفاسير الصحابة والتابعين ، وهي أكثر من أن تحصى : ففيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والموضوع والإسرائيليات ، التي تشتمل على خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم ، وقد تسربت إلى الكتب الإسلامية ، ولا سيما كتب التفسير ، وأصبحت تكون ركامًا ، غثًا مجموعًا من هنا وهناك ، سواء في ذلك ما كان خاصًا بالتفسير المأثور ، وما جمع بين المأثور وغيره ، فما كان من هذه الروايات صحيحًا أو حسنًا : أخذنا به . وما كان ضعيفًا ، أو واهيًا أو موضوعًا ، أو من الإسرائيليات ، نبذناه ولا كرامة .

موقف الأئمة من ضعف التفسير بالمأثور :

وقد تنبه الأئمة المحدثون إلى هذه الظاهرة ، وهي : غلبة الضعف على الرواية بالمأثور .

روى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم ، والمغازي » (١٥) .

وقال المحققون من أصحاب الإمام أحمد : مراده : أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحيحة متصلة ، وإلا فقد صح من ذلك شئ غير قليل ، وقيل : لأن الغالب عليها المراسيل (١٦) .

بالآية ومن لم يحتج بها ، وطريقة كل منهم في فهم الآية والأخذ بها ، أو الإجابة عنها .

الرابع عشر : علم الأحاديث والسنن والآثار المبينة لتفصيل المجمل ، وتوضيح المبهم ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، إلى غير ذلك من وجوه بيان السنة للقرآن .

الخامس عشر : علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى - من عمل بها علم ، إلى غير ذلك من العلوم التي أضافها بعض المعاصرين (١١) .

المبحث الثاني : غلبة الضعف على التفسير المأثور :

المأثور (١٢) : اسم مفعول من أثرت الحديث أثرًا من باب قتل ، نقلته ، والأثر بفتحتين : اسم منه ، وحديث مأثور أي منقول .

فالتفسير بالمأثور أي بالمنقول ، سواء أكان متواترًا أم غير متواتر ، وعلى هذا : يشمل المنقول عن الله - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم والمنقول عن النبي -ﷺ- والمنقول عن الصحابة - رضي الله عليهم - والمنقول عن التابعين - رحمهم الله - وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور .

أما تفسير القرآن بالقرآن : فهو لا غبار عليه ، ولا اعتراض ، وإنما يأتي الغلط من المفسر ، بأن يفسر الشئ بما ليس بتفسير له عند التحقيق .

وأما تفسير القرآن بما صح وثبت عن النبي -ﷺ- فهو على العين والرأس ، وليس لأحد أن يرفضه ، أو يتوقف فيه ، بعد ثبوته ، وقد صح عن الأئمة الأربعة المجتهدين في الأحكام ، أن كل واحد منهم قال : « إذا

مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما (١٠) .

الخامس ، والسادس ، والسابع : علوم المعاني ، والبيان والبديع . لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعاني ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسن وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام . وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر ، لأنه لابد له من أن يعلم ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

الثامن : علم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملَة على بعض .

التاسع : علم أصول الدين ، ليعرّف وهو يفسر القرآن ما يجب لله وما يستحيل عليه ، وما يجوز له ، وليعرف الفرق بين العقائد والشرائع ، وما هو من أصول الدين وما هو من فروعه .

العاشر : علم أصول الفقه ، لأن به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام ، وطريقة استنباطها من النصوص .

الحادي عشر : علم أسباب النزول ، وعلم القصص والأخبار ، لأن بمعرفة سبب النزول يعرف المعنى المراد من الآية ، كما أنه يزيل الإشكال عن بعضها ، ويبين بعض حكم الله في التشريع ، وبعلم القصص يعلم ما هو من الإسرائيليات التي دست في الرواية الإسلامية .

الثاني عشر : علم الناسخ والمنسوخ ، وهو مهم للمفسر ، وإلا وقع في خطأ كبير .

الثالث عشر : علم الفقه إذ به يعرف مذاهب الفقهاء ، ومن احتج منهم

فيحدث لنفسه أحوالاً لو نقلت عن المجانين لاستقبحت منهم ، وهذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يقول : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في القرآن برأيي ، فكيف يقدم من لم يعرف ما يجب عليه مما يحرم عليه أن يتجاسر على الخوض في ذلك ، وهذا عبد الملك الأصمعي إمام اللغة سئل عن قوله -ﷺ- ، ولكن العرب تزعم أن السقي اللزيق » (٧) انتهى كلام العراقي .

وأشير بإيجاز إلىالعلوم التي لابد منها للمفسر وقد بسطها العلماء في كتبهم ، يقول الإمام السيوطي – رحمه الله تعالى – (٨) : قال بعض العلماء : اختلف الناس في القرآن : هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شئ من القرآن ، وإن كان عالما ، أديبًا ، متسعًا في معرفة الأدلة ، الفقه ، والنحو ، والأخبار ، والآثار وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي -ﷺ- في ذلك ، ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها ، وهي خمسة عشر علماً .

أحدها : اللغة ، لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال الإمام مالك : « لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً » .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب : فلابد من اعتباره (٩) .

الثالث : علم التصريف ، لأن به تعرف ابنيه الكلمات والصيغ .

الرابع : علم الاشتقاق ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين

والعراقي في كتابه : « الباعث على الخلاص » (٣) والسيوطي في كتابه : « تحذير الخواص » (٤) والنووي في كتابه « التبيان في آداب حملة القرآن » قال النووي :

« لقد حرم تفسيره بغير علم ، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها . والأحاديث في ذلك كثيرة ، والإجماع منعقد عليه ، وأما تفسيره للعلماء - أي من قبل العلماء - فجائز حسن والإجماع منعقد عليه . فمن كان أهلا للتفسير جامعًا للأدوات التي يعرف بها معناه ، وغلب على ظنه المراد تفسيره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك (جازلة التفسير وحسن) وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغـــوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهـلــــه » .

وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله (٥) ، وقال الحافظ العراقي (٦) : « ولو نظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها ، لأن كتب التفسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة ، ومن لا يميز صحيحها من منكرها لا يحل له الاعتماد على الكتب ، وأيضًا فكثير من المفسرين ضعفاء النقل كمقاتل بن سليمان والكلبي والضحاك ابن مزاحم ، وكذا كثير من التفاسير المنقولة عن ابن عباس لا تصح عنه لضعف رواتها ، وليت شعري كيف يقدم من هذه حالته على تفسير كتاب الله ؟ أحسن أحواله أن لا يعرف سقيمه من صحيحه . بل يزيد أحدهم

دراسات في السنة :

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير بالمأثور

وموقف العلماء منها . وتحته ثلاثة مباحث

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون - جامعة قطر

المبحث الأول : استكمال العلوم شرط لازم للمفسر :

إن من أعظم البلايا التي يصاب بها الفرد والأمة الجهل ، وإليه يعود تخلف الأمة في ميادين الاقتصاد والسياسة والقوة والفكر والاجتماع ، وهو بسبب بُعد الأمة عن الدين .

ولا خلاص للأمة مما تعانيه إلا بالعلم ، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى العلم الخطوة المتقدمة في علاج الأمراض المتعددة التي تشكو منها الإنسانية قاطبة .

والجهل أنواع ، ومن أشد أنواعها خطرًا وأسوئها أثرًا الجهل المركب الذي يكون في المرء ولا يدري أنه فيه ، ولا سيما إذا كان في أمور الدين ، لأن هذا النوع من الجهل يحمل صاحبه على القول في دين الله بغير علم ، فيحل ما حرم الله ويحرم ما أحل ، ومن المؤسف أن نقرر أن هناك ناسًا من مدعي العلم ينطبق عليهم هذا الوصف . يعمدون إلى القرآن فيفسرونه بآرائهم تفسيرات منحرفة تصرف النص عن المعنى الذي أنزل الكتاب لتقريره (١) . وقد كتب العلماء في التحذير من هؤلاء الجهلة ، من ذلك ما أورده ابن عبد البر في مواضع من كتابه « جامع بيان العلم وفضله » (٢)

المرأة وحفاظًا على مكانتها ليس مصدرها إلا الهوى ، واتباع الشهوات . ما دامت شابة ذات جمال وأناقة . أما المرأة التي أصبحت كبيرة السن وفقدت حسنها وطراوتها فهي لا تكون جديرة بالاعتناء لدى زعماء التجديد والتطوير الذين لا يرغبون إلا في لذة جزء من أجزاء جسمها ، وهم الذين يقيمونها في المكاتب والمتاجر ، ودوائر العمل العامة وفي كل مكان .

ولا يوجد هناك مصنع أو مكتب يقوم بتوظيف المرأة الدميمة أو الطاعنة في السنّ ، فماذا يعني ذلك ، والمرأة هي هي ، وإن كانت كبيرة السن أو دميمة الصورة ، كيف تطيب نفوسهم بهذا التمييز بين المرأة والمرأة ، وهم يدعون برعاية المرأة ، ويدافعون عن حقوقها في المساواة مع الرجل .

الواقع أن العطف على المرأة ليس مبعثه إلا المصالح المادية والشهوانية التي تركز عليها حضارات اليوم ، وهي التي تدوس كرامتها ، وتوديها إلى مستوى الزبالات ، وما نراه اليوم من حوادث الفتك والقتل ، والجرائم الجنسية ليس وراءها إلا هذه الروح النجسة الخبيثة التي تختفي بين جنبات هذه الحضارات والمجتمعات المادية الخالصة ، وهي التي تقوم بإشاعة الفاحشة والأدواء الجنسية بين المجتمع البشري الذي يجتني ثمارها المرة اليوم على جميع المستويات .

ولقد فضّل النبي الكريم -ﷺ- المرأة الصالحة على جميع أمتعة وذخائر الدنيا ، فقال : « إن الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة »

٢- إنها بنت الشر والفساد (يوحنا) .

٣- إن المرأة قرينة الشيطان (قديس برنابا) .

٤- الإنسان السيئ يتحول إلى صورة امرأة غير مرضية في النتيجة والمآل (سقراط) .

٥- المرأة من خزنة أبواب جهنم ، وهي عدو الأمن ، وما ترك آدم الجنة إلا بتحريضها (قديس جون ديسپين) [ولكن الله -عزوجل- يقول في كتابه المجيد : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ﴾] .

٦- إن المرأة ثعبان (جريجري) .

٧- كان النصارى في دولة الروم يعتبرونها بمنزلة الحيوان وكانت تقتل بأثم قليل ، ولما ظهرت حركة النفور والكراهية من السحر قيل:إنها هي أصل كل سحر .

ولا تستطيع المرأة أن تمس المصحف في الديانة الكاثوليكية ، ولكن الإسلام يسمح لها بذلك بعد غسل الجنابة والحيض والنفاس ، وتصح صلاتها وصومها وتلاوتها بعد تطهرها من هذه الأيام ، وتكون متساوية للرجل في العبادة وجميع المعاملات .

وكانت تُعتبر المرأة مملوكة في الجاهلية ، وكانت جزءًا من تركة المتوفى ، أما في العهد الحديث اليوم فهي تستخدم كعاملة وأجيرة وموظفة في الدوائر الرسمية وغيرها ، والذين يجعلونها ذريعة للاكتساب وازدهار التجارة ، وأداة لترويج البضائع والانتاجات الصناعية ، لماذا لا يشاطرونها في آلامها وآذاها أيام الحيض والنفاس والولادة والرضاعة .

ليس الأمر خافيًا على أحـــد : والأصوات التي ترتفع اليوم دفاعًا عن

والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات • أعد الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا ﴾ .

دور المرأة في بناء المجتمع :

من هنالك كان للمرأة في الإسلام دور مهم جدًا في بناء المجتمع الأفضل وهي مسئولة عن اتباع طريق المؤمنين والتمسك بتعاليم الدين ، وقد سجلت المرأة المسلة في التاريخ مواقف جريئة كريمة في هذا المجال . وكانت سببًا لازدهار الأسر والعائلات ، وتوجيه الرجال إلى حياة العز والسعادة والاتصال بشريعة الله ورسوله -ﷺ- ، وبذلك أسدت المرأة إلى الرجال منة ، وأنقذتهم من المهالك ومواقف الشقاء والتعاسة ، وحولت الحياة من جحيم الشهوات والجرائم والتلوثات الخلقية إلى جنة الحب والسعادة والسرور .

المرأة ، كما ينظر إليها كبار الناس :

أخرج الإسلام مما كانت عليه المرأة مع بعثة النبي -ﷺ- وخلع عليها لباس الحياء والعفة وجعلها سيدة البيت ، ومربية الجيل ، وصانعة التاريخ ، وقرر لها دورها في إسعاد الحياة والمجتمع ، كما يشهد بذلك كتب السيرة ، ولكنها تُعامل اليوم من قبل زعماء الحضارات الإنسانية ، بما لا يخفى على المطلعين . أما قيمة المرأة في الحضارات والديانات السابقة فهي كما يأتي :

١ - المرأة أخطر من الثعبان (اليونان) .

كبيرة في المجتمع الإسلامي .

أما الإسلام فإنه لم يثقل المرأة بمسئولية الكسب وتوفير أسباب المعاش ، ذاك أنها تعاني من آلام الحيض والحمل والولادة والرضاعة وتدبير الشئون المنزلية ما يجعلها في غنى عن كل تبعة مما يتحمله الرجل ، وقد شهد بذلك كتاب الله تعالى فقال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ حملته أمه كرهًا و وضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ .

وكما منحها الإسلام درجة البنت والأخت والزوجة والأم ، وزوجة الابن ، والمعلمة وحافظة البيت ، وسلم إليها جميع هذه المسئوليات في الأحوال العامة ، كذلك سمح لها بالمشاركة في الجهاد بما يساعد المجاهدين في سبيل الله .

والإسلام ما أساء الأدب إليها في أي مكان وما أقل كرامتها وما جعلها لعبة يتلهى بها الرجل ، وما جعل جسمها صالحًا للبيع والشراء بل حرّم ذلك تحريمًا باتًا ، ورفع مكانتها على كثير من الرجال البارزين ، حينما جعل الجنة تحت أقدام الأمهات .

جمال المرأة في عفتها وطهرها :

اهتم رسول الله -ﷺ- ببيان عفتها وطهرها ، حتى إن من ينظر إليها بعين الطمع والشهوة يعاقب ، وأما من يتهم المرأة كذبًا وقرفًا فإنه يجلد على رؤس الأشهاد ، ألا يتبين بهذا السلوك مكانة المرأة في الإسلام ، ما دامت عفيفة تقية ، تعمل بأحكام الشريعة وتعيش وفق مرضاة الله ، طائعة خاشعة ، قانتة سائحة ، ولا فرق في السلوك الشرعي بينها وبين الرجل ، يقول الله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات

[illegible]

[illegible]

التضحية التي تقوم بها المرأة :

تتحمل المرأة المسكينة أذى المحيض مع القيام بواجب الشئون المنزلية ، وهي تبذل ثلاثين شهرًا في تحمّل مشاق الحمل والوضع والرضاعة وتربية الولد ، وهي مدة تستغرق تسع مائة يوم بإزاء كل مولود .

أضف إلى ذلك ما تلزم به من خدمة الزوج والطهي ، وخدمة المرضى والاهتمام بالقرابات ومراعاة الأسباب اللازمة لها ، ومن الظلم بعد ذلك أن تتجه إليها مسئولية الكسب والمعاش ، كما هو الشأن في الحضارة المادية الراهنة .

تحريق المرأة ميتة :

يتعسر تزويج البنت ما لم يرض أهلها بتقديم هدايا غالية وأجهزة وفيرة ، وأموال طائلة إلى أولياء الزوج ، أما إذا تحقق الزواج و وقع تأخير في أداء الهدايا الموعودة فسوف تواجه العروس البريئة مضايقات من قبل أقرباء الزوج وأهل أسرته ، وقد تنتهي المأساة بتحريق العروس وقتلها ، ومثل هذه المأساة شائعة معلومة بين الناس في الهند ، وطالما تنشرها الجرائد ، أصبحت المرأة متاعًا رخيصًا للغاية فهي وسيلة للدعايات والإغراءات ، تُستخدم صورها شبه العارية في المبيعات من الأمتعة والبضائع وحتى الحاجيات من المأكولات والمشروبات .

هكذا أساء الماديون الأغبياء إلى المرأة المسكينة مهدرين حقوقها وشرفها وباعوها في أسواق المناداة بغاية من الوقاحة والبشاعة ، وعرضوها على شاشة الأفلام عارية عن كل شئ ، بأشكال رذيلة يعجز

[illegible]
(+) [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

([illegible])
[illegible]

(+) [illegible]

لم يزل يرغب المؤمنين على طلب كافة أنواع العلم المفيدة البنّاءة . إذ أن العلم والحكمة ضالّة المؤمن فهو أحق بها من غيره أينما وجدت .

بعد هذا العرض أود أن أقول ينبغي للمعلم العربي أو الديني أن يكون واعيًا وملما بما يجرى حوله في العالم من التقدم العلمي والتفوق التقني وما ينجزه العالم في ميادين الاختراعات والاكتشافات في الطب والهندسة والطبيعة والفيزيا والفلك والنجوم بقدر ما يجعله مؤهلاً على أن ينطق بلغة العصر وأن يتمشى مع مدارك عقول الناس ليستطيع أن يثقف الطلاب وأن ينبه الناس على علم وبصيرة ونقد وجرح وأخذ ورد، ذلك لأن كل ما يقال عن العلم والمعرفة والبحث والدراسة لن يكون حقًا مقبولاً ، بل منه ما هو حق يقبل ومنه ما هو باطل يرد . وذلك لأن العلوم الحديثة وليدة العقول ونتيجة التجارب ، وعقول الناس لم تزل تتطور وتجاربهم لم تزل تتغير ، فكم من حق ثابت بالأمس لدى العقول صار باطلاً في مختبر اليوم ، فمن ثم ينبغي للمعلم أن لا يصدق كل ما يكتب في الكتب وينشر في الجرائد والصحف باسم العلم الحديث أو التحقيق العلمي فينكر الحقائق الدينية كما حدث مع بعض العلماء المنهزمين المسلمين فأنكروا وجود الجن أو معجزة النبي -ﷺ- أو بعض الأخبار عن المغيبات كنزول عيسى بن مريم وخروج دابة الأرض وظهور الدجال وما إلى ذلك من أشراط الساعة ، وكذلك المعلم الواعي الخبير لا يرفض كل شئ من العلوم الحديثة قائلاً : إنه من الخرافات أو من تلبيس إبليس ، لا يقوله إلا الكافرون ، لأنه من العلوم الحديثة ما هو مفيد ومعين للدين ، فكم من غامض ديني انكشفت أسراره بسبب العلم الحديث ، وكم من مشكل سهل فهمه الآن .

[يتبع]

الذي ألف كتابًا في الطب وسماه قانون الطب ، وأبو القاسم الز هراوي ومحمد بن أحمد تميمي وابن الهيثم وسعيد بن هبة الله .

٢- وفي الكيمياء جابر بن حبان وهو أول من قام بهذا العلم على الإطلاق ، ومحمد بن ساسي ، والرازي وأبو علي بن سينا .

٣- وفي الرياضيات علي بن سعيد ، وأبو سعيد جرير جرجاني ، ومحمد ابن موسى خوارزمي ، وأحمد بن سهيل بلقاني ، وعلي عمراني ، وسعيد دمشقي ، وأبو الوفا بزجاني ، والبيروني ، والنسائي .

٤- وفي علم الحياة عبد المالك بن قايب الأسماعي .

٥- وفي علم الطبيعة محمد بن موسى ، وأحمد بن موسى وحسن بن موسى (ثلاثة اخوة) .

٦- وفي النجوم ابراهيم فرازي ويعقوب بن طارق و يحيى بن منصور، ومحمد بن جابر البطامي وابن يرنس .

٧- وفي علم النفس والاجتماع أبو حامد الغزالي ، وابن خلدون - رحم الله عليهم جميعًا - .

واجب المعلم تجاه العلم الحديث :

بعد هذا الوجيز السريع عن مكانة العلم في الإسلام ومجده وتقسيمه إلى العلم الديني والعلم الكوني التجريبي ، فان العلم الكوني التجريبي وحده لن يضمن للإنسان بقاءه وسعادته ، وإن العلم حضارة إنسانية لا يختص بها نوع دون نوع وشعب دون شعب وإقليم دون إقليم ، وإن الأمم والأقوام ساهموا فيها على مدى القرون والعصور وتركوا آثارهم وخلفياتهم في الخير والشر والبناء والدمار ، وإن الإسلام ساهم فيها مساهمة فعالة بناءة تلذ عليها العالم الغربي قرونًا من الزمن ، وإن الإسلام

قيل انه علم بنبوة موسى وتعاليم دينه . فقال رافضًا : « كفانا العلم من هذا نورًا وفلاحًا » ولعل الله أنزل في مثله قوله : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ [سورة المؤمن - الغافر] .

مساهمة علماء الإسلام في الحضارة العالمية :

أريد الآن أن أعود إلى ما كنا عليه من بيان . أن الإسلام يأمر أن نجمع بين العلوم الكونية والدينية . فأقول : إن الإسلام لم يعان في الغابر من قحط الرجال وقلة العلماء بل كان للإسلام صفحات لامعة من تاريخ العلم والبحث والإيجاد والاختراع في حين كانت أوربا أو الغرب تعيش في التخلف العلمي والتقني . فكان لمدينة دار السلام أي بغداد من العلم والعلماء ما لأمريكا في عصرنا هذا . فكان الناس من شتى أنحاء العالم يتوافدون إلى بغداد ليتتلمذوا على علمائها ويتعلموا ما لديهم من الجديد في الطب والهندسة والكيمياء والفيزيا والرياضة والطبيعة . ولكن المسلمين ابتلوا أخيرًا باختلاف ذات البين فتفرقت كلمتهم وتمزقت وحدتهم ودولتهم إلى دويلات يحارب بعضهم بعضًا فغربت شمس المجد والكرامة والافتخار بالبحث والدراسة . وطلعت رويدًا رويدًا في أفق العالم الغربي تطبيقًا لسنة الله في الأيام والتاريخ ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ وإليكم الآن قائمة أسماء أولئك الذين ساهموا في الحضارة العالمية من علماء المسلمين الذين اعترف بفضلهم الغرب وترجموا عملهم إلى لغاتهم وقاموا بدارسته وتحليله :

١ - في الطب حسين بن آدم ويعقوب خالد وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي ألف حوالي ١٥٠ كتابًا ورسائل في الطب . وأبو علي سينا

الصخور المختلفة ألوانها والطرق المتعددة أشكالها وذلك علم الجماد ، ثم ذكر الناس والدواب والأنعام وذلك علم الحياة . فالعلوم الكونية تدور حول رحى هذه الثلاثة أصلاً . ثم ذكر الله مباشرة مدح العلماء ، وقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ والعلوم التي ذكرت سالفًا ليست طبعًا إلا العلوم الكونية وهذه العلوم مهما بلغت في أوجها وتقدمها لا تضمن وحدها سعادة الإنسان . من أجل ذلك اردف الله قائلاً : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ وهذه هي العلوم الدينية ، ثم أتم قائلاً : ﴿ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ .

فالوعد بتوفي الأجور والزيادة من فضله على الجمع بين هذين القسمين من العلوم - الكونية والدينية ، ومن اكتفي بأحدهما لا يستحق أن يعيش في كمال السعادة وأن يقود البشرية إلى تمام النجاح والرفاهية .

الحضارة الاغريقية وسبب فشلها في إسعاد البشر :

فقد بلغت كثير من الحضارات في الماضي قبل الإسلام كحضارة بابلية وحضارة مصرية وحضارة اغريقية إلى أوجها في برهة من الزمن وفعلت فعلها في تأثير العقول وتصريف الميول على التفاعل بها والمسايرة معها، ولكنها لم تلبث أن ماتت وفنيت ودفنت تحت التراب أو ذهبت أنقاضها إلى المتاحف ، وما ذلك إلا لأنها كانت عارية من تعاليم السماء بل كانت باغية عليها فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، فهذا أرسطو - فيلسوف الاغريق الذي لُقب بمعلم العلماء وأستاذ الأساتذة والذي بهرته فلسفة عقول العالم ، كان مريضًا بشذوذ خلقية وكان له أخدان من الأولاد وكان مدمن الخمر ، ومن ناحية أخرى كان مغرورًا بعلمه ومنتجات عقله .

ميدان العلم الكوني .

ويقول الرسول -ﷺ- : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » [رواه مسلم] فقوله -ﷺ- : علم ينتفع به يشمل سائر العلوم من الفيزية والتكنولوجية والطبيعية التي تعود بالنفع على الناس أيضًا .

فالقرآن الكريم لفت أنظار الناس في كثير من الآيات إلى التفكير العميق فيما حولهم وما فوقهم من السماء والأرض وما فيهما من العجائب والغرائب من الخلق ، ومن المعلوم ان التفكر العميق هو مصدر العلوم الكونية والاختراعات الحديثة غير أن القرآن الكريم وضح بأن التفكير في الخلق وحده لا يضمن الوصول إلى الحق والسعادة ما لم يصحب ذلك مع العقائد الدينية والتعاليم السماوية ، فاقرأوا هذه الآيات من سورة الفاطر تصلوا إلى ما أقول من النتيجة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أ لم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا بــــه ثمرات مختلفًا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدوآبّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور • إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ [سورة الفاطر] .

فهاتان الآيتان جامعتان جدًا - على فهمي - في الجمع بين العلوم الكونية والدينية ، فذكر الله سبحانه وتعالى نزول المطر وخروج النبات والثمرات مختلفًا ألوانها وهذا علم النبات ، ثم ذكر الجبال وما فيها من

المطاف فقط ، و صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ﴾ ويقول : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

ففي هذا القسم من العلم يصيب العلماء في معظم الأحايين وقد يخطئون أيضًا ، مثلهم كمثل الطبيب قد يصيب في توصيف المرض والدواء وقد يخطئ أيضًا ، وفي هذا القسم من العلم يكون الإيمان والكفر سواء ، إذ الأمر يتوقف على بذل المجهودات على طريقة مناسبة مع الانتباه والحيطة ، فمن سبق في استعمال الوسائل الصحيحة وبذل المجهودات اللازمة سبق في هذا القسم من العلم مؤمنًا كان أو كافرًا .

فلا غرابة إذن أن تقدمت أمريكا في ميدان الاختراعات مع كفرها وتأخرت دولة إسلامية مع إيمانها ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة رسولنا الكريم إذ يقول : « إن الله -عزوجل- لم ينزل داءً وإلا أنزل له شفاء ، علمه من علم وجهله من جهل » [رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- كذا في زاد المعاد] فكلمة (من) تدل بلا ريب على عموم بين البشر من غير اشتراط الإيمان كما هو الظاهر .

الإسلام يأمر بالجمع بين العلوم الدينية والكونية :

الإسلام - بصفته أكمل الأديان وأتمها وخاتمها - يأمر أهله أن يجمعوا بين علوم الدنيا والآخرة ، وبعبارة أخرى بين العلوم الدينية والعلوم الكونية ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾.

فهذه الآية تأمر المسلمين على التسلح التفوقي الذي يبث الرعب في قلوب الكافرين فلا يتجرؤن على المهاجمة على المسلمين ، أو لا يستطيعون المقاومة إن قدر الله المجابهة .والتسلح التفوقي لا يمكن إلا بالتسابق في

إلا من عجائب علم الطب ، ويكلم الإنسان من قارة إلى قارة ويظهر صورته في شاشات التلفزيون من آلاف الأميال ، ويبعث رسالة كتابية من قارة إلى أخرى فتصل في نفس اللحظة ، وما ذلك إلا من عجائب علم الطبيعة ، ويشيد العمارة فيبلغ طولها عنان السماء، وما ذلك إلا من عجائب علم الهندسة .

فإذا فهمنا هذا وأخذناه بعين الاعتبار فلنعلم ان الإسلام دين لهذا الإنسان الذي له ما سبق من أنواع العلم والذكاء ، ولنعلم انه دين منزل من ذلك الخالق الذي أحاط بكل شئ علما والذي يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

فمن البداهة والمنطق إذن أن يكون الإسلام دين العلم والعرفان ، دينًا يحمل أهله أن يطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

تقسيم العلم إلى العلم الشرعي التوقيفي والعلم الكوني التجريبي :

لعله يصح أن نقسم العلم إلى العلم الشرعي التوقيفي مرجعه كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وما يتبنى عليهما من الفروع الفقهية الاجتهادية ، وإلى العلم الكوني التجريبي وهو ما يحصله الإنسان من الأمور المحسوسات باستعمال ما وهبه الله من العقل والذكاء والتفكير والتدبر وعرض المحسوسات بعضها على بعض والمقارنة والموازنة واستعمال طرق التحليل والتجريب وباستخراج النتائج من الوسائل والمقدمات .

فالناس علوا شيئًا كثيرًا وقطعوا شوطًا وافرًا في هذا المجال ، ولم يزل العلماء يضيفون أشياء إلى الحضارة البشرية يوميًا أو شهريًا أو سنويًا ، فالذي يحسبه العلماء اليوم انه غاية الحق والتحقيق تثبته الأيام الآتية بتطور علمي جديد بأنه لم يكن إلا باطلاً أو كان بداية

المعلم و العلم الحديث [+]

[١]

بقلم : دكتور محمد مسلم خان
المدرس في كلية الجماعة بزاريا - نيجيريا

كفى للعلم شرفا أنه صفة من صفات الله . وكفى له فضلاً أنه أهّل آدم ليكون معلم الملائكة ومسجودًا لهم . وكفى له عزة وجلالاً أنه مكن الإنسان أن يطير في جو السماء ويبحر البحار والأنهار ويسير في الأرض مسيرة غدوها شهر ورواحها شهر . وكفى له كرامة ومعجزة أنه سخر للإنسان ما في بطون الأرض وأعماق البحار وغابات الصحارى ومغارات الغابات والمفازات من الكنوز والزروع والمخازن والمعادن . فسبحان الذي كرم بني آدم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلقهم تفضيلاً .

فكل ما نرى من مظاهر الحضارات في الغابر والحاضر من التعمير والتسخير ومن الاختراعات والاكتشافات في ميادين الطب والهندسة والمواصلات والطبيعة فكل ذلك من ثمرات العلم وآثاره . فالإنسان المعاصر يسير من الأرض إلى سطح القمر وما ذلك إلا من عجائب العلم التكنولوجي . ويشق صدر الإنسان ويستخرج قلبه ويصلح أو يزرع مكانه قلبًا آخر صناعيًا،أو يفك مخه ويبدل فيه شيئًا بشئ أو ينظف ويغسل . وما ذلك

(+) محاضرة اعدت للالقاء في الندوة العلية التي نظمها مركز هيئة الإغاثة العالمية بكدونا في يومي الأربعاء والخميس ١٢-١٤ من شهر مارس عام ١٩٩١م .

والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [سورة آل عمران . الآية : ١٩٠] .

وفي سنة ١٩٥٩م عقد في برشلونه المؤتمر الثاني عشر لجمعية الصحة العقلية تحت رئاسة الدكتور ريز الذي قال في هذا المؤتمر : « إن أهم ما يمتاز به القرن العشرون أنه تسوده عوامل الصراع والتطاحن والحرب النفسية لدرجة جعلت الكثير من سكان العالم في بقاع الأرض المختلفة يعيشون على حافة الهاوية . وكل هذا دعا الباحثين في علم النفس إلى أن يطلقوا على هذا العصر » : [عصر القلق]

و الاسلام :

يعالج القلق عن طريق وصل الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى ، وحينئذ يبدأ في الشعور بالراحة والطمأنينة لأنه يحس بأن له سندًا قويًا في هذه الحياة وذلك يبعثه على التغلب على مشكلاته والنظر إلى الحياة بعين راضية .

والإيمان :

لذلك يزيل جميع العلل المادية والحضارية في عالمنا المعاصر إذ أن القلق المرضى يزداد مع نشاط الحياة القائمة على المادة وحدها .

بعيدًا عن الإيمان وقوته

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ﴾ [سورة الإسراء . الآية : ٨٢]

الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون › [سورة الأعراف : الآيتان : ٧٥-٧٦] .

كذلك عارض الإسلام الاتجاه الروحي البحت فقال : ‹ و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم › [سورة الحديد ، الآية : ٢٧] .

والإسلام يؤكد التلازم بين الإنسان وبين الدين على التخفيف من العزلة والغربة الروحية التي سيطرت على هذا العالم على أساس أن الدين يقوم على الإيمان بالله وعالم الغيب ، ورسمه للطريق إليه وإحياء دلالة الدنيا والآخرة - فهذه الدلالة الثنائية تخفف من سيطرة القلق على أساس أن الموت ليس فناء وإنما هو وجود مرتبط بالأبدية وبالله تعالى فهذا يخفف من الإحساس بالغربة لأن الدين مرتبط بالإيمان بالله تعالى .

والعامل الإلهي هو وحده الذي يستطيع أن يجعل الإنسان مدركًا للشعور بالألفة والصلة ومتوخيًا غاية وجوده - الله تعالى - أساسًا هو الذي يمكن أن يستسلم له الإنسان استسلامًا كاملاً فيحس بالراحة والأمن والاطمئنان الكامل .

إن العصر الحاضر هو عصر التقنية وهو موجة نحو المستقبل ولا يسمح للروح بأي فراغ لتؤكد نفسها .

وبتأثير السرعة الفائقة القائمة على الآلية المتزايدة للحياة أثر قاتل على الروح الإنسانية ، وبتأثير السرعة الفائقة انحلت الإنسانية إلى أجزاء ضئيلة - وسبيل الروح إلى تحقيق شخصيتها يكون بالتأمل - والتأمل هو مركز الإيمان يقول الله تعالى : ‹ إن في خلق السماوات

١- الدين فطرة في الإنسان - والوحدانية أقرب إلى الفطرة وفي نفس الوقت هي الدور الحضاري لكل عقيدة ، والأديان السماوية هي التي بلغت بالتوحيد الغاية المرجوة ، وامتزاج عقيدة الروح بكل عقيدة دينية ، وإذا كانت الإنسانية في جميع أدوارها قد تخلت عن الاعتقاد فإن معنى ذلك أن في الطبع الإنساني جوعًا إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام .

وهذه الأبحاث تهدينا إلى ما يقرره القرآن الكريم تاريخيًا للحياة الدينية في الإنسان وهو أن الدين : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله • ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون • منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ [سورة الروم ، الآيتان : ٣٠-٣١] .

والدين يقوم على ثلاثة أسس :

الأساس الأول : وجود الله تعالى .

الأساس الثاني : الرسول الذي بلغ عن الله تعالى ، ومن أهم مقوماته : الوحي والمعجزة ، والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد من اصطفاه للنبوة .

الأساس الثالث : الإنسان - والإنسان متدين بفطرته - قادر على السلوك العقلي والحكم على الأشياء والاختيار الأخلاقي .

والإسلام :

تركزت دعوته حول المادة والروح - وقد نهى القرآن الكريم عن الإخلاد إلى الأرض فقال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى

ضرورة إنسانية لا يستطيع الإنسان أن يعيش هادئًا مطمئنًا بغيرها - والقلق المعاصر ما هو إلا صحوة تشير إلى أهمية الدين و لابد من نظرة نقد بصيرة إلى تجديد مفهوم التكنولوجيا بالنسبة إلى مفهوم تحديد الإنسان ، وإن في الإنسان جانبًا روحيًا لا يمكن أن يغفل هو الذي يلجئه إلى الدين .

لقد جاء ماركس ليعالج القلق في مجتمع به قلق ولكن علاجه لم يفد شيئًا ، بل إنه زاد من حدة القلق حينما جعل الدين عضوًا في المحكمة القاتلة للجنس البشري - وعند ما رأي الدين يقرر العدل وله وسائله الشريفة أنكره - ومعنى إنكار الدين استمرار ظاهرة القلق فضلاً عن نتائج ظهرت بعد تطبيق نظريته فواصل طبقية من نوع جديد هي الحقد والحسد والبغضاء - وقد وقعت الماركسية في خطأ عظيم حين ربطت بين الدين وبين رجال الكنيسة ربطًا لا يقبل الموازنة وحملت الدين كل تصرفات رجال الكنيسة في العصور الوسطي مع أنهم لم يخلطوا بين النظرية والتطبيق في الماركسية - ولو فعلوا ذلك مع الدين لعرفوا قيمة الدين وأهميته بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع .

إن دين الله تعالى رفع من شأن الإنسان ورعى قيمه - والإنسان في جوهره موجود روحي ذو صلة بالله تعالى لأنه نفخ فيه من روحه وفضله على كثير من مخلوقاته وسخر له الكون وما فيه ليعمره طبقًا لمنهج الله تعالى ومن ثم كان الإنسان كائنًا أخلاقيًا حرًا .

لقد بحث كثير من العلماء الغربيين في صلة الدين بالإنسان وتوصلوا إلى النتائج الآتية :

الأخلاقية التي تصله بمجتمعه وليست الصلة المادية القائمة بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه .

فالإنسان لا يخضع لظروفه المادية المفروضة عليه قدر خضوعه إلى ضمير يسمو على ذاته وهذا هو الضمير الاجتماعي – ذلك لأن الجانب الأكبر والأهم يتعدى جسده ويعطي حرية التحرك خارج شرنقة الجسد ولكنه يظل خاضعًا للمجتمع – غير أن المجتمع عند ما يضطرب نتيجة أزمة من الأزمات أو بسبب انتقاله نقلة عابرة فإنه يصبح بصورة وقتية غير قادر على ممارسة تأثيره – وهذا ما يسبب الارتفاع الفجائي في معدلات الانتحار .

والتحول الاقتصادي المفاجئ : يجلب مثل هذه الانقلابات – وكذلك في التبدل الذي يطرأ على بناء السلطة بسبب الانتفاضات السياسية أو الانتقالات الثورية لأن ذلك يستدعي تكيفا سريعًا يصعب تحقيقه من قبل الفرد أو المجتمع .

ومن الطريف أن دور كايم ، يرى أن الفاقة تحول دون الانتحار لأنها ضابط وقيد بعكس الغنى فإنه يرى أنه أقل خضوعًا وتعبيرًا من غيره مما يجعله أقل تسامحًا لأقل تغيير يواجهه .

والسعادة الحقيقية للإنسان تكون في التوازن الانفعالي والهدوء العاطفي ، والمنهج الإنشائي في العلاج يستهدف كفاية الفرد وإشعاره بالقدرة والسعادة باتباع الطرق المؤدية إلى تقوية الإدارة أو الخيال أو الذاكرة أو الشخصية .

الدين علاج القلق : إن علاج القلق يأتي أساسًا من الدين – فالدين

مدينة تورينو في عام ١٩٥٠م والأديب الأمريكي الشهير ارنست همنجواي انتحر في عام ١٩٧٨م والأديب الفرنسي جان انميري الذي التزم طوال حياته بأدب الموت انتحر في عام ١٩٧٨م والشاعر الألماني الدكتور هاثر باء بالغ في الاحتفال بانتحاره عام ١٩٨٠م - إذ تناول كمية كبيرة من الحبوب المنومة بعد أن ارتدى حليته الجديدة وترك الزهور على سريره الذي استقبل عليه الموت - وأرسل بطاقات نعيه إلى أصدقائه وكتب فيها :

« أصدقائي الأعزاء ! لقد استمتعت بوفاتي في مراسم الدفن السخيفة ورؤية المشيعين والجو المحيط بالجنازة » .

والكاتب البريطاني ارثر كوسفله انتحر هو وزوجته في عام ١٩٨٢م وقد كتب قبل موته مقدمة كتابه (مرشد تحرير الذات) الذي أصدرته مجلة تايم الأمريكية عام ١٩٨١م ، ومن طريف ما يذكر في هذا المجال ما ورد في المستخلصات الإحصائية للولايات المتحدة عام ١٩٨٤م في جدول الانتحار في العالم ونسبته من كل مائة ألف ، و قد احتلت الدنمارك المرتبة الأولى ثم النمسا ثم ألمانيا الغربية فسويسرا فالسويد فاليابان ففرنسا وكندا فبولاندا فالولايات المتحدة الأمريكية .

وتقول جمعية الواشنطن بوست الأمريكية : إنه خلال العقدين الأخيرين ارتفعت نسبة المنتحرين إلى ثلاثة أضعاف بنسبة ١١ لكل عشرة آلاف ، وتوجد ٧٠ مؤسسة لإقناع الراغبين في الانتحار وبالعدول عن ذلك ، وعدد الذين يرتادون المؤسسات مائة شخص يوميًا .

كيف نعالج القلق ؟ إن أبرز خصائص الإنسان المميزة له هي الرابطة

مستقل متمايز . فينفصل عن الجماعة التي ينتمي إليها ويستمد منها كل مقوماته فتصبح حياة الفرد قليلة الأهمية بالنسبة لنفسه وبالنسبة لغيــره فيلجأ إلى الانتحار حين يحس بزيادة ضغط المجتمع عليه فينهــار .

٢- الانتحار :

الناشئ عن الانحراف عن المعايير الثابتة نتيجة إخفاق الفرد في أن يتوافق مع المجتمع فيصعب على المجتمع تهيئة الفرد للتجاوب معه – أو حين تنهدم من حوله المعايير التي تنظم سلوكه وعلاقاته بالمجتمع – وبذلك يضعف الضمير الجمعي ويتحرر الفرد من الضغوط والقيود الاجتماعية التي توجهه فيتخبط في تصرفاته ولا يجد للحياة معنى فيعمد إلى الانتحار .

انتحار مشاهير :

ومما يلفت النظر ظاهرة انتحار بعض المشاهير الذين نالوا الكثير من العلم ومن المال ومن الشهرة ولكن مع القلق المستمر وعدم التكيف مع النفس ومع المجتمع . منهم الروائي الكبير (شيرنان زفايج) الذي انتحر في البرازيل في إحدى ليالي الكرنفال الصاخبة عام ١٩٤٢م إذ تناول السم مع زوجته بعد أن كتب في إحدى قصصه الأخيرة .

« إن العالم الذي نعيش فيه لم يستطع أن يقدم لنا الشئ الكثير في الوقت نفسه الذي لن نستطيع مع المشاركة أن نغير أي شئ فيه . إننا لا نعدو أن نكون مجرد أشباح وذكريات » والأديب الألماني كلاوس مان انتحر في عام ١٩٤٩م والأديب الإيطالي « سيز زبابرة » انتحر في

عن طريق الانتحار وقد بدأ الانتحار بطريقة فردية بحيث يختار فيها من يريد الانتحار أسلوب الانتحار ، ثم ظهرت جمعيات تخصصت في عمليات الانتحار الجماعي والتي أصبحت تقدم خدماتها للشباب وتعدهم بألوان التخلص من الحياة - لا يلاقون فيها متاعب - بل إنهم يجدون في أثنائها الهدوء والراحة .

ومن الملاحظ : أن هذه الجمعيات لها وجود فعلي قانوني ولها مقارّ رسمية ولها وفود تجتمع في مؤتمرات عالمية وقرارات تنفذ بصورة صارمة .

وجمعيات فن الموت تعلن أنها :

تمدك بالمعلومات الكافية عن أسرع الوسائل وأجملها بل وأحدثها أيضًا وتعرض عليك آخر جرعات السموم مغلفة بابتسامة رقيقة تودعك إلى الأبد وتدعوك لاستخدام حقك الطبيعي في حرية الموت .

أنواع الانتحار : ويرى دور كايم أن الانتحار في الغرب ظاهرة اجتماعية لها ثلاثة أنواع :

١ - الانتحار الأناني :

الذي يرجع إلى انعدام تكامل الفرد كفرد في المجتمع - فيجد الفرد نفسه عاجزا عن الاستجابة أو الخضوع لأية سلطة فينعزل عن المجتمع - ويعتقد أن الجماعة لا تريد له الحياة فينتحر .

٢- الانتحار الإيثاري :

الذي يرجع إلى قوة العادات والتقاليد والعرف وخضوع الفرد لهذه السطوة بطريقة تنمي فيها شخصية الفرد بحيث لا يكاد يتمتع بكيان

حتى انتفضت كل فكرة وراء الطبيعة ونتيجة لهذا التطرف ظهر الاتجاه العقلي ثم دعوات تأليفية للربط بينهما .

٤- والمصدر الثالث للقلق : شعور الإنسان بأنه مسئول عن تنظيم الوجود باسم النزعة الإنسانية .

٥- والمصدر الرابع للقلق : شعور الإنسان بضعفه في كثير من شئون الحياة .

وقد أدت حالات القلق في الغرب إلى تفشي ظاهرة الهروب من المجتمعات عن طريق المخدرات أو الهروب من الحياة عن طريق الانتحار .

هيا بنا نذهب الى الجنة :

ومن الطريف بأن ظاهرة انتشار المخدرات بين الشباب تتم تحت عنوان يردده الشباب « هيا بنا نذهب إلى الجنة » والجنة المقصودة هي جرعات صغيرة من المخدرات .

ويقول خبراء الجمعية القومية لقاومة المخدرات ومحاربتها في الولايات المتحدة في إحصاء تم في عام ١٩٧٨م كانت نتيجته أن ٤٢ مليون أمريكي تعاطوا المخدرات ولو لمرة واحدة في حياتهم - وتشير إحصاءات هيئة الصحة في الولايات المتحدة عام ١٩٧٨م إلى أنه بين كل تسعة طلاب هناك طالب يتعاطى المخدرات بشكل عام وهو ضعف ما كان عليه الحال عام ١٩٧٥م ، وفي دراسة لقسم الدراسات والأبحاث الاجتماعية في جامعة ميتشجن تبين أن نسبة متعاطي المخدرات بصفة عامة في أمريكا بلغت ٤٩٪ عام ١٩٧٥م ، ارتفعت إلى ٥٩٪ عام ١٩٧٨م .

فن الموت : كما أن القلق المستمر جعل بعض الشباب يهربون من الحياة

والاغراق في المادة والعجز عن مواجهة المشكلات التي تعترض طريق الإنسان وذلك يؤدي به إلى أساليب مختلفة من التكيف يقصد بها التخفيف من التوتر ، ومنها :

الحيل الدفاعية : التي تقوم على تشويه الحقيقة ابتغاء تجنب الفرد لحالات القلق وما يصاحبها من الشعور بالذنب وذلك بإنكار الدافع أو الذكريات أو تشويه ذلك بالتبرير والإسقاط .

مصادر القلق :

والمصدر الأول للقلق : في الحضارة الغربية هو : محاولة إلغاء الدين في كل الاتجاهات ، سواء أكان ذلك في التيار الكهنوتي أم في التيار الهبليني أم في التيار الماركسي .

وتعتبر الماركسية الصبغة النهائية للحركة الأوربية في أسسها التي تتلخص في :

١ - الاتجاه إلى الطبيعة بدلاً من الاتجاه إلى الله تعالى .

٢ - الاعتقاد بأن الكائنات الحية ينبع من تطورها قانون حتمي .

وموقف الماركسية من الدين كان فيه عنف وتزوير للحقائق - وكان هدفها دائمًا محو الدين محوًا كاملاً من الحياة . ومن الطرق المفضلة عند الماركسيين كانت مساواة الدين بالخرافات وكانوا يقولون : « إن الدين قد أصبح عديم الفائدة وإنه يخدم المستقلين دائمًا وإنه ينافي العلم » .

٢- والمصدر الثاني للقلق : محاولة إلغاء العلاقة بين الحياة المادية والحياة الروحية .

وقد ظهر هذا الاتجاه أولاً كرد فعل عنيف على الفكر الكنسي وتطور

القلق . مرض الحضارة الغربية

بقلم : دكتور علي القاضي - القاهرة

القـــلـــق :

حالة من التوتر الشديد الشامل الذي ينشأ من صراعات الدوافع بعضها مع بعض ومن مظاهر ذلك : شيوع السخط على الحياة والشعور بالغربة والكآبة وأزمة الأخلاق وفوضى مذاهبها . ومعنى ذلك : أن العلم وحده ليس كافيًا لإسعاد الإنسان ، لأن العناصر الأساسية في الإنسان هي الجسم والعقل والروح .

نعم هناك قلق طبيعي في الإنسان - فالإنسان قلق في أحواله العادية - ولكن هذا القلق لا يعتبر مرضا لأنه يبعث على النشاط ويربط الإنسان بأمله ويدفعه إلى العمل والإنتاج وعمارة الكون . والقلق في الحضارة الغربية المعاصرة سببه عدم الاتزان في التقدم الحضاري لأن تقدم الحضارة انحصر في التقدم المادي وتخلف عنه في الجانب الروحي - ومن هنا أصبح القلق أزمة إنسانية أساسها عدم الاتزان الفكري بين ثنائية الحياة المادية والروحية .

مظاهر القلق : ومن مظاهر القلق الخوف والتوجس وتوقع السوء تجاه أشياء معروفة أو مهمة والصراع بين نوازع الإنسان من جهة والقيود من جهة أخرى والتفكك العائلي . والفردية والوحدة والانحلال الخلقي

(R.V.C. Bodley) منصفًا وجريئًا في نقد هذا الشعور الغربي نحو تعدد الزوجات في حياة النبي -ﷺ- يقول في كتابه « محمد الرسول » :

« إنه لا داعي إلى قياس حياة محمد الزوجية بالمقاييس الغربية . ولا الحكم عليها من وجهة نظر التقاليد والقوانين التي سنتها المسيحية في الغرب ، فلم يكن أولئك الرجال - العرب - غربيين ولا مسيحيين ، إنما نشأوا في بلاد وفي عصر كان يسود عليه نظامهم الخلقي الخاص ، ورغم كل ذلك لا مبرر لتفضيل النظام الخلقي الأمريكي أو الأوربي على النظام الخلقي العربي ، إن الغربيين لا يزالون في حاجة إلى بحث دقيق وتمحيص كبير لتفضيل نظامهم الخلقي وطريقة حياتهم على غيرها ، فعليهم أن يتجنبوا الطعن في ديانات أخرى ومدنيات أخرى » (١) .

وليست « شناعة » تعدد الزوجات « التي تخيلها الغرب ، وآمن بها أبناؤه في تقليد وحماس واعتبروها حقيقة بديهية مسلمة ، وجسّمها كتّابه ومشرعوه » ، شناعة دائمة على مر العصور والأجيال ، قائمة على أسس علمية ثابتة ، أو الفطرة الإنسانية السليمة ، بل هي شناعة خيالية عاطفية ، ناتجة عن دعاية قوية متحمسة ، تخف وقد تزول مع الزمان بتغير الاتجاهات والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية (٢) .

٧ ٧ ٧

R. V. C. Bodley : The Messenger-The Life of Mohammad, (London, 1946) pp. 202-203 .

(٢) وإلى ذلك أشار الكاتب الغربي العصري (Alwin Toffler) في كتابه الحديث (Future Shock) الذي أحدث دويًا في الأوساط العلمية أخيرًا : اقرأ (على سبيل المثال) ص/٢٢٧-٢٢٢ (طبع لندن ١٩٧٥م) .

عنهـا - (١) » .

وأما مكارم الأخلاق ، وعلو الهمة ، والجود ، والمواساة ، فعن البحر حدث ولا حرج ، وحسبك ما رواه هشام عن أبيه : أن معاوية بعث إلى عائشة مائة ألف ، فوالله ما غاب علينا الشهر حتى فرقتها ، فقالت مولاة لها : لو اشتريت لنا من ذلك بدرهم لحمًا ، فقالت : ألا ذكرتني (٢) ، وكانت صائمة (٣) .

وقد نشأت « مشكلة تعدد الزوجات » في حياة محمد -ﷺ- وشغلت عقول كثير من الباحثين الغربيين وأقلام الكتاب المستشرقين ، وكثر التساؤل عنها ، بسبب اخضاعهم الحياة الزوجية في بلاد العرب وفي الشريعة الإسلامية ، وفي العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، للقيم والتصورات والأعراف الغربية ، وتسليط الموازين والمقاييس الغربية «التي ما أنزل الله بها من سلطان - وإنما هي وليدة حضارة خاصة ومجتمع خاص » على ما تقبله الفطرة السليمة والبيئة العربية ، وتقتضيه المصالح الخلقية والاجتماعية ، ويأذن به الله ، وتلك نقطة ضعف في التفكير الغربي وفي الكتابات الغربية يجعلون الغرب هو الميزان ، ثم يطلقون أحكامًا قاسية على كل ما جانبه أو اختلف عنه ، فيخلقون مشكلة ثم يعالجونها ، وما هي إلا نتيجة كبريائهم ، وتقديسهم الزائد للقيم و المثل الغربية ، وقد كان مؤلف السيرة الإنجليزي المستر

---

(١) تذكرة الحفاظ : ج/١ ، ص/٢٧-٢٨ ، طبعة دار إحياء التراث العربي .

(٢) نفس المصدر : ص/٢٨ .

(٣) زيادة من رواية أم ذرة (المصدر السابق) .

واقتصاديًا واجتماعيًا ، عن النهوض بأعباء الدعوة ، والجهاد والتقشف ، والحياة المثالية ، والقيام بالأمور الجسام ، برهة من الزمان ، بل زاده ذلك نشاطًا وقوةً ، وكن أعوانًا له على القيام بما أكرمه الله به ، من تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، وتعليم المسلمين دينهم ، ذكورًا وإناثًا ، وكن يرافقنه في الحروب والغزوات ، فيداوين الجرحى ويمرضن المرضى ، ويشرن بالخير ، ويواسين في الشدة ، وبهن قام نحو ثلث الدين - مما يتعلق بحياته المنزلية والعشرة وكثير من الأحكام - تعلها المسلمون منهن ، وحفظوه ونشروه (١) .

وناهيك بأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقد قال إمام علم الرجال والطبقات الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (م ٧٤٨هـ) في كتابه المشهور « تذكرة الحفاظ » .

« كانت أكبر فقهاء الصحابة ، كان فقهاء أصحاب رسول الله -ﷺ- يرجعون إليها ، يروى عن قبيضة بنت ذؤيب ، قالت : كانت عائشة أعلم الناس ، يسألها أكابر الصحابة ، وقال أبو موسى ما أشكل علينا أصحاب محمد -ﷺ- حديث قط ، فسألنا عائشة ، إلا وجدنا عندها منه علماً ، وقال حسان : ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة - رضي الله

---

(١) وقد أحسن الكلام في موضوع تعدد الزوجات وما كان فيه من حكم ومصالح وما يحيط به من أحوال وظروف ، مؤلف السيرة الهندي القاضي محمد سليمان المنصور فوري في ج/٢ من كتابه النفيس « رحمة للعالمين » راجع ص/١٤١-١٤٤ ، والكاتب المصري الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « عبقرية محمد » تحت عنوان « تعدد الأزواج » وعنوان « أسباب تعدد زوجاته » .

المصاهرة أثرها البعيد في تاريخ الدعوة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي المثالي ، وحقن الدماء والتوقي من معرة القبائل العربية .

ولم تكن حياته معهن حياة ترف ورفاهية ، وتوسع في المطاعم والمشارب وخفض العيش – وتلك غاية تعدد الزوجات في نظر كثير من الناس – بل كانت حياة زهد وتقشف ، وإيثار وقناعة ، لا يطيقها أعاظم الرجال وكبار الزهاد في القديم والحديث ، وشئ منها يعرفه القارئ فيما يتعلق بالأخلاق والشمائل ، وحسب القارئ المنصف أن يقرأ قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها • فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً • وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآيتان : ٢٨-٢٩] .

وكان من أثر هذه الغاية المتوخاه ، والنفسية السامية ، والتربية العميقة المؤثرة ، أن اخترن كلهن – رضي الله عنهن وأرضاهن – من غير استثناء وتلكؤ الله ورسوله والدار الآخرة ، ويكفي مثالاً ، ما أجابت به عائشة – رضي الله عنها – فلما تلا رسول الله -ﷺ- هذه الآية ، وقال لها : لا عليك ألا تستعجلي حتى تستأمري أبويك ، قالت له : أ في هذا استأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (١) ، قالت : ثم فعلت أزواج النبي -ﷺ- مثل ما فعلت (٢) .

ولم يشغل رسول الله -ﷺ- تعدد الزوجات ، وما يستلزم ذلك نفسيًا

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح عن عائشة .
(٢) رواه البخاري ، ورواه ابن أبي حاتم وأحمد .

محمد -ﷺ- وتعدد الزوجات !

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

وقفة قصيرة عند تعدد الزوجات :

قضى رسول الله -ﷺ- شطرًا من عمره في العزوبة ، مدة خمسا وعشرين عامًا ، وهي فترة الشباب التي استوفت أفضل شروطه وصفاته ، وكان مثلاً للفتوة الإنسانية العربية السليمة ، والصحة التي كان فيها نصيب للنشأة في البادية ، والبعد عن أدواء المدنية ، والتحلي بأفضل صفات الفروسية والرجولة التي تفاخر بها العرب ، وأشاد بها علماء النفس والأخلاق ، ولم يجد أشد أعدائه له مغمزًا في هذه الفترة الحاسمة الدقيقة في حياته قبل النبوة وبعد النبوة إلى هذا اليوم ، فكان مثلاً للطهر والعفاف والنزاهة والبراءة والعزوف عن كل ما لا يليق به .

فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد ، وهي أيم ، قد بلغت من عمرها أربعين سنة ، وقد تزوجت قبله برجلين ، ولها أولاد ، وبينه وبينها من التفاوت في السن ١٥ سنة على القول المشهور - ثم تزوج بعدها - وقد جاوز الخمسين - سودة بنت زمعة ، وقد توفي زوجها في الحبشة مسلماً ، مهاجرًا ، ولم يتزوج -ﷺ- بكرًا إلا عائشة بنت أبي بكر ، وما تزوج زوجًا إلا ولهذا الزواج مصلحة راجحة من مصالح الدعوة والإسلام ، أو المروءة ومكارم الأخلاق ، أو جلب منفعة عامة ، ودرء خطر اجتماعي كبير ، فقد كان للأرحام والمصاهرة ، تأثير كبير في عقلية العرب القبلية ، والاجتماعية ، وقيمة ليست في أمة أخرى ، فكانت لهذه

ܬܫܒܚܬܐ ܕܣܗ̈ܕܐ

الحرية في كل شأن حتى في ممارسة الجنس ، واختيار الطرق المناسبة لها وفق ميولها واتجاهاتها ، فلا عليها أن تعيش بدون الزواج ، مع من شاءت من الرجال ، وذلك من غير شك يفتح الأبواب نحو شرعية دولية للإباحية والشذوذ والفاحشة والاجهاض ، وجميع الأدواء الخلقية ، وينشر في المجتمع ميكروبات الأمراض الجنسية على أوسع نطاق ، ويملأ العالم عما قريب بأمراض عضال من السرطان والأيدس والسل والشلل ، وسوف يفقد المجتمع الإنساني حق العيش ، وينتهى دور الإنسان في بناء العالم ، ويأذن الله تعالى بالنهاية الأخيرة ويطوى السماء كطيّ السجل للكتب .

إن قضية المرأة ليست كسائر القضايا والمشكلات السياسية والاجتماعية ، ولكنها قضية في غاية الخطورة والدقة ، إن أدنى خطأ فيها يعقّد الحياة ويسلب الإنسان حق العيش على هذا الكوكب الأرضي في أمن ودعة ، وقد يؤدى إلى دمار عام وتردٍّ شامل وهبوط إلى أسفل درك ، مما يشتت شمل الأسرة ويفقد الإنسان هويته ، ويكون مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

وإلى المعنيين بهذا المؤتمر الذين يتخذونه ذريعة للانسلاخ من آيات الله في الكون والإنسان والحياة واتباع الهوى ، قول الله تبارك وتعالى ، وهو تفسير للعقول الساقطة والأفكار المريضة ، يقول :

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها • ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه • فمثله كمثل الكلب • إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث • ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا • فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ .

وصدق الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ...

سعيد الأعظمي

وبغاية من الوقاحة ، فكل ذلك من حصاد الحضارة الغربية ، ليس غير .

أهينت المرأة في عهود التاريخ المختلفة واعتبرت كسقط المتاع ، وديست كرامتها بالأقدام ، وجعلت بضاعة تجارية تتاجر بها طبقات من الناس لأغراض تافهة خبيثة تهدم أنوثتها وعفافها ، وتلقى بها إلى مهوى سحيق من الهلاك والدمار ، أتيح للمرأة المسكينة أن تعيش تحت وطأة الفقر والمرض والأمية في عهود الظلام والجاهلية ، وتئن من شدة الآلام في الحضارات المادية التي تقف بها في المعارض والأسواق تحت ظلال من العلم والغنى والثقافة ، وتجعلها ذريعة لكسب الأموال والأرباح وترويج بضاعة الفنون السياسية والأهواء النفسية ، وتأكيد الثورة على جميع القيم والمثل الخلقية .

ويأتي الإسلام بمنهجه الوسط فينقذها من عذاب الجهل والنحس والهمجية ، ومن شقاء المدنية و « العصرنة » إلى الطريق الوسط ، ويظلها تحت سقف الرحمة والعدل والإيمان ، ويكرمها بحقوق تخصها هي ، وأخرى تشارك فيها الرجال ، ويقيم ميزان الاعتدال بين الرجل والمرأة ، ويعتبر كل واحد منهما متممًا للآخر فيرتبطان ارتباطًا وثيقًا بطريق الزواج الشرعي ، الذي يوفر للزوجين كل نعمة من المودة والنصح والتراحم ، والسكينة ، وهي تساعدهما في أداء ذلك الدور العظيم الذي خص به الله تعالى الإنسان : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها • وجعل بينكم مودة ورحمة • إن في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون ﴾ .

يقولون إن مؤتمر المرأة العالمي يرفع مستوى المرأة ويُقر لها بحقوق

نورًا وسعادةً ، وأمنًا وسلامًا ، وحول العالم البشري إلى معمورة إنسانية يرتبط فيها البعض بالبعض على أساس من العقيدة الصافية ، والحب والإخلاص والنصح . ويتصل بالله تبارك وتعالى كعبد خاشع يلتجئ إليه في شئون الحياة ويطلب منه العون على أداء المسئوليات ، ويتوب إليه فيما إذا صدر منه إثم أو تقصير في القيام بالواجب الذي يعود إليه من الله ومن الناس . إنها المرأة المسلمة التي أنجبت أبطال التاريخ وأعلام الإنسانية ، وهي التي قامت بالتربية الجادة الحكيمة . فخرّجت أجيالاً ممن كانوا مفاخر الدنيا ، ومنائر النور ، حالفهم التوفيق في بناء الإنسان المطلوب ، وإخراج الناس من عهد الشقاء إلى السعادة ، والتاريخ يزخر بأمثالهم ، ويمدّ نفَسَه في بيان مآثرهم .

ثم جاءت الحضارة الغربية واستهدفت عفة المرأة وجمالها الطاهر ، وحببت إليها الزخارف الجوفاء من المدنية ، وسحرتها بهتاف المساواة مع الرجل والعمل معه متكاتفة ، من غير إقرار بما لهما من دور خاص في تنظيم الأسرة وتربية الطفل ، وتحسين الجوّ العائلي ، ولما انخدعت المرأة بالحضارة الحديثة خرجت من نطاق وظيفتها الطبيعية إلى أعمال لا تليق بمنصبها النسوي ، فلقيت من العناء والذل ما هو المشاهد المعلوم في المجتمعات الحضارية اليوم ، وعادت جنسًا رخيصًا يباع ويشترى بثمن بخس ، حتى وإن وُليت حكمًا أو تولت قيادة بلد وأمة ، ولكنها فقدت مكانتها من احترام القلوب ، وطالما اشتهرت بقصة غرام أو ارتكاب فاحشة مع من أرادت ، أما بائعات الهوى والبغايا والممثلات في الأفلام وعارضات الأزياء ، وبغايا الهواتف (CALL GIRLS) بالإعلان والدعاية

الغيرة في النفوس ، فكان الوالد ينكح ابنته والأخ يتزوج أخته ، والولد يزني أمه ، تباع العفة والطهر في سوق المناداة بثمن بخس زهيد ، وكذلك في الحضارة الرومية أهينت المرأة وسيقت إلى مراكز الدعارة والفجور علنًا وجهارًا ، وطالما زارت الكنائس والمعابد لكي توفر للقسيسين والرهبان فرصًا للفاحشة وممارسة الرذائل .

أما في المجتمع الجاهلي العربي فرغم أن الغيرة على النساء كانت بالغة إلى أقصى الدرجات في القبائل والأسر ، ولكن واقع المرأة كان في غاية من المرارة والسوء ، فوأد البنات كان يسود المجتمع الجاهلي بكامله ، فرارًا عن عار المصاهرة ، كما أن البغاء كان مهنة تمارس من غير رادع أو وازع ، وبكل وقاحة ، كل ذلك كان نتيجة لتحرر المرأة وانطلاقها عن قيود الأخلاق وقوانين الطبيعة ، واعتبار المرأة عضوًا مساويًا للرجل في شئون الحياة ، وفقدان التصور الواضح والرؤية السليمة نحو الهدف الذي يتوخاه خالق الكون والإنسان من خلق الرجل والمرأة : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى • وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا • إن أكرمكم عند الله أتقاكم • إن الله عليم خبير ﴾ إذن لا مجال في الشعوب والقبائل لإهمال الهدف ، وترك الرجل والمرأة يسيران في أي مسار ، ويتجهان نحو أي جهة ، ولا يتقيدان بالتعاليم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى خالق البشر ، لبناء الحياة والمجتمع .

انطلقت المرأة المسلمة في ضوء التوجيهات السماوية نحو مستقبل باسم تزدهر فيه الفضائل وتتوافر فيه أسباب السعادة للأسرة الإنسانية الواسعة ، إنها مثلت أروع دور في بناء الإنسان الكامل الذي ملأ العالم

مسئوليات الرجل والمرأة في أجمل شكل وفي ضوء الفطرة البشرية . فلا يخرج الرجل عن حدوده وسلطته ، ولا تتجاوز المرأة عن مسار فطرتها وعن طبيعة أعمالها وحدود نشاطها ، ولا تجعل خارج البيوت مركزًا لإبراز مواهبها وطاقتها ، ومكامن حسنها وزينتها ، حتى تسبب فتنة عمياء ، وتفسد النظام الخلقي والتربوي ، وتؤدي إلى انهيار العلاقات العائلية وتدهور البيئة ودخول أشكال من التجرؤ على ممارسة الجرائم الخلقية وتشجيع الفاحشة وإشباع الغرائز بطرق غير شرعية .

وأي محاولة إنسانية تظهر من أي مستوى وبإشراف أي سلطة لمنح المرأة الحرية الكاملة والمساواة مع الرجل في حل مشكلة التنمية والسلم ، لن تنجح في أي مجال حضاري أو اجتماعي ، بل الواقع أنها تدفع القضية من السّيئ إلى أسوأ وتعقّد الموضوع وتقيم المجتمع على شفا الهلاك والدمار ، ولنا في المجتمعات السابقة على الإسلام حيث أخرجت المرأة إلى عرش الحكم أو إلى الشوارع ، شواهد حية تؤكد أنها جرّت إلى البلاد شقاءً لا مثيل له ، وأقبل الناس فيها على ممارسة الرذائل وإشاعة الفواحش والمنكرات ، مما زعزع أسس النظام العائلي وغاب عنه طعم الحب والحنان والاستقرار ، الذي هو ضرورة إنسانية لا يستغنى عنها الناس بأي حال ، ففي الحضارة الفارسية كانت المرأة سببًا كبيرًا للشقاء وذهاب الملك وزوال الدولة ، لم تكن فيها اعتبارات من الشرف والكرامة ، والحياء والعفة ، كانت المرأة ملكة في ناحية تدير دفة البلاد وتملى إرادتها على الشعب ، وفي ناحية أخرى كانت تستعمل كأداة تسلية ولهو ومتعة رخيصة في كل مكان ، جفت ينابيع الحياء في القلوب ، وماتت

جميع الفوارق الطبعية والخلقية التي توجد بين الرجل والمرأة ، وذلك باسم المساواة الكاملة بينهما ، والحدب على الحقوق الإنسانية التي تتمتع بها المرأة في مجالات الحياة ، فلها الحق في أن تمارس نشاطها الحيوي بأي طريق شاءت ، دون أن يوضع عليها حَدّ ، أو يفرض عليها شئ من النواميس الدينية والأعراف القبلية والأسرية ، لكيلا تبقى المرأة خير متاع الدنيا ، وتخرج عن نطاق الصلاح والعفة ، لقد قال الرسول -ﷺ- : الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، وقد خيّر رسول الإسلام أزواجه الطاهرات بين اتخاذ الدنيا وزينتها وبين إيثار الله ورسوله والدار الآخرة ، وبشرهن بالأجر العظيم ، وحذرهن مما إذا أتين بفاحشة فأدركن عذابها ضعفين أوقنتن لله والرسول وعملن صالح الأعمال فأوتين أجورهن مرتين ، ونلن من الله رزقًا كريمًا ، اقرأوا ما جاء في كتاب الله تعالى من البيان الواضح حول هذا التخيير وإعطاء الحرية في شئون الحياة حينما أمر الله سبحانه رسوله -ﷺ- بذلك ، فقال : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً ۝ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ .

ذاك أن أزواج النبي -ﷺ- يجب أن يمثلن أرفع نموذج للمرأة المثالية التي عليها مسئولية كبيرة نحو بناء البيت والأسرة ، وبالتالي المجتمع الأفضل الذي يعيش أفراده في سعادة وهناء وأمن ، وتنشأ فيه الأجيال البشرية على خلال رفيعة من الطهر والعفاف وتمثيل النزاهة في كل شأن من شئون الحياة ، فردية كانت أم جماعية ، كما أن نبي الإسلام -ﷺ- كان مكلفًا بأداء الأمانة وتربية الأمة ، وتوجيه الإنسان إلى أفضل حياة ، وأكرم عيش ، يحقق متطلبات الطبيعة في عدل واعتدال ، ويُوزع

في هذا العدد

الافتتاحية :

التوجيه الإسلامي :

الدعوة الإسلامية :

دراسات في السنة :

دراسات أدبية :

دراسة لغوية :

صور و أوضاع :

أخبار علمية وثقافية :

كتب حديثة :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد التاسع

المجلد الأربعون

جمادى الثانية ١٤١٦هـ

نوفمبر ١٩٩٥م

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box. 93, Lucknow (INDIA)

جامعة لكناؤ تمنح شهادة الدكتوراه على النهضة الحضارية والثقافية في المملكة العربية السعودية

قررت جامعة لكناؤ الهندية في ٧/٨/٩٥م منح شهادة الدكتوراه على رسالة جامعية حول النهضة الحضارية و الثقافية في المملكة العربية السعودية خلال حكم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله تعالى - .

وقد اشرف على اعداد هذه الرسالة البروفيسور محمد يونس النجرامي أستاذ كرسي بالقسم العربي بجامعة لكناؤ والكاتب الإسلامي الهندي المعروف .

الرسالة تحتوي على عشرة أبواب ، الباب الأول : يدور حول حياة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزير - حفظه الله تعالى - ودوره البناء في تطوير المملكة ، والباب الثاني : والثالث : يلقى الأضواء على حياة ونشاطات صاحب السمو الملكي ولي العهد والنائب الأول لمجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني عبد الله بن عبد العزيز ، وسمو الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لمجلس الوزراء و وزير الدفاع والطيران - حفظهما الله تعالى - ودورهما المشرف والهام في نهضة المملكة .

والباب الرابع : يتحدث عن تاريخ المملكة وثقافتها وحضارتها ، والباب الخامس : يدور حول سماحة الإسلام وتعليماته حول السلام العالمي ، والباب السادس : يتحدث عن أساس نظام الحكم الإسلامي في المملكة .

والرسالة تقوم بالقاء الأضواء على النهضة التعليمية والثقافية والزراعية والصناعية واستخدام الموارد النفطية لصالح المملكة ، وتتحدث عن التخطيطات الأخرى التي تم إعدادها لتطوير المجالات الأخرى في المملكة .

عويس الذي هو رئيس التحرير المستشار لهذه المجلة .

وهي مجلة ثنائية اللغة تنشر المواد باللغتين العربية والإنجليزية مع ملخص لكل بحث بغير لغته ، يعني إذا كان البحث بالعربية نشر ملخص له بالإنجليزية والعكس بالعكس . والمجلة ذات مظهر أنيق وطباعة جيدة ومستوى موضوعاتها رفيع وإكاديميٌ مما يؤكد على أنه سيكون لها مستقبل وشأن بين المطبوعات الدورية الإسلامية الرصينة على مستوى مشرف رفيع .

وبمناسبة صدور هذه المجلة جرى في الهند إنشاء جمعية التاريخ الإسلامي للتنسيق بين المؤرخين المسلمين وخدمة أهداف التاريخ الإسلامي بمختلف الطرق كالنشر وعقد الندوات العلمية ، وهذه المجلة العلمية الرصينة هي باكورة أعمالها . نرجو أن تثمر وتزدهر ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

مجلة المظاهر . الفصلية

صدرت هذه المجلة من الجامعة الإسلامية مظاهر علوم بمدينة سهارنفور الهند ، وهي مجلة دينية عربية فصلية ، عددها الأول يتضمن شهري محرم - ربيع الأول ١٤١٦هـ (يونيو - أغسطس ١٩٩٥م) مشرفها العام فضيلة الشيخ السيد محمد سلمان الحسني ، ورئيس تحريرها الأستاذ رضوان نسيم ، ومدير تحريرها الشيخ محمد خبير أحمد الندوي .

العدد الأول يحتوي على مواد علمية وتاريخية وأدبية منوعة ، وهي خطوة موفقة بإذن الله تعالى في مجال خدمة اللغة العربية وآدابها ، نرجو الله سبحانه أن يكتب لها الازدهار والاستمرار ، وللقائمين عليها التوفيق والسداد . ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في أشد أحوال القتال ، والأذى والظلم .

لقد امتزجت التربية الغربية اليوم بعنصر الجريمة ، والعنف ، واتخاذ وسائل شرعية أو غير شرعية للأهداف المنشودة ، فتأثرت كثير من الحركات والمنظمات الاجتماعية والسياسية المعاصرة ، بعنصر العنف الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ من التربية الغربية .

إن الحل الوحيد للخروج من هذا الوضع الذي يهدد سلامة المجتمع البشري ، ويهدد الكيانات القائمة والنظم العاملة في العالم ، هو الدعوة إلى العودة إلى القيم والمثل الخلقية والتعاليم الدينية ، ليعيش الإنسان محتفظًا بشخصيته الإنسانية ، ويعيش إنسانًا اجتماعيًا مؤدبًا ، ولا يعيش كالسباع ، يفترس بعضه بعضًا ، ويخاف كل شخص غيره ، ويفقد الثقة في جاره ، وفي أهله ، وفي أولاده ، ويفقد الأولاد الثقة في الوالدين ، وقد اقتحمت أوربا في هذه المرحلة ، وتكاد تفقد الثقة المتبادلة ، فيستدعى الأطفال البوليس فيها للاسعاف من بطش الوالدين ، وتلقى الأمهات أولادهن في المهالك .

وإذا لم تتقدم القوى الصالحة ، وهي القوى التي تقوم على الرسالات السماوية ، وخاصة الرسالة التي تحتفظ بأصالتها إلى حد أكبر ، وتلتزم بشرائعها ، للوقوف والصمود في وجه هذا الاتجاه الإجرامي المتطور ، الذي يغشى العالم كله ، بتأشير الغزو الفكري الغربي ، فإن الإنسان بالإنسانية الأصيلة سيصبح كعنقاء المغرب .

٧٧٧

وحقوق الرحلات المتتابعة لا حاجز لهم ، ولا مانع ، لأن مخالفة الأخلاق والقيم ، والأديان في هذا العصر هي السلعة الرابحة وخدمة كبيرة في بناء المجتمع المعاصر .

إن الوضع الإجرامي المتصاعد في العالم كله ينذر بخطر جسيم للمجتمع البشري ، وأخوف ما يخاف منه هو تغلغل العنصر الإجرامي في الأوساط المثقفة ، والأوساط السياسية ، والتربوية ، فإن الجامعات والمدارس ، والمصانع ومكاتب الحكومة أصبحت أوكار الفساد ، ولا يجترأ أحد لمحاربة هذا العنصر الخطير لأن رفع الصوت ضد الجريمة وأصحابها ، يحمل أخطارًا لمن يرفع الصوت ، أو يحتج ، ومن الخطر الفادح أن كثيرًا من المنظمات التي تمارس نشاطات إصلاحية وبنائية تستعين بالمنظمات الإرهابية ، أو تضطر إلى اتخاذ تلك الوسائل لتحقيق أهدافها ، فمثل نظرية التطور التي تسربت إلى جميع الأفكار ، والمذاهب ، والسلوكيات ، تسربت الجريمة أو العنف إلى أفكار وأعمال كثيرة سواء كان ذلك للدفاع أم كان للهجوم ، وإصابة الحق ، ومن المؤسف أن هذه الوسائل تستخدم اليوم في سبيل تحقيق الأهداف الشريفة أيضًا ، وتلجأ إليها حركات ودعوات ، كان يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن الإساءة إلى الإنسان أو الاعتداء عليه ، فضلاً عن سفك دم الأبرياء ، وإلقاء القنابل على المناطق الأهلية ، والاعتداء على العزل من السلاح ، والمارة على الطرق والعاملين في المكاتب ، فإن هذه الأعمال مهما كانت دواعيها لا تتفق مع التعاليم الخلقية والدينية ، والإسلام يلتزم بالحقوق والآداب ويمارس التحفظات

للاجرام والجنس ، وهي التي تعلم الشباب التفنن في هذين الفنين .

كان يعتبر الجهل والفقر السببين الرئيسين للجريمة ، ولكن الوضع اليوم قد تغير ، فأصبح العلم والفني ، سببين رئيسيين للجريمة ، فلا تكثر هذه الجرائم إلا في الدول المتحضرة ، ولا تعم إلا في المجتمعات المثقفة والثرية ، ولا يميل إليها إلا الأفراد المثقفون المتعلمون ، والأغنياء ، ولذلك تعم هذه الجرائم في المدن الكبرى ، ويرتكبها الشباب الذين ينتمون إلى الأسر العالية .

وقد أصبحت الجريمة ، والإبداع فيها وسيلة مؤثرة للشهرة ، فيعرف هذا المجرم في بلده وفي البلدان الأخرى ، أكثر مما يعرف قادة البلاد ، وعلماؤها ، ومفكروها ، فهي وسيلة نافعة للبروز ، مثل الهجوم على الإسلام والاعتداء على المقدسات الإسلامية الذي يعتبر سلما رفيعًا للوصول إلى أعلى درجات الشهرة في العالم ، فتصبح امرأة مجهولة ، أو كاتب مجهول ، شخصية عالمية ، وأدبه أدبًا عالميًا ، وتقبل عليه النفوس ، بل يباري قادة العالم إلى استقباله ، واستضافته ، وتخصص له الوسامات العالمية والجوائز الدولية ، بدون النظر إلى لغة كتاباته ، وجدية أفكاره ، ومصادرها ، ولا يجد هؤلآء المعتدون على الأديان ، والأخلاق ، وخاصة الدين الإسلامي ، صعوبة في الحصول على التأشيرة من أي دولة كبرى ، بل يمنح حق المواطنة فيها ، وتمنح الجنسية بدون أي إجراء قانوني كبير ، كذلك يحمل هؤلآء المجرمون من أعضاء المافيا جنسيات متعددة ، وجوازات متعددة ، ويحصلون على تأشيرات متنوعة ،

المجرمين ، إذا لم يتخذ إجراء لإصلاح نظام الانتخابات وأفاد تقرير صحفي أن أكثر من ثلث المنتخبين ومن بينهم الوزراء لهم سجل إجرامي وعليهم قضايا القتل .

وجاء في تقرير لجنة وورا الذي أثار ضجة في الأوساط السياسية في الهند أن عناصر مافيا ، بالدعم الملحوظ من الأوساط السياسية ، تعرض سلامة البلاد للخطر ، ويصبح من العسير أن يسير النظام الإداري فيها على طبيعته ، وأعرب التقرير عن قلقه البالغ بالدور المخيف للمجرمين ، ويقول : إنهم يديرون نظامًا متوازيًا للحكم في البلاد ، وقد عطلوا النظام القانوني ، وأصبح هذا النظام غير مؤثر .

وفي تقرير للمخابرات المركزية الهندية تتمتع عصابات المجرمين بتأييد القادة السياسيين وحمايتهم ، وتسخر لهم وسائل الحكومة ، ومما يبعث على القلق الشديد أن هؤلآء المجرمين الذين يسيطرون على مناطق شاسعة تخضع لأوامرهم ، ويمتلكون وسائل مادية واسعة ، وحماية من البوليس ، والجهاز الإداري ، يجبرون الكتاب والإعلاميين على أن لا يتعرضوا لهم ، بل لهم هيمنة على كثير منهم ، ويعتدون على من يكتب ضدهم .

ويساعد على انتشار هذه النزعة الإجرامية الإعلام الذي أصبح اليوم يدور حول نزعتين فقط ، نزعة الإجرام ، ونزعة الجنس ، وقد نشرت صحيفة هندية إنجليزية أخيرًا استعراضا للأفلام ، فكتبت أن الأفلام تدور حول هذين القطبين ، وهذه الأفلام هي المدرسة أو الموجهة الرئيسية

وحلبة السباق في الجرائم مفتوحة ، ويستطيع المتخلفون اقتصاديًا وعلميًا وثقافيًا أن يسبقوا أوربا في الجرائم إن لم يسبقوا في العلم والصناعة ، ويأتوا بما لم يستطعه أساتذتهم في الغرب .

كانت الأحداث المؤلمة في كراتشي وصمة عار على جبين ذلك البلد المسلم الذي قام باسم الدين ، وهو عار لا يمكن أن يغسل مئات السنين ، وعلاوة على ذلك التهريب ، وتجارة المخدرات ، والصراعات المسلحة ، والحروب القبلية ، وتأثير المجرمين في سياسة الدولة أمور لا تخفى على أحد . ولكن مهما فعلت باكستان أو تفعلها تفعلها كتلميذ يحاكي أستاذه في الغرب ، لأن البلد لا يزال خاضعًا للنظام السياسي الغربي ، وفرض النظام الإسلامي فيه لا يزال حلما بعيدًا ، وانخرط في السلك السياسي والإداري عدد كبير من المعروفين بالسجل الإجرامي .

وأخيرًا صدر تقرير للجنة عينتها الحكومة الهندية لدراسة وضع الجرائم في البلاد ، و وضع تقرير المستر وورا الذي اجرى التحقيق حول وضع الجرائم في البلاد في البرلمان ، ففتح العيون ، وعلم الناس أن المجرمين هم الذين يحكمون البلاد ، كما جاء في التقرير : إن المجرمين أنشأوا حكومة داخل حكومة ، ودولة داخل دولة ، وأن كثيرًا من قرارات الحكومة و إجراءاتهـــا تنطلق من توجيهات هذه العصابات الإجرامية ، أو قادتها .

وقد كان رئيس لجنة الانتخابات المستر شيشان قد أعرب عن رائه ، أن الأوضاع في هذه البلاد تتجه إلى حيث يصبح الحكم في أيدي

تلك البلدان ، وأرغمتها على الخضوع لرغباتها ، واستخدمت في الحروب التي حدثت في عهد الاستعمار أبشع أنواع الكبت ، والاذلال ، والقهر ، وقتل النفس .

وحدث أن هذه الدول تسيطر على العالم رغم انقضاء عهد الاستعمار ، لاحتكارها للمعدات الحربية ، واستيلائها على الثروة وذخائرها ، وهيمنتها على وسائل الاعلام الذي أصبح اليوم إعلاما عالميًا تتنافس فيه القوي الكبرى ، فتتجه الدول الصغيرة اتجاه الدول الكبرى ، لمسايرتها لها ، ومحاكاتها واقتباسها السلوكيات منها ، ولتعلمها من وسائل تربيتها ، فبدأت الدول الصغيرة أيضًا تدخل في غمار الجرائم ، وتكاد الجريمة السلعة النافقة فيها ، والوسيلة النافعة لتحقيق الأغراض الفردية والجماعية ، والحكومية ، وتدعم الدول الأوربية النظم التي تمارس وسائل الكبت والقمع وافساد أخلاق الناس ، وتربية أوكار الفساد الخلقي ، وتحارب دعاة الإصلاح ومكارم الأخلاق ، ويتفاوت ذلك بتفاوت تأثيرها في الدول التي تخضع لها ، وتجعلها قدوة حضارية لها ، ولنأخذ مثلاً شبه القارة الهندية ، الهند ، وباكستان ، وبنغلاديش ، وسري لانكا ، وهي منطقة بعيدة عن التأثير المباشر لأوربا ، لكنها عاشت مدة من الزمن في تربيتها ، ولا تزال تتأثر بوسائل إعلامها ، وتحاول أن تقتدى بها في التقدم الحضاري ، فينعكس فيها ما يحدث في أوربا ، ويحاول المجرمون في هذه البلدان أن يحاكوا ما يجري في الدول المتقدمة ، لأن محاكاتها في هذا المجال أسهل من محاكاة العلماء والأدباء والمفكرين والاقتصاديين ،

والجمهوريات الأخرى التي كانت خاضعة لها ، ولا تختلف أحوالها عن روسيا إلا أن روسيا تفوقها في الضخامة والشراسة .

وهكذا يتضاعف الاتجاه إلى الجريمة في الدول المتحضرة الأخرى . كبريطانيا وفرنسا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، وقد كانت إيطاليا معروفة بتربية الإرهابيين ، واعداد عصابات المافيا ، وهي أكبر وكر من أوكار الهدامين ، وتوجد في الإيطاليين هذه النزعة من قديم الزمان ، وهي التي صدرت الجريمة المنظمة إلى أمريكا ودول أوربا الأخرى ، كما جاء في أوكسفورد ريفرنس دكشنري ، عن المافيا الذي يكثر ذكره في العصر الحاضر ، وتنسب إليه كل حركة إرهابية تستخدم وسيلة الإجرام والطرق غير الشرعية ، فيقول قاموس أوكسفورد :

« المافيا منظمة سرية تعارض السلطة الشرعية ، وتمارس وسائل الجريمة ، بدأت في صقلية في القرن الثالث عشر ، ثم انتشرت إلى شمال وجنوب أمريكا في أوساط المهاجرين الإيطاليين ، تسمى نفسهـــــــا : (Cosa Nostra) « كوسا نوستر ا » ثم أصبحت جزءًا لا يتجزأ من جريمة فاشية منظمة تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية » .

وتدعم هذه الدول عمليات الإرهاب الفردي والجماعي فضلاً عن الإرهاب الحكومي فإن له تاريخًا طويلاً وخاصة في عهد الاستعمار ، الذي فرضت فيه أوربا على الشعوب الأخرى سيطرتها ، فقامت بالبطش الشديد ، وغيرت نسبة السكان ، وتوازن القوى في مستعمراتها ، وأبادت جاليات بشرية ، ومحت معالم ثقافتها وغيرت لغاتها ، وآدابها ، وعادات شعوب

يكون مجرمًا يعتدي عليه .

وقد أصبحت الجرائم ظاهرة متفشية في الحياة العامة ، ولا تنجو منها الحياة الفردية ولا الجماعية ، فتكثر الجرائم بين الأصدقاء ، وأعضاء الأسرة ، وبين الزوجين ، وبين الوالدين والأولاد ، من قتل وضرب ، وإساءة ، ونهب وسلب ، واعتداء ، وتنشر الجرائد والصحف هذه الحوادث ، ويشاهد الزوار والمستوطنون وقوع هذه الجرائم بأعينهم ، وقد تعودوا عليها ، فبدأوا يتعايشون معها ، ولا يبالون بها .

وتأتي في المكانة الثانية روسيا ، وقد نشرت جريدة ازويستيا في أعدادها الأخيرة ، تقارير مذهلة عن انتشار الجرائم في البلاد ، بل عن سيادة المجرمين وسيطرة العصابات الإجرامية في روسيا ، وقد تفاقم الوضع بعد سقوط النظام الاشتراكي الذي كان نظامًا استبداديًا يعامل بالبطش الشديد من يخرق القانون ، أو يخالف النظام ، فكان الناس يعيشون مكبلين بالقيود لا يتمتعون بحرية الانطلاق ، والتصرف ، يكتفون بما يكسبون من الرزق المحدد ، ولا يطمحون في المزيد ، فلما اطلقت الحريات ، انفجر البركان ، فبدأ كل شخص يتصرف كما يشاء ويفعل ما يشاء ، ويعتدي على من يشاء ، سواء لنفسه ، أو لغيره ، بسعر محدود ، فكثر القتل والاختطاف ، والاعتداء على الأعراض ، والسرقات و استغل السياسيون خدمات هؤلاء المرتزقة لتصفية العناصر المناوئة لهم ، وتفيد التقارير الصحفية أن كبار القادة يستعينون بالمافيا واعترف الرئيس يلستين نفسه بأن المافيا يتغلغل في الدوائر الاقتصادية والإدارية والسياسية في موسكو ، وذلك هو الوضع السائد في روسيا .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١١١

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لقد كان الدكتور سعيد رمضان مليئًا بقوة العمل ، نشيطًا في عمل التوعية ، سديد الرأي ، صحيح الفكر ، متحركًا للدعوة ، يملك من المقدرة الخطابية وقوة الحجاج ما ينفخ حيوية كبيرة وحماسًا للعمل في الجماهير وخاصة في الشباب . وقد زار ندوة العلماء في السعي لطلب نصرة فلسطين وألقى كلمات بليغة كان لها نفع وأثر طيب ، ولو لم يكن من حكومات بلاد العرب قص لجناحيه وقيد على رجليه يمنعه من دخول وطنه لاستطاع أداء دور مشرف عظيم لانعاش أبناء بلاده وتوعيتهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم . ولم يكن الدكتور سعيد رمضان وحده في هذا المجال فهناك عدد من أترابه وأصدقائه ممن كان الاستعمار الغربي لم يرض بوجودهم ونشاطاتهم في بلاد الإسلام فمنع دخولهم في بلادهم ، فتبعثرت قوة عملهم وخف تأثير جهودهم وانحصر في نطاق ضيق ، وما أضيق النطاق للعمل الإسلامي إذا كان لأبناء الإسلام في بلاد الكفر ! وما أصدق سعيد رمضان لو أنشد قول الشاعر :

أضاعوني وأي فتىً أضاعـــــــوا

ليوم كريهة و سداد ثغــــــــــــر

ولما هجمت إسرائيل على أراضي مصر وقامت جنود مصر لمقاومة الهجوم وأصبحت بحاجة إلى الأنصار والمساعدين كان الدكتور سعيد رمضان في ذلك الحين في منفاه الذي اختاره بنفسه . فأرسل برقية إلى رئيس مصر أنه مستعد ليقدم أي خدمة والدخول في معركة الدفاع عن مصر ، وأنه لا يمنعه في هذه المناسبة ذلك السلوك العدائي الذي يعانيه من حكومة مصر ، لأن القضية قضية الوطن الإسلامي الذي هو أحد أفراد جنوده ، وكذلك كان يبدي مشاعر نصرته ومقاومته مع المسلمين في قضاياهم ومشاكلهم وكان له أصدقاء كثيرون يلتقون معه في مجال الفكر

يحضر دوراتها السنوية مع زملائه المؤسسين من كبرى الشخصيات الإسلامية ، وذلك تحت إشراف الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - عاهـل المملكة العربية السعودية .

وقام الدكتور بإعداد بحث للدكتوراه على القانون الإسلامي ونال عليه درجة الدكتوراه من جنيف ، وأصبح بذلك دكتورًا علميًا ، وحصر عمله في المجال العلمي والدعوي وترك العمل السياسي لئلا يصطدم نشاطه باتجاهات الحاكمين والحكومات في بلاده وغير بلاده ، ودام يقوم بجهوده الأدبية الفكرية الإسلامية عن طريق مركزه الإسلامي بجنيف إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جنيف نفسها عن عمر يربو على سبعين سنة - رحمه الله رحمة واسعة .

وكان الدكتور سعيد رمضان صهرًا للإمام الشيخ حسن البنا - رحمه الله تعالى - وكان في حياته متصلا به فكرة وعملا ، وسلك طريقه في الدعوة . ونقده على الفكر المنحرف في بلاده أوغر صدور الحاكمين في وطنه ضده لأن النقد على سياساتهم المنحرفة المستبدة كان سببًا لضعف نفوذهم السياسي في بلادهم وكانوا لا يرضون بذلك .

وكان الدكتور سعيد رمضان من أصدقاء سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وكانت بينهما أواصر المودة والأخوة للإسلام والدعوة الإسلامية فكان سماحته يحضر في دورات مجلس المركز الإسلامي في جنيف والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان يشاركه في تحرير مجلة « المسلمون » كذلك ، فإنه كتب على طلب الدكتور عددًا من المقالات الافتتاحية أيضًا ، كان لها أطيب الأثر في قلوب أهل الفكر من المسلمين ولكن أسبابًا مادية حالت دون استمرار المجلة في الصدور فصارت متوقفة منذ حين .

يتلقى التوجيهات الغربية العلمانية ويطبقها على القائمين للإسلام في أوطانه وبلاده ، وفريق لا يرضى بهذه السياسة المارقة المعارضة للفكرة الإسلامية ، ويريد أن يعمل شيئًا ما لخدمة الإسلام والمسلمين وهو فريق المؤمنين بالفكرة الإسلامية والقائمين بعمل الدعوة وإصلاح الاتجاهات الفاسدة في أعينهم .

لقد عاني الدكتور سعيد رمضان قسوة وجفاءًا شديدًا من حكومات بلاده وبلغ به الأمر إلى أن اضطر إلى مغادرة وطنه إلى بلاد الكفر ليكون في مأمن من نقمة الحاكمين من أبناء وطنه وبلاده ، فإن بلاد الكفر لم تكن وصلت إلى حد تضييق الخناق للمعارضين كما بلغته حكومات الشرق .

أنشأ الدكتور سعيد رمضان مركزًا إسلاميًا في جنيف واستخدمه لنشر الوعي الإسلامي وخدمة الفكرة الإسلامية وكان لهذا المركز أعضاء مَن كبار الشخصيات الإسلامية كانوا يحضرون في دورات مجلسه السنوية ويصادقون على خطط عمل التوعية الإسلامية في بلاد الغرب ، فإن التوعية الإسلامية إذا لم تكن يقبلها المتصرفون بسياسة البلاد الإسلامية فلا بأس في أن يبسط عملها في ديار الغرب الكافر التي لا تمنع مثل هذا الجهد الكريم . وكان الدكتور سعيد رمضان قد أصدر مجلة إسلامية شهرية باسم المسلمون في مدينة دمشق أولاً ليكون نفعها واسعًا ولما ضاق المجال على إصدارها من دمشق نقل إصدارها منها إلى مدينة جنيف . ومن المدينتين صدرت المجلة سنوات طويلة . من دمشق أولاً ومن جنيف ثانيًا ودامت تبث الوعي الإسلامي في الطبقة المتعلمة للمسلمين كما أصدر الدكتور سعيد رمضان مؤلفات ورسائل دعوية من جنيف .

وساهم الدكتور سعيد رمضان في إنشاء المنظمة الإسلامية العالمية الجليلة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وكان عضوًا تأسيسيًا فيها

وكما هو مفهوم من هذا التقسيم ، تضع في الجزء الأول من القائمة أسماء المصادر والكتب الأساسية التي تعتمد عليها في بحثك أو التي كانت الرائدة في القضية التي تبحثها ، وخصوصًا باللغتين العربية والفارسية بالنسبة للمصادر الإسلامية . أما القسم الثاني من القائمة فتضع فيه أسماء الكتب والمقالات الحديثة التي هي الأخرى تستخدم المصادر الأساسية بالتي تعتمد عليها - للتحليل والنقد ولوضع دراسة منهجية باستخدام معلومات وردت في المراجع القديمة ، وينبغي أن تكون المصادر مرقمة متسلسلة ابتداء من المصادر الأولية إلى نهاية المصادر الثانوية .

والمعلومات المطلوبة في ثبت المراجع هي بالترتيب : اسم المؤلف (الجزء الأخير من الاسم بدون الألقاب الفخرية والكنى ، ثم بقية الاسم) ثم اسم الكتاب (ويوضع تحته خط) ثم اسم المحقق أو الجامع (إن وجد) ، ثم مكان النشر وعامه اللذان يوضعان بين قوسين كبيرتين ، مع ذكر رقم الصفحات والمجلد في حالة مقالات المجاميع والمجلات ودوائر المعارف ، ويفضل ذكر عنوان المادة في حالة دوائر المعارف ، وعلى سبيل المثال :
عطية الله ، أحمد « القاموس الإسلامي » (القاهرة ١٩٦٦م) ٢/٤١-٤٢ (مادة « حجاز ») . ولا بأس بذكر الأحرف الأولى من أسماء المؤلفين الغربيين بعد ذكر اللقب أو الجزء الأخير من الاسم وعلى سبيل المثال :
Harrison, N. , "Writing English : a user's manual (London 1985) .

ومن الخطأ الشنيع أن تذكر في ثبت المراجع أسماء المجلات وحدها بدون ذكر المقالات التي رجعت إليها ، وهذا خطأ شائع في البحوث الهندية والعربية . فينبغي وضع كل مقال في مكانه على حدة في ثبت المصادر حسب الترتيب الألفبائي .

من ثلاثـــــة أسطر أو جمل توضع على حدة مع هامش أكبر من المعتاد (Indent) .

ولا ينبغي وضع شئ مثل مخطط أو خريطة ذات حجم أكبر من حجم الورق المستخدم إلا بإذن الأستاذ المشرف . وفي هذه الحالة توضع أوراق كهذه داخل جيب يلحق بالدقة الخلفية من الرسالة من الداخل .

ويكون الترقيم مسلسلاً من أول الرسالة إلى آخرها ولو كانت في عدة مجلدات .

وتكتب الرسائل الجامعية باللغة المعتمدة لرسالتك أو بجامعتك ، ولكن يجوز لك إيراد نصوص من لغات أجنبية كما هي مع إعطاء ترجمتها ، ولا تعط أي جزء من بحثك - ولو لمشرفك - إلا بعد استنساخ صورة منه والاحتفاظ به لديك ، فلا تأمن من ضياعه وبالتالي سيكون من الصعب بل ومن المستحيل في بعض الأحايين - إعادة كتابته .

وقد مضى عهد طباعة النسخ باستخدام ورق الكربون أو الطباعة على الحرير (الإستِنْسِل) . والأفضل الآن - بعد شيوع ماكينات تصوير المستندات - أن تعدّ نسخة نهائية مصححة ثم تستخدمها لتصوير عدد النسخ المطلوب للجامعة مع الاحتفاظ بالنسخة الأصلية لديك .

ثبت المصـــــادر :

ينبغي أن تضع في نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ، وهناك من يقسم المصادر إلى مخطوطات وكتب عربية وأفرنجية ومجلات إلخ ، ولكن هذا الترتيب مزعج ، والأسلوب الأمثل هو تقسيم المصادر والمراجع إلى جزئين : مصادر أولية (Primary sources) ومصادر ثانوية (Secondary sources) .

الـهوامـش :

يستحسن في البحوث حول قضايا غير مطروقة من قبل أن تذكر في المقدمة مصادرك ، كالمخطوطات والكتب المطبوعة النادرة والأوراق الخاصة التي اعتمدت عليها ، مع تقدير قيمتها العلمية ، وفي حالة استخدام مخطوطات لم تذكر بعد في أي فهرس مطبوع ينبغي وصفها أيضًا بشيء من التفصيل ، وستُذكر هذه المصادر مرة أخرى بترتيبها الألفبائي في ثبت المصادر في نهاية الكتاب .

ومن الواجب عليك في نهاية المقدمة أو على ورقة منفصلة أن تذكر بالشكر والعرفان كل الذين ساعدوك بأسلوب أو آخر في إعداد بحثك .

وتطبع الـــــرسائل الجامعية عمومًا على الورق من مقاس A4 (٥ر٢٩سم   ٢١سم) وهو المقاس المعتمد الآن عالميا ولم يعد استخدام أوراق من مقاسَي « فولكساب » أو « كوارتو » محمودًا .

وتطبع الرسائل بمضاعفة المسافات بين السطور (أي ترك مساحة سطر بعد كل سطر مطبوع) أما الهوامش والاقتباسات الطويلة فتطبع بدون ترك مسافة بين السطور . والاقتباسات الطويلة – أي ما يطول – أكثر

››› P. G. Burbridge, "Notes and references; Preparation of manuscripts" (Cambridge);
G. V. Carey, Making an Index (Cambridge);
University of Chicago Press, "A Manual of Style" twelfth edition (Chicago, 1970);
Judith Butcher, "Copy-Editing : The Cambridge Handbook" (Cambridge, 1975);
Oxford University Press, "The Oxford Dictionary for Writers and Editors (Oxford 1981);
A. S. Maney et. al. , M. H. R. A. Style Book (London 1981);
George Watson, "The Litrary thesis" (London 1970).

ترتيب رسالة جامعية : الرسائل الجامعية تحتوي عمومًا على المحتويات الآتية وبنفس الترتيب :

١ - العنوان الخارجي .

٢ - ملخص الرسالة Abstract .

٣ - الإعلان عن أن البحث أصيل لم يسبق تقديمه لأية جامعة لنيل درجة علمية Declaration .

٤ - الإهداء (إن أردتَ) Dedication .

٥ - الشكر Acknowledgement .

٦ - خطة نقل الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية Transliteration .

٧ - الرموز والاختصارات Abbreviations .

٨ - المقدمة Introduction .

٩ - قائمة المحتويات (فصلاً بفصل) Table of contens .

١٠ - فصول البحث .

١١ - شرح المصطلحات Glossary .

١٢ - ثبت المراجع Bibliography مقسمًا إلى :

أ - مصادر أولية Primary sources .

ب - مراجع ثانوية Secondry sources .

وهناك كتب ينبغي الرجوع إليها حول الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها عند كتابة البحوث (١) ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض أهم

---

(1) Kate L. Turabian, "A Manual for writers of term papers.." (Chicago 1967); >>>

فقط وذلك نتيجة تعدد طبعات هذه الكتب ، ونفس الشئ ينسحب على المصادر الإسلامية التي لها طبعات متعددة .

وأفضل معجم مفهرس للأحاديث ظهر حتى الآن هـو كتاب فينسينك A. J. Wensinck وآخرين « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » (ليدن ١٩٣٦-١٩٦٩م) .

وهو يحيط بالجامع الآتية : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، مسند أحمد بن حنبل ، سنن ابن ماجة ، سنن الترمذي ، سنن النسائي ، المؤطأ للإمام مالك ، سنن الدارمي ، وسنن أبي داؤد ، وهذا المعجم على سعته ، ليس شاملاً حتى للمجاميع التي يتناولها إلى جانب تجاهلها لمجاميع هامة أخرى ، والحاجة لا تزال قائمة لإعداد معجم مفهرس شامل لألفاظ الحديث النبوي الشريف ، وذلك لأن فينسينك وأصحابه دوّنوا هذا المعجم وفق مفاهيم استشراقية أوربية .

ولفينسينك كذلك ، معجم موضوعات الحديث المرتب بالترتيب الألفبائي :

"Handbook of early Muhammadan tradition" (ليدن ١٩٢٧م) .

وباختصـــار ، عند الإشارة إلى كتب الأحاديث والفقه والمعاجم والموسوعات لا تكتف بذكر المجلد ورقم الصفحة بل اذكر كذلك عنواني الباب والفصل أو عنوان المادة التي تشير إليها (وحتى الملحق فيما يتعلق بالموسوعات) فهناك صعوبة كبيرة في الرجوع إلى هذه المصادر لو اختلفت الطبعة التي يرجع إليها غيرك فيما لو أراد الاستزادة أو التأكد من صحة ما تنقله .

ألفاظ القرآن الكريم » (لاهور ١٩٧٠م) ص/٥٢٤ و ١١٢ (باللغة الأردية).

= حسين محمد فهمي الشافعي « الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم » (القاهرة ١٩٧٢م) ص/١٥ و ٤٧٥ .

= « مفتاح للقرآن المقدس » .

Al-Haj Khan Bahadur Altaf Ahmad Kherie, "A key to Holy Quran : index-cum-concordance ..." (Karachi 1974-).

= « معجم مفهرس للقرآن الكريم » .

Hanna E. Kassis, "A Concordance of the Qur'an" (Berkley 1984) 1486 p.

معجم مفهرس ودليل موضوعات .

إلا أن أفضل معاجم الألفاظ هو معجم فؤاد عبد الباقي « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » وله طبعات مصورة كثيرة منتشرة في كل مكان . وهناك أسلوبان للإشارة إلى الآيات : السورة ثم رقم الآية بعد علامة الكولون (نقطتين رأسيتين) أو اسم السورة ثم رقم الآية بعد علامة الكولون مثل :

= ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .. ﴾ [سورة الأنبياء . الآية : ٢٢] .

= ﴿ الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [سورة العلق ، الآيتان : ٤-٥] .

المهم هو الثبات على أي أسلوب تختاره .

الإشارة إلى الأحاديث النبوية :

لا تنس ذكر الباب والفصل (وحتى رقم الحديث إن وجد) في معرض الإشارة إلى الأحاديث . وذلك لتسهيل الأمر لمن يحب الرجوع إلى الحديث . الأمر الذي يصعب كثيرًا عند ما يكتفي الباحث بذكر المجلد والصفحة

وهناك معاجم كثيرة في مختلف اللغات لألفاظ القرآن الكريم مثل :

= إبراهيم بن عبد الله الأنصاري « إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن » (ب. م ، ب. ت) .

Ahmad Shah, "Miftahul Quran : a concordance and complete glossary of the Holy Qur'an" (Benares, 1906) 2 vols.

(المجلد الأول هو معجم ألفاظ والثاني معجم كلمات القرآن الكريم ، وهو يعتمد على الترتيب الهجائي) .

= إبراهيم سوري نخابي « كشف آيات القرآن الكريم » (القاهرة ١٩٢٠م) ص/٤١٦ .

= محمد منير الدمشقي « إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين » (القاهرة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م) ص/٢٦١ .

= محمد فارس بركات « المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته » (دمشق ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م) ١١/٦٥٢ .

= حسين نصار «معجم آيات القرآن الكريم» (القاهرة ١٩٦٥م) ص/٢٧٩ .

= صالح ناظم « دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن الكريم » (القاهرة ١٩٦٥م) ص/٢٨٨ ، (وهو إعادة نشر كتاب « ترتيب زيبا » المنشور بأسطنبول سنة ١٢٨٤هـ-١٨٦٧-١٨٦٨م) .

= محمد إسماعيل إبراهيم « معجم الألفاظ والأعلام القرآنية » ط. (القاهرة ١٩٦٩م) جزءان في مجلد واحد .

= مجمع اللغة العربية بمصر « معجم ألفاظ القرآن الكريم » (القاهرة ١٩٥٣-١٩٧٠م) جزءان .

= محمد مظهر الدين مُلتاني « مفتاح القرآن : مشتمل بر حوالجات جمل

الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها عند إعداد الرسائل والبحوث العلمية

[الحلقة الخامسة الأخيرة]

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

الإشارة إلى القرآن الكريم :

الأعمال الاستشراقية ، جريا على عادة تفضيل كل ما هو أوربي (١) ، تعتمد عمومًا في إشارتها إلى القرآن الكريم على ترقيم الآيات التي اعتمدها الباحث الألماني فلوغل (٢) وهو ترقيم يختلف عن ترقيم الآيات الشائع في البلاد الإسلامية ، ويحتوي كتاب بيل Richard Bell, "Introduction to the Qur'an" (Edinburgh 1953) على جدول لتحويل ترقيم فلوغل للآيات القرآنية إلى « مصحف الملك » .

وأفضل الطبعات التي ينبغي الاعتماد عليها هي « مصحف الملك » الذي طبع تحت إشراف الحكومة المصرية ، وحتى ترقيم المصاحف المنتشرة في شبه القارة يختلف أحيانًا عن « مصحف الملك » فينبغي الاعتماد على المصحف المصري في الأبحاث العلمية .

---

(١) ينبغي التنبه ، كذلك ، إلى أن المستشرقين حين يشيرون إلى المصادر العربية القديمة فهم يشيرون إلى الطبعات الأوربية منها إن وجدت .

(٢) Gustav Flugel, "Concordance Corani arabicae (Leipzig 1842)

المثانة - قناة مجرى البول) بكثير من الأمراض من أهمها وأخطرها سرطان الكلي وأورام المثانة والتسمم البولي وقرحة المثانة ، كما يؤثر التدخين على الجهاز العصبي والغدد الصماء .

ومن أهم الأمراض التي يسببها التدخين هي تصلب شرايين العين - ضمور العصب البصري - انفصال الشبكية - الماء الأبيض والماء الأزرق - إصابة الشعيرات الدموية التي تغذي العين بالدم بالتجلط مما يؤدى إلى العمى ، ويؤثر التدخين على الأسنان واللثة معًا ، حيث إن المواد السامة الموجودة في التبغ تؤثر على طبقة المينا التي تغطي الأسنان فتتآكل ويحدث بها شقوق مما يتيح دخول البكتريا والفطريات و الميكروبات إلى طبقة العاج مما يسبب تسوس الأسنان وسقوطها مبكرًا ، ويكفـي في أسنان المدخن ضرر تلك الرائحة الكريهة التـي تنبعث من فمه ومن بين ملابسه ، ولا يطيق المصلي مع الجماعة رائحة المدخن إلى جانبه ، ويتلهف انتهاء الصلاة ليفر من جانبه .

والمتأمل للمدخن في هذه الآونة يجد أنه يعاني من أمراض ينوء بها كاهله ، ويعجز هو عن صراعها بسبب ضعف المناعة لديه ، فليتقِ الله في نفسه .

٧٧٧

ونشر الطبيبان الفرنسيان « هـ. سندروث ، و ح.فاليري ماسون » دراسة حول أثر التدخين في النشاط الجنسي للرجال ، فوجدا فرقًا كبيرًا بين المدخنين وغير المدخنين في المقدرة والنشاط الجنسي حيث كان غير المدخنين أقوى وأنشط جنسيًا من أمثالهم من المدخنين ، وكان انحدار النشاط الجنسي بين المدخنين أكثر وضوحًا في الشباب ما بين الخامسة والعشرين والأربعين من أعمارهم بالمقارنة مع نظرائهم من غير المدخنين .

امراض اخرى :

وهناك أمراض أخرى تحدث للإنسان بسبب التدخين منها ما يتعلق بالجهاز الهضمي والجهاز البولي والعصبي منها :

١- سرطان الشفة .

٢- سرطان الفم والبلعوم .

٣- سرطان المرئ .

٤- سرطان البنكرياس والالتهاب المتكرر .

٥- قرحة المعدة والاثنى عشر .

٦- تصلب شرايين العين .

وتدل الإحصائيات على أن (٨٧) بالمائة من المصابين بهذه القرحة هم عادة من المدخنين كما يصاب المدخن بفقدان الشهية للطعام ، واضطراب الغدد الهاضمة ، وربما أدى إلى الاسهال المستمر أو الأمساك الشديد .

يؤثر التدخين على الجهاز البولي المكون من « الكلية - الحالبين -

تدخين السجائر وسرطان الرئة ، وأقنعته الأدلة العيادية نفسها ، بأن تدخين السجائر يمكن أن يشكل خطرًا على صحة المرء الجنسية .

وقد أجرى الفحص لعديد من المرضى ، الذين كانوا يسرفون في التدخين ويعانون في نفس الوقت من ضعف النشاط الجنسي ، و وجد في كثير من هذه الحالات ان هرمون الذكور « التستستيرون » أقل من معدله الطبيعي ، وبالتوقف عن التدخين عاد هذا الهرمون إلى مستواه الطبيعي ، وتحسنت حالة المريض جنسيًا ، كما أن بعض هذه الحالات كان يعاني من ضعف وقلة في عدد الحيوانات المنوية عن معدلها الطبيعي ، وبالتوقف عن التدخين مدة أربعة أشهر عادت هذه الحيوانات المنوية إلى حالتها الطبيعية من حيث العدد والوفرة ، ومن حيث النشاط والحركة ، ويقول أن عشرات المرضى قالوا لي حرفيًا : إن حياتهم الجنسية تحسنت بعد توقفهم عن التدخين .

ويقول الدكتور كارل تيرن من جامعة هامبرج الألمانية الذي درس أنماط الإخصاب لدى عشرة آلاف شخص : إنه لا يمكن الوصول إلى أية نتائج حاسمة في شأن التدخين وعدم الخصوبة لدى الذكور ، ولكنه لاحظ اضطرابات شديدة في حركة الحيوانات المنوية لدى مجموعة من الرجال المدخنين ، والمصابين بالضعف الجنسي ، وعند اقلاعهم عن التدخين لفترة تتراوح ما بين ستة وعشرة أسابيع ، أظهرت الفحوصات المخبرية تحسنًا كبيرًا في حركة الحيوانات المنوية وتمكن كثير منهم في انجاب أطفال .

التدخين ، وأن مدخني السجائر أكثر عرضة للوفاة في الأعمار المتوسطة بنسبة الضعف من غير المدخنين ، كما أن شخصين من كل خمسة مدخنين يموتون قبل أن يبلغوا الخمسة والستين من أعمارهم .

قال الدكتور (ايفرتزجراهام) الرائد في الجراحة الصدرية بدراسة عن (٦٨٤) إصابة سرطان رئوي ، وجد فيها من بعده تلميذه اللامع (ارنست وندر) ان (٩٤ر١) في المائة من المرضى الذكور المصابين بسرطان الرئة كانوا من مدخني السجائر .

إذا علمنا تأثير التدخين على الرئة بمثل ما ذكره المختصون فإن التدخين يحدث أمراضًا أخرى في الجهاز التنفسي غير الرئة منها :

١ - سرطان الحنجرة .

٢ - التهاب الشعب المزمن .

إذ يعد التدخين من أهم أسباب زيادة أمراض الجهاز التنفسي بأكمله ، ومرجع ذلك أن المواد السامة الموجودة في دخان السجائر تدخل إلى الجسم عبر الأنف ثم البلعوم فالحنجرة فالقصبة الهوائية فالشعب الهوائية ، فالحويصلات الهوائية ومنها إلى الدم الذي يوزع هذه السموم على بقية أجزاء الجسم .

تأثير التدخين على المرأة :

يؤثر التدخين على الأم الحامل ، حيث قد يؤدي إلى حصول الإجهاض خصوصًا في الأشهر الأولى من الحمل كما لوحظ ان وليد الأم الحامل المدخنة أقل وزنًا من الوزن الطبيعي بما يتراوح بين (١٥-٢٤) جرامًا ،

(النيكوتين – وأول أكسيد الكربون) كما أن التصلب قد يصيب الشريان المغذي للساق مؤديًا إلى حدوث (الغرغرينة) وهي موات الساق ، حيث يستوجب بتر الساق المصابة ، وقد وجد أن ٩٥٪ من مرضى شرايين الساق هم من المدخنين وأن ٥٪ فقط هم من غير المدخنين ، ولا شك أن خطورة الإصابة تتضاعف بالنسبة لمريض السكر المدخن .

سـرطان الرئـــة :

يقول الدكتور حسين محمود : ثبت بشكل قاطع أنه كلما زادت كمية السجائر المتناولة يوميًا كلما زاد خطر الإصابة بسرطان الرئة ، ومن الجدير بالذكر أن سرطان الرئة يعتبر من أحدث السرطانات التي تصيب الجسم ، وهناك إحصائية أثبتت ، أن الشخص الذي يتناول عشرين سيجارة يوميًا ، معرض للإصابة بسرطان الرئة خلال العشرين سنة المقبلة من حياته ، هذا ولقد توضحت علاقة التدخين بسرطان الرئة مؤخرًا ، حيث كانت نسبة إصابة الذكور بالمرض سابقًا أكثر منها في النساء في الفترة الأخيرة ، خصوصًا في المجتمع الأوربي .

وذكر تقرير لكلية الأطباء الملكية بلندن المكون من (١٥٠) مائة وخمسين صفحة عن أضرار التدخين ، وإن من بين الأسباب الرئيسية لحدوث الوفاة بين المدخنين الإصابة بسرطان الرئة ، وحذرت الكلية من أنه إذا استمر الحال على ما هو عليه ، فإن أكثر من (١٥٥٫٠٠٠) مائة وخمسة وخمسين ألف بريطاني سيموتون سنويًا بسرطان الرئة ، وأكدت أن (٩٠٪) تسعين في المائة من حالات الوفاة بسرطان الرئة تحدث نتيجة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١٩) أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي : ص/٢٨٤ .

(٢٠) انظر التفصيل في ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين . والعصر العباسي الثاني لشوقي ضيف . وأبو عثمان الجاحظ لخفاجي .

(٢١) أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي : ص/٢٨٣ .

(٢٢) تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان : ج/٥ ، ص/٢٠-٥٩، ١٠١-١٢٩.

(٢٣) يعني بها - فيما أظن - الطبقة العليا والوسطى لأنه قد قسم المجتمع في طبقتين . طبقة خاصة وعامة .

(٢٤) ذكرهم الجاحظ في كتابه البخلاء وذكر أنواعهم .

(٢٥) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف .

(٢٦) يقول الأستاذ أحمد أمين : إن كلة الزندقة ، لم يكن معناها واحدًا عند الناس على السواء فمعناها في أذهان الخاصة والعلماء غير معناها . في أذهان العامة فأما العامة وأشباههم فكانوا يطلقون على المستهتر الماجن « زنديقًا » وهناك معنى آخر للزندقة ، كان يفهمه الخاصة وأشباههم ويعنون به اعتناق الإسلام ظاهرًا . والتدين بدين الفرس القديم باطنًا ، وخاصة مذهب ماني ، ذاك أنه كان في ذلك العصر طائفة لم تؤمن بالإسلام ولكن آمنت بسلطانه ورأت أن لا سبيل لنيل الجاه والسلطان والمال إلا بالإسلام فاعتنقه ظاهرًا .

وهناك معنى آخر للزندقة يستعمله الجاحظ وغيره أحيانًا يطلقون على قوم جحدوا الأديان كلها عن نظر ، فهي بهذا المعنى مرادفة للدهرية والإلحاد . قال أبو العلاء في رسالة الغفران : « والزنادقة هم الذين يسمون الدهرية لا يقولون بنبوة ولا كتاب » (ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين : ج/١ ، ص/١٤٦ وما بعدها .

(٢٧) انظر التفصيل في : العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف : ص/٩١-١٠٤ .

(٢٨) قد ذكر صاحب الأغاني مائة صوت .

(٦) بني المنصور بغداد بعد موقعة الهاشمية لما ثاربه أهل خراسان على إثر مقتل أبي مسلم ، وكادوا يعتكون به ، وكان أهل الكوفة وهم في كثرتهم شيعيون ، يفسدون عليه جنده ، فكره البقاء في الهاشمية ، وهي غير أمينة لقربها من الكوفة ، ثم لانفتاحها لبلاد الفرس ، وبنى بغداد وجعلها وسطًا بين العرب والعجم . ولم يكن بوسعة أن يعيد مقر الخلافة إلى دمشق لأنها أموية ، ولأنه لا يريد أن يبتعد بنظره عن بلاد فارس (أدباء العرب لبطرس بستاني : ج/٢ ، ص/١٧) .

(٧) العصر العباسي الثاني ، للدكتور شوقي ضيف : ص/١٠ .

(٨) أبو عثمان الجاحظ للدكتور خفاجي ، هذا استنتاج من كلامه : ص/٢١.

(٩) رسائل الجاحظ : ج/٢ ، ص/٢١٧ .

(١٠) لأن أمه « ماردة » تركية من السغد ، و لاطمئنانه إلى الأتراك صاروا موضع ثقته ، وقد هجا دعبل الشاعر الخليفة المعتصم من أجل ذلك ، فقال :

وهمك تركي عليه مهانة   فأنت له أم وأنت له أب

أبو عثمان الجاحظ للدكتور خفاجي : ص/٢١-٢٢ .

(١١) فليراجع للتفصيل العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي : ص/١٢ ، وما بعدها ، وضحى الإسلام لأحمد أمين ، وظهر الإسلام : ج/١ .

(١٢) أبو عثمان الجاحظ لخفاجي : ص/٢٢ ، وانظر التفصيل في ظهر الإسلام لأحمد أمين : ج/١ ، ص/٤١ وما بعدها .

(١٣) أبو عثمان الجاحظ لخفاجي : ص/٢٢ .

(١٤) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف : ص/٥٢ .

(١٥) هم النصارى واليهود والمجوس والصابئة ، وكانوا يسمون أهل الذمة إشارة إلى أنهم في ذمة الإسلام .

(١٦) تاريخ التمدن الإسلامي : ج/٤ ، ص/١٨١ .

(١٧) ظهر الإسلام لأحمد أمين : ج/١ ، ص/٢٥ .

(١٨) انظر العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف : ص/٥٢ وما بعدها .

الدعـــوة كثيرون من أبناء الشعوب الأخرى من النبط والسريان وغيرها (٢٧) .

تلك هي معالم الحياة الاجتماعية في عصر الجاحظ . بما فيها من ترف ولهو ، وغناء (٢٨) ، وفجر ومجون ، وتأنق في المطعم والملبس ، وكان الجاحظ يعيش فيه مصورًا ومؤرخًا ، يحيا ويراقب ، يختبر وينظر ، وكان العصر كله مصورًا في نفسه يبدو كأنه مخزن يختزن فيه جميع ما يراه وينظره أو آلة تصوير تلتقط كل ما يمر عليها من صور وأشكال .

[يتبع]

---

(١) انظر التفصيل في : ضحى الإسلام وظهر الإسلام لأحمد أمين ، وأبي عثمان الجاحظ . للدكتور خفاجي . والعصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف .

(٢) فليراجع للتفصيل : أبو عثمان الجاحظ . لخفاجي . ولحنا فاخوري ، وشارل بلات .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ : ج/٢ ، ص/٢٠٦ .

(٤) البرامكة : أسرة فارسية كان منها وزراء الدولة العباسية حتى نكبهم الرشيد . وبرمك رتبة وراثية خاصة برئيس الكهان بمعبد « نوبهار » ببلخ ، وكان البرامكة قبل إسلامهم يملكون الأراضي التابعة لهذا المعبد ويتولون فيه كهان النار (أدباء العرب لبطرس بستاني : ج/٢ ، ص/١٧) .

(٥) ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين : ج/١ ، ص/١٨-٤٩ .

نسل الجواري . واختلطت الدماء . وشاع الغناء . ومجالس اللهو . يعرض فيها الموسيقاريون والمغنون فنهم . ويتبارى أرباب النعيم والرفاهية في اقتناء السمعات والقينات (٢٢) . وذلك كله أثر لاقتصاديات البلاد الواسعة وعدم عدالة توزيعها بين الناس .

وقال صاحب تاريخ التمدن الإسلامي : « كان الفرق بين طبقة الخاصة (٢٣) وطبقة العامة كبيرًا » .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الترف والنعيم كانا حظّ عدد قليل هم الخاصة من الناس ، وبعض رجال التجارة والصناعة حين كان الفقر والشقاء للعامة وهم أكثر الناس ، ضاقت عليهم أبواب الرزق وقصرت وسائل الكسب من أن تفي بمطالب الحياة ، اتخذ بعضهم تكفف الناس حرفة ، وقعدوا للسؤال في كل مقعد (٢٤) . « ولما استرعى هؤلآء نظر رسول ملك الروم إلى المنصور ، قال لعمارة بن حمزة وكان يرافق من قبل المنصور في تطوافه ببغداد : إني أرى عندكم قومًا يسألون الناس ، وقد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلآء ويكفيهم مؤنهم وعيالاتهم ، فاعتل عمارة بوجه ، واعتل له المنصور بوجه »(٢٥) » .

وبالإضافة إلى ذلك كثرت المجون والشعوبية والزندقة (٢٦) ، وقد كانت موجة المجون حادة ، إذ ظل الناس يمعنون في شرب الخمر واحتساء كئوسها ، مدمنين عليها لا يرعوون ولا يزدجرون مع علم أن القرآن الكريم قد حرّمها ، وكذلك ظلت نيران الشعوبية مستعرة ، إذ مضى كثيرون يشيدون بفضائل الشعوب القديمة وحضارتها ومدنيتها، وفي مقدمتها الفرس بسياستهم وآدابهم والروم بعلومهم وفلسفاتهم ، والهند بسحرها ومعارفها الرياضية وغير الرياضية ، وانضم إلى هذه

دنيا تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق ، ويأتي في إثر تلك الطبقات أهل الذمة (١٥) » .

هذا ، وقد كانت الطبقة العليا غارقة في الدعة والنعيم والترف إلى الآذان كما كانت كذلك الطبقة الوسطى ، ذلك بسبب انتشار نظام إقطاع الأرض مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء والوزراء وكان كبار الملاك يملكون باقطاعياتهم دون اهتمام بتحسين حالة الناس ، وكانت الرشوة منتشرة بين طبقات الموظفين صغارهم وكبارهم جميعًا ، وعمّت المصادرة ، وصارت مصدرًا من مصادر بيت المال (١٦) ، وأنشئ لها ديوان مخصوص (١٧) .

« وكانت تُجبى إليهم - الخلفاء - أموال الخراج من سواد العراق وأقاصي الدولة وأدانيها غير ما كان يُجبى من المكوس على الواردات والصادرات ، وعادة كان الوالي يرسل إلى بغداد ما تبقى لديه من الإنفاق على شئون إمارته وحاجتها من المساجد والبيمارستانات ومَن بها من الجند والموظفين ، وذكر ابن خرداذبة أن الدخل من سواد العراق لسنة ٢٤٠للهجرة بلغ ثمانية وسبعين مليونًا من الدراهم (١٨) » .

ويقول الأستاذ محمد كرد علي (١٩) : « وأثارت الرعية الأرض وعمروها ، ففاضت الثروة ، وامتلأت خزائن الدولة بالأموال » .

فقد كثرت ثروات الخلفاء والوزراء وسواهم من طبقات الخاصة وتنافسوا في الترف (٢٠) وتشييد القصور ، والنفوذ والثراء في أيدي الخاصة من الناس مما استلزم البذخ والرفاهية ، فالمعتصم أنفق على بناء سامرّا أموالاً طائلة وكذلك فعل المتوكل في بناء الجعفرى (٢١) .

ومن مظاهر الثراء كثرة الرقيق حتى امتلأت به القصور ، فكثير

الصميم . من أجل ذلك ، قامت ثورات كثيرة شعبية ضد الأتراك ، أهمها ثورة عام ٢٢٩هـ التي قضى عليها الأتراك بعنف وقوة . وكان بعض زعماء الترك يحاولون التخفيف من حدة شعور الرأى العام وبغضه لهم وبثوا دعايات كثيرة كان من مقدمتها ومن أبرعها رسالة الجاحظ التي كتبها بإيحاء من الفتح بن خاقان عن مناقب الأتراك وعامة جند الخلافة ، و دعا فيها إلى وحدة الأجناس والعناصر ، وأشاد فيها بالأتراك ونوّه ببطولتهم على أن هذه المحاولة وسواها من المحاولات جميعًا قد فشلت في الوصول إلى الغرض المنشود (١٢) » .

وكذلك حفل عصر الجاحظ بكثرة ثورات العلويين وخروجهم على الخلافة ، وذلك راجع لاضطهادهم واضطهاد شيعتهم ، وقد زاد هذا الاضطهاد حدة في عهد الرشيد والمتوكل (١٢) .

وبالإضافة إلى ذلك استقلت بعض البلاد عن حكم الخلافة العباسية في ظلال هذه الفوضى السياسية ، كالدولة الطاهرية بخراسان وهي فارسية ، والدولة الدلفية بكردستان وهي عربية ، وغيرهما من الدول .

الحياة الاجتماعية في عصره :

عند ما نلقى نظرة عابرة على الحياة الاجتماعية في عصر الجاحظ نراها موزّعة إلى طبقات خاصة ، وعامة ، كما يقول الدكتور شوقي ضيف (١٤) : « كان يتوزع مجتمع العصر العباسي الثاني ثلاث طبقات أساسية ، طبقة عليا : تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يلحقه بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار وأصحاب الاقطاع ، من الأعيان وذوى اليسار ، وطبقة وسطى : تشتمل على رجال الجيش وموظفى الدواوين والتجار والصناع الممتازين ، ثم طبقة

اضطر المعتصم بأن يبنى لهم سامرّا » .

أولاً : هو كثرتهم الكاثرة التي ضاقت بهم بغداد .

ثانيًا : كثرة الخصومات بينهم وبين الفرس .

إن الذي اطمئن إليه – فيما أظن – هو رأى الأستاذ خفاجي ، ذلك لأنه لا يمكن أن يكون الذي ذكره الدكتور شوقي ضيف سببًا من أسباب اتخاذ سامرّا حاضرة للخلافة . حقًا كان الأتراك بدوًا لا يعرفون الصناعة ولا الزراعة ولا التجارة ولا الفنون ولا الآداب ولا قواعد الملك والسياسة . إنما هم سكان صحار وقفار وحرب وجلاد وبأس ومراس ، وقد صوّرهم الجاحظ تصويرًا دقيقًا في رسالته التي تحدث فيها عن مناقبهم قائلاً : « الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب معاش ، وهم أعارب العجم إلخ (٩) » ولذلك فإنني أرى أن الذي اضطر المعتصم إلى بناء « سامرّا » هو ما أشار إليه الأستاذ الدكتور خفاجي .

« وهؤلاء البدو الموغلون في البداوة الذين لم يُعرفوا بحضارة ولا ثقافة ولا عرفوا بزراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا بسلطان ولا بسياسة ، سرعان ما قبضوا على زمام الحكم ، والمعتصم (١٠) هو الذي هيّأ لهم ذلك لا بجعلهم جند الخلافة العباسية فحسب ، بل أيضًا باتخاذه لهم مدينة خاصة وجعلها عاصمة الدولة ، فأتاح لهم الفرصة كي يُخلّى بينهم في المستقبل وبين الخلفاء ، فيصبحوا مسخّرين بأيديهم يصرّفونهم كما يشاءون ، وليس ذلك كل ما صنع فقد ولّى كبيرهم « إشناس » مصر وجعل له الحق في أن يولّى عليها ولاة من قبله ، فكان يدعى له فيها على المنابر (١١) » .

هذا وكان نفوذ الترك ضربة شديدة أصابت نفوذ العرب والفرس في

[illegible] (٧) : « [illegible]
» (٨) [illegible]
[illegible]
[illegible] (٦) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] «
» [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] « [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الثالثة]

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

الحياة السياسية في عصره :

قبل أن نتحدث عن عصر الجاحظ من خلال أدبه وكتبه يجدر بنا أن ندرس عصره من الناحية السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية ، لنقف على جميع المؤثرات والعوامل التي أثرت في تفكيره وأدبه ، ولنرى مدى نجاحه في إثراء أدب المجتمع الذي عاش فيه .

إن الجاحظ قد شاهد عظمة الخلافة العباسية وعاش في ظلال سلطانها العظيم ، بحيث ثبتت قواعد الدولة العباسية ، على يدى المنصور وامتدّ نفوذها في زمن الرشيد والمأمون وتوالت انتصاراتها العسكرية في خلافة المعتصم وظلت في قوة وازدهار في عصر الواثق والمتوكل (١) .

وفي ظل هؤلآء الخلفاء ، كان النفوذ السياسي للعنصر الفارسي الذي ساعد على قيام الدولة العباسية ، ونشر دعوتها (٢) ، يقول الجاحظ (٣) : « فقد كان للفرس في هذا العهد نفوذ كبير ، وكانت أعلى المناصب وأكثرها في أيديهم ، وكان منهم أكثر الوزراء والقواد ، وزاد هذا النفوذ في عصر الرشيد بفضل البرامكة (٤) ، وكان منصب الوزارة وغيره وقفًا عليهم ، و ظل نفوذهم في ازدياد بتوالي السنين (٥) ، فخفّت كفة العرب ورجحت كفة الأعاجم وصار العرب

الأندلس ١٠١ .

(٢٠) راجع : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، للسيوطي : ص/٧١ .

(٢١) هو أحمد بن محمد بن سلامع بن سلة الأزدي الطحاوي الحنفي أو جعفر ، منسوب إلى طحا وهي قرية بصعيد مصر ، تفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفيا ، ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ ، كان إمامًا حافظًا من كبار أفاضل عصره ، توفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ ، من مؤلفاته العقيدة الطحاوية ، راجع : طبقات الحفاظ للسيوطي ، والفهرس لابن النديم ، وابن خلكان : ١/١٩ ، والبداية والنهاية : ١١/١٧٤ ، والمكتبة الأزهرية : ١/٥٦٤ ، ولسان الميزان : ١/٢٧٤ ، والإعلام : ١/١٩٧ .

(٢٢) راجع : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : ص/٧٤ - بتصرف .

(٢٣) هذا موضع خلاف عند العلماء ، تقدم تفصيله في الفصل الأول .

(٢٤) وبعده : « فتح المغيث : ج/١ ، ص/٢٦٢ » .

(٢٥) أوردت بعضهم في المبحث الثاني-حكم رواية الموضوعات ، فانظر ص/٥ .

(٢٦) ذكــــر الحافظ الذهبي أمثلة على ذلك في « تذكرة الحفاظ » في ترجمتي أبي بكر وعمر « انظر الجزء الأول من ص/٢ حتى ص/٨ » .

(٢٧) هو علي بن الحسين بن أبي طالب ، زين العابدين ، قال الزهري : ما رأيت قرشيًا أفضل منه وما رأيت أفقه منه ، كان آية في العلم والورع ، مات سنة ٩٢هـ .

(٢٨) راجع : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : ص/٨٨ .

(٢٩) هو : زائدة بن قدامة ، أبو الصلت الثقفي الكوفي ، كان من نظراء شعبة في الإتقان ، وكان من أصدق الناس وأبرهم ، وكان لا يحدث صاحب بدعة ، توفي في أوائل سنة إحدى وستين ومائة الهجرية .

(٣٠) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٤٢٨ .

(٣١) منهاج السنة : ج/٤ ، ص/١٠ .

(٣٢) راجع : تنقيح الأنظار وشرحه توضيح الأفكار : ج/٢ ، ص/٨٥ .

تغليظ الكذب على رسول الله -ﷺ- : ج/١ ، ص/٩-١٠ » .

(٩) أخرجه البخاري : العلم ، باب إثم من كذب على النبي -ﷺ- « فتح الباري : ج/١ ، ص/٢٠٠ » .

(١٠) صحيح مسلم : المقدمة ، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين : ج/١ ، ص/٩ .

(١١) راجع : جامع الترمذي : العلم ، باب تعظيم الكذب على رسول الله -ﷺ- « تحفة الأحوذي : ج/٢ ، ص/٢٧٤ » .

(١٢) راجع : « فتح الباري : ج/١ ، ص/٢٠٢ » .

(١٢) راجع : القول البديع : ص/٢٥٦ .

(١٤) يحيى بن شرف أو زكريا محي الدين النووي الدمشقي الشافعي ، الإمام المحدث الفقيه العالم ، محرر المذهب الشافعي ، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، الجرئ ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولد في نوي ، وهي بلدة جنوبي دمشق ، كان مثال الورع ، والتقوى والعبقرية ، لم يعش طويلاً ، إذ ولد سنة ٦٣١هـ ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ ، ترك مصنفات عديدة تدل على سعة باعه في العلوم وتبحره فيها ، انظر : طبقات الشافعية للسبكي : ج/٥ ، ص/١٦٥ ، والنجوم الزاهرة : ج/٧، ص/٢٧٨ ، وآداب اللغة : ج/٢ ، ص/٢٤٢ ، والأعلام : ج/٩ ، ص/١٨٤-١٨٥ .

(١٥) انظر « شرح مسلم » للنووي : ج/١ ، ص/٧١ .

(١٦) أي أثناء روايته .

(١٧-١٨) انظر « شرح مسلم » للنووي : ج/١ ، ص/٧٠ .

(١٩) هو : عياض بن موسى بن عياش اليحصبي السبتي المالكي ، القاضي ، أبو الفضل عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم ، وأيامهم ، كان قاضيا في سبتة ، ثم في غرناطة ، توفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ ، انظر : وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٢٩٢ ، وقضاة

المكي : ص/١٤١ . قال الإمام المفسر الآلوسي في « روح المعاني » عند تفسير قوله تعالى في سورة الذاريات : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [٢١/٢٧] . وقد جاء : كنت كنزا مخفيًا فأحببت أن أعرف . فخلقت الخلق لأعرف « ذكره بهذا اللفظ سعد الدين سعيد الفرغاني في « منتهى المدارك » .

وذكره غيره بلفظ آخر . وتعقبه الحفاظ فقال ابن تيمية : إنه ليس من كلام النبي -ﷺ- . ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف . وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر وغيرهما . وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر في « الباب المائة والثمانية والتسعين » من الفتوحات . قال عبد الفتاح : ويشير الإمام الآلوسي - رحمه الله تعالى - . بهذا إلى أنه لا عبرة بالتصحيح للكشف عند المحدثين . وهو كذلك .

يقول أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه المدخل لدراسة السنة النبوية : ص/٦٢ في التعليق على هذا الحديث : فهذا كلام مردود بإجماع علماء الأمة . لأن المعايير التي وضعها أئمة الحديث لقبول الحديث أو رده . معايير موضوعية . تتعلق بسند الحديث ومتنه . أما الكشف فهو معيار شخصي محض . لا تؤمن سلامته عند الصادقين . فكيف بالمدعين ؟

ولو فتح هذا الباب لشرع الناس في الدين ما لم يأذن به الله . وأحلوا ما حرم الله . أو حرموا ما أحل الله . بدعوى الكشف .

(٥) راجع علوم الحديث لابن الصلاح : ص/١٠٩. والتدريب للسيوطي : ص/٩٨.

(٦) راجع : مقدمة الكامل : ١٧/١ وتحذير الخوض للسيوطي : ص/٨٢ -٨٣-٨٤ .

(٧) صحيح البخاري : العلم . باب إثم من كذب على النبي -ﷺ- . انظر « فتح الباري : ج/ ١ . ص/١٩٩-٢٠٢ » . وصحيح مسلم : المقدمة . باب تغليظ الكذب على رسول الله -ﷺ- .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه في : الجنائز . باب ما يكره من النياحة على الميت . انظر « فتح الباري : ج/٢ . ص/١٦٠ » وصحيح مسلم : المقدمة . باب

(٦) [illegible]
[illegible] ٥١/
(٧) [illegible]
[illegible]
(٨) [illegible]
(٩) [illegible]

٨٨٨

[illegible] (٨٨)
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وسلك مسلكهم ، وحذا حذوهم في ذلك طوائف الخالفين بعدهم ، منهم : مالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج ، وسفيان الثوري ، وحماد بن زيد ، و وهيب بن خالد ، وسفيان بن عيينة ، وزائدة (٢٩) ، وزهير بن معاوية وغيرهم .

وقد كان بعض كبار التابعين ، إذا سمعوا الحديث عن رسول الله -ﷺ- من غير الصحابة فزعوا إلى من عندهم من الصحابة ليتثبتوا عن ذلك الحديث ، وكذلك شأن صغار التابعين ، يفزعون إلى من عندهم من كبار التابعين كل ذلك ليتثبت (٣٠) . وقال ابن تيمية (٣١) : « المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب ، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا ، إلى علم الحديث ، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب وغير نحو العرب ، ونرجع إلى علماء اللغة ، فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة ، وكذلك علماء الشعر والطب ، وغير ذلك فلكل علم رجال يعرفون به ، والعلماء بالحديث أجل قدرًا من هؤلاء وأعظمهم صدقًا ، وأعلاهم منزلة وأكثرهم دينًا ، وهم من أعظم الناس صدقًا وأمانة وعلماً وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل » فعلى هذا يجب التحري في كل حديث حتى تتبين حاله . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ٦] .

ومن المعلوم أن حجة الله -عزوجل- على عباده إنما هي الكتاب والسنة لا غير ، اللهم إلا ما استنبطه العلماء منهما : فالقرآن تكفل الله -عزوجل- بحفظه كما قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [سورة

وقال بعد ذلك :

وسهلـــوا فـــي غير موضوع رووا

من غيـــر تبيين لضعف ورأوا (٢٤) .

ولتحرز من رواية الحديث الموضوع كان الخلفاء الراشدون . والصحابة المنتخبون - رضوان الله عليهم - . يتقون كثرة الحديث عن رسول الله -ﷺ- . ويتشددون في ذلك (٢٥) .

وكان أبو بكر وعمر يطالبان من روى لهما حديثًا عن رسول الله -ﷺ- لم يسمعاه منه بإقامة البينة عليه . ويتواعدانه في ذلك (٢٦) . وكان علي ابن أبي طالب يستحلف عليه . وكان عبد الله بن مسعود يتغير عند ذكر الحديث عن رسول الله -ﷺ- وتنتفخ أوداجه . ويسيل عرقه . وتدمع عيناه ويقول : « أو قريبًا من هذا » . « أو نحو ذلك » . « أو شبه ذلك » كل ذلك خوفًا من الزيادة والنقصان . أو السهو والنسيان . واحتياطًا للدين . وحفظًا للشريعة وحسمًا لطمع طامع . أو زيغ زائغ أن يجترئ فيحكى عن رسول الله -ﷺ- ما لم يقله . أو يدخل في الدين ما ليس منه . ويقتدي بهم من يسمع منهم ويأخذ عنهم . فيقفو أثرهم . ويسلك طريقهم . فاتبعهم على ذلك جماعة من صالحي التابعين . واقتفوا آثارهم . واتبعوا سبيلهم في الذب عن السنن . والبحث عن رواتها . والتوقي في أدائها . منهم : سعيد بن المسيّب . وعروة بن الزبير . وعلي بن الحسين (٢٧) وعمر بن بن عبد العزيز وطاؤوس بن كيسان ومحمد بن مسلم الزهري . وحبيب بن أبي ثابت ومنصور بن المعتمر وغيرهم (٢٨) .

فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك ، وكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح ، بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع » .. إلى أن قال (١٨) : وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس ، فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي ، والكذب عليه كذب على الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ° إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [سورة النجم ، الآيتان : ٢-٤] .

وقال القاضي عياض (١٩) في شرح مسلم في حديث : « من حدث عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » .

وكيف لا يكون كاذبًا وهو داخل تحت حد الكاذب وكلامه داخل تحت حد الكذب ؟ قال (٢٠) : وقال أبو جعفر الطحاوي (٢١) : هو داخل في وعيد الحديث فيمن كذب على النبي -ﷺ- .

قال الإمام السيوطي (٢٢) وقد أطبق علماء الحديث فجزموا بأنه لا تحل رواية الموضوع في أي معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه ، بخلاف الضعيف فإنه تجوز روايته في غير الأحكام والعقائد (٢٢) ، وممن جزم بذلك شيخ الإسلام محي الدين النووي في كتابيه «الإرشاد» و «التقريب » وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة في « المنهل الروي » والطيبي في «الخلاصة » وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في «محاسن الاصطلاح » وحافظ عصره الشيخ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي في « ألفيته » و « شرحها » وعبارة الألفية :

وكيف كان لم يجيزوا ذكره لعـــالم مـــا لم يكن يبين

[illegible]

« من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » (١٠) . روى (يُرى) بضم الياء بمعنى يظن . وبفتح الياء بمعنى يعلم فيشمل الوعيد من علم أو ظن .

وروى « الكاذبين » بصيغة المثنى - بفتح الباء وكسر النون - أي من وضعه ومن رواه . لأنه أذاعه . وبصيغة الجمع بكسر الباء وفتح النون أي صار في عدادهم و واحدًا منهم لإشاعته الكذب على رسول الله -ﷺ- .

قال الترمذي : سألت عبد الله بن عبد الرحمن أبا محمد عن حديث النبي -ﷺ-: «من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين . قلت له : من يروي حديثًا وهو يعلم أن إسناده خطأ . أتخاف أن يكون قد دخل في حديث رسول الله -ﷺ- ؟ أو إذا روى الناس حديثًا مرسلاً فأسنده بعضهم . أو قلب إسناده يكون قد دخل في هذا الحديث ؟ فقال : لا . إنما معنى هذا الحديث إذا روى الرجل حديثًا ولا يعرف لذلك الحديث عن النبي -ﷺ- أصل . فحدث به فأخاف أن يكون قد دخل في هذا الحديث » (١١) .

قال ابن حجر (١٢) : « فإن قيل الكذب معصية . إلا ما استثنى في الإصلاح وغيره . والمعاصي قد توعد عليها بالنار فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله -ﷺ- من الوعيد على من كذب على غيره فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أن الكذب عليه يكفر متعمده عند بعض أهل العلم . وهو الشيخ أبو محمد الجويني . لكن ضعفه ابنه إمام الحرمين ومن بعده .

ومال ابن المنير إلى اختياره . و وجهه بأن الكاذب عليه في تحليل

[illegible]

[illegible] (٦) .

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٧) .

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٨) .

[illegible]

[illegible] (٩) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٥) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تعريف الحديث الموضوع ، حكمه ، ومو قف المحدثين منه

بقلم : الدكتور عمر يوسف حمزة
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

فيه مبحثان : المبحث الأول في تعريف الحديث الموضوع :

الموضوع لغة : اسم مفعول ، وهو مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعًا ، إذا أحاطه وأسقطه ، أو من وضعت المرأة ولدها إذا ولدته (١) .

وأما في اصطلاح أئمة الحديث ، فالموضوع : هو الحديث المختلق (٢) المصنوع ، المكذوب على رسول الله -ﷺ- أو على من بعده من الصحابة والتابعين ، ولكنه إذا أطلق ينصرف إلى الموضوع على النبي -ﷺ- أما الموضوع على غيره : فيقيد .... فيقال مثلا : موضوع على ابن عباس ، أو على مجاهد مثلاً ، والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة ، أما على المعنى اللغوي الأول : فلأنه منحط ساقط عن الاعتبار ، وأما على الثاني : فلما فيه من معنى التوليد ، والتنسيب في الوجود، والموضوع من حيث مادته ونصه نوعان:

١- أن يضع الواضع كلامًا من عند نفسه ، ثم ينسبه إلى النبي -ﷺ- أو إلى الصحابي ، أو التابعي .

٢- أن يأخذ الواضع كلامًا لبعض الصحابة أو التّابعين ، أو الحكماء ،

الله تعالى ، غياب النهج والتخطيط ، كما ذكرنا قبل قليل .

٢- المجموعة الثانية : وهي تنشأ عن المجموعة الأولى : عدم المراجعة والتقويم للسيرة ولواقع المسلمين ، حب الدنيا والإقبال عليها ، العصبيات الجاهلية ، غلبة العادات المنحرفة والأعراف الضالّة ، ضياع الوقت وهدره بين سوء التقدير للأمانة وسوء التدبير ، الاختلاط والزيارات العائلية المختلطة ، واضطراب التصور لدور المرأة المسلمة بين زخارف الغرب وفتنه وحقائق الإسلام ، و وقوع بعض الدعاة ضحية فتنة الغرب ومكره ، اضطراب عام في الممارسة الإيمانية ، اضطراب معنى الأخوة في الله واضطراب ممارستها ، الضعفاء والمنافقون ، الدعوة الإسلامية وتفرقها بين الجماعات والأحزاب ، الوهن وعدم النهوض لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية .

٣- المجموعة الثالثة : وهي الخلل في الميادين العامة : تسلل الأفكار الغربية والشرقية المنحرفة عن الإسلام أو المصادمة له ، الخلل في النظام الاقتصادي ، الخلل في النشاط السياسي ، الخلل في الأنشطة الاجتماعية ، وغير ذلك من الميادين العامة ، مما سهل على الأعداء اختراق الواقع الإسلامي وتمزيقه شيعًا وأحزابًا ، وتسلل الضعفاء والمنافقين ، والإمعان في تهديم الأمة وتمزيقها .

وإن هذا التقسيم يهدف إلى التوضيح وسهولة العرض ، فهو لا يعني عزل مرض عن مرض ، أو مجموعة عن مجموعة ، إن هذه الأمراض تعمل في الواقع وهي مترابطة يدفع بعضها بعضًا ، ونهدف من هذا التقسيم أن نتتبع تاريخ ظهور هذه العلل وأسبابها الرئيسة ، ونموّها وتطورها .

٧٧٧

ولا الوسائل ولا الأساليب ، ولا غير ذلك ، وكثرت الشعارات والرايات .

د - عدم وعي الواقع الذي يدور فيه المسلمون ، وعدم ردّه إلى منهاج الله تعالى ، فزاد المسلمون جهلاً على جهل .

وكان من نتائج هذه القضايا الأربع الكبرى أن ساءت الممارسة الإيمانية ، وأقبلت النفوس على الدنيا ، وهاجت العصبيات الجاهلية ، وغلبت العادات والأعراف ، واضطربت المواقف السياسية .

ومن خلال ذلك نفذ الأعداء إلى واقعنا فزادُونا فرقة وانشقاقًا ، وغذّوا كل مرض ذكرناه أعلاه ، ونشروا أفكارهم المادية والانحلالية حتى تسللت إلى عقول كثير من المسلمين ، واختلطت التصورات والمفهومات ، واضطرب الاقتصاد والمجتمع والسياسة وغير ذلك من الميادين .

بدراسة هذه الأمراض والعلل دراسة موسعة ، وبردها إلى منهاج الله تعالى ، لا إلى أهوائنا ومصالحنا ، بهذا كله نستطيع أن نجد العلاج في منهاج الله تعالى : إذا صدق إيماننا ، وصدق تمسكنا بمنهاج الله تعالى ، ودرسنا الواقع دراسة منهجية ، وكان ذلك كله من خلال عمل منهجي مدروس وخطة واعية متكاملة .

ونستطيع أن نوجز أمراضنا وعللنا والخلل في واقعنا في ثلاث مجموعات ، تشمل كل مجموعة عددًا من مظاهر الخلل :

١- المجموعة الأولى الرئيسية : وهي التي تنشأ عنها سائر الأمراض والعلل ومظاهر الخلل : اضطراب التصور للإيمان والتوحيد والخلل فيه ، هجر منهاج الله تعالى حتى غاب دوره الحقيقي في بناء الأجيال المؤمنة ، عدم وعي الواقع وعدم دراسته دراسة منهجية من خلال منهاج

تعالى - .

٨- لقد جابه المسلون الأحداث كأنها مفاجئة لهم . ذلك لأنه لم يكن هنالك نهج مدروس . فجاءت المواقف عاطفية ارتجالية . ردود فعل آنية . تتغير بسرعة وتتبدل كما تتغير ردود الفعل غير الواعية . وكما يتبدل العمل غير المنهجي . فتصدم الآراء و وجهات النظر وتتصارع . وينتقل ذلك إلى الصحف والمجلات . وقد يأخذ الصراع مستوى غير كريم .

٩- ويمكن أن نوجز أهم الأمراض الرئيسة في واقعنا بعناوين نجد دراستها المفصلة في غير هذا البحث :

أ - الخلل في تصورالإيمان والتوحيد . والتقصير في حمل قضيته والدعوة إليها . والتقصير في إجراء الدراسات اللازمة لها . فلم يعد الناس يعتبرون هذه القضية أخطر قضية في حياتهم ولا أكبر حقيقة في الكون . واضطرب مفهوم الألوهية والربوبية ومفهوم عبودية الإنسان لربه وخالقه . واضطرب الولاء والعهد ومعاني الحب والخشوع والتضرع وغير ذلك . ولم تعد قضية الإيمان والتوحيد توجه السلوك والمواقف والآراء ولا تحدد التكاليف والمسئوليات .

ب - غياب دور المنهاج الرباني في واقع المسلين : فلم يعد منهاج الله يؤدي اليوم الدور الذي كان يؤديه في مدرسة النبوة . حتى أصبح مهجورًا عند الملايين من المسلين . ويتلى دون تدبر عند الكثيرين . والقليل القليل أولئك الذين يتدبرونه ويعونه ويعملون به .

ج - غياب النهج والتخطيط حتى داهمتنا الأحداث . فكانت المواقف ارتجالية غير واعية . فلا الدرب كان محدودًا . ولا المراحل . ولا الأهداف .

مرحلة من مراحل النهج ، إذا توافرت المراحل في النهج ، بما تقدمه الطاقة من التزام واع وبذل صادق في سبيل الله ، وتجرد من أطماع الدنيا وشهواتها وأهوائها ، وبما تملكه من مواهب حقيقية وكفاءات عالية يصوغها صدق الإيمان والعلم ، وحين يعرف كل فرد منزلته و وسعه ودوره ومنازل الآخرين و وسعهم ، وحين لا ينازع الأمر أهله ، وبما يُنسق جهودها من إدارة ونظام .

إن الطاقة البشرية المؤمنة هي التي تبني الدعوة إذا صدقت البذل ، ولم تبحث من خلال الدعوة عن أهوائها ولهوها ومصالحها الدنيوية ، إن الداعية الصادق تتوقف في حياته الدنيوية بعض مصالحه ، ويتوقف لهوه واسترخاؤه ، في موازنة أمينة ليبذل من فكره وجهده و وقته وماله في سبيل الله تعالى .

لابد أن نعي حقيقة الدعوة الإسلامية كما يصفها لنا منهاج الله تعالى ، وأن نعي خصائصها ومهمّتها ودورها في الأرض ، وأهميتها في حياة البشرية كلها ، والرسالة العظيمة التي تحملها للإنسان .

و لابد أن نعي حقيقة واقعنا من منهاج الله تعالى ، وندرس أمراضنا وعللنا وأخطاءنا ، دون أن تخدعنا أهواؤنا وزخارف المظاهر والشعارات التي لا رصيد لها في الواقع ، ودون أن نجمد على أمجاد من سبق ، فكلّ يلقى الله بعمله لا بعمل سواه .

إن هذا الوعي يجب أن يكون ثمرة دراسات جادة ، ليساعدنا هذا كله على وضع النهج المفصل والخطة التطبيقية ، والنظرية والأهداف والوسائل والأساليب ، مما سنوجزه في الصفحات المقبلة - إن شاء الله

المنهجيّ الرباني .

٥- ما زال الكثيرون ، وهم يغطون في نومهم ، يبحثون عن الأمجاد فيمن سبق ، ويتغنون بأحلام النيام ، ويأبون أن يبحثوا في العلل والأمراض . إن واقعنا اليوم يفرض أن ننظر في عللنا وأمراضنا ، وأخطائنا وعيوبنا ، ودربنا ومناهجنا ، عسى أن نغيّر ما في نفوسنا ، فيغير الله ما بنا ، كما وعدنا سبحانه وتعالى .

٦- هنالك ثلاثة عناصر رئيسة تتمايز بها الدعوات في تاريخ الإنسان ، وعلى أساسها يمكن المقارنة بين دعوة ودعوة :

أولاً : العقيدة والتصور العام الذي تدين به الدعوة .

ثانيًا : الطاقة البشرية : كفاءتها وطاقتها ، وعيها وإيمانها بعقيدتها ، صدقها والتزامها .

ثالثًا : النهج والخُطّة التي تضعها الطاقة البشرية على أساس من عقيدتها و واقعها ، ومدى نضجها ونموها ، ومدى وعي الطاقة البشرية لها والتزامها بها ، والنظام الإداري الذي يكون جزءًا من النهج والخطة ، والنهج يشمل تحديد الأهداف والوسائل والأساليب ، والمراحل وغير ذلك .

إن مواضع الضعف في العمل الإسلامي ينحصر في العنصر الثاني والثالث : الطاقة البشرية بجميع الخصائص التي ذكرناها ، والنهج والخطة والإدارة والنظام ، ذلك أن العقيدة هي العقيدة الحق ومنهاج الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولكن الطاقة البشرية قد تعجز عن حمل الأمانة .

٧- إن الطاقة البشرية هي المسئولة بالدرجة الأولى عن المدة الزمنية لكل

من أخطر ما يبرز في واقعنا اليوم

بقلم : سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي

١- إن تمزق الجماعات الإسلامية في صراع محموم ، أصبح معه الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر للتجمع نفسه في صورة لا يقبلها الإسلام أبدًا ، ولا صدق الإيمان ، ولا صدق العلم بمنهاج الله تعالى .

٢- أخذت الروابط اليوم صورة العصبيات الجاهلية حتى طُوى الرأي والنصيحة ، وقُطِعَ التعاون ، وسدّت أبواب اللقاء ، وتنافس الناس الدنيا ، لينسب كلّ الفضل لنفسه ، وليفقد الناس منازلهم ، ولينأى صديق ويدنو عدو ، وليتسلل المنافقون ويندس أعداء الله تعالى ، بعد أن غاب الميزان ، وغلب الزخرف والضجيج ، وتقدّم الضعفاء ، وهبط العمل وامتدت الفتنة .

٣- إن استمرار التمزق والشقاق إثم كبير ومعصية واسعة ، وأمر محرم في الإسلام . لقد طغى الشقاق في بعض المناطق حتى اتخذ كل حزب أو جماعة مسجدًا خاصًا بهم ، يحرمون على غيرهم الصلاة فيه ، ويدور العراك بالعصي والسلاسل الحديدية ، ثم يفصل بينهم أعداء الله تعالى ، فَنَمت الأحقاد وطاشت العقول وتقطعت روابط الإيمان ! فأين الدعاة العاملون ، وأين مناهج البناء والتربية ، وأين جهود أكثر من قرن ؟!

٤- لقد تزاحمت الأحداث على العمل الإسلامي فكانت المواقف أقرب إلى الارتجال و ردود الفعل ، والشعارات منه إلى الأهداف المحددة والعمل

منه بادرة سوء وقد حضر أجلي ، وكان سفك دمي على يده ، فإني أحسن الظن بالله الذي خلق ورزق ، وأحيا وأمات ، وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة ، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فإذا عرفت مبلغ فهمك ، فإني لا أكلمك بكلمة واحدة ، حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين - إن شاء الله تعالى - .

قال منارة : ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير التسبيح ، أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة ، ودخلت على الرشيد ، وسلمت عليه فقال : هات ما عندك يا منارة ، فسقت الحديث بتمامه ، فلما جئت آخره قال : صدق والله ، ما هذا الرجل إلا محسودًا مكذوبًا عليه ، لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا ولده ، فبادر بنزع قيوده وائتني به ففعلت وأدخلته على الرشيد ، فما هو إلا أن رآه ، حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد ، فدنا الرجل وسلم بالخلافة فرد الرشيد ردًا جميلاً ، وأمره بالجلوس فجلس ، فأقبل عليه الرشيد وسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ، ونحسن إليك فاذكر حاجتك ، فرد الرجل وشكر وقال : أن تردني إلى بلدي وأهلي و ولدي ، قال : نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج إليه في مصالح جاهك وشرفك ومعاشك ، فإن مثلك لا يخلو أن يحتاج شيئًا من هذا ، فقال : يا أمير المؤمنين عمّا لك منصفون ، وقد استغنيت بعد لهم عن مسألتى فأمورى مستقيمة وكذلك أهلي وأهل بلدي بالعدل الشامل في ظلكم ، فقال الرشيد : انصرف محفوظًا إلى بلدك ، واكتب إلينا بأمر إن عرض لك ، فودعه الرجل وانصرف .

المؤمنين فدفعته إليه ، ففضّه وقرأه ، ثم أمر أولاده بالانصراف ، وقال هذا كتاب أمير المؤمنين ، ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة ، هات قيودك يا منارة .. فقيدته وحملته ، وركبت في الجانب الآخر وسرت بالرجل ، وليس معه أحد ، حتى صرنا بظاهر دمشق ، فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة ، فقال لي : أترى هذا ؟ قلت : نعم ، قال : إنه لي وفيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ، ثم انتهى إلى آخر ، فقال مثل ذلك ، ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك .

فاشتد غيظي منه ، وقلت : ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل إليك ، من انتزعك من بين أهلك ومالك و ولدك ، وأخرجك فريدًا مقيدًا لا تدري إلى ما يصير إليه أمرك ، ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد أن جئتك ؟ فقال لي مجيبًا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخطأت فراستي فيك ، لقد ظننت أنك رجل كامل العقل ، وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحلّ إلا لما عرفوك بذلك ، فإذا بكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان .

أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إيّاي إلى بابه على صورتي هذه ، فإني على ثقة من الله الذي بيده ناصية أمير المؤمنين حيث لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا بإذنه تعالى ، ولا ذنب لي عند الخليفة أخافه منه ، وبعد ، إذا عرف أمير المؤمنين أمري ، وعرف سلامتي ، وصلاح ناصيتي سرّحني مكرمًا ، فإن الحسّاد والأعداء رموني عنده بما ليس في ، وتقولوا علي الأقاويل ، فلا يستحل دمي ، بل يردني لبلدي مكرمًا ، وإن كان قد سبق في علم الله -عزوجل- ، أنه يبدر إلي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

طباع النفس ، وكبح جماح الشر فيها ، وتهيئته -ﷺ- للتخلق بخصال مثالية كالحكمة والموعظة الحسنة ، وإدراك مداخل النفوس المخاطبة ، وما تنطوى عليه من سرائر ، ليمكن التأثير فيها ، فإنما هي سجايا مثالية ، تنطلق منها تعاليم الإسلام ، وما يجب أن يكون عليه سبيل التعامل بين أبنائه ، ليأخذوا من ذلك القدوة المؤثرة ، وليعرفوا الطرائق المعينة على ربطهم بدينهم ، وتجيبهم فيه ، وجذب الآخرين إليه ، إن من الأمثال الشعبية في مكة المكرمة قولهم : « لاقيني ولا تعشيني » أي أن حسن الملاقاة وطيب المحادثة ، أمكن في النفس من بسط المائدة بما لذّ وطاب من صنوف الطعام ، وأنواعه المغرية .

والبشارة من هذا المدخل ، لما لها من أثر نفسي ، وعاطفة وجدانية ، فالأمل بالله قوي ، وحسن الثقة به سبحانه يجب أن تكون نصب عيني الفرد ، فالله يقول : « أنا عند حسن ظن عبدي بي » والداعية المبشر هو الذي يفتح الآمال أمام النفوس القانطة ، ويرغب في الخير لكل من لديه عزوف ، وينير الطرق المظلمة ، لمن اسودت الحياة في ناظريه ، ويدفع إلى التوبة ، وتلمس الخير ، لمن استحوذ عليه اليأس ، ولازمة القنوط .

وقصة الرجل الذي قتل ٩٩ شخصًا ، وجاء يلتمس التوبة والخلاص مما هو فيه ، فأيسر من جاء إليه ليأخذ بيده ، فغضب عليه وكمّل به المائة ، معروفة مشهورة ، تنبئ عن منهج الدعاة في البشارة أو التنفير ، وأثرهما في جذب الناس ، أو إبعادهم ..

وما حرص رسول الله -ﷺ- على البشارة إلا مسك ترغيب وتحبيب في نتائجه ، وكبح لجماح النفس من الانغلاق والانفلات .. ذلك أننا لا نجد

وارتياحها . حتى تتفتح إلى التقبل والإدراك . وحتى تجد ما يعينها على سلوك المنهج السليم . والتفاؤل الحسن . وبعكس ذلك التنفير . حيث توصد الأبواب أمامها . وتدفع قسرًا عنها إلى التشاؤم والقنوط .

وكما هو معروف فإن طبيعة النفس البشرية الانجذاب إلى من أحسن إليها . وأعظم مراتب الإحسان . تأتي من طيب الكلام . وحسن التعامل ومراعاة الشعور .. وهذا كله يتحكم فيه اللسان نطقًا وتوجيهًا . وما البشارة إلا نتيجة ما يخرج عن اللسان .. الذي جرحه بالتقريع أو التنفير . أنكى ألمًا .

وأشد تأثيرًا . من جرح السنان . وما يتركه في البدن من ندوب . أو خدوش . والحكمة العربية تقول :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبـد الإنسان إحسان

فلو تتبعنا آثار رسول الله -ﷺ- . لرأيناه حريصًا على ما يربط الأمة بدينها بالبشارة واللين . ولأدركنا من تعامله مسلكًا متميزًا تنجذب معه القلوب . وتتصافى النفوس . فقد كان في نفسه لو خير بين أمرين . لا يختار إلا أيسرهما . وقد كان مع رغبته أسهل انقيادًا مما يتصوره الآخرون . تواضعًا ومراعاة شعور . حتى إنه لو أخذ بيده الصغير لانقاد معه . ولو دعاه أبسط الرعية وضعًا . وأقلهم نظرة اجتماعية . لاستجاب له . لأن دعوته -ﷺ- : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾.ومنهجه الإجابة ولو على فرسن شاة .

والله -جل وعلا- عند ما تصدر توجيهاته لنبيه الكريم -ﷺ- بتهذيب

ولا غضب لنفسه قط ، بل حميته لله ، وغضبه لدين الله ، وعند ما تنتهك شعائر الله ، ولم يعرف أنه -ﷺ- ضاق صدره من أعمال البشر الضعيفة ، ولا اهتم بمتاع الدنيا وحطامها الزائل ، بل كان - عليه الصلاة والسلام - : كريمًا بما يملك ، سخيًا بيده وما فيها ، رحيمًا بقلبه ، رفيقًا في تعامله ، حتى مع النساء والأطفال ، ممتلئًا قلبه رحمة وشفقة على أفراد المجتمع الإسلامي ، كبيرهم يعامله كأب ، وصغيرهم كالإبن ، ومتوسطهم كالأخ ، رسم هذا بمنهجه في التعامل ، وقوله في التوجيه ، حيث يقول - صلوات الله و سلامه عليه - : « لا خير فيمن لا يوقر كبيرنا ، ويحنو على صغيرنا » .

وهو - صلوات الله وسلامه عليه - ، عند ما يهيب بأبناء الأمة الإسلامية ، أن يسلكوا طريق البشارة في كل أمر ، واجتناب طريق التنفير ، فإنما يعبر عما يحسن بالداعية أن يدركه من مداخل النفوس ، حيث سبقت توجيهاته الكريمة : علمي النفس والاجتماع بتقنيناتهما الحديثة ، ودراساتهما المتعددة ، وتساؤلاتهما التجريبية ..

ذلك أن الدين مطلب روحاني لكل نفس ، سواء كانت هذه النفس مهتدية إلى الرشاد بمعرفة الطريق الصحيح ، أم منحرفة إلى الغواية ، بالتيهان في مسارب الحياة ، ومسالك العقيدة .

ولكي تسترشد النفس إلى الخير ، وتبتعد عن الشر ، فإنها أحوج ما تكون إلى من يأخذ بها إلى برّ الأمان ، ويسلك بها الطريق الأقصر إليه ، ويرغبها في نتائج ذلك الخير ، حتى تتوق إليه ، وتتجه إليه رغبة وطواعية ، والبشارة أو التفاؤل من الطرق المعينة على تهذيب النفس ،

فصيرته رحيمًا بالأمة ، محببًا إليهم الإيمان ، ليِّنًا في تبليغهم ، مبشرًا لهم بالخير الجزيل إن هم استجابوا . فكانت تلك الخصال التي أعطاها له ربه : طبيعة خيِّرة ، قلب رحيم ، لين ومودة ، كلها سجايا تدعو القلوب لأن تجتمع ، والنفوس لكي تتآلف ، ومن هذه الخصال يجد المرء أصولاً مكينة ، للنظام الاجتماعي الذي تترابط عليه النفوس ، وتقوى به أواصر المحبة ، ويلتئم حوله شمل الجماعة الإسلامية ، فلو كان -ﷺ- فظًا في طباعه ، غليظًا في مقابلته مع البشر ، فإن القلوب لن تتآلف حوله ، والمشاعر لن يجتمع شملها في دعوته ، لأن النفوس مع من أحسن إليها ، والإحسان لا يأتي إلا مع الرفق واللين .

إن من يركب مطية الدعوة ، يجب عليه أن يروض نفسه بشئ من خصال رسول الله -ﷺ- ، حيث كان مع أصحابه بشوشًا سمحًا ، واسع الصدر حليمًا ، لا يضيق بجهل الجاهل ، ولا يغضب من تصرفات الناقص ، فالناس يحتاجون إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، وحلم واسع يحمل عنهم همومهم ، ولا يرمى عليهم ثقل همه ، كما أنهم يحتاجون إلى علم جم يفيض عليهم ، ولا ينتظر منهم العطاء ، وقلب متفتح يجدون في ثناياه الاهتمام ، والشفقة والرعاية والود والرضاء ولا يتوقع منهم عطفًا وإحسانًا لأنه أكبر منهم ، وأدرى بمصالحهم ، بل راحته في استجابتهم للأمر ، وحرصهم على اتباع شرع الله ، وأخذ منهجهم العلمي والعملي من مصدري التشريع فيه : كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ، لأن في ذلك سعادتهم ونجاتهم ، وهكذا كان قلب رسول الله -ﷺ- ، بل هكذا كانت حياته وتعامله مع الناس : فما عرف أنه ضرب إنسانًا بيده ،

يرتبط به ...

وقد هذّب الله -جل وعلا- نفوس أنبيائه ، وهم صفوة البشر ، وأفضل الناس ، لتتحمل هذا العبء الجليل ، وهيئت طباعهم لتدرك أعماق نفوس من يتعاملون معهم ، وذلك بحسن الخلق ، والقدرة على التحمل ، واللين في القول ، فقال تعالى لموسى وهارون ، لما أرسلهما سبحانه إلى فرعون مصر ، ليخلصا بني إسرائيل من ظلمه ، وليبينا له ما وصلت إليه نفسه ، من عتوّ وتجبر : ﴿ فقولا له قولاً ليّنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [سورة طه ، الآية : ٤٤] ذلك أن القول اللين ، أدعى للقبول ، وأرغب في النفس المتلقّية فلا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء أو يدفع النفس للمعاندة والتجبر ورفض الحق تنفيرًا واستعلاءً ، لأن القسوة تُثير الكوامن ، وتهيج سويداء القلب ، واللين يوقظ القلب ، ويرغب في الاستماع إلى الحق ، وما ذلك إلا أن القسوة مدخل من مداخل التنفير ، واللين من أهم مسالك البشارة ، ونبينا محمد -ﷺ- ، وهو أكرم البشر خلقًا ، وأزكاهم سريرة ، كيف لا ، وهو الذي مدحه ربه بحسن الخلق ، حيث أدبه ربه فأحسن تأديبه ، كما قال -ﷺ- في جوابه لأبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - عند ما سأله قائلاً : من أدبك يا رسول الله ؟ أي عليك .

هذا النبي الكريم يضرب النموذج الفريد في أسلوب الدعوة إلى دين الله ، بما طبع الله نفسه عليه ، وما سارت عليه أعماله وخصاله ، عند ما قال عنه الباري سبحانه : ﴿ ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] ، إنها رحمة الله التي نالت نبيّه -ﷺ-

الدعوة الإسلامية :

« بشروا ولا تنفروا »

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

تختلف أساليب الناس في الدعوة ، كما تتباين رغبتهم في تغيير واقع الناس ، ومحاولة نقلهم من حال إلى حال : بحسب علمهم أو جهلهم ، وبحسب حماستهم وغيرتهم ، أو خمولهم و دعتهم ، إذ ليس كل داعية ، تنطبق عليه مواصفات الداعية ، ولا كل متحمس يصح نعته بتلك الصفة ..

وذلك أن للدعوة ، والقيادة التوجيهية ، شروطًا ومواصفات ، في مقدمتها العلم والحلم ، ومخاطبة النفوس بما تدركه ، وتلّمس أحاسيسها بما تتجاوب معه ، لتعرف المداخل فتؤتي منها ، وتدرك المخاطر فتجتنب أضرارها .. كل بحسب المداخل المؤدية إليه ، والأسلوب اللين المثمر فيمن ينتهجه .

إن الداعية كالطبيب ، الذي يبين أثره في تفاعله مع مريضه ، وحرصه على تلمس ما يحس به من ألم أو يؤرقه من مرض ، وهما في شريحة الإحساس النفسي ، والتهيج الوجداني من فصيلة واحدة ، حتى يتركا انطباعًا فيمن يرتبط بهما : أثرًا أو تأثيرًا . وذلك بحسب الشرائح الاجتماعية من آباء وأمهات ومعلمين ومعلمات ، إذ كل من هؤلاء ، عليه دور مهم في تلمس المداخل المؤثرة فيمن يخاطب ، ومحاولة ترك البصمات فيمن

٨٨٨

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ٨/١٣٠٨ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ميلان إليها ، وتقام ورشة (ندوات) للدعوة إليها ، وكذلك يحتفل أصحاب هذه الجماعة ، بأسبوع جلب الأعضاء .

في كوشتيا توجد منظمة لهذه الجماعة باسم (Call of hope) لتدريب الأمة العيسائية كما توجد للجماعة منظمة تابعة لها لتدريس الكتاب المقدس بعنوان شارع اندرا بداكا . واسم منظمة تابعة أخرى « إحسان بنغلاديش » .

تمويل هذه الجماعة : يجب على أعضاء الجماعة منح العشر من اكتسابهم إجباريًا ، و يبدو أن مبلغًا من المال يأتي إليهم من ألمانيا الغربية .

وتقوم الجماعة بنشر وتوزيع الكتب والجرائد واللافتات والأشرطة . ومن أهم الكتب في البنغالية . كما ترجمت عناوينها بالعربية :

١ - إنجيل وقرآن جديد من تأليف إسكندر جديد .

٢ - ما هي وسيلة النجاة . ٣ - الذنوب ومغفرتها حسب الإسلام والقرآن .

٤ - الله واحد في التثليث . للسيد زكريا بطرس ، وغير ذلك ، وفي هذه الكتب تجد كثيرًا من مقتبسات القرآن والحديث النبوي الشريف ، بيد أن هناك بعض الكتب التي لا يقرؤها إلا النصارى فقط ، مثلاً :

١ - طريقة المسيحية في الأراضي العربية . ٢ - الأزمات والمشاكل .

٣ - كيف يُنصر المسلمون ونحو ذلك .

ومن الجدير بالذكر ان كلمة « الله » اسم ذاتي لله رب العالمين وهذه الكلمة تسكن في أعماق قلوب المسلمين لهذا البلد . ولذا لا تستطيع الشيوعية والإلحادية تضليلهم بدعاياتهم الفاسدة . لذا قام المسيحيون بتبديل استراتيجياتهم في هذا البلد فشكلوا عددًا من المنظمات باسم « الله » في بنغلاديش . وما هذا إلا ليخادعوا أبناء البلد باسم الله الذاتي

بعثة النصارى الدولية ولها فروع متعددة في الدول المختلفة ، في بنغلاديش ، مكتبها الرئيسي بعنوان ١٢ سي/ ١٠ سي بابر روڈ ، محمد فور ، داكا . وإن مكتبها واقع في قصر عال ويسكن فيه رئيس المنظمة السيد إم. أ. وهاب . تم تشكيل هذه المنظمة في عام ١٩٧٨م وتتمتع هذه المنظمة يوم العطلة الأسبوعية بالجمعة بدلا من يوم الأحد ولها في الحال فرعان في مدينتي « سلهت » و « بريسال » .

علم أن مدير هذه المنظمة المستر إم. أ. وهاب ارتد في عام ١٩٧٦م ، لكنه لم يبدل أسمه المسلم (هو ينتمي إلى مقاطعة فيروز فور وحصل على المهارة في اللغات العربية والإنجليزية والأردية واتخذ التدريب عدة مرات من ألمانيا الغربية) وزوجته أيضًا عضو لهذه المنظمة ، إن عمال وموظفي هذا المكتب معظمهم ارتدوا عن الإسلام والهندوسية ، لكنهم لم يبدلوا أسماءهم إذ لا حاجة إليه حسب هذه المنظمة ، وعند هذه الجماعة الباطلة لا يكون مسلم مسيحيًا بدخول هذه الجماعة بل يكون هو مسلم عيسائي ، وتسمى كنائس هذه الجماعة « عبادت خانه » توجد في مانيكگنج كنيسة « عبادت خانه » وهم يُدعون هناك باسم « عيسائي مسلم جماعة » ويقومون بارتداء لباس المسلين من القلنسوة والعمامة والقميص الطويل ونحوها التي يستعملها العلماء الإسلاميون والرجال الاتقياء ، وهكذا يتركون لحاهم ، كما توجد في تنغائيل « عبادت خانه » آخر كمثل هذا .

ولهذه الجماعة يوجد نوعان من الأعضاء : ١- الأعضاء الرسميون الذين آمنوا بعقائد فاسدة للجماعة رسميًا وصراحة .

٢- الذين لم يعلنوا إيمانهم بالعقائد المسيحية صراحة ولكن يوجد فيهم

وتؤيدهم في ذلك وسائل الاعلام الخارجية ، مثل بي. بي. سي. (B.B.C.) بوتا (Voice of America) ونحوهما .

استعمال الأسماء والاصطلاحات الإسلامية :

لكل أمة طراز خاص وحقل محدود في اختيار الأسماء والمصطلحات ولكن النصرانيين بعد دراسة اجتماعية عميقة ونفسية الرأي العام للمجتمع الإسلامي غيروا استراتيجيتهم للتعامل مع المجتمع الإسلامي حيث بدأوا استعمال الألفاظ والاصطلاحات التي هي معروفة ومقبولة لدى المسلمين وتوجد في القراذن الكريم والأحاديث النبوية .

وهذا المنهج أخطر المناهج مما سبق في خداع المسلمين للدخول في صفوف النصرانيين بدون مواجهة وتوعية . مثلاً إنهم يسمون الأسقف باسم « الامام » وبائبل باسم « إنجيل شريف » وهكذا عيسى روح الله ، وإبراهيم خليل الله ، والأمة ، والعبادة ، روح القدس ، والمغفرة والرحمة و النجاة ، والتفسير للأناجيل ، والترجمة ، والواعظ والمحبة ، ونحو ذلك . وهم يقرأون الإنجيل في الإذاعة والتلفزيون في بنغلاديش ، ويسمونه تلاوة الإنجيل الشريف ، ثم يقولون في النهاية « آمين » كما يقول المسلم في نهاية سورة الفاتحة .

وكذا جعلوا لمنظماتهم التبشيرية أسماء مستعملة في المجتمع الإسلامي مثل مسيحي جماعة ، بدلا (Christian Society) أو (Christian Assosiation) وأحيانًا يستعملون عيسائي مسلم جماعة ، وأحيانًا (بي. بي. إيس.) ونحو ذلك باختصار . حتى لا يعرف العامة من الناس حقيقتها بصراحة .

التعريف عن بعض منظماتهم : مسيحي جماعة : هذه المنظمة هي

في مصلحة التنصير ، وأخطر أساليبهم في هذا المجال :

١ – إنهم أسسوا مدارس مثل روضة الأطفال ، يعينون المعلمات من النساء بعد تدريبهن على عملية التنصير ، وهناك أمثلة كثيرة لمناهجهم تقشعر منها الجلود ، مثلاً تقول إحدى المعلمات المبشرات للتلاميذ : أطبقوا عيونكم ولا تنظروا ، فقولوا يا الله أعطني البسكويت للأكل ، ثم يتساءل ، هل وجدتم شيئًا ، ثم تقول : أطبقوا مرة ثانية ، وقولوا : مثل ما قلتم في المرة الأولى ، وتضع في أيديهم البسكويت ، ثم تسألهم : من أعطاكم البسكويت ؟ أستاذكم أم الله ؟! هكذا تقول معلمة للأطفال : هل في بيتكم الخدام ؟ فإذا أجابوا وقالوا : نعم ، فتسألهم : من يحبه والداكم ؟ هل يحبان الخدام أكثر أم يحبانكم ؟ فإن ردوا عليه قالوا : الوالدان يحباننا أكثر ، فتقو : لماذا ؟ لأنكم أولادهم ، فنبيّ المسلمين هو خادم لله ونبيّ النصارى ابن الله ، فمن يكون أقرب وأحب إلى الله ؟ الابن أو العبد الخادم !! وهكذا فيهم أمثلة كثيرة لمناهجهم الخسيسة، يعملون بها لغسيل مخ الأولاد الصغار تمهيدًا للطريق إلى التنصير بوسائل التعليم والتربية .

٢ – لقد أسسوا في بنغلاديش مدارس وكليات كثيرة وأقاموا الصليب فوقها كما أسسوا فيهـ مكتبات زاخرة بالكتب النصرانية والصور الصليبيـ ـ نحرف بها الجيل المسلم الناشئ .

٣ – ويستعملون البريد للاتصال الشخصي مع الشباب وتعليمهم كما يريدونهم ، ويشجعونهم بالمال والوظيفة والاغراءات الجنسية .

٤ – يرسلون الطلاب الأذكياء إلى خارج البلاد للدراسات العليا أو

اسمها براك (BRAC) تخصص للنساء الموظفات بيوتًا يعشن فيها ، ويسكن في هذه البيوت في الطبقة السفلى الموظفون من الرجال وفي أعلاها النساء الموظفات ، وهن يرفعن أصواتًا وهتافات تثير العواطف الجنسية وتعلن التمرد على النظام العائلي كما جاء به الإسلام بقوامة الرجل ونظافة النسل والتربية ، وقد أنشأوا في القرى الجمعيات النسائية تحقيقًا لأهدافهم في تشجيع النساء على حركة تحرير المرأة .

العملية التنصيرية باسم التعاون الاقتصادي في القرى والأرياف:

لقد أسسوا منظمات عديدة يعملون من ورائها لإبعاد المسلمين عن الإسلام وتنصيرهم ، حيث إنهم يوزعون للمسلمين القروض على الربا ، ويصنعون لهم دورات المياه ويحفرون الآبار الالكترونية مقابل الرشوة الاجبارية وبالأسلوب السرى بوساطة العمال ، وإن كانوا يعلنون أنها أعمال مجانية ، وهي لا تكون إلا لنشر الربا والرشوة في المجتمع .

وأخطر من ذلك أنهم يشترون الأراضي الهامة ويوزعونها على الذين يدخلون في النصرانية أو يشترون الأراضي بالثمن الغالي من الذين تحتاج إليهم المنظمات التبشيرية في تحقيق مصالحها ، وذلك لتعاونهم بأسلوب غير مباشر حتى لا يعرفهم الجماهير من الناس .

هذه هي حقيقتها التي تختفي وراء أسماء ولا فتات جميلة مثل براك (BRAC) يعني Bangladesh Rural Advancement Commitee
وكذا هيد (HEED) يعني Health, Education and Economic Development
ونحو ذلك .

استخدام وسائل التعليم: إنهم يستخدمون وسائل التعليم والتربية

٢- توظيف النساء في الوظائف لمنظماتهم و فرض ملابس غير مشروعة عليهن .

٣- بناء الحمامات للناس ، خاصة للاجئين منهم ، وطولها شرقًا وغربًا ، حيث يجعلون القبلة الإسلامية مدبرة حتى يستهين الناس بحرمة القبلة المشرفة .

٤- العمل لإثارة الشباب للتمرد على قيم الإسلام وموازينه ، وذلك بتأسيس النوادى للشرب والملاهي للعب ، واستعمال المخدرات .

إفساد المرأة وإثارتهن على النظام الإسلامي السائد :

١- ترجيح النساء للعمل بالمشاركة مع الرجال ، بل تعيينهم النساء للعمل في إصلاح الطرق والشوارع ، استهانة لشأن الحجاب الإسلامي ، وكذلك أقاموا مستشفيات خاصة بالرجال وأطباؤها النساء ، خاصة بالنساء وأطباؤها الرجال ، كما أن هؤلآء يقيمون في حقلهم اللعب الخاص اسمه : « لوڈو » حيث يجعلون في دائرة اللودو صورة الحية التي إذا وقعت في فمها أي حبة للودو لابد أن يرجع اللاعب إلى الخلف يعني هذه علامة « التخلف » وسموا هذه الحية باسم « الحجاب » (الإسلامي) .

٢- إن النساء المسلمات عادة لا يقمن بقيادة السيارات في المجتمع البنغلاديشي ، ولكن المنظمات غير الحكومية للمبشرين توظف النساء في الوظائف وتقدم لهن سيارات خصوصية وتفرض عليهن أن يقدنها ، حتى إن منظمة تبشيرية اسمها كاريتاش (CARITAS) عينت في بنغلاديش حوالي واحد وستين ألفًا من النساء في الوظائف ، وأعطت لكل واحدة منهن دراجة نارية للسياحة في القرى والأرياف ، وهناك شركة أخرى

من الغرب كثير من الهيئات التبشيرية باسم المنظمات غير الحكومية (N.G.O.) يرتدي أصحابها رداء العمال للتنمية الاجتماعية للبلاد حتى الآن . وعدد النصارى الحالي حوالي ثلاثة ملايين (جريدة انقلاب ٢/٣/١٩٩٤م) وعدد منظماتهم العاملة المنتشرة في أنحاء بنغلاديش ستة عشر ألفًا . كما أخبرتنا مجلة شهرية (بداكا) برتيبي (العالم) في عددهـــا . يوليو ١٩٩٤م (ص/٤١) . حتـــى نشروا الهتـــاف : (Praying through the Window) يحمل عنوان الحركة لتبديل بنغلاديش كدولة نصرانية في القرن القادم (كما أخبرتنا مجلة أسبوعية بكرام « بداكا » العدد ٨-١٤ أغسطس ١٩٩٤م) مثل لبنان أو نيجريا . وهذا ما أعلنوه حقًا لما شهدناهم يعينون الموظفين في منظماتهم من أبنائنا المسلمين . وبعد أيام نرى أبناءنا لا يفكرون في مصلحة ديننا بل يفكرون لمصلحة النصرانيين . بل يعملون لهم حتى يبيعوا إيمانهم وعقيدتهم وسلوكهم الديني عند هؤلآء المبشرين تحت الرواتب العالية متأثرين بأساليب النصرانية الخلابة الخادعة .

وقد اختار هؤلآء المنصرون حاليًا أساليب متعددة في بنغلاديش لعل بعضها أخطر لا يوجد في بلدان أخرى ومن أهم تلك الأساليب لتضليلهم المسلمين أولاً ثم تنصيرهم ثانيًا هي :

الاستهانة بشعائر الإسلام وقيمه :

وخلال استخدام هذا الأسلوب يجعلون عدة مناهج :

١- تهيئة المطعومات وتوزيعها للفقراء والمحتاجين في شهر رمضان وإجبارهم لأكلها نهارًا في المراكز النصرانية .

كانتي ، فيما بين ١٤٢٠–١٤١٠م تقريبًا ، ثم جاء تاجر برتغالي اسمه ماسكو داغاما سنة ١٤٩٨م .

ثم جاءت جماعة من المبشرين البرتغاليين سنة ١٥١٧م وأسسوا أول كنيسة في تاريخ بنغال في منطقة « كالي غنج » بداكا (السابق) وهؤلاء قاموا بالتبشير النصراني إلى أن أسست الحكومة الإنجليزية بيد شركة الهند الشرقية للتجار البريطانيين سنة ١٧٥٧م ، فازداد عملهم التبشيري ، وحيث جعلوا كلكتا مركزًا لهم ، وهؤلاء المبشرون آنذاك أول من ترجموا الكتب الدينية أي الأناجيل في اللغة البنغالية وكذا أول من نشروا الجريدة في اللغة البنغالية لمصلحة التنصير ، سنة ١٨١٨م واسمها : « ديغدرشان » (البوصلة الملاحية) ، و استعملوا كثيرًا من الألفاظ السنسكريتية بإزاء الألفاظ العربية والفارسية الموجودة في اللغة البنغالية .

وبعد انفصال باكستان عن الهند كثرت هجرة المسلمين إلى باكستان الشرقية ، ولجأ وفود المسلمين إلى مراكز اللاجئين ، فأخذها المبشرون فرصة عظيمة لعملهم التبشيري وأرسلت الدول الغربية النصرانية كثيرًا من الهيئات التبشيرية (بطريق مباشر وغير مباشر) في هذه المنطقة ، فعملوا في المهاجرين وكذا في القبائل الصغيرة من شوتال و جاكما و غاروا و موغ وغيرها ، وتنصروا ما تنصروا حتى صاروا عددًا ملحوظًا في المجتمع البنغلاديشي .

وقد ازدهر عملهم التنصيري خاصة بعد استقلال بنغلاديش من باكستان الغربية منذ عام ١٩٧١م خلال أيام الحرب وبعدها ، و وفد آنذاك

الأساليب التنصيرية في بنغلاديش

بقلم : الأستاذ محمد عبد الرحمن أنوري
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة الجامعة الإسلامية - كوشيتا - بنغلاديش

بنغلاديش هي دولة مسلمة ثانية في الدول الإسلامية بنسبة عدد المسلمين ، هي دولة ذات أهمية ،الغة في آسيا الجنوبية الشرقية ، وهنا قرر رسميًا بأن لكل فرد الحق أن يقوم بأداء واجبات دينه كما أن له الحق أن ينشر دينه و عقيدته و أيديولوجيته ، و لكن من الأسف البالغ أن النصرانية في بنغلاديش لا تقوم على نشر دينها كما ينبغي أن تنشر بالحجة والإقناع بل بدأت تستغل الجهل والفقر والتخلف الاجتماعي السائد فيما بين مسلمي بنغلاديش عامة وبين أهل القرى البعيدة خاصة ، وأن أصحاب هذه الديانة في بنغلاديش يعملون بطريق خفي من ناحية ويخدعون المسلمين الغير المثقفين من ناحية أخرى ، فهم يعملون أولاً لإبعاد المسلمين عن الإسلام وحيوية تعاليمه ، ثم العمل في تنصيرهم تدريجيًا ، كما علم ذلك زويمر من قبل في إفريقيا ، إلا أن النصرانيين في بنغلاديش أرحم من زويمر لأنهم يبشرون برحمة عيسى ولا يبذلون جهودهم في ارتداد المسلمين عن الإسلام فقط .

ولا يعرف بالدقة متى وصل النصرانيون في هذه المنطقة إلا أن الشيخ عبد الكريم ذكر في كتابه : « تاريخ البنغال : ص/٣٦-٢٧ » إن أول من جاء من النصرانيين في هذه البقعة هو رجل إيطللي اسمه : نكلو دي

ويمكن الاستفادة منها وتسخيرها لغايات لا تعود على هذه الأقطار الإسلامية بل تعود على العالم المتمدن المعمور بخير لا يعدله خير، وبسعادة لا تساويها سعادة.

فهل من المعقول أن تبقى الأقطار الإسلامية في صراع فكري وعقائدي وقلق شعبي جماهيري، وعدم وجود ثقة وتقدير، وحب وتفان بين الشعوب وأهل البلاد الذين لا تزال أكثريتها متمسكة بالدين محبة له، غيورًا عليه، وبين قادتها وحكامها، ويكون في هذه البلاد جهاد في غير جهاد، ونضال في غير عدو، أم من الخير ومقتضى الحكمة والعقل الإنساني – فضلاً عن العقل الإيماني – أن يكون هنالك انسجام وتوافق، وثقة متبادلة، بل عاطفة من الفداء والتفاني في تأييد هؤلاء القادة المسلمين الغيارى على الدين، المجاهدين في سبيله، الحريصين على بقائه، وازدهاره وانتصاره، طلبًا لرضا الله تعالى، وإيثارًا للآخرة على الدنيا، وتقليدًا للخلفاء الراشدين، والحكام الصالحين، والقادة المخلصين المجاهدين، ويتفادوا بذلك عن كل ما هم في غنى عنه من صراع وقلق، وقمع للثورات، وأمن من تقلب الحكومات، وتجسس للمؤامرات والمخططات.

وصدق الله العظيم:

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنًا • يعبدونني لا يشركون بي شيئًا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

وإشفاقهم من تحمس الشعب الديني وغيرته عليه ، والمناداة به ، والمطالبة في بعض الأحيان بتنفيذ بعض أحكام الشريعة الجلية الرئيسية ، أكثر من إشفاقهم من تهديد عدو في الخارج ، وتحد أجنبي ، وقد يكونون في بعض الأحيان منفذين لإشارات من دولة أجنبية كبيرة مرددين لصوتها ، محققين لغرضها ، كالتخوف من التمسك بالمبادئ ، أو المبدئية والأصولية ، الذي يدخل فيه التمسك بتعاليم الإسلام والوقوف عند حدوده ، وأوامره ، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم ، فيكون في ذلك وجود قلق وعدم ارتياح ، وصراع فكري وشعوري في الشعب ، كانت الشعوب الإسلامية والبلاد الإسلامية في غنى عنه .

وبهذا التباعد بين القيادات والسلطات ، والشعوب والجماهير ، تنشأ فجوة عميقة واسعة بين القادة والحكام ، وأهل البلاد المسلمين الغيارى على دينهم والمحبين لوطنهم ، وعدم تفاهمهم – فضلاً عن عدم تعاونهم – لا يملأ هذه الفجوة أكبر مجهود أو تأييد من حكومات أجنبية ، وتفقد بذلك القيادات والسلطات أعظم ثروة وأكبر قوة ، هي بذل النفس والنفيس في سبيل الله والاستماتة في سبيل تحقيق ما يريده الله ورسوله ودينه ، والوفاء للأئمة المسلمين وقادة البلاد والحكام المخلصين الصالحين ، وهي قوة أبدت العجائب والخوارق في تاريخ الإسلام الطويل الحافل ، وأخضعت البلاد والأقطار التي لا نسبة بينها وبين البلاد الإسلامية في العدد والعدد ، والقوة العسكرية ، للإسلام أو للدين الإسلامي أو الحكم الإسلامي ، وهي قوة لا تزال موجودة في نفوس المسلمين وفي الأقطار الإسلامية – على علاتها ومحنها أو مؤامرات حيكت حولها –

وتفاديًا وتفانيًا من الشعب المسلم ، وأهل البلاد المسلين (الذين يكونون الأكثرية ، ويملكون النفوذ والتأثير) التأييد التام والتحمس العام في تحقيق مطالبهم ، وتحقيق غاياتهم ، والحرص على بقائهم في مراكز سلطتهم ، ومكانتهم في القيادة والزعامة ، يحرزون إخلاصًا وتحمسًا ، لا يجدونهما عن طريق الإرهاب أو الترغيب ، والمراقبة والتفتيشات ، والعقوبات والاعتقالات ، وحتى عن طريق تأييد الحكومات الأجنبية والأساليب الاستراتيجية ، وعن طريق الصحافة والإذاعة ، والنشر والدعاية ، وصدق الله العظيم .

﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٦٢] وبذلك تتفادى البلاد الكثيرة من المؤامرات والمشاغبات ، وبذل القوة والجهد في القضاء على المخالفات والثورات ، وعلى وجود القلق وعدم الارتياح في نفوس العدد الأكبر من أفراد الشعب المسلم ، وعدم وجود التحمس في نفوس الأكثرية من الشعب لمقاومة هجوم أجنبي أو غارة خارجية .

أما إذا كان الواقع ضد ذلك ، وكان بين القادة والحكام وبين أفراد الشعب - الذين يشكلون الأكثرية ، وعليهم العمدة في الأمن والرفاهية والأزمات والخطوب - خليج عميق واسع في الاتصال بالدين وحبه والغيرة عليه والحرص على تطبيقه في الحياة وتنفيذه في المجتمع والحكومة ، بل كانت هنالك مظاهر وأمارات خفية أحيانًا ، وجلية أحيانًا أخرى ، في عدم ارتياح هؤلاء القادة والحكام لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، وتخوفهم من نفوذه وسيطرته على نفوس الشعب وعقوله ،

[illegible]

منهم علماء ومؤلفون ، وصالحون وربانيون (١) .

ويتلو هذين التحدين للإسلام والبلاد الإسلامية ، الاستعمار الغربي المنبسط في عدد محدود من البلاد الإسلامية والدول الإسلامية ، إدارة وحكما ، وسياسة ونفوذًا ، والمسيطر على عدد أكبر ثقافة وتفكيرًا ، وقيمًا ومفاهيم ، وخضوعًا فكريًا ، وقد زال هذا الاستعمار - إداريًا وسياسيًا - من أكثر البلاد الإسلامية ، وكان العدد الأكبر من قادة الحرب ضد الاستعمار الأجنبي الأوربي من علماء الدين ، والمتدينين من زعماء المسلمين ، وكان لذلك الأثر الأعمق في نفس الشعب ، لاقتران هذه المقاومة بتعاليم الدين واستخدام لغة الدين والتعاليم الإسلامية لتحرير البلاد ، ولكنه لا يزال مسيطرًا على كثير من الأقطار الإسلامية فكريًا وثقافيًا ، وقيمًا ومفاهيم ، وإصابة بمركب النقص .

أما الخطران الأولان الهجوم الصليبي والهجوم التتارى فلم تكن معهما دعوة ولا حضارة ولا فلسفة ، ولم تكونا تقدمان بديلا للدين الإسلامي وحضارته ، ومجتمعه ، وكانا بالطبيعة هجومين عسكريين ، وغارتين إقليميتين محدودتين ، ولم يكونا يملكان ما يملأ فراغ دين وعقيدة ، وحضارة وثقافة ، بخلاف الخطر المعاصر الذي يواجه الأقطار الإسلامية العربية المعاصرة ، ويتحدى بقاء تأثير الدين الإسلامي في الجيل الجديد ،

----

(١) راجع للتفصيل كتاب المؤلف « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » الجزء الأول ، وكتاب البروفيسور آرنلد (Preeching of Islam) وكتاب (Changez) لمؤلفه هيرلد ليمب .

الإسلامية والمشاريع الدينية ، وقد قيض الله لمقاومة هذا الهجوم العنيف الخطر ، قائدًا بطلاً مؤمنًا ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فجمع تحت لوائه – لنزاهته وإخلاصه وبعده عن المنافسات الدولية ، والمطامع الشخصية – الشعوب الإسلامية والعربية ، وهزم الصليبيين هزيمة منكرة ردتهم على أعقابهم وقطعت آمالهم ومطامعهم .

وكان المثال الثاني الهجوم التتارى الذي لم يكن له مثيل في العنف والقسوة والهمجية في تاريخ الإنسانية القريب ، فضلاً عن التاريخ الإسلامي المحدود ، وقد تم لهم الفتح وإبادة الأقطار الواسعة ذات الحضارات الراقية ، والقوة العسكرية الفائقة ، كتركستان وإيران والعراق والشام ، وقد اقترن فتحه للبلاد بالخضوع العقلي والعاطفي لانتصارهم ، وتفوقهم في الفنون الحربية ، حتى كان المثل السائر ، صدق كل شئ ، ولكن إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق .

ولكن لم يكن هذا الهجوم مدعما بحضارة أو عقيدة أو دعوة ، إنما كان هجومًا عسكريًا مدوخًا مدمرًا ، لم يفكر قادته في حين من الأحيان في أن يقدموا بديلاً للدين الإسلامي أو الحضارة الإسلامية ، فكان غير جدير بالبقاء طويلاً ، وغير لائق بملء فراغ أو إبدال حضارة بحضارة ، ودين بدين ، وقانون بقانون ، فاستطاع بحول الله وتوفيقه العلماء الربانيون ، والدعاة المخلصون ، والوزراء المسلمون ، نقلهم من لا دين إلى دين ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، وأسلم التتار على بكرة أبيهم ، وأسسوا دولا إسلامية قوية واسعة ، ودافعوا عن الإسلام (إذا احتيج إلى ذلك) وكان

الشخصية الخاص بالمسلين ، حتى نجح في ذلك المسلون في الهند بفضل جهدهم وغيرتهم على الدين والشريعة ، رغما عن إصدار المحكمة حكما بإلغاء هذا القانون ، وإيجاب العمل بقانون موحد مناف لتعاليم الإسلام وتشريعه ، وصمود الشعب الهندي والصحافة في المطالبة بتوحيد القانون . وما كان نجاح المسلين في الدفاع عن قضيتهم إلا بسبب الغيرة على التشريع الإسلامي ، وحماسهم في الدفاع عنه . هذا فضلاً عن تمتعهم بالحرية في العمل باحكام إسلامية شرعية عديدة كأداء صلاة الجمعة في وقتها وفي المساجد في وقت العمل في الإدارات والمكاتب .

وقد فاق هذا التخطيط - وتنفيذه في بعض البلاد الإسلامية والعربية - وهو صوغ هذه الشعوب الإسلامية والعربية - حضاريًا وثقافيًا وشعوريًا وعاطفيًا على شاكلة الغرب - وقطع صلتها عن الغيرة الإسلامية والعواطف الدينية ، والشعائر الإسلامية والهتافات الدينية ، كل تحد للوجود الإسلامي ، وكل مواجهة ومقاومة للكيان الإسلامي في القديم ، نذكر من هذه التحديات والمحاولات للقضاء على نفوذ هذه الأمة ، وبقائها كأمة حرة قوية ذات نفوذ وإمكانيات في رقاع واسعة من العالم ، ثلاثة :

الأول : الحملة الصليبية التي كانت تقودها عدة دول أوربية قوية ، وقادة محكنون ، وكان من أهدافها التسلط على القدس وفلسطين أولاً ، ثم التقدم إلى الجزيرة العربية والحرمين الشريفين ، وإفقاد المسلين منبع دينهم ومركز شرفهم ، وكان هذا الهجوم - على عنفه وإتساعه وتنظيمه - يخلو من تخطيط ديني وحضاري بديل ، وهدف القضاء على العقيدة

الجنة ، والعمل بقوله تعالى :

﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون • وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٠٤] .

وإذا ضاعت هذه الثروة - لا قدر الله - وهذه الميزة التي امتاز بها المسلمون الأولون ، ومن كان على شاكلتهم ، في قرون تلتهم ، وهو الإيمان القوى الحي بالله المتغلغل في أحشائهم ، والمسيطر على عقولهم ومشاعرهم ، والمستهين في سبيل العمل به بكل خطر وخسارة ، ومجازفة ومغامرة ، وحب الرسول الكريم -ﷺ- الغالب على كل حب ، واتخاذه قدوة وأسوة ، والحرص على نشر تعاليمه وأسوته في العالم ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والاستهانة بزخارف الحياة ، لم يكن لذلك بديل فيما يمتاز به الغرب من علوم وصناعات ، واختراعات واكتشافات ، حتى في القنبلة الذرية التي هي آلة التدمير الكبرى .

وقد يكون من نتائج إغفال تنفيذ الشريعة الإسلامية في بعض البلاد الإسلامية القديمة الأصيلة ، وفقد الغيرة على التشريع الإسلامية ، وتطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية في تلك البلاد ، زوال أو ضعف الغيرة الدينية في الشعوب الإسلامية القاطنة في بلاد عجمية قاصية دخل فيها الإسلام قديمًا عن طريق دعاة الإسلام ومجاهدى العرب ، وحماسها الديني في سبيل بقاء الحرية في العمل بالشريعة الإسلامية في حياتهم الفردية والعائلية ، كما كان في قضية المحافظة على قانون الأحوال

ونضال في غير عدو .

ثم تكون النتيجة الحتمية لهذه العملية النقلية ، غير الطبعية والعقلية ، أن تفقد هذه الأقطار الحماس الديني والقدرة على المغامرة والمخاطرة بالنفس والنفيس في سبيل تنفيذ أوامر الله في خلقه ، وصوغ الحياة والمجتمع وفق تعاليمه ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام (١) .

وتلك خسارة لا تعوض بشئ آخر من الوسائل والطاقات ، والتعاليم ، والتقدم في الصناعة والعلم ، وبهذه الطاقة والميزة فتح العرب المسلمون - ومن تبعهم من الشعوب المسلمة على أيديهم - البلاد القاصية الغنية القوية ، التي مرت على حكمها قرون متطاولة ، وأنشأت حضارة راقية واتخذت قدوة ومثالا ، واعتبرت رمز تقدم وشرف في العالم القديم ، وأنشأت قانونًا انتشر في الآفاق ، وعلومًا وآدابًا كانت سمة «للعقلانية» والتقدم ، كالامبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية ، وشبه القارة الهندية ، الممتازة في العلوم الرياضية والطبية والفلسفية ، وما كان ذلك إلا لوجود الحماس الديني ، والحنين إلى الشهادة ، والشوق إلى

---

(١) كما قال ربعي بن عامر ممثل الجيش الإسلامي في العراق ، لرستم قائد الجيوش الإيرانية الأكبر ، راجع البداية والنهاية لابن كثير : ج٧/ ، ص/٣٩-٤٠ .

من النفوذ الديني ، والغيرة الإسلامية ، والمشاعر الدينية إلى أن كان هنالك مجال مسوغ للاشفاق من الردة الدينية العقائدية - لا سمح الله بذلك - فضلاً عن الردة الفكرية والثقافية ، التي بدت طلائعها وأماراتها في كثير من البلاد الإسلامية المحكومة بالاستعمار الأجنبي ، الإداري والثقافي ، بحكم طبائع الأشياء ونتائج الجهود والمساعي ، وعدم وجود ما يقابل ذلك في القوة والتنظيم ، والعزم والتصميم .

ومن نتائج هذا التخوف والاشفاق والحذر الشديد ، من وجود الشعور الديني القوى في الجماهير ، والاعتزاز بالدين ، والطموح إلى أن تسود الحياة الإسلامية - بجميع شعبها ومناحيها - على البلاد التي تدين بالإسلام من قرون متطاولة ، وفي مجتمعات ورثت الإسلام كابرًا عن كابر وجاهدت في سبيله ، وفتحت بلادًا قاصية ، ومثلت الحضارة الإسلامية الزاهية ، وأنتجت الثقافة الفنية الزاهرة ، اللتين يندر أو يعدم نظيرهما في تاريخ الحضارات والثقافات العالمية ، من نتائج ذلك أن ينشأ في هذه الأقطار والبلاد التي كانت فريسة هذا التناقض البعيد الأثر ، العميق الجذور ، بين الطبقات الحاكمة أو القائدة الزعيمة ، وبين الجماهير ، والشعوب ، صراع فكري وعاطفي ، وعدم تحمس لتحقيق غاياتها ومشاريعها ، فيكون في ذلك تضييع قوى وطاقات ، ومواهب وجدارات ، كانت البلاد في غنى عنها ، بل كانت في حاجة ملحة إلى تعاون وثيق ، متبادلة ، وثقة لا غنى عنهما لبلاد تريد التقدم والاكتفاء الذاتي ، والتخلص من النفوذ الأجنبي ، فيكون في ذلك جهاد في غير جهاد ،

العالم الإسلامي على مفترق الطريق
أي طريق أضمن بالنجاح ونصر الله

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فإن التخوف من « الانتفاضة الإسلامية » قد بلغ إلى حد الحساسية الزائدة ، والنظر إلى أشياء دقيقة بالمكبرة و « التجوس » (١) في عدد من الأقطار الإسلامية والعربية ، حتى وصل ذلك إلى المخافة من العمل ببعض التعاليم الإسلامية فرديًا ، والظهور بالمظهر الإسلامي ، والتكثير من الاستشهاد بالكتاب والسنة ، والإنكار على بعض المنكرات ، وتقليد الغرب تقليدًا أعمى ، فضلاً عن المطالبة بتطبيق الأحكام الشرعية ، وتمثيل الحياة الإسلامية و الطراز الإسلامي في بلد إسلامي يحكمه المسلمون .

وقد بلغ هذا التخوف والعمل بمقتضاه كإخضاع نظام التربية ودور التعليم و وسائل النشر والدعاية ، والصحافة والإذاعة ، للتخلص والأمان

---

(١) تجوس تسمع إلى الصوت الخفي ، وفزعًا أحس به .

ومن هنالك كانت هذه الفئات المهتدية ثمار الصحوة الجنية ، و أغلى متاع ، وأضخم رصيد إيماني في بلاد الغرب والشرق وفي العالم كله ، وقد كانوا تفسيرًا لقول الله تعالى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ° ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ وهذا مكسب كبير للدعوة الإسلامية والقائمين عليها من أولى العلم والإيمان ، وقد أقرّ الله بهم عيون المسلمين ، وأكرمهم بالأمن والطمأنينة ، ومن أجلهم يخلد الإسلام مع الزمان ، وتمتد ظلاله الوارفة إلى يوم الدين ، رغم كيد الكائدين وحسد الحاسدين ، ورغمًا من المحاولات والجهود العدائية والحاقدة التي يتولاها أعداء الإسلام المستحدثون اليوم .

وبالنظر إلى النتيجة الأولى التي تحدثنا عنها بالنسبة إلى المسلمين القدامى ، فإن علماء الإسلام وقادة الفكر الديني مسئولون عن تجديد الحياة الإسلامية في المجتمع الإسلامي ، وإثارة الجذوة الإيمانية القوية في القلوب ، وتعميق الثقة بالإسلام وبمنهجه للحياة الفردية والجماعية ، في نفوس المسلمين جميعًا .

المسلمون لفي أشد حاجة نحو إعادة الثقة الكاملة بالإسلام ورسالته ، إلى نفوسهم ، والاقتناع الكامل بأن الإسلام هو المنهج الطبيعي الأصيل للإنسان في كل زمان ومكان ، ومع كل جيل وبيئة ، ومهما تغير العالم وتطورت الأوضاع وتبدلت المقاييس ، ولكنه لا يفقد أصالته وطاقته بأيّ حال ، فلابد من تجديد الثقة به ، والارتباط برسالته ، وتطبيق منهجه على الحياة والمجتمع ، ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

سعيد الأعظمي

ادفعها إياه وإياك أن تقرأها . فسوف يرد إليك مالك إذا اطلع عليها . وامتثل المسلم أمر القسيس . و وصل إلى النصراني ودفعه إياها . وما أن قرأها النصراني إلا وقد أسرع إلى داخل بيته ورد إليه وديعته كما كانت . ولما استلمها المسلم تعجب منه وسأله عن السبب في رد الوديعة بمثل هذه السرعة . ولكنه أبي أن يخبره بالسبب . وحاول أن يشغله عن ذلك . ولكن المسلم أصرّ عليه كثيرًا وناشده بالله فأخبره بالواقع وقال : إن سيدي القسيس قد كتب إليّ في رقعته التي بعثها إليّ عن طريقك كلمة واحدة كان وقعها عميقًا جدًا في نفسي . وهي أنه وجه إليّ سؤالاً استنكاريًا وقال بالحرف الواحد : (هل أصبحت أنت يا عزيزي مسلماً ؟!) فو الله لم احتمل ثقل هذا الاستنكار ورددت إليك الوديعة .

إن هذه القصة تمثل واقعنا نحن المسلمين . والنظرة التي ينظر من خلالها أعداؤنا إلينا . ولا أرى أي حاجة إلى تعليق .

٢- أما النتيجة الثانية فهي إقبال الشعوب والأمم البكر على الإسلام ودخولهم في دين الله أفواجًا . في العالم الغربي بوجه خاص . بل وفي كل بلد عاش بمعزل عن تعاليم الإسلام ونور الإيمان . وذلك ما نشاهده من موجات الاهتداء إلى الإسلام وما نسميه بالصحوة الإسلامية . ولا يستثنى منها أي بلد أو مكان . بل إنه تيار جارف يغطي جميع الجهات والفئات والطبقات . فمن الشباب في مقتبل أعمارهم والطلاب في المدارس والجامعات . والعمال في المصانع والمتاجر . إلى أساتذة العلم والفن . ورجال الفكر والفلسفة . وخبراء المعارف والعلوم . وأصحاب الإبداعات والذكاء . أفواج هدتهم الفطرة إلى الدين . ودخل الإيمان إلى نفوسهم وخالط بشاشة قلوبهم . فأيدهم الله تعالى بروح منه . وقبل منهم هذا الاهتداء المبارك إلى دينه .

ذلك مرارًا وتكرارًا في تاريخ الدعوة الإسلامية ، مع رجال من أصحاب العلم والمعرفة والتجديد والإخلاص ممن تذوقوا لذة الإيمان وعاشوا مع الله وفي الله ، ومثلوا حياة الطهر والعفاف والورع والنصح ، فكانوا سببًا لعلو الإسلام ويقظة المسلمين ، ونالت بهم الأمة الإسلامية عزة وهيبة ، وإن كان الوضع قد تغير مع مرور المدة ، وضعف ذلك التأثير بوجود فراغ في منصب القيادة الدينية والتربية الخلقية ، ودخلت في الحياة والمجتمع عوامل كثيرة من التدهور والانحطاط في الفكر والعمل .

وفقد المسلمون ميزة الحياة الإسلامية والتشخص الإسلامي في العصور المتأخرة وعاشوا على الهامش من غير وازع ديني أو وعي إيماني ، وغابت عنهم الخصائص التي كانوا يتميزون بها والروح الموضوعية التي كانت العلامة البارزة لهم في كل مكان ومناسبة ، فدبت إلى نفوسهم أنواع من الأدواء الخلقية التي حاربها الإسلام واستبدلها بمكارم الأخلاق والقيم المثلى ، وأصبح المسلم اسمًا لكل ما يضاد تعاليم الإسلام من جرائم وخيانات وخداع ونفاق ، ولم يعد لديه شئ من الحياء و وخز الضمير ، والشعور بالاثم والظلم .

وتحضرني بالمناسبة قصة واقعية حدثت بين مسلم ونصراني ، حينما أودع المسلم وديعة من المال لدى صديقه النصراني ، وساءت نية النصراني بمجرد استلامه مالا ضخمًا ، ولما استرد منه المسلم وديعته بعد مدة أبي النصراني أن يكون صديقه المسلم قد أودع لديه مالا ، وأقنعه كثيرًا بما إذا كان هو ناسيًا ، وكلما ألح عليه المسلم زاد إنكاره ، حتى التجأ المسلم إلى القسيس الذي كان يتصل به النصراني ويقدره ، وأفاده بالواقع الذي حدث مع صديقه النصراني ، وهنالك كتب القسيس رقعة صغيرة إلى تلميذه النصراني ، ودفعها للمسلم وقال له : هذه رقعتي إلى صديقك ،

والتعمق إلى مفاهيم الحياة التي جاء بها الإسلام في خضم الأفكار الجاهلية ، والعقائد الوثنية ، إيذانًا بزيفها وإعلامًا بكونها متناقضة مع طبيعة الدين والأخلاق والإنسان ، وفعلًا انتصر الإسلام في معركة الوثنية والتوحيد ، وانخذل الشيطان : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقًا ﴾ .

ويأتي في ضمن الموضوع المعجبون بالحضارة الغربية والمهاجرون إلى المهاجر الغربية من المسلمين ، الذين بلغ بهم الاعجاب بالفكر المادي الغربي إلى المدى الأخير ، ولم يعد الإسلام سفينة نجاة فيما زعموا ، فكانت علاقتهم به كدين الآباء والسلف الماضين ، وفي حدود بعض الطقوس والعادات والعبادات ، أما أن يكون دين القيادة العالمية و دين الإنسان في كل عصر وجيل فذلك ما لم يعترفوا به ، ولم تستسغه عقولهم ، أمام هذا الزحف العظيم من الأفكار والأنظار وفلسفات الحياة ، وبإزاء ذلك السيل الجارف من الذكاء والعبقرية الحضارية والإبداعات الصناعية والفنية ، والتقدمات الهائلة في مجال العلم والتكنولوجيا ، وهنالك جاءت النظريات القائلة بالذوبان و التأقلم ، حيث يذوب الإنسان في البيئة وينصبغ بصبغة « الإقليمية » مفارقًا آداب وتقاليد الدين والبلاد التي ولد فيها وتعرّف ما لديها من الفكر الديني والإقليمي ، هكذا انفلت زمام الدين والعقيدة والقيم من أيدي المسلمين ، وضعفت أو انتهت ثقتهم بالإسلام ، وضاعت حقيقتهم بين نكران القديم والتزام الجديد ، وأصبح الدين لعبة الصبيان أو أثرًا تاريخيًا يحتفظ به في المتاحف ويستعان به في تدوين التاريخ والثقافات البشرية .

ولقد عمت موجات الانتفاضة الدينية فاخترقت الحدود والثغور ، وهبّ الناس من غفلة الحياة إلى الجدية ، وبحثوا عن هدفهم الأصيل ، وقد وقع

أودعها الله تعالى في شريعة الإسلام ، وخلدها مع الزمن ، على الرغم من توافر الأشكال الجذابة الواهية من الأنظمة والنظرات ، والأساليب المغرية من الزخارف الفكرية والحضارية لبناء مستقبل لامع للحياة والإنسان .

هذا الواقع الذي يعيشه العالم البشري اليوم ، أسفر عن نتيجتين مضادتين تختلف جهة كل واحدة منهما عن الأخرى :

١- الأولى : تتلخص في ابتعاد المسلمين عن مكانتهم التي قررتها لهم طبيعة الدين ، وتنازلهم عن منصب القيادة التي أكرمهم الله بها بطريق الإسلام ، وخلع عليهم أكرم وأعظم لقب ، وهو أن جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، وقد تسرّب إلى نفوسهم سوء ظن بخلود الإسلام وكونه صالحًا للقيادة في العالم الحديث المتغير ، وكثير منهم بقوا على ما كانوا قد توارثوه من إسلام الوراثة ، وطقوس الأسر والقبائل ، مقلدين في ذلك من مضوا من آبائهم ، ومتمكسين بتقاليدهم وعاداتهم في الحياة الفردية والجماعية ، دون أن يعرفوا ما للإسلام من دور في بناء الإنسان ، ورفع قيمته في الحياة والمجتمع ، وما للإسلام من منة على العالم في انقاذه من حالة السقوط والتردّى ، وعلى الإنسان من تكريمه وإعطائه أفضل مكان بين جميع الكائنات ، وذلك ما شهد به كتاب الله قائلاً : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

ومن أجل هذه الغفلة التي عاشها المسلم ، ولجهله قيمة الإسلام ، عبثت به عوامل الزمان من الاغراءات والفتن الحضارية الزاحفة على المجتمعات الإسلامية ، فلم يتمكن من التوصل إلى الحقائق ، وظل يعيش على هامش الحياة من غير أن تسنح له فرصة للخوض في الفكر الديني الصحيح

والانطلاق من حدود الأخلاق المتميزة ، وتبذ المثل العليا في مزابل الجرائم العالمية التي تذوب فيها كالثلج ، ويتجرد المرء عن لباس الإنسانية الجميل ، ويتشكل بأشكال مخيفة للضواري .

كان من الطبيعي أن يتأثر الإنسان المسلم بضغط هذه العوامل الحضارية والاجتماعية ، ويقع فريسة الشكوك والأوهام في الثوابت العقائدية والتشريعات السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى بطريق الوحي ، وكدستور للحياة مستقل لا يتأثر بالمتغيرات وإنما يخلد مع الزمان ويقود الإنسان نحو أفضل مستقبل وأروع مصير . لقد عرف قادة الحضارات والفلسفات المادية واقع الإسلام بجميع أبعاده وخصائصه . ولكنهم رفضوه بغضًا وعداوة ، وأحدثوا أنواعًا منوعة من الظروف والاغراءات حالت دون الرؤية الصحيحة للإسلام وحجبت وجه الشريعة الإسلامية البيضاء عن الأنظار ، وهم اقتفوا في ذلك آثار كبرائهم وسادتهم من اليهود والمشركين الذين رسخت عداوة الإسلام في نفوسهم واختلطت بلحومهم ودمائهم على وجه دائم ، في ضوء شهادة الله تعالى في كتابه حيث قال : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

إن هذه الجهود العدائية والأخلاق الشاذة التي تتشكل اليوم بأشكال متعددة من العلم والحضارة والرؤي ، ليست إلا امتدادًا لما قد صنعه المناوئون منذ فجر التاريخ الإسلامي ضد الفئة المؤمنة وجماعات المسلمين ، وهي كفيلة بزعزعة العقيدة وإزاحة الثقة بالدين الإسلامي كمنهج للحياة خالد دائم وشامل ، وقد تركزت على هذه النقطة طاقاتهم كلها وأعدوا لتحقيق هذا الغرض الهزيل إعدادات هائلة من كل نوع ، تولت إثارة الشبهات في نفوس المسلمين بجميع طبقاتهم، ضد الطاقة الديناميكية التي

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

مسئوليتنا نحو تجديد الثقة بالإسلام !

/**التغييرات** الحضارية والسياسية السريعة التي يعيشها العالم المطل على مشارف القرن الحادي والعشرين ، تؤثرعلى أنماط الفكر وأساليب الحياة ، وتتناول الكليات والقواعد الأساسية بالتغيير والتحوير ، فقد أصبحت وجهات الأنظار نحو الأشياء متجددة وتبدلت المقاييس ، واحتل الفكر الارتجالي محل الفكر الأصيل الناضج ، وباتت العقلية الإجرامية فنًا يتمثل في مجالات كثيرة من الممارسات الحضارية والعلمية والسياسية والاقتصادية ، ويتحكم في الشئون الحيوية كلها ، من غير تقيد أو مراعاة الظروف .

وظلت حياة الإنسان المعاصر تدور حول محور تقليدي بحت ، واتخذ صورة « موضة » حديثة إذا لم يرغب فيها المرء أو تحرج في تقليدها وتمثيلها في جميع مرغوباته وأهوائه ومطالبه وحاجاته ، أتهم بالأصولي وعدّ من الخارجين على الطقوس المعروفة السائدة في العالم الذي يعيش فيه ، لقد كان هذا أول ثمرة جناها الإنسان من الحضارة المادية التي تتمرد على جميع القيم الخلقية القديمة وترمى الأعراف والشعائر الدينية عرض الحائط ، ولا ترضى لصاحبها - بأي حال - أن يربط حياته ومصيره بأمور غير مرئية ، ويؤمن بالغيبيّات التي يتولاها الدعاة إلى الدين ، ومن هنالك يتمهد الطريق للإنسان نحو الانزلاق في حدور الشهوات ،

في هذا العدد

الافتتاحية :

التوجيه الإسلامي :

الدعوة الإسلامية :

دراسات في السنة :

دراسات و أبحاث :

منهجية البحث العلمي :

رجل فقدناه :

إلى رحمة الله تعالى :

صور و أوضاع :

أخبار اجتماعية وثقافية :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

جمادى الأولى ١٤١٦هـ

أكتوبر ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box. 93, Lucknow (INDIA)

حفلة تعزية في مسجد دار العلوم ، ودعا له الحاضرون بالمغفرة والرحمة من الله تعالى .

فضيلة الشيخ محمد الله السهارنفوري في ذمة الله

في ٢٠/من شهر مايو توفي فضيلة الشيخ محمد الله مدير جامعة مظاهر العلوم بمدينة سهارنفور . وهي تعتبر صنو جامعة ديوبند . أسسها العلماء الغيارى منذ نحو قرن وثلث لنشر العلوم الإسلامية والعقيدة الدينية الخالصة ، وقد أنجبت علماء كبارًا ومحدثين وفقهاء ممن حملوا راية العلم والدين والعقيدة السليمة ، وكان من بينهم فضيلة الشيخ محمد أسعد الله الذي قام بمنصب مدير هذه الجامعة إلى مدة طويلة . وقد آل هذا المنصب بعد وفاته إلى نجله الكريم فضيلة الفقيد الشيخ محمّد الله – رحمه الله تعالى – . فقام بواجبه خير قيام .

كان رحمه الله على جانب كبير من العلم والورع وحسن الأخلاق . شرّف لكناؤ قبل مدة وزار دار العلوم لندوة العلماء . حيث أقام وقتًا لا بأس به . واستفاد الناس من صحبته ، رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

حرم الأستاذ المرحوم محمد سميع في ذمة الله

في ٢/يوليو استأثرت رحمة الله تعالى بحرم الأستاذ الكبير المرحوم محمد سميع الصديقي الذي قام بخدمة تدريس العلوم العصرية واللغة الإنجليزية في دار العلوم لندوة العلماء إلى مدة طويلة ، وكان محببًا لدى الجميع ، وقد أدركته الوفاة قبل مدة ، فكانت حرمه الفقيدة تعيش مع أنجالها في بيتها المجاور لدار العلوم . وقد كان نجلها الأكبر البروفيسور وصي أحمد الصديقي حاضرًا في خدمة أمه إلى آخر لحظات حياتها ، أما الأنجال الآخرون الذين كانوا خارج البلاد أداءً لأعمال مهمة ، فلم يتمكنوا من الحضور لدى الحادث ، وقد كانت أمًا سعيدة ، بأولادها وأقاربها ، أكرمها الله تعالى بحياة طيبة عاشتها في هناء وسرور ، رحمها الله رحمة واسعة ، وأفاض عليها من الرحمة والمغفرة ما هي بحاجة إليه ، وجعل آخرتها خيرًا من الأولى .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ اشتياق أحمد في ذمة الله

التحرير

فوجئنا بنبأ وفاة الرجل الصالح الورع الشيخ اشتياق أحمد بن فضيلة العارف بالله العالم الرباني الشيخ محمد أحمد الفولفوري - رحمه الله تعالى - وذلك في غرة صفر ١٤١٦هـ المصادفة ٢٠/من شهر يونيو ١٩٩٥م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم الشيخ إشتياق أحمد قد أصيب بمرض اليرقان منذ مدة قصيرة وكان يعالجه أحد الأطباء البارعين في مدينة لكناؤ حيث يقيم شقيقه الشيخ المقرئ مشتاق أحمد ، ويدير المدرسة العالية العرفانية التي أسسها بتوجيه من والده الجليل - رحمه الله - لتعليم العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم .

وفقه الله تعالى بعد وفاة والده الجليل إلى أن يسد فراغ التربية الدينية وينوب عنه في التوجيه الديني وخاصة في أوساط تلاميذه وأتباعه ممن كانوا قد تربوا على يده ودخلوا في طاعة الله ورسوله -ﷺ- . واصطبغوا بصبغة الشريعة والدين .

لقد كانت الفرصة التي أتيحت له في هذا المجال قصيرة جدًا ، ولو أنه عاش حياة أطول مما قُدر له ، لتوسع نطاق عمله التربوي ، واستفاد منه الناس في الدين والخلق .

لذلك فإن وفاته تعتبر خسارة كبيرة في أوساط الدين والتربية الإسلامية ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يسددها ويعوض عن الفقيد المرحوم من يتولى شأن المسلمين ويقيم أمرهم في الدين والدنيا ، فإنه على كل شئ قدير .

نتقدم بالتعزية الخالصة إلى أشقائه وأقاربه وذويه ، وندعو الله تعالى أن يلهمهم الصبر ، ويسكن الفقيد الكريم جنات النعيم ، وقد عقبت

العسكري قد فقد أهميته في هذه الأيام وأصبح الجهاد العلمي من أكبر الجهاد ، لأن الأمة الإسلامية تواجه الغزو الثقافي والحضاري والفكري أكثر من الغزو البلادي ، ونظرًا إلى هذا الجانب يتحتم علينا أن نخصص جزءًا محترما من أموال الزكاة ، ونستعمله في إجراء المنح الدراسية للطلاب النابهين والعلماء النابغين الذين يقفون في سبيل التحديات المعاصرة ، ويذبون عن شرف الإسلام وكرامته بالبحوث العلمية والتأليفات الإسلامية .

وقد حضر هذا المؤتمر نخبة من العلماء الإسلاميين والخبراء الاقتصاديين ، حيث رحب الجميع بالخطوة التي أقدمت عليها دار الشريعة ، وبإقامة هذا المؤتمر الذي هو الأول من نوعه في البلاد الهندية ، كما أنهم باركوا أعمال الشيخ شهاب الدين الندوي في انهاض المسلمين من انحطاطاتهم في المجالات المختلفة الرئيسية ، وصادقوا على الأهداف التي توختها دار الشريعة من إقامة هذا المؤتمر والسعي إلى إقامة النظام الاجتماعي للزكاة ، وعززوا موقف المؤتمر بالأدلة العلمية المتينة وفي ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ودعوا للشيخ الندوي بالخير والفلاح والسعادة والنجاح ، وقد صادف هذا المؤتمر الذي استغرق يومين إقبالاً عظيمًا من أهالي البلدة ، حيث كانوا متابعين في الاستماع إلى الكلمات التي ألقاها العلماء ، والآراء التي قدمها الخبراء الاقتصاديون ، لقد ترك المؤتمر أطيب الأثر على النفوس ، وأبدى جميع من حضروا فيه من أطراف الهند تقديرهم البالغ له ، وعدوه مبادرة طيبة في موضوع الزكاة ، واتفق العلماء والخبراء المشاركون في المؤتمر على وجود ضرورة ملحة على إقامة النظام الجماعي للزكاة ، ثم تفرقوا عن عزائم صميمة على السعي إلى إنجاز الأهداف التي دعا إليها المؤتمر .

[illegible]

الشريعة التابعة للأكاديمية الفرقانية بمدينة بنگلور ، الهند ، خلال الفترة من ١٢-١٢ مارس عام ١٩٩٥م . والشيخ شهاب الندوي هو الذي أعطى فكرة تنظيم هذا المؤتمر وبذل كل ما في وسعه - رغم قلة إمكانياته و وسائله - في عقد هذا المؤتمر ، وهو أحد العلماء البارعين والباحثين المعروفين في البلاد الهندية والإسلامية ، والذي بدأ حركة جديدة لتنشيط الأمة الإسلامية ولنفخ روح جديدة للحياة في جسدها الميت ، ولقد أربت كتاباته القيمة على أربعين كتابا في الموضوعات الإسلامية المختلفة ، والتي تمتاز بدقة النظر وجودة الفكر ، وقد نشرت تلك الكتابات الدافعة إلى ثورة جديدة في الفكر والعمل ، رسالة جديدة للأمة الإسلامية ، وفتحت آفاقا واسعة للجهاد الإسلامي الأكبر في الأوضاع الراهنة .

وأضاف الشيخ الندوي قائلاً : إن الإسلام هو الذي يزكو - من بين الأديان الأخرى - بأن يعتز بأنه سن نظامًا اقتصاديًا حسنًا يضمن تحسين الأوضاع في المجتمعات الإسلامية ، في حين تنفيذها بكل دقة ، بل إنه يطرد الفقر من المجتمعات الإسلامية ، فما لنا لا نرى أي واحد من تلك المنافع المتوخاة من وراء هذا النظام ، فأول العيب في ذلك يرجع إلى عدم إقامة التنظيم الصحيح في توزيع الزكاة ، فإن الناس في أيامنا هذه يصرفون أموال الزكاة بدون تروٍّ وتعبّدٍ ، ويبددونها بين المتسولين والمستجدين ، فيحرمون من له حق أولي في تلك الأموال من الفقراء والمساكين الذين يترفعون عن مسألة الناس ، والقرآن الكريم يقول :

﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف • تعرفهم بسيماهم • لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣] .

أخبار اجتماعية وثقافية :

دار الشريعة بالهند تعقد مؤتمرًا لعموم الهند في مدينة بنكلور

حول أهمية نظام الزكاة الجماعي في الإسلام

بقلم : مندوب دار الشريعة

إن الإسلام دين الأخوة والمواساة في كل شعائره وجميع أوامره ونواهيه ، وإنه لما يؤكد على صلة الرحم فيما بين المسلمين والمعاملة بالرحمة والمساواة ، ومن أجل ذلك فإنه سن نظامًا اقتصاديًا من أحسن النظم الاقتصادية التي تعاقبت على وجه الأرض في هذه المدة السحيقة والذي يتكفل انهاض الطبقة المتخلفة في المجالات الاقتصادية والتعليمية ، وهو الذي نعرفه جميعًا بنظام الزكاة ، وهو نظام حكيم عادل ، شرعه الله تعالى لعباده كمظهر خاص لربوبيته رحمة بهم ، حيث إنه إلى جانب كونه عبادة يمتاز بأهمية كبرى من الناحية الاقتصادية والإصلاحية ، وقد ذكره الله تعالى في كثير من المواضع في القرآن الكريم فقرنه بالصلاة وجعله توأمًا لها ، حيث يقول في كتابه العزيز : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٤٣] .

فإنه لم يذكر إقامة الصلاة حتى ذكر إقامة الزكاة كذلك ، إشعارًا بأهميتها والمصالح التي تطلب من خلالها ، فكما أن الصلاة تمثل حقوق الله تعالى فإن الزكاة تمثل حقوق العباد ، وبإقامة هذين الطرفين الأساسيين يكفؤ الإنسان لأن يرتفع إلى أعلى مدارج الإنسانية ومكارم الأخلاق .

هذا ما قاله فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي الأمين العام (للأكاديمية الفرقانية) ورئيس دار الشريعة ، بالهند ، وهو يتحدث أمام الجموع الحاشدة في خطبته الرئيسية التي ألقاها في المؤتمر لعموم الهند حول موضوع « نظام الزكاة الجماعي في الإسلام » والذي عقدته دار

يشتمل على آراء المحنكين والمثقفين الكبار ، وبدأت تعليقات على أساس هذا التقرير ، وخلاصة التقرير أن العنف والتدمير هما من أساسيات الإسلام ، وأن الإسلام يعلم أتباعه العنف وعدم التسامح مع من لا يؤمن بالإسلام ، وقام التقرير بتطبيق هذا التصور وهو تصور القرون الوسطى ، والمستمد من مركب الذعر والذي ساد في أوربا ، على الوضع الراهن في العالم كله ، وأرجع جميع الصراعات في العالم اليوم إلى تعاليم الإسلام ، فقال : في كل مكان يوجد فيه صراع ، يوجد وراءه مسلم ، وكذلك عن المرأة يقول : إن المرأة في الإسلام بضاعة ، وإن الإسلام دين الرجال .

ولا يحتاج هذا التقرير إلى دراسة عميقة لأنه نقل لكلام الكتاب والنظاميين في القرون المظلمة عند ما كان الإسلام غالبًا ، مسيطراً على العالم ، أما العقلاء والمثقفون الذين استند إليهم التقرير فهم الذين نشأوا في أوكار الغرب وقرأوا ما كتبه الكتاب في القرون الماضية .

إن أوربا تدعى بالعلم ، وحرية الفكر ، والمدنية ، لكنها بالنسبة للإسلام جامدة ، مقلدة ، وضيقة الأفق ، وغير مثقفة ، وقد حان الأوان للكتاب في الغرب أن يفكروا بحرية ويدرسوا الإسلام بذهن منفتح ، غير مقلدين لما كتبه الكتاب والأدباء والشعراء في عهد الظلام ، وعهد الانهزامية ، فلو فعلت أوربا ذلك لخرجت من كثير من أباطيلها وخرافاتها ، وحلت كثيرًا من مشاكلها مع الإسلام والمسلمين ، ومنعت الصراع الذي يتطور بين الغرب وعالم الإسلام ، فإن الذين درسوا الإسلام من مصادره ، ولم يدرسوه في واقع العالم الإسلامي أو واقع حياة المسلمين ، الذي له مسببات ، وبواعث متعددة ، أدركوا أن الإسلام هو الحق ، وأن ما كتب عنه في القرون السالفة كان كذبا وافتراء بل هراء ، وهذيانًا .

الإسلامية ، أو ما يصفه الغربيون بالصحوة الإسلامية التي هي نتيجة طبيعية لسياسة الكبت والقمع ، والتضليل ، التي مربها المسلمون في عهد الاستعمار الأوربي والتنصير الإجباري ، والدعاية الباطلة عن الإسلام ، وما سلكته الحكومات القائمة في البلدان الإسلامية من سياسات قاهرة تحت توجيه القادة الأوربيين الخائفين من عودة الإسلام ، وتبدى هذه الكتابات حيرة الكتاب الغربيين في وصف هذه الظاهرة ، بالنعوت التي يستعملونها فيقول بعضهم « الصحوة الإسلامية » وآخرون ، الإرهاب الإسلامي ، ويقول آخرون : « الإسلام العسكري » أو عسكرية الإسلام ، ويقول بعضهم الأصولية الإسلامية ، والتزمت الإسلامي ، فهل هذه التعبيرات كلها مرادفة ، ويقول البعض إن الإرهاب ظاهرة محدودة يقع فيه بعض الشباب الذين نشأوا في ظل الحركات الإرهابية ، وإن الإسلام بريئ من هذا التفكير ، ويقول بعضهم : إن الإسلام هو دين العنف ، وهو الذي يعلم الإرهاب .

ويدل كل ذلك على عدم التفكير والدراسة ، وعلى أن هذا الكلام صادر من انفعال ، ويعيد هذا الكلام الحكام الخاضعون للدول الكبرى فيستعملون هذه المصطلحات ، وكذلك المنظمات التي تعادى الإسلام ، ومنها المنظمات الهندية ، التي تدعو إلى التهنيد ، واخضاع المسلمين للتيار الوطني والوثني ، فهي أيضًا تأخذ الخيط الذي ترسله وسائل الاعلام الغربية .

ومن هذا القبيل تقرير صدر أخيرًا باسم Asia Right Watch وقد نقلته الصحف الكبرى في أوربا ، ونقلته الصحف الهندية البارزة كمفاجأة ، أو اكتشاف ، وكأن هذا التقرير يؤثر في عقلية هذا العصر ، ويغير تصورات العقلاء بالنسبة للإسلام ويدعى أصحاب هذا التقرير أنه

وقد اعترف بذلك درمنجم في حياة محمد -ﷺ- فقال : « لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلف وسوء الفهم بطبيعة الحال وازدادت حدة ، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف ، فمن البيزنطيين من أوقروا الإسلام احتقارًا من غير أن يكلفوا أنفسهم فيما خلاجان داماسين ، مؤنة دراسته ، ولا يحارب الكتاب والنظامون مسلمى الأندلس إلا بأسخف المثالب » .

وإذا أتيحت لأحد فرصة لدراسة ما كتب في القرون الأخيرة ، حول السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والتسليم ، وفي التاريخ الإسلامي ، وحتى القرآن الكريم أدرك أن اللاحقين يعيدون ما كتبه السابقون بدون تحقيق وتمحيص ، ويحار المتتبع لهذه الكتابات المضللة ، إذا رأى محققًا أوربيًا في التاريخ العام يتخذ موقف دراسة حرة ، وفي العلوم ناقدًا لآراء السلف يتبع خطى سلفه عند ما يكتب عن الإسلام وذات الرسول -ﷺ- ، فلا يتجاوز عن وصف الإسلام بالوحشية والبربرية ، والقرآن بأنه كلام محمد -ﷺ- فيبدو كأنه ناقل بدون عقل ، وإن زاد فيه زاد من المثالب والبذاءة وسلاطة اللسان ، وأحيانًا يبدو كأنه ينقل من الأغاني التي وضعت في القرون المظلمة لتخويف الأوربيين بالإسلام ، وتهويلهم .

وقد أصبحت الكراهية والحقد سمة غالبة لكتابات الأوربيين فلا يبالي الكاتب إذا وقعت في كتاباته تناقضات ، أو اعتمد على خرافات لا يقبلها العقل ، ولا يتعدى كلام بعض الكتاب عن المثالب ، والسباب ، والأسلوب السافل في معالجتهم لقضية إسلامية .

صدرت خلال السنين الأخيرة عدة معالجات وتحليلات للظاهرة

صـــــور و أوضــــــاع :

متى تفيق أوربا من أهوال الفتح الإسلامي

واضح رشيد الندوي

في القرون الوسطى التي كانت أوربا تتسكع فيها في دياجير الظلام وكان العلم والبحث والمطالعة الحرة للعلوم فضلاً عن الأديان ، ونظريات الأمم الأخرى شجرة ممنوعة ، وكانت تحت سيطرة الكنيسة الخانقة ، إذا كان أحد يحمل حقدًا وكراهية للإسلام كان ذلك أمرًا طبيعيًا ، لأن الكنيسة كانت مهيمنة على النفوس والعقول ، وكانت أوربا قد مرت بغزو المسلمين وتجرعت مرارة الهزيمة النكراء بل الهزائم النكراء بأيديهم ، وكانت جيوش المسلمين تهدد مدنها الكبرى التي كانت تعيش في تخلف وظلام ، فكان من الطبيعي أن تحمل أوربا كراهية الإسلام والمسلمين لمعالجة نفسية الخوف التي كانت تساورها ، والشعور بمركب النقص الذي كانت تعالجه ، ولكن الغريب في أمر أوربا أن هذه النفسية ظلت طارئة على أذهان الكتاب في أوربا إلى القرون المتأخرة التي تعتبر قرون العلم والنور ، لأنها عند ما عكفت على دراسة العلوم والفنون والآداب بقلب صاف ، وذهن حر ، واعتبرت الشك في كل ما نقله إليها العلماء والباحثون السابقون أساسًا للانطلاق إلى معرفة أكثر ، وتجديد الذهن ، إنها وقفت إزاء الإسلام والتاريخ الإسلامي موقف التقليد والمحاكاة ، فكانت تبحث عن شئ جديد في العلم والاكتشاف ، ولكن في الوقت نفسه تتمسك بالقديم ، بل بالخرافات التي وجدتها في كتب المتقدمين الذين كتبوا عن الإسلام والمسلمين والشخصيات الإسلامية بدون دراسة حرة

Peters, Allah's Commonwealth.

= المقريزي ، اتعاظ الحنفا .

= فروخ ، تجديد لتاريخ .

Waldman, "Islamic Studies".
Lambtonm, "The merchant".

= أمين ، « مصادر تاريخ العراق » .

ولو كان المؤلف مجهولاً فيوضع الكتاب أو المقال تحت اسم « مجهول » (Anon) في الترتيب الألفبائي لثبت المصادر ، مثل :

مجهول ، كتاب المخزون جامع الفنون ، مخطوط عربي برقم : ٢٨٢٦ ، المكتبة الوطنية ، باريس .

وذكر اسم الناشر ليس ضروريا بصورة عامة ولكن يستحسن ذكره لو كان الكتاب – مثل كتب التراث العربي الإسلامي – متوفرا في عدة طبعات متداولة مثل السيرة النبوية لابن هشام ..

ولو كان الكتاب ضمن سلسلة معينة من الكتب يفضل ذكر رقمها في السلسلة كذلك ، مثل :

= فهمي هويدي ، الإسلام في الصين ، سلسلة عالم المعرفة ، ٤٣ (الكويت ١٤٠١هـ-١٩٨١م) .

- R. W. Bulliett, The Patricians of Nishapur : a Study in medieval Islamic Social history Harvard Middle Eastern Studies, 16 (Combridge, Mass. 1972) .

وليس من الضروري أن تذكر كل مرجع رجعت إليه أو أشرت إليه مرة أو مرتين في بحثك ، ولا بأس بعدم وضع مراجع كهذه في ثبت «المراجع» وعند ذلك سيكون عنوان ثبت المراجع : « أهم المراجع » أو « المراجع المختارة » Select Bibliography .

[يتبع]

وعند استخدام مقالات من دوائر المعارف ينبغي ذكر كتابها وستجد أسماءهم في نهاية المقالات ، وإن وجدت الأحرف الأولي فقط من أسمائهم فيمكنك فك رمزها بالرجوع إلى قائمة الاختصارات في أول كل مجلد .

توجد الحروف المائلة (الإيتاليك) Italics في الحروف اللاتينية ، ولا يتوفر هذا في الحروف العربية ، ولذلك يوضع خط تحت كل كلمة ينبغي استخدام الإيتاليك لكتابتها ، وعند طباعة الكتب تجمع هذه الكلمات العربية بحروف سوداء بدلاً من الحروف المائلة في اللغات الأوربية ، ويجب وضع خط تحت اسم الكتاب ، أما المقالات في المجلات فتوضع بين قوسين صغيرين ويوضع الخط تحت اسم المجلة أو المجلد الكتابي أو المجاميع التي تحتوي مقالات لعدد من الكتّاب ، وعلى سبيل المثال :

- Francis E. Peters, Allah's Commonwealth (New York 1975) .

= أحمد بن علي المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) .

= عمر فروخ ، تجديد التاريخ (بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م) ٢٤٠-٢٤٢.

- Marilyn R. Waldman, "Islamic Studies : A new orientalism" Journal of Interdisciplinary History VIII (1978), PP 545-62:

A. K. S. Lambton, "The merchant in mediaeval Islam" A Locust's ieg : studies in honour of S. H. Taqizadeh (London 1962) pp 121- 30 .

= عبد الأمير محمد أمين ، « مصادر تاريخ العراق والخليج العربي في دار السجلات الحكومية الهندية في بومباي » المؤرخ العربي ٩ (١٩٧٨م) ص/٦٢-٧٩ .

وبعد ذكر التفاصيل الكاملة لمصدر ما مرة واحدة ينبغي عدم تكرارها ، بل يكفي ذكرها باختصار في كل مكان . (ما عدا ثبت المصادر حيث تذكر مرة أخرى بالكامل) كما يلي بالنسبة إلى المصادر التي ذكرناها آنفًا :

infra.	-	-	below/later on	تحت / فيما يلي / أدناه
loc. cit.	loco citato	-	in the place already cited	نفس الصفحة المكان المثار إليه سابقًا
ms. pl. mss.	-	manuscript(s)	-	مخطوط
n.	-	note (foot-note)	-	هامش
op. cit.	oper citato	-	the work already cited	المصدر السابق
passim.	-	-	Here and there	هنا وهناك (أي في أمكنة أخرى من نفس المصدر)
seq.	sequens	-	and the page following	والصفحة التالية
seqq.	sequentia	-	and the pages following	والصفحات التالية
sic.	-	-	thus	كذا / هكذا (أي هكذا وجدته في النص وهو ليس من عندي)
supra.	-	-	above/previously	فوق / فيما سبق فيما مر / أعلاه
tr.	-	translation/translator	-	مترجم / ترجمة
v./vide.	-	-	see	انظر

(١) لا تذكر الرموز أعلاه في « قائمة الرموز » في بحثك . فهي متفق عليها ويفترض أنه يعرفها كل باحث .

الرموز
المستخدمة عمومًا في المراجع الغربية (١)

الرمز	أصله اللاتيني (إن كان اختصارًا)	أصله الإنجليزي	معناه بالإنجليزية	المرادف العربي
anon.	-	Anonymous	-	مجهول (مؤلف مجهول)
art.	-	article	-	مقال
cf.	compare	confer	-	قارن
codex	-	manuscript	-	مخطوط
ed.	-	editor/edition	-	محقق / تحقيق
et. al.	et alii	-	and others	و آخرون أي مؤلفون آخرون إلى جانب اسم المؤلف المذكور في المرجع
f.	-	following	(and the following page)	والصفحة التالية
ff.	-	following	(and the following pages)	والصفحات التالية
fol.	folio	-	leaf of a ms.	ورقة (من مخطوط)
ibid.	ibidem	-	in the same place/work	نفس المكان / الصفحة
id.	idem	-	the same author	نفس المؤلف

(بيروت ١٩٦٦م) .

= الأزهرية : فهرس المكتبة الأزهرية وملاحقها ، ط. ٢ (القاهرة ١٣٧١هـ -١٩٥٢م) .

= هدية العارفين : إسماعيل بن محمد اليابانى البغدادي ، هدية العارفين (بغداد ب. ت) .

- BSOAS - Bulletin of the School of Oriental & African Studies, London .
- EI1 - Encyclopaedia of Islam, 1st Edition .
- EI2 - Encyclopaedia of Islam, New Edition .
- IC - Islamic Culture, Hyderabad .
- IJAHS - International Journal of African Historical Studies.
- JAH - Journal of African Historical Studies.
- IS - Islamic Studies, Islamabad .
- Meq - Muslim Eduecation Quarterly .
- QII - The Quarterly Index Islamicus .

وفي حالة استخدام الاختصارات والرموز من هذا النوع يجب وضع فهرس لها في صدر البحث ، مع ذكر ما يتعلق منها بالمصادر بكامل تفاصيلها في قائمة المصادر في نهاية الكتاب .

ويجب أن تلتزم بالرموز والاختصارات التي تبنّيتها طوال بحثك فلا تخترع رمزًا جديدًا لعمل واحد في مكان آخر من البحث ، أما الرموز المتعارف عليها في البحوث الأكاديمية الغربية فيمكن الاطلاع عليها في الإطار المرافق .

التفاصيل الببليوغرافية :

يجب أن تكون المعلومات الببليوغرافية التي تذكرها عن المصادر والمراجع دقيقة مائة في المائة ، ولو كان ممكنا أعد التأكد من المعلومات الببليوغرافية قبيل طبع الرسالة .

منهجية البحث العلمي :

الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها عند إعداد الرسائل والبحوث العلمية

[الحلقة الرابعة]

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

خطة نقل الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية Transliteration :

الهدف من خطة كهذه هو أن يتمكن أي شخص آخر من نقل كلمة أو جملة بدون خطأ إلى الحروف العربية ، و هناك أسلوب متعارف عليه إلا أن خطة دائرة المعارف الإسلامية تختلف عن هذا الأسلوب بصورة رئيسية في شيئين : استخدام dj لحرف الجيم بدلا من j ، واستخدام k للقاف بدلاً من q وإسقاط (هـ/ة) في نهاية الكلمة ، وفي حالة إمكان حدوث الخطأ يضاف قوس صغير واحد مثل Ash'hab (أشهب) بدلاً من ashhab .

الاختصارات :

يمكن اختصار أسماء بعض المراجع أو المجلات (١) التي ترد كثيرًا في البحث مثل :

= الأعلام = الزركلي ، الأعلام ، ط ٥ (بيروت ١٩٨٠م) .

= كشف الظنون : مصطفى آفندي الحاج خليفة ، كشف الظنون (بغداد ب . ت) .

= كشاف = محمد علي الفاروقي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون

---

(١) راجع كتاب Pearson, Index Islamicus للاختصارات المتعمدة في الأوساط الأكاديمية للمجلات والدوريات الغربية .

مجلدات) (تحدى الشريعة المحمدية) (معيار الصداقة) (معيار المسيح) (التنزيه الرباني) (الرسالة الحقانية) (مرآة كمالات مرزا) (القضاء على نبوة مرزا) وغيره ، أوضح الشيخ في تلك الكتب حقيقة هذه الفتنة وكشف النقاب عن مؤامراتها الخبيثة التي تدبرها ضد الإسلام ، كما استعرض فيها عقائدها الخرافية ودعاوى مؤسسها الباطلة التي تتعارض بعضها بعضًا ، ولا تتطابق مع الإسلام في شئ ، وكل ذلك في ضوء الآيات القرآنية والنصوص القطعية والأحاديث المتواترة المستفيضة وإجماع الأمة ، ولابد أن يتأثر بها كل من طالعها بدون انحياز ، وتمتاز هذه الكتب بأسلوبها البديع وتعبيراتها السهلة المفهومة ومادتها الغزيرة وأدلتها الصارمة القوية المستمدة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، إنها سمات ظهرت في أجلى مظاهرها وأروع أشكالها في تلك الكتب واعترف بها كبار العلماء والمفكرين ، وبعض الكتب منها طبعت في لغات عديدة وما استطاع مرزا ولا أحد من أتباعه أن يرد عليها مع انها طبعت مرات عديدة في حياة الشيخ وبعد وفاته أيضًا .

وهذه نبذة من مآثر الشيخ المونگيري ودوره الذي قام به في في مواجهة هذا التيار المضاد الجارف على الإسلام والمسلمين ، وأما الاستعراض الكامل لخدماته وجهاده فإنه يحتاج إلى كتب ضخمة وسفر طويل ، إنه قام في هذا المضمار بما لا تستطيع أن تقوم به المجامع العلمية العديدة ، وإنها مفخرة لا ينساها تاريخ الهند الإسلامي ، ولا تزال تتجدد بتغير الظروف والزمان ، وتلمع كنجوم متلألئة في سماء التاريخ الإسلامي .

٧٧٧٧

من يشاء » وكان يتحمل جميع ما يكلفه الطبع والنشر من نفقات خطيرة ومصاريف ضخمة ، وأحيانًا كان ينفق في ذلك جميع ما كان عنده من المال ويؤخر حاجاته الشديدة الأكيدة ويقوم بتوزيعها مجانًا بين المسلمين ليستفيدوا على أكثر ما يمكن ، ولم تتحمل حماسته الإيمانية وغيرته الدينية وحبه الصادق مع الرسول -ﷺ- وإخلاصه بالدين وعقائده ، هذه الثورة على الإسلام والاستهزاء بالدين فاضطرم غيضا ونهض لإقلاع هذه الجرثومة الخبيثة بكل ما لديه من الوسائل والمؤهّلات ، واستولت عليه فكرة شغلته عن كل شئ ، و وجّه أصحابه وأنصاره إليه قائلاً : صنّفوا واطبعوا وانشروا و وزّعوا ! حتى إذا استيقظ في الصباح رجل من المسلمين وجد تحت وسادته كتابا جديدًا في ردّ أباطيل القاديانية .

وحيثما رفعت هذه الفتنة رأسها في قطر من أقطار الهند وخارجها وصلت إليه مؤلفات الشيخ فمنعت نشاطها وأوقفت سيرها وتجنب الناس من مزالق الزيغ والضلال ، مع العلم بأن خدمات الشيخ وكفاحه باللسان والقلم مع هذه الفرقة الضالة المارقة عن الدين منة عظيمة على الأمة المسلمة التي لا تتخلص منها أبدًا ، وجزء متنور من حياته المقدسة التي لا يستكمل بدون ذكره التاريخ الإسلامي ، فقد أنقذت بصيرته الإيمانية و مجهوداته المتواصلة الضخمة آلافًا من المسلمين من تيار الكفر والارتداد ، حتى استطاع على إعداد جماعة من أتباعه الغيورين الذين دافعوا عن الإسلام وتعاليمه ودحضوا هذه الفتنة .

وقد ألف الشيخ حوالي مائة كتاب رغم ما كان يواجه من أسقام وآلام وضعف ، ومن أشهرها (الحكم السماوي) (الشهادة السماوية - في ثلاث

الولاية وخارجها يشاهدون منظرها . فانتخب الشيخ المونكيري مولانا مرتضى حسن ممثلا له في المناظرة واحتشدت فرقة العلماء هذه في ساحة المناقشة وكان الميدان مزدحمًا بالناظرين والمستمعين وكان منظرا بديعًا . فشرع مولانا مرتضى حسن في المناظرة وخطب خطبة جامعة وأثبت زيغ القاديانية وضلالها وكذبها وافتراءها في ضوء الحقائق الثابتة والحجج القاطعة التي لا يمكن من الإنكار عنها لمن يتدين بالإسلام . فكان لخطبته نفوذ وتأثير في نفوس السامعين وعلاج لقلب اعتل بشيئ من وساوس هذه الفئة الضالة الخارجة عن الإسلام . واستولى الذعر والخوف على قلوب مبعوثي المرزا . حتى إذا طُلب منهم الجواب دُهشوا ولم يجدوا جوابا و ولّوا هاربين مقرين بهزيمتهم . فكان لهذه المناظرة المشهودة علائم طيبة ونتائج سارة مرضية . وضغط كبير على حركة هذه الفئة الهدامة فتخافت صوتها وتضاءل نشاطها وتوقفت عن سيرها إلى حد كبير . ولم يجيبوا لدعوة المناظرة مرة ثانية في تلك المنطقة .

وبعد ذلك اختار الشيخ وسائل أخرى مؤثرة لصد هذا التيار المضاد للإسلام . فبدأ في التصنيف والتأليف ضد القاديانية على النطاق الواسع وأقام مطبعة مستقلة في الجامعة - الجامعة الرحمانية بمونكير - مختصة بطبع الكتب التي كانت تؤلف ضد القاديانية . وأصدر مجلة دينية باسم « صحيفة رحمانية » باللغة الأردية . وفرغ جميع أوقاته للتصنيف والتأليف . حتى ترك صلاة التهجد التي كان يصليها بالمواظبة . وألف حوالي مائة كتاب بين صغير وكبير حول هذا الموضوع . وقام بذلك كله رغم ما كان يعانيه من الضعف والمرض ﴿ وذلك فضل الله يؤتيه

العالم الرباني الكبير السيد محمد علي المونگيري - رحمه الله رحمة واسعة - والشيخ المونگيري يعرف بفكره الممتاز حول منهج التعليم والتربية ، قام بتأسيس المركزين الدينيية والمعهدين العلميين - ندوة العلماء لكناؤ ، والجامعة الرحمانية بمونگير - وله مواقف محمودة ومساعى مشكورة في الرد على النصرانية وإبطال مزعوماتها ، قد صنف أكثر من عشرة كتب في الرد على المسيحية حتى تعتبر خدماته إصلاحية وتجديدية في هذا المجال ، فنهض الشيخ لمطاردة هذه الفتنة القاديانية وإيقاف نشاطها وسيرها بجميع طاقاته وركّز لذلك فكره واهتمامه ، و كانت ولاية بيهار مركزًا لحركات القاديانية الهدامة ونشاطاتها الإبلاغية . فكان من الجدير به أن يجعل تلك الولاية مركزا لحركته الإصلاحية والدعوية ، فانتقل من مولده المألوف « كانفور » إلى مونگير وأقام فيها واستوطنها ، وبدأ حركة منظمة لمحاربة هذه الفتنة الطاغية والنحلة الضالة وكشف زيفها و ندّد بأباطيلها ، كما وجه إلى ذلك جميع أتباعه ومخلصيه ودعاهم إلى المساهمة فيه ومضاعفة الاهتمام به واعتبره أعظم كفاح وأفضل جهاد ونضال ، فبدأ يكتب الرسائل ويؤلف الكتب ويعقد الاجتماعات ويلقي الخطب ويقيم المناظرات لإيضاح الحقيقة وكشف الستار عن وجه هذه الفرقة الضالة التي كانت تزاحم الإسلام في كل شئ متخذة اسم الإسلام ستارا لأغراضها الخبيثة الماكرة ، فقامت مناظرة شعبية عظيمة في مونگير وأرسل المرزا مبعوثيه للمناظرة ، ودعا الشيخ المونگيري حوالي أربعين عالما من أقطار الهند المختلفة الذين كانوا يتولون مكانة مرموقة بين علماء الهند ، وقد حضرها كثير من الناس من

البريطانية برئاسة مرزا غلام أحمد القادياني ، وبدأت نشاطها الهدام ضد الإسلام و واصلت حركتها وسيرها تحت رعاية الحكومة الإنجليزية والأحزاب المعادية للإسلام ، فنشأت وترعرعت وباضت وفرخت وازدهرت وأثمرت واستفحل الأمر وتفاقم الشر وأخذ يمتد جذورها في جميع أنحاء الهند .

وكانت الظروف رهيبة حاسمة لمسلمي الهند من الناحية الدينية حيث إن الصراع كان شديدًا حينذاك بين الإسلام والمسيحية وكان المبشرون المسيحيون منبثين في المدن والقرى يدعون إلى المسيحية علنًا ، ويهجمون على الشريعة الإسلامية ، وكانوا يكرسون جهودهم البالغة لجعل أهل الهند عامة والمسلمين خاصة مسيحيين واعتبار الإسلام دينًا انقضى دوره وذلك بكل ما لديهم من قوة و وسائل وطاقات وإمكانيات . وكان العلماء المسلمون يحاربونهم ويردون على كيدهم ومؤامراتهم إذ ظهرت هذه الفتنة الأخرى أشد خطورة وأبشع صورة من ذي قبل وأشد خطرًا و هجمًا على الإسلام ، فأحس العلماء خطر هذه الفتنة العمياء واستعدوا لمقاومتها بكل ما لديهم من عدة وعتاد ، وحاربوها بألسنتهم وأقلامهم في كل مكان ، وكان في طليعة من قاموا بالرد على هذا التيار العنيف الجارف العلامة محمد حسين البتالوي والشيخ عطاء الله البخاري والدكتور محمـــــــد إقبال الشاعر الإسلامي الكبير والشيخ ثناء الله الأمرتسري والعلامة المحدث الكبير أنور شاه الكشميري والعلامة شبير أحمد العثماني ومولانا مرتضى حسن الجاندفوري وغيرهم من علماء دار العلوم ديوبند . ولكن الذي لعب دورًا رئيسيًا في هذا المضمار هو الشيخ

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

الشيخ محمد علي المونكيري (مؤسس ندوة العلماء) ودوره في مواجهة القاديانية

بقلم : الأستاذ نور الحق الرحماني

إن القاديانية نحلة ضالة وفئة باغية وديانة مستقلة تشن الغارة على الإسلام من كل ناحية من نواحيه . قامت على مبدأ إنكار صريح لعقيدة ختم النبوة وإهانة الأنبياء وإلغاء الحج والجهاد . وعلى أساس المكر والمؤامرة والخداع ضد الإسلام والمسلمين .

وقد ظهرت هذه الفتنة أول مرة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كحركة دينية في شبه القارة الهندية . وكان الإنجليز آنذاك يبذلون أقصى جهودهم لتدعيم أركانهم في الهند . فأحسُوا إن تجمّع المسلمين و وحدتهم وروح جهادهم وفدائهم ستحول دون أغراضهم . فلابد من إحداث التفرقة في صفوفهم وإضعاف قوتهم وهزمهم على الصعيد الحكومي والسياسي . ولن تتحقق بدون ذلك أمانيهم وأحلامهم المعسولة . فوجدوا المرزا غلام أحمد القادياني حريا بذلك . حيث إنه كان طموحًا إلى أن ينال منصبًا دينًا رفيعًا . ويكون له أتباع ومؤمنون . ويستولى على العالم الإسلامي كله بالتبوء إلى الزعامة الدينية . فوجده الإنجليز وكيلا لهم يعمل بين المسلمين لإنجاز مصلحتهم وتحقيق أهدافهم . فقامت هذه الفتنة الشعواء كحركة دينية تحت إشراف القوى الاستعمارية والحكومة

(١) [illegible] : [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١) .

[illegible]

بين الأجيال المختلفة ، بالقضاء على جميع الفوارق الطبقية والميزات السلالية والعواطف الجنسية والعصبيات اللونية واللسانية ، وقد اعترف بذلك كثير من كبار المفكرين والمؤلفين والباحثين من غير المسلمين .

يقول لارنس (LAWRENCE) : « إن الأخوة التي أعلنها الإسلام ، كانت أمرا واقعا وشيئًا طريفًا لا عهد للشعوب الشرقية به ، إننا نشك في أن مسيحي سوريا كانوا يعاملون مسيحي إيران معاملة الإخوة للإخوة ، كما أن مسلمى الشام يعاملون إخوانهم في الدين من الإيرانيين ، ويعتبرونهم أعضاء أسرة واحدة » .

ويقول المؤرخ الفيلسوف (A. J. TOYANBEE) ما تلخيصه : « إن القضاء على الفوارق السلالية والعصبيات الجنسية والدموية من أعظم مآثر الإسلام ومفاخره ، ومما لا شك فيه أن الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية قد حققت بعض النجاح في ربط الشعوب بعضها ببعض ، ولكن الحقيقة الراهنة التي يجب الاعتراف بها أنها أخفقت في القضاء على العواطف السلالية والجنسية » (١) .

فكان الدين الإسلامي حقًا مشاعًا وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب ، والأسر والبيوتات ، والبلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار الأكاسرة ملوك فارس ، فإنهم كانوا يدعون أنه يجرى في عروقهم دمٌ إلَهيّ ،

---

(١) راجع لشهادات غير المسمين بهذا الصدد « الإسلام ، أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية » لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : ص/٣٨ إلى ٤٢ .

عمر إلى الشام مع غلامه ، فكان عمر وغلامه يتناوبان البعير ، فإن المقعد خلفه كان عليه زاد السفر ، فلما حان وقت دخول الخليفة في معسكر المسلمين في نهاية سفره وقفت الجيوش مع قُوّادها لاستقبال الخليفة ، وقد اجتمع عدد من الأقوام الأخرى لمشاهدة أبهة الخليفة وشوكته ، وبيناهم كذلك إذ رأوا بعيرًا خرج من وسط الغبار وتقدم إليه القواد ، وقد تعجبوا من ذلك ، وسأل أحدهم مسلماً : هل الراكب خليفتكم ؟ فرد عليـــه المسلم بأن الخليفة من أمسك بزمام البعير يمشي ، والـــراكب غلامه (١) .

٨- و وقع لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في خلافته أنه أعطى غلامه دراهم يشترى بها ثوبين متفاوتي القيمة له ولنفسه ، فاختار الغلام لنفسه ثوبًا رخيصًا خشنًا ولأمير المؤمنين ثوبًا غاليًا ناعمًا ، فلما أحضرهما إلى عليّ أخذ الثوب الرخيص لنفسه وأعطى الغلام الغالي ، وقال له : « أنت أحق مني بأجودهما ، لأنك شاب تميل نفسك للتجمل ، أما أنا فليس لي رغبة في التجمل » (٢) .

فصفوة الكلام أن الإسلام له دور عظيم في إقرار مبدأ المساواة الإنسانية وتطبيقه عمليًا في المجتمع الذي يقوم على أساسه ويعمل فيه بتعاليمه ، ولم يُحرز مجتمع من المجتمعات البشرية ولا ديانة من ديانات العالم نجاحا مثل ما أحرزه الدين الإسلامي في إقرار الأخوة والمساواة

---

(١) رحمة للعالمين ، للعلامة القاضي سليمان المنصورفوري : ج/٢ ، ص/٤٨١ .
(٢) رحمة للعالمين : ج/٢ ، ص/٤٨٢ .

تعرض قصته نموذج التعليم الإسلامي في المساواة بأن النبي -ﷺ- - وهو سيد الأنبياء والمرسلين - استعد حتى يقتص أحد من أمته ، وقدم له جسده الشريف ، هل من الممكن أن يسجل التاريخ البشري مثل هذه المساواة والعدل ؟ كلا !

٥- ومن أوضح الأمثلة للعدل والمساواة في القضاء الإسلامي ما روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، قالوا من يكلم فيها - أي شفاعة في حدها - رسول الله -ﷺ- ، فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله -ﷺ- ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله -ﷺ- : أتشفع في حد من حدود الله ثم قام ، فاختطب ، فقال : « يا أيها الناس إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (١) .

٦- وعن أبن أبي مليكة قال : قال أبو محذورة : كنت جالسا عند عمر - رضي الله عنه - إذ جاء صفوان بن أمية بجفنة يحملها ، فوضعوها بين يدي عمر ، فدعا عمر ناسا مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله فأكلوا معه ، ثم قال عمر عند ذلك : « لعن الله قومًا يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم » (٢) .

٧- ومن أشهر الوقائع بخصوص ذلك ما سجل لنا التاريخ من قصة سفر

----

(١) صحيح مسلم : ج/٢ ، ص/٦٤ .
(٢) الأدب المفرد ، للإمام البخاري : ص/٢٢ .

ومعافرى وعلى غلامه بردة ومعافري ، فقلت له يا عمي لو أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك أو أخذت معافريه وأعطيته بردتك كانت عليك حلة أو عليه حلة ، فمسح رأسي ، وقال اللهم بارك فيه يا ابن أخي بصر عيناي هاتان وسمع أذناي هاتان النبي -ﷺ- ، يقول : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، وكان أن أعطيه من متاع الدنيا أهون على من أن يأخذ حسناتي يوم القيامة (١) .

٢- ومن أعظم ما يدل على مساواة الإسلام ما وقع في غزوة بدر إذ كانت الرواحل قليلة ، يروى ابن سعد عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه -، قال : « كنا يوم بدر ، كل ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة وعليّ زميلَي رسول الله -ﷺ- ، فكان إذا كانت عقبة النبي -ﷺ- قالا : اركب حتى نمشى عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى على المشى منى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » (٢) .

٤- وأعظم من ذلك ما روى ابن إسحاق أن رسول الله -ﷺ- يعدل صفوف أصحابه يوم بدر ، فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل من الصفّ ، فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : « استو يا سواد » فقال : يا رسول الله أوجعتني فأقدني ، فكشف رسول الله -ﷺ- عن بطنه ، وقال : « استقد » قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، وقال أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله -ﷺ- (٢) ، ومهما كانت نية هذا الرجل

---

(١) الأدب المفرد ، للإمام البخاري : ص/٢٠ .
(٢) طبقات ابن سعد : ج/٢ ، ص/٢١ .
(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج/٢ ، ص/٢٧١ .

بصدد الحقوق الإنسانية والمساواة البشرية ، وليت الفلاسفة والمفكرين وقادة السياسة وأساطين العلم نظروا بإمعان وتدبر إلى هذه النصوص وأمثالها من كتاب ربنا -عزوجل- وسنة نبينا -ﷺ- ، إذًا لأراحوا أنفسهم من ذاك العناء ، ولو فرّوا للأذهان المكدودة عافيتها (١) .

ونقدم إلى الإخوة القراء فيما يلي بعض أروع النماذج للمساواة في الإسلام غير ما ذكر :

١- قال النبي -ﷺ- ترغيبًا وتشويقًا إلى حسن الصنيع مع المملوك والخادم : « .. إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم » (٢) .

وقال النبي -ﷺ- : « إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ، ثم جاءه به وقد ولى حره ودخانه فليقعده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوهًا قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين ، قال داؤد : - راوي الحديث - يعني لقمة أو لقمتين » (٣) .

٢- وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا ، فكان أول ما لقينا أبو اليسر صاحب النبي -ﷺ- ، ومعه غلام له وعلى أبي اليسر بردة

----

(١) مجلة منار الإسلام الصادرة من دولة الإمارات العربية المتحدة ، مارس ١٩٨٢م . (٢) صحيح البخاري : ج/١ ، ص/٢٤٦ .

(٣) صحيح مسلم : ج/٢ ، ص/٥٢ .

وهذا الإعلان الفريد الهائل الثائر الغائر يتضمن حدتين ، وحدة الربوبية ، والوحدة البشرية ، فالإنسان أخو الإنسان مرتين ، مرةً - وهي الأساس - لأن الرب واحد ، فليس عند الله سادة أو عبيد ، أو أغنياء أو فقراء ، أو عربي أو عجمي ، بل الكل أمام الخالق الرب الواحد سواء ، ومرةً ثانيةً لأن الأب واحد ، فجميع الناس أبناء أب واحد ، من كانوا وأينما كانوا !

فالإسلام أعلن مبدأ المساواة البشرية والأخوة الإنسانية في لفظ صريح ليس فوقه صراحة ، وجعل التفاضل بالتقوى والفضائل المعنوية فحسب ، وقضى على جميع الفوارق الطبقية والعصبيات الجنسية ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم • إن الله عليم خبير﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٢] ، وقال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٠] (١) .

ويقول الرسول الأعظم -صلوات الله عليه وسلامه - : « إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب » (٢) .

وذات مرة صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ديسمبر عام ١٩٤٨م ، ولكن هذا الإعلان على كثرة بنوده وتفريعاته وحواشيه أقل بكثير من الاطار الذي رسمته هذه النصوص من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة

----

(١) السيرة النبوية للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : ص/٤١١ .
(٢) سنن أبي داؤد ، كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب : ٢/٣٤١ .

(١) [illegible] : ٨١/٦٨٨ .

[illegible] » (١) .

[illegible]

شعره :

كان الجاحظ عظيم الذكاء قوى الملاحظة واسع التفكير بارعًا في كثير من علوم اللغة والأدب ومن العلوم الطبيعية ، والعقلية .

لم يتوقف ذكاء الجاحظ عند حد هذه العلوم بل إنما تطرّق إلى الشعر ، فكان له شئ من الشعر ، هو من باب شعر العلماء معاني ومنطقًا ومتانة في التعبير ولكن بلا طبع ولا ديباجة ولا رونق ، فإنه ما نبغ في الشعر كما نبغ أمثاله ، الصاحب بن عباد ، وابن عبد ربه ، وابن زيدون في كلا المجالين ، فلقد صدق عليه قول النقاد : إن الكاتب الألمعي لا يكون شاعرًا مجيدًا .

قال الجاحظ (١) :

يطيب العيش أن تلقى حليما ... غذاه العلم و الرأي المصيب

ليكشف عنك حيرة كل ريب ... و فضل العلم يعرفه الأريب

يقول الأستاذ شفيق جبري (٢) : « فإذا دققنا في ألفاظ هذين البيتين ، كالعلم والرأي والحيرة والريب ، تبيّن لنا أنها ألفاظ مجردة » .

من شعره :

سقام الحرص ليس له شفاء ... وداء الجهل ليس له طبيب (٢)

[يتبع]

---

(١) الجاحظ معلم العقل والأدب ، للأستاذ شفيق جبري : ص/٢٥٢ ط. دار المعارف بمصر.

(٢) الجاحظ معلم العقل والأدب ، للأستاذ شفيق جبري : ص/٢٥٢ فليراجع للتفصيل في تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢١٦-٢١٩ .

(٢) عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعي : ص/٤٢٦ ط. دار الكتب المصرية الطبعة الثانية سنة ١٢٤٦هـ-١٩٢٧م.

أدبيـــــة .

وقد كتب في موضوعات غير أدبية أيضًا ولم تخل كتابته من غزارة الفكر والجمال الفني .

يقول عمر فروخ (١) : « وللجاحظ في كتبه أسلوبان . أسلوب أنيق (فيه صناعة وموازنة وسجع وتأنق في اختيار الألفاظ وترديد للمعنى الواحد في تراكيب مختلفة) ويكاد يكون هذا الأسلوب مقصورًا على مقدمات كتبه ومطالع فصوله . ثم له أسلوب يجرى فيه على السليقة ويعالج به الموضوعات التي يتناولها في متون كتبه » .

ويقول الأستاذ أحمد العوامري وعلى الجارم (٢) : « وللجاحظ فقر يعطف بعضها على بعض في غالب ما يكتب . يرسلها في غير تكلف ولا تعمل . تحلو في النفس . وتعذب على السمع . وإنها لأشهى من سجع البديع والحريري وأضرابهما من المتكلفين . الذين أعيتهم المعاني . فوقعوا عند الألفاظ وزخرفها . فالجاحظ كاتب امتاز بحدة العقل . وغزارة العلم . وسلامة المنطق . وبعد الغور . فيما يتصدى له من موضوع . فما حاجته إلى الزينة والزخرف ؟ وما افتقاره إلى التصنع والتكلف . وإنما هو رجل تحقيق وتعمق » .

هذا وقد انفرد به من بين أئمة الترسل . أسلوب أعيا المقلدين . وانقطعت دونه أسباب المتشبهين فإن له لرنّة وإن له لنبرًا وإن له لروعة وإن له لطعما غير تلك الطعوم التي نتذوقها في كتابات البلغاء . قديمهم وحديثهم .

---

(١) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ . ص/٢٠٧ .

(٢) مقدمة كتاب البخلاء للأستاذ أحمد العوامري وعلي الجارم : ص/٧ .

في الجنة بكتب الجاحظ عوضًا عن نعيمها » (١) . وقال ابن العميد (٢) : « كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانيًا » .

وقال ابن سنان في كتابه « سر الفصاحة » (٣) : « فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ولا يحسن غيره .. كان بحرًا من بحور العلم ، رأسًا في الكلام والاعتزال » .

هذه الشهادات إن دلت على شئ فإنما تدل على أن الجاحظ كان يتمتع بمنزلة فائقة ينظر إليه الناس بنظرة ملؤها الإعجاب والغبطة .

أسلوبـــــــه :

اشتهر الجاحظ بأسلوب فريد له ميزاته ومعالمه وطابعه في الكتابة العربية . خصائصـــــــه الدعابة والاستطراد (٤) ودقة الوصف وقوة الاستدلال . والتهكم اللاذع وشيوع روح المرح فيما يكتب . وكان أقرب إلى المزاوجة (٥) من غير التزام للسجع الدقيق عند ما كان يكتب كتابة

---

(١) هو « أبو محمد » عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي . تلميذ السيرافي والفارسي والقالي – بغية الوعاة : ص/٨٢٢ .

(٢) معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/١٠٣ ، وفيات الأعيان : ج/٢ ، ص/١٤٢ .

(٣) أبو عثمان الجاحظ لخفاجي : ص/٢٦٦ .

(٤) هو أن يخرج الكاتب عن الموضوع الذي يعالجه إلى موضوع آخر قريب منه أو بعيد . وكان الجاحظ يفعل ذلك ترويحًا عن القارئ ودفعًا عن الملل عنه (تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ج/٢ ، ص/٢٠٧) .

(٥) المزاوجة أو المزدوج الذي تتوازن فيه العبارات والصيغ وتتعادل إيقاعاتها تعادلا محكمًا (العصر العباسي الثاني) للدكتور شوقي ضيف : ص/٦٠٠ .

خلّفها من ورائه فقد ترك الجاحظ كتبًا كثيرة أربى عددها على المائة (١) فيها مختلف الأغراض من أدب وشعر وديانات وعقائد وفلسفة وسياسة واقتصاد وغير ذلك من مواضيع تاريخية واجتماعية وجغرافية ورياضية وطبيعية .

هذه الكتب كلها تدل على فضله الجم وعلمه الغزير ولما كان المقام يضيق عن ذكرها فإنني سأكتفي بالإشارة إلى بعضها لما له من أهمية ومكانة وشهرة وقدر ، وهي :

١ - البيان والتبيين أو (التبين) .

٢ - الحيوان .

٣ - كتاب البخلاء .

هذا وإن من يطالع كتب الجاحظ ومؤلفاته يلمس فيها فضله وعلمه ومباحثه الأدبية المبتكرة التي توفر عليها ، وأحسن عرضها حيث تيميز طابعه الدراسي فيها بتصوير الموصوف على الشكل الذي يراه ومن الناحية التي يريد أن يظهره فيها ، ويستعين على ذلك بتعابيره الخاصة فيكرر ويرادف ويبدئ ويعيد إلى أن تتم له الصورة التي يريد .

تعالوا نقرأ ما قال الأدباء والمؤرخون في كتبه ، فقد نجد بين القدماء من يغلو في تقدير كتب الجاحظ ويتجاوز حدود الوقار فيقول : « رضيت

---

(١) لقد حاول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في جمع كتب الجاحظ ، فجمعها في كتابه أبي عثمان الجاحظ ، وقد بلغ عددها ، حوالي ١٨٧ ما عدا كتبه الشهيرة المعروفة .

بعيدًا عن قيود المناصب وعن الشعوبيين والعناصر الحاقدة على العرب من الفرس وغيرهم » .

كان الجاحظ ذا منزلة رفيعة وعالية والشهادة على رفعته كثيرة ، وعن هذه الشهادات ما نقل عن أبي الفرج الأصفهاني في حديث له عن عبد الله ابن جعفر الوكيل قال (١) : « كنت يومًا عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يردّد النظر إليها فقلت له ما شأن هذه الرقعة كأنه استعجم عليك شئ منها ؟ فقال : هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبني وأنا أردّد على نفسي لشدة إعجابي » وقال أبو الفضل بن العميد (٢) : « ثلاثة علوم ، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى أبي حنيفة ، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان » .

إنه يعتبر في الرعيل الأول من مؤلفي عصره وكتابه كما يعدّ رأس المدرسة النثرية الثانية في الأدب العربي ، وقد كان عبد الحميد مع ابن المقفع رأس المدرسة الأولى ، وقد طرق الجاحظ أبوابًا شتى من العلم فألف فيها كثيرًا من الكتب والرسائل حتى « لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر منه كتبًا » (٢) .

<u>مؤلفاتـــــه</u> : خير ما يشهد على منزلة الكاتب العلمية هو آثاره التي

---

(١) معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/٩٢ .

(٢) معجم البلدان : ج/٦ ، ص/٧٦ .

(٢) راجع مروج الذهب للسعودي : ص/٢٨٤ .

يجب أن نحترس هذا الرأي ذلك لأننا نجد كثيرًا من ندماء الملوك والوزراء وجلسائهم كانوا يُعرفون بدمامة الوجه والخفة والعبث وعلى الرغم من ذلك كان الأمراء والوزراء يجعلونهم مصاحبين لهم وكاتبين للرسائل الديوانية ، مثل أبي الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني الذي لا يزال يتفوه منه النتن ويقطر منه العرق وشئ من القذارة ، مع ذلك كان الوزير المهلّبي ينادمه ويأكل معه رغم كونه أكثر الناس نظافة ، لقد قيل عنه : إنه إذا استعمل ملعقة مرة واحدة لا يستعملها مرة ثانية ، ولذلك فنعزو تركه هذا المنصب إلى سبب آخر وهو شغفه بالمطالعة والكتب ، فإنه رأي هذا المنصب عقبة في سبيل نجاحه فاعتزل عنه ، ونجد إشارة إلى ذلك في قول بروكلمان حيث يقول (١) : « اعتزل بعد ثلاثة أيام ورجع إلى البصرة للقراءة والتصنيف » وكما نستنتج هذا من كلام سهل ابن هارون إذ يقول (٢) : « إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب » ويؤيّد هذا الرأي قول الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي حيث يقول (٣) : « ترك الجاحظ ديوان الرسائل ، مؤثرًا الحياة الحرة ،

>>> الدكتور شوقي ضيف « العصر العباسي الثاني » حيث يقول فيه : « وربما كان قبحه الذي عرف به هو السبب الحقيقي في أنه وجد وظيفة ديوان الرسائل لا تلائمه » (العصر العباسي الثاني : ص/٥٩٠) ط. دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

(١) تاريخ الأدب العربي : ج/٣ ، ص/١٠٨ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت : ج/١٦ ، ص/٧٩ .

(٣) أبو عثمان الجاحظ لخفاجي : ص/٦٩ .

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الثانية]

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

منزلته الأدبية :

الجاحظ إمام البيان ، وأستاذ الأدب ، ولا نعدو الحقّ إن قلنا إنه سيد كتاب العربية بلا منازع ، وشيخ أدباء العرب بلا مدافع .

وكان « يتقلـــد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديـــوان الرسائل » ثم عيّن رئيسًا لذلك الديوان ولكنه لم يلبث فيه إلا ثلاثة ثم استعفى فأعفى (١) .

يعـــــزو ابن شيد الأندلسي إخفـــاق الجاحظ في منصب الكتابة إلى أمرين (٢) : أولهما : « دمامة وجهه ، والملوك يؤثرون الكتاب ، الحسان الوجوه .

والثاني : « خفته وعبثه ، والكتاب يحمد فيهم الترصن والوقار » ويضيف بروكلمان (٢) « وكان الجاحظ مع علمه وكثرة تصانيفه عاجزًا عن تدبير الأمور » .

---

(١) انظر أدباء العرب ، بطرس بستاني : ص/٢٦٠ .

(٢) نفس المصدر : ص/٢٦١ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ع/٢، ص/١٠٨ ، وتجد تأييد هذا الرأي في كتاب >>>

(١٣) راجع : تدريب الراوي : ص/١٩٦ ، والقول البديع : ص/٢٥٦ .

(١٤) راجع : قواعد التحديث : ص/١١٢ ، مقالات الكوثري : ص/٤٤-٤٦ .

(١٥) راجع : الفصل في الملل والنحل : ٨٢/٢ .

(١٦) راجع : فتح المغيث : ٢٦٧/١ .

(١٧) راجع : النكت : ٤٢٧/١ ، والقول البديع : ص/٢٥٥، وفتح المغيث : ٨٠/١.

(١٨) انظر : القول البديع : ص/٢٥٥ ، والموضوعات لابن الجوزي : ص/٢٥ .

(١٩) راجع : المصادر في هامش ٢ .

(٢٠) راجع : فتح المغيث : ٨٠/١ ، والقول البديع : ص/١٩٥ ، والأجوبة الفاضلة مع التعليقات الحافلة : ص/٤٦-٤٧ ، وقواعد التحديث : ص/١١٢ .

(٢١) راجع : أعلام الموقعين : ٢١/١-٢٢-٧٧ ، والمدخل إلى مذهب ابن حنبل لابن بدران : ص/٤٢ .

(٢٢) راجع : القول البديع : ص/٢٥٦ ، والنكت : ٤٢٦/١ .

(٢٣) الاعتصام : ٢٢٦/١ .

(٢٤) تدريب الراوي : ص/١٩٧ .

(٢٥) ملخص إبطال القياس والرأي : ص/٦٨ ، وراجع الأحكام : ٥٤/٧ .

(٢٦) أعلام الموقعين : ٣١/١ .

(٢٧) راجع : القول البديع : ص/٢٥٥ .

(٢٨) انظر : فتح المغيث : ٢٦٨/١، والقول البديع : ص/٢٥٥ ، وتدريب الراوي : ص/١٩٦، وتبيين العجب بما ورد في فضائل رجب : ص/٢٢، وقواعد الحديث : ص/١١٦ .

و راجع : الفتاوى : ٦٥/١٨-٦٨، والفوائد المجموعة : ٢٨٢/١، والاعتصام : ج/١ ، ص/٢٢٤-٢٢٥-٢٢٨ ، وسنن ابن ماجة : ٤٤٤/١ ، وتحفة الأحوذي : ج/٤ ، ص/٢٤٠ ، ومسند الإمام أحمد : ٤٧/١ ، ومنحة المعبود : ٢٥٢/١ ، وأخبار أصبهان : ج/٢ ، ص/١٨٠ ، والأجوبة الفاضلة : ص/٤٢ ، ومنهج النقد في علوم الحديث : ص/٢٩٤ .

ويتفرد بروايته ضعيف لا يعتمد على روايته إذا تفرد مع الجهود التي بذلها خيار هذه الأمة تجاه السنة المطهرة تحملا وأداء وجمعًا وتدوينًا وتمحيصًا حتى ميز الصحيح من السقيم .

هذا مع عدم سلامة الشروط من المآخذ التي ذكرها العلماء ولا أريد سردها خشية الإطالة (٢٨) .

---

(١) راجع : «التقريب : ص/١٠٥ مع التدريب » ولمحات في أصول الحديث : ١٩٢.

(٢) راجع : « علوم الحديث » لابن صلاح : ص/٢٧ .

(٢) انظر : « التدريب : ص/١٠٥ » شرح البيقونية « للزرقاني مع حاشية الأجهوري : ص/٢٠ . والاقتراح : ص/١٧٧ .

(٤-٥) راجع : « تدريب الراوي : ص/١٠٥ » . و النكت على كتاب ابن صلاح : ص/٤٩١ .

(٦) راجع : « النكت : ص/٤٩٢ » .

(٧) راجع « التدريب : ص/١٠٥ » .

(٨) انظر : « التدريب : ص/١٥٠ » ألفية السيوطي . بشرح عبد الحميد : ص/٥٨ .

(٩) راجع : فتح المغيث : ١/٧١ . وقواعد التحديث : ص/١٠٩ . وتحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف : ص/٢٢ بحث بحولية مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . للدكتور عبد العزيز عبد الرحمن بن محمد العدوان : ص/٦٧-٦٨ عام ١٤٠٥هـ .

(١٠) راجع : الرسالة للإمام الشافعي : ص/١٤١-١٤٢ . والمسلة : ٢/٤ . ٢/٤ . والأم : ٤/٤٠ وفتح المغيث .

(١١) راجع : القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع لشمس الدين السخاوي : ص/١٩٥ . و « الأجوبة الفاضلة لأبي الحسنات اللكنوي مع التعليقات الحافلة للشيخ عبد الفتاح أبي غدة : ص/٥٠ » وقواعد التحديث : ص/١١٢-١١٤ .

(١٢) راجع : عيون الأثر : ١/١٥ .

المذهب الثالث : إنه يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والمواعظ والقصص ، والترغيب والترهيب وما نحو ذلك ، مع التساهل في إسناده وروايته من غير بيان ضعفه ، أما إذا كان في العقائد : كصفات الله -عزوجل- وما يجوز عليه وما يستحيل ، أو كان في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وغيرهما ، فإنه لا يعمل به ولا يجوز التساهل في إسناده ، و روايته من غير بيان ضعفه ، وهو المذهب المعتمد عند المحققين بشروط :

١- أن يكون ضعفه غير شديد فيخرج ما اشتد ضعفه كحديث الكذابين والمهتمين بالكذب و من فحش غلطه و هذا الشرط متفق عليـــه نقله العلائي (٢٦) .

٢- أن يكون الحديث في الفضائل وما في معناها .

٣- أن يندرج تحت أصل معمول به .

٤- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط لئلا يُنسب إلى النبي -ﷺ- ما لم يقله ، وهذان الشرطان الأخيران ذكرهما المحققان العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد (٢٧) .

وهذه الشروط التي اشترطوها ، وقيدوا العمل بالحديث الضعيف بها على تحققها وسلامتها من المآخذ لا تقوى على جعل الحديث الضعيف مصدرًا لإثبات حكم شرعي ، أو فضيلة خلقية أو غير ذلك .

والنفس لا تطمئن عند العمل إلا بالحديث الذي ثبتت صحته ، لا بما لم يكن كذلك ، ولا يمكن أن نتصور أن شيئًا من الفضائل والمستحبات والترغيب والترهيب حصلت الغفلة عنه حتى لا يقدر له الوصول إلينا من طريق صحيح أو حسن لذاته أو لغيره الذي هو أدنى درجات القبول .

وإرساله . قال ابن القيم (٢٠) : « وأما مالك : فإنه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس . فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص ولا قول الصحابة أو واحد منهم . ولا أثر مرسل ضعيف عدل إلى الأصل الخامس - وهو القياس - فاستعمله للضرورة .

ونقل أبو عبد الله بن منده عن أبي داؤد - صاحب السنن - أنه يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره وأنه أقوى عنده من رأي الرجال (٢١) .

قال الشاطبي : فكلام أحمد ومن وافقه دال على أن العمل بالحديث الضعيف يقدم على القياس المعمول به عند جمهور المسلمين بل هو إجماع السلف - رضي الله عنهم - (٢٢) .

وقال السيوطي : ويعمل به أيضًا في الأحكام إذا كان فيه احتياط (٢٣).

وذكر ابن حزم أن جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس (٢٤) .

وقال ابن القيم يؤخذ بالحديث المرسل والضعيف إذا لم يكن في الباب شئ يدفعه وهو الذي قدمه الإمام أحمد على القياس . وقال : وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به . بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن . ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف . وللضعيف عنده مراتب فإذا لم يجد في الباب أثر يدفعه ولا قول صاحب ولا إجماع على خلافه كان العمل به عنده أولى من القياس . وليس أحد من الأئمة إلا وهو وافقه على هذا الأصل من حيث الجملة فإنه ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس (٢٥) .

المذهب الثاني : إنه يعمل به مطلقًا ، إذا لم يوجد في الباب غيره ، ولم يوجد ما يدفعه ، ولم يشتد ضعفه ، لأن شديد الضعف متفق على عدم العمل به روى ذلك عن أحمد وأبي داؤد وغيرهما (١٥) .

قال الحافظ : وقد روينا من طريق عبد الله بن أحمد بالإسناد الصحيح إليه قال : سمعت أبي يقول : لا تكاد ترى أحدًا ينظر في الرأي إلا وفي قلبه دغل ، والحديث الضعيف أحب إلى من الرأي .

قال : وسألته عن الرجل يكون ببلد لا يوجد فيها إلا صاحب حديث لا يدري صحيحه من سقيمه وصاحب الرأي فمن يسأل ؟ قال : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي (١٦) .

و كان يقــول يعمل بالضعيف إذا لم يوجد غيــــره ، و لم يكن ما يعارضه (١٧) .

وفي رواية عنه ضعيف الحديث أحب إلي من رأي الرجال (١٨) .

ونحو ما حكي عن أحمد قال الإمام الشافعي أن المرسل يحتج به إذا لم يوجد دلالة سواه حكاه الماوردي عنه في الجديد (١٩) .

هذا ، وقد نقل تقديم الحديث الضعيف -إذا لم يوجد غيره في الباب- على القياس : عن أبي حنيفة والشافعي ومالك إذ وافقوا أحمد بن حنبل على ذلك في الجملة : فقد قدم أبو حنيفة - كما يقول ابن القيم - حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس وأجمع أهل الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه . وقدم الشافعي خبر جواز الصلاة بمكة وقت النهي ، مع ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلاد ، وقدم في أحد قوليه حديث « من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن عن صلاته » على القياس ، مع ضعف الخبر

وثمانين ، باعتبار إمكان الوجود وإن لم يتحقق وقوعها .

وهذا السير وراء التقسيمات العقلية البحتة دون أن يكون لنوع الحديث وجود في عالم الواقع عند أهل الحديث ، مما قال الحافظ ابن حجر : « إن ذلك تعب ليس وراءه أرب » (٨) .

ولسنا في حاجة لتعداد أنواع الحديث الضعيف لأنها مذكورة بالتفصيل في كتب الحديث ، وهذه الأنواع متفاوتة الضعف ويمكن حصر ذلك التفاوت في ثلاثة أقسام :

الأول : الموضوع وهو أشر أنواع الضعيف ، وما قيل في إسناده كذاب أو وضّاع .

الثاني : أخف من سابقه قليلاً ، لكنه شديد الضعف ، وهو ما قيل فيه متهم أو مجمع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث أو هالك أو منكر أو ساقط أو ليس بشيء أو ضعيف جدًا .

الثالث : الضعيف الذي ينجبر بمثله ، وهو ما كان في سنده سيئ الحفظ أو له أوهام أو يهم ، أو مدلس معنعن أو مختلط أو ما قيل فيها ضعيف فقط أو لم أر فيه توثيقًا ونحو ذلك .

ويفيد هذا التقسيم في معرفة ما ينجبر وما لا ينجبر ، فالقسم الأول والثاني لا ينجبران بالمتابعة ، ولا ينتفعان بالشواهد إلا ما قيل في قرب ضعفه كما بينه علماء المصطلح (٩) .

المبحث الثاني : العمل بالحديث الضعيف :

ذكر العلماء أن الأحاديث التي يحتج بها هي الأحاديث المقبولة والأحاديث المقبولة أربعة أقسام :

الأول : متواتر لفظًا ومعنى .

دراسات في السنة :

الحديث الضعيف وحكم العمل به

وينتظم هذا البحث مبحثين

بقلم : الدكتور عمر يوسف حمزة
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المبحث الأول : تعريف الحديث الضعيف وأنواعه :

حيث نذكر الشرائط التي اشترطها العلماء لكل من الحديث الصحيح والحديث الحسن . ندرك أن ما لم يستوف تلك الشرائط فهو الحديث الضعيف ، وذلك قول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : « الضعيف هو ما لم يجمع صفة الصحيح أو الحسن » (١) ، وقد تتبع في ذلك صاحب : « علوم الحديث » الذي قال في بيان ذلك : « كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن » (٢) .

وعرفه ابن دقيق العيد (٣) بأنه : « هو ما نقص عن درجة الحسن » وهذا هو التعريف المختار ، لأن ما لم تجتمع فيه صفات الحسن فهو من الصحيح أبعد (٤) ولأنه لو اختلت بعض صفات الصحيح كخفة الضبط مثلا لا يكون ضعيفًا وإنما يكون حسنًا (٥) ، والأولى من ذلك أن يقال في تعريفه : هو ما لم تتوافر فيه صفات القبول (٦) .

تنوع الحديث الضعيف : وأنواعه كثيرة أوصلها ابن حبان إلى تسعة وأربعين نوعًا ، وبلغ بها العراقي إلى اثنين وأربعين وبلغ بها غيرهما إلى ثلاثة وستين نوعًا ، وزاد آخرون على هذا العدد (٧) حيث أوصلها بعضهم إلى تسعة وعشرين ومائة ، باعتبار التقسيم العقلي ، وإلى واحد

تقسيم المال وتوزيع الثروة ، وأنتج ذلك أن تتحول طبقة غنية منها أغنى وطبقة فقيرة منها أفقر بسرعة غريبة ، وما هذه القرحة المزمنة من الفقر المدقع لتعاني منها البلاد التي تأتي في قائمة الدول المتخلفة أو الفقيرة فحسب بل وقد منيت بها حتى الدول الغنية ، حينما كانت الدول الإسلامية ومجتمعاتها المسلمة تستطيع أن تنقذ سكانها المسلمين والجاليات الأخرى من مضار الفقر والاحتياج وما يترتب عليهما من الآثار الخطيرة ، وذلك عن طريق النظام الإسلامي للزكاة وبتطبيقه الكامل وتنفيذه الصحيح في حياة الناس .

وإن شرط التمليك لصحة أداء الزكاة ليجعل صرفها على الطبقة الفقيرة من المجتمع الإسلامي وانتفاعها بها انتفاعا كاملاً من الواقعية بمكان ، وكذلك يحد هذا الشرط أن تصل المبالغ الخطيرة إلى تحكم الأغنياء وسيطرتهم بحجة توفير الخير والرخاء للفقراء والمساكين ، وعند انتفاء هذا الشرط من الزكاة وتعميم معنى المصرف السابع « في سبيل الله » يلزم حتمًا أن تبقى الطبقات الفقيرة محرومة من منافع الزكاة لانصرافها في أعمال الخير والبر والنشاطات الدينية الأخرى ، ويقع البؤساء في مستنقعات الفقر وأوحال الذل حتى تبيع كل ما لديها من رخيص وغال وعز وكرامة وحتى لا تبالي بدينها وعقيدتها كما ورد في الحديث « كاد الفقر أن يكون كفرًا » وإذًا لا تتحقق تلك الغاية العظمى التي شرعت من أجلها الزكاة ، ولا تتجلى الحكمة البالغة التي يبتنى عليها هذا الحكم الإلهي ، كما يكون بذلك مساس بروح التشريع لحكم الزكاة بأسوأ معانيه .

من مشروعية الزكاة أن يعالج مشكلة الفقر والإملاق وأن يهيئ للطبقات الكادحة التي تعيش الشقاء والحرمان في المجتمع ما يسعدهم بتوفير ضرورات الحياة وسد حاجاتها ، وذلك أن الفقر والإفلاس قد يؤدى بالإنسان إلى ما يتخلى فيه عن عرضه بل وإيمانه ودينه ، وعلى الرغم مما قطع العصر الحاضر من أشواط بعيدة في العلم والصناعة ، فإن معظم دول العالم تعاني من هذه المشكلة العصيبة ، وأكبر شطر من سكان الدول المتخلفة والنامية عمومًا والدول الإسلامية بصورة خاصة يعيش ما هو أدنى بكثير من خط الفقر والاعترار ، والدولة المسلمة في قارة أفريقيا تواجه أزمة غذائية وجدبًا عامًا ، إن هذه الظروف القاسية قد منحت للتبشيرات المسيحية فـــــرصة ذهبية للتلاعب والعبث بدين الفقراء والمساكين من المسلمين ولإخراجهم من نور الإسلام إلى ظلمات النصرانية الضالة ، والذين وقعوا فريسة الفقر والجوع والنكبات من المسلمين يصبحون في هذه الأيام لقمة سائغة لحركات الإلحاد ونظرات الشرك والقوى المعادية للإسلام .

وهذه الأوضاع السائدة تحتم على المسلمين أن يعملوا على إقامة نظام عادل للزكاة وفق التعاليم الإسلامية حتى يتمكنوا من مد يد العون والمساعدة إلى الطبقات الفقيرة من المجتمع الإسلامي وإنقاذهم من التدنى الاقتصادي الذي يجاوز خط العوز والإعدام ، ورفع مستواهم من الحضيض الأسفل ، وتوفير أسباب الحياة ومرافقها للمحرومين من ضروراتها وحاجاتها ، ولا شك أن التفاوت الاقتصادي يسود حتى في مجتمعات الدول الإسلامية لأجل غياب التنفيذ للنظام الإسلامي في

الدين ، وذكر نقلاً عن فقهاء الإسلام أن ذلك لا يجوز ، وبين عدة أوجه لعدم جوازه ، فقال : « أما إحداها فإن سنة رسول الله -ﷺ- في الصدقة كانت على خلاف هذا الفعل ، لأنه إنما كان يأخذها من أعيان المال عن ظهر أيدي الأغنياء ثم يردها في الفقراء ، وكذلك كانت الخلفاء بعده ، ولم يأتنا عن أحد منهم أنه أذن لأحد في احتساب دين من زكاة ، وقد علمنا أن الناس قد كانوا يدانون في دهرهم » (١) .

ولا شك أن احتساب دين من الزكاة قد عاد في صالح المدين الفقير والزكاة قد صرفت في غنائه ، ولكن فقهاء الإسلام لم يعتبروه مجزئًا لأداء الزكاة بل اشترطوا فيه التمليك وتسليم مالها لمن يستحقها كما كان في عهد الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام وفي عصر الخلافة الراشدة .

قال الحافظ ابن رجب من علماء الحنابلة المتوفى عام ٧٩٥هـ يبين الفرق بين الزكاة والفيئ : « وأيضًا فالزكاة يعتبر فيها تمليك المستحق ، ولا يجوز صرفها إلى من لا يملك بخلاف مال الفيئ ، فإنه يصرف في المصالح العامة ، كسد البثوق ، وكرى الأنهار وعمارة القناطر » (٢) .

خلاصة البحث :

قد تبين مما سبق أن وجهة نظر الفقهاء في الإسلام قديمًا وحديثًا حول الزكاة هي وجوب تمليك الفقراء والمساكين من القدر المعين أداؤه فيها ، كما اتضحت حكمة شرط التمليك وبعض أدلته ، والحق أن الإسلام قد أراد

---

(١) كتاب الأموال : ص/٤٤١ .

(٢) الاستخراج لأحكام الخراج : ص/١١٨ .

التمليك في أدائها لئلا يتسكعوا في البحث عن الفقراء والمساكين وإنما يكفيهم توديعها في مشاريع الخير وأعمال البر .

وجهة نظر الشيخ شاه ولي الله الدهلوي :

يعد الشيخ ولي الله الدهلوي المتوفى عام ١١٧٦هـ من أعلام المفكرين في الإسلام ويمتاز شخصيته بدقة النظر وبعد الغور في معرفة أسرار الأحكام الشرعية ورموزها وحكمها ، ويحتل مؤلفه الشهير « حجة الله البالغة » مكانة مرموقة من بين الدراسات الإسلامية ، قال فيه بحثًا عن موارد الدولة الإسلامية ومواطن صرفها : « والبلاد الخاصة بالمسلين عمدة ما يتخلص فيها من المال نوعان بإزاء نوعين من المصرف ، نوع هو المال الذي زالت عنه يد مالكه كتركة الميت لا وارث له ، وضوال من البهائم لا مالك لها ... ونوع هو صدقات المسلين جمعت في بيت المال ، ومن حقه أن يصرف إلى ما فيه تمليك لأحد ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ إنما لصدقات للفقراء والمساكين » (١) .

تحقيق الإمام أبي عبيد قاسم بن سلام في مسألة التمليك :

إن « كتاب الأموال » للإمام أبي عبيد قاسم بن سلام - رحمه الله - المتوفى عام ٢٤٤هـ المعاصر للإمام الشافعي - رحمه الله - درة يتيمة في نظام الأموال الإسلامي ، وقد بحث المؤلف في هذا الكتاب فيما لو كان المدين مستحقًا للزكاة هل يجوز للدائن أن يحتسب دينه من مال الزكاة الواجب أداؤه عليه بدل أن يدفع إليه أولا ما وجب وبالتالي يتقاضى منه

----

(١) حجة الله البالغة : ج/٢ ، ص/٤٥ .

وإنما ذلك دليل على أن الأمة الإسلامية بكل ما فيها من الفرق والطبقات المختلفة تعتقد عن وعي أو بدونه أن الطريقة الوحيدة لأداء الزكاة هي تمليك أهلها منها لا غير .

نبوءات الرسول -ﷺ- : وما تنبأ الرسول -ﷺ- به من الأخبار والوقائع المستقبلية وحتى تقوم الساعة لا يدل شئ منها ولا بإشارة خفية على أداء الزكاة بدون تمليك ، بل هناك طائفة من الأحاديث تدل دلالة واضحة على عكسه ، وهو أنه لا سبيل لأداء الزكاة إلا إخراج الغني مال زكاته من الذمة بتمليك أهله منه ، قال رسول الله -ﷺ- : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه » (١) وروى الحارث بن وهب عن رسول الله -ﷺ- قوله : « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها لو جئتنا بها بالأمس قبلتها ، فأما الآن فلا حاجة لي بها ، فلا يجد من يقبلها (٢) .

وقد جاءت نبوءاته -ﷺ- مصدرًا ثرًا يحمل في طياته كثيرًا من أسباب الهداية والتوجيه ويشير إلى ما يكون شرعة ومنهاجا للأمة في الظروف القادمة والملابسات الطارئة في حياتها ، وعلى ذلك فلو كان تمليك الفقير من الزكاة موقتًا مؤقتًا في عصر الرسول -ﷺ- ولم يكن بمثابة الركن أو الشرط لأشار رسول الله -ﷺ- إلى ذلك ، وبين ما يرفع عنهم وجوب

----

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى في صحيح البخاري ومسلم ، فليرجع إلى صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، كل نوع من المعروف صدقة .

في نسائها واشتكت عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فدعا معاذًا ، فقال : أنا بعثت معك ضاغطًا ، فقال : لم أجد شيئًا أعتذر به إليها إلا ذلك ، قال : فضحك عمر وأعطاه شيئًا ، وقال : أرضها به » .

« استعمل محمد بن يوسف طاوُسًا عن مخلاف ، فكان يأخذ الصدقة من الأغنياء فيضعها في الفقراء ، فلما فرغ ، قال له : افع حسابك ، فقال : مالي حساب ، كنت أخذ من الغنى فأعطيه المسكين » .

« عن عمر أنه قال : أوصى الخليفة من بعدي بكذا ... وأوصيه بالأعراب خيرًا ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد في فقرائهم » (١) .

وقد روى الإمام الترمذي في جامعه عن أبي جحيفة قوله : « قدم علينا مصدق النبي -ﷺ- ، فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا ، وكنت غلامًا يتيمًا فأعطاني منها قلوصًا » (٢) .

وحتى إن المنكرين لوجوب التمليك يسلمون أن الفقراء ومن يستحقون الزكاة كانوا يُملّكون من أموالها ولم تتخذ أي طريقة لأدائها سوى التمليك في خير القرون وما تلاها من العصور ، فاستمرار العمل بتمليك الفقراء من مال الزكاة في كل عهد من التاريخ الإسلامي ليس مجرد اتفاق ،

---

(١) يرجع في ذلك إلى كتاب الأموال : ص/٥٨٨-٥٩٠ ، طبع دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) جامع الترمذي ، أبواب الزكاة ، باب ما جاء أن الصدقة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء .

ويفيد ما سجلته كتب الحديث والتاريخ فيما يتعلق بالأخذ والرد بالنسبة لمال الزكاة في عهد الرسول -ﷺ- وعصر الخلفاء الراشدين ، أن جباة الدولة لمال الزكاة في مختلف القرى والمناطق كانوا يوزعون زكاتها على فقرائها ، وإذا لم يوجد فيها من يستحقها ينقلونها إلى غيرها ويوزعونها على فقرائها . وقد سرد الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى ٢٢٤هـ) آثارا كثيرة في ذلك نسوق منها بعضها ملخصا .

« إن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله -ﷺ- إلى اليمن حتى مات النبي الكريم -ﷺ- وأبو بكر ، ثم قدم على عمر فرده على ما كان عليه ، فبعث إليه معاذ بثلث صدقة الناس ، فأنكر ذلك عمر ، وقال : لم أبعثك جابيًا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم . فقال معاذ : ما بعثت إليك بشئ وأنا أجد أحدا يأخذه مني ، فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك ، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ،.فقال معاذ : ما وجدت أحدًا يأخذ مني شيئًا ».

قال سعد - وكان عاملا على الصدقة من عمر رضي الله عنه - « كنا نخرج لنأخذ الصدقة ، فما نرجع إلا بسياطنا » .

« عن سعيد بن المسيب أن عمر بعث معاذًا ساعيًا على بني كلاب أو على بني سعد بن ذبيان ، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئًا حتى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته ، فقالت إمرائه : أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم . فقال : كان معي ضاغط ، فقالت : قد كنت أمينًا عند رسول الله -ﷺ- وعند أبي بكر ، أفبعث عمر معك ضاغطًا ، فقامت بذلك

الواردة فيه هو الزكاة ، وأنها تؤخذ من أغنياء المسلمين فترد على فقرائهم . و « الأخذ » و « الرد » من الكلمات المتحاذية المتصادفة معنى فلا يكون الرد إلا لما يؤخذ كما يستفاد ذلك بنص الحديث ومعلوم بالضرورة أن الدولة الإسلامية تأخذ من الأغنياء ملك أموال الزكاة إلى منافعها ، فلا ترد على الفقراء مجرد منافعها وإنما ملكها كذلك ، أي يملّك الفقراء هذه الأموال ملكًا تامًا وهذا ما اصطلح عليه الفقهاء وأكدوا عليه استدلالاً باقتضاء الكتاب والسنة وليس من اختراع فقهاء الإسلام وعلماء المذاهب .

و واجب الأخذ والرد في مال الزكاة من مسئوليات الدولة الإسلامية ، وإذا لم توجد دولة إسلامية جاز القيام به لأرباب الحل والعقد من المسلمين ، وتكون الدولة الإسلامية بمثابة الوسيط في هذا العمل ولا يسمح لها بالسيطرة على مال الزكاة وإبقاء الملك عليه وصرفه في مصالح الفقراء والمساكين بدون تمليكهم منه ، لأنها إذًا لم ترد على الفقراء ما أخذته من الأغنياء .

طريقة الأخذ والرد في عهد الرسالة وعصر الصحابة :

كانت الطريقة المتبعة والسائدة من عهد الرسول -ﷺ- إلى القرون الأخيرة دفع أموال الزكاة إلى الفقراء والمساكين والذين يستحقونها ، و وضعها في ملكهم من دون قيد أو شرط ، ويعوز التاريخ الإسلامي أن يأتي بمثال على خلافها ، حيث وضعت هذه الأموال في مشروع خيري أو مخطط استثماري يتمتع الفقراء بمنافعها بدل توزيعها عليهم وتمليكهم منها وكانت هذه العصور ولا شك حافلة بكثير من الأعمال الخيرية والأنشطة الترفيهية والحركات الإصلاحية .

تبين من هذا الشرح والتفصيل أن كلمة الإيتاء المضافة إلى الزكاة في هذه الآيات الكريمة تتضمن معنى التمليك لما أن مال الزكاة من الماديات التي تصلح للتملك ومعنى أداء الزكاة هو أن يزيل الإنسان ملكه وقبضته عن جزء من ماله ويجعله في ملك من أمر الله بدفعه إليهم . وبأداء الزكاة يزول ملك من يخرجها عنها ويثبت عليها ملك من استحقها إذا دفعت له .

أما زوال ملك المزكى عن مال الزكاة فأمر بديهي ومجمع عليه . ولكنه عسى أن يقول قائل : إنه ليس من الواجب أن ينتقل مال الزكاة إلى ملك الفقراء والمساكين أو من يستحقونه بل من الممكن أن يبقى في ملك الله ويتمتع بمنافعه هؤلاء المستحقون . فنقول : ما هو الفارق إذًا بين الوقف والزكاة ؟ إذ الفارق بينهما أن مال الوقف لا ينتقل إلى ملك الموقوف عليهم ومال الزكاة ينتقل إلى مستحقه ويصبح ملكا له .

وجه الاستدلال بحديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - :

وينجلي أمر التمليك وينكشف عند ما نستقرئ حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عند ما بعثه رسول الله -ﷺ- إلى اليمن . قال له : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة . فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » (١) .

وجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن المراد من الصدقة « الواجبة »

---

(١) قد سبقت الإحالة إلى مراجعه في الحلقة الأولى بنصه .

أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩] .

﴿ وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة . فإن طبن لكم عن شيْ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٤] .

﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [سورة النور ، الآية : ٣٣] .

﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ [سورة النمل ، الآية : ٣٦] .

إذا تأملنا هذه الآيات ونظرنا فيها لوجدناها باختلاف أفعالها وصيغها تدل على معنى التمليك . وقد يكون أن تتعلق كلمة الإيتاء بشيْ مادي يصلح للملك ولا يراد منها التمليك لوجود قرينة صارفة عن ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥] .

ففي هذه الآية وإن تعلق الإيتاء بمال يصلح للملك إلا أن هناك قرينة واضحة تدل على غير التمليك وهو جعله في تصرفه وتسليمه له ، وذلك أن الآية تتحدث عن المال الذي هو ملك للسفهاء إلا أنه وضع في أيدي أوليائهم بدل تسليمه لهم لسفاهتهم ونقصانهم عقلا .

وكذلك إذا نسبت كلمة الإيتاء إلى ما ليس بعين أو ما لا يصلح للملك كوحي الله والهداية والتقوى والنور وما إلى ذلك . فلا يراد من الإيتاء عندئذ التمليك ، لأنها من المعنويات ولا متسع فيها للتمليك .

وقد استدل جمهور الفقهاء على وجوب التمليك بكلمة « الإيتاء » إلى جانب الأدلة الأخرى ، ويلزمنا حتى نتمكن من فهم وجه استدلالهم أن نستعرض المواطن التي وردت فيها هذه الكلمة ، قال الإمام الراغب الأصفهاني : « والإيتاء الإعطاء وخص وضع الصدقة في القرآن بالإيتاء ».

والأخذ والإيتاء من البديهيات التي عرفها الإنسان من مبدأ خلقه وجرى بها التعامل في حياته عبر العصور حتى فيما قبل نزول الوحي والنبوة وإلمامه بمختلف العلوم والفنون . والظاهر في العرف وعند أهل اللغة أن الإيتاء إذا تعلق بعين أو شئ مادي يصلح للملك فيراد به التمليك إلا أن تكون هناك قرينة ظاهرة تدل على غيره .

وقد دلت نصوص الكتاب العزيز على هذا المعنى بما وردت هذه الكلمة في أكثر من آية واحدة ، ونذكر هنا بعض مواضع استعمالها في كتاب الله سبحانه :

قال الله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾ [سورة التوبة ، الآيتان : ٧٥-٧٦] .

﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٥٠] .

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطارًا فلا تأخذوا منـــه شيئًا • أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٢٠] .

﴿ الطلاق مرتان • فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان • ولا يحل لكم

الزكاة و أهميتها في الإسلام

[الحلقة الثانية]

فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي
أستاذ بدار العلوم ندوة العلماء

وجوه الاستدلال في مسألة التمليك :

إن الأدلة المستفادة من الكتاب والسنة التي تمسك بها الجمهور من فقهاء الإسلام تأييدًا لوجهة نظرهم نحو إيجاب التمليك في أداء الزكاة قد تحدثنا عنها إجمالا وإسهابا في مقالات العلماء الأجلاء في كتابنا الذي صدر حول الزكاة ونصاب الأموال التي يجب فيها الزكاة ، فلا حاجة إلى أن أفصل الحديث عن الأدلة على التمليك و وجوبه في هذه العجالة إلا أنني رأيت من المناسب أن أتناول بالبيان والإيضاح بعض الوجوه والجوانب التي تتعلق بمسألة التمليك .

وجه الاستدلال على التمليك بنصوص الكتاب :

إن القرآن الكريم قد استعمل كلمة « الإيتاء » في معظم الآيات الواردة في الأمر بأداء الزكاة والصدقات الواجبة ، فقد ورد في عدة آي من الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ والإيتاء مرادف للإعطاء ويتكون معناهما من ثلاثة عناصر :

١- المُعطِي .   ٢- المُعطَى له .   ٣- المُعطى .

ويمكن أن نعبر عن ذلك اصطلاحًا بأن الفعل من الإيتاء والإعطاء يتعدى إلى مفعولين فيقتضي فاعلا ومفعولين .

كثيرة ورضيت بهذا النظام المالي ، ولم تنهض مواهب الأمة المؤمنة لتقدّم للعالم نظامًا اقتصاديًا ربانيًا لا يتعامل بالربا ويلبّي حاجات الواقع اليوم ومعاملاته المالية المعقدة . استرخت العزائم والمواهب ورضيت واستسلمت . ولم يكن هذا الحال في الاقتصاد وحده . ولكن الهزيمة امتدت إلى ميادين شتى .

إنها إحدى مشكلات الدعوة الإسلامية و واقع المسلمين . لا تحل المشكلة بالآراء المسكّنة ولا بالارتجال ولا بالاستخذاء والرضى . مهما ادلهم الواقع فإنه لا يحل حراما ولكن الضرورة قد تكون بابًا لمغفرة الله وعفوه ، شريطة أن لا تستمر الغفوة وأن تنهض الهمم لمسئولياتها الحقيقية .

ولا يمكن للمسلمين أن يضعوا الحل السليم لهذه المشكلة وتقديم البديل مجزوءًا مفصولاً عن رسالة الإسلام . ولو حاول ذلك لأصابه الفشل ، ولا يمكن أن يظهر الحل الأمثل البديل إلا إذا قامت الأمة المسلمة الواحدة صفًا كالبنيان المرصوص ، لا تفتك بها المنازعات والشقاق .

فلابد للمسلمين اليوم من مراجعة أنفسهم ومحاسبتها ، ومراجعة المسيرة وإجراء تقويم وتحديد الأخطاء ، ثم التوبة إلى الله توبة نصوحًا :

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحًا .. ﴾

﴿ .. وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [سورة النور]

لابد أن يلتقي المؤمنون على قواعد ربّانية تجمع الجهود لتنطلق مسيرة الإسلام قوية صافية مستكملة لنهجها ومراحلها وأهدافها ، ولتنطلق الحلول لمشكلات واقعنا اليوم من منهاج الله ملبّية لحاجات الواقع المتجدد عن إيمان وتوحيد ، وعلم صاف صادق بمنهاج الله ، وخبرة نامية في العلوم العصرية لنستكمل العدة على درب ماضٍ إلى الجنة .

٧ ٧ ٧

وفي هذا الرأي خطآن . الأول : أنه لا يجوز لأحد أن يقول : تصدّق يا فلان بهذا المال على الفقراء وليس لك أجر . ذلك لأن الذي يعطي الأجر هو الله وحده سبحانه وتعالى . اختص به ولم يأذن لأحد أن يقرر وقوع الأجـر من عدمه . وأقصى ما يمكن لأحد أن يفتي فيه : تصدّق أو لا تتصدق .

والثاني : هو أنه إذا كانت الفائدة خبيثة غير طيبة فرأس المال كذلك خبيث غير طيب . لأن الله سبحانه وتعالى اشترط لحل أخذ رأس المال تـوقف الربا والتوبة إلى الله والامتناع عن التعامل . فالآية الكـريمة تنصّ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [سورة البقرة . الآيات : ٧٨-٧٩] فجاء الشرط هنا صريحًا واضحًا : ﴿ فإن تبتم .. ﴾ أما إذا لم تقع التوبة ولم يتوقف رأس المال عن التعامل مع الربا . فرأس المال والفائـــدة مختلطان ماضيان معا في نهج واحد وعمل واحد في الربا . ولم يحلّ الله رأس المال إلا إذا توقف عن الربا بفضل منه ورحمة .

فليس أمام المسلمين مجال في واقعهم اليوم إلا أن تكون هناك ضرورة . ليتحمل المسلم أو الجماعة أو الأمة مسئوليتها بين يدى الله . لتكون بابا للتعامل مع هذه المؤسسات الربوية .

لابد أن يعي المسلمون حقيقة هذه القضية وشدة خطورتها حتى يستيقظ المسلمون وينهضوا من سباتهم العميق . إن الفتاوى السابقة أوحت للكثيرين أن التعامل مع هذه المؤسسات الربوية أصبح حلالاً بتلك الشروط التي وردت في الفتاوى كأن تضع مالك في حساب غير الفائدة . أو أن تقبض الفائدة وتتصدق بها دون أن يكون لك أجر . فاسترخت هِمم

فعن البراء عن الرسول الكريم -ﷺ- قال : « الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه » (١) [رواه الطبراني في الأوسط]

ولقد انتشر اليوم بين الناس وهم أنهم إذا وضعوا مالهم في المؤسسات البنكية في حساب بغير الفائدة ، فهذا حلال ، وإذا وضعه في حساب الفائدة فهذا حرام ، إن هذا التصور خطأ كبير ، فالحرمة واقعة سواء أوضع المال بهذا الحساب أم بذاك ، والإثم واقع ، ومخالفة النصوص واحدة ، ذلك لأنه لا تفريق في هذه المؤسسات الربوية بين حساب وآخر إلا في بعض السجلات ، وأما المال فكله طريقه واحد وعمله واحد واستثماره واحد ، ذلك أن هذه المؤسسات لها نهج واحد قائم على الربا ، لا تفرّق عمليًا بين حساب وحساب ، والفائدة - الربا - حاصلة للمال في هذا السبيل أو ذاك ، والفرق الوحيد بين أسلوب الحسابين هو أنك تقبض الفائدة في حالة ، وتتبرّع بها للمؤسسة في حالة ، ثانية فمن الناحية الشرعية تكون قد تعاملت بالربا بعد أن قام الاتفاق والرضا والقبول سواء أقبضت الفائدة أم لم تقبضها .

وقد أفتى بعضهم تحت ضغط هذا الواقع بجواز أخذ الفائدة والتصدّق بها على الفقراء ولن يكون لصاحبها المتصدّق أجر ولا ثواب ، ذلك لأن الفائدة مال غير طيب ، والله لا يقبل إلا طيبا ، أما رأس المال فيبقى طيبًا لصاحبه استنادًا إلى جزء من الآية الكريمة : ﴿ .. فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٧٩] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم/٢٥٢٧ .

القرآن عضين .. ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٩١] . ولا تراهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض : ﴿ .. أ فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٨٥] . ولا تراهم يؤوّلون آيات الله ولا يلوونها ولا يحرفونها . ولا يجعلون الكتاب أمانيّ وظنونا : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٧٨] .

لا يستطيع المسلم الفرد أن يجابه واقع هذا النظام الربوي وحده ، وقد عجزت الشعوب . وتحت تأثير هذا الضغط أخذت تظهر بعض الفتاوى لتحلل الربا أو بعض أجزائه ومؤسساته . أو تجيز التعامل مع هذه المؤسسات بشروط يضعونها من عند أنفسهم . وإذا قامت مؤسسات تحت شعار الإسلام فقد تضطر إلى التعامل مع المؤسسات الربوية أو الخضوع لها .

لا مجال في الإسلام لتحليل الربا أو بعض أشكاله أو بعض أنواع التعامل معه . إن التحريم نصوص ثابته شاملة قاطعة . ولا مجال للتوفيق بين النظام الإسلامي والنظام الربوي ، وكأنها محاولات تشبة محاولات التوفيق بين الإسلام والشيوعية أو الأديان الأخرى . ليست مهمتنا محاولة التوفيق . ولا ليّ الآيات والأحاديث . إن مسئوليتنا هي الدعوة الواضحة الجلية إلى الإسلام بكل ميادينه ، بكل فكره ومبادئه .

وعندما يتعامل المسلم مع هذه المؤسسات الربوية ، فليس له من عذر شرعي إلا عذر واحد هو الضرورة والاضطرار ، لا لأن شيئًا من ذلك حلال . والضرورة إما فردية ، أو جماعية ، أو عامة دولية ، كل ذلك يدرس ويقدّر بقدره .

إدارية متطورة ، وجيوش وأسلحة مدمرة ، وإعلام نشط كأنه الطوفان ، إن هذه القوى تعمل ليل نهار لتوفر للمجرمين في الأرض ، كما يسميهم القرآن الكريم ، وسائل نهب الشعوب وإفقارها وإذلالها وتجويعها ، ليعيش هؤلاء المجرمون متخمين ، ويمضي مع هذا النظام الاقتصادي الربوي نظام سياسي عدواني ظالم ، ليعمل هذان النظامان معًا فيدمرّا الحياة البشرية ، منطلقين من الحضارة الغربية وفلسفاتها ومؤسساتها .

لقد تسلل الإنجليز إلى الهند متسترين بالشركات التجارية والحركات التنصيرية ، حتى قضوا على دولة المغول المسلمة وحكموا الهند مباشرة سنة ١٨٥٨م ، وخرج الإنجليز من الهند سنة ١٩٤٧م ، بعد أن تركوها ممزّقة ، وتركوا شعبها فقيرًا على غنى ثروة البلاد ، الثروة التي نقلوها لبلادهم يأكلون بذلك أموال الناس بالباطل ، وكذلك فعل الفرنسيون في شمال إفريقيًا و وسطها ، وكذلك فعلت سائر الدول الطاغية ، يسيرون كلهم على نهج عدواني ظالم واحد في السياسة والاقتصاد وفي الفكر والفلسفة وغير ذلك ، ينشرون الجنس المتفلت الملتهب والخمور والمخدرات والزنا واللواط ، وتمزيق الأرحام وروابط الإنسان ، ليكون هذا كله مخدّرًا للناس يلهيهم عن مقارعة الظلم والفساد ويبقيهم في غفوة وخدر وسكر .

سيظل هذا الفساد يمتد ويدمر حياة الإنسان وينشر الحروب والفتنة حتى يأذن الله بظهور نظام اقتصادي رباني يقضى على الاستغلال والاحتكار والربا ، يحمله جنود ربانيون جزءًا متماسكا من منهاج رباني متكامل لا ينفصل عنه ، يدعون الناس إلى الله ورسوله ، إلى دين متكامل ، لا يقطعونه أجزاء كما فعل أهل الكتاب : ﴿ .. الذين جعلوا

قواعده المتماسكة المفصّلة في منهاج الله ، القواعد التي أخذت طريقها إلى التنفيذ في واقع الإنسان ، وحجة الوداع ذاتها تمثل ذروة انتصار الإسلام في ميادينه كلها ، واكتمال الرسالة الربانية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم .. ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣] .

لقد جابه الإسلام الواقع المختل المضطرب آنذاك ، فعالجه وقدّم البديل لكل واقع يريد تغييره ، قدم النظرية وقاد التطبيق ، ليكون ذلك عامًّا للبشرية كلها .

لقد جاء هذا النظام الاقتصادي الإسلامي نظامًا عامًّا للبشرية كلها ، ليسود الشعوب والأقطار والأجيال كلها ، جاء هذا النظام يحمل أبعد عمق إنساني ، وأعظم بعد عالمي ، جزءًا لا يتجزّأ من المنهاج الرباني المتكامل المترابط المتناسق .

ولكن هذا البعد العالمي والعمق الإنساني يبهتان إذا أخذ النظام الاقتصادي معزولاً عن منهاج الله ، أو يتعذّر تطبيقه على وجهه الأمثل .

إذن جاء تحريم الربا لمصلحة الإنسان ، مصلحة الناس كافة ، في مختلف العصور والأجيال والشعوب ، لشدة فساده ، وشدة تدميره لحياة الإنسان ، لذلك جاء تحريمه في جميع الأديان السماوية ، فقد بين لنا ذلك كتاب الله وهو يتحدث عن أهل الكتاب : ﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .. ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦١] وهذه إشارة إلى فساد النظام الربوي : ﴿ ... وأكلهم أموال الناس بالباطل ... ﴾ إنه فساد عالمي وفتنة كبيرة .

في واقعنا اليوم نظام اقتصادي عالمي يقوم على الربا ، وعلى أكل أموال الناس بالباطل ، يقود هذا النظام علوم وتقنية ، ومؤسسات ونظم

تحمل أعباء الدعوة ، جيلا بعد جيل لا تتوقف صناعة الأجيال التي تتابع المسيرة في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية في الأرض ، في واقع الإنسان .

كان ذلك كله يمضى أيام النبوة الخاتمة على نهج جليّ وخطة إيمانية ربانية ، ومراحل عملية تطبيقية . ومضت الدعوة تحقق انتصارًا بعد انتصار في جميع الميادين التي خاضتها ، وجاءت آيات الربا في سورة البقرة : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ .... و إن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [سورة البقرة ، الآيات : ٢٧٦–٢٨٠] ، جاءت هذه الآيات الكريمة لتمثل ذروة انتصار الإسلام في الميدان الاقتصادي ، ولقد اشتد الأمر على اليهود أثناء هذه المعركة الاقتصادية حتى ضجوا وهم يشعرون بالهزيمة ، وقالوا : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء .. ﴾ [سورة المائدة] .

وعبر الرسول -ﷺ- عن هذا النصر الاقتصادي في حجة الوداع حين قال : « ألا إن كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع هو ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله » [رواه ابن أبي حاتم] (١) .

إن هذا الإعلان النبوي كان حدثًا هائلاً في تاريخ البشرية ، وكان يعني تلك النقلة العظيمة التي نقل الإسلام بها البشرية ، وانهيار النظام الاقتصادي اليهودي الربوي ، وبدء نظام اقتصادي عالمي جديد ، له

---

(١) تفسير ابن كثير لآيات الربا في سورة البقرة .

المؤمنة في شتى ميادين الحياة ، نقيّة من الهوى والفتنة ، وخالية مما يتسرب إلينا من أفكار هؤلاء مما يخالف دين الله ..

والربا من أخطر ما حرّم الله سبحانه وتعالى ، وجاء التحريم على أشد صور التحريم حسمًا وفصلاً : ﴿ .. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .. ﴾ وجاءت الآيات والأحاديث تؤكد هذا التحريم وتحمل اللعنة على كل من شارك في الربا :

فعن عبد الله بن مسعود عن النبي الكريم -ﷺ- : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه » (١) ، وعن جابر : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء » (٢) ، وتوالت الأحاديث تكشف هول الربا وشدة فساده ، ذلك لأن هذه القضية لا تمس مصلحة فرد واحد أو جماعة أو شعب ، ولكنها تهدّد الإنسان حيثما كان ، تهدّد البشرية كلها في جميع العصور والديار .

لقد كان « الربا » واضحًا في أذهان العرب في الجاهلية ، وفي أذهان اليهود الذين نشروا هذا النظام الربوي ، وكذلك في أذهان المسلمين ، ولما انطلقت الدعوة الإسلامية خاض الإسلام معركته على نهج وخطة في ميادين متعدّدة متساندة : الميدان العسكري والسياسي والاقتصادي وغيرها ، لتجتمع هذه الميادين في الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، ولتعهد الناس على ذلك ، وبناء الجيل المؤمن الذي يمضي في

----

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم/٥٠٨٩ ، وقال رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي وابن ماجة .

(٢) المصدر السابق : رقم/٥٠٩٠ ، وقال رواه أحمد ومسلم .

وطيرانه وصواريخه وسلاحه النووي ، وبشركاته ومؤسساته وإدارتها ونظمها ، وبتطوره الفني والعلمي المادي ، وبما يدفع هذا كله من فكر وفلسفة وأدب ، واقتصاد ونظام اجتماعي متحلل فاجر إباحي ، وبالجنس الملتهب والخمور والمخدرات ، واستغلال مخدّر إجرامي في تحريف الدين ، حينًا بخنقه في كنائسهم ، وحينا بإطلاقه في خط منحرف ، وحينًا بتحريف النصوص ، ليحموا بهذا كله مصلحة طبقة جشعة بأطماعها مجرمة في رسائلها ، ممتدة في عدوانها ونشر فسادها ، وخرج من خلال ذلك النظام الاقتصادي العالمي اليوم قويًا سلاحه وعدده ، وتطوره العلمي والفني ونظامه الإداري ، على نهج وخطة مدروسة وأهداف محددة له .

وجابه المسلمون هذا كله بمواقف أقرب إلى الارتجال والعاطفة ، دون نهج واع مدروس ، ودون خطة إيمانية ومراحل عملية ، على تفرّق وشتات

واكتفى الكثيرون منهم بالشعارات التي لا تكفي وحدها لمخاطبة العالم ولا لمجابهة عدوانه وغزوه ، ولم تكن محاولات النشاط الاقتصادي جزءًا متماسكًا مع الدعوة الإسلامية التي أمرنا بتبليغها إلى الناس كافة ، ولو أقمنا مؤسسة تحمل الشعار الإسلامي ، فلا تكاد تقوم حتى تبدو كأنها خضعت لنهج أولئك وأساليبهم ونظرياتهم ، مع جملة ما نخضع له من مظاهر حضارتهم المادية .

إننا لم نتقدم بنظام إداري إيماني ، ولا بنظام اقتصادي عملي ، ولا بنظم إيمانية لسائر ميادين الحياة ، حتى كأننا اتبعنا الغرب في الفكر والنهج وغلفنا ذلك بالشعار الإسلامـــــــي ، لابد من مراجعة أفكارنا ومناهجنا اليوم ، ولابد من تغييرها بأنفسنا ، وعرض ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله ، لتنطلق منهما نظرياتنا ومناهجنا ، تحملها المواهب

الفقه الإسلامي :

الربا فتنة في الأرض وفساد كبير

بقلم : سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي

لقد وقع اضطراب في فهم بعض الآيات البيّنات في كتاب الله لدى بعض الناس . ولقد وقع الاضطراب الأكبر في ممارستها في الواقع البشريّ . وربما كان لهذا الاضطراب أسباب كثيرة . كان من أهمها ما تسلل من الإسرائيليات . أو بسبب عدم ربط الآيات بما حولها من الآيات أو بالسورة أو بما يتعلق بها من آيات أخرى في كتاب الله أو بأحاديث صحيحة . أو بسبب ما تسرّب إلينا من أفكار الحضارة المادية . أو بسبب الضغط الشديد الذي تمارسه هذه الحضارة المادية بإعلامها وسلاحها وجيوشها ومؤسساتها المختلفة .

نأخذ مثلاً على ذلك آيات الربا من سورة البقرة . الآيات التي تفصل في موضوع الربا فصلاً بيئًا بأسلوب ربّاني معجز . ولكنه في الوقت نفسه ميسّر للذكر . بيّن المعنى والدلالة .

مع آيات الربا هذه من سورة البقرة . نعتقد أن معظم الاضطراب وقع في الممارسة في واقعنا المعاصر . حين جابه المسلمون واقعًا جديدًا مليئًا بالأحداث المتجددة والنظم المتضاربة والأفكار المتصارعة . زاحفة إلينا من الحضارة المادية الغربية الرأسمالية . أو الحضارة المادية الملحدة الشيوعية . أو من الوثنيات المتعددة المنتشرة في الأرض اليوم .

جابه المسلمون هذا الواقع الجديد الزاحف علينا بجيوشه ودباباته

ومناة الثالثة الأخرى ﴾ [الآيتان : ١٩-٢٠] .

ذكر القرآن الحكيم ثلاثة أصنام هنا اللات والعزى ومنات ، هذه الثلاثة أسماء أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تمثل بعض الملائكة وأنها تشفع لهم عند الله سبحانه . يقول الأستاذ عبد الله : إن اللات كانت في صورة الإنسان والعزى (١) في صورة شجرة مباركة ومنات في صورة حجر أبيض ، جميعها كانت تمثل الله في هيئة المرأة . سبحانه وتعالى عما يقولون علوّا كبيرًا .

وآخر الأصنام – هو عاشرها – هو الذي ذكره الله في سورة النجم نفسها بقوله تعالى : ﴿ وأنه هو ربّ الشعرى ﴾ [الآية : ٤٩] . يقول صاحب الجلالين عن الشعرى : « إنه كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية » ويقول فضيلة الأستاذ عبد الجليل عيسى : « الشعرى نجم ضخم شديد الحرارة يبعد عن الأرض أكثر من بعد الشمس نصف مليون مرة . ولو كان في موضع الشمس لما بقي على ظهر الأرض حياة ولا ماء ، ولهذا كان يعبده بعض العرب (٢) .

وهنا صنم غير هذه الأصنام وهو العجل ذكره القرآن الكريم في عدة مواضع ، ولكنه ليس بعَلَمٍ مثل هذه الأصنام . ولذا لا نذكره في هذا المقال ، وهو يستحق معالجة مستقلة . ونختم هذه المقالة الوجيزة على قول شاعر عربي وما أحسن قوله :

أ رب يبول الثعلبان بـــــرأسه   لقد ضل من بالت عليه الثعالب

----

(١) يظهر أن المشركين كانوا يفتخرون بالعزى وهبل أكثر من غيرهما من الأصنام إذ كانوا ينشدون في ميدان الحرب : لنا العزى ولا عزى لكم و اعل هبل ، و كان المسلمون يجيبون : الله مولانا ولا مولى لكم و الله أعلى وأجل .

(٢) المصحف الميسر : ص/٧٠٢ .

أمكنة للعبادة ويصوروا لهم صورا ليتذكروا بها صلاحهم . فلما طال الزمن ظن أكثر الناس ان آباءهم كانوا يتقربون إليهم ليقربوهم إلى الله سبحانه وتعالى . فجعلوهم شفعاء لهم عنده تعالى (١) .

يقول الأستاذ عبد الله يوسف علي - رحمه الله تعالى - في تفسيره الإنجليزي : إن كل واحد من هذه الأصنام ينوب عن تمثال وهذا التمثال يقوم مقام قوة من قوى الحياة الإنسانية أو الحيوانية كما يلي :

صنم	تمثال	قوة
١- ود	الرجل	القوة الرجولية
٢- سواع	المرأة	التغير والجمال
٣- يغوث	الأسد (أو الثور)	القوة الحيوانية
٤- يعوق	الفرس	السرعة
٥- نسر	نسر (صقر)	حدة النظر (٢)

ونُثنّي بعد نوح بإلياس - عليه الصلاة والسلام - . قال الله تعالى في سورة الصافّات : ﴿ وإنّ إلياس لمن المرسلين • إذ قال لقومه ألا تتّقون • أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين • الله ربكم وربّ آبائكم الأولين ﴾ [الآيات : ١٢٢-١٢٦] .

والبعل في هذه الآيات علم اسم صنم لقوم إلياس من ذهب وبه سمي البلد أيضًا مضافا إلى بك يعني بعلبك كما صرح به صاحب الجلالين وقيل أيضًا بعل بمعنى رب بلغة حمير وازد شنوءة . يقول الأستاذ عبد الله يوسف علي : إن البعل كان الإله الشمسي (SUN-GOD) تعبد قبل الميلاد كما كانت الفطرة تعبد حين ذاك . وكائنا ما كان فإن « البعل » هو سادس الأصنام المذكورة هنا .

ونحن الآن نُثلّث بما ورد في سورة النجم : ﴿ أفرأيتم اللات والعزّى •

---

(١) المصحف الميسر : ص/٧٦٩ . (٢) المجلد الثاني من التفسير: ص/١٦١٩.

الأصنام المذكورة في القرآن الكريم

الأستاذ محمد ثناء الله العمري
رئيس القسم الإنجليزي - الكلية الهندوكي مجهلي بندر - آندهرا

لا يخفى على من يقرأ القرآن الكريم وبتدبره أن هذا الكتاب الحكيم قد ذكر أسماء بعض الأصنام التي كانت تعبد في شتى البلاد والأقوام والأوقات ، وذمّ عبادتها ، وأنكر عليها في كثير من آياتها ، معلنًا بأنها شرك جلي صريح ضد التوحيد الذي هو أساسُ التعاليم التي بعث الله بها رسله وأنبياءه في أنحاء العالم حينما أراد بعثتهم -الله جل جلاله وعم نواله - .

نريد أن نذكر في هذه المقالة الموجزة جميع الأصنام المذكورة في القرآن الكريم - الأعلام منها - لكي يتضح في النظرة الواحدة عددها وعصرها ومن كان يعبدها ويعكف لها .

وفي هذا الصدد نبدأ بسورة نوح - عليه الصلاة والسلام - لأن هذا الرسول من أعاظم الرسل وكبارهم وثانيهم تاريخيًا بعد آدم - عليه الصلاة والسلام - كما ذُكر في القرآن الكريم ، وها نحن ذا نجد هاتين الآيتين في تلك السورة نقرأ فيهما أسماء خمسة أصنام لقوم نوح - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا • وقد أضلوا كثيرًا ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ﴾ [الآيتان : ٢٢-٢٤] .

يقول الأستاذ عبد الجليل عيسى : روى ابن جرير ان هؤلاء الخمسة ﴿ ودّاً وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا ﴾ كانوا رجالا صالحين في الأمم التي كانت بين آدم ونوح ، ولما ماتوا زين الشيطان لأتباعهم أن يبنوا عليهم

قال : وأي توقيع ؟

قال : الذي أوصلته إليك من أمير المؤمنين .

قال : متى ؟ قال : الساعة وضعته على الدواة .

فقال له : لقد نمت نومات ، وأظن أنك رأيت في نومك شيئًا .

فطلب عتاب التوقيع ، فلم يجده ، فقال : سرق والله التوقيع ، يا أصحاب الأخبار اكتبوا .

فقال موسى : يا أصحاب الأخبار اكتبوا ، كذب فيما ادعاه ، ما أوصل إليّ توقيعًا ، وأنتم حاضرون فهل رأيتموه أوصل إلى توقيعًا ؟ قم فانظر لعلك يا أبا محمد ضيّعت التوقيع في طريقك .

فانصرف عتاب إلى عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل فأخبره بذلك .

فدخل عبيد الله إلى المتوكل فحدثه فضحك ، وقال : احضروا موسى الساعة .. فحضر .

فقال له المتوكل : يا موسى سرقت التوقيع من عتّاب ؟

قال : أي والله يا سيدي ، ضمنت أن فيه مكروهًا ، ونام عتاب من قبل أن يوصله إليّ .

فأمرت من سرقه ، وقد أعددت نصف المال ، والساعة أحمله إلى صاحب بيت مال الخاصة ، وأحمل الباقي بعد خمسة أيام ، وأتبع ذلك بتضرّع .

فأنفذ المتوكل معه من قبض المال منه ، وانصرف وقد رضي عنه [الفرج : ج/١ ، ص/١٤٢] .

العدد .. فجاء الأجل ولم يحمل المال ، فغضب المتوكل من مرافقته ، وقال لعبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وقع إليه عني برد المال اليوم ، وضيق عليه في المطالبة ، وأنفذ التوقيع مع عتّاب بن عتّاب ومره أن يطالبه ، فإن أخر أداء المال طالبه ، واضربه بالمقارع في ديوان الخراج ، بحضرة الناس ، وأن لا يرفع عنه المقارع ، حتى يصحح المال .

فبادر بعض الخدم إلى موسى فأخبره بذلك ، فجلس ينظر في وجوه يردّ منها المال .

وصار إليه عتاب بالتوقيع مختومًا ، وكان يومًا شديد الحر ، وقد انتصف النهار ، وموسى في خيش .

= وهو نسيج من كتان يعلق في مجارى الهواء ، ويرش بالماء ليبرد ما حوله ، في حجرة من ديوانه ، وفيه مروحة يتناولها فرّاشان يروّحانه ، فدخل عتاب وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه ، فجلس وأكب موسى على الكتاب يتشاغل به ، عن خطاب عتّاب ، وأصاب عتاب برد المروحة والخيش فنام واستثقل .

وكان عتاب قد أخرج التوقيع حين جلس ، فوضعه على دواة موسى ، فغمز موسى بعض غلمانه ، فأخذ الكتاب وغيّبه .

وما زال عتّاب ينام مرة وينتبه أخرى ، وموسى يعمل ، إلى أن انقضت الهاجرة ، وقد توجه لموسى بعض المال ، وأنفذ أصحابه لقبضه .

فقال له عتاب : أنظر فيما جئنا له .

قال : اصلحك الله فيم جئت ؟

قال : فيما تضمن التوقيع .

= والمرأة التي زوجها والدها من ابن أخيه ، فشكت إلى رسول الله -ﷺ- عدم رضاها ، ولما ذكر رسول الله -ﷺ- والدها عدم تزويجها إلا برغبتها ، قالت : لقد رضيت ما رضي لي أبي ولكني أردت أن يعرف الأولياء ، أن لبناتهم حقًا في التزويج والرضا بمن ستعيش معه .

= وهكذا لو تتبع المسلم ما جاء في شريعة الإسلام بمصدريها : كتاب الله -عزوجل- ، وسنة رسوله -ﷺ- من حقوق للزوجة ، فإنه سيجد تأكيدًا على الرجل ، حتى يعطي المرأة حقها في حياتها معه ، إذ نفقتها عليه : طعامًا ومسكنًا ، وملبسًا ومؤنة يومية .

= وإذا طلقها طلاق السنة ، فإنها تعيش في بيته مدة العدة ، لعل الله أن يجعل في قلبه مودة لها ليراجعها حتى تستقيم حياتهما سليمة وهنيّة .

= وإذا مات عنها زوجها تعتمد في بيته الذي مات وهي فيه ، المدة المقررة شرعًا .

= وإذا تزوج عليها أخرى أو أكثر ، يقسم لها ولا ينقصها حقها فيما يقدر عليه ويملكه ، وغير هذا من الحقوق الكثيرة وقد قرأت كاتبة ألمانية حقوق المرأة في الإسلام ، وهي التي تعرف ما ينال بنات جنسها من الإساءة والانتقاص باسم المدنية والحرية ، فقالت : إن الزوجة عند المسلين ملكة غير متوجة ، بما لها من الحقوق والواجبات ، وما تلقاه من الاهتمام والعناية ، وإن المرأة الغربية لتحسدها على ذلك .

حيلـــــة :

كان من قصص بني العباس أن موسى بن عبد الملك استسلف من بيت مال الخـــــاصة مالاً إلى أجل قريب ، وضمن للمتوكل أن يرده إلى الأجل

= وكان كثير المساعدة لأهله في أعمال المنزل ، كما قالت عائشة - رضي الله عنهـــا - : يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويحلب شاته ، ويكنس داره .

والمسلمون لهم في رسول الله أسوة حسنة ، وقدوة في أعماله وتصرفاته ، وتواضعه -ﷺ-. حيث كان يحل القضايا العديدة ، التي تحصل في البيت الإسلامي في المدينة ، بما يعتبر نبراسًا تستضيئ به الأمة في جميع عصورها ، وقد نزل ببعض ذلك قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة :

= فخولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، ونزلت بحالتها سورة قد سمع ، وأحكامًا يستضيئ بها المسلمون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

= وثابت بن يسار روي أنه أراد مضارّة زوجته فكان يطلقها ، حتى إذا قرب انقضاء عدتها ، راجعها ثم طلقها ثانية وهكذا ، فاشتكت لرسول الله -ﷺ- ، فأنزل الله -جل وعلا- : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف • ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٣١] .

= وزينب بنت جحش -رضي الله عنها- ، لما طلقها زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ، وانتهت عدتها ، أمره رسول الله -ﷺ- أن : « يذكرها عليه » فانطلق إليها زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها ، فولاها ظهره ونكص على عقبيه حياء ثم قال : يا زينب أرسل رسول الله -ﷺ- يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن بشأنها في سورة الأحزاب ، وجاء رسول -ﷺ- فدخل عليها بغير إذن .

دعا له رسول الله -ﷺ- ، بأن يفقهه الله في الدين ، ويعلمه التأويل : أن دلالة المعاشرة ، هو أن يتصنع لها كما تتصنع له .

ولذا نهى الإسلام عن الإضرار بأمرأة ، في حالة كرهه الرجل لها ، أو معاندة بينهما بأن يتعمد الرجل الإساءة إليها في المعاملة ، أو يهضمها حقها ، أو يضيق عليها في النفقة أو يهينها بالكلام الجارح أو الضرب لغير سبب شرعي ، وقد أوصى رسول الله -ﷺ- بالمرأة خيرًا في خطبته في حجة الوداع ، وأكد على أدائها حقها في الحياة الزوجية ، لأنها أمانة في عنق الرجل ، استحلها بكلمة الله ، فإن كره منها شيئًا فليفارقها بإحسان ليجعل الله لكل منهما فرجًا ومخرجًا ، وما لا يرتاح له منها : صفة أو طبعًا أو تصرفًا أو خلقًا ، فقد يرضى به الآخر ، ورسول الله -ﷺ- ، يضرب المثل الفريد في حسن العشرة ، والنموذج الفذّ في كسب مشاعر نسائه ، ليأخذ منه أبناء الأمة الإسلامية في أي مكان كانوا ، وبأي زمان عاشوا ، الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة .. وهذا من الأخذ بسنته : قولية أو فعلية أو تقريرية .

= فقد كان يلاطف نساءه ويمازحهن ، وكان طيب العشرة معهن جميعًا .

= كما روى عنه -ﷺ- أنه كان يتسابق مع زوجته عائشة - رضي الله عنها - فسبقها مرة وسبقته مرة أخرى ، فقال : هذه بتلك .

= وكان يسمح لهن بمراجعة الكلام ، حتى إن عمر - رضي الله عنه - تأثر من ذلك ، وحتى إن أبا بكر كاد أن يضرب ابنته عائشة زوج النبي الكريم -ﷺ- ، فحال بينهما رسول الله -ﷺ- ، وقال ملاطفًا ومطمئنًا لعائشة : أرأيت كيف حلت بينك وبينه .

عن سنتي فليس مني » ثم قال -ﷺ- : « يا عثمان إن لنفسك عليك حقًا . ولأهلك عليك حقًا .. فأعط كل ذي حق حقه .. فصم وأفطر ، وقم ونم » فهذا أدب رفيع منِ المصطفى -ﷺ- ، ليعلم أصحابه ما يجب عليهم نجاة أنفسهم ، وحقوق زوجاتهم ، حتى لا يهضموا نساءهم شيئًا من حقوقهن التي شرعها الله ، إذ للمرأة حق مادي بالكسوة والسكن بما يتلاءم مع دخل الرجل ، ولا ينقصها عن مثيلاتها ، وحق وجداني عاطفي ، باحترام المشاعر ، والعدالة عند ما يكون عنده أكثر من واحدة ، وحق معنوي ببذل الجهد في إراحة وجدانها ، وكسب مودتها ، لأن النفس مع من أحسن إليها .

فلقد روى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه كان يتزين لأهله إذا ذهب إليهم ، أو جاء وقت النوم والراحة ، ويقول : لماذا لا أتزين لها ، وآتي إليها في أحسن صورة ، وأطيب ريح ، وهي تعمل ذلك من أجلي ، وما ذلك إلا لإدراكه رضي الله عنه ما يجب أن يرضى شعور المرأة ، ويشعرها باهتمام الرجل بها ، ليزداد إحساسها نحوه وتتوثق رابطة الألفة والعشرة بينهما .

وقد ذكر خير الدين الزركلي في كتابه الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، أنه كان رحمه الله يتزين لأهل طيبًا وغسلاً وملبسًا إذا جاء وقت الإياب إليهم ، ويقول بمثل قول ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وقد قال كثير من المفسرين في قول الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٩] : بأن المعاشرة بالمعروف ، هي الإجمال في القول ، والمبيت والنفقة ، وفهم الحسن البصري من عمل ابن عباس الذي

فهمًا لما يتطلبه الآخر ، وإدراكًا لما يجب أن تكون عليه المشاعر في الحياة الأسرية التي أساسها الزواج ، والتي من المودة المتبادلة ، تخرج الثمرة الطيبة ، وهم الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وأمل الأمة في مستقبلها ، وعدتها في الملمات ..

فكانت الحياة الزوجية ، إذا امتثل كل من الطرفين دوره في أداء الأمانة نحو الطرف الآخر ، وخاصة إذا أعطى القوي وهو الزوج ، ما عليه من حقوق و واجبات ، في تبادل مشترك ، وبراحة قلب للطرف الآخر ، وهو الأضعف وهي الزوجة .. استشعارًا بالواجب ، وامتثالاً لتعليمات شريعة الإسلام التي أعطت المرأة حقها كاملاً ، وحمتها من تسلط الرجل في أي تصرف يريد بها التسلط عليها أو هضمها حقها الذي رفع الله به قدرها في كل ما تتطلبه حياتها .

فإن إدراك هذا الجانب ، والسير فيه ينتج عنه السكن وراحة القلب ، الذي هو هبة من الله للزوجين لتستقيم به هناءة حياتهما ، فقد جعل الله بين الزوجيْن المودة والرحمة ، حيث يتوادّان ويتراحمان ، وما شئ أحب إلى أحدهما من الآخر ، ومن غير رحم بينهما ، ومن غير سابق عشرة ، قبل رباط الزوجية ، ويتمثل هذا الدور في مثل قصة عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - ، الذي أهمل زوجته لصيامه وقيامه ، حتى كانت لا تبالي بنفسها كأنها لا زوج لها ، فأخبرت عائشة - رضي الله عنهما - النبي الكريم -ﷺ- بذلك ، فاستدعى المصطفى -ﷺ- عثمان ، وقال له : أترغب يا عثمان عن سنتي ؟ قال : بل اتبع سنتك يا رسول الله ، قال -ﷺ- : « أما إني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأعاشر أهلي ، فمن رغب

يقرأ الإنسان ويتابع أحوال الأمم في أي مرفق من شئون الحياة ، ويرى ما وقع فيه الناس يمينًا وشمالاً ، من متاهات ، وما أثقلهم من مشكلات عجزوا أن يجدوا لها حلاً ، ليجدها ميسرة في منهج الإسلام ، ومكتملة الجوانب في عقيدة المسلين ، فلا يرون مشقة أو عناء في تصرفاتهم ، ولا في تفاعلهم مع الأمور ، لأن أبسط رجل في المجتمع الإسلامي ، قد حرص على منهج الإسلام ، والتزم ما يأمر به ، فأعطى ما عليه من حقوق ، وتجنب ما زجر عنه من نهى .

وحق المرأة في الحياة الزوجية ، منذ بداية العشرة ، إلى أن تتقدم بها السن ، قد صانها الإسلام ، وأعطاها مكانة عالية ، تنبئ عن اهتمام هذا الدين بجانب كبير في الحياة الاجتماعية ، وقد أولاه ما يستحقه من الرعاية حتى يعيش في كنفه طبقات المجتمع : أفرادًا وجماعات ، مطمئنين ، بعيدين عن القلق النفسي ، الذي يعيش الغرب فيه بحضارته ، ويرزح في ثقله ومعاناة مشكلاته ، أوالآلام الوجدانية ، التي تحاصر المعتنقين للمذاهب الشرقية بمبادئها وتنصلها مع الدين والقيم ، فكان الإسلام وسطًا بين المتطرفين يمينًا والجانحين يسارًا ، فأراح النفوس ، وأيقظ الأفئدة ، حيث جعل سبحانه من آياته تهيئة كل من الزوجين لصاحبه ، ليكون له سكنًا يجلو الهم ، وتتفاعل أحاسيسه مع أحاسيسه : فكرًا وعاطفة وحنانًا ومشاعر ، يقول سبحانه وتعالى في سورة الروم : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها • وجعل بينكم مودة ورحمة • إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [القرآن] أي من جنسكم حتى تتلاقح الأفكار ، وتتحد المشاعر ، وتتقارب وجهات النظر :

الدعوة الإسلامية :

من حق الزوجة

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

لم تهتم شريعة من الشرائع ، ولم يراع مذهب من المذاهب ، أو مبدأ من المبادئ في أي عصر ومصر ، وضع المرأة والارتقاء بمنزلتها ، بمثل ما جاء في شريعة الإسلام ، فقد رفع الله قدرها ، وأعلا مكانتها في الحقوق والواجبات سواء كانت أمًا أو أختًا ، أو زوجة أو بنتًا ، أو بأي منزلة من منازل القربى ، وما ذلك إلا أن دين الإسلام هو دين السمو والرفعة ، وهو الدين الذي اختاره الله لخير أمة أخرجت للناس ، وهو الدين الذي أكمل الله به الرسالة ، وبعث الله أفضل رسله ، وأكرم الخلق عليه الصلاة والسلام .

ولذا فإنه قد شمل شئون الحياة ، وما يسعد بعد الممات ، وكان كتاب الله -عزوجل- وهو المصدر الأول للتشريع في دين الإسلام شاملاً وجامعًا لكل شئ ، وما يدرك أسراره ، وخفايا دلالته إلا من اتسع عله ، وتتبع عقله بالفهم وقوة الإدراك ، وتنوّر ذهنه بضياء الحق واليقين ، المنبعث من لذاذة الإيمان ، الذي أساسه ومرتكزه المتين ما جاء في الحديث الشريف الذي يقول فيه -ﷺ- : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمّد نبيًا ورسولاً » والرضا لا يعني التلفظ بالقول ، بل هو قناعة بالقلب ، ومتابعة بالعمل ، وتكبر دائرة هذا الفهم عند ما

صدق قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - « اللّهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » فيجب أن نعود إلى هذه الميزة ، وإلى هذا الفارق الأصيل الجذري ، بين الأمم ، وأن نكون دعاة إلى الله ، وإلى التوحيد ، ودعاة إلى المساواة البشرية ، وإلى العدل الإنساني ، ودعاة إلى الخضوع لله ، بدل أن نعتبر تقليد الحضارة الغربية ، والشعوب الغربية ، الفوز الأكبر ، فيجب أن نكون معتزين بنفوسنا ، وبإيماننا ، ومعتزين بعقيدتنا ، وبحضارتنا ، ومعتزين بتعاليم النبوة ، و واثقين بنصر الله ، وهنا تتغير خريطة العالم ، وهي لا تتغير بالمؤامرات التي تُحاك هناك ، والمخططات التي توضع هناك ، تتغير خريطة العالم بعودة هذه الأمة إلى منهجها ومبدئها ، وإلى غايتها وإلى ميزتها ، وإلى الكرامة التي أكرمها الله بها .

هذه كلمتي القصيرة ، إنما لخصت كلمتي ، وسيطبع هذا المقال إن شاء الله تعالى ، وتطلعون عليه ، ولكني استحييت وخفت أن أُدخل السئامة عليكم إذا قرأت هذا المقال الطويل ، ولم يكن طويلاً ، بل قصيرًا ، وأرجو من الله تبارك وتعالى أن أكون قد برئت من ذمتي قليلاً ، وقد قمت بواجب الشكر والامتنان لكم ، لأنني قد تعلمت كل ذلك منكم ، تعلمت من هذه الجزيرة العربية ، وتعلمت من المسلمين ومن الأمة الإسلامية الأولى ، ومن كتبها وعلومها ، ومن الذين نشروا الإسلام في كل العالم ، فأرجو منكم أن تتولوا منصب القيادة ، وأن تأخذا مكانكم ، في مجال هذا العصر ، وفي هذه الساحة ، تأخذوا مكانكم اللائق بكم ، المشرف لكم ، والمنقد للبشرية كذلك ، هذه كلمتي القصيرة ، وأشكركم على حسن الاستماع ، وحسن الانتفاع كذلك ، والأمر بيد الله تعالى .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

عبيد أنفسهم ، وعبيد حضارتهم ، لا يستطيع أحد أن يخرج في غير اللباس الذي يلبسه الناس .

ولا يستطيع أن ينصف الناس ، وهو يعيش في مكان متخيل مصطنع ، صناعي سام ، كلهم عبيد مدنيتهم وعبيد عاداتهم ، وعبيد موضاتهم ، وعبيد قوانينهم ، فكان المتوقع والمرجو ، والمعقول ، أن تشفق هذه الأمة ، وأن ترق قلوبها لهؤلآء ، بدل أن تحسد ، وأن تغبط : يا ليتنا نعيش كما يعيش الأمريكيون ، يملكون الثروات العظيمة ، ويملكون الملايين ، يا ليتنا عشنا كما يعيش البريطانيون والهندوس ، لا أبدًا ، كان الواجب أن نترحم ، وأن ترقّ قلوبنا لما هم في ضيق ، لما هم عبيد لموضاتهم وقوانينهم وأنفسهم .

أيها الإخوان ! إن شريطة بقائنا ، وعزنا وشرفنا ، وشريطة نصر الله لنا ، أن نعيد خصائصنا وميزاتنا التي رفعنا الله بها على الأمم ، وأما أن نقلدهم في موضاتهم وثرواتهم ، ونحسدهم على سلطتهم مثلاً ، فهذا عدم قدر لنعمة الله تبارك وتعالى فلابد أن نذكر دائمًا أن الله تعالى قد نصرنا في بدر لأنه صدق قوله ، إن تهلك هذه العصابة لن تعبد ، فصدّق الله تبارك وتعالى هذا ، فيجب أن نحافظ على هذه الشريطة ، وأن نقوم بواجب الدعوة ، لا نحسدهم ولا نغبطهم ، بل ترق قلوبنا لهم ، وأن نخرج إلـــى هذه البلاد دعاة ، هادين ، موجهين ، مرشدين ، نعم ، ونضرب لهم مثلاً ، في البساطة ، ومثلاً في صلابة الإيمان ، وندعوهم إلى أن يجلونا ويعتمدوا علينا ، ويقتبسوا منا ، ويستنيروا منا نور الحياة ، ونور الفطـــرة السليمة ، ونور خشية الله تبارك وتعالى ، ونور الاعتماد على الله ، ونور المساواة البشرية الحقيقية ، هذا الذي نخافه الآن ، إن المسلمين قد نسوا أو تناسوا ، هذه الشريطة ، إن الله قد نصرهم لأنه

لأجلنا ، ما جئنا في مصلحتنا ، ما جئنا في قضاء وطرنا ، ما ساقنا إليكم أيها الفرس ، الطمع في الملك ، أو الطمع في الثروة ، إننا ساقنا إليكم الترحم عليكم ، والإشفاق عليكم ، العطف عليكم ، كيف تعيشون ؟ « لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها » أنتم في ضيق ، أنتم كمثل البلبل في قارورة من زجاج ، قد وضع فيها الماء ، أنتم تعيشون كبلبل ، تحتاجون في كل شئ إلى كل شئ ، كما رواه المؤرخون الأمناء ، منهم أستاذ كبير أستاذ في دنمارك ، وله كتاب خاص بالساسانيين يقول : إن يزدجرد ، خرج لما رأى أنه لا محل له في العاصمة الفارسية العربية ، رأى أنه لابد أن يلجأ إلى التهرب ، فأخذ معه ألف طاه وألف مغن ، وألف مرب للصقور ، فقال : يا ويلتا كيف أعيش بهذه القلة القليلة ، ما أشقاني ! ما أتعبني ! أخرج بهذه القلة القليلة كيف أعيش ؟ فنحن خرجنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، يقول هذا ربعي بن عامر : والله قد فات كثيرًا من المؤرخين ، والمبتبصرين ، والمعلقين ، والمعلمين ، والمحللين ، للحوادث التاريخية أن يفكروا فيها ، ويعطوا هذه الكلمة حقها ، من التأمل ، كيف يقول ربعي ابن عامر وهو رجل يسكن في خيمة : قد خرجنا لنخرجكم من ضيق الدنيا ، قد أخرجنا الإشفاق عليكم ، العطف عليكم ، والرحمة بكم ، قد خرجنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، هذه الميزة لهذه الأمة ، يا أمة محمد -ﷺ- ويا سكان الجزيرة العربية ، والبلاد العربية ، والناطقين باللغة العربية ، والفاهمين للقرآن بالطريق المباشر ، تفكروا في هذا ، و وازنوا هذه الأمة أن ترثى لأهل أمريكا ، وأن ترثى لأهل بريطانيا ، وأن ترثى للدول الكبيرة ، كلها تعيش في ضيق ، كلها عبيد الموضات ، والأحكام التي هم وضعوها ، وهم

[illegible]

حياتهم ، وكفاءتهم وذكاءهم ، وطاقاتهم كلها ، لدراسة اللغة العربية .

فأقول يا إخواني ! إن أكبر شئ يجب أن تحرص عليه الأمة الإسلامية ، وتعض عليه بالنواجذ ، وتتمسك به بكل قوة ، هو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتبليغ أحكامه ، وتنفيذ أوامره ، والدعوة إلى التوحيد الخالص ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، فإذا فقدت هذه الأمة - لا قدر الله لها - هذه الشريطة فقط ، امتلكت كل شئ ، امتلكت ما تمتلك أمريكا ، وما تمتلك بريطانيا ، إنكم تعرفون جميعًا : إذا قيل لواحد : إنك لو فعلت كذا لأعطيتك كذا ، فإذا فعل هو كان عليه أن يوفى له الوعد ، وإذا لم يحقق هذه الشريطة فلا يستحق هذه الجائزة ، فجائزة هذه الأمة مشروطة - ولا أقول رضا الله ونصر الله تبارك وتعالى - مشروطة لبقاء هذه الأمة على هذه الصفة ، الصفة الفريدة ، الميزة ، والصفة المشخصة ، والصفة الكبرى التي تدعو هذه الأمة أن تعبد الله ، وتدعو إلى عبادته ، وليس معنى ذلك أن تكتفى بالصلاة ، وإن كانت الصلاة لها أكبر فضل ، و لكن لا يكفي أن تصلي هذه الأمة وأفرادها في المسجد فقط ، وتكتفي بها ، وهذا المسجد ، عامر بعبادة الله تبارك وتعالى ، بل من الواجب أن تدعو البشرية كلها إلى عبادة الله وحده ، وإلى عقيدة التوحيد ، وأذكر لكم على سبيل المثال كلامًا حضرني الآن ، وهو أن رستم قائد قواد الفرس الذي كان يلى يزدجرد ، ويلى امبراطور إيران في المنزلة وفي المكانة وفي القوة ، أرسل إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : ارسل إليّ أحدًا من جيشك ، نسأله ونستفسره ، ونستوضحه ، لماذا جاء العرب ، وقد مضت عليهم قرون متطاولة ، ولم يحلموا بغزو الفارس ، بل لم يروا في المنام أنهم يغزون الفارس ، فإن العرب ما كانوا يحلمون بذلك ما كانوا يرون حتى في المنام أنهم سيغزون الفارس ، ورومة الكبرى ، ولكن حقق

وبكتابه تبارك وتعالى ، الكتاب المحفوظ ، الذي يقول الله فيه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فشريطة بقاء هذه الأمة ، أقولَ لكم بكل صراحة ، ليست الاقتباس المدني من هذا البلد ، وذاك البلد ، ولا مسايرة الموضات ومسايرة العادات والتقاليد ، ومسايرة الأحكام الحضارية ، ومسايرة قوانين الحضارة ، ليس شئ من ذلك هو الضامن لبقاء هذه الأمة ، الشئ الوحيد الضامن أن تظل هذه الأمة متمسكة بعقيدة التوحيد ، متمسكة دائبة على عبادة الله تبارك وتعالى وتنفيذ أحكامه وشرائعه في العالم ، كلما سنحت لها الفرص ، وكلما فتح الله لها ونصرها الله تعالى ، وكل بقعة تدخلها ، وتحكمها ، وكل مجتمع تسوده ، تنفذ فيه إرادة الله ، وتخضع لله تعالى ، وتواطئ رأسها أمامه ، تدعوه ، وتبتهل إليه وترجو منه ، تخافه ، وتنفذ شريعته ، وتطبق أحكامه على البشرية كلها ، وعلى المجتمع البشري كله ، فإذا فقدت هذه الأمة – لا قدر الله لها – هذه الشريطة ، فقد فقدت جدارتها للحياة ، واستحقاق هذا البقاء ، أقول لكم هذا وأنا أحمد الله تبارك وتعالى .

إن الله سبحانه وتعالى هيّأ لي هذه الفرصة الكريمة لإطلاق هذه الكلمة ، في أرض ندين لها في الدين ، ندين لها في الإيمان ، وفي الإنسانية ، وفي الفضيلة ، وفي الحضارة ، وفي الثقافة ، وفي كل شئ ، وفي هذه اللغة التي تعلمناها منكم ، أنا نشأت في الهند ، ولكن الإسلام هو الذي هيّأ الطريق للعثور على هذه اللغة العربية ، في بلاد تحارب فيها اللغة الوطنية الأردية الفصيحة العامرة ، الزاخرة بالمكتبات ، والزاخرة بالآداب الرفيعة ، والشعر البليغ ، البلاد التي تحارب فيها اللغات المحلية ، تغزو فيها هذه اللغة العربية ، وهنالك مدارس تدرس اللغة العربية ، وشباب يهبون

والسلام – ما جرت على لسانه هذه الكلمة ، الخارقة للعادة ، المحيرة للعقول والألباب ، وغير المتوقع ، لم يكن أحد يتوقع أن يقول الرسول هذه الكلمة ، إنما كانت إلهامًا من الله تبارك وتعالى ، في معركة بدر على رغم قلة العدد ، ورغم ضعف أسلحتهم ، كان ذلك برهانًا على أن قيمة بقاء هذه الأمة ، عزيزةً منصورةً ، غالبة فائزة ، منتصرة وعالية ، وكلمتها عالية ليست إلا من عند الله تعالى ، ولو لا هذه الأمة الإسلامية لما كان هناك أحد يدعو إلى عبادة الله وحده ، ويعبد الله وحده ، ويحاول تنفيذ شرائعه وأحكامه ، في الأرض ، ومعنى ذلك أن قيمة وشريطة وجودهم ، وأنا أقول بكل صراحة ، كما افتتحت حديثي هذا بقوله تعالى : ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ فشريطة بقاء هذه الأمة ، عزيزةً شريفةً مكرمةً ، منصورةً من الله غالبةً ، رغم المعارضات ورغم المؤامرات ، ورغم المناوئات ، والمناوشات ، والحروب الطاحنة ، التي تقضي على الأمة ، و تستأصل أمة بأصلها ، إن شريطة بقاء هذه الأمة ، هي أن تعبد الله وحده ، أينما كانت ، وتنفذ أوامره ، تطيعه وتنقاد له ، وتجاهد في تنفيذ شرائعة في العالم كله ، فإذا فقدت هذه الأمة ، هذه الميزة ، أقول لكم بكل صراحة ، الميزة التي كانت سببًا لانتصارها على العدو الغالب الكاسر ، شاكي السلاح المسلح ، شريطة بقاء هذه الأمة أن تظل دائمًا في كل مكان وفي كل زمان متمسكة بعبادة الله تعالى وعقيدة توحيد الله ، أقول لكم بكل صراحة : حتى في هذه البقعة الشريفة ، في الجزيرة العربية ، التي انبثق منها نور الإسلام ، وانتشر منها ضوء الإسلام ، ومنها نال الجيل البشري ، في كل عصر ثروتين عظيمتين ونعمتين كبيرتين ، ثروة الإيمان ، ونعمة القرآن الكريم ، نعمة الإيمان بالرسول –ﷺ– ، وبشريعته

. العارف بأنه أسمى من كل هذا ، ومهما انهزمت الطوائف ، وانتصرت الطوائف ، وقامت الدول ، أو زالت الدول ، وتقلبت الأحوال والأوضاع ، فإن الله غني عن كل ذلك .

كيف قال الرسول -ﷺ- هذا الكلام ، « إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » حتى كان سببًا للنصر ، النصر المبين ، النصر الخارق للعادة ، المحير للعقول والألباب ، والتجارب الحربية ، وتاريخ الحروب الساحقة ، لما قال الرسول -ﷺ- إن تهلك هذه العصابة ، كان معنى ذلك نصر الله المسلمين ، وكان معنى ذلك أن قيمة المسلمين ، وأن شريطة بقاء المسلمين ، وأن مبرر وجودهم ، رغم هذه المعارضات العنيفة ، وهذه المؤامرات الدقيقة ، وهذه العزائم القوية ، وهذه الأسلحة المدمرة ، هو أنهم يدعون إلى عبادة الله تبارك وتعالى ، يعبدون الله وحده ، ويجاهدون ، ويجتهدون ، لتنفيذ أوامر الله تبارك وتعالى وشرائعه ، وهذه هي القيمة لهذه الأمة .

إخواني ! لا أدل من هذا ، ولا أوضح من هذا الكلام ، وأنا أقول ذلك في ضوء دراساتي الواسعة المقارنة وتجاربي الحيوية والطبيعية والعقلية ، أولاً نستغرب كيف قال الرسول -ﷺ- هذه الكلمة الواضحة الصريحة التي لا يقولها الرسول بنفسه ، وهو العارف بالله تبارك وتعالى ، وأقول هذا وأنا في بيت الله وفي الجامع ، أمام الناس جميعًا ، إن رسول الله -ﷺ- أعرف الناس قاطبة بغير استثناء ، أعرف بجلال الله وأعرف بغنائه ، وهو يعرف انه غنى عن العالم كله ، وأنه لا يحتاج إلى الأسباب ، لا يحتاج إلى من يدعو إليه ، ويدعو إلى التوحيد ، وإلى عبادة الله وحده ، هذا الرسول أعرف بني آدم بغناء الله تبارك وتعالى ، وبصمديته ، ولكنه قال ذلك بإلهام من الله تعالى ، أنا أومن بأن الرسول - عليه الصلاة

وهم ألف جندي بسلاح تام ، وهؤلاء ثلاث مائة رجل ، فكان العقل العام ، ولاستنتاج النتائج في ضوء الوقائع وفي ضوء العقل العام ، يُقرر ويقضى بأن المسلين – لا قدر الله – سيُهزمون ، واستعرض الرسول -ﷺ- هذا الواقع ، وإن استعراض الشئ ، شئ معقول ، وشئ إنساني ، شئ حسّي لا بأس به ، استعرض الواقع فرأي أن الفجوة بعيّدة جدًا ، وأن التفاوت عظيم جدًا لا يقاس ، ألف رجل شاكيي السلاح ، مدربين للحرب ، ومتحمسين جدًا ، للقضاء على المستقبل الإسلامي ، القضاء على الدعوة الإسلامية ، وهناك ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، فيهم بعض الصبيان ، الذين جاءوا وحرصوا على المشاركة وأن يُسمح لهم ، بالخوض في المعركة والمشاركة في الحرب ، فلما رأي الرسول -ﷺ- هذا الواقع قام يصلى ، لأنه يعرف أن النصر بيد الله تبارك وتعالى و أن السلاح ليس هو القاضي المقرر للمصير ، والعدد ليس هو القاضي المقرر للمصير ، وليس التجريب الحربي ، والحماس الحربي هو القاضي المقرر للمصير ، والقاضي لإرادة الله تبارك وتعالى ، فبدأ يصلى ، ويخشع ويرق قلبه ، وتدمع عيناه ، حتى رق له قلب سيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : يا رسول الله ! توصل على الله ، لا تفزع وهو لم يستطع أن يحتمل هذا المنظر ، فقال رسول الله -ﷺ- جملة هي تستلفت نظركم واتجاهكم وتأملاتكم ، إن هذه الجملة – وسامحوني إذا قلت – تفوق كثيرًا من التأمل فيها ، والاعتبار بها ، ومعرفة قيمتها « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » وجاء في بعض الروايات وبعض السير « لن تعبد على الأرض » وفي رواية « لن تعبد أبدًا » فكيف يكون هذا الرسول العارف بالله تبارك وتعالى ، العارف بغنائه ، العارف بصمديته ، العارف بقدرته

وما هي المنازل المكتوب عليها أسماء الساكنين ؟ لم يتيسر لهم الجواب ، ذلك لأن الإنسان إذا مر بشيئ عادي ليست له عناية به ، أو ليست عنده حاجة إليه ، فإنه يمرّ به مرًّا سريعًا ، وكذلك يحدث مع الدارسين للتاريخ الإسلامي ، والتاريخ البشري ، وتاريخ الحروب الطاحنة ، وتاريخ الثورات الكبيرة ، التي يرتبط بها مصير الأمم والشعوب ، فإنهم قد يمرون بجملة أو بعبارة أو بحادثة ، تسترعى انتباههم وتستوقفهم وقفة طويلة ، وقفة خاشعة ، وقفة متأملة ، كيف وقع هذا ؟ وكيف تكلم فلان بكذا ؟ ذلك لأنه قد اعتاد قراءة الاطلاعات عن الحوادث ، ودراسة التاريخ ، فيقرأ التاريخ كأنه شيئ عادي ، وهذا يقع كثيرًا ، فاعتبر نفسي واعتبركم من المطلعين على التاريخ ، ومن الدارسين المتتبعين ، لتاريخ الإسلام ، والسيرة النبوية ، فأنا انتهز هذه الفرصة الكريمة ، التي أتاحها الله لي ، وأكرمني بها ، أن استلفت انتباهكم ونظركم إلى جملة تأتي في التاريخ ، والسيرة النبوية ، ولكنها لا تسترعى انتباهنا ولا تستوقفنا ، وكانت جديرة أن تستوقفنا وقفة خاشع ، حائر ، متأمل ، دارس ، باحث ، متسائل ، كيف قال فلان هذا الكلام ، كيف وقع هذا ، نقرأ في التاريخ والسيرة النبوية ، أنه لما زحفت قريش على المدينة ، وكان عدد المقاتلين كما رواه التاريخ بالإجماع أنهم كانوا ألف رجل شاكيي السلاح ، مدججين به ، وكان عدد الذين جاءوا إليهم ليقاتلوهم ، لا يتجاوز عن ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلاً ، وكانت النسبة بعيدة ، والفجوة لم تكن عميقة ، فحسب ، بل كانت شاسعة جدًا ، وكان القياس يقتضى ، وكان العقل البديهي ، وكانت تجارب العقل الإنساني يقضى ، بأن المسلين – لا قدر الله تعالى ، واستغفر الله العظيم – سيُهزمون ، لأنه لا نسبة بين العددين في أيّ حال ،

التوجيه الإسلامي :

اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد !

[هذه أول محاضرة ارتجلها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، في الموسم الثقافي (١٧) الذي دعي إليه ، لالقاء محاضيرات في موضوع الدعوة الإسلامية ، على دعوة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة قطر ، في شهر ذي القعدة المنصرم (أبريل ١٩٩٥م) نقلها من الشريط أخونا الأكرم الأستاذ محمد إكرام الحق الندوي مشكورًا ، ننشرها هنا نظرا إلى قيمة المحاضرة وأهميتها ، وتعميما للنفع] [التحرير]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لو لا دعاؤكم • فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا ﴾ سادتي وإخواني ! أنا حائر في أمري ، هل أقرأ المحاضرات التي أعدت ، لهذه المناسبة الكريمة ، أو أن ارتجل كلامي ارتجالاً ، وقد جربنا وشاهدنا مرارًا ، أن الكلمة المكتوبة إذا تُليت تلاوة قد تشق عل المستمعين ، ويتبرمون من سماعها ، فاعتمد على الله ، فأقول ما يفتح الله به عليّ ، في ضوء هذا المقال الذي سيطبع ، وسيوزع إن شاء الله تبارك وتعالى ، وتطلعون عليه .

إخواني ! إننا جربنا على المجتمع البشري وعلى الأفراد الإنسانية ، وعلى إخواننا وعلى أنفسنا أيضًا ، أننا إذا مررنا بلوحات ولافتات مرات كثيرة ، وبطريق عادي يومي ، فإنها لا تسترعي الانتباه ، وقد يمكن إذا سئل أحدهم ، ما هي اللوحات التي تمرون بها كل يوم ، وما هي اللافتات ،

العالم ، وهي تشقى في عقيدتها وحضارتها ، ومقدساتها وبُعدها الإيماني ، من أجل هذه العداوة التي امتزجت بلحوم ودماء رؤس السياسة العدائية الذين لا يهمهم إلا أن يشنوا الغارة على كل ما ينتمي إلى الإسلام أو يكون له به صلة ما .

إنني اعتقد أن واقع السياسة اليهودية العالمية التي تتبناها الولايات المتحدة نحو الإسلام والمسلين إنما هو تفسير لقوله تعالى : ﴿ لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ وإن وقفة قليلة متأملة على هذه الآية الشريفة لتعطينا صورة كاملة لواقع العداء وظاهرة الانتقام اللذين يتولاهما اليهود والمشركون بإزاء العالم الإسلامي والدين الإسلامي ، ويركزون على هذه النقطة بصورة مذهلة .

أما مودة النصارى للمؤمنين فقد تحققت يوم كان فيهم قسيسون ورهبان ، وتوجد في نفوسهم جمرة إيمان ، وما كانت لهم أي صلة باليهود الذين كانوا يتهمون دين النصرانية بقرف وإتهامات خبيثة لن يرضى بها النصارى عن اليهود البتة ، ولكن تغير الوضع حين تصافحت اليهود مع النصرانية في سبيل العداوة للإسلام ، والتقى الفريقان على نقطة التدمير والقضاء النهائي على المسلمين ، وتشويه صورة الإسلام النقية الجميلة الوضاء .

وذاك ما نشاهده اليوم في أشكال مختلفة وأساليب متنوعة ومخططات مدروسة تتجلى بغاية من الوضوح في كل مكان ، وتستهدف الإسلام دينًا وعقيدةً ، وحضارة وشريعة ، وأمة ، وتستهدفه منطلقًا للاشعاع الفكري والإيماني . فإلى الله وحده المشتكى: ﴿هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ .

ويقول الله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾

سعيد الأعظمي

التي كانت سببًا لا نتشاره في العالم بالاجبار . وأن الملوك المسلمين هم الذين فرضوا دينهم على الناس . وهي تعتبر العصر الراهن فترة الانتفاضة العقلية وخروج الإنسان من الحصار الذي عاشه لمدة طويلة إلى عالم حرّ لا يُقرّ بسياسة الإكراه التي وقع فريستها الناس في التاريخ الماضي . وهي تزعم بأنها سوف تستعيد اليوم ما قد فقدته على يد العصبية الدينية والحضارية فيكون ذلك إيذانًا لنهاية الاضطهاد الديني والسياسي . وافتتاحًا لعهد جديد سعيد . وهنالك يحرم المسلمون مكانتهم ويكتب لهم « الشقاء والعبودية » حينما تتقدم إليهم الشعوب المضطهدة بسوط النقمة . وتذيقهم سوء العذاب على الجريمة التي اقترفوها في التاريخ .

بمثل هذه الترهات والأباطيل يجهر أعداء الإسلام اليوم على مسمع العالم ويشنون الغارة الشاملة بكل أسلوب ممكن على شريعة الإسلام وأحوال المسلمين الشخصية . وبلادهم العريقة في الإسلام . ويتناولون الحضارة الإسلامية بالتزييف . والحياة النزيهة الدينية التي يُعلها الإسلام . بمعاول الهدم والنقد اللاذع . ويستهزأون بها على رؤس الأشهاد . ولقد أشعلوا نار الفتن والبلاء في كثير من أقطار المسلمين ونفذوا مخططات التدمير والإبادة الكاملة في مجتمعات إسلامية واسعة . وكأن السياسة اليهودية اليوم تلعب بمصير المسلمين وتحاول تعريتهم عن لباس الحشمة والوقار . على قارعة الطريق . وتعاملهم معاملة العبيد الأذلاء . وهل هناك صورة أوضح لهذه الذلة والاستيلاء على المصير . من حياة المسلمين في فلسطين المحتلة . والهدنة المزعومة التي نكست رؤس المسلمين في جميع أنحاء العالم . وليست فلسطين وحدها . بل إن هناك أبشع الأمثلة من الازهاق والتدمير . التي تعيشها الأقليات الإسلامية في

في بلدان المسلمين ، ولم تكن بداية هذا الاحتواء من تركيا إلى بنغلاديش عملاً عاديًا ، وإنما هو جزء من برامج الإذابة والتمويع لبلدان المسلمين « الأصوليين » أولاً ، ومنها العالم الإسلامي بكامله الذي يعتبر مهد الإسلام ومنطلق الإيمان والدعوة الإسلامية في العالم كله .

هناك دعوة ملحة إلى ما يسمونه بوحدة الأديان ، ولا يريدون بها إلا الإسلام الذي يجب أن يندمج مع اليهودية والنصرانية والهندوسية والبوذية ويتصالح معها على شريطة التنازل عن بعض خصائصه ، بل عن تميزاته ، ولا يلح على تشخصه الإسلامي وشكله الديني الخاص ، ذاك لأن الإسلام إنما هو دين المرونة والتسامح والأخلاق يُجل جميع الديانات السابقة ويحترم أهلها والداعين إليها ، وليس فيه إكراه ولا ممالأة .

بهذا وأمثاله من الادعاءات والافتراضات ، والكلمات المعسولة يدعون إلى اختيار موقف لين في العقائد الأساسية واتخاذ طريق الحياد في شأنها ، وخاصة في العالم المتغير الذي يعيش مرحلة انتقال من عالم منغلق محدود إلى عالم يتميز بالانفتاح والحرية والحضارة والعلم ، ولا يحتمل تقديس الأصول والجذور ، لذلك فإن من اللازم أن تتوحد الأديان في ضوء الواقع وتفسح الطريق للعالم البشري يتطور ويتقدم إلى الإنسان بتسهيلات حضارية وفلسفات جديدة للحياة والمجتمع ، فذلك هو السبيل الوحيد لبقاء الديانات في المسابقة العالمية بين الحضارات والعلوم والسياسة ومهما أطلق الدعاة إلى هذه الوحدة الدينية كلمة الأديان ، ولكنهم لا يعبرون بها إلا عن الإسلام ، ولا يتوخون من وراء هذه المحاولة إلا أن يذوب الإسلام عقائديًا ولا يبقى له إلا هيكل ظاهريّ فقط .

وقد يشوب هذه السياسة نوع من العاطفية الخرقاء لدى بعض الجماعات المتطرفة التي تعادى الإسلام وتنادى بأن سيوف المسلمين هي

ولا يرضون بالحيد عنها قيد شعرة في أي حال ، وذلك ما يسميه رواد الفكر الغربي وحملة لواء العالم المتغير اليوم بالأصولية الإسلامية تارة ، وبالتطرف الديني والإرهاب تارة أخرى ، وهم يعدون لمحاربة ذلك وسائل ذات التأثير القوى ، سواء بالعنف والإكراه ، أو بالحث والإغراء ، ومن لا يستجيب لهم فليستعد لمواجهة أسوأ مصير ، وعقاب طويل ، من فرض حروب إبادة ، وتصفية جنسية ، كما هو الواقع المعاش في كثير من بقاع العالم حيث يعيش المسلمون أو فيها أقليات مسلمة ، وهم يتجرعون كأس المرارة والعذاب منذ أمد طويل .

يتفنن أعداء الإسلام في محاربة المسلمين وإذابتهم في بوتقة الكفر والإلحاد ، ويأخذون أساليب شتى لتحقيق هذا الغرض من الإرهابية والتخويف ، ونشر الأدواء الخلقية من الانحلال والإباحية والتعويد على المخدرات الخطيرة ، والأزمات النفسية والمشكلات الاقتصادية ، والتلويثات البيئية ، والتهديد من المجاعة العالمية من أجل الانفجار العمراني والكثافة السكانية ، وإقامة المرأة مقام الرجل في الحكم والسياسة والتدخل في القضايا العالمية ، بصرفها عن شئون التربية والتدبير المنزلي ، والإشراف على بناء الأسرة السعيدة ، وحسبنا كدليل على هذه الرؤية الشاذة نحو المرأة ما يوجد اليوم في بلدان المسلمين العريقة في الإسلام والتي دينها الرسمي الإسلام ، وأهلها الساكنون من المسلمين المتصلبين في العقيدة ، من ظاهرة تولية المرأة مقاليد الحكم وإقامتها في أخطر وأهم منصب سياسي ، وهو منصب رئاسة الوزارة ، وتعيينها كرئيسة الوزراء في تركيا ، وباكستان وبنغلاديش ، وليس هذا العمل صدفة من صدف التاريخ أو المصادفات السياسية ، إنما تم ذلك بتخطيط كامل من السياسة الأمريكية الخارجية التي تركز على سياسة الاحتواء

لإسلامي ، إنما يفوق جميع ما قد سبق في التاريخ من أحداث استهدفت لإسلام وتصفية المسلمين بغاية من العنف ، وهو يقوم بهذه العملية لهدامة بطريق مباشر وأسلوب سافر ، دون أن يعتمد فيها على فلسفة أو كر أو حكمة .

ذاك ما هو المشاهد المعلوم وما يجرى على مرأى العالم ومسمعه ، في بميع بلدان المسلمين شرقًا وغربًا وتتناقله وكالات الأنباء و وسائل لإعلام في كل مكان ، ولا أدل على المواقف العدائية والعدوانية التي تفها الغرب بتعاون من الأمم المتحدة ومجلس الأمن التابع لها ، من ذلك لقصف والنسف والتدمير الكامل الذي يعيشه المسلمون في البوسنة الهرسك ويقلده الرئيس الروسي « يلتسين » في الشيشان ، وما جاورها ن الجمهوريات التي تعيش فيها أغلبيةُ المسلمين ، ولعله يريد بذلك أن يستعيد إلى النفوس هيبة الاتّحاد السوفياتي التي تذاوبت مع سقوط لنظام الشيوعي في عام ١٩٩٢م ، ولكنه سوف لا ينجح في هذه المحاولة لتي يصر عليها ، بإزاء تلك السياسة الأمريكية التي دخلت مراحل بديدة منذ انقراض الخطر الشيوعي ، وهي مرحلة الاحتواء التي يركز عليها الغرب ، ويعمل من ورائها على إثارة المشكلات من كل نوع ، وتغيير سورة المجتمعات البشرية والحياة الاجتماعية بدليل أن الإنسان يعيش ليوم في عالم متغير يفرض عليه أن يدور في فلكه ، ويتجاوب مع طالبه ، ثم ينسجم مع متغيراته من غير أن يعوق طريقه شئ من لتقيدات الدينية والتقاليد الخلقية ، والأعراف الاجتماعية الموروثة .

من هنا نستطيع أن نقدر نوايا السياسة الغربية في قلب موازين لحياة الاجتماعية رأسًا على عقب ، ومقاومتها القيم الإيمانية التي يتمسك بها المسلمون ويلحون عليها في جميع شئونهم الفردية والجماعية .

الأوربية ، وبعثت في جسم الأمة النائمة التائهة دبيب الحياة ، وشقّت لها الطريق نحو العودة إلى حياة طبيعية ، ومن هنالك عُرفت أوربا بالتقدم في مجالات من العلم والفنون الإنسانية .

ولكن سرعان ما تناست أوربا منة الإسلام عليها ، وما علمها المسلمون من مفاهيم السعادة والقيادة ، وثارت في نفوس أهلها من العداوة والبغضاء التي ورثوها أبًا عن جد ضد الإسلام وأهله ، وقد كان آباؤهم من اليهود والنصارى ، تآمروا على رسول الإسلام -ﷺ- ، ولم يدخروا وسعًا في القضاء على الدين الذي جاء به من عند الله نورًا وكتابًا مبينًا ، ولكن الله أبي إلا أن يبقى هذا الدين ، يسود ويدوم ، ويفتح للناس أبواب الحق والسعادة ، ويبعث أمة تمثل حياة الإيمان والحب والحنان ، وتقيم في الأرض قسطاس العدل والحق ، وتتسلم زمام القيادة العالمية على جميع المستويات ، ولو أن اليهود والنصارى استسلموا للهداية ودخلوا في دين الله الأخير ، لم يحرموا قيادة العالم ، ولكنهم زعموا الإسلام دينًا جاء لاقصائهم من منصة القيادة ، وإذهاب دولتهم وشوكتهم ، وكان هذا الزعم كفيلا بأن يملأوا صدورهم بغضًا وعداوة ضد الإسلام وأهله ، ولا يدعوا أي وسيلة للإضرار والانتقام إلا ويستخدموها ويُصرّوا عليها : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم • وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ ﴿ لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

ورث اليهود والمشركون هذه العداوة كابرًا عن كابر ، وأضمروها في نفوسهم يتربصون الفرص السانحة للتظاهر بها ، قد شهد التاريخ بين فترة وأخرى آثار هذه العداوة والبغضاء منذ أن طلع شمس الإسلام على أفق تهامة ، وملأت أرض الله نورًا وبهاءً ، فإن هناك حوادث كثيرة تمتد على مدى الزمان ، كانت نتيجة لهذه العداوة المتأصلة في النفوس ، ولكن الذي يواجهه الإسلام والمسلمون اليوم من تحديات خالصة يوجهها المعسكر الغربي الذي يتولاه اليهود والنصارى في وقت واحد ، إلى العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الواقع الرهيب لعداوة الغرب وحقده على الإسلام !

تتزايد الحساسية في الغرب ضد الإسلام ، مع مرور الزمن ، حيث تتركز الجهود على إقصاء كل ما ينتمي إلى الدين الإسلامي ومقاطعته في جميع المجالات ، وتتجلى الكراهية الشديدة له في الإجراءات السريعة التي يمارسها الغرب في تأصيل جذور المتغيرات السياسية والاجتماعية التي تساعده في تأسيس نظام عالمي جديد يقوم على معاداة الإسلام وتفنيد نظامه « الجائر» الذي طوي بساطه ، و لم يعد فيه للحياة والمجتمع أي غنية ولا سند٠هكذا يزعم فلاسفة الغرب ، ومن هذا المنطلق العدائي يتوجه الغرب اليوم إلى مجتمعات وبلدان المسلمين باعداداته الهائلة للقضاء عليهم نهائيًا وتصفية وجودهم على وجه الأرض ، ولعله يريد من خلال ذلك أن يشفي غليل الانتقام من المسلمين ، يوم هزموه في ساحات الحروب الصليبية ، وطردوه من العالم الإسلامي الذي كان يتخذه منطلقًا لأهوائه ومؤامراته على الإسلام وحضارته الإنسانية الشاملة .

لقد كانت أوربا تعيش وحشية وظلامًا في طوايا النسيان ويغلب عليها نوم السبات يوم جاء الإسلام ، فأفاض على الإنسانية بنوره الوهاج وشريعته الغراء ، وأتحفها بحضارته العصماء ، وكان من سعادة الغرب أنه تعلّم من المسلمين آداب الحياة ، وتلقّى منهم توجيهات في العلم والحضارة وتسنّى له الخروج من الظلمات التي كانت تخيم عليه ، منذ قرون متطاولة ، وأسدت إليه الخلافة الإسلامية منة ، ورثت لحال أوربا التائهة فبعثت إليها وفود الخلافة التي حلت بأرض الأندلس واتخذتها مركزًا للاشعاع الديني والحضاري فأرسلت منها أشعتها إلى جميع البقاع

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :	ربيع الثاني ١٤١٦هـ
سعيد الأعظمي الندوي	سبتمبر ١٩٩٥م
واضح رشيد الندوي	

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

بالشريعة الإسلامية مباشرة وبدون واسطة ولا يهمهم ما جرى من إدخال بعض التعديلات في الأحوال الشخصية الإسلامية في بعض البلدان الإسلامية . وأضاف النجرامي قائلاً للوزير الداخلي بأن جميع الأقليات في العالم لديهم حساسية زائدة لدينهم وثقافتهم وحضارتهم وبالتالي يجب مراعاة هذه المشاعر لصالح البلاد . واستمع الوزير المركزي للأمن الداخلي إلى شرح النجرامي لبعض القضايا والمشاكل التي يواجهها المسلمون و وعد بأنه لن يقصر أبدًا في أداء واجباته نحو الأقليات الموجودة في الهند .

صحيفة أسبوعية إسلامية باللغة الهندية

حققت جمعية المثقفين المسلمين في الهند نجاحًا باهرًا بعد جهود مضنية في إصدار صحيفة أسبوعية إسلامية باللغة الهندية تحمل اسم «هم أور وه» يعني (نحن وهُم) والتي تصدر صباح يوم الاثنين كل أسبوع .

والصحيفة سوف تخدم القضايا الإسلامية وتسد فراغا هائلاً في مجال الإعلام الهندي وتتخذ على عاتقها مسئولية الدعوة الإسلامية بين المنبوذين والطبقات المتخلفة من الهندوس وتقوم بعرض تعاليم الإسلام في صورتها الصحيحة في ضوء الكتاب والسنة .

ورئيس التحرير لهذه الصحيفة الهندية هو البروفيسور محمد يونس النجرامي رئيس الجمعية ، الذي يلعب دورًا هامًا في مجال الثقافة والإعلام حيث يكتب زاويته « نافذة على الهند » في صحيفة الرائد الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ . ويكتب زاويته الأسبوعية حول العالم الإسلامي في صحيفة « قومي آواز » وتقوم الصحف الهندية في مدينة بومباي ، حيدرآباد وبنگلور ، وپتنا ، دلهي وكلكتا الأخرى بنقل هذه الزاوية على صفحاتها وبالتالي أكثر من مليون شخص يطلعون على أخبار العالم الإسلامي الصحيحة كل أسبوع .

وجمعية المثقفين المسلمين تعتزم إصدار مجلة باللغة الأردية والإنجليزية قريبًا لتحقيق أهدافها وغاياتها .

رئيس وزراء الهند يؤكد للنجرامي
بعدم تنفيذ القانون المدني الموحد

البروفيسور محمد يونس النجرامي

عقد البروفيسور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية ورئيس جمعية المثقفين المسلمين في الهند لقاءًا مع رئيس وزراء الهند السيد نرسمها راؤ في ١٩٩٥/٥/٢٢م في مدينة دلهي وأخطره بمشاعر المسلمين بشأن تعليمات محكمة الاستئناف لتشريع القانون المدني الموحد على جميع سكان الهند بدون استثناء والتي بدورها أرسلت موجة غضب واستنكار بين المسلمين في جميع أنحاء الهند . وخلال المقابلة أكد رئيس الوزراء للبروفيسور النجرامي بأن الحكومة الهندية لن تقوم بتنفيذ القانون المدني الموحد على المسلمين وبالتالي لا أساس للخوف على أحوالهم الشخصية الإسلامية . وشرح النجرامي لرئيس الوزراء بعض القضايا والمشاكل التي يواجهها المسلمون و وعد رئيس الوزراء باتخاذ الإجراءات اللازمة نحوها.

وعلى صعيد آخر تم اللقاء بين البروفيسور محمد يونس النجرامي والوزير المركزي للأمن الداخلي السيد راجش پائلت وخلال المقابلة أعرب النجرامي عن شكره وتقديره العميق على جهوده المتواصلة لانهاء القانون المشئوم (تاڈا) والذي كان وسيلة هامة بيد الشرطة الهندية لإلقاء القبض على المسلمين وتعذيبهم في السجون الهندية وخلال اللقاء الذي امتد ساعة كاملة أخبر البروفيسور النجرامي راجيش پائلت بمشاعر المسلمين بشأن القانون المدني الموحد . وقال النجرامي للوزير المركزي بأن العناصر المعادية للوطن والشعب دائمًا تبحث عن المشاكل والقضايا لإثارة عواطف المسلمين والعبث بها والتي لن تعود بالخير على البلاد . وقال النجرامي للسيد راجيش پائلت : إن المسلمين في الهند يتمسكون

عدد من البلدان والمواقع مثل كشمير التي يعاني شعبها من اضطهاد الجماعات الهندوسية المتطرفة التي تمارس صنوف الإرهاب والقهر ضد شعب كشمير حتى أحرقت مساجده وهدمت منازله وانتهكت حرماته ، كما أشار إلى قضية مسلمي البوسنة والهرسك التي لا تزال تتعرض لعدوان الصرب رغم أن الأمم المتحدة أصدرت عشرات القرارات فيما يتعلق بيوغوسلافيا السابقة ولم ينفذ منها سوى قرار حظر السلاح على المسلمين . وذكر المتحدث بغزو القوات الروسية لبلاد الشيشان وقصف المدن والقرى الآمنة وتشريد أهلها وتشتيت العائلات المسلمة بعيدًا عن أوطانها في عمليات نفذت فيها القوات الروسية عمليات القتل الجماعي المحرمة دوليًا ، وأوضح المتحدث أن المملكة العربية السعودية ضربت مثلاً كريمًا في إغاثة الاشقاء المنكوبين في هذه البلاد ، كما أن الرابطة قدمت المعونات الإغاثية الممكنة عن طريق هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية وأهاب بحكومات العالم الإسلامي أن تقتفى أثر المملكة في نجدة الاشقاء المضطهدين ليتحقق التضامن الإسلامي مما يخفف من آلامهم ويساعدهم على تجاوز محنهم .

وعن قضية القدس الشريف والمقدسات الإسلامية في فلسطين المحتلة ، قال المتحدث باسم الرابطة إن على الأمة أن تبذل قصارى جهدها لإيقاف انتهاكات سلطات الاحتلال وإيقاف تهويد مدينة القدس وتغيير معالمها الإسلامية . ودعا المتحدث الدول والمنظمات والمؤسسات الإسلامية إلى بذل مساعيها لإنقاذ مدينة القدس والمطالبة بإعادة السيادة الإسلامية على هذه المدينة المقدسة .

٧ ٧ ٧

على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

وأكد المتحدث انه لا بديل للأمة المسلة لتستعيد عزتها إلا بتطبيق منهج الإسلام والعمل بشريعته في جميع مجالات الحياة وفي سائر البلدان الإسلامية وهي تؤمن بالله واحد ، ودين واحد يعصمها من التفرق ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ .

وأوضح أن المسلين بتطبيقهم شريعة الله يقدمون للعالم كله نموذجًا إنسانيًا رفيعًا للحكم ، ويمكن لهذا النموذج إذا تم تطبيقه أن يسهم في تخليص العالم من مشكلاته التي يعاني منها وأزماته التي ضاق بها نتيجة القلق والتوتر وانتشار المخدرات وتفكك الأسرة والانحلال الخلقي وشيوع الأمراض الفتاكة . وبيّن المتحدث ان المسلين هم بهذا الدين الذي يعتنقونه رسل إصلاح وإنقاذ للبشرية مما تعانيه اليوم وبين أيديهم مبادئ عظيمة تستطيع أن تسهم بها في حل المشكلات التي تعاني منها البشرية وتبين لهم طريق الرشد والهدى وسبيل الخير كما في الخطاب الإلّهي : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .

وأكد المتحدث ان هذه الأمة التي آمنت بالله ربًا وبالقرآن منهجًا وبالرسول العظيم محمد -ﷺ- أسوة ، يجب أن ترفض أسباب الاختلاف والتفرق والتنازع ، لأن هذه المواقف السلبية تضعف الأمة وتغري بها الأعداء ، وأهاب بالأشقاء في أفغانستان أن يعمدوا إلى لغة الحوار السلمي في حل خلافاتهم بعيدًا عن استخدام السلاح لأن دم المسلم على المسلم حرام ولأن الاقتتال بين المسلين هو من أشد المحرّمات .

وأشار المتحدث إلى أوضاع بعض الجماعات الإسلامية المضطهدة في

للمواطنين الفلسطينيين لأنهم هم أصحاب الأرض الشرعيون .

ودعا المتحدث حكومات العالم الإسلامي إلى المزيد من تقديم الدعم لمدينة القدس وما فيها من مقدسات إسلامية أسوة بموقف المملكة العربية السعودية مشيرًا إلى أن ذلك يمنح سكانها العرب القوة بسبب تضامن الحكومات الإسلامية مع قضيتهم . ويساهم في المحافظة على الوجه العربي والإسلامي لهذه المدينة المقدسة .

و . بمناسبة العام الهجري الجديد :

بمناسبة مطلع العام الهجري الجديد ١٤١٦هـ أصدرت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بيانًا أعربت فيه عن آمال وتطلعات الشعوب الإسلامية الممثلة في الرابطة في أن يتحقق لهذه الشعوب التضامن الذي تتطلع إليه وأن يتحقق للأقليات الإسلامية المضطهدة تجاوز المشكلات والمتاعب التي تعاني منها .

وقال المتحدث الرسمي باسم الأمانة العامة للرابطة إنه لجدير بنا ونحن نستقبل عامًا جديدًا أن نستلهم من دروس الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم معاني الحكمة والصبر ودقة التخطيط معتمدين قبل كل شئ على الله سبحانه وتعالى مستلهمين منه الرشد والهداية .

وقال المتحدث باسم الرابطة إن في دروس الهجرة النبوية معاني عظيمة تعلمت منها أمتنا على مدى تاريخها عبرًا قيمة ، وأضاف : إن المسلمين اليوم ما زالوا بأمس الحاجة للاستفادة من تلك الدروس التي أثبتت أن لا عزة لهم إلا بالعودة إلى الله والتمسك بمبادئ الاخوة والتضامن والتكافل والتعاون لإنجاز كل عمل صالح ومفيد ، عملاً ، بقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا

بمشاعر العرب والمسلمين في أنحاء العالم مشيرًا إلى أن سلب أراضي القدس من أهلها الشرعيين وضمها إلى ما يسمى بأرض إسرائيل يعتبر سابقة عدوانية لا مثيل لها في التاريخ .

ودعا المتحدث حكومات العالم الإسلامي إلى التمسك بقرارات مؤتمرات القمة الإسلامية التي تمسكت بالقدس عاصمة للدولة الفلسطينية ومنها قرارات مؤتمر القمة الإسلامي السابع .

الذي عقد في المغرب العربي في شهر رجب ١٤١٥هـ الموافق لشهر ديسمبر ١٩٩٤م حيث أعلن ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية عن تمسكهم بعروبة القدس وإسلاميتها وضرورة عودتها إلى أصحابها الشرعيين .

وذكر المتحدث بقرار مجلس الأمن الدولي (٢٤٢) الذي يمنع قوات الاحتلال الإسرائيلي من تغيير جغرافية الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م بما فيها القدس ، وقال : إن الإجراءات الإسرائيلية في القدس تعتبر خرقًا للقرارات الدولية كما أنها تنسف المسيرة السلمية من قواعدها ، ولا سيما وإن الإسرائيليين كرروا إعلان تمسكهم بهذه المدينة الإسلامية عاصمة للدولة العبرية ، وذكر المتحدث كذلك بقرارات ندوة القدس مدينة السلام التي عقدت في القاهرة مؤخرًا ، والتي رفضت الإدعاءات الإسرائيلية وطالبت بعودة القدس إلى أصحابها الشرعيين ، وحذر المتحدث من أن العدوان الإسرائيلي المستمر على القدس سيهدد السلام والأمن في المنطقة وأضاف أن على إسرائيل أن تكفّ عن العبث بالحقوق العربية المشروعة وأن توقف سياستها العدوانية على القدس والمسجد الأقصى والأراضي العربية ، وأن تعيد ما تمت مصادرته

بيان لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة :

بمناسبة يوم القدس

أكدت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة على ضرورة وقوف الدول الإسلامية وقفة صلية و واضحة إزاء قضية القدس الشريف واستمرار السلطات الإسرائيلية بمصادرة أراضي الفلسطينيين بما في ذلك ممتلكات الأوقاف الإسلامية وطرد السكان العرب وإحلال المستوطنين الأجانب مكانهم وغير ذلك من إجراءات تهويد المدينة المقدسة وإزالة وطمس معالمها الإسلامية .

جاء ذلك في بيان أصدرته الرابطة بمناسبة يوم القدس دعا فيه حكومات الدول الإسلامية لاتخاذ موقف موحد لحمل دول العالم والمنظمات الدولية المعنية بالضغط على الحكومة الإسرائيلية لوقف مصادرة أراضي الفلسطينيين في القدس وإعادة الأراضي التي تمت مصادرتها مؤخرًا

وقال المتحدث باسم الرابطة : إن يوم القدس مناسبة للقيام بعمل جاد وفاعل لمواجهة الغطرسة الإسرائيلية العدوانية ومنع استمرار سياستها في العمل على ضم القدس العربية الإسلامية إليها وفق ما كانت أعلنته المحكمة الإسرائيلية وبدأت بتنفيذه حكومة إسرائيل بمصادرة الأراضي العربية لتحتفل من ثم بإعلانها عاصمة للدولة العبرية في احتفالات ما يسمى بـ القدس (٣٠٠٠) .

وبين المتحدث أن هذه السياسة التي تنتهجها إسرائيل في القدس تشكل عدوانًا صارخًا على الحق العربي الإسلامي ، كما تشكل استهانة

والجدير بالملاحظة أن المدرسة الإسلامية تستخدم في المساء من أجل تعليم دورات العالم للكبار .

المرحلة الثانية : ونحمدالله تعالى على أنا أرسينا الحجر الأساسي لمهاجع البنين في ٢٦/رجب ١٤١٥هـ-٢٩/ديسمبر ١٩٩٤م وهي توفر السكن لطلاب تحفيظ القرآن الكريم ، وإقليم سان بيرناردينو قام بتعميد الإنشاء في أول نوفمبر ١٩٩٤م ، ونحن على أهبة الاستعداد الكامل لتنفيذ البرنامج الإنشائي فور حصولنا على الصندوق المالي اللازم .

وإن الكتيب عن دار العلوم الإسلامية سيشرح لكم برامجنا من أجل التعليم والتربية الإسلامية ، وبعض هذه البرامج جارٍ على قدم وساق وبعضها يتم إخراجه إلى حيز التطبيق العملي فور اكتمال المرحلة الإنشائية .

ونعلق أوطد آمالنا بكل من يجيش صدره بخدمة الإسلام ومؤسساته العاملة ، ولا سيما في المهاجر النائية أن يقدم إلينا مساعدات سخية انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٢٤٥] ومن قوله -ﷺ- : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» . [رواه البخاري ومسلم وأبو داؤد]

ونهائيا نهيب بكم بكل إخلاص أن تساهموا حسب إمكانياتكم المتاحة في تحقيق المشاريع الإنشائية الدينية لدار العلوم الإسلامية ، ولا شك فإنها كما تعود على الجالية الإسلامية في أمريكا بفوائد جمة كذلك تُثقل موازين حسناتكم ليوم لا ريب فيه .

وسوف نفتتح هذه الصفوف في سبتمبر ١٩٩٥م - إن شاء الله العزيز - .

والحمد لله تعالى على أننا اشترينا بيتا ذا خمس غرف ملاصقا لعقارات دار العلوم الإسلامية ، وأدخلنا عليه تعديلات كاملة ، فهذا البيت جاهز لإسكان طلاب تحفيظ القرآن الكريم حتى يبرز على الساحة مهجع جديد ، وسوف نقدم تسهيلات الإقامة والإعانة ، ونفتتح مدرسة إسلامية بالدوام الكلي من ٧/مارس ١٩٩٥م - إن شاء الله العزيز - .

أهدافنا في المستقبل : كم نود أن نضيف إلى الأرضية الراهنة ، البالغة مساحتها ثمانية فدانات ، مزيدًا من فدانين حتى يصبح مجموع المساحة الأرضية عشرة فدانات ، حتى تتسع لمجموعة من البرامج والمشاريع التي نريد تحقيقها في الأيام المقبلة ، وحتى نضع حدا على المنعرجات التي تداخل أرضيتنا .

المشروع الرئيسي : وفي الوقت الراهن فقد قمنا بتطوير مشروع رئيسي ولقد حظي بموافقة الإقليم ، وهو يحتوى على :

١ - المسجد الجامع (في طابقين)	
ويسع (١١٠٠) مصل :	٢٠٠٠٠٠٠/٠٠ دولار
٢ - بيتان بغرفتي نوم لإقامة الإمام والمؤذن	
وبيت بثلاث غرف لإقامة المدير :	٢٠٠٠٠٠/٠٠
٣ - المدرسة الإسلامية للبنين :	١٠٠٠٠٠٠/٠٠
٤ - المهاجع للبنين :	٧٠٠٠٠٠/٠٠
٥ - تحصيل الأرضية الإضافية ذات مساحة فدانين :	٢٠٠٠٠٠/٠٠
٦ - تطوير المواقع الأمامية (نحو مواقف السيارات	
وأماكن الاستجمام والمدرج وما إلى ذلك) :	٢٠٠٠٠٠/٠٠
٧ - تسوير حرم الجامعة :	٩٥٠٠٠/٠٠
المجموع النهائي :	٦٢٩٥٠٠٠/٠٠

أخبار اجتماعية و ثقافية :

نداء إلى أهل الخير والإحسان :

دار العلوم الإسلامية بأمريكا

٢٠١٢ - شارع ماللوري - سان بيرناردينو - كاليفورنيا - ٩٢٤٠٥

الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور محمد غوث الندوي
مؤسس ورئيس دار العلوم الإسلامية بأمريكا

النواة الأولى : نحمد الله سبحانه وتعالى على ما ألقى في روعنا من فكرة تأسيس دارالعلوم الإسلامية بأمريكا، وذلك في عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م . وقد حصلنا بتوفيق من الله ثم بمساعدة بعض الأصحاب المخلصين على قطعة أرضية مساحتها ثمانية فدادين وموقعها في إقليم سان بيرناردينو من مدينة موسكوي . كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية) .

المرحلة الإنشائية الأولى : وخلال شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٩هـ ، المصادف لعام ١٩٨٩م ، تم إرساء الحجر الأساسي للمسجد والمدرسة الإسلامية . ثم فتح الله قلوب المسلمين الذين تقدموا إلينا بتبرعات سخية من أجل إكمال بيت الله تعالى والمدرسة الإسلامية . وكم نحمد الله تعالى على أنه ساعدنا وقوّانا على إنجاز هذه المرحلة الإنشائية الأولى في ١٤/شعبان ١٤١١هـ أول مارس ١٩٩١م .

المكاسب والمنجزات : واليوم يوجد في رحاب مدرستنا أكثر من ١٠٠ طالب يستفيدون من مدرستنا الصباحية ، ومدرسة نهاية الأسبوع الإسلامية . وفي غضون شتاء عام ١٩٩٤م فقد حوّلنا المدرسة إلى مدرسة إسلامية بالدوام الكلي ، وعدد من حضر الصفوف من الطلاب قفز إلى ١٢٠ طالب . وخلال فترة أربع سنوات من فتح أبواب المدرسة فقد اعتنق الإسلام سبعة وعشرون شخصا بما فيهم عشر سيدات . كما فزنا بموافقة مجلس التعليم الولائي على فتح روضة الأطفال وصفوف الدرجة الأولى .

ومن أمثلة هذا التحوير أو الازدواجية أن بعض النظم فرضت الحظر على نقد بعض الجهات ، أو المعتقدات أو التصورات ، كما كان هؤلآء الأشخاص ، أو النظريات أو المعتقدات لها قدسية ، يجب الالتزام بها ، وإذا خالف أحد هذه الأمور المحظورة أدين و زج به إلى السجن ، أو عوقب عليه ، ومثل ذلك أن انتقاد المسلمين لغير المسلمين في بلاد المسلمين ممنوع لأنه يؤثر على العلاقات بين مختلف الطوائف ، أما انتقاد المسلمين والإسلام وتاريخه ، ومقدساته فهو مسموح لأنه عبارة عن حرية التعبير ، ومثال ذلك أن الناقدين لمصطفى كمال أدينوا في تركيا ، وسجنوا و اتهموا بالخيانة ، والذين تولوا ترجمة ونشر كتاب سلمان رشدي هم أحرار ، يتمتعون بحق حرية التعبير .

يقول وزير التعليم الفرنسي أن كل مواطن في فرنسا ، عليه أن يتبع منهج التعليم السائد في البلاد ، وأن يلتزم بالتقاليد والثقافة السائدة في فرنسا ، وإنه لن يسمح بالتعددية في البلاد في الثقافة ، وذلك حقه ، ولا يعترض عليه أحد ، ويقول الحكام في الهند مثلاً : إن المسلمين عليهم أن يندمجوا إلى التيار القومي ، ويقدسوا أمجاد البلاد ، ويتبعوا العادات والتقاليد والطقوس الهندية السائدة وترتفع أصوات بفرض قانون مدني موحد ، ولا يتعارض ذلك مع حرية الفرد ، ولكن إذا طالب المسلمون في بلدهم أن يتبع جميع سكان البلاد بالشريعة الإسلامية ، (وهم لا يطالبون ذلك) أو أن يكون لجميع المواطنين قانون مدني واحد ، حتى في الأمور الدينية ، وأن يحترم أمجاد الإسلام ، فذلك هو تزمت ، وأصولية ، وعسكرية في نظر المعاندين للإسلام .

أ ليس كل ذلك ازدواجية السياسة أو الاستراتيجية المتعارضة التي يسير عليها العالم كله بنظام والذي يدعو إلى الحرية ، والمساواة والعدل .

٧ ٧ ٧

والالتزامات الخلقية ، والعائلية ، ولكن إذا قالت امرأة أنها تريد أن تختار منهجًا خاصًا للحياة أو نمطًا خاصًا للحجاب أو النقاب من عند نفسها غير مرغمة عليها فلا حق لها في ذلك ، وإذا أراد أحد أن يأكل الحلال ، ويجتنب الحرام ، ويستعمل النزيه ، والطيب ، فهو مقيد غير حر ، ويعتبر عدوًا للحرية ، وإذا أكل الحرام ، وترك الالتزام بأي تعليم خلقي ، فهو حر ، أ ليس ذلك تقليد تصور خاص ، وفرض تصور خاص من بلد ، أو طبقة من الناس على بلد آخر أو طبقة أخرى من الناس .

إن هذه الأمور يجب أن تكون مطلقة ، ويكون فيها الإنسان حرًا ، إذا أريدت الحرية حقيقة ، ولكن إذا أراد أحد الخروج من المثل أو العقيدة ، فهو في منطق هؤلآء الدعاة إلى الحرية حرية ، و إذا أراد أحد أن يتبع مثلا ، أوعقيدة ، أو منهجًا خاصًا للحياة ، أو زيا خاصًا من الأزياء ، فهو غير حر ، ولا يمنح ذلك الإنسان تلك الحرية ، لأنها تتنافى مع تصورهم عن الحرية فليس ذلك في الحقيقة حرية بمعناها الصحيح .

هذا مثال واحد من التورية والازدواج الذي يسير عليه دعاة الحرية في الوقت الحاضر ، ويلاحظ هذا النوع من التفكير والعمل في مجالات كثيرة .

ومن هذا القبيل أن القوة إذا استخدمت لنشر الخير والصلاح ، وبناء خلق الإنسان ، و وضعت قوانين لها ، فهي إرهاب ، وأصولية ، وتزمت ، ولكن إذا وضعت قوانين لمنع الطرق أو المناهج التي فيها الخير والصلاح ، وتقوى القلوب ، والامتناع عن الفساد والشر و وضعت قوانين لمنع أحد من تقليد تصوره الخاص ، أو اتباع منهج خاص طبقًا لعقيدته ، وثقافته الوطنية ، فهي قوانين الحرية والتقدم ، وإذا فرض حظر على كتاب يعارض تصور الأغلبية في البلاد ، وهي مسلمة ، فهو قمع لحرية التعبير ، ولكن إذا فرض حظر على كتاب يقدم الفكرة الإسلامية وينتقد الفكرة المعادية للإسلام ، فهو حق شرعي للحكومة .

[illegible]

[illegible]

إلى أقصاه . حيث اتسع نطاق الدعوة في عهده اتساعًا كبيرًا وتميزت بصفة « العالمية » فكانت الجماعات تعمل في الولايات المتحدة ، والصين ، واليابان ، وروسيا ، والأقطار الأوربية ، وبلدان ما وراء النهر ، ودول جنوب شرق آسيا ، وجميع البلدان الأفريقية والأوسترالية ، فضلاً عن دول غرب آسيا والدول الإسلامية العربية . ولا أدري أن هناك دولة من دول العالم لا تكون قد وطئتها أقدام دعاة هذه الجماعة .

لقد عرف الناس بطريق هذه الجماعة آداب الحياة وتعاليم الإسلام التي تُصبغ حياة المرء بالصبغة الإيمانية المتميزة (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) بعيدة عن جميع الملابسات المادية والمجهودات الاجتماعية ومن جميع الألوان السياسية والمطالبات والحقوق ، مع حصر كل مجهود في ذات الله تعالى ، والالتجاء إليه ، والطلب منه ، ومدّ يد الضراعة والخنوع إليه والتظاهر بالعبودية الخالصة له ، دون أن تتعرض الجماعة لأنواع المشكلات التي تجتازها الأمة والاستمداد في البحث عن حلول لها من المحافل الدولية ومجالس الأمن والسلام ، ولكنها تعتمد في كل ذلك على الله تعالى وتهتم بتصحيح العلاقة مع الله ، ومع الناس ، والتوكل على الله تعالى في جميع الشئون والظروف ، وطلب المخرج منها ، ومع الاتصال الكامل والخالص بالله تعالى ، وبأسوة الرسول -ﷺ- والطاعة لهما ولأولي الأمر المسلمين .

سارت الدعوة على هذا النهج، وقد كان لفقيدنا الراحل أكبر نصيب في نشر هذا المفهوم الواضح للدعوة إلى الله تعالى ، و وفقه الله تعالى للقيام بجولات واسعة في هذا السبيل ، ودعوة العامة والخاصة إلى هذا المنهج الخالص ، حتى استطاع أن يؤثر في المجتمعات العالمية ، ويكسب قلوب الناس لقبول هذه الدعوة والخروج في سبيلها ، وكان بإخلاصه دخل إلى مخادع العائلات الكبيرة ، وأعضاء الأسر الحاكمة في الدول

إلى رحمة الله تعالى:

فضيلة الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي

أمير جماعة الدعوة والتبليغ . في ذمة الله تعالى

س. الأعظمي

فوجئت أوساط العلماء والدعاة بنبأ وفاة الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ إنعام الحسن ليلة العاشوراء يوم السبت ، وكان النبأ بمثابة صدمة عنيفة فجعت بها القلوب وغشيت بها سحابة من الحزن على مجالس العلم والدين ، والمتصلين بعمل الدعوة والتبليغ في كل مكان ، « فإنّا لله وإنا إليه راجعون » .

لقد تسلم الشيخ – رحمه الله – منصب الإمارة بعد وفاة فضيلة الشيخ محمد يوسف – رحمه الله – أمير الجماعة السابق ، كان يتهيب من قبول الإمارة ويعتذر عنها ، بحجة أنه لا يتمتع بقوة الخطابة التي هي جزء أكيد لهذا المنصب ، لكن الله سبحانه أيده ، و رزقه من قوة الخطاب والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ما وهبه التأثير التلقائي في الجماهير المسلمة وخاصة بمناسبة الاجتماعات الكبيرة التي كانت تُعقد من قبل الجماعة في بلدان العالم المختلفة ، أضف إلى ذلك روح العلم والورع والإخلاص ، وروح التفاني في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، التي كان يتمتع بها وأصبحت له غذاءًا لا يعيش بدونه ، وأصبحت له شعارًا ودثارًا لا قرار له بغيرهما ، ولم يكن له هم إلا أن يتحدث فيما يتعلق بشئون الدعوة ، وتبليغها إلى الناس كافة ، كان يشرف على النشاط الدعوي بوجه مستمر ، ويهتم بتوجيه الدعوة والدعاة إلى جميع أنحاء العالم ، فقد كانت الجماعات تخرج في سبيل الله ليل نهار من أقصى بلدان العالم

[illegible]

[illegible]

والتعبير الفطري المباشر ، وهو غير التعبير الفج المباشر ، وتحس في شعره صياغة عمودية صافية ، ويذكر أن له ديوانًا ضائعًا حدثني عنه - يرحمه الله - فقده في فترة الاعتقال أيضًا .

وفي المجال الإبداعي كتب نجيب الكيلاني المسرحية ، وله بعض المسرحيات التي استلهمها من التاريخ ، ومنها مسرحية « على أسوار دمشق » .

أما في مجال البحث ، فقد تنوعت الموضوعات التي طرقها نجيب الكيلاني ، فقد كتب في الثقافة الإسلامية والبحوث الأدبية والقضايا الصحية والطبية التي تهم قطاعات عريضة من الناس ، ومن أهم البحوث التي نشرها بحثه عن « محمد إقبال » وقد بدأ في كثير من أفكاره ورؤاه متأثرا بالشاعر الباكستاني الكبير الذي يمثل مرحلة مهمة من مراحل الجهاد الإسلامي في العصر الحديث ، ثم بحوثه حول نظرية الأدب الإسلامي وتصوراته لهذا الأدب الذي صار اليوم حقيقة راسخة ، وله رابطة عالمية تحمل اسمه وتدعو إليه ، وتصدر مجلة فصلية تضم بين غلافيها أهم ما ينتجه الأدباء الإسلاميون المعاصرون ، ولعل كتابه « الإسلامية والمذاهب الأدبية » مع كتابه « مدخل إلى الأدب الإسلامي » من أبرز بحوثه في هذا المجال .

ويمكن القول : إن رصيده في الكتب الثقافية التي تتناول الإسلام وقضاياه لا يقل أهمية عن كتبه وبحوثه الأدبية ، فله كتب : « الطريق إلى اتحاد إسلامي » و « الإسلام والقوى المضادة » و « نحن والإسلام » و « تحت راية الإسلام » و « حول الدين والدولة » و « أعداء الإسلامية »

التكلف . ومن هذه الروايات : « اعترافات عبد المتجلي » و « امرأة عبد المتجلي » و « أقوال أبو الفتوح الشرقاوي » و « ملكة العنب » و «مملكة البلعوطي » و « أهل الحميدية » و « الرجل الذي آمن » ...

لقد ظل نجيب الكيلاني وفيا للأسلوب الروائي التقليدي . ولكنه طوّره من الداخل - إذا صح التعبير - فقد استطاع مثلا أن يضمن الحوار آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة - كما سبقت الإشارة - وأخذ يختزل الوصف . مركزًا على أبرز الملامح في الشخوص أو الأماكن أو الأحداث . وراح يطعم وصفه بصور جزئية فيها من الطرافة والجدة أكثر مما فيها من التقليد والتكرار . وفي الوقت ذاته استفاد بما يسمى الاسترجاع (الفلاش باك) والمونولوج (الحوار الداخلي) إلى حد ما . وتخلى عما يمكن تسميته بالثرثرة الفلسفية أو السياسية التي تطبع أعمال كثير من الروائيين . لقد كتب نجيب الكيلاني في اثنتين وثلاثين رواية طويلة . مما يجعله واحدًا من أغزر كتابنا الروائيين .

وإلى جانب الرواية . فقد كتب عددًا من المجموعات القصصية القصيرة استوحاها غالبًا من عمله طبيا أو من البيئة القروية التي عاش فيها طفولته وشبابه أو من التاريخ . وتقرب مجموعاته القصصية من عشر مجموعات . منها : « موعدنا غدًا » و « العالم الضيق » و « عند الرحيل » و « دموع الأمير » و « فارس هوازن » و « حكايات طبيب » .

شاعر وباحث : وكان « نجيب الكيلاني » شاعرًا أيضًا . له أكثر من خمسة دواوين من بينها : « أغاني الغرباء » و « عصر الشهداء » و « نحو العلا » و « كيف ألقاك » ويتسم شعره في مجمله بالبساطة والوضوح

[illegible]

والتعليم ، وحظيت روايته « الطريق الطويل » باهتمام خاص ، حيث اشترت منها الوزارة كميات كبيرة لمكتبات المدارس ، وترصد الرواية قصة كفاح أسرة فقيرة من أجل تعليم ابنها وتحرز نجاحًا كبيرًا مع وجود المعوقات والصعوبات المادية والاجتماعية ، وظهرت في هذه الرواية روح إسلامية متسامحة ، تبلورت فيما بعد في بقية رواياته وقصصه .

لجأ نجيب الكيلاني إلى التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية يستقي منهما روافد أعماله الروائية والقصصية ، فكتب مجموعة من الأعمال المهمة التي قدمت التاريخ والسيرة في أسلوب قصصي جيد ، يحقق المتعة والفائدة في آن واحد ، فضلاً عن قدرته على اختيار الأحداث والشخوص التي تمثل معادلا للواقع المعاصر بأحداثه وشخوصه ، ويمكن القول : إن التاريخ كان منجما ثرًا استدعاه نجيب الكيلاني ، أو صاغه من جديد في صورة روائية ليعالج من خلاله واقعًا راهنًا موارًا بالأحداث والأحزان والآمال في لغة فنية تحقق ما يسمى بالسهل الممتنع ، ومن أبرز أعماله الروائية : « نور الله » في جزئين ، قاتل حمزة ، حارة اليهود ، دم لفطير صهيون ، أرض الأنبياء ، مواكب الأحرار (نابليون في الأزهر) اليوم الموعود ، النداء الخالد ، أرض الأشواق ، رأس الشيطان ، عمر يظهر في القدس ..

وإلى جانب التاريخ والسيرة فإن نجيب الكيلاني قد غزا ميدانًا بكرا لم يتجه إليه أحد قبله ، وهو صياغة تاريخ المسلين المظلومين في عديد من الدول والمناطق ، حيث قامت قوى الشر بالتعتيم على مأساتهم وما جرى لهم ، مثلما جرى في تركستان (الصين ، وروسيا) وإندونيسيا ،

رجال فقدناهم:

الدكتور نجيب الكيلاني الكاتب الإسلامي والأديب البارع

نبذة من حياته وأعماله الأدبية

بقلم : الدكتور حلمي محمد القاعود
أستاذ النقد الأدبي بجامعة طنطا

مساء الاثنين الخامس من شوال ١٤١٥هـ مارس ١٩٩٥م ، انتقل إلى رحاب الله تعالى . الكاتب والأديب والشاعر الإسلامي « نجيب الكيلاني » بعد صراع طويل مع المرض الخبيث . حيث أجري أكثر من عملية جراحية دقيقة ، إحداها في مستشفى الملك فيصل التخصصي ، وقد شاءت إرادة الله أن يختاره إلى جواره بعد عمر حافل بالجهاد من أجل دينه .

وُلد نجيب الكيلاني في قرية « شرشابة » مركز « زفتى » عام ١٩٣١م ، وتخرج في كلية الطب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقًا) أوائل الخمسينيات ، وعمل بمستشفيات الحكومة المصرية ، ولكنه تعرض لمحنة الاعتقال والتعذيب أكثر من مرة بسبب اهتمامه بالدعوة الإسلامية ، وغادر مصر بعد هزيمة ١٩٦٧م ، للعمل في البلاد العربية ومنها الكويت والإمارات ، حيث استمر في الأخيرة قرابة العشرين عامًا ، إلى أن أحيل على التقاعد عند بلوغه الستين قبل خمسة أعوام تقريبًا .

أديب متميز : كانت بدايات نجيب الكيلاني القصصية مبشرة بمولد كاتب متميز ، فحصل في منتصف الخمسينيات وأواخرها على عدد من الجوائز المهمة مثل : جائزة المجمع اللغوي ، وجائزة وزارة التربية

الدينية - إلى الشعب التركي أفرادًا وجماعات كأنه استوحى هذا المنهج من الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الذي اختار هذا الأسلوب الدعوى المؤثر فنجح فيه أيما نجاح وغيّر مجرى التاريخ وحوّل البلاد التي كانت سريعة المشي إلى الردة العامة إلى احترام الشريعة وتنفيذ أحكامها .

إن رسائله لتدل دلالة واضحة على حاجة الشعب التركي خاصة والعالم الإسلامي عامة في تلك الظروف والملابسات إلى العلماء ليقوموا بإعادة الثقة بالدين وبالرسالة المحمدية الخالدة وبالشريعة الإسلامية ، وكان يتوجع على هذه الأحوال ويتألم قلبه ويبكي عليها ، وبهذه الطريقة حفظ الأمة الإسلامية التركية من خطر الردة العقائدية والفكرية والحضارية الشامل التي ظهرت بل توسعت في ارجاء تركيا وسيطرت بتلك الشخصية القوية صاحبة الكلمة النافذة والإرادة الحديدية « كمال أتاترك » وكان هذا التحول المعنوي والردة الفكرية أخطر وأدق وأرسخ جذورًا من انقراض الدولة العثمانية والانهيار السياسي .

وقام المعجبون به وتلامذته بنشر هذه الرسائل وبثها في القرى والأرياف رغم الخطر من الحكومة ، فلعبت هذه الرسائل دورًا عظيمًا في مجال إعادة الثقة بالشريعة الإسلامية وبصلاحية الإسلام لمسايرة الركب البشري بل لقيادته .

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، واسكنه فسيح جناته .

جديرة بأي مجتمع بل إنما هي جريمة قومية تبذ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة . انها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ وانها خطوة حاسمة مشئومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي ولا شك أن القومية في كل جانب من جوانب الأرض سفينة تنخرت وتفككت ألواحها وتناثرت مساميرها وتحارب ربابينها وكتب عليها الغرق . فلا يجوز للمسلمين أن يلتجئوا إلى هذه السفينة المضطربة المشئومة وعندهم سفينة النجاة التي تسع العالم كله وتوصل الناس إلى شاطئ السلام .

الأمر الثاني : هو اختيار منهج دعوى آخر يلائم الظروف التي آلت إليها تركيا وقد اشتغل عقله في فتح الجبهات الجديدة وتهيئة مجالات الكفاح بعد عودته من معتقله وبعد ما اخفقت ثورة سعيد بيران ولقى المسلمون الغيارى على دينهم خسائر فادحة في أرواحهم وممتلكاتهم . قد أشار عليه الشيخ أن لا يختار في هذه الأوضاع هذه الطريقة الثورية لأن ضررها لا يعود إلا على المسلمين المتحمسين . ونُفِي الشيخ من بلده ولم يزل من منفى إلى منفى حتى جاءه الأجل . لكنه شمّر عن ساق الجد لتجلية الفكر الإسلامي وإنعاش الروح الدينية وإعادة الثقة بالنبوة المحمدية العالمية وبالشريعة الإسلامية الغراء الصالحة لكل زمان ومكان والمسايرة مع كل عصر ومصر في الشعب التركي والجيل المفتون بسحر الحضارة الغربية . واختار لذلك توجيه الرسائل التي تكون حاملة لفلذات كبده ودقات نفسه . وتكون ملتهبة بالشعلة الإيمانية والغيرة

فتصدى الشيخ لمواجهة هذه الحركة القومية ودحض أباطيل هذه الفكرة الباطلة بجميع إمكانياته وحذر جمع المصابين بهذه الفكرة بقوة البيان وبالغ الحجة ، ويخاطب أخا تركيا ويحذره من أن يقع فريسة هذه الفكرة لأن قوميته امتزج بالإسلام : يقول :

« احذر وانتبه بالذات فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجًا ، لا يمكن فصلها عن الإسلام ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذًا وانتهى أمرك . ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجل في سجل الإسلام وإن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى عن الوجود قطعًا فلا تمحها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس .

إن الذي حافظ على حياة الدولة الإسلامية وكيانها رغم أن تعدادها عشرون أو ثلاثون مليونًا - تجاه جميع دول أوربا العظيمة هو هذا المفهوم النابع من القرآن الكريم الذي يحمله جيشنا ، وإذا مت فانا شهيد وإن قتلت فانا مجاهد . هذا المفهوم رفع أبناء هذا الوطن إلى استقبال الموت باسمين مما هز قلوب الأوربيين وأوجعهم .

ترى أي شئ يمكن أن يبرز في الميدان ويبعث في روح الجنود مثل هذه التضحية والفداء وهم ذوو أفكار بسيطة وقلوب صافية .

أي عنصرية يمكن أن تحل محل هذا المفهوم العلوى . وأي فكر غيره يمكن أن يجعل المرء يضحى بحياته وبدنياه كلها طوعًا في سبيله (١) .

وفهم الشيخ أن هذه الحركة ليست قائمة على فكرة لائقة بأي بلد أو

---

(١) كليات النور : ج/٢ ، المكتوبات : ص/٤١٤-٤٢١ .

الرياح العاتية والعواصف الهوجاء التي تقضي على الحديقة الغناء وتأكل أوراقها الخضراء كما تأكل النار الحشيش . فوضع اليد على الوتر الحساس . إنه رأى على رأس قائمة هذه المواضع الضعيفة تلك الفكرة الخاطئة والحركة الهدامة التي نشرت وأنشئت باسم « القومية » لأن كل حركة للقومية في العالم الإسلامي اتخذت فلسفة لنظامها وتطورت إلى عقيدة . كانت تحديا للإسلام وحاولت أن تسيطر على تلك المساحة للحياة الإنسانية التي كانت خاضعة لحكم الإسلام وسيادته واشتملت هذه الحركة على العقائد والأخلاق والعواطف ومشاعر الحب والكراهية والولاء وعدم الولاء ورباطة الجأش والحماس . وجميع العناصر والأجزاء التي تشتمل عليها الأديان السماوية . وتعتبرها جزءًا منها . ولأجل ذلك كانت كل حركة من هذه الحركات التي لها هذا الشأن والاحتواء والمضمونات والتأثير موضع حذر بل موضع خطر لدى المؤمنين بالدين السماوي الأخير . الدعاة إليه عن بصيرة وإيمان . فبادروا إلى محاربتها باعتبارها منافسة لهم لأن نشوءها وانتشارها يحملان في أعقابهما أخطارًا تفكك الوحدة الإسلامية . تنتشر الإلحاد والضلال من جرائها . وكانت مقاومتها وكبح جماحها الواجب الأول في نظرهم .

وتستوى في هذا الأمر حركات القومية والوطنية التي نشأت في تركيا وإيران وكردستان وأفغانستان . وتصدى الغيارى على الدين والراسخون في العلم وأصحاب العقيدة السليمة في هذه البلاد كلها لمواجهة تلك الحركات . وكان شعارهم تحطيم جميع هذه الأصنام العنصرية والثقافية وإعلان : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ° وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

« أتاترك » الذي ألفه عن اعجاب وإخلاص بشخصية كمال ، يقول : « كان قليل الاختلاط غير محبب بين الأصدقاء في حياته المدرسية وكان يتسلى بالخمر ويشغل نفسه بها فإنه لا يجد ما يسلي به نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر ، لأنه كان لا يؤمن بهما » ويقول في موضع :

« قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه الأكبر وكان يعتقد من صغره انه لا حاجة إلى الله انه اسم غامض خداع ، مجرد عن كل حقيقة وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس .

إن نشأته الفكرية وتطورها وميوله وطبيعته جعلت تركيا تؤول إلى العلمانية والثورة على الماضي والتغرب المتطرف والدكتاتورية العسكرية . وأقام في « أنقرة » حكومة مستقلة ، وألغى الخلافة وسلطنة آل عثمان ، وكان أول رئيس لها سنة ١٩٢٤م .

وبذلك أراد تحويل البلاد رأسًا على عقب وجند لذلك كل طاقاته وقام بأعمال العنف والتعسف ليخلع الشعب التركي جلباب التشخص الإسلامي وليتخلى عن الحضارة الإسلامية التي ورثها أبا عن جد واحتضنها حبا وكرامة » .

إن الشيخ شاهد هذه الظروف بعيني رأسه بل اكتوى بنارها ولعب دورًا فعالاً فيها ولكنه امتاز بين أقرانه بأمرين .

الأمر الأول : هو فكره الحصيف ونظرته الثاقبة ورأيه السديد في تلك الأوضاع السائدة على تركيا ما عدا جهاده الطويل وتضلعه من العلوم القرآنية والقيام بخدمتها ونشرها ، إنه أمعن النظر على الأحوال ونزل في أغوارها وعثر على مواضع الضعف فيها وعرف المنافذ التي تهب فيها

التي كانت متأججة في الشعب التركي من ذي قبل فشمّر عن ساق الجد لمحو الأمية ونشر العلوم الدينية فعكف على دراسة القرآن دراسة عميقة ككتاب خالد مليىء بالحيوية والنشاط يحل المشاكل والقضايا ويفك الالغاز وصالح لكل زمان ومكان . كما كانت له اليد الطولى في العلوم الجديدة من التاريخ والفلسفة والرياضيات والفلكيات وغيرها حتى أصبح جامعًا بين العلوم القديمة والجديدة .

يشار إليه بالبنان ويجله كبار العلماء في عصره وكان متصديا للدرس والإفادة . والظروف في البلاد في طور الانتقال وسيل الحضارة الغربية . يجرى فيها من غير هوادة ولا رحمة فخرج من الزاوية العلمية وخاطب أصحاب السياسة والحكومة بمقالاته وكلماته التي رفع فيها اللثام عن وجه الخطة التي دبرتها عقول الأعداء في الدولة العثمانية بإعلان القانون الجديد وشرح المفهوم الصحيح للحرية في الإسلام وطالب من الدولة العثمانية تنفيذ الشريعة في البلاد .

شارك في الحرب العالمية الأولى بنفسه ثم أبلى بلاءًا حسنًا في جهاد قنتاس ضد روسيا . وألقى عليه القبض فيه وبقى أسيرًا سنتين عندهم ثم رجع إلى بلاده بعد ركوب الأهوال وتحمل المشاق .

نظرًا إلى هذه البطولات والتضحيات أعجب به السياسيون وألح عليه كمال أتاترك بالذهاب إلى أنقرة سنة ١٩٢٢م واستقبل استقبالاً حارًا على المحطة لكنه ما لبث أن عثر على تلك التعديلات التي قام بها كمال والتي تجعل الشعب التركي كله فريسة سائغة للزندقة والإلحاد . فأعد مذكرة للتقديم إلى أعضاء البرلمان حث فيها على التمسك بالشريعة الغراء

والثاني : أعلن بإلغاء الخلافة وقام بعلمنة البلاد . حتى أصبحت تركيا تفقد طابعها الإسلامي ومزاياها الإسلامية التي كونتها واحتضنتها منذ زمن بعيد (١) .

ولكن المتقصي للتاريخ الإسلامي وذلك من سنة الله في هذا الكون ، وحقيقة من حقائق التاريخ الإسلامي لا يرى ثغرة ولا ثلة في جهود الإصلاح والتجديد ولا يجد فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد الشامل ، ويرفع صوت الحق ويتحدى للقوى الظالمة وعناصر الفساد ، ويفتح نوافذ جديدة في التفكير . وذلك شأن الإسلام فإنه – وإن كان مؤسسًا على عقائد ثابتة وحقائق خالدة – زاخر بالحياة حافل بالنشاط له من الحيوية معين لا ينضب ومادة لا تنفد ، صالح لكل زمان ومكان ، وعنده لكل عهد جديد من أطوار الحياة ولكل جيل جديد من الأجيال البشرية ولكل عهد مستأنف من عهود التاريخ ، ولكل مجتمع عصري من مجتمعات البشرية مدد لا يقصر عن الحاجة ولا يتأخر عن الأوان .

من هذه الشخصيات شخصية طلعت على أفق تركيا باسم بديع الزمان سعيد النورسي الذي عاش تلك المرحلة الدقيقة التي تنتقل فيها تركيا من طور إلى طور، وكان مرهف الحس وذكيا فطنًا . فتفرس الخطر المحدق ببلاده وساءه ذلك الوضع السائد فيها من فشو الجهل والبطالة و وجود الأمية في الأوساط الشعبية وخمود تلك الشعلة الإيمانية والغيرة الدينية

---

(١) راجع للتفصيل الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

(١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

فاتهمه الناس بأنه من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب برغم أن الرجل لم يصل إلى نجد ، ولم يكن قد تعرف على أحد من أتباع الشيخ ، ولكنه رجـــع إلى النبع الصافي للدين وهو نفسه النبع الذي نهـــل منه الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب في دعـــوته الناس إلى التوحيد الخالص .

وفي مكة التقى الشيخ ورفاقه بأئمة المصلّيات الأربعة في الحرم ، و حل شهر الصوم ثانية على القافلة ، فقضى المسلمون هذا الشهر مثلما قضوا مثيله في العام السابق ، وفي الخامس عشر من شوال استعدت القافلة لرحلة العودة ، فذهب قاضي حميد الله الميرتهي إلى جدة لتنظيم أمر السفن إلا أن أهل كلكتا اقترحوا أن يسافر معهم في سفينتهم المسماة (ملك البحر) . وهكذا وفي غرة ذي القعدة سنة ١٢٢٨هـ العاشر من يوليو سنة ١٨٢٢هـ طاف سيد أحمد شهيد مع أصحابه طواف الوداع ، و ودعوا البيت الحرام وحانت ساعة الفراق وانهمرت الدموع غزيرة ، وصلت القافلة الميمونة في اليوم التالي إلى جدة وركب الحجاج السفن عائدين إلى ديارهم ، حيث بدأوا رحلة الجهاد بالسيف ضد أعداء الإسلام بعد أن عمرت قلوبهم بنور الإيمان ، وتدربوا على جهاد النفس ومكافحة الهوى و وساوس الشيطان ، واشتهر كفاحهم ضد أعداء الإسلام واءقامتهم دولة إسلامية سلفية في شبه القارة الهندية .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • فمنهم من قضى نحبه • ومنهم من ينتظر • وما بدّلوا تبديلاً ﴾ [قرآن كريم]

صلاة الجمعة .

وتعرضت القافلة لبعض المشادات مع بعض البدو فقام شيخ الجمالين بحماية القافلة والتفاهم مع المهاجمين . و وصلت القافلة إلى وادي صفرا . وهو موطن شيخ الجمالين .

بقيت القافلة في وادي صفرا ليوم ومن وادي صفرا إلى وادي حنيف . و فـي وقت غياب الشفق وصلت القافلة إلى مكان تمكن فيه الحجيج من مشاهدة المسجد النبوي . فشاع جو من الإيمان . وتوجه الجميع إلى الله بالشكر والدعاء . وفي الساعات الأولى من الليل وصلت القافلة إلى حدود المدينة المنورة فاستراح الجميع عند « مناخه » واغتسلوا وغيروا ملابسهم . وفي الصباح حين فتحت بوابة المدينة قدم مصطفى داغستاني المعلم الذي أوصاه محمد رئيس بالقافلة . فدخل مع القافلة . ومن باب السلام دخلت القافلة الحرم النبوي . فأدى الجميع الصلاة ثم سلموا على النبي -ﷺ- .

نزل سيد أحمد شهيد في بيت سيد سمهودي مؤلف كتاب « وفاء الوفاء في أخبار المصطفى » وهو قريب من باب الرحمة (باب جبريل) ويقال : إن عثمان - رضي الله عنه - استشهد في هذا البيت . وقام رفاقه باستئجار الأماكن قريبة من هذا البيت . وفي المدينة زارت القافلة بعض المآثر مثل مسجد قبا . والبقيع . ومقابر شهداء أحد وغيرها .

ومن العجيب أن يتهم أحد رفاق سيد أحمد شهيد وهو مولوي عبد الحق نوتنوي بأنه سلفى قح وكان الرجل حاد المزاج لا يبالي بأحد في ا ابطال البدع التي شاعت وانتشرت آنذاك وكانت تخالف الشرع والسنة

شراء وإرسال الأرز والدقيق والعدس وغيرها . وفي البداية كانوا يطبخون اللحم في فطور رمضان وفي السحور . ثم أمر سيد أحمد بعد ذلك بطبخ العدس كل يوم . وفي اليوم الثامن بطبخ اللحم مرة واحدة . وكان السيد أحمد ورفاقه يلتقون كل يوم بعلماء وشيوخ مكة المكرمة حتى صلاة العصر . وبعدها يتجهون إلى الحرم للصلاة ويبقون حتى المغرب . وفي العشرين من رمضان ليلة الواحد والعشرين بدأ الاعتكاف في الحرم واستمر ذلك حتى طلوع هلال شوال . وفي يوم العيد التقى سيد أحمد شهيد بعلماء وشيوخ وعمداء مكة المكرمة .

بدأت القافلة في أداء مناسك الحج في الثامن من ذي الحجة سنة ١٢٢٧هـ وفي أواخر المحرم عقدت القافلة العزم على زيارة المدينة المنورة . ولم يسافر شاه إسماعيل إذ اضطر للبقاء في مكة لمرض والدته وللاشراف على المرضى الآخرين والضعفاء . وتم استئجار ٥٠ ناقة عن طريق المطوف محمد رئيس وشيخ الجمالين . و١٢٠ ناقة عن طريق أحمد باشا و ٧٥ ناقـــــة استأجرها سلطان حسين خان ومحمود فواز خان حيدرآبادي .

ورأى سيد أحمد شهيد أن تُترك الأسلحة في مكة قائلاً : « إن كل رجل في جزيرة العرب له مكانة سامية في قلوبنا ولا يمكن أن نواجههم بمثل هذه الأسلحة » ونزع خنجره من وسطه وألقى به على الأرض قائلاً :

« إذا ما هاجمنا أحد فسوف نضع أمامه كل متاعنا . فالله هو الرازق وسوف يرزقنا إذا ما نقص منا شئ » وسمع رفاقه هذا فنزع كل واحد سلاحه وهكذا خرجت القافلة من مكة يوم الاثنين الخامس من صفر ونزلت في البداية في وادي طوى ومنه إلى وادي فاطمة ثم خليص وهناك أقاموا

الحجيج للإحرام والتلبية والدعاء لله . وصلى الجميع ركعتي شكر .

كان وصول سفينة سيد أحمد إلى ميناء جدة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان . وكان بعض رفاقه ممن سبقوه في انتظاره . بينما توجه البعض الآخر إلى مكة وقدم للسلام عليه إخوان من أمراء حيدرآباد الذين كانا يقيمان في جدة ويعملان بالتجارة،قدما للحج قبل سنة أو أكثر . وهما نواب محمود نوازخان وسلطان حسين خان . كما قدم المطوف محمد رئيس من مكة ليتولى مساعدة القافلة وأثبت أنه أحق من أي مطوف آخر بذلك . بقي سيد أحمد في جدة خمسة أيام استفسر خلالها عن بقية الحجيج واطمأن على أحوالهم .

وفي التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٢٢٧هـ حطت القافلة بالقرب من مكة المكرمة وكان من وصلوا قبلاً قد عادوا لاستقبال قائد القافلة ومن معه حاملين ماء زمزم ثم سعوا بين الصفا والمروة ثم حلقوا وتحللوا من إحـــــرامهم .

وهكذا مرت عشرة أشهر منذ أن خرج سيد أحمد من بيته . ونزلت القافلة بالقرب من باب العمرة في بيوت استأجروها . وكانت النفقات اليومية في مكة كالتالي :

دقيق : ٢٠ ريالا (سعر الدقيق ١١ كيلا بريال واحد) ..

بضائع مختلفة : من ٦ ريالات إلى ١١ ريالاً .

خشب (وقود) : ٢ ريالات .

وقد وصلت النفقات اليومية حوالي ٢٩ريالاً . ونظرًا لضيق ذات اليد بدأوا في طبخ العدس بدلاً من اللحم . وكان شاه إسماعيل يتولى أمر

بدروس الوعظ والإرشاد . ومرت السفن على ميناء « ألفى (اليى) وهو ميناء مشهور في جنوب غرب الهند . ثم كاليكات . ثم جزر لكاديب وأمين ديب » .

وعمت الفرحة أهل القافلة حين ظهرت أرض عدن للعيان . وارتفعت أصوات التكبير والتهليل والشكر لله الذي منّ عليهم برؤية أرض الجزيرة العربية .

نزل سيد أحمد شهيد مع رفاقه إلى عدن . واستقبلوا من قبل كثير من الناس . وحطت القافلة في أحد المساجد . ومن عدن وعبر باب سكندر أي باب المندب (المندوب) كما تذكر المصادر الأردية . دخلت القافلة إلى البحر الأحمر و وصلت إلى ميناء مخه (مخا) وأراد ربان سفينة سيد أحمد زيارة أهله في مخه والبقاء لمدة شهر . وهكذا بقي سيد أحمد شهيد مع رفاقه في مخه .

وفي مخه علم أن القاضي محمد بن علي الشوكاني محدث . قد جمع بعض الأحاديث الموضوعة في كتاب « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة » فأمر سيد أحمد عبد الحي بالحصول على نسخة . فطلبوا من قاضي مخه مساعدتهم وذكر لهم أنه سيرسل إلى صنعاء . وتم تدبير الحصول على الكتاب . وهكذا وصل كتاب القاضي الشوكاني في الأحاديث الموضوعة إلى الهند .

بعد شهر تحركت القافلة من ميناء مخه إلى ميناء الحديدة حيث كان أحد التجار الهنود في انتظار سيد أحمد شهيد . فاستضاف القافلة لفترة . وبعد ذلك بأربعة أيام وصلت القافلة إلى محاذاة يلملم . واستعد

ومحاسن التوحيد والسنة وفضائل الحج والعمرة ، ثم خطب سيد أحمد شهيد في الناس ، فقال :

« أخوة الإسلام ، إن كنتم خرجتم من دياركم بنية الحج والعمرة ابتغاء مرضاة الله ، فيجب عليكم أن تتحدوا وأن تتفقوا ولا تفترقوا ، لأنكم أبناء أم واحدة وأب واحد ، وأن يعين الواحد منكم أخاه ، وأن يخدم رفيقه ، ولا يخجل من ذلك ، بل يرى في خدمة أخيه المسلم عزة ، وفخارًا » .

انطلقت قافلة الحجيج في طريقها البرى بين مدن الهند المختلفة تبلغ رسالة التوحيد وتقضي على الشرك بكل أنواعه من « بنارس إلى مرزافور، وعظيم آباد ، وحتى منطقة التبت ، وأخيرًا إلى كلكتا » وهناك أثمرت الدعوة فأعلن الكثير من الكفار إسلامهم وأغلقت الخمارات وكسدت تجارة الشراب والخمر ، وتراجع السفور وتحولت قاعات إقامة مجالس التعزية لإنشاد الشعر والبكاء وضرب الصدور إلى مساجد تقام فيها الصلوات ، ومن مدينة كلكتا وفي شهر صفر ١٢٢٧هـ-نوفمبر ١٨٢١م بدأت الترتيبات للرحلة البحرية إلى مكة المكرمة ، وتوزعت القافلة على عشر سفن لكل منها أمير ، وركب سيد أحمد شهيد في سفينة كان يقودها عبد الرحمن الحضرمي وهو من ميناء « مخه » ، بينما كان يقود سفينة فتح الباري ربانها عبد الله بلال العربي وسفينة عطية الرحمن ربانها محمد حسين التركي ، ويقال إن هذه السفينة كانت مجهزة بسبعة مدافع ويقال : إن عدد القافلة يصل إلى ٦٩٢ يرافقهم ١٠٧ من المساكين ، وحمل الحجيج ما يحتاجون من طعام على قدر الاستطاعة ، وعلى ظهر كل سفينة تم تقسيم العمل بين رجال القافلة كما اهتم أمراء كل سفينة

إنما يفتح الباب للضلال ، ويعطل أحكام وفرائض الدين وأركان الإسلام ، فاليوم يُسقط الحج وغدا يُسقط الصوم وبعد غد يسقط الصلاة وهكذا .

وسط هذه الظروف قرر سيد أحمد شهيد دعوة الناس لأداء فريضة الحج فتجمعت من حوله جماعة خيرة من علماء ومشاهير الهند ، ولم يحدث في تاريخ الهند أن قامت جماعة بهذا الحجم والعدد بالذهاب إلى الحج والتحرك داخل اطار واحد تجمعها الألفة والمحبة ، ويحدوها الأمل في الحصول على رضا الله ٧٠٠ حاج ، وقد أشاعت هذه الجماعة جواً إسلاميًا روحانيًا أنى تحركت ، وأنى اتجهت ، فقد راحت تمسح من طريقها شوائب الشرك وتمحو عادات الجاهلية ، ومساوئ الفسق والفجور .

كتب سيد أحمد شهيد خطابات إلى جماعته في دهلي وسهارنفور وغيرهما ، جاء فيها :

« نحن ذاهبون لأداء فريضة الحج ، فعلى من ينوى الحج أن يرافقنا ، و ليعلم الجميع أننا لا نملك مالاً و لا متاعًا ، و لكننا متوكلون على الله وحده ، وسوف نعتمد على الله ثم على جهدنا وما نكسب من عمل نؤجر عليه ، أما النساء والضعفاء فيكفلهم القادرون منا على العمل » .

وتجمعت القوافل في بلدة « رائ بريلي » موطن سيد أحمد ، كما قدمت قوافل أخرى بقيادة شاه إسماعيل ، وقافلة بقيادة عبد الحي ، وقدم أفراد عديدون من مدن متفرقة وصل عددهم أكثر من أربعمائة شخص وكان ذلك يوم الاثنين آخر شوال ١٢٣٦هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٨٢١م .

أشرف على شئـــون الحجيج مولوي محمد يوسف بهلتي بينما تولى عبد الحي وعظ الناس لأربعة أيام ، يوضح لهم مساوئ الشرك والبدعة

أعلام التاريخ الإسلامي :

السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
يقوم برحلة الحج في القرن الثالث عشر الهجري

بقلم : سعادة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم
عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١ ١١

بعد ما افتى علماء الهند بإبطال الحج ، خوف الهلاك :

دأب بعض علماء الهند المسلمين قبيل وبعد سنة ١٨٠٠م–١٢١٥هـ على إصدار فتوى تبطل فريضة الحج بدعوى خطورة السفر والتعرض للتهلكة في البحر ، وفي تلك الفترة ظهر أحمد بن عرفان شخصية الجهاد الإسلامي (١٢٠١هـ–١٢٤٦م) الذي قاد رحلة الجهاد ضد السيخ والإنجليز بعد أن أسس دعوته الرامية إلى تطهير العقيدة الإسلامية من الشرك والبدعة ، وإلى التوحيد الخالص ، ونبذ كل أنواع الشرك .

وكانت دعوته في الهند شبيهة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ، برغم عدم وجود صلة من أي نوع بينهما ، إلا أن كلاً منهما اعتمد في دعوته على نبع الإسلام الصافي ، ومن هنا تشابهت الثمار شكلاً وموضوعًا ، جوهرًا ومظهرًا .

تصدى الداعية شاه عبد العزيز – يرحمه الله – لفتوى إبطال فريضة الحج ، وامتدح ردود عبد الحي وإسماعيل وهما رفيقا الإمام سيد أحمد شهيد في الدعوة والجهاد ، وقتال الكفار ، وقال : إن من يفتي بسقوط فريضة الحج

الأمة ، وعقيدته من سلف هذه الأمة ، حقيقة إنه يعيش حياة ربانية روحانية خاصة ، وهو رجل عاش الله ، وعاش معه ، ولهذا أحبه المسلمون في كل مكان ، إن الرجل الذي تجتمع عليه الكلمة ، هو الشيخ أبو الحسن علي الندوي ، ما رأيت مسلما يكره هذا الشيخ ، إلا من قد فقد عقله ، وكل مسلم عنده ذرة من الإيمان يحب العلامة الندوي ، وأنا أرى حب العلامة الندوي من علامات الإيمان ، وعلامات النصح لهذه الأمة ، فهو أحد الربانيين في هذه الأمة ، ولذلك اختاره المسلمون في جامعات شتى ، وجميعات ومجامع علمية وفقهية ، وهو رئيس المركز الإسلامي في جامعة أوكسفورد ، وقد تحدث ولي عهد بريطانيا في مركز أوكسفورد عن الإسلام والغرب حديثًا تحدث عنه العالم كله ، وهو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وهو رجل قد نذر حياته لله ، وقد نذر أن يصحح مسار هذه الأمة ، ويجدد إيمانها ، ويعيد ثقتها بالله وبدينها .

هو مؤرخ ليس ككل مؤرخ ، بل إنه لا يريد من الدنيا شيئًا ولا يقصد منها شيئًا ، وهو كالشعاع الذي يمر ويضئ الدنيا ، ولا يأخذ منها شيئًا ، أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزى شيخنا أبا الحسن علي الحسني الندوي خير ما يجزي به الأئمة والصادقين والعلماء العاملين ، والدعاة الربانيين ، وأن يحشره ويحشرنا معه في جنة الرضوان ، قال الله تعالى : ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦٩]

وكتب الحديث ، رزقه الله البصيرة ، ورزقه الملكة والقدرة والتأمل في الأحداث ، والسنن ، يتجلى ذلك في كتبه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » و « روائع إقبال » وحضرنا حينما ألقى في كلية دار العلوم في القاهرة محاضرة حول العلامة محمد إقبال ، إنه ألف كتابه القيم « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » وهو كتاب صريح في مضمونه ومادته ولغته ، وفي جزئه الأول أظهر الشيخ ، أن الإسلام كان قادرًا على أن يُبرز رجالا في كل حين ، يسدون الثغر ، ويلبون حاجة الأمة ، يعني أن الأمة تحتاج في كل عصر إلى مفكر يظهر ، وتحتاج أحيانا إلى شخصية ربانية وروحية ، وأحيانًا تحتاج إلى قائد ، مثل صلاح الدين الأيوبي ، وهكذا برز في كل وقت من الأوقات الرجل المناسب في الوقت المناسب ، ليقوم بالعمل المناسب ، في تجسيد حياة الأمة ، وحدث عن الغزالي وعبد القادر الجيلاني ، وكثير من العلماء الربانيين الراسخين في العلم والإيمان ، ظهرت أجزاء عديدة لهذا الكتاب ، وله عدة كتب معنية بالتاريخ ، وكتابه : « الأركان الأربعة » حدث فيه عن الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وكتابه : « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » وكتابه : « الطريق إلى المدينة » وكتابه : « ربانية لا رهبانية » تحدث فيه عن الربانية وما لها من دور في الإصلاح والتزكية ، ولكنه اعتبر ما يسمونه بالتصوف الحق ، ربانية لا رهبانية ، إنني أنصح أن تقرأوا كتب الشيخ وأقول لأصحاب المكتبات : أن يحاولوا توفيرها ويقدموها إلى الناس .

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أحد الأقطاب وأعلامهم في هذه

الحسني – رحمهم الله تعالى – تربى أبناء الشيخ و تلاميذه على العلم والإيمان ، وهذا ما نحتاج إليه ، والإيمان ليس كلاما يقال أو دعوي يدعى ، الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وحينما زرنا ندوة العلماء ، عرفت قيمة ما قاله الداعية الكبير الشيخ علي الطنطاوي ، حينما زار ندوة العلماء ، وكتب في سجل الزيارات ، إنني أتمنى لو رجع بي الزمان وعدت شابا وطالبا أتعلم في هذه الدار من جديد ، واقتبس منها وشيوخها ورجالها ، كان الشيخ علي الطنطاوي على حق ، حينما كتب هذا الكلام ، ولا شك فإن ندوة العلماء تصنع العجائب ، تصنعها في العلم والإيمان ، كانت هذه زيارتي لهذه المؤسسة العلمية الكبرى بمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا على تأسيسها ، حضر فيها آلاف من المسلمين والهندوس ، وزرت بعد ذلك الشيخ ، و زرت الندوة أكثر من مرة ، وزرتها حينما ذهبت أنا وإخواني الأساتذة للحضور في مؤتمر : « الإسلام والمستشرقون » الذي عقد في مجمع دار المصنفين بأعظم كره ، ومرة أخرى بدعوة من سماحة الشيخ لأسبوعين لإلقاء بعض المحاضرات ، والعيش في هذا الجو الروحاني الرباني العلمي ، وعشنا مع الندوة ، وعشنا مع كتب الشيخ ، وللشيخ كتب قيمة ينبغي أن تقرأ وتدرس ، أنا أصرح للإخوة الذين يحضرون ويسمعون كلامي هذا ، بأن يقرأوا كتب الشيخ ، وهي كتب لها قيمة خاصة ، وهي نتيجة دراسات طويلة ، ونتيجة المعايشة للتراث من جانب ، وللفكر العالمي من جانب ، أكرمه الله بعديد من اللغات ، فلا يقرأ في العربية فقط أو الأردية والإنجليزية فقط ، إنه جمع بين كتب التراث

الصحابة لفتح العالم ، الذين أقاموا تلك الحضارة العظيمة ، بهذا الإيمان النابع من القلب،كنت عرفته في مصر ثم عرفته بعد ذلك حينما زرنا ندوة العلماء ، حينما دعانا الشيخ لحضور مهرجانها بمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا ، على تأسيس ندوة العلماء ، كنت حضرت مع عدد من العلماء والمشايخ كالشيخ عبد المعز عبد الستار ، وشيخنا الدكتور عبد الهادي محمود -رحمه الله تعالى- ، والشيخ الذهبي ، والشيخ الحلبي والشيخ الأنصاري -رحمه الله تعالى- ، والشيخ أحمد عبد العزيز المبارك ، وكثير من الدعاة والعلماء ، اجتمعوا في ندوة العلماء ، بهذه المناسبة الكريمة .

وندوة العلماء أيها الإخوة ! قد أسسها العلماء الربانيون على شعار الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، والجمع بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع ، كانت مشكلات المدارس الدينية والجامعات الدينية ، في العالم الإسلامي ، أنها تعيش على مشكلات قديمة ، تعيش في مشكلة العصر وفي تيارات العصر ، ولكن ندوة العلماء ترحب بكل قديم صالح وجديد نافع ، إنها تجمع بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع ، شعارها « خذ ما صفا ودع ما كدر» تربية متكاملة ، إيمانية وأخلاقية ، هذا ما يتميز به أبناء ندوة العلماء ، الذين يعتز كل منهم إذا تخرج من هذه الدار، اعتزازا بهذه الندوة ، التي أثرت في إيمانه وسلوكه ، في تعامله مع الله وتعامله مع الناس ، قد تربى في جامعة ندوة العلماء رجال ، تربوا على الشيخ وعلى شيوخه كالعلامة السيد سليمان الندوي ، والعلامة شبلي النعماني، وأخوه الدكتور السيد عبد العلي الحسني، وأبوه الشيخ عبد الحي

ومن جزيرة العرب إلى العالم » تخيل فيها الشيخ أن العالم يهدد جزيرة العرب ، ويسألها أين رسالتك يا جزيرة العرب ؟ فأنت التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، وأنت التي بعثت رجالاً ، ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأول مرة قرأنا كلام ربعي بن عامر ، وما كنا نعرفه ، واهتم به وأعطاه القيمة ، وأظهره في رسائله وفي كتاباته ، فأصبحنا كلنا نتحدث عن ربعي بن عامر : « الله ابتعثنا ليخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » ولقد قال الشيخ الغزالي وهو أحد الأدباء ، حينما قرأها : هذا الدين ، لا يخدمه إلا نفس الشاعر ، وكلامه ليس شعرا ولكن فيه أسلوب الشاعر ، استنطق الجزيرة العربية بالرسالة ، وكذلك كتب رسالته الشهيرة « اسمعي يا مصر » بين فيها أن حفر قناة السويس كان أكبر حادث في التاريخ العصري ، غيّر مجرى التاريخ ، وأحدث انقلابا في السياسة والتجارة ، ولكن من يستطيع أن ينكر أن شقاء الأمم الشرقية كان أعظم من سعادتها ، وأنها لم تجن من قناة السويس إلا عبودية واستعمارًا ، والعالم الآن في حاجة إلى قناة أخرى ، قناة التعارف الصحيح ، والتبادل المتوازن ، وإليك يا مصر القيام ، بهذه المبرة العظيمة لمكانك الجغرافي ، وأهميتك السياسية ، وثروتك الثقافية ، ومركزك الروحي ، وللشيخ عدد من الرسائل ، تحت عنوان إسمعيات ، اسمعي يا مصر ، اسمعي يا سورية ، اسمعي يا إيران ، اسمعي يا زهرة الصحراء ، قرأناها وسمعنا منه المحاضرات ، فسمعنا ، أن الإسلام ليس مجرد حماس ، أن الإسلام ليس مجرد مظاهر ، ولكن الإسلام قلب يخفق ، وروح دافقة تتدفق بالإيمان ، إن الإسلام هو الذي حرك

الغزالي . وقرأت هذا الكتاب وأحببت صاحبه . ثم اتصل بي بعض الإخوة الهنود ممن كانوا يدرسون في مصر . وقالوا لي : إن الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي سيصل إلى القاهرة . فقلت : إنني في شوق إليه . وفعلاً وصل الشيخ إلى القاهرة . وسعدنا به . وسعدنا بصحبته . وسعدنا بالاجتماع إليه . وسعدنا بزيارته . في زقاق من الأزقة . في شارع مصر . والشيخ يأبى أن ينزل الفنادق . ويأبى أن ينزل كبيرًا من الكبراء . فنزل هو وإخوانه في شقة ضيقة في زقاق من الأزقة في شارع مصر . قرب الأزهر . زرت الشيخ أكثر من مرة . واستزرناه . مع الطلاب في بيت . وبات معنا في ليل من الليالي . وسهر معنا . وعشنا مع الشيخ . وقد تجول الشيخ في كثير من المدن وكثير من القرى . فكانت أياما مباركة . التقى فيها كبار رجال الدعوة . كالسيد قطب - رحمه الله تعالى - الذي كتب مقدمة كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وأحمد أمين الذي كتب مقدمة على الكتاب . باعتباره رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر . التي طبعت الطبعة الأولى للكتاب . وكانت مقدمة عادية . وبصراحة : إنه قصر في حق الشيخ . فكتب سيد قطب الشهيد مقدمة للكتاب . وكتب يوسف محمد موسى . وكتب الأستاذ أحمد الشرباصي . وكل هؤلاء التقوا بالشيخ في عدد من المحاضرات والزيارات . وهذا الأستاذ بهي الخولي - رحمه الله تعالى - الذي التقى به . والتقى به الاخوان ونصحهم بمعروف في رسالته : « أريد أن اتحدث إلى الإخوان » كان الشيخ قد اعتنى بتأليف عدد من الرسائل تحت عنوان : « إلى الإسلام من جديد » ومن بينها رسالته : « من العالم إلى جزيرة العرب .

كلمة اعتراف و تقدير

[هذه الكلمة ارتجلها العالم الكبير سعادة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ، بمناسبة زيارة سماحة العلامة أستاذنا الجليل الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، دولة قطر ، على دعوة من معالي وزير الأوقاف الوقر ، في شهر ذي القعدة ١٤١٥هـ (أبريل ١٩٩٥م) وذلك لإلقاء محاضرات في الوسم الثقافي .

ولما ابتدأ برنامج الوسم ألقيت فيه هذه الكلمة القوية التي تحتوي على اعتراف وتقدير لمكانة سماحة العلامة الندوي ومؤسسة ندوة العلماء الشامخة التي يرأسها سماحته ويُشرف على تحقيق الأهداف الغالية التي قامت عليها منذ أكثر من قرن من الزمان . نقدمها إلى قرائنا الكرام ، عسى أن يكون لهم فيها نوع من زاد علمي وتاريخي . وقد نقل الكلمة عن الشريط . مشكورًا ، الأخ الأكرم محمد إكرام الحق الندوي – حفظه الله تعالى –] [التحرير]

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينامحمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أيها الإخوة : كان من نعمة الله عليّ أن تعرفت على سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي ، منذ أربعة وأربعين عامًا ، حينما قدم علينا في القاهرة ، وهو في شرخ الشباب ، وذلك عام خمسين الميلادي ، كان كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » قد قرأناه قبل قدومه إلى القاهرة بأشهر ، وهو كتاب يجب أن يقرأه كل مسلم ، وهو كتاب عظيم قيم ، نقلت عنه كثيرا ، ونقل عنه سيد قطب الشهيد ، ونقل عنه

ولكن هناك مؤرخين ممن ينكر ثقافته الفارسية ، مثل بطرس بستاني صاحب أدباء العرب حيث يقول (١) : « يرى بعضهم أنه تعلم الفارسية وأتقنها ويستدلون على ذلك لكثرة ما ورد من ألفاظها في كتبه ولكن لا يصح الاطمئنان إلى هذا الرأي لأن لغة كانت شائعة في عصر الجاحظ لانتشار أهلها في العراق فقد يكون التقط ألفاظًا منها واستعملها في كتبه تملحا وتظرفًا دون أن يعني بدراستها وإتقانها » .

هذا وإن دققنا النظر فيه نرى أنه كان يتخطى خطوة بعيدة عن الصواب تناقض طبيعة الجاحظ وميوله إلى الاطلاع كما تناقض ما يقوله هو بعد هذه السطور « ولم يدع الجاحظ علماً معروفًا في أيامه إلا نظر فيه » (٢) .

من أجل ذلك يرى المحققون أنه كان يعرف الفارسية ويتقنها كما قال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (٣) : « وكان الجاحظ يعرف الفارسية إذ يبدو أنه كان يتكلم الفارسية ويعرف نحوها وأدبها ويترجم منها فنراه يقول عن الزرافة : لما رأوا أن اسمها بالفارسية « اشتر كاوبلنك » وتأويل « اشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك » الضبع إلخ ، وفي الحيوان نصوص من « كليلة ودمنة » تختلف عن نصوص ابن المقفع بل كان الجاحظ يجيد اللغة الفارسية » .

فإنه قد تثقف بالثقافة العربية وأتيحت له الثقافة اليونانية وحذق الثقافة الفارسية وأمعن نظره في الثقافة التركية والسريانية وغير ذلك ، سئل أبو العينا الراوية الأخباري (٤) : « ليت شعري أي شئ كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري أي شئ كان الجاحظ لا يحسن .　　[يتبع]

---

(١) أدباء العرب لبطرس بستاني : ج/٢ ، ص/٢٦٠ .
(٢) أدباء العرب لبطرس بستاني : ص/٢٦٠ .
(٣) أبو عثمان الجاحظ : ص/١١١ ، ط. دار الكتاب اللبناني بيروت .
(٤) تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢١٥ .

الدور » (١) .

٥- **الأندية الأدبية :** « هي المجالس الخاصة تنعقد في دور الأمراء والأشراف والسراة وغيرهم من أهل البصرة » (٢) .

٦- روح الشعب (٣) . ٧- دكاكين الوارقين . -٨- الاتصال بالنظام -

هذه عوامل رئيسية خارجية لتكوين شخصية الجاحظ الفنية والأدبية كما أن هناك عوامل داخلية وهي : كونه مرهف الحس ومفتوح المشاعر وشديد التطلع وحادّ الذكاء ، والعقل الجبار ، وسرعة الخاطر .

ثقافتـــه : كانت ثقافة الجاحظ ثقافة واسعة منوّعة ، تحيط بسائر ألوان المعرفة الذائعة في عصره ، ومصادرها كثيرة منها ما طالعه من كتب العرب واليونان والفرس ، والهنود وغيرهم ، فقد اتصل باليونان وثقافتهم من كتبهم المترجمة ، وعن طريق المتكلين ، وبمجالسة كثير من المثقفين باليونانية ، وتأثر بخطابة أرسطو إلى حد كبير ، ولم يكن متأثرًا بالفلسفة اليونانية فحسب ، بل كان عقله الجبار ينتقد بعض الآراء اليونانية ، وينقد التراجم ، « فقد نقد كتاب « المنطق » وقال : إن أسلوبه عقيم » (٤) .

كذلك كان ملماً بالثقافة الفارسية المترجمة إلمامًا واسعًا ، ويظهر أنه كان يعرف الفارسية « أثر ثقافته الفارسية واضح في كتبه وفي مؤلفه البيان والتبيين » (٥) .

---

(١) نفس المرجع : ص/١١٢ بأدنـــى تغيير .

(٢) نفس المرجع : ص/١١٥ .　　(٣) المرجع السابق : ص/١٢٠ .

(٤) مقدمة كتاب البخلاء . أحمد طاهر كوجان ط. دار اليقظة العربية للتأليف .

(٥) البيان : ج/٢ ، ص/١١٧ . وكتاب البخلاء : ص/٧٧-٧٨ .

لكي نكون على علم تام وننطلق منه إلى منطلق آخر يتعلق بناحية أخرى من نواحي حياته ، تتركز عوامل تكوينه في نقاط تالية (١) :

١ - الحيـــــاة العامة : « نجد أن الجاحظ عاش حياته الأولى متصلاً بالحياة العامة اتصالاً وثيقًا ، متغلغلا بين طبقات الناس تغلغلاً عجيبًا، متنقلا بين هذا الإقليم وذاك ، ممارسًا لكثير من وجوه هذه الحياة ، مما لا يتصل بتلقى العلم والأدب ، ولكنه كان كبير الأثر في أدبه وعلمه » (٢) .

٢ - المربـــــد : « كان حلقة اتصال بين الحياة العربية الصحيحة والحياة العراقية الجديدة » (٣) .

٣ - المسجد : « هي حلقات المسجد الجامع للبصرة المتصلة من ناحية بالنشاط العقلي المجرد ومن ناحية أخرى بالحياة البصرية الظاهرة والخفية » (٤) .

٤ - مساجد الأحياء والأفنية : « مجالس العلم العامة لم تنحصر في مسجد البصرة الجامع بل كانت تنعقد في مساجد الأحياء وفي أفنية

---

(١) هذه العوامل كلها مأخوذة من كتاب الدكتور طه الحاجري « الجاحظ حياته وآثاره » وتجدها متفرقة في : أبو عثمان الجاحظ . لخفاجي ، والجاحظ لشارل بلات والجاحظ لحنافاخوري ، والجاحظ . لشفيق جبري ، والعصر العباسي الثاني . لشوقي ضيف : ص/٥٨٨ وما بعدها والفن ومذاهبه . له .

(٢) الجاحظ حياته وآثاره : ص/١٠٠ « وكان المربد سوقا تجارية وأدبية كبيرة منذ العصر الأموي » العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف : ص/٥٨٧-٥٨٨ . ط. دار المعارف بمصر . (٣) المرجع السابق : ص/١١٠ .

(٤) نفس المرجع : ص/١١٢ بأدنى تغيير .

فلله أبو عثمان فلقد غاص شعر الشعراء واستخرج أرقّ من السحـــر » .

وإذا كانت ميوله إلى الاطلاع واستيعاب ما يقع تحت يديه من المؤلفات ، وكان قصارى همّه في مغداته ومراحته وبكوره وآصاله أن يحفظ كتابًا أو يفهم بابًا ، وكان العصر (١) الذي فيه درج وإنما هو عصر غزارة المادة وتعدد التأليف ، وازدحام المعارف ، و وفرة مختلف الثقافات،فلا غرو إذا أخبرنا الجاحظ عن نفسه ، بقوله : « لقد نسيت كنيتي لقد تغيبت ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم بم أكنّى ؟ فقالوا بأبي عثمان (٢) » « ولا غرو إذا كان الجاحظ قد اتصل بكثير من علماء ونوابغ عصره ، وشهيري الكتاب والمترجمين من فرس وسريان ، فتأثر بلا ريب ذكاؤه بهذا الاختلاط ، وطالع جماع ما ترجم في أزمان المنصور والرشيد والمأمون فما كان يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائنًا ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الوارقين ويبيت فيها للنظر كما قلته آنفًا ، فكان لذلك من نوابغ العالم .

عوامل تكوين شخصيته الأدبية والفنية :

تحدث دارسو الجاحظ عن عوامل تكوينه وأسهبوا فيها وأطالوا، أمثال الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والأستاذ شفيق جبري ، ولا حاجة في هذا البحث المتواضع صغير الحجم – فيما أظن – أن أتكلم عنها وأسرد القول فيها إلا الإشارة إلى نقاط رئيسية .

---

(١) سأتحدث عن عصره بالتفصيل في فصل مستقل إن شاء الله تعالى .

(٢) تاريخ بغداد : ج/١٢ ، ص/٢١٤ .

والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنًا ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الوارقين ويبيت للنظر فيها ، ثم ثنّى أبو هفان بالفتح بن خاقان وذكر بعده إسماعيل بن إسحاق القاضي » .

فقد نشأ الجاحظ وتربّى على أكتاف أمثال أبي عبيدة ، والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن صديقه أبي الحسن الأخفش ، وأخذ الحديث عن يزيد بن هارون ، والسرى بين عبدويه ، وأبي يوسف القاضي والحجاج بن محمد بن حماد بن سلمة ، والكلام عن أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي النابه الذكر ، وبه تأثر ، وعليه تخرج في مذهبه في الكلام والاعتزال (١) .

قال الجاحظ (٢) : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات ، قال الصاحب بن عباد إثر هذه الحكاية :

>>> بالقراءة والكتب المقدّمة الطويلة التي وضعها بين يدى كتابه الحيوان ، وهي نحو مائة صفحة في تمجيد الكتب ، « العصر العباسي الثاني) شوقي ضيف : ص/٥٨٩ .

(١) انظر التفصيل في معجم الأدباء ، وتاريخ بغداد ، والجاحظ حياته وآثاره لطه الحاجري ، وأبي عثمان الجاحظ الخفاجي ، والجاحظ لشارل بلات .

(٢) العمدة لابن رشيق : ج/٢ ، ص/٨٤ ، ط: دار الجيل بيروت .

وقد أشار الجاحظ في بعض كلامه إلى هذا الكتاب الذي كان يتعلم فيه . وذلك في أثناء حديثه عن أعراض الكلب ، وقصة حادثة تتعلق بهذا الأمر وقعت لصبي من أولاد القصابين ، كان زميلا له في الكتاب .

يقول الجاحظ (١) : « وأنا - حفظك الله - رأيت كلبًا مرة في الحي ونحن في الكتاب ، فعرض له صبي يسمى مهديًا من أولاد القصابين ، وهو قائم يمحو لوحه فعضّ وجهه ، فنقع ثنيته دون موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحم الذي دون العظم إلى شطر خده فرمى به ملقيًا على وجهه وجانب شدقه ، وترك مقلته صحيحة ، وخرج منه من الدم ما ظننت أنه لا يعيش معه ، وبقي الغلام مبهوتًا قائمًا لا ينبس ، وأسكته الفزع ، وبقي طائر القلب ، ثم خيط ذلك الموضع ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكتاب ، وليس في وجهه من الشتر إلا موضع الخيط الذي خيط فلم ينبح - إلى أن برئ - ولا هر ، ولا دعا بماء حتى إذا رآه صاح ردوه ، ولا بال جروًا ولا علقًا ، ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير ، ولم أجد أحدًا من تلك المشايخ يشك أنهم لم يروا كلبًا قط أكلب ولا أفسد طبعًا منه . فهذا الذي عاينت » .

ومعنى ذلك أن الجاحظ قد أكبَّ على العلم منذ طفولته اكبابا عظيمًا وشغف بالقراءة وأولع بالمطالعة وعكف على الدرس والحفظ ، وقد قال عنه أبو هفان أحد معاصريه (٢) : « لم أرقط ولا سمعت من أحب الكتب

---

(١) الحيوان للجاحظ : ج/٢ ، ص/١٤ ، ذكرت القصة بكاملها ، ذلك لأنها تدل دلالة واضحة على براعة الجاحظ في تصوير الموصوف .

(٢) معجم الأدباء لياقوت : ج/١٦ ، ص/٧٥ ، ومن أكبر الدلالة على شغفه >>>

ميلاده . يقول بروكلمان (١) : « ولد بالبصرة في أوائل سنة ١٥٠هـ-٧٦٧م » ويقول عمر فروخ (٢) : « ولد نحو سنة ١٦٠هـ-٧٧٧م » وقيل في عام ١٥٩هـ . ولكن أغلب الروايات متّجه إلى أنه ولد في أوائل سنة ١٥٠هـ ومات ٢٥٥هـ . ذلك لأن قول الجاحظ يؤيد هذا الرأي وهو : « أنا أسنّ من أبي نواس بسنة . ولدت في أول سنة ١٥٠هـ و ولد في آخرها » (٢) .

نشأته : عند ما نبحث عن نشأة الجاحظ فلا نجد شيئًا واضحًا عنها إلا أنه نشأ بالبصرة (٤) « مسقط رأسه » وفي مطالع الجزء الثاني من كتابه « الحيوان » ما يشير إلى أنه كان يختلف إلى بعض الكتاتيب مع لداته من الصبية . وكانوا يتعلمون فيها القراءة وشيئًا من النحو والفقه والحساب . ويحفظون بعض القرآن الكريم وبعض الأشعار . « فأخذ الجاحظ يلتهم كل ما يسمعه فيها من فقه وعلوم شريعة ومن نحو وعلوم لغة ومن مناقشات ومحاولات بين المتكلمين » (٥) .

---

(١) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ . ص/١٠٦ ط. دار المعارف .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ . ص/٢٠٥ .

(٣) يذكر ابن خلكان نقلا عن تاريخ بغداد للبغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ) أن أبا نواس ولد عام ١٤٦هـ وهذا غير صحيح . والصحيح أن الجاحظ ولد في المرحم عام ١٥٠هـ فبراير ٧٦٧م في خلافة المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ) (هامش أبي عثمان الجاحظ محمد عبد المنعم خفاجي : ص/٥٦ . وهامش أدباء العرب : ج/٢ . ص/٢٦٠ .

(٤) وفي أخباره أنه كان يبيع الخبز والسمك بسيحان أحد نهيرات البصرة .

(٥) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف : ص/٥٨٧ ط. دار المعارف .

فقد ثبت بهذا الاستعراض السريع أن الجاحظ ينحدر من أصل عربي صريح خالص ، ومن بيت كريم المحتد عظيم المنزلة في الجاهلية والإسلام « وأيد عروبة الجاحظ أبو زيد البلخي (م ٣٢٢هـ) وابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ) » (١) وأشار إلى ذلك الأستاذ أنيس المقدسي بحيث يقول (٢) : « المحققون على أنه عربي من كنانة » .

<u>مولـــــده</u> : لقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده ولكنهم يكادون يتفقون على تاريخ وفاته وهو (٢٥٥هـ) . يقول ابن خلكان (٣) : « كانت وفاة الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة » وقد نيّف على تسعين سنة - رحمه الله تعالى » ويقول ياقوت (٤) : « مات الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين » وجاء فيه في مكان آخر : « وأنى قد جزت التسعين » (٥) وقال صاحب تاريخ بغداد (٦) : « مات الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين » ولذلك فنرى أن الأستاذ أحمد أمين يقول : « إنه عمر نحو ٩٦ عامًا فيكون ميلاده جول سنة ١٥٩هـ » (٧) .

هذا وعند ما نرجع إلى كتب المحدثين نجدهم مختلفين في تاريخ

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .
(٢) تطور الأساليب النثرية : ص/١٦٨ .
(٣) انظر وفيات الأعيان : ج/٢ ، ص/٤٧٤ .
(٤) معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/٩٥ . (٥) نفس المصدر : ص/٩٦ .
(٦) تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢٢٠ .
(٧) ضحى الإسلام : ج/١ ، ص/٢٨٦ .

الجنس الإفريقي الذي اختلط بالعرب (١) .

التعقيب :

أولاً إن دلت رواية « يموت » على شئ فإنما تدل على أن وراء روايته هذه قلع . ليس دليلاً قاطعًا على إثبات ما يزعمون . و وصف فزارة بأنه كان من مفاخرهم الكبرى .

ثانيًا : سواد فزارة في رأي « يموت » ليس دليلاً على أن الجاحظ قد انحدر من أصول غير عربية . فقد يكون العربي أسود اللون . كما قال الجاحظ في صدد ترجيح السواد على البياض (٢): «إن العرب ليس بحمر» وما جاء في هذه الرواية من أن جد الجاحظ كان جمالاً لعربي هو عمرو بن قلع . ليس دليلا قاطعًا على إثبات ما يزعمون . و وصف فزارة بأنه كان مولى لأبي القلمس لا يدل على الرقّ . فالمولى يأتي بمعنى الحليف والنصير والصاحب والقريب . يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي نقلاً عن السندوبي صاحب أدب الجاحظ (٣) : « وقد يكون قبيلة عربية صريحة النسب مولاة لقبيلة عربية أخرى » والذين هجوا الجاحظ من معاصريه لم يصفوه بالرقّ ولا بأنه كان مولى لأحد . ولو كان الجاحظ من غير عربي لنزع منزع الشعوبيين وذهب مذهبهم،لكننا نراه كان يهجم عليهم وينقدهم نقدًا لاذعًا .

---

(١) أبو عثمان الجاحظ لمحمد عبد المنعم خفاجي : ص/٥٤ . والفكرة التالية مأخوذة منه بأدنى تغيير في الألفاظ والشكل .

(٢) رسائل الجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون : ج/١ . ص/٢١٦ .

(٣) أبو عثمان الجاحظ : ص/٥٤ .

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الأولى]

الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

نسبـــــه :

« أبو عثمان » عمرو بن بحر بن محبوب . ولكن أكثر كُتّاب التراجم والأنساب وقفوا عند « محبوب » هذا . وانفرد ياقوت صاحب معجم الأدباء بذكر جدّ بعيد له اسمه فزارة (١) .

أصلـــــه :

لقد اختلف المؤرخون في أصل الجاحظ هل هو منحدر من أصل عربي أم غير عربي ؟ .. فهناك فريق من المؤرخين يبذل قصارى جهده في أنه منحـــدر من أصل غير عربي مستندًا قوله إلى رواية تروى عن يموت بن المزرّع البصري وهي : «كان فزارة جد الجاحظ أسود اللون وكان جمالاً لعمرو بن قلع » (٢) ويضيف بروكلمان إلى ذلك (٣) أن جد الجاحظ كان زنجيا أسود . وممن أيّد ذلك أحمد أمين وغيره (٤) . ومعنى ذلك أنه من

---

(١) راجع تاريخ بغداد : ج/١٢ . ص/٢١٢ . و وفيات الأعيان : ج/٣ . ص/٤٧٠ و معجم الأدباء : ج/١٦ . ص/٨٣ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت : ج/١٦ . ص/٨٤ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ . ص/١٠٦ .

(٤) ضحى الإسلام : ج/١ . ص/٢٨٦ .

كتاب الفروع وكشاف القناع ، من الإحالة إلى الفقيه المالكي ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - . قال العلامة المالكي والناقد المعروف لتفسير الكشاف للعلامة الزمخشري ، أحمد بن محمد بن منصور الاسكندري المتوفى عام ٦٨٢هـ المعروف بابن المنير في كتابه : « الانتصاف من الكشاف » تعليلا لدخول « في » بدل « ل » في الأصناف الأربعة الأخيرة ، وثم سر آخر وهو أظهر وأقرب ، وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملك لما عساه يدفع إليهم وإنما يأخذونه ملكا ، فكان دخول اللام لائقًا بهم ، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل لا يصرف إليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم » (١) .

إن كلام ابن المنير المالكي واضح الدلالة على أن أداء الزكاة عند المالكية لا يكون إلا بتمليك مال الزكاة لمن يندرج تحت الأصناف الأربعة الأوائل ، وأن يتركوا أحرارا في التصرف فيه ، وقال الدكتور وهبه الزحيلي وهو من الفقهاء البارزين في العصر الحاضر تبيينًا لوجهة نظر الجمهور من فقهاء المذاهب المختلفة نحو وجوب التمليك لأداء الزكاة في كتابه : « الفقه الإسلامي وأدلته » : « اتفق جماهير فقهاء المذاهب على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى غير من ذكر الله تعالى من بناء المساجد والجسور والقناطر والسقايات وكرى الأنهار وإصلاح الطرقات وتكفين الموتى وقضاء الدين والتوسعة على الأضياف وبناء الأسوار وإعداد وسائل الجهاد كصناعة السفن الحربية وشراء السلاح ونحو ذلك من القرب التي لم يذكرها الله تعالى مما لا تمليك فيه » (٢) .

---

(١) الانتصاف من الكشاف على حاشية الكشاف : ج/٢ ، ص/١٥٨-١٥٩ .
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته : ج/٢ ، ص/٨٧٥ .

دلت هذه المقتطفات من أقوال الفقهاء الشوافع بكل صراحة و وضوح على أن تمليك المستحق لمال الزكاة واجب عندهم لأداء الزكاة وبراءة الذمة منها .

أقوال فقهاء الحنابلة والمالكية :

وقد جاءت آراء علماء الحنابلة في وجوب التمليك صريحة واضحة ، ونكتفي بذكر مقتطفين من كلام الحنابلة في هذه المناسبة .

قال الفقيه الحنبلي الشهير شمس الدين المقدسي : (محمد بن مفلح ، المتوفى عام ٧٦٢هـ) في كتاب الفروع : « ويشترط في إخراج الزكاة تمليك المعطى (و) فلا يجوز أن يغدى الفقراء والمساكين ويعشيهم ، ولا يقضى منها دين ميت غرمه لمصلحة نفسه أو غيره ، حكاه أبو عبيد وابن عبد البر لعدم أهليته لقبولها كما لو كفنه منها » (١) .

وقال العلامة البهوتي : (منصور بن يونس إدريس ، المتوفى عام ١٠٤٦هـ) في كشاف القناع : « (ويشترط لملك الفقير لها) أي الزكاة وإجزائها عن ربها : قبضه لها ، فلا يجزئ غداء الفقير ولا عشاؤهم) من لزكاة لأنه ليس بإيتاء (ولا يقضى منها دين ميت غرم لمصلحة نفسه أو غيره) حكاه أبو عبيد وابن عبد البر إجماعًا (لعدم أهليته) أي الميت لقبولها ، كما لو كفنه) أي رب المال (منها) أي من الزكاة .. (ولا يصح تصرف الفقير) وباقي أهل الزكاة (قبل قبضها لأنه لا يملكها إلا به » (٢) .

وكذلك أوجب فقهاء المالكية تمليك الفقراء والمستحقين مال الزكاة في لأصناف الأربعة الأولى كما يظهر مما سبق في القطعتين الماضيتين من

----

(١) كتاب الفروع : ج/٢ ، ص/٦١٩ .

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع : ج/٢ ، ص/٢٦٨-٢٦٩ .

آية مستحقي الزكاة : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. إلخ ﴾ لإثبات الملك فأوجبوا تمليك هؤلاء المستحقين مال الزكاة حتمًا ، ولا يجزئ عندهم أداء الزكاة صرف مالها في صالح المستحقين ممن وجبت عليهم الزكاة حسب ما يرون بدون أن يملكوهم القدر الواجب أداؤه ، وقد أعرب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عن وجهة نظر فقهاء الشافعية في كتابه : « المهذب » قال : « ويجب صرف جميع الصدقات إلى ثمانية أصناف .. والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء .. ﴾ فأضاف جميع الصدقات إليهم بلام التمليك وأشرك بينهم بواو التشريك ، فدل على أنه مملوك لهم مشترك بينهم » (١) .

وقال الإمام النووي الشافعي - رحمه الله تعالى - وهو يتحدث عن الصنف الخامس من الأصناف الثمانية ، للزكاة (وفي الرقاب) في كتابه : « المجموع شرح المهذب » : « قال الشافعي والأصحاب : يصرف سهم الرقاب إلى المكاتبين ، هذا مذهبنا ، وبه قال أكثر العلماء .. واحتج أصحابنا بأن قوله -عزوجل- (وفي الرقاب) كقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ وهناك يجب الدفع إلى المجاهدين ، فكذا يجب هذا الدفع إلى الرقاب ، ولا يكون دفعا إليهم إلا على مذهبنا .

وأمن من قال يشترى به عبيد فليس بدفع إليهم ، وإنما هو دفع إلى ساداتهم ، ولأن في جميع الأصناف يسلم السهم إلى المستحق ويملكه إياه فينبغي هنـــــا أن يكون كذلك لأن الشرع لم يخصهم بقيد يخالف غيرهم » (٢) .

----

(١) المهذب : ج/١ ، ص/٢٢١ .

(٢) المجموع شرح المهذب : ج/٦ ، ص/١٤٦ .

الفقير وتسليمه إليه أو إلى يد من هو نائب عنه وهو المصدق ، والملك للفقير يثبت من الله تعالى ، وصاحب المال نائب عن الله تعالى في التمليك والتسليم إلى الفقير والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ وقول النبي الكريم -ﷺ- الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في كف الفقير ، وقد أمر الله تعالى الملاك بإيتاء الزكاة لقوله -عزوجل- : ﴿وآتوا الزكاة ﴾ والإيتاء هو التمليك ولذا سمى الله تعالى الزكاة صدقة بقوله - عزوجل- : ﴿ إنما الصدقات للفقراء ﴾ والتصدق تمليك ، فيصير المالك مخرجًا قدر الزكاة إلى الله تعالى بمقتضى التمليك سابقًا عليه ، ولأن الزكاة عبادة على أصلنا ، والعبادة إخلاص العمل بكليته لله تعالى ، وذلك فيما قلنا : إن عند التسليم إلى الفقير تنقطع نسبة قدر الزكاة عنه بالكلية وتصير خالصة لله تعالى ويكون معنى القربة في الإخراج إلى الله تعالى بإبطال ملكه عنه لا في التمليك من الفقير بل التمليك من الله تعالى في الحقيقة ، وصاحب المال نائب عن الله تعالى (١) .

كلام العلامة الكاساني تعبير عن وجهة نظر الفقهاء مصحوبًا بالأدلة على تمليك الفقير لمال الزكاة ، ومن أجل ذلك استند إليه كثير من العلماء وأشاروا في كتاباتهم إليه ، إلا أن هؤلآء العلماء قد لخصوا استدلال العلامة الكاساني فبقى فيه بعض الإجمال والاغماض فأردت أن أذكر كله وإن طال حتى يتبين كلامه ويتضح ما ينطوي عليه من وجوه الاستدلال .

رأي فقهاء الشافعية في التمليك : استدل علماء الشافعية بأن اللام في

---

(١) بدائع الصنائع : ج/٢ ، ص/٣٩ .

لها حتى يتصرفوا فيها حسب مصالحهم » .

وإن هذا التعديل الذي قدمه الإسلام نحو الزكاة في صورة تمليك الفقراء أموالها تعميما لغناء الزكاة في حق الفقراء ، عبر عنه فقهاء الإسلام بتمليك الفقير ، وقد حاولنا تسليط الضوء على هذا المصطلح الفقهي في محتويات هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وسرد الأدلة التي تمسك بها كل من الموافقين والمخالفين .

قد اتفقت كلمة الفقهاء في كل العصور على أنه يجب لبراءة الذمة بأداء مال الزكاة تمليكه لمن يستحقه في المواطن الأربعة الأولى من الثمانية التي نصت عليها الآية : ٦٠ من سورة التوبة ، وأن يدفع إليهم مال الزكاة ملكًا تامًا يستطيعون به إنفاقه على أنفسهم بكل حرية كيفما يشاؤن وفيما يشاؤن .

وجاءت في ذلك آراء الأحناف صريحة واضحة فصرحوا بوجوب تمليك مال الزكاة لمستحقه وجعلوا ذلك شرط الأداء ، فإذا انتقل المال إلى ملكه وأصبح في حرزه ، ملك التصرف فيه بإرادته بدون أي مانع .

رأي الأحناف في التمليك :

سيأتي في هذا الكتاب أقوال الأحناف التي صرحوا بها في وجوب تمليك الفقير لمال الزكاة مرارًا في مناسبات مختلفة وخصوصًا في كتابات الشيخ المفتي محمد شفيع والشيخ ظفر أحمد عثماني والشيخ عبد الدائم الجلالي - رحمهم الله جميعًا - فأكتفي هنا بذكر ما كتبه ملك العلماء العلامة علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (م ٥٧٨هـ) في كتابه الشهير بدائع الصنائع ، قال : « ركن الزكاة هو إخراج جزء من النصاب إلى الله تعالى وتسليم ذلك إليه بقطع المالك يده عنه بتمليكه من

ويسد به حاجة من حاجاته . أما سد حاجة الفقير بمال الزكاة بدون تمليكه له كما لو قدم له طعام من مال الزكاة ليتناوله كوجبة غذائية بدون أن يحمله معه فعندئذ يصبح غناؤه محدودًا ضيق النطاق . فمن الممكن أنه لا يشتهي إلى الطعام لشبعه وأهله جياع . لو ملكه لذهب إلى أهله وأطعمهم وقرّبه عينًا . وربما كان هو وأهله شبعا في ذلك الوقت ولو ملكه لتناوله في وقت آخر عند ما مسه الجوع . أو باعه وقضى به حاجة أخرى . فلو دعوت الفقراء إلى مأدبة من مال الزكاة فلا شك أنه وقع في صالحهم وانتفعوا به كذلك إلا أنه قد تحدد وضاق نطاق غنائه . وتوسيعا لنطاق هذا الغناء من مال الزكاة وتعميما لنفعه في حق الفقراء وأهل الحاجة أوجب الإسلام على الأغنياء أن يسلموا مال الزكاة للفقراء ويطلقوا لهم عنان التصرف فيه بدون أن يفرضوا عليه قيدًا أو يستبيحوا فيه لأنفسهم بعض أنواع التصرف والتدخل حتى يتفرغ المال للفقراء في تصرفهم في مال الزكاة . وحتى ينفقوه في تحقيق ما يريدون من الأغراض والحوائج .

وقد ذكر العلامة السيد سليمان الندوي في كتابه : « سيرة النبي » كثيرًا من أعمال التعديل والتسوية التي أدخلها الإسلام نحو صرف أموال الزكاة . قال : « كان من الضيق والحرج في الشرائع السالفة بالنسبة لأموال الزكاة أنها لم تكن تسلم إلى الذين يستحقونها بل كانت تدخر ويعد فيها الطعام ويوزع على الفقراء . ومعلوم بالضرورة أن الحاجات الإنسانية غير محصورة فيما يسد به الجوع فجاءت الشريعة الإسلامية الحكيمة بتعديل في هذه الطريقة المتبعة وأمرت بدفعها إلى المستحقين

الأغنياء والرأسماليين بأسماء وعناوين خلابة واكتنزها الحكام و ولاة الأمر في صناديقهم غمطًا لحقوق الضعفاء والتعساء من شعوبهم كما يقول المثل السائر « المال يد المال » وكل ذلك لفقد قانون ضابط لديهم فيما يتعلق بأموال الزكاة والصدقات وعدم التحديد لمن يستحقونها و وقوع الإجمال والغموض في أحكامها الكثيرة .

ولما جاء الإسلام أراد أن يسد على وجوه الأشحاء والمغرضين هذا الاستغلال المشئوم لحقوق المساكين . فقدم للناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها نظامًا شاملاً مضبوطًا للزكاة . يحدد من يصرف عليهم أموالها دون أن تعدوهم حبة خردل منها إلى من سواهم . وفرض الحظر على أي تغيير أو تبديل في هذه المواطن الخاصة حتى إنه لم يسمح بأن يتولى الأغنياء رعاية أموال الزكاة بعد إخراجها أو وضعها في مشاريع التنمية والاستثمار ومخططات التطور والتقدم مما يعود على الفقراء بالمنافع المختلفة حسب ظروفهم المختلفة وإنما أوجب على الأغنياء تسليم هذه الأموال وتمليكها للفقراء والمستحقين مباشرة أو بوساطة الدولة الإسلامية ويقطعوا عنها كل نوع من التدخّل والتحكم . وذلك أن الفقراء والمساكين أعلم بمنافعهم ومصالحهم فيتصرفون فيها كما يرون ويريدون حسب الضرورات والحاجات المتنوعة التي تلم بهم .

ولا ينبغي أن نغمض أن هناك فرقًا واضحًا وبونًا شاسعًا بين تمليك الإنسان مالا وسد حاجته بذلك المال . فإن التمليك يوسع مساحة غنائه إلى حد كبير . فإن الإنسان إذا ملك مالاً أمكنه التصرف فيه كما يشاء بكل حرية واستقلال . فله أن يبيعه أو يقدمه هدية أو ينفقه على نفسه

الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل • فريضة من الله • والله عليم حكيم ﴾ [سورة التوبة ، الآيتان : ٥٩–٦٠] .

وقد جاء في سنن أبي داؤد رواية عن زياد بن الحارث الصدائي قال : « أتيت رسول الله -ﷺ- فبايعته وذكر حديثا طويلاً ، فأتاه رجل فقال : أعطني من الصدقة ، فقال له رسول الله -ﷺ- : إن الله لم يرض بحكم نبيّ ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك » (١) .

الحكمة في تحديد مواطن الصرف لأموال الزكاة :

الحكمة الأولى في تحديد محال صرف الزكاة قد سبقت في الآية ٥٨ من سورة التوبة آنفًا وهناك حِكم أخرى كذلك في اهتمام القرآن الكريم بذكر هذه المواطن بصيغة الحصر والتحديد ، ومنها أن الديانات السماوية والنحل البشرية كلها قد اتبعت نظام الزكاة والصدقات وأكدت على الإنفاق على الفقراء والمساكين في المجتمع وحثت الأغنياء على التكفل بحوائجهم كما تدلنا على ذلك دراسة تاريخ الأمم والأديان المختلفة عبر العصور والقرون ، وأكثر الحكومات الماضية قد جبت أموالا طائلة من المواطنين بحجة مساعدة المحتاجين والبؤساء وإصلاح أحوالهم وتوفير الرخاء والسعادة في حياتهم ولكن دخل الحيف والتعسف في صرف تلك الأموال واستطالت عليها أيد مغرضة ولم يصل منها إلى الفقراء وذوى الحاجات إلا قدر ضئيل لا يعتد به وإنما امتلأت بها جيوب طبقة

---

(١) سنن أبي داؤد كتاب الزكاة .

فلماذا أولى القرآن الكريم هذا المدى من العناية والاهتمام بهذا الجانب وأعطاه أهمية خاصة ، هذا سؤال ينشأ بالطبع .

وقد أجابت عن هذا السؤال وبينت وجه اهتمام القرآن الكريم بتحديد المستحقين للزكاة الآية : ٥٨/من نفس السورة ، وذلك أنه لما تمّ وضع النظام الاجتماعي للزكاة وبدأ صرف المبالغ الهائلة من أموال الزكاة على مستحقيها تحت رعاية الحكم الإسلامي تطلعت الأنظار الشحيحة من المنافقين ومن في قلبه مرض إليها ، ولما لم يظفروا بمطامحهم حسب أهوائهم استهدفوا شخصية الرسول الكريم -ﷺ- بالملامة والنقد وبهتوه بالاتهامات الكثيرة ، فأنزل الله سبحانه الآية الستين من سورة التوبة تبيينا لمن تنفق عليه موارد الزكاة صيانة لذات نبيه -ﷺ- من كلمات اللمز والهمز المرذولة الساقطة ، وفرض الحظر على صرفها فيما وراء ذلك ، وبذلك تم تكميم أفواه العائبين والناقدين إذ لم يدع الله تعالى توزيعها إلى أحد من البشر حتى من اصطفاه لرسالته و وحيه وأشار بذلك إلى أن الرسول الكريم -ﷺ- يضع هذه الأموال في محالها ويقوم بتوزيعها في المواطن التي حددها الله سبحانه ، فلا مبرر لأحد أن يستهدفه للنقد والجرح ، وبعد هذه التوطئة نتلو تلك الآيات الكريمات التي سبقت في مقالنا الإحالة إليها .

قال تعالى : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون • ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون • إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي

الذين يحرمون ضرورات الحياة ، وتعيش مكبلة بالجوع والشقاء ، كما أنها تقضى على اللامساواة الاقتصادية غير الطبعية ، وتطهر أموال أصحابها من شوائب الموارد المشبوهة ، وتهذب قلوبهم وعقولهم من الأدواء النفسية من بخل وشح وطمع وأثرة وما إلى ذلك ، قال جل من قائل : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١٠٢] وإن إيتاء الزكاة وأداءها الصحيح ليبعث في طبقات الفقراء والمحتاجين في المجتمع عواطف الحب والوئام والتكريم نحو الأغنياء ، والأثرياء كما يستفاد من التعاليم الإسلامية ، ولا يحدث بسببها ذلك الصراع المشئوم بين الفئتين مما أدى إلى وقوع الحوادث الفظيعة والدمار الشامل أكثر من مرة واحدة في التاريخ البشري ، ومهد طريقا إلى تفجر الثورات واندلاع الحروب الدامية .

المستحقون للزكاة في كتاب الله – جل وعلا – :

قد تكرر الأمر بإيتاء الزكاة في كتاب الله تعالى إلا أن أحكامها التفصيلية لم يرد بيانها فيه ، فلم يبين من تجب عليه الزكاة وفي أي الأموال تجب وما هي نسبة الواجب وما هو النصاب في الأموال المختلفة ، فإن هذه التفاصيل قد بينتها سنة الرسول الكريم –ﷺ التي هي بمثابة الشرح والتفصيل لما ورد في القرآن الكريم من الأحكام المجملة ، إلا أن القرآن الكريم قد بين جانبًا واحدًا مما يتعلق بالزكاة بغاية من الوضوح وفي أسلوب الحصر والقطع على عكس ما تبناه بالنسبة للجوانب الأخرى ، وأفرد آية كاملة من سورة التوبة ببيان من تصرف عليهم الزكاة ،

افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم » (١) وعند ما يزكى العبد المؤمن كسبه الحلال وقع مال زكاته في يد الرحمن من قبل أن يقع في أيدي الفقراء والمساكين فيقبله الله تعالى ويربيه أضعافًا مضاعفة . قال رسول الله -ﷺ- : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله » (٢) .

قال الصحابي المعروف ومن أعلام التفسير عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ، ثم قرأ عبد الله -رضي الله عنه- : « أ لم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » (٣) .

إن الزكاة تمنع الركود المالي في المجتمع ، ويصل عن طريقها نصيب لا يستهان به من رأس مال الغنى إلى طبقة مكدودة من الفقراء والبائسين

---

(١) ورد هذا الحديث في جميع كتب الصحاح باختلاف قليل في الألفاظ ، فليرجع إلى صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، الباب الأول ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإيمان .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كل نوع من المعروف صدقة ، كما جاءت هذه الرواية في صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة من كسب طيب باختلاف في الألفاظ .

(٣) كتاب الأموال لأبي عبيد : ص/٣٦٠ .

[illegible] (٢)
[illegible]

[illegible]
[illegible] (١)

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (٢) .
[illegible]
[illegible]
[illegible] (١) .
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

الفقه الإسلامي :

الزكاة وأهميتها في الإسلام

اصدر كتاب في موضوع نصاب الزكاة للشيخ عتيق أحمد أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء وهذا المقال اقتطفناه من هذا الكتاب ، ونقدمه إلى قرائنا الكرام مترجمًا إلى العربية وقد ترجمه الأستاذ محمد إبراهيم الندوي - أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء] [التحرير]

الزكاة في الإسلام من أهم الواجبات الدينية ، وعبادة مالية يتقرب بها العبد إلى الله ، وثالث الأركان الخمسة التي بنى عليها الإسلام ، ومما يدل على أهميتها أن الله عز ذكره قد أردفها وقارن بينها وبين الصلاة في سبع وعشرين آية من كتابه ، وما الزكاة نوعًا من التبرع أو الإحسان ، وإنما هي حق معلوم للفقراء والمحرومين يجب أداؤه على الغنى من ماله كلما حال عليه الحول وبلغ النصاب ، إلى جانب أنها عبادة مالية ، وكذلك يعود على الأغنياء أن يسلموا هذا الحق لمن يستحقه ، ممن ذكرهم الله سبحانه [في سورة التوبة ، الآية : ٦١] ومن واجبات الدولة الإسلامية أن يتبع نظامًا دقيقًا وشاملاً للجباية والتوزيع حتى يصل الحق إلى ذويه بصورة واقعية قطعية .

وقد جعل الله سبحانه الزكاة رمزًا خاصًا للإيمان كالصلاة ، وبنى عليها الأخوة الدينية ، قال جل شأنه : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتووا الزكاة فخلوا سبيلهم • إن الله غفور رحيم ﴾[سورة التوبة ، الآية : ٥] وقال في الآية : ١١ من نفس السورة : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتووا

١١١

[illegible] [١/٧٦١]

[illegible]

حضرت ولم آخذها انصرفت منقوصًا وإن كنت المطلوب بها ، فسيعرف مكاني ، فأمسكوا عنه .

ونظر النعمان في وجوه القوم ، فلم ير أوسًا ، فاستدعى بعض خاصته ، وقال : اذهب لتعرف خبر أوس بن حارثة ، فمضى رسول النعمان ، واستخبر بعض أصحابه فأخبره بمقالته ، فعاد إلى النعمان وأخبره بذلك ، فبعث إليه النعمان رسولاً وقال : احضر آمنًا مما خفت ، فحضر أوس بثيابه التي كان حضر بها بالأمس ، وكانت العرب استبشرت بتأخره خوفًا من أن يكون آخذ الحلة ، فلما حضر وأخذ مجلسه قال له النعمان : لم أرك غيّرت ثيابك في يومك ، فالبس هذه الحلة لتتجمل بها ، ثم خلعها وألبسها له .

فاشتد ذلك على العرب وحسدوه ، وقالوا : لا حيلة لنا فيها إلا أن نرغب الشعراء بأن يهجوه بقبيح الشعر ، فإنه لا يخفض رفعته إلا الشعر ، فجمعوا فيما بينهم خمسمائة ناقة ، وأتوا بها إلى رجل يقال له جرول ، وقالوا له : خذ هذه واهج لنا أوس بن حارثة ، وكان جرول يومئذ أشعر الناس ، وأقواهم هجاء ، فقال لهم : يا قوم كيف أهجوا رجلاً حسيبًا ، لا ينكر بيته ، كريمًا لا ينقطع عطاؤه ، فاضلاً لا يطعن على رأيه ، شجاعًا لا يضام نزيله ، محسنًا لا أرى في بيتي شيئًا إلا من فضله ، فسمع بذلك رجل يقال له : بشر بن أبي خازم شاعر فرغب في البذل ، وأخذ الخمسمائة ناقة ، وهجاه وذكر أمه سعدى ، فسمع أوس بذلك فوجه في طلبه فهرب وترك الإبل ، فأتوا بها إلى أوس بن حارثة ، فأخذها وشد في طلبه ، وجعل بشر بن أبي خازم يطوف في أحياء العرب ، يلتمس عزيزًا

و لو كانت الأرزاق تعطـــى ذوى الحـجا

هلكن إذًا مـــــــــــن جهْلهن البهائم

النعمان وأوس بن حارثة :

ذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل ، أن أبا الفرج السلي قال : حدثني عمر بن المعلّى ، قال : جلس النعمان ابن المنذر وعليه حلة مرصّعة بالدرّ لم ير مثلها ، وأذن للعرب بالدخول عليه ، وكان فيهم أوس بن حارثة ، قال : فجعلت العرب تنظر إلى الحلة ، وكل منهم يقول لصاحبه : ما رأيت مثل هذه الحلة أبدًا ، ولا سمعنا أن أحدًا من الملوك قدر على مثلها ، قال : وأوس بن حارثة مطرق لا ينظر إليها ، فقال له النعمان : وما أرى كل من دخل عليّ إلا استحسن هذه الحلة ، وتحدث مع صاحبه في أمرها إلا أنت ، مع نقصان أمرها عندي ، فما رأيتك استحسنتها ، ولا نظرت إليها .

فقال أوس : أسعد الله الملك ، إنما تستحسن الحلة إذا كانت في يد التاجر ، وأما إذا كانت على الملك ، وأشرق فيها وجهه ، فنظرى مقصور عليه ، لا عليها ، فاسترجع عقله ، واستحسن قوله : فلما عزموا على الإنصراف قال النعمان : اجتمعوا إليّ غدًا ، فإني ملبس هذه الحلة لسيد العرب منكم ، فانصرفوا عنه ، وكل منهم يزعم أنه لابس الحلة في غد ، فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس وتقلدوا بأصح السيوف ، وركبوا أجود الخيل ، وحضروا إلى النعمان ، وتأخر عنه أوس بن حارثة ، فقال له أصحابه : مالك لا تغدو مع الناس ، إلى مجلس الملك ؟ فلعلك تكون صاحب الحلة التي يمنحها له الملك .

فقال أوس : إن كنت سيد قومي ، فما أنا سيد العرب عند نفسي ، وإن

يقول الشاعر :

الناس للناس من بدو و حاضـــــرة

بعض لبعض و إن لم يشعروا خـــدم

فالإنسان بجهده مهما كان ، وبحرصه على العمل ، وتفاعله مع المهنة ، مهما مكث من وقت ، ومهما رابط واهتم ، ليس هو بالذي يزيد في الرزق الذي قدره الله له ، ولا الحرص الشديد ، وشدة الطمع بالذي يجعله يأخذ مما قسم للآخرين المشتركين معه في الصنعة ، ونوعية العمل والبضاعة ، إن كان تاجرًا أو فلاحًا ، بل بعض هذه الخصال يورث الحقد والحسد ، ويدفع إلى الغيبة والنميمة ، وكل هذه خصال نهى عنها الإسلام ، وحذّر من الركون إليها ، كما أن شدة الذكاء ، وكثرة السعي ، ليست من الخصال التي تجعل الرزق لفئة ليحرم منها فئة أخرى تتباين معها في الصفات والحرص ، وهكذا بقية الصفات التي لا تحصى ، مثل : العلم والجهل ، والذكاء والغباء ، والفطنة والسفه ، والحمق والحلم ، وهلم جرّا .. لا الجيد يطغى على النقيض ، ولا الرزق متعلق بصفة دون أخرى ، ولكنه رزق الله الذي كتبه الله سبحانه لعباده ، قبل أن يخرجوا من بطون أمهاتهم ، يأتي إليهم بطرق عدية يمتحنهم الله فيه أخذًا وعطاءً ، وعملاً واعتقادًا ، وقد يسخر الله الذكيّ في مذمة الغبي ، والحليم لتغطيه نقص الأحمق ، والعالم ليخدم الجاهل : ﴿ ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [سورة الزخرف ، الآية : ٣٢] فيكون من جهد هذا ، ما يسوقه الله رزقًا لذاك ، حيث يبذل من مواهبه ما يعين في توسيع رزق الآخر ، تسخيرًا من الله ، وحكمة أرادها سبحانه ، يقول الشاعر في هذا المعنى :

فالرزق لا يأتي الإنسان بمواصلة السعي وشدة الحرص . ولا يتكاثر بين يديه بجهوده الشخصية . وقدراته الذاتية . ومن اغترّ بذلك . كان فيه شبه بقارون الذي كان حاله وبالاً عليه . عند ما قال : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [سورة القصص . الآية : ٧٨] .. وإنما الأمور التي تبذل من الإنسان ما هي إلا أسباب قد يكون فيها ما يعين على تحقيق الرزق المكتوب . وقد يكون فيها جهد ضائع لا يحقق ما يرنو إليه الشخص ..

ومن هنا فإن كل إنسان يجب أن يدرك . أن الله قد أودع في بعض البشر جهدًا و طاقة . يستعين بهما على تحقيق الرزق . وقد يكون ما تبذله النفس من أعماله . إنما هو مجهود ضائع لا يحقق ما يرنو إليه الشخص .. وأن المواهب التي تأتي في الإنسان من ذكاء وفطنة . وبصر بخفايا بعض الأمور . وفراسة يستشرف بها الإنسان للأشياء البعيدة . وغير ذلك من الغرائز الفطرية والمكتسبة . قد يكون فيها ما يعين على الاتجاه السليم للرزق الذي قدره الله . وفق القاعدة الإيمانية . التي تزن الأمور بميزان شرع الله من حلال وحرام . ليكون الكسب حلالا فينفع صاحبه . أو حرامًا فيضرّبه : « نعم المال الصالح عند العبد الصالح » وذلك حسب الحرف والمهن . والأعمال والأوجه المتشعبة في ميادين الحياة . فهي : تختلف باختلاف مواهب الناس . واستعداداتهم . وما تتطلبه الحياة . فما يصلح لهذا . لا يتلاءم مع تلك . فيتجه كل شخص لما يتلاءم مع فطرته وقدراته . وييسر الآخر لما فيه فائدة لنفسه وغيره .. ليصبح الناس في مجتمعهم أعوانًا لبعض . ومسخرين لخدمة غيرهم . في كل مكان على وجه الأرض اتفقوا في الهدف والعقيدة . أم اختلفوا . كما

بغير الله ، فإنه سبحانه هو مسبب الأسباب ، ومهيئ الفرص ، فقد روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً يتعبد في المسجد ، فسأله من ينفق عليك ؟ قال : أخي الذي يشتغل ويتكسب ، قال : أخوك أعبد منك ، وفي هذا يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : ربي ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة .. ولكن يدعو الله ويأخذ بالأسباب ، فكل ميسر لما خلق له .

أما حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، المتفق على صحته ، فقد قال فيه رسول الله -ﷺ- : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا علقة ، ثم مضغة مثل ذلك ، ثم قطعة مثل ذلك ، ثم ينزل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وعمله وأجله وشقيٌّ أو سعيد .. إلى آخر الحديث ، ففيه دلالة على أن الله -جل وعلا- : ﴿ هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وأنه كافل أمور عباده ، ومقدر ما تصلح به أحوالهم ، فهذا يصلح الرزق القليل أحواله ، ويفسدها الكثير ، وذاك بالعكس .. وهلم جرّا ، وقد جاء في الحديث القدسي أن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ، فلو أغنيته لأفسد عليه ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى فلو أفقرته لأفسد عليه ذلك .

وقد ورد ذكر رزق والرزاق - الذي هو اسم من أسماء الله - ومشتقات هذه الكلمة في كتاب الله ، أكثر من مائة وخمس وعشرين مرة ، وما ذلك إلا من أجل ربط الإنسان بخالقه ، ولإدراك أن أهم ما يؤرق حياة هذا الإنسان قد ضمنه الله ، وأن التعمق في فهم هذه الحقيقة ، جزء من عقيدة المسلم الموصولة بخالقه .

وبعد مدة رأى من باب الوفاء ، أو التأكد ، أن يمر بالمكان مستطلعًا نهاية هذا الكلب ، لكن شدة استغرابه زادت عند ما رأي الكلب بحالة جيدة ، وقد كبر وسمن فترة غيابه عنه ، مع أنه لا زال في رباطه موثقًا ، ولما قرب منه بصبص إليه ، واحتكَّ به اعترافًا منه بما لصاحبه عليه من فضل .. والكلاب مشهورة بالوفاء .. وقد رأى بجواره جدول ماء يشرب منه الكلب كلما احتاج إلى ذلك ، ويأتيه فيه كل يوم غذاؤه ، وهو عبارة عن سمكة يحملها الماء إليه فيأكلها ..

عجب الرجل مما رأى ، وذهب إلى نبيّ الله موسى - عليه الصلاة والسلام - فأخبره حكايته مع الكلب ، وماذا كانت النتيجة .. فقال له - عليه السلام - ما مضمونه : إنك عملت شيئًا لم يرده الله -جل وعلا- ، فما من نفس منفوسه ، إلا وقد كتب الله عمرها ورزقها .. وأنت أردت إماتة الكلب ، وقطع رزقه .. ولكن سبق في علم الله أن عمره لم ينته ، ورزقه لن ينقطع .. فسددت طريقًا ، فهيأ الله له طريقًا آخر بحكمته البالغة .

ومن هنا فإن الإنسان يجب أن يدرك حقيقة الرزق ، وأنه شئ قدره الله للإنسان قبل أن يخرج للحياة ، وهذا الرزق أيًا كان نوعه : لا يرده حسد الحاسد ، ولا نفثات الحاقد ، كما أنه لا يكثره طمع الطامع وحرص الحريص ، ولكنه شئ أراده الله ، ويهئ سبحانه أسبابه ، والاستعدادات النفسية والجسدية له قبولاً وعملاً ، واهتمامًا وتوفيقًا ، فينجذب الإنسان إلى ما فيه رزقه ، وينساق الرزق إليه كمًا وكيفًا ، فيجب ربط الأمور بالله -جل وعلا- ، وحسن التوكل عليه في ذلك ، وما يأتي عن طريق البشر ، فإنما هي أسباب يجب الأخذ بها ، لكن دون تعلق القلب

نالت من حظها .

وإذا كان لها صغار ، فإن الله يلهمها حمل الطعام لها ، لتقدم لها ما يشبعها : إلهامًا وحسن توفيق ، حتى إذا قدرت على الطيران ، استغنت بنفسها في تهيئة الرزق ، الذي قدره الله لها .

وفي هذا المجال ، يروى من باب توطين النفوس ، وتثبيتها لإدراك حكمة الله في مخلوقاته ، وقدرته سبحانه في تهيئة الرزق لكل كائن حيّ ، وأن الرزق الذي أراده الله ، لا يصرفه قدرة بشرية ، ولا حسد حاسد ولا يوقفه فعل فاعل .. سواء بالنفع أو الضرّ .

في هذا تروى حكاية من قصص بني إسرائيل ، التي تؤخذ للعظة والعبرة ، مضمونها : أن رجلاً كان في عهد موسى -عليه الصلاة والسلام- قد حرص على تربية كلب منذ صغره ، ليكون حارسًا لأغنامه ، ولكن هذا الكلب كان بأربع عيون ، وهو خارج عن مألوف ما اعتاد الناس عليه ، فكان شكله مفزعًا لأن كل أمر تجاوز مألوف الناس ، صار نافرًا لديهم ، فضجر الرجل من هذا الكلب ، وأراد التخلص منه لقلة نفعه ، ولإخافته لأولاده ، بهذه العيون الأربع الخارقة لما اعتاده الناس .

قرر الخلاص منه ، وخوفًا من عودته إليه ، أو سريان أذاه للناس ، بشكله اللافت للنظر ، فقد ذهب به إلى مكان ناءٍ ، واصطحب معه سلسلة ، وفي مكان قصي وجد شجره منفردة ، فدبر أمره بربطه فيها بالسلسلة حتى لا ينفلت ، ومن ثم لا يعود إليه ، وبذلك يموت هذا الكلب تلقائيًا ، ومع مرور الزمن : جوعًا وعطشًا ، وقد تركه على هذه الحال ليصارع الموت البطيء ، وذهب في حل سبيله .

أن شخصًا كان يهتم بمتابعة الزواحف فلفت نظره وجود ثعبان أعمى ، ملازم لجحره ولا يستطيع مفارقته . فجلس يرصد أحواله . ليرى كيف يعيش . وكيف يصل إليه غذاؤه الذي به قوام حياته . فوجد أنه يخرج من الجحر . ويرفع رأسه عند الباب . فاغرًا فاه في وقت ثابت يوميًا . فيأتي إليه طائر ليقع في فيه . فيلتهمه ثم يدخل جحره . لكنه في آخر تلك الأيام خرج على عادته فلم يأته ما كان يساق إليه يوميًا . وبقي منتظرًا مع الوقت أوقاتًا . فلذعته الشمس بحرارتها . وهو لايزال ينتظر . وبعد مضي شطر كبير من النهار بدأ الضعف يدب فيه تدريجيًا . ولم يقو على الصمود . فمات في مكانه . عندها أدرك الرجل أن الرزق الذي يسوقه الله لهذا الثعبان قد انقطع . لأن أجله قد حان . وبالأجل ينقطع الرزق . وما ذلك إلا أن تلك المخلوقات مسخّرة بإرادة الله لهدف معين . ولها مهمة في الحياة مرسومة . وأجل محدود . وهي وإن لم تكن مكلفة كالإنسان . ولم توهب عقلاً مثله . إلا أنها عارفة بالله . متوكلة عليه سبحانه حقّ التوكل .. فهيأ الله لها رزقها سهلاً ميسرًا . وقد أوضح ذلك حديث رسول الله -ﷺ- في حثه الفئة المسلمة على أن تأخذ من الطير صفة التوكل الحقيقي . وتحرص عليه عقيدة وعملاً .. لا قولاً باللسان دون اعتقاد القلب . فقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح : « لو تتوكلون على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير . تغدو خماصًا . وتروح بطانًا » أي تذهب من أعشاشها في الصباح الباكر خاوية البطون من الجوع . فتسعى في طلب الرزق . الذي يُهيأ لها . لتجده فتأخذ منه ما يكفيها . وتروح في المساء لأوكارها ممتلئة البطون . شابعة من خير الله الذي هُيِّئ لها . بعد ما

ومع تلك الكلمات والركون إليها يحس المرء أن أولئك الشباب يخالفون دعوة الإسلام لشباب الأمة للزواج والحث عليه . يقول -ﷺ- : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » [الحديث] . إذ منهج رسول -ﷺ- حثُّ الشباب عليه . والدعوة للاقتصاد في النفقة . وتخفيف التكاليف : « خيرهن أيسرهنّ مهرًا » ولذا فإن الركون إلى مثل هذه الكلمات . واستمراءها قد جاء من نقص في فهم حقيقة التوحيد . فالرزق هبة من الله لعبادة . ونعمة يسبغها على كل ما يدبّ على وجه الأرض . وفي مقدمتها الإنسان . وهو سبحانه لم يخلق من الكائنات شيئًا يدب على وجه الأرض . إلا وقد كفل رزقه . وقدر نوعية هذا الرزق وكميته . وحدد بقدرته سبحانه وحكمته كنهه ومدته . يقول سبحانه : ﴿ وما من دابّة في الأرض إلى على الله رزقها ﴾ [سورة هود . الآية : ٦] فالحيتان في جوف الماء . والطيور في كبد السماء . والحشرات وغيرها من المخلوقات صغيرها وكبيرها . كلها كفل الله لها الرزق . ومنحها حاسة دقيقة لإدراك ذلك الرزق . ومكان تواجده . دون أن تحتاج إلى اختزانه من وقت لوقت كما يفعل الإنسان . ودون أن يكون لديها القدرة على حمله من مكان لمكان . كما قال سبحانه : ﴿ وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها .. الله يرزقها وإياكم ﴾ [سورة العنكبوت . الآية : ٦٠] .

وبعض من هذه الكائنات إن لم تستطع السعي إلى رزقها المقدر لها . فإن حكمة الله اقتضت أن يأتي الرزق إليها . أيًا كان نوعه . وفي وقته المحدد . وبالهيئة والمقدار الذي يضمن لهذا الكائن البقاء على قيد الحياة . كما روى عن غرائب كثير من الأسماك والحيوانات والطيور . ومن ذلك

الرزق من الله

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

يسمع الإنسان بين حين وآخر ، كلمات من بعض الشباب خاصة ، ويغذى ذلك نوعيات من بعض أولياء الأمور بصفة عامة ، وممن ضعف رصيدهم في فهم دقائق التوحيد ، هذه الكلمات تتنافى في لفظها ومدلولها مع حسن الثقة بالله -جل وعلا- ، ومع جميل التوكل عليه سبحانه .. بل إن أبسط ما يقال : إنها تتنافى أدبيًا مع الله -جل جلاله- ، حيث جاء في دلالة الحديث القدسي ، بأن ابن آدم يؤذى ربه : فالله هو الخالق ويعبد غيره ، وهو الرازق ويدعو سواه ..

ويحس المرء أن أولئك يربطون تلك الكلمات بأوضاعهم وأعمالهم ، ويلقون باللائمة فيما يتعلق بالرزق على الآخرين ، تلك الكلمات التي تتنافى مع الأدب في قول الناس بعضهم لبعض ، فما بالك إذ اعتبر من فحواها أن البشر هم المتصرفون في الرزق عطاءً ومنعًا دون الله .. مما نتج عنه عزوف الشباب عن الزواج ، وعنوس الفتيات ، هذه الكلمات الدارجة على كثير من الألسن مثل : فلان قطع رزقي ، لن أتزوج حتى أضمن رزقي ، وحتى أؤمن مستقبلي ، أو حتى استقر برزق ثابت أو مضمون ، وغير ذلك .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الثقافة ليست عالمية

سعادة الدكتور أنور الجندي

تعددت الوسائل والأدوات والمؤسسات التي وجها النفوذ الغربي إلى أفق الفكر الإسلامي ، وخاصة مجال التعليم والتربية باعتبار أن التعليم هو أقوى وسائل تكوين العقل العربي الإسلامي . وتهدف المخططات الجديدة التي تقوم بها مؤسسات وافدة إلى ما يسمى (التعليم من أجل السلام) على نحو يعمل على تشكيل وجود إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي والانصهار فيما يسمى بالوحدة العالمية،الوحدة الثقافية أو الوحدة الحضارية في مخطط خطير يعمل على تدمير الثوابت الإسلامية والقضاء على الحقائق الإسلامية والعربية ونبذ المقاومة وإشاعة روح التسليم والاستسلام . وتعد « اليونسكو » من بين هذه المؤسسات حيث تهدف مناهج اليونسكو إلى هذا المطلب وحيث تعتمد على فرض مفاهيمها في التعليم واحتضان دول إسلامية وعربية كبرى بدعوى أن التعليم هو مفتاح التقدم والتطور .

وهو الشرط الذي لا مناص منه لازدهار المجتمعات الإنسانية بعد انتهاء الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الشرقي وانتهاء المواجهة بين المعسكرين وفرض مفاهيم عالمية الحضارة والثقافة على الدول العربية .

والواقع أن الفكر الإسلامي قد أعلن منذ أكثر من أربعين عامًا أن الثقافة ليست عالمية وأنها قومية تقوم على أساس العقيدة والثقافة واللغة والقيم التي يشكلها العقيدة . ولما كانت الدول العربية كلها هي جزءًا من الأمة الإسلامية وانتماؤها إلى الإسلام وهو هويتها ، فمن هنا كان تميّزُها بثقافة مختلفة عن ثقافة الغرب .

ولقد كان الفكر الإسلامي قادرًا على إقامة منهجه الثقافي حول العقيدة

ويمكن الاستفادة منها وتسخيرها لغايات لا تعود على هذه الأقطار الإسلامية بل تعود على العالم المتمدن المعمور بخير لا يعدله خير، وبسعادة لا تساويها سعادة.

فهل من المعقول أن تبقى الأقطار الإسلامية في صراع فكري وعقائدي وقلق شعبي جماهيري، وعدم وجود ثقة وتقدير، وحب وتفان بين الشعوب وأهل البلاد الذين لا تزال أكثريتها متمسكة بالدين، محبة له، غيورًا عليه، وبين قادتها وحكامها، ويكون في هذه البلاد جهاد في غير جهاد، ونضال في غير عدو، أم من الخير، ومقتضى الحكمة والعقل الإنساني - فضلاً عن العقل الإيماني - أن يكون هنالك انسجام وتوافق، وثقة متبادلة، بل عاطفة من الفداء والتفاني في تأييد هؤلاء القادة المسلمين الغيارى على الدين، المجاهدين في سبيله، الحريصين على بقائه، وازدهاره، وانتصاره، طلبا لرضا الله تعالى، وإيثارًا للآخرة على الدنيا، وتقليدًا للخلفاء الراشدين، والحكام الصالحين والقادة المخلصين، المجاهدين، ويتفادوا بذلك عن كل ما هم في غنى عنه، من صراع وقلق، وقمع للثورات، وأمن من تقلب الحكومات، وتجسس للمؤامرات والمخططات.

وصدق الله العظيم: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بـــــي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

[يتبع]

الحنيف ، وتخوفهم من نفوذه وسيطرته على نفوس الشعب وعقوله ، واشفاقهم من تحمس الشعب الديني وغيرته عليه ، والمناداة به ، والمطالبة في بعض الأحيان بتنفيذ بعض أحكام الشريعة الجلية الرئيسية ، أكثر من إشفاقهم من تهديد عدو في الخارج ، وتحد أجنبي ، وقد يكونون في بعض الأحيان منفذين لإشارات من دولة أجنبية كبيرة ، مرددين لصوتها ، محققين لغرضها ، كالتخوف من التمسك بالمبادئ ، أو المبدئية والأصولية FUNDAMENTALISM الذي يدخل فيه التمسك بتعاليم الإسلام والوقوف عند حدوده ، وأوامره ، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم ، فيكون في ذلك وجود قلق وعدم ارتياح ، وصراع فكري وشعوري في الشعب ، كانت الشعوب الإسلامية والبلاد الإسلامية في غنى عنه .

وبهذا التباعد بين القيادات والسلطات ، والشعوب والجماهير تنشأ فجوة عميقة واسعة بين القادة والحكام ، وأهل البلاد المسلمين الغيارى على دينهم والمحبين لوطنهم ، وعدم تفاهمهم – فضلاً عن عدم تعاونهم – لا يملأ هذه الفجوة أكبر مجهود أو تأييد من حكومات أجنبية ، وتفقد بذلك القيادات والسلطات أعظم ثروة وأكبر قوة ، هي بذل النفس والنفيس في سبيل الله والاستماتة في سبيل تحقيق ما يريده الله ورسوله ومن وفاء للأئمة المسلمين وقادة البلاد والحكام المخلصين الصالحين ، وهي قوة أبدت العجائب والخوارق في تاريخ الإسلام الطويل الحافل ، وأخضعت البلاد والأقطار التي لا نسبة بينها وبين البلاد الإسلامية في العدد والعدد ، والقوة العسكرية للإسلام أو الدين الإسلامي أو الحكم الإسلامي ، وهي قوة لا تزال موجودة في نفوس المسلمين وفي الأقطار الإسلامية – على علاتها ومحنها أو مؤامرات حيكت حولها –

يفقد ثقتها وما يستنفد القوى والطاقات في غير طائل . يحرز هؤلاء القادة والحكام . بحسب السنة الإلهية والوعود القرآنية . وما تحقق وثبت بالتواتر في التاريخ الإسلامي القيادي . حبًا وإخلاصًا . وتفاديًا وتفانيًا من الشعب المسلم . وأهل البلاد المسلمين « الذين يكونوا الأكثرية ويملكون النفوذ والتأثير » والتأييد التام والتحمس العام في تحقيق مطالبهم . وتحقيق غاياتهم . والحرص على بقائهم في مراكز سلطتهم . ومكانتهم في القيادة والزعامة يحرزون إخلاصًا وتحمسًا . لا يجدونهما عن طريق الإرهاب أو الترغيب والمراقبة والتفتيشات . والعقوبات والاعتقالات . وحتى عن طريق تأييد الحكومات الأجنبية والأساليب الاستراتيجية . وعن طريق الصحافة والإذاعة . والنشر . والدعاية . وصدق الله العظيم .

﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ [سورة الأنفال . الآية : ٦٢] وبذلك تتفادى البلاد الكثيرة من المؤامرات والمشاغبات . وبذل القوة والجهد في القضاء على المخالفات والثورات . وعلى وجود القلق وعدم الارتياح في نفوس عدد أكبر من أفراد الشعب المسلم وعدم وجود التحمس في نفوس الأكثرية من الشعب لمقاومة هجوم أجنبي أو غارة خارجية .

أما إذا كان الواقع ضد ذلك . وكان بين القادة والحكام وبين أفراد الشعب - الذين يشكلون الأكثرية . وعليهم العمدة في الأمن والرفاهية والأزمات والخطوب - خليج عميق واسع في الاتصال بالدين وحبه والغيرة عليه والحرص على تطبيقه في الحياة وتنفيذه في المجتمع والحكومة . بل كانت هنالك مظاهر وإمارات خفية أحيانًا وجلية أحيانًا أخرى . في عدم ارتياح هؤلاء القادة والحكام لتعاليم الدين الإسلامي

والعددي والمبدئ والعقائدي .

فليكن المسلون بصفة عامة والحكومات والقيادات المسلة بصفة خاصة على حذر من هذه المؤامرات والمخطط التدميري ويكونوا على بينة من الأمر « ولله الأمر من قبل ومن بعد » وما علينا إلا البلاغ .

هذا واقع العالم الإسلامي الذي يجب أن يتغير ، وفي صالح الإنسانية أن يتغير ، وفي صالح مصير الإنسانية أن يتغير هذا الواقع ، ويرجع العالم الإسلامي إلى ما كان عليه في قرون مشهود لها بالخير في زمن عظمة الإسلام ومجده ، ولا خير ولا لذة في الحياة ما دام العالم الإسلامي هكذا ، ولا لذة للتذ ، ولا عزة لعتز ، ولا قوة لقوى ، إذا كان العالم الإسلامي بهذه الصفة .

وقادة الأقطار الإسلامية السياسيون ، وحكام البلاد الإداريون مخيرون بين سياستين ومنهجين للعمل :

الأول : أن يثبتوا غيرتهم على الإسلام وتمسكهم به ودفاعهم عنه ، وإيثارهم له ، على ديانات أخرى ، ومناهج أخرى للعقيدة والسلوك ، والقيم والأقدار والمبادئ ، والحضارات مع الاستعداد للانتفاع بالعلوم العصرية والاكتشافات الحديثة ، والتقدم العلمي والصناعي « والحكمة ضالّة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » وتطوير النظام التعليمي ، والصناعي ، حسب مقتضيات الزمان ، وبمقابلة العلم بالعلم ، والقوة بالقوة والصناعة بالصناعة .

وبهذا المنهج للقيادة ، والإدارة ، والسياسة ، وبهذا الموقف الهادئ الحكيم ، المؤسس على الإخلاص لله وخشيته ، ومجاراة الأمة في مشاعرها ، ومراعاة ما تدين وتتفانى في سبيله وتغار عليه ، والاعتراف بالحقيقة والواقع ، وعدم إضاعة القوة والوقت في تحصيل ما يثير سخط الأمة وما

رغم وجود أكبر تناقض في الديانتين ، فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح ابن الله ، واليهود يتهمونه وأمه وينسبون إليهما ما يعلمه الجميع .

وقد احتضنت ذلك وتبنته بعض الدول المسيحية الغربية ، وعلى رأسها الحكومة الأمريكية ، وذلك بانخداع أكثرها و وقوعها فريسة للنفوذ الإسرائيلي المهيمن على السياسة والصحافة والآداب و وسائل الإذاعة في أمريكا وخارجها ، فأصبح ذلك محاولة إبادة معنوية خلقية عقائدية بالنسبة للمسلمين بصفة خاصة ، لأنهم هم وحدهم أصحاب دين خالد عالمي قوي ، وأصحاب حكومات كثيرة ، ولا يزالون أصحاب قوة إيمانية ودوافع إصلاحية ثورية فكانوا هم الخطر الأكبر على هذا المخطط اليهودي المسيحي وعائقًا أكبر في سبيل تحقق أماني اليهود ونجاحها .

وكان من ضمن تلك الجهود والمؤامرات والمخططات القضاء على قوة المسلمين الإيمانية والمعنوية ، وفي مقدمتها محاولة القضاء على شخصية الأمة الإسلامية المميزة ورسالتها ، بالدعوة إلى التجرد من المبادئ الدينية ، والقيم الخلقية ، والميزات الإيمانية ، فتعيش حياة جاهلية كالجاهية الأولى أو كحياة الدواب والانعام في غابة أو صحراء .

ثم استعانت أخيرًا بالدعاية ضد التنمية التي عرف بها المسلمون بصفة خاصة بفضل تعليماتهم الدينية الطبعية ويشكلون بذلك خطرًا على الجبهة المعادية لهم ، والقوة العمرانية والمدنية والعسكرية ضد الجبهة اليهودية والمسيحية ، فبدأت بعض القيادات المتآمرة والمؤتلفة ضد مستقبل الإسلام والمسلمين وقوة المقاومة التي يملكونها باقناع بعض الحكومات الإسلامية والقيادات المسلمة بوضع العوائق والعراقيل في سبيل التنمية في الأقطار الإسلامية ، هذا إلى غير ذلك من المخططات والمؤامرات الدقيقة التي تحاك للتخلص من نفوذ المسلمين المعنوي

واقع العالم الإسلامي

وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

[الحلقة الثانية]

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

وأريد أن أقول : إن الواقع الرهيب الذي نواجهه الآن ونشعر بخطره على وجود الإسلام والمسلمين كأمة ذات رسالة وعقيدة ودعوة وشرف وحرية ، هو أن الذكاء اليهودي والشطارة اليهودية ومراميها لبسط نفوذها على العالم وتحويل العالم كله - بما فيه من عقائد وآداب وحضارات وقيم ومعايير - إلى بساط للشطرنج يلعبون عليه بحرية ويستطيعون تحويل ما عليه من دمى ولعب من جانب آخر ، ومعاملة الجيل البشري بكل ما فيه من علماء وعقلاء وأدباء ومفكرين ومؤلفين إلى جيل خاضع للنفوذ اليهودي خضوع الدواب والجمادات ، وهذا ما جاء صريحًا و واضحًا في كتب اليهود وكتاباتهم ، يعرفها المطلع على كتبهم ومخططاتهم ومطامعهم وبرامجهم ، التقى هذا الذكاء الذي يعرف به اليهود قديمًا واستباحتهم لكل منكر ومستهجن في سبيل تحقيق غاياتهم ، وقد أشار إليه القرآن إشارة لطيفة وجاء ذلك صريحًا في الكتب التي نشرت عن أهداف الصهيونية ومراميها أخيرًا ، التقى هذا الذكاء والتخطيط والرهيب الدقيق المبيد للفضائل الإنسانية ومساعى الأنبياء والمصلحين وتعليمات الدين ، مع القوة المسيحية و وسائلها وإمكانياتها



المادية – فكرت في المآل المشئوم الذي وصلت إليه في حضارة الغرب ، حينما أوقفتها بجنب الرجل على السواء ، ولم تقرّ بأيّ فرق بينهما في المسئولية والعمل ، وخلعت عنها لباس الحشمة والحياء ، وعرضتها كمتاع رخيص لإشباع الغرائز الجنسية في سوق « المناداة » أو بيع الأعراض ، التي تقام في كل مكان .

أصبحت المرأة اليوم ضحية الحضارة المادية فانحسر ظلها وقصرت قامتها ، ورخصت قيمتها ، وتعرضت من أجلها لمشكلات كثيرة فردية وجماعية تعيشها وتعاني منها على جميع المستويات ، ولا نعتقد أن مؤتمر المرأة العالمي القادم سوف يتخذ قرارات لإعطائها ما تستحقه من أهمية أساسية في البنية الإنسانية ، وتعين لها مسارها الطبيعي الذي إذا حادت عنه فقدت جوهرة العفة والجمال والرقة والأنس ، وعادت بهيمة تساق بعنف ، وتذاق كل جور ، وتمزق كل ممزق .

إنه الإسلام الذي خلع عليها لباس الاحتشام والزينة وجعلها سيدة في بيت زوجها ، ورفع قيمتها أمًا وزوجة وأختًا وبنتًا ، وعين وظيفتها في تربية الأولاد وتنظيم شئون الأسرة وتدبير المنزل ، وتحسين العلاقات الاجتماعية بين الأقرباء وذوى الأرحام ، ففي ضوء تعاليم الإسلام وحدها تستطيع أن تؤدى دورها المرجو في مجالاتها ، وتسبب السعادة والهناء ونشر الأخلاق الفاضلة في وسطها الذي تعيش فيه ، وقد قال الرسول -ﷺ- : كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته .

سعيد الأعظمي

في حضارة الإسلام ، بل وقد يكون اعظم هدف لديه ترويج الربا والأكل بالباطل الذي لا مكان له في منهج الإسلام بأيّ حال .

ويأتي في الأخير الإعدادات اللازمة التي تجرى لعقد مؤتمر «المرأة » باشراف الأمم المتحدة ، الذي كان من المزمع عقده في شهر مايو المنصرم وفي بكين في الصين ، إلا أنه نظرًا إلى أهميته الكبيرة وفاعليته الواسعة أخّر موعده إلى عدة أشهر قادمة ولعل شهر سبتمبر القادم يكون مناسبًا لهذا المؤتمر الدولي الكبير الذي يعتبر أول مؤتمر من نوعه في هذا الموضوع ، وذلك :

لأن المرأة أصبحت اليوم موضوعًا مهمًا للاهتمامات الغربية التي توصلت أخيرًا إلى حتمية التركيز على هذا الموضوع ، وإعطائه العناية البالغة والاهتمام الزائد في ضوء الرؤية الحضارية الحديثة التي تعتبر المرأة عضوًا أساسيًا في بناء الهيكل الحضاري ، لا يقل في الفاعلية والتأثير من الرجل ، بل وقد تتكاثر الحاجة إليها في دفع عجلة الحياة الاجتماعية إلى الأمام ، وفي بناء المجتمع الحضاري ، بالنسبة إلى الرجل الذي تشغله مهام الحياة ومسئوليات الكسب والمعاش على مستوى عام ، وإن أصحاب هذه الرؤية لا يقصدون بذلك إلا إخراج المرأة عن ذلك السور المنيع الذي تعده لها الأسرة ، وإلقاءها على الشارع ، لكي تجعلها الوحوش الضواري من البشر لقمة سائغة للغرائز الجنسية ، وتخلعها من لباس الحشمة والعفة وترميها على قارعة الطرق من غير رحمة ولا هوادة .

ومن قبل أن يعقد هذا المؤتمر أصبح حديث المجالس ، وموضوع الأوساط النسائية في العالم التي تراه مفخرة لجنسها ، وتعد للمشاركة فيه بعددها وعددها ، وليت مرأة اليوم - وخاصة مرأة الغرب والدول

الفردية والجماعية نحو تعيين الحدود والآداب القانونية بين الرجل والمرأة ، وبين الوالد والولد ، والأخ والأخت ، وبين المراهقين والمراهقات في داخل الأسرة وخارجها على السواء .

سبقت منا الإشارة إلى الغرض الذي عُقد من أجله هذا المؤتمر في عدد سابق من هذه المجلة ، جاء فيه ما يأتي :

هذا المؤتمر إيذان بما تزمع عليه الدول الغربية من فرض فلسفاتها الحضارية وتفسيراتها المادية على الحياة والمجتمع ، وما تتمناه من القضاء على التميزات الدينية والقيم الإسلامية في البناء الأسرى والاجتماعي . إن هذا الواقع يدعو علماء المسلمين وطبقة الدعاة والمفكرين منهم إلى وضع خطة واضحة شاملة تبين التعريفات المحددة والمفاهيم المعلومة للعائلة والبناء الأسرى والحياة الاجتماعية في الإسلام ، وتؤكد أنها لا تقبل أي تغيير أو تطوير في أيّ حال ومجال ، لأنها من وحي الشريعة والعقائد الإيمانية التي لا خيار فيها لأيّ شخص مهما كانت مكانته ، حتى وإن كانت جماعة من المؤمنين ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم • ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينًا ﴾ .

ولا ينبغي أن نصرف النظر عن مؤتمر كوبنهاجن الدولي الذي عُقد في شهر مارس على مستوى رؤساء الدول وقادتها لدراسة أمور متماثلة من التنمية الاجتماعية وتطوير الوسائل الإنمائية والاقتصادية وما إليها ، وهو سلسلة من المشروع الغربي الذي يستهدف الفكر الإسلامي ، وإخضاعه للأدوات والوسائل المادية ، وتحت قهر الفكر الحضاري الجديد الذي يتوجه بالحياة إلى الاصطباغ بصبغة زائلة من الأساليب غير المشروعة

أسلوب الغزو الفكري . ثم تدرج اليوم إلى تنفيذ إرادته بالعنف والإرهاب والاضطهاد . والتهديد بتصفية الوجود وتسليط أسواط العذاب بصفة مستمرة وبغاية من القسوة . ولكن هذه العملية لم تكن تستطيع أن تدوم إلى وقت طويل . فكان لابد من انتقال إلى أسلوب آخر . أكثر تأثيرًا وأضمن للنجاح في مجال إذابة الشخصية الإسلامية .

من ثم ينتقل الغرب المعاصر إلى تغيير الاستراتيجية وتعديل خط الهجوم على الفكر الإسلامي . الحضاري . وتساعده في ذلك الأمم المتحدة والمعسكرات العالمية الكبرى .

وذلك باسترعاء الرأي العالمي إلى هدم المعالم الحضارية التي هي بمثابة الأساس للحياة الإسلامية . بواسطة المشروعات العلمية والفكرية التي يضعها أهل الغرب الماديون . ويريدون أن ينفذوها في دول وبلدان المسلمين بعنف تارة وبأسلوب القهر تارة أخرى . وقد توصلوا في سبيل تنفيذ هذه الخطة إلى عقد مؤتمرات عالمية باشراف أكبر مؤسسة سياسية بحتة . فمؤتمر الشمال والجنوب لا يكاد يتناساه الناس . وقد كان محاولة لصرف التوجهات من المشكلات الرئيسية إلى قضايا لا تهم الناس .

ولكن مؤتمر السكان والتنمية الدولي كان نتيجة لتخطيط دقيق ضد القيم الخلقية والفضائل الإنسانية بأسماء ولا فتات جذابة من المساواة والتطوير وحقوق الإنسان . ومن وراء ستار التنظيم الأسرى والتنمية الحضارية . لقد كان هذا المؤتمر محاولة جادة وأسلوبًا فلسفيًا خالصًا لتعطيل النظام الشرعي وإحباط توجيهات الشريعة الإسلامية في شئون الحياة الاجتماعية والعائلية التي تكيّف الحياة بالأوضاع الطبعية وتنظم علاقاتها في ضوء الفطرة . ذلك لكي يعرف الناس أبعاد المسئوليات

لقد تفشت ظاهرة اتهام الإسلام بالأصولية والمسلمين بالعنف والإرهاب، على أن من المعلوم المقرر الذي لا غبار عليه أن الحضارة الغربية المادية هي أولى بهذه الألقاب، وهي التي تقدس الجذور البالية، ففي الغرب اليوم تبلغ هذه القدسية إلى حد العبادة وتنال أهمية كبيرة بين جميع الطبقات، ولا أدلّ على ذلك من المتاحف التاريخية التي تشمل نماذج وأجزاء الحضارات البائدة والآثار البالية والأجسام العفنة، كما أنها تقدس الشخصيات التي عاشت الفلسفات المادية ودعمتها بالقول والعمل، والغرب لا يدخر وسعًا في الحدب عليها بكل ما يوجد لديها من رطب ويابس، وحابل ونابل، أما العنف فلم يكن له أي مكان في حضارة الإسلام ولا عرف المسلمون هذا العنصر الموبوء في تاريخهم، وإن تعاليم الإسلام كلها تتجه إلى اتخاذ اللين والحكمة والموعظة ومكارم الأخلاق في جميع شئون الحياة والمجتمع، وكذلك الإرهاب ذلك العنصر الجديد الذي أصبح جزءًا للفلسفة المادية الغربية، لا شأن له في الإسلام وحضارته التي هي حضارة تقوم على أساس من التسامح والمرونة في مواجهة التعصب البغيض الذي تتأسس عليه حضارة الغرب.

إن حضارة الغرب ليست أصيلة في ذاتها وإنما هي مقتبسة من حضارة الإسلام، إلا أنها استبدلت روحها الإيمانية، بالعلمنة المادية، وأحلت النفس الإمارة بالسوء محل الإله في حضارة الإسلام، واستغنت بعد ذلك عن جميع القيم الإنسانية الرفيعة، وحاولت قطع صلة الإنسان عن ربه الكريم، وتحوير علاقته الإيمانية بالعلاقات المادية الرخيصة، ومع ذلك فقد أصرّ الغرب على أن يصفها بالأصالة، وألحّ على أن يفرضها على جميع المجتمعات الإنسانية، ولا سيما على المسلمين وبلدانهم، واختار لتحقيق هذه الحاجة طريق الاستعمار العسكري والسياسي، وبالتالي

إشارة إلى تناقضه مع الفكر الإسلامي والبعد الشاسع بينهما .

وما زال الكتاب الغربيون يحشرون أفكارهم بطريق المؤلفات والإصدارات وبواسطة أجهزة الاعلام نحو مجتمعات المسلمين ويتصيدون شبابهم الفج وأنصاف المثقفين في الماء العكر ، وظلوا يتدرجون في هذه العملية ويصعّدونها بوسائلهم المتوافرة لديهم حتى يتمكنوا من إثبات « عالمية » الفكر الذي يحملون رايته والثقافة التي يصطنعونها في مجال تحوير العقول والأفكار وتعديل الطبيعة الحضارية التي يجود بها الإسلام .

لقد كان من حكمة الغرب التي اتخذها في هذا الغزو أن يتظاهر عطفه على الإسلام ويثني على دعوته التي لم تعتمد في أي حال على السيف أو أسلوب الإكراه في نشرها ، كما يقول بذلك المتسرعون من أهل الغرب ممن لا يرون مراعاة جانب الحكمة واللين في قضية الإسلام أمرًا لازمًا ، ولكن المفكر الغربي الذي يصرح بأن الإسلام لم ينتشر بقوة السلاح وأسلوب الإكراه ، فإنه يمهد الطريق نحو استمالة القلوب وكسب التأييد والموافقة على ما يقول ، من طبقة كبيرة من المسلمين أنفسهم ، وإن كان الفكر الغربي الصليبي لا يداهن في ذلك ويقول بكل صراحة : إن الإسلام فرض على المجتمعات البشرية بقوة السلاح ، ويستدل على ذلك بالغزوات الإسلامية التي لم تكن إلا حرب دفاع تقوم على العدل والرحمة لا حرب استعلاء تنبع من الجور والطغيان ، والذين أقبلوا على دين الإسلام واختاروه منهجًا للحياة لم يفعلوا إلا بطواعية من أنفسهم ، وبعد التجارب التي مروا بها خلال معايشتهم مع المسلمين ، وحينما تبين لهم الرشد من الغيّ ﴿ لا إكراه في الدين • قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

من الغزو الفكري إلى الإرهابية

كان الغزو الفكري في سابق عهده يعبر عن توجه خاص من الغرب نحو بلدان المسلمين ، وإن كان أصحابه يسمون ذلك رفدًا حضاريًا يمنون به على المسلمين الذين يعيشون في « تخلف حضاري » يعوزهم الفكر العام الحديث ، وينقصهم الأسلوب الجيد للعيش في ظل الفلسفات الحضارية المعاصرة ، فتقدم الغرب بعدته وعتاده نحو مجتمعات المسلمين لكي يزودها بأساليب الحياة ويوحي إليها بالمسار الصحيح الذي يجب أن يتبنّاه الإنسان للوصول إلى غاية من السعادة والهناء .

ولكن الواقع كان على عكس ذلك ، وهو أن هذا الغزو الفكري ما توخى إلا هدم المقاييس الخلقية القديمة التي أتى بها الدين واستبدالها بمقاييس مادية خلابة ، يغترّ بها الإنسان ويأخذها على ثقة في غنائها ، وانسجامها مع الحاجات العصرية التي لا يكاد يستغنى عنها في العصر المتطور فكريًا وحضاريًا . لقد كان يماثل هذا الغزو التسميم البطيء للعقول وتلقيحها بفكر مضاد للقيم الخلقية الإيمانية . بحيث لا يتفطن إليه المرء ويتغافل سريان الفساد ببطء في الشرايين والعروق . وفعلا ظهرت له نتائج وخيمة في أوساط الشباب والمثقفين بوجه خاص . أولئك الذين تغيرت أفكارهم الدينية وبدأوا ينظرون إلى الإسلام من خلال منظار الفكر الغربي المادي الذي روّجه الغرب في شكل جذاب من غير أي

محتويات العدد

الافتتاحية :

التوجيه الإسلامي :

الدعوة الإسلامية :

الفقه الإسلامي :

دراسات و أبحاث :

أعلام التاريخ الإسلامي :

رجال فقدناهم :

صور و أوضاع :

أخبار اجتماعية وثقافية :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

[redacted]

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

ربيع الأول ١٤١٦هـ

أغسطس ١٩٩٥م

================

عنوان المراسلات :

البعث الإســـلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي في ذمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة من دلهي فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي في ١٥/من شهر أبريل ١٩٩٥م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد كان النبأ المفاجئ صدمة عنيفة ألمت بالقلوب ، وتركت معارف الفقيد وأصدقاءه وزملاءه في حيرة شديدة ، ذاك أنهم لم يكونوا يتوقعون أن يُفجعوا بهذا النبأ المزعج بصورة مفاجئة .

كان الشيخ الراحل من كبار علماء وأساتذة دار العلوم ديوبند عُرف بعلمه وأدبه وحسن أخلاقه ورغبته الشديدة في التعليم والتربية ، وعلاقته المخلصة بتلاميذه ، حيث إنه كان يعاملهم معاملة الوالد الشفيق ، ويسهر على تربيتهم ، وكان له ذوق للغة العربية وأدبها منذ أيام دراسته ، ولما سنحت له فرصة التدريس والإفادة الأدبية في دار العلوم ديوبند أصدر مجلة باللغة العربية باسم دعوة الحق ، وأشرف على إصدار صحيفة « اليقظة » باللغة العربية التي أصدرت من قبل الطلاب ، كما كان له إشراف على إصدار صحيفة « الكفاح » التي صدرت كلسان حال لجمعية علماء الهند .

وألف عدة معاجم وكتب باللغة العربية لقيت إيجابا وقبولاً بين أوساط طلاب اللغة العربية في الهند .

وأخيرًا تقاعد عن التدريس في دار العلوم ديوبند وأسس مجمعا للتأليف والترجمة والنشر باسم دار المؤلفين كما أسس جمعية العلماء المركزية وظل رئيسها إلى آخر أيام حياته .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته وألهم أهل وذويه الصبر والسلوة .

﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾

سماحة العلامة الشيخ الندوي يزور دولة قطر

على دعوة خاصة من معالي وزير الأوقاف الشيخ عبد الله بن خالد بن حمد آل ثاني قام سماحة "حذمه الشيخ السيت أبي انحسن علي الحسني ـدوي بزيارة دولة قطر في ١٢/من أبريل لإلقاء محاضرات إسلامية حول الدعوة والفكر الإسلامي في الدوحة . وقد استقبله معالي وزير الأوقاف وسعادة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي وكبار العلماء والوجهاء بشئ كبير من التقدير والإجلال واعتبروا وجود سماحته على أرض قطر نعمة وسعادة من الله تعالى .

وقد ألقى سماحة العلامة الشيخ الندوي أربع محاضرات دعوية نظمتها وزارة الأوقاف . وغيرها من محاضرات وأحاديث ألقاها في الجالية الهندية في الدوحة .

قضى سماحة العلامة الشيخ الندوي أسبوعًا حافلاً بالنشاط الدعوي والفكري وزيارات ولقاءات قام بها العلماء والدعاة والشباب خلال إقامته في الدوحة وقد قام سعادة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي بكلمة تقديم للعلامة الشيخ الندوي في المحاضرة الأولى . تعتبر من أقوى الكلمات التعريفية لندوة العلماء ونشاطاتها وإنجازاتها وخدماتها ورسالتها في الهند . فجزاه الله وجميع المهتمين الكرام بهذه البرامج خير ما يجزي عباده المؤمنين العاملين .

وعاد سماحته في سلامة من الله مساء ٢٠/من أبريل إلى بومبائ وكان يرافقه في هذه الرحلة سعادة المهندس الأستاذ محمد عثمان والحاج عبد الرزاق خان . فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

مؤتمر أهل الحديث السابع والعشرون

قلم التحرير

عقدت جمعية أهل الحديث لعموم الهند مؤتمرها السابع والعشرين في مدينة (مئو) بمحافظة أعظمجراه الهند . بقيادة أميرها فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي . وذلك في الفترة ما بين ١٤-١٦ أبريل حضره مندوبون من جميع أنحاء الهند وكبار علماء أهل الحديث وبعض المندوبين من الكويت والسعودية . و وُجهت الدعوة من المسئولين عن المؤتمر إلى سماحة العلامة الشيخ الندوي . ولكنه لم يتمكن من الحضور في المؤتمر . نظرًا إلى برامجه الدعوية خارج الهند .

وكان من المتوقع أن يشرّف المؤتمر فضيلة الشيخ العلامة عبد الله السبيل إمام الحرم المكي . ومعالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية للملكة العربية السعودية . ولكن حال دون ذلك بعض الظروف المؤقتة . وحُرم المسلمون من الاستفادة من توجيهاتهما .

افتتح المؤتمر فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي بخطبة افتتاحية وألقى كلمة ترحيب بالضيوف فضيلة الدكتور مقتدى حسن الأزهري ثم ألقيت كلمات تحدث فيها المحاضرون عن واقع المسلمين وحاجتهم إلى توحيد الصفوف في ضوء تعاليم الإسلام وتوجيهات الكتاب والسنة .

وكان للمؤتمر تأثير في النفوس وفي تغيير جو الجمود والغفلة الذي ألفه الناس وعاشوه في كثير من المجتمعات الإسلامية .

وانتهى المؤتمر بنجاح .

٨٨٨

[illegible]

الأرض والسياحة فيها للتدبر في آيات الله ، وطلب العلم و التفقه في الدين والجهاد ، وذكر أمثلة من الرحلة في مواضع مختلفة ، وذكر بصفة خاصة قصة ذي القرنين ، وقال لأهمية السفر بيّن الرسول الكريم -ﷺ- آداب السفر ، و وردت أدعية السفر .

وصرح سماحته أن آداب العالم تشتمل على ثروة غنية من أدب الرحلات ، وفي اللغة العربية بصفة خاصة ، وتليها اللغة الأردية ، رحلات من جميع الأصناف ، وقال : إن أقوى هذه الرحلات هي الرحلات الحجازية ، وتمتاز الرحلات الحجازية المؤلفة باللغة الأردية بالعاطفة والخيال والحب والحنان ، كما تمتاز بالمواد العلمية ، فتحتاج إلى دراسة وبحث .

وقدم الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس مكتب شبه القارة الهندية ومدير دار العلوم ندوة العلماء تقريره عن نشاطات الرابطة في شبه القارة الهندية ، وألقى الضوء على محاور الموضوع المعين لهذه الندوة ، وذكر آصرة هذا الموضوع بالأدب ، وظهور نماذج أدبية فنية مؤثرة خلال تعبير صاحبه في فترات مختلفة عن انطباعاته وتصوراته حول ما يمر على بصره من صور وأحوال ، وذكر أن هذا الجانب من الموضوع هو الذي يربطه بالأدب ، وهو الذي دعانا إلى عقد هذه الندوة حول الموضوع .

وقدم في مفتتح الجلسة الافتتاحية الأستاذ رياض الدين الفاروقي مدير الجامعة الإسلامية كاشف العلوم كلمة الترحيب بالمندوبين من قبل رئيس لجنة الاستقبال الثرى غلان محمد بهائي ، مدير شركة الرحلات و النقل في بومباي ، وقال : إننا نرحب بكم في هذه المدينة التاريخية التي

للهدم الذي حدث بتأثير الاستعمار الإنجليزي وانحطاط المسلين الديني والاجتماعي . فأبدى انطباعات الأسى والأسف . وصور المآسي والأحوال البائسة للسلين . وبجنب ذلك ذكر ومضات مجهود العلماء المخلصين لإصلاح الحالة الدينية والتعليمية . واستعرض صاحب البحث جوانب مؤثرة مما كتبه العلامة عند ابداء انطباعاته الوجدانية والعاطفية . وكان ذا قلم أديب رائع . لقد جذب البحث التفات السامعين وحاز تقديرهم وإعجابهم .

وجد المشتركون في الندوة هذا الموضوع موضوعًا طريفًا ورائقًا يحتاج إلى بحث ودراسة لأنه يفيد عليًا وأدبيًا وتاريخيًا وجغرافيًا . وأبرزت بعض البحوث الرحلات التي لم تطبع بعد وهي تحمل قيمة أدبية وعلية . ولكون هذا الموضوع طريفًا جذبت الندوة العلمية عددًا كبيرًا من رواد العلم و الباحثين و طلبـــــة العلم . و ظلت قاعة الندوة مكتظة بالحاضرين إلى انتهائها .

عقدت الحفلة الافتتاحية في قاعة نهرو الفسيحة للمحاضرات . بجوار جامعة كاشف العلوم الإسلامية . واكتظت القاعة بالحاضرين . واصطف آلوف من الحاضرين في الحديقة الفسيحة المحيطة بالقاعة . وألقى سماحة العلامة الشيخ الندوي كلمته الافتتاحية التي شرح فيها أهمية الموضوع والقيمة الأدبية للرحلات . وقال : إن الرحلة لها مكانة خاصة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . والإسلام دين حركة . ويحث على الحركة والرحلة . سواء كانت الرحلة في طلب العلم . أو في طلب التربية أو الدعوة . أو إعلاء كلمة الحق . وقد ذكر القرآن الكريم السير في

الإسلامي ، وبحث الباحثون تطور هذا الصنف من الأدب ، وناقشوا القيمة الأدبية والمواد العلمية التي اشتملت عليها الرحلات وحياة مؤلفيها .

ومن البحوث القيمة التي قدمها ، و كانت موضع العناية الخاصة بحث سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي عن أدب الرحلة ، والذي كان محور البحث و الدراسة ، وكان بحثا رائدا ، وبحث الدكتور عبد الله عباس الندوي أسلوب الكتابة في الرحلات في ضوء رحلة روم ومصر والشام للعلامة شبلي النعماني ، وبحث الدكتور عصمت جاويد الشيخ ، أحد كبار أدباء هذه المنطقة حول رحلة العلامة شبلي النعماني إلى بلاد الروم ، وبحث الدكتور سيد عبد الرحيم عن رحلة الشيخ غلام حسين المنظومة ، وبحث الدكتور البروفيسور احتشام أحمد الندوي عن رحلة ابن جبير ، والبروفيسور الدكتور عبد الباري من جامعة عليجراه دراسة رحلة ابن بطوطة الأدبية والتاريخية ، و الدكتور عبيد الله الفهد رحلة الأستاذ خليل الحامدي ، والبروفيسور ياسين مظهر دراسة عامة للرحلات باللغة الأردية ، و الشيخ عبد الكريم باريك حول الرحلات في القرآن الكريم ، وبحث الباحثون أيضًا رحلات الأدباء الهنود الحجازية وقارنوا بين هذه الرحلات والرحلات الحجازية التي ألفها الأدباء العرب قديما وحديثا ، وقدم أحد الباحثين مقالة عن الرحلات الخيالية وقارن بينها .

كما بحث أحد المندوبين رحلة العلامة السيد عبد الحي الحسني (والد سماحة العلامة ا ُبو م الندوي) في منطقة دلهي عاصمة الهند قام بها في شبابه ، وذلك في الزمن الذي كانت الحياة الاجتماعية والدينية أنقاضا

مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أورنك آباد

واضح رشيد الندوي

عقد مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ندوة علمية حول « أدب الرحلة » في مدينة أورنك آباد في ولاية مهاراشترا ، بجنوبي وغربي الهند ، خلال فترة ٧-٩ من أبريل ١٩٩٥م برئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

استضافت هذه الندوة جامعة كاشف العلــــــــوم الإسلامية في أورنك آباد ، وحضرها مندوبون من مختلف جامعات الهند ومدارسها الإسلامية والمجامع العلمية ، وفي مقدمتها جامعة عليجراه الإسلامية ، والجامعة الملية الإسلامية بدلهي ، وجامعة كاليكوت بكيرالا ، وجامعة أونك آباد ، وجامعة ندوة العلماء لكناؤ ، وجامعة سبيل السلام بحيدرآباد ، ومعهد ملت ماليگاؤن ، ومدارس إسلامية معروفة أخرى ، وبلغ عدد المؤسسات العلمية التي أرسلت مندوبيها للاشتراك في الندوة ٢١ مؤسسة ، وعدد المندوبين من خارج أورنك آباد ٦٥ مندوبا ، عدا المندوبين من المناطق المجاورة ، وقدمت ٢٦ بحثا ، كانت ثلاثة بحوث منها باللغة العربية ، وبحث باللغة الإنجليزية ، و ٢٢ باللغة الأردية .

بحثت خلال الندوة الرحلات المشهورة المؤلفة باللغة العربية و الإنجليزية والأردية واللغات الهندية الإقليمية التي حملت الطابع

وعما تقاعسوا عن تقديمه ، والعرب هم أول من يسأل عن الإسلام ، لأنهم قاطرة العجم إذا توقفت توقفوا ، وإذا تحركت تحركوا .

وقد كان من المشاركين في المؤتمر والاجتماع العام الذي افتتحه وزير الأوقاف معالي الدكتور علي فهد الزميع كبار العلماء والمفكرين والدعاة ممن مثلوا بلدانهم وشعوبهم ، وناقشوا الموضوعات المدرجة في جدول الأعمال في جوّ من الهدوء والجدّية ، وانتهى المؤتمر بكلمة ختامية جميلة لرئيس الهيئة معالي الشيخ يوسف جاسم الحجي - حفظه الله تعالى - وجعل التوفيق حليفه .

المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي :

عقد في الخرطوم (السودان) هذا المؤتمرعلى دعوة من الداعية الإسلامية الشهير سعادة الدكتور حسن الترابي بين الفترة ٢٠/مارس ٢/أبريل ١٩٩٥م حضره ٢٩٦ مندوبًا من ٨٥ دولة في العالم .

وقد كان الموضوع الرئيسي للمؤتمر وحدة المسلمين في العالم كله الذي كان يدور حول نقاط ثلاث :

١ - ارغام الأمة الإسلامية على الصلح مع إسرائيل ، باسم الأمن والسلامة .

٢ - الهجوم على الأمة الإسلامية باتهامها بالأصولية والإرهابية .

٣ - وضع الأقليات الإسلامية في بلدان العالم المختلفة .

استمر المؤتمر بإشراف سعادة الدكتور حسن الترابي إلى أربعة أيام ، وجرى النقاش حول الموضوع الذي أسهم فيه كبار المعنيين بقضايا العالم الإسلامي ، وقد مثل في هذا المؤتمر سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فضيلة الأستاذ سلمان الحسيني الندوي ، رئيس جمعية الشباب الإسلامي وأستاذ الحديث بجامعة ندوة العلماء .

إننا واثقون بأن النصر لابد منه لأن الإسلام قوته من ذاته . إننا نريد أن نوعى الدعاة بمحاولة جمع قوة الأمة وتجنيبها أسباب الخلاف . آخذين بالقول المأثور « نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه » .

وقال الدكتور القرضاوي : إن أعداءنا يتجمعون ضدنا في كل مجالات الحياة . ونحن نزداد كل يوم فرقة . إننا في حاجة للتأكيد على فقه الأولويات . كما أننا بحاجة إلى وعي ما يطلبه منا الإسلام . إن علينا واجبا للإسلام . و واجبنا للدعوة . وإذا انفض جمعنا فمن واجبنا أن نحمل هموم هذه الأمة . إننا نواجه محنًا كثيرة في عالمنا الإسلامي ولا ملجأ لنا إلا الله . ولا قوة لنا إلا بالتلاحم وجمع الشتات . ومن واجبنا أن نخطط لأن الإسلام يدعونا للتخطيط » .

كما قد ألقى مندوب الشيشان الشيخ أحمد حمزة رئيس مركز الرسالة الخيري في جروزني . كلمة قيمة في الاجتماع العام . تحدث فيها عن قضية الغزو الروسي وما جرى في الشيشان من قتال الجنود الروس . فقال :

« إن الشيشان ما زالوا صامدين حتى الآن بعد أربعة أشهر من حرب الإبادة الروسية . ورغم تقدير الروس بانهاء المعركة خلال ساعتين . نحن نقاتل بعتاد قليل . ولكن عون الله لنا كان أكبر من أي عون آخر . لقد ألقى الله الرعب في قلوبهم حتى إن بعضهم تجمد ميتا داخل دبابته . وفي الليل يتسلل جنودهم للقرى الشيشانية ويسلون أسلحتهم للمدنيين مقابل ملابس ونقود يهربون بها من الميدان . وقال : إننا نحارب تحت قيادة واحدة هو رئيس الأركان الذي يحظى باحترام وتقدير الجميع . واذكر الجميع بأن الله سيسأل المسلين عنا يوم القيامة عما قدموه لنا

« إن إخوانكم في جمهورية البوسنة والهرسك وأبنائكم من الأمة الإسلامية يتطلعون إليكم وإلى نتائج اجتماعكم التي تأمل أن تزيد من تدفق الخير معنويًا وماديًا إلى كل شعوب الأمة التي هي الآن في أشد الحاجة إلى العون والمساعدة ، إن مجرد ترتيب هذا اللقاء لدليل على تجديد شباب هذه الأمة وزيادة حيويتها بفعل النكبات التي تصيبها ، ولقد كانت آلام المخاض التي عانت منها هذه الأمة والتي تمثلت في الحرب ضد جمهورية البوسنة والهرسك ، ومناطق أخرى من العالم - هي التي صاحبت ميلاد عهد جديد من الأمة يتميز باليقظة والصلابة والعزيمة ، والنصر - بإذن الله تعالى - .

إن إخوانكم في البوسنة والهرسك صامدون و واثقون من النصر - إن شاء الله تعالى - وأحوالهم في تحسن مستمر ، وقوتهم في ازدياد دائم ، وإن كانت ما زالت بعيدة عن الأحوال الطبيعية المطمئنة ، لذلك ننتظر منكم مزيدًا من البذل ، ومشاركة فعالة في برامج الحكومة الإغاثية والتعليمية » .

وكان لحديث الداعية والمفكر الإسلامي فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي تأثير كبير في النفوس ، فقد جاء فيما قال :

« كنا في الماضي القريب في مرحلة صحوة ، ولكن جاءت الضربات على مستوى هذه الصحوة ، حتى إننا سمعنا أن رئيس وزراء إسرائيل طلب في اجتماع حاشد استئصال الأصوليين فصفق له الحاضرون ومنهم المسلمون ، ومع ذلك لا زلنا نعتقد أن الإسلام منتصر ، ولدينا المبشرات بذلك من كتاب الله : ﴿ .. ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ، ومن حديث رسول الله -ﷺ- : « ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار..»

أخبار اجتماعية وثقافية :

مؤتمر الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت

س. الأعظمي

عقدت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية مؤتمرها الخامس في الكويت ، بإشراف رئيسها معالي الشيخ يوسف جاسم الحجي ، في الفترة ما بين ٢٨-٣١/مارس ١٩٩٥م ، المصادف ٢٧-٣٠/شوال ١٤١٥هـ ، حضره ١٥٠/من العلماء والمفكرين والقائمين بالأعمال الدعوية والخيرية في العالم ، وقد كان جدول أعمال المؤتمر يحتوي على مناقشة العمل الإسلامي الذي تسانده الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية من خلال الدعم المادي والمعنوي الذي تقدمه إلى جميع أنحاء العالم ، ولا سيما في البقاع التي يجتاز فيها المسلمون بالنكبات والمحن .

وفي الاجتماع العام للهيئة الذي عقد في ٢٠-٢١/من شهر مارس ١٩٩٥م قام المشاركون فيه بمراجعة شاملة لنشاط الهيئة والأعمال الإغاثية الإسلامية التي أنجزتها في شتى أنحاء العالم وعلى مستويات متعددة ، وقد حضر الاجتماع مندوبون من المناطق المنكوبة التي يعاني فيها المسلمون من نكبات ومحن شديدة مثل البوسنة والهرسك و الشيشان ، وكان رسالة الرئيس البوسني السيد علي عزت بيجوفيتش التي وجهها إلى المؤتمر تعبر عن الثقة بالنصر والانتصار ، وتلفت النظر إلى الاهتمام بما يجري في بلاده من ظروف غير طبيعية ، وقد جاء فيها إشادةً بالمؤتمر :

نبي من هؤلاء الأنبياء .

وأما الفصل الخامس والأخير من الكتاب فهو بعنوان « ما يعين على الصبر في القرآن الكريم » ويقول فضيلة الدكتور : إن القرآن الكريم يشير إلى جملة أمور تعين على الصبر ، وتهونه على النفس ، منها : المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا ومعرفة الإنسان نفسه واليقين بحسن الجزاء عند الله واليقين بالفرج والاستعانة بالله والاقتداء بأهل الصبر والعزائم والإيمان بقدر الله وسنته والحذر من الآفات العائقة عن الصبر .

فالحياة في تغيير دائم ولا تلبث على حال ، يوم لك ويوم عليك ، لذا يقول الله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله • وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٤٠] ويستشهد فضيلة الدكتور ببعض الأمثال والحكم والنوادر من الأدب والتاريخ ولا يسعنا المجال إلى إيرادها هنا ، وفيما يتعلق بالحذر من الآفات العائقة عن الصبر يذكر فضيلة الدكتور الاستعجال والغضب واليأس .

وجملة القول إن فضيلة الدكتور قد جمع فأوعى ، وشرح فأبدع ، وكتابه هذا خير معين للمسلم المتبصر على التحلي بالصبر والثبات في وجه التيارات الفكرية الضالّة فضلاً عن الصبر على مشاكل الحياة العصرية .

يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [قرآن كريم]

[illegible]

الصبر على السرّاء أشد من الصبر على الضراء لأنه مقرون بالقدرة ، ومن العصمة ألا تقدر ، لهذا عظمت فتنة السراء ومن هنا حذر الله عباده من فتنة الأموال والأولاد والأزواج وشهوات الدنيا جمعاء [سورة التغابن ، الآية : ٢ ، سورة المنافقون ، الآية : ٩ ، سورة آل عمران ، الآية : ٤] .

ويقول فضيلة الدكتور : إن هناك جانبا آخر للصبر عن الدنيا وزينتها ، إنه الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين ، وبخاصة الطغاة المغرورون منهم فإن ما بأيديهم إنما ظاهره نعمة وباطنه نقمة ، قال الله تعالى : ﴿ أ يحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين • نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتان : ٥٥-٥٦] وفي هذا خاطب الله رسوله بقوله : ﴿ ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به .. ﴾ [سورة طه ، الآية : ١٢١] .

وفي الصبر على طاعة الله يقول فضيلة الدكتور : إن ذلك يشتمل على ثلاث أحوال : الأولى : قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص ، والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء ، والثانية : هي حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ، والثالثة : بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء .

والفصل الثالث : من الكتاب يدور حول منزلة الصبر والصابرين في القرآن ، فيقول فضيلة الدكتور : إن الصبر مقام من أرفع مقامات الدين ، وإن القرآن جعله مفتاح كل خير ويدل على ذلك عدة أمور ، فمنها اقتران

فرائض دينهم ، وهم قادرون على الهجرة إلى دار الإسلام . قال الله تعالى : ﴿ إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم • قالوا كنّا مستضعفين في الأرض • قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها • فأولئك مأواهم جهنّم • وساءت مصيرًا • إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً • فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم • وكان الله عفوّاً غفورًا ﴾ [سورة النساء ، الآيات : ٩٧-٩٩] .

أما المصابرة فهي درجة أخرى بعد الصبر وتفيد مفاعلة من جانبين ومغالبة الأعداء في الصبر كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٢٠٠] .

وفي الفصل الثاني : الذي بعنوان مجالات الصبر في القرآن يذكر فضيلة الدكتور المجالات التالية : الصبر على بلاء الدنيا ، الصبر عن مشتهيات النفس ، الصبر على طاعة الله ، الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، الصبر حين البأس ، والصبر في مجال العلاقات الإنسانية ، وأورد فضيلة الدكتور الآيات المتعلقة بكل مجال من هذه المجالات الستة ونشير هنا إلى بعض منها ، فيقول الدكتور : إن الصبر على بلاء الدنيا ونكبات الأيام لا يخلو منه بر ولا فاجر ولا مؤمن ولا كافر وهذا ما أقسم الله على وقوعه حين قال : ﴿ ولنبلونّكم بشيئ من الخوف .. ﴾ [سورة البقرة ، الآيات : ١٥٥-١٥٧] وفي الصبر عن مشتهيات النفس يرى الدكتور أن

تعالى في [سورة الشورى ، الآيات : ٤١-٤٢] : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل • إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم • ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

فالصبر هنا المعاقبة بالمثل وليس في القرآن ما في الإنجيل من النهي عن مقاومة الشر بالشر والسيئة بمثلها وأمر من ضُرب على خده الأيمن أن يدير للضارب خدّه الأيسر . فليس هذا بمستطاع لكل الناس . وفي كل الأحوال وإنما فيه الترغيب في الصبر ودفع السيئة بالتي هي أحسن وهذه هي مرتبة الفضل والإحسان . مع إجازة مقابلة السيئة بالسيئة والعدوان بالعدوان وهذه هي مرتبة العدل والبادى أظلم .

وفصّل الإمام الغزالي أحكام الصبر في « إحياء العلوم » فقال : « اعلم أن الصبر ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل . ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض . وعلى المكاره نفل . والصبر على الأذى المحظور محظور . كمن تقع يده . أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا . وكمن يقصد جريمة بشهوة محظورة . فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة . ويسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم فالصبر - إذن - [illegible] يحمد إذا كان على بلاء لا يقدر الإنسان على إزالته . أو التخلص منه . فأما ما كان مقدورًا على دفعه أو رفعه فليس الصبر عليه مطلوبا في الدين وفي مثل هذا جاء وعيد القرآن الشديد في شأن الذين يقيمون في دار الشرك والحرب للإسلام ظالمي أنفسهم . عاجزين عن إقامة

[illegible]

بالغداة والعشيّ يريدون وجهه • ولا تعد عيناك عنهم ﴾ [سورة الرعد . الآية : ٢٢] أي احبس نفسك معهم .

ويقابل الصبر : الجزع كما في قوله تعالى على لسان أهل النار : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ [سورة الأحزاب . الآية : ٢٥]

والصبر في القرآن يعني حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله . ، يقول الإمام أبي حامد الغزالي : « اعلم أن الصبر ضربان أحدهما : ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها ، وهو إما بالفعل ، كتعاطى الأعمال الشاقة سواء من العبادات أو من غيرها ، وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد ، والمرض العظيم ، والجراحات الهائلة » .

والصبر عن شهوة البطن والفرج يسمى عفة ، وأما الصبر عن احتمال مكروه فتختلف أساميه باختلاف المكروه ، ففي المصايب يسمى صبرًا ويقابله الجزع والهلع ، وفي احتمال الغني يسمى ضبط النفس ويقابله البطر ، وفي الحرب الشجاعة ويضاده الجبن ، وفي كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده التذمر ، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان يسمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر ، وفي إخفاء كلام يسمى كتمان السر وسمي صاحبه كتوما ، وإن كان احتمالا عن فضول العيش سمي زهدًا ويضاده الحرص ، وإن كان صبرًا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره .

وهكذا نرى أن أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه الصلاة والسلام مرة عن الإيمان قال : « هو الصبر » لأنه أكثر أعماله

قراءة في كتاب :

الصبر في القرآن

من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

بقلم : سعادة الدكتور يوسف القرضاوي

عرض وتعليق : للدكتور محمد منور نينار

يأتي هذا الكتاب كإضافة جديدة وقيمة في إطار التفسير الموضوعي للقرآن حيث جمع فضيلة الدكتور القرضاوي الآيات الواردة عن الصبر وصنّفها تحت خمسة عناوين رئيسية وأفرد لكل منها فصلا مستقلاً وهكذا يتكون الكتاب من خمسة فصول وهي كالآتي :

الفصل الأول : حقيقة الصبر في القرآن الكريم وضرورته وحكمه .

الفصل الثاني : مجالات الصبر في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : منزلة الصبر والصابرين في القرآن الكريم .

الفصل الرابع : شخصيات صابرة ذكرها القرآن الكريم .

الفصل الخامس : ما يعين على الصبر في القرآن الكريم .

وفي الفصل الأول : الذي بعنوان حقيقة الصبر في القرآن وضرورته وحكمه ، يقول فضيلة الدكتور : إن الصبر من أبرز الأخلاق القرآنية وقد ورد ذكره في القرآن في مائة موضع أو أكثر بقليل وهو أكثر خلق تكرر ذكره .

والصبر في اللغة : الحبس والكف ، ومنه قتل فلان صبرًا إذا أمسك وحبس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

إلى أسوار فيينا ، كما وصل أجدادهم من قبل ، وذلك إذا قدّر لهم أن ينتصروا على الصرب ويقيموا دولة مستقرة في البوسنه . ولعل هذا ما دفع مسئولين غربيين بارزين إلى التأكيد مرارًا بأنهم « لن يسمحوا بقيام دولة إسلامية في البوسنة » .

وقد وصل الحال ببعض التقارير الصحفية الغربية أنها اعتبرت أن امتناع المسلمين عن أكل لحم الخنزير الآن واستبدالهم الخمور بالعصير . ومنع انتشار حانات الخمور في الأحياء الإسلامية وتردد الشباب على المساجد وظهور الحجاب بكثرة لدى النساء مخاطر جمة تهدد الغرب وتنذر بفناء حضارته .

وقد أشار كثير من المراقبين إلى أن السبب الحقيقي وراء الموقف الغربي المخزي من البوسنة هو هذه الصحوة الإسلامية التي أصبحت الدول الغربية ترتعد منها وتعتبرها خطرا يمكن أن يسقطها من الداخل . ولهذا فإن المؤسسات التغريبية التي تزيد عن مائتي مؤسسة في البوسنة تنفق مئات الملايين من الدولارات من أجل تقويض أركان هذه الصحوة . والأكثر خطورة منها هو ما فعلته دول أوربا في البداية من تفريغ البوسنة من نصف مليون مسلم تم قبولهم لاجئين في ألمانيا والسويد وفرنسا وبريطانيا والنرويج والنمسا ودولٌ أخرى حتى سهل تذويبهم في هذه المجتمعات .

لقد جاءت هذه الحرب لتوقظ شعب البوسنة وتعيده إلى جذوره وإلى هويته وإلى دينه . ومهما كانت خسائرها فإن عودة أهلها إلى دينهم مكسب كبير . [مع الشكر للزميلة العزيزة « المجتمع » الأسبوعية الكويتية]

٧٧٧

تلك اللجان ومن خبراتها الطويلة خاصة في مجال العمل الدعوي والاجتماعي .

وقد لفتت مؤسسة « سمية » الأنظار بنشاطها البارز في سرايیفو ، حتى أن كثيرًا من الوفدين الغربيين قاموا بزيارتها من بينهم : أريك بارتون – المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي بل كلنتن – الذي قال لهم في بداية زيارته : لقد علمت بأن مؤسستكم مؤسسة أصولية . فجئت للتعرف على نشاطكم الأصولي . فقالت له ليلى تشيمو : ما معنى الأصولية الذي تقصده ؟ فقال بارتون : ليس لدى صورة واضحة عن معنى الأصولية . ولكني أريد الاطلاع علي نشاطكم وأعمالكم وبناء عليه سوف يتضح لدى معنى الأصولية وصورتها .

فقالت تشيمو : وبعد ثلاث ساعات من الحديث والاطلاع على نشاطنا ، قال بارتون : لقد محيت الآن الصورة التي كانت في ذهني عن الأصولية .

موقف الغرب من هذه الصحوة :

كان بروز هذه الصحوة دافعا لعداء واستنفار غربي واضح ضد هذه الصحوة . وضد الرئيس عزت بيجوفيتش بصفة خاصة . فعلاوة على ترجمة كتب عزت بيجوفيتش ومقالاته إلى اللغات الأوربية المختلفة والتحذير مما فيها والتأكيد على أن بيجوفيتش يسعى لإقامة دولة « أصولية » في قلب أوربا . وجد الغرب في الرجل إرادة صلبة وإصرارًا كبيرًا في الحرص على حقوق بلاده وعلى تعرية مواقف الغرب من القضية البوسنوية . كما أنه وجد التفافا واضحًا واتفاقًا من شعب البوسنة على شخصية علي عزت بيجوفيتش . ولهذا فإن حملة التشويه والتخويف قائمة في الغرب وتؤكد على أن بيجوفيتش سوف يصل بمسلمي البوسنة

« سمية » .

حينما سألت ليلى تشيمو عن نشأة « سمية » وأهدافها قالت : أسست « سمية » في فبراير عام ١٩٩١م لتعبر عن رغبة كبيرة لدى النساء البوسنويات المسلمات في معرفة واجباتهم والتزاماتهم نحو دينهم بعد ما سعت الشيوعية طوال خمسة عقود لتغريب المرأة المسلمة وإبعادها عن هويتها . فأصبحت المرأة المسلمة ضحية في هذا المجتمع . ولهذا فإن هدفنا الرئيسي هو العودة بالمرأة البوسنوية المسلمة إلى هويتها . ورغم ظروف الحرب القاسية إلا أن « سمية » سجلت نجاحات هائلة وحضورا قويًا على الساحة البوسنوية . ففي سراييفو وحدها يبلغ عدد النساء المسلمات المنتميات إلى « سمية » خمسة عشر ألف امرأة مسلمة . بينما بلغ عدد المنتميات في كل البوسنة ٤٥ ألفًا .

وتقوم برامجنا على نواح اجتماعية وثقافية تنبع من فهمنا لإسلامنا وديننا . وقد أقمنا مشروعات كثيرة لخدمة المرأة والأسرة بصفة عامة ، ومراكز استشارات نفسية وطبية ، ومشروعات خدمية للخياطة والتطريز للمحجبات . ورعاية الأيتام ومجهولي الأبوين . ورعاية أسر الشهداء . وأنشأنا مركزا لإعادة تأهيل المغتصباب .

أما مجلة « سمية » التي تغرس المعاني الإسلامية في نفوس النشء والأسرة فقد أصبحت أكبر المجلات الأسرية التي تقرأ في البوسنة . وللجمعية دور في توعية المرأة المسلمة بدينها ودورها الذي تقوم به في المجتمع .

وأكدت ليبى .. بمو على ضرورة التعاون والتواصل مع اللجان النسائية الإسلامية الشبيهة لهم في العالم الإسلامي حتى يستفيدوا من

[illegible]

بيجوفيتش يتدخل شخصيا ويصدر أوامر لقائد الجيش يتم بموجبها تشكيل كتائب خاصة للمسلمين الملتزمين بأمور دينهم سميت « كتائب المجاهدين » ويفرض على من يرغب في الالتحاق بهذه الكتائب الالتزام بأداء الصلوات في مواعيدها والامتناع عن شرب الخمر والتدخين والالتزام بالنظام الصارم في التدريبات العسكرية والعمليات الجهادية ، وقد بدأ الجيش بتشكيل كتيبة واحدة إلا أن هذه الكتائب انتشرت في معظم الجبهات وصارت تشكل الآن رعبا كبيرًا للصرب بسبب جرأة المنتمين إليها واستحضار معاني الشهادة والجهاد في سبيل الله لديهم .

وبصفة عامة فقد انتشر الدعاة بين صفوف الجيش وأصبح في كل كتيبة مصلى ، وأخذ المجندون يقلعون عن كثير من العادات السيئة . وأصبحت صيحات الله أكبر تملأ جبهات البوسنة وتسبق معارك البوسنويين في زلزلة الصرب وإخافتهم .

الصحـــوة الإعـــلامية :

رغم أن وسائل الإعلام الرسمية البوسنوية وأهمها التلفزيون لم تستطع حتى الآن أن تعبر عن هوية الدولة . إلا أن ظهور بعض الوسائل الخاصة مثل راديو « الحياة » ، وصحيفة « لليان » أخذ يعطي بعدًا إعلاميًا يحمل الصبغة الإسلامية ، ولأول مرة وجدت إذاعة في قلب أوربا تبث الأذان خمس مرات في اليوم علاوة على خطبة الجمعة كل أسبوع ، والذين يعيشون في الغرب من المسلمين يدركون جيدا معنى سماع الأذان خمس مرات كل يوم . كما أن الطرح السياسي والرؤى الإسلامية التي تطرحها « لليان » تبث كثيرا من معاني الانتماء للإسلام لدى مسلمي البوسنة ، ولعل ضعف الكوادر الإعلامية المسلمة في البوسنة له دوره في ضعف

[illegible]

مراكز تحفيظ القرآن الكريم :

أما مراكز تحفيظ القرآن الكريم فقد كانت من أكثر الأشياء إثارة لي في سراييفو فنسبة الإقبال عليها عالية للغاية . وقد زرت العديد من هذه المراكز في مناطق مختلفة من العاصمة سراييفو فوجدت في مركز « كوبليا جلافا » وحده ما يقرب من ثلاثمائة من البنين والبنات من عمر ٤ سنوات وحتى ١٦ عامًا حتى أن الشيخ وهبي إمام المركز قال لي : إن الأولاد يزيدون كل يوم وهم يأتون بمحض إرادتهم بل وبرغبة وإلحاح في أن يحفظوا القرآن وتعلموا أمور دينهم . وما من ولي أمر يلقاني إلا ويقول لي : أبنائي أمانة في رقبتك يا شيخ وهبي . وفي إحصائية أبلغني بها حشمت خليفة - مدير مكتب لجنة الإغاثة الإنسانية التابعة لنقابة الأطباء المصرية في البوسنة - وأكدتها من مصادر أخرى قال : إن عدد الأولاد والبنات الذين يترددون على مراكز تحفيظ القرآن الكريم في العاصمة سراييفو وحدها يبلغون عشرون ألفا يشكلون نسبة ٨٪ من عدد السكان المقيمين حاليا في سراييفو والذين يقدرون بحوالي ٢٢٠ ألف نسمة . وقد وجدت في معظم الأولاد الذين كنت أناقشهم جرأة وشجاعة وثقة بالنفس علاوة على جمال الصوت في التلاوة . كما أن التنافس بينهم كبير وهؤلاء يشكلون لبنات جيدة لمستقبل البوسنة ومستقبل الصحوة بها ويحتاجون دون شك إلى رعاية لا يدركها إلا قليل من العاملين في مجال الإغاثة في البوسنة .

الصحوة في الجيش البسنوي :

حينما أعلنت البوسنة استقلالها في أبريل ١٩٩٢م . لم تكن تملك جيشا لأن الجيش اليوغسلافي ورثته صربيا بكل معداته ومعظم رجاله .

المدارس الابتدائية .

وفي المدرسة الإسلامية في فيسكو لقيني الدكتور جمال صالح سيباهيتش - مدير المدرسة ، وهو وكيل سابق لكلية الدراسات الاسلامية في سراييفو - ، وحدثني عن المدرسة وأنشطتها ، حيث يدرس بها ١٥٨ طالبًا وطالبة في المرحلة الثانوية ، وهي مدرسة أهلية لم يكن لها وجود قبل عامين أيضًا .

وفي مدينة ترافنيك التقيت مع أحمد عادلوفيتش - مدير مدرسه الغازي خسروبك - وهي مدرسة قديمة أسسها إبراهيم باشا في عام ١٧٠٦م إلا أن الشيوعيين حولوها إلى مقر خاص بهم حتى أعاد عادلوفيتش فتحها قبل عدة أشهر بجهود شخصية مع بعض المساعدات ، ويدرس بها ٩٥ طالبًا بالمرحلة الثانوية .

وفي سراييفو زرت مدرسة الغازي خسروبك والتقيت مع مدير المدرسة الأستاذ رشيد بلاليتش وهو خريج جامعة الأزهر ، ويدرس بها أكثر من ٢٠٠ طالب وطالبة ، ورغم أن القصف قد أصاب جوانب كثيرة من المدرسة إلا أن الدراسة بها مستمرة ولم تتوقف ، وكان الشئ الملفت للنظر في كل هذه المدارس أنها لا تلقى سوى دعما قليلا حتى من المنظمات الإغاثية الإسلامية ، وأن نسبة الإقبال عليها كبيرة وأن معظم الدارسين بها في مرحلة صناعة وتشكيل العقل وهي المرحلة الثانوية أو ما بعدها .

وكان أيضًا أبرز ما في هذه المدارس والمعاهد هو أن القائمين عليها والمدرسين العاملين بها معظمهم من أصحاب الفكرة الإسلامية والقناعة التامة بالدور التربوي الذي يقومون به بغض النظر عن المردود المادي الضعيف الذي يتقاضونه .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

القسام .. وهي على يقين من أن الشهيد كحيل كان موجودًا في المكان .. وهي للمرة الأولى لم توجه من قريب أو بعيد أصبع الاتهام للكيان الصهيوني ولا لعملائه كما هي عادتها .. وإن حماس هي المسئولة بشكل كامل عن الحادث وتعريض حياة المدنيين للخطر » !!

٣- يأتي هذا الحادث بعد أيام قلائل من تعهد عرفات في لقاء صحفي بسحق المتطرفين المعارضين لعملية السلام في غزة .

٤- رفض مسئولو الدفاع المدني في غزة ادعاءات العميد غازي الجبالي بوجود مصنع للأسلحة وصواريخ من صنع إسرائيلي وحقائب ملغومة ومواد كيماوية خطيرة . الأمر الذي حدا به لمنع مديرية الدفاع المدني من توزيع بيان صادر عنها يتضمن شهادتها حول حقيقة ما حدث ، وإصدار بيان مزور باسم مديرية الدفاع المدني .

٥- بات من المؤكد أن أجهزة الاستخبارات الصهيونية وأجهزة الأمن في سلطة الحكم الذاتي الهزيل على علم مسبق بالمكان الذي كان يختبئ فيه الشهيد كمال كحيل في حي « الشيخ رضوان » ، وأنها استطاعت الوصول إلى طرف خيط يقود إلى معرفة المكان ، حيث أكد المحامي صالح محاميد (من سكان الأراضي عام ١٩٤٨م) - محامي المعتقل الفلسطيني وسام فرحات الذي تم اعتقاله على خلفية حافلة بئر السبع - أن فرحات اعترف خلال تحقيقات العدو معه قبل حوالي أسبوعين بأنه التقى مع الشهيد كمال كحيل في المنزل الذي يختبئ فيه في حي « الشيخ رضوان » ، ومن ثم تم إبلاغ الأجهزة الأمنية في سلطة عرفات بهذه المعلومات ، والشروع في تنفيذ مخطط الاغتيال عبر اللجنة الأمنية الصهيونية العرفاتية المشتركة .

[عن « المجتمع »]

سابقاتها . خاصة وأنها موجهة ضد البطل كمال كحيل أحد قادة كتائب القسام في غزة . وهو المطلوب منذ مدة طويلة لأجهزة الأمن الصهيوني لمسئوليته عن عدد من العمليات البطولية ضد أفرادها . ويؤيد ذلك ما ورد في بعض الصحف الإسرائيلية من أن أجهزة الأمن الإسرائيلية قد صفت كحيل المطلوب رقم/١ في غزة .

على أنه يجب إدراك حقيقة أن هذه الأجهزة لا تستطيع وحدها تنفيذ العملية نظرًا لمحدودية حركتها في منطقة الحكم الذاتي . وصعوبة ملاحقة تحركات رجل خبير ومدرب مثل الشهيد كحيل . والسؤال المطروح هنا : هل حدث تعاون بين أجهزة الأمن الإسرائيلي وبين أجهزة سلطة الحكم الذاتي في تنفيذ عملية الاغتيال هذه ؟

إن جملة معلومات وشواهد تدل على قيام مثل هذا التعاون . وعلم السلطة المسبق بهذا العمل الإجرامي . نورد أهمها فيما يلي :

١- لقد كان الشهيد كمال كحيل مطلوبًا أيضًا لأجهزة الحكم الذاتي الأمنية بتكليف من أجهزة العدو . وبدعوى مشاركته في الدفاع عن جماهير المصلين في الأحداث التي أعقبت مذبحة مسجد فلسطين التي ارتكبتها هذه الأجهزة بحق أبناء الشعب العام الماضي . بل إن اسم الشهيد قد ورد على لسان العميد يوسف نصر في معرض التهديد والوعيد . وقد تم الإغارة على مخبأ الشهيد أكثر من مرة من قبل أجهزة عرفات الأمنية .

٢- رغم الغموض الذي يكتنف الحدث فقد كان السيناريو الذي قدمته الشرطة الفلسطينية للأحداث معدا . فالشرطة أعلنت بعد أقل من نصف ساعة من وقوع الحادث . « أن المكان مصنع للمتفجرات تديره عناصر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأرجنتين	Argentina
لاهاي	The Hague
بلجيكا	Belgium
الولايات المتحدة	The United States
الفلبين	Philippines
البرتغال	Portugual
فرنسا	France
البنجاب	Punjab
البندقية	Venice
الفاتيكان	Vatican

لاحظ أن أهل اللغة جروا على استخدام أداة التعريف مع بعض الأسماء المعرّبة دون غيرها فعليك اتباعها ، ونفس الشئ ينطبق على الأسماء فقد راجت ترجمات بعضها أو تحريفات لهـــــا مثل ريتشارد قلب الأسد (Richard the Lion-Heart) و Saladin (صلاح الدين) و Avicenna (أبو علي سينا) و Averroes (ابن رشد) إلخ .. (وإن كنت شخصيًا أفضّل تصحيح التحريفات الشائعة مع ذكر المحرّف بين قوسين بعد ذكر الاسم الصحيح) .

أما لو كانت الأسماء أو المصطلحات غير معروفة فينبغي ذكرها مع أصلها بين قوسين مثل : نظرية « النقابية » (Syndicalism) ، ويستحسن وضع خط تحت مصطلحات كهذه أو وضعها بين قوسين صغيرين (« ») وذلك لإبرازها وفصلها عما قبلها وبعدها من كلمات .

[يتبع]

- M..J. Moroney Facts from figures (London 1963) ;
- W. O. Aydelotte. ' Quantification in history,' American Historical Riview (April 1966) ;
- H. M. Blalock. Social Statistics (New York 1966) .

المرادفـــــات :

استخدم المرادف المستخدم في اللغة التي تكتب بها ، بدلا من اختراع مرادف جديد وعلى سبيل المثال عند الكتابة بالإنجليزية :

Damascus	دمشق	Fez	فاس
Egypt	مصر	Cairo	القاهرة
Tripoli	طرابلس	Mosul	الموصل
Delhi	دهلي	Aleppo	حلب
Oman	عمان	Yemen	اليمن
Morocco	المغرب	Iraq	العراق

وبالعكس لو كنت تكتب بالعربية ستستخدم المرادفات الشائعة باللغة العربية مثل :

الماسونية	Freemasonry
الوجودية	Existentialism
المجر	Hungary
النمسا	Austria
سويسرا	Switzerland
الهند	India
بولندا	Poland

- G. S. P. Freeman-Grenville, The Muslim and Christian Calendars (Oxford 1963) ;

- H. G. Cattenoz, Tables de concordance des Eres chretiennes et hegiriennes (Casablanca 1954) ;

- C. H. Philips, (ed.), Handbook of Oriental History (London) ;

- V. V. Tsybulsky, Clendars of Middle Eastern Countrise (Moscow 1979) ;

ولمعرفة أو تحويل التواريخ في العصر السلوقي (ما قبل الإسلام) أو التاريخ « المالي » التركي إلى التقويم الميلادي ، يرجع إلى :

- F. Wustenfeld-E. Mahler, Vergleichungstabellen zur muslimichen und iranischen zeitrechnung ... (Wiesbaden 1961).

أما لمعرفة سيرة علم من الأعلام على حدة فأفضل المعاجم الموجودة وأشملها هو (الأعلام) للزركلي .

وكان للعرب السبق في هذا المجال بتأليف كتب الطبقات والوفيات المعروفة . وهناك معاجم سير متوفرة بكثرة بمختلف اللغات . يُرجع لبعض المراجع العربية والأجنبية منها إلى :

- Geddes, Guide to reference books for Islamic studies (Denver 1985) pp. 203-29.

الإحصائيات :

لقد شاع هذه الأيام استخدام الإحصائيات في البحوث الأكاديمية لإثبات نقطة ما .. وهي مفيدة . إلا أنه ينبغي استخدامها بحذر فيسهل لشخص سيئ النية بسهولة التلاعب بالإحصائيات لإثبات فكرة لا أساس لها أو لتضخيمها أو التقليل من أهميتها ..

وهناك كتب كثيرة تشرح هذا الجانب ومنها :

وينبغي أن تذكر المرجع الذي تنقل منه اقتباسا ما بدلا من أخذه من مرجع ما وإعادته إلى مصدره الأصلي بدون ذكر المرجع الثانوي الذي اطلعت عليه فيه . هذه خيانة علمية وقد ينكشف الأمر بسهولة وخصوصًا عند ما تنقل أي خطأ وقع فيه مؤلف المرجع عند نقله الاقتباس الذي تريد سرقته .. والأسلوب الصحيح هو أن تذكر المصدر الأصلي ثم تتبع المرجع الثانوي بين قوسين هكذا : (نقلا عن ..) ويحق لك ، بطبيعة الحال ، أن تحاول التأكد من الاقتباس بنفسك وأن تستخدمه عند ذلك بدون ذكر المصدر الثانوي .

وما ينطبق على الهوامش والملاحق ، ينطبق كذلك على النص أو السرد العام للبحث . فلا ينبغي نقل شئ مكانه السرد العام إلى الهوامش أو الملاحق . ويلجأ بعض الباحثين إلى هذا لضمان انسيابية البحث وسلاسته أو للاختصار . إلا أنه ينبغي للسرد العام أن يكون متكاملاً في نفسه .

التـــــــواريـــــخ :

ينبغي ذكر التاريخين الهجري والميلادي معا فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية والاكتفاء بالتاريخ الميلادي لو كان الأمر يتعلق بما سواها .

وهناك كتب مفيدة لنقل التاريخ الميلادي إلى الهجري والعكس وعلى سبيل المثال :

= محمد صالح البنداق ، التقويم الهادي (بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

- T. W. Haig, Comparative tables of Muhammadan and Christian dates (London 1932) ;

منهجية البحث العلمي [٤] :

الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها
عند إعداد الرسائل والبحوث العلمية

[٢]

بقلم : سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

- مجاميع :

في حالة استخدام مجاميع الوثائق ينبغي أن تقلد في ذكر الهامش أسلوب الذين سبقوك إلى استخدامها ، والأسلوب المعتاد هو ذكر المجموعة بالكامل ، ثم رقم المجلد . ثم رقم الصفحة أو الصفحات التي تقتبس منها ، و ضع في نهاية هذه البيانات في المرة الأولى لذكر المجموعة وصفًا مختصرًا لها ، ولو كانت الوثيقة عبارة عن رسالة فينبغي ذكر كاتبها أولا ثم اسم المرسل إليه ثم تاريخ الكتابة لو كان معروفًا ، واذكر اسم المكان المرسل منه لو كانت له علاقة بالموضوع ، أما لو لم تكن هذه المعلومات متاحة فيجب أن تذكر ذلك أيضًا .

أما في حالة استخدام مجاميع لم تفهرس بعد فمن الصعب أن تشير إلى وثيقة ما بالتحديد . وينبغي ذكر هذه الحقيقة عند استخدام مصدر كهذا مع ذكر كل التفاصيل الممكنة في هذه الحالة .

وسيكون مفيدًا لك لو اطلعت على عمل باحث خبير مشابه لعملك لترى كيف يستخدم المراجع وكيف يشير إليها وما هي الرموز التي يستخدمها للكتب والمجاميع .

الجنوب عليهم .

= حدثني عربي مقيم أن مسجدًا بني في شمال البلاد في منطقة إيزابلا من قبل أحد المحسنات العربيات والآن ولظروف قاهرة فإن المسجد يحتاج إلى ١٥٠ دولار شهريًا راتب للإمام وتكاليف مدرسة تحفيظ القرآن .

= وأثناء وجودي ليلتين في الفندق كان تلفزيون الغرفة يأتي بـ ٢٦ قناة محليـــــة وعالمية من اليابان وهانگ كانگ والفلبين ثم ملايـيزيـــا وإندونيسيا ، وأثناء دوراني على القنوات أرقب حياة الناس في الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا في البلاد غير الإسلامية وحينما انتقل في الحال إلى تلفزيون ملاييزيا وإندونيسيا وبروناي أرى قراءة القرآن والأحاديث النبوية وحلقات تعليم الإسلام والاستعداد للاحتفال بعيد الفطر المبارك ، فتجسم أمام عيني الأثر الذي أحدثه الإسلام في شعوب جنوب شرقي آسيا رغم بعد الشقة واختلاف العادات والتباين بين بيئة الصحراء وبيئة الأمطار الموسمية .

إنه ليس بالأمر الهين أن يدخل مئات الملايين في الإسلام ومن دون جيوش واحتلال ، إن دعاة وتجارًا قادمون من الجزيرة العربية ومن الهند أتوا تلك البلاد وأدخلوا هذه الأعداد الكبيرة في دين الإسلام ، هذه معجزة كبرى وهداية من الله ودليل على عظمة هذا الدين الذي نحمد الله على أن هدانا إليه وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

[illegible]

فيها أقسام عن الشرق الأوسط وبدأنا بكل حذر وحذق نتصل بها ومعنا الأستاذ مصطفى كومورا - حفظه الله وعافاه - وألقينا المحاضرات عن الإسلام بصورة مباشرة وغير مباشرة . علماً بأن الدعوة إلى الدين ممنوعة في الجامعات اليابانية الحكومية .

= لا زلنا نبحث عن أرض مناسبة قرب مطار طوكيو الدولي (ناريتا) لإنشاء مسجد ومدرسة ومعهد للمهتدين الجدد وقد ذهبت والأخ الحاج تميم دار محيط والأخ سليم الرحمن وقضينا نهارا كاملاً مع سماسرة الأراضي نذرع سفوح الجبال بأرجلنا ونحن صيام ونخترق أراضي منبسطة ، وكنت منذ الزيارة الماضية وقع نظري على أرض منبسطة أسميناها : « بلدوزر لاند » لأنها عبارة عن جبل قلع بالكلية وأصبحت الأرض منبسطة و واسعة . وفي حينه أبدى الوسيط الاستعداد لبيع الأرض كلها وكانت همتنا أن نشتري جزءا منها . أما في هذه الزيارة فقد اشتدت عزيمتنا وتطلعنا أن نشتري الأرض كلها خصوصًا وأن سعرها مناسب إلا أن الوسيط تردد قائلاً : إننا نبيع جزءً من الأرض فقط وخشينا إن اشترينا جزءً وتصبح المنطقة قابلة للعمران يرتفع ثمن الأرض . ونحن نفاوضه الآن على الأرض كلها والتوفيق من الله .

= بفضل الله وبعد أن كان متفرغ واحد في المركز وهو الأخ عبد الرحمن صديقي وعلى كاهله مسئولية إيصال الدعوة لـ ١٢٢ مليون ياباني والعناية بالمسلين الموجودين انضمت مجموعة جديدة للعمل في خدمة الإسلام ومنهم الأخ خالد كيبا (ياباني) وهو من أبرز مسلمي اليابان والأخ إسماعيل (ياباني) والحاج تميم دار محيط (تركي) مقيم في اليابان والأخ محمود (ياباني) . كما قدمنا عرضا للأخ إبراهيم أوكوبو(ياباني) وعلى

هذه الرؤى تذكرني بما ورد في كتب السيرة النبوية الشريفة وسير الصحابة الكرام عما شاهده الناس من رؤى سواء عن إرهاصات النبوة المحمدية أو عن إسلام الصحابة بعد أن شاهدوها . وهذه الأمثلة الآن وفي عصرنا الحاضر من مختلف بلدان العالم تبشر باستمرارية انتشار الإسلام رغم ما يكتنف العالم الإسلامي من مشاكل ورغم مؤامرات أعداء الإسلام والله غالب على أمره .

= البروفيسور إيتاجاكي (ITAGAKI) أستاذ في اليابان ومختص بالشئون العربية والإسلامية وإلى وقت قريب كان أستاذًا بجامعة طوكيو وهو الآن بجامعة الاقتصاد اليابانية ويرأس جمعية العلماء المختصين بشئون الشرق الأوسط وكذلك يرأس جمعية الثقافة الإسلامية في اليابان . وبمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس جمعية علماء الشرق الأوسط سينظمون لقاء يومي ٦-٧ من الشهر الخامس مايو ١٩٩٥م . ولقد دعيت لحضور هذا اللقاء وأعطوني أربعين دقيقة للتحدث في موضوع حددته معه في هذه الزيارة وعنوانه : أحداث ومنعطفات مهمة في تاريخ العلاقات اليابانية الشرق أوسطية من الناحية الإسلامية ، وستكون هذه فرصة للقاء جميع العلماء والمختصين اليابانيين بالشئون العربية والإسلامية وإقامة علاقات ثقافية معهم وتزويدهم بمطبوعات المركز وتنظيم لقاءات مستقبلية معهم ومع طلبتهم . واذكر أنه خلال أزمة البترول في أوائل السبعينات وكنت حينها في اليابان جاءني المرحوم عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم للغة اليابانية فقال لي : « إن هذا هو يوم الله في اليابان وهذه فرصة تأتي كل مائة عام دعنا نستغلها » وجاء بدليل الجامعات اليابانية وبحثنا عن الجامعات التي

وأتي بأستاذه إلى مسجد المعهد العربي الإسلامي ليعرفه بالإسلام .

إن قصة هشام الياباني تذكرني بقصة شاب من سلفادور بأمريكا الوسطى جاء إلى كاليفورنيا ليدرس المذهب الكاثوليكي فرأى في المنام صديقين له يستقبلان القبلة ويصليان . وبعد أن فرغا من الصلاة سألهما فقالا له : إننا كنا نصلي صلاة المسلمين . وبعدها بدأ يلاحظ تحركات الطلبة العرب في كاليفورنيا وخالطهم في صلاتهم .

فأعلن إسلامه هو وزوجته ومعه أطفاله الثلاثة وجاء به المتدربون من الخطوط السعودية إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فدرس سنة و واصل دراسته في الجامعة الإسلامية العالمية في كوالا لامفور وهو الآن داعية في بلده سلفادور .

كما أن قصة هشام تذكر بقصة فتاة جاءت إلى جدة من نيوزيلندا مع مجموعة من الرجال والنساء المسلمات في دورة تعليمية لشهر قبل ثلاث سنوات وكنت عملت حوارًا مع كل رجل وامرأة . والفتاة مقيمة في نيوزيلندا مع خالتها . وأصلها من جزر ساموا التي تبعد عن نيوزيلندا أربع ساعات بالطائرة وسط المحيط الهادي شرقًا . وسكان هذه الجزر أشبه بالإندونيسيين .

قالت الفتاة : شاهدت في المنام أني أصلي بصحراء ومتجهة إلى الغرب وعاودتني هذه الرؤيا ثلاث مرات وحدثت خالتي وهي مسلمة ومتزوجة من مسلم من جزيرة فيجي فشجعتني على الإسلام . وفي هذا الأثناء اتصلت بي والدتي من ساموا بالتلفون وقد شاهدت في الليالي نفسها الرؤيا عينها وخشيت أمي عليّ من شر ولكني طمأنتها وأعلمتها أني أعلنت إسلامي - والحمد لله - .

مدينة طوكيو ، وعلمت فيما بعد أن العيد كان يوم ٢/٣ حيث إنهمْ يتبعون ملايزيا وهي أقرب بلد إسلامي .

علماً بأن صلاة العيد تقام أيضًا في المعهد العربي الإسلامي التابع لجامعة الإمام ويقيم الاخوة الإندونيسيون والملايزيون الصلوات في أماكنهم الخاصة .

= دخل المركز الإسلامي شاب ياباني أشبه بالعرب منه باليابانيين ومعه شاب ياباني آخر كأنه من « العينو » (AINU) سكان اليابان الأصليين ذوي البشرة البيضاء والشعر المعقوف والذين لا يزالون يسكنون جزيرة هوكايدو (HOKKAIDO) رابع جزيرة في اليابان بأقصى الشمال . وفعلا كان كلاهما من هوكايدو ، الأول يحمل إسما إسلاميًا « هشام » والثاني زميله بالدراسة ويريد أن يدخل الإسلام ، وبعد حديث معه أعلن الثاني إسلامه وسمي « أمين » وعملت ثلاث نسخ من شهادات إسلامه واحدة يحتفظ بها المركز الإسلامي والأخرى يحتفظ بها هو ، والثالثة ترسل إلى الجمعية الإسلامية في هوكايدو ليكون على صلة بها ويتعلم الإسلام منها حيث يقيم هناك في موطنه ، أما هشام فمقيم في طوكيو ، سألت هشام كيف أسلمت قال : في ديسمبر ١٩٩٤م رأيت في المنام نور يسطع في السماء ومناد يقول : إذهب إلى مكة ، وفي الصباح فتشت في دليل التلفونات عن هيئة إسلامية فاتصلت بالمركز الإسلامي وأعلنت إسلامي هناك ، وإن والدي طبيب في هوكايدو فاتصلت به فإذا به قد شاهد نفس الرؤيا .

وأرسل المركز الأوراق اللازمة للجمعية الإسلامية في هوكايدو وأعلن والدي إسلامه ، إننا نريد أن نذهب إلى مكة للحج ، هذه قصة هشام الذي بدأ يجتهد في الدعوة إلى الله فجلب زميلاً آخر له في طوكيو للإسلام

مع سليم ليؤم الناس في مسجد التبليغ بمنطقـــــــة إيجي ني واري (ICHI NI WARI) وكانت المسافة ساعتين وكان ختم القرآن الكريم . والمصلون يتراوح عددهم ما بين ٣٠٠-٤٠٠ شخص والمسجد مكون من ثلاثة طوابق . والموسم في اليابان شتاء والجو قارس البرودة . علما بأن إمام المسجد الراتب هو الأخ إبراهيم أوكوبو (OKUBO) وهو ياباني .

أما أهل التبليغ من البنغلاديشيين فلهم مصلى صغير مؤجر يتناوبون في الصلاة فيه على دفعات . وهم يفتشون عن عمارة يشترونها . ذهبت معهم والأخ سليم إلى مكتب عقاري للتفاوض على عمارة يشترونها بـ ٨٥٠ ألف دولار على أن يدفعوا عشرة بالمائة ويستعملون العمارة ثم يجمعون من مسلي اليابان المبلغ . وحدث إشكال حول هذه النقطة والتفاوض جار .

و أخبرني هؤلآء البنغاليون أن معهم ٢٥ مسلم ياباني رأيت اثنين منهم . هذا ونسيت أن أقول إن في يوكوهاما مصلى مؤجر يصلى به التراويح أحد إخوة الأخ سليم .

= صلاة العيد في اليابان مشكلة . أعداد المسلين كبيرة . وقد تم سابقًا تأجير القاعات بأفخم الفنادق (IMPERIAL HOTEL) بدعم من سفارة المملكة ورابطة العالم الإسلامي إلا أن سلوك المسلين في الطهارة والوضوء أعطى مسئولي الفندق درسا لم يكرروه . وكذلك أجّرت القاعات الرياضية الكبرى . وحدث نفس الشئ . المنتزهات المكشوفة مشكلتها البرد والمطر . وحتى معرض طوكيو الدولي رفض تقديم الأماكن للمسلين المصلين . أما هذا العام فقد أعلن إن كان العيد يوم ٢/٢ . فالصلاة في قاعة مؤجّرة في مدينة يوكوهاما وإن كان يوم ٢/٢ . فالصلاة في منتزة يويوجي بقلب

رمضان المبارك وأثناء الحديث أعلمته أني سأزور اليابان في الشهر الخامس فحدد موعدا للعشاء يوم ١٩٩٥/٥/٨م ومعي الأخ خالد كيبا وقتيبة وأعرب عن رغبته في زيارة المركز الإسلامي في حينه .

= الأستاذ فوزي شبكشي سفيـــــــر المملكة بطوكيو وعميد السلك الدبلوماسي الأجنبي كله وقدوة السفراء المسلمين صلاة وصياما وسلوكا ، زرته وتحدثنا في شئون المسلمين في اليابان وموضوع مسجد طوكيو وغير ذلك .

= المسلمون في اليابان في تزايد والحمد لله من أهل البلد ومن الخارج ، وأكثرهم من باكستان وبنغلاديش والقليل من الهند وبورما وسريلانكا وطبعا فيهم العرب والأتراك القادمون للدراسة والعمل ، الاندونيسيون لهم تجمعاتهم الخاصة ومصلياتهم وهم يعتزمون بناء مسجد لهم ، وكذلك الأخوة الملايزيون ، ومسلمو هذين البلدين شبه منغلقين على أنفسهم ، أما الباكستانيون والبنغلاديشيون فهم أكثر عددا وأنشطهم هم الذين من جماعة التبليغ ، حيث اشتروا العمارات وأجّروا الشقق لاتخاذها مساجد ومصليات ، وتقام صلاة التراويح في كثير من الأماكن ، الأخ سليم الرحمن الذي ذكرته سابقًا حافظ للقرآن وله عشرة أخوة كلهم حفاظ ، أربعة منهم يعملون في اليابان ، وهو واخوته يتوزعون على المساجد والمصليات ويؤمون الناس في التراويح رغم بُعد المسافة (ساعتان بالقطار عن محل عملهم اليومي الشاق) .

ذهبت إلى مدينة يوكوهاما مع الأخ سليم وأخيه أنيس الذي يعمل في سفارة المملكة للإفطار عند أخ باكستاني والمسافة ثلاثة أرباع الساعة وبعد الإفطار رجع أنيس ليؤم الناس في المركز الإسلامي بطوكيو وذهبت

بجامعة طوكيو (UNIVERSITY OF TOKYO) (أكبر جامعة باليابان وفي طوكيو وحدها حوالي ٢٠٠ جامعة) وموضوع دراستها للماجستير عن تفسير ابن كثير ، وطلبت مني إن أمكن تفسيرا لابن تيمية و وعدتها بالبحث عن ذلك ، أما الأخرى فتدرس بنفس الجامعة وموضوع بحث تخرجها للبكالوريوس عن الأقلية الإسلامية في الولايات المتحدة وطلبت معلومات فوعدتها بالمساعدة ، أما الباقي فيدرسن التربية و وعدتهن بإرسال معلومات عن التربية في الإسلام ، والدكتورة كاتاكورا تتوقع دعما لمركز الدراسات الإسلامية في جامعة شوأو ، علماً أن الأستاذ سانادا (SANADA) عميد كلية الحقوق في هذه الجامعة ورئيس المعهد الياباني للقانون المقارن فيها قد ألف قبل سنة تقريبا كتابا شعاره ، تفوق الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية ، ولزوم الدين الإسلامي للشعب الياباني ، ومسئولية مسلمي العالم في تقديم الإسلام لليابان والعالم .

= الأستاذ أوتا (OTA) سفير اليابان في المملكة إلى ما قبل شهرين توطدت صداقتي معه وهو ذو ثقافة عالية واطلاع واسع واهتمام كبير في العرب والمسلمين ، يشغل الآن نائب رئيس المؤسسة اليابانيـــــــــــة (JAPAN FOUNDATION) وهي الجهة المسئولة عن التعـــــاون الثقافي والتقني مع جميع بلدان العالم ، زرته بصحبة الأخ خالد كيبا مستشار المركز ورئيسه السابق والمتفرغ حاليًا فيه ومعي ابني قتيبة - الذي يجيد اليابانية الآن بطلاقة - وكان حديثنا عن الإسلام والمركز الإسلامي ونشاطاته في اليابان ، وبحوثي التي قمت بها عن تاريخ العلاقات اليابانية الإسلامية وكنا اعتذرنا له عن الدعوة إلى الغداء بسبب صيام شهر

في هذا اللقاء عشاء خفيف يتحمل المركز نفقاته ثم يبعث المركز من طوكيو محاضرين باللغة اليابانية ومواد إعلامية مناسبة إلى أن يتبلور العمل ويبدأ بالتصرف على حسب تطور النشاط . و وعدناهم بإرسال الكتب اللازمة وتم ذلك .

= زرت لوحدي تجمّع الطلبة المسلين في منطقة سايتاما (SAITAMA) التي تبعد ساعة ونصف عن طوكيو أيضًا بالقطار حيث يقيمون إفطارًا مشتركًا كل مساء سبت ، زرتهم يوم السبت ١٩٩٥/٢/٢٥م وهم طلبة دراسات عليا من مصر ومعهم فلسطيني وأستاذ بعلوم الصيدلة من البحر الكاريبي وبعض العاملين من بنغلاديش وفلسطين ، وجرى الحديث عن النشاط الإسلامي في اليابان والتعاون في تعريف اليابانيين بالدين الإسلامي .

= الأستاذة الدكتورة موتوكو كاتاكورا كان زوجها مستشارًا في سفارة اليابان بجدة وأخذت دكتوراه عن وادي فاطمة والحياة الاجتماعية فيه قبل عشرين سنة تقريبًا وزوجها الآن سفير اليابان بالقاهرة ، وهي أستاذة بل شيخة تدرس بعدة جامعات مهمة وأنشأت مركزًا للدراسات العربية والإسلامية في جامعة شوأو (CHUO) التي أقمنا معها مؤتمر الفقه الإسلامي عام ١٩٧٧م ، زرتها في دارها حيث تسكن مع ابنها وبصحبتي الأستاذ سليم الرحمن الندوي مدير شئون الدعوة في المركز وأستاذ اللغة العربية في جامعة شوأو ومعي كذلك إبني قتيبة الذي يدرس اللغة اليابانية الآن بطوكيو تمهيدا للدراسات العليا فيها ، وحضر هذا اللقاء مجموعة من طالباتها ، واحدة منهن تدرس في قسم الثقافة الإسلامية

دراسات وأبحاث : حول الدعوة الإسلامية في اليابان :

تقرير عن زيارة اليابان

في الفترة من ١٣-٢٨/٢/١٩٩٥م

بقلم : سعادة الدكتور صالح مهدي السامرائي

غادرت جدة يوم ١٢/٢/١٩٩٥م ومكثت في اليابان إلـــى يوم ٢٨/٢/١٩٩٥م ومررت بالفلبين حيث مكثت يومين وعدت إلى جدة يوم ٢/٣/١٩٩٥م (شهر فبراير ٢٨ يومًا) .

وخلال هذه الزيارة قمت ببعض النشاطات واللقاءات أوجزها بما يلي :

= اتصل بالأخ عبد الرحمن صديقي مدير الشئون الإدارية بالمركز الإسلامي في اليابان أحد الطلاب العرب (واسمه أشرف وهو مصري) يعمل كباحث زائر في جامعة ياماناشي (YAMANASHI UNIVERSITY) وتقع في محافظة ياماناشي وفي مركزها مدينة كوفو (KOFU) وتبعد عن طوكيو ساعة ونصف بالقطار شبه السريع . اتصل به طالبا معلومات عن كيفية تشكيل جمعية إسلامية وبدء نشاط إسلامي في المنطقة فاتفق الأخ عبد الرحمن معه أن نزورهم عصر يوم الأحد ١٩/٢/١٩٩٥م ويصادف أيضًا ١٩/رمضان المبارك (أي أنهم متأخرون في الصيام يوما عن المملكة وعيّدوا كذلك بعد يوم) ونفطر عندهم . ذهبت والأخ عبد الرحمن على الموعد واجتمعنا بهم مصري وتونسي وإيراني وملاييزي . و وضعنا خطة للنشاط . منها إقامة لقاء شهري في إحدى قاعات المدينة يدعى له المسلمون وغير المسلمين وليكن اجتماع لا يحمل أولا اسمًا إسلاميًا ويقدم

مع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب مشترك كلف به الإسلام جنس الرجال والنساء معا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأهداف الدعوية والسياسية في آن واحد وذلك أن المجتمع الذي يبتغي الإسلام بناءه لا يتصور وجوده إلا إذا قام الجنسان جنبا لجنب بتحقيق المعروف والقضاء على المنكر . وقد أوجب القرآن الكريم التعاون بينهما في تحقيق هذا الهدف الشريف فقد جاء في سورة التوبة قوله – عز و جل – : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله و رسولـــــه • أولئك سيرحمهم الله • إن الله عزيز حكيم ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٧١] .

إن تاريخ العهد الأول من الإسلام مليئ بأمثلة كثيرة تكاتفت فيها المرأة مع الرجل في أحوال وشئون مختلفة . تكاتفت في اعتناق الإسلام وتجشّم المشاق والركوب على الأهوال والمكاره في سبيله وفي طريق الهجرة والجهاد وكثير من المراحل لتعضيد الإسلام وإقامة الدولة الإسلامية . وهذا هو الدور المرتقب أداؤه من مسلمات اليوم . وذلك يحتم أن تلقن المرأة المسلمة أهمية عمل الدعوة وتبعث في نفسها دوافع الإيثار والتضحية في سبيلها . وأن تُذكّر بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المطاليب الأساسية لطاعة الله وامتثال أمره . ولا يتأتى ذلك .

إلا بالتعاون والتضامن والتعاضد من الجنسين . وإن القلق والتحسر على تقلص المعروف وتشعب المنكر يجب أن يكون فيهما على السواء . كما يجب أن تعطى المرأة المسلمة فرص المشاركة العملية فعلا في جميع الأعمال التي لا محيص عنها في القيام بهذا الواجب المهم .

٧٧٧

محافظة على السيرة الإسلامية مصوغة حياتها في قالب الإسلام .

٢- تتحلى المرأة بالعلم وتلم بالقضايا الحيوية وتتصف بالبصيرة الدينية . فلا يكون يسيرًا ابتلاؤها بالتهلهل الفكري وبالتالي انصرافها عن الدين .

٣- تظفر بجميع الحقوق التي منحها الإسلام سواء كانت مما يتعلق بالحياة العائلية أو السياسية والاجتماعية أو بالأمور الاقتصادية ، ولا يداخلها الشعور بالنقص وأنها لا تنال حقوقها الشرعية حتى في المجتمع الإسلامي إلا بالجهد والكبد بل تجده راعيا لحقوقها ، وتعرف حقيقة المساواة في ظل الإسلام مكان التصور الخلاب للمساواة التي فرضتها النظريات الحديثة .

٤- وتكون على وعي تام لما يعود عليها من الواجبات والمسئوليات فلا تستخف بالأعمال المنزلية والواجبات الأسرية وإنما تعرف أهمية الأسرة في بناء المجتمع الصالح وتتعاون مع زوجها لتكون الأسرة معقلا مشيدا للإسلام وتسعى في صوغ النشء الحديث وجيل المستقبل في قالب إسلامي للسيرة المثالية والسلوك النموذجي .

٥- ويكون ارتباطها بالقضايا الدينية والوطنية ارتباطا وثيقا يهمها ما يسدى الخير ويوفر السعادة للأمة والبلاد وتتخذ لذلك تدابير مناسبة ، وتلعب دورًا فعالاً في الحياة الاجتماعية كما تشارك في المشاورات والادلاء بالرأي وما يتعلق بالنقد والحسبة . فكلما وجدت نقصًا أو خللا سعت في إصلاحه ورتق فتقه .

جوانب تلفت نظر الحركات الإسلامية :

واقع مرير أن المرأة المسلمة لها مساهمة مطلوبة في الحركات الإسلامية

بالإسلام تتضاءل كل يوم ولا تجد في المجتمع الإسلامي بريقًا يجذبها إليه ويشجعها على التعلق به بعلاقة وثيقة .

الحركات الإسلامية ومجهوداتها الإصلاحية :

ولا يسعنا أن ننكر ما بذلته الحركات الإسلامية من جهود جسيمة بمختلف المجالات والمناحي من أجل تغيير هذا الوضع المؤلم فإنها تستحق كل إعجاب وتقدير ، ومن آثارها التي ترتبت عليها ما تتمتع به المرأة المسلمة من الحقوق التي منحها الإسلام وكذلك بدأ يظهر الوعي الإسلامي الصحيح في طائفة من المسلمات بفضل التوعية الإسلامية من هذه الحركات ، وكثير من المسلمات تنطبع حياتهن بطابع إسلامي وتتشبع نفوسهن بروح الإسلام والعواطف الإسلامية كذلك ، لا يسعنا أن ننكر أن آثارها محدودة جدًا وإن تضخمت الجهود واتسعت الوسائل إلا أننا لا نجد في المجتمع تغيرا ملموسًا أو تحولا جذريًا وهذا هو السبب فيما اضطرت المرأة المسلمة أن تعيش على كره في بيئة مضادة للتعليمات الإسلامية النيرة ومنافية مع طبيعة الإسلام وروحه .

بعد استيلاء الإسلام :

ونجزم يقينا أن هذا الصراع الواقع بين الإسلام وغيره من النظريات والحضارات والديانات كلما ينتهي تدخل المرأة المسلمة مجال عملها بحياة جديدة وطاقات حديثة ويكون من أبرز ملامحها :

١- أن النظريات والأفكار غير الإسلامية تفقد بريقها وخلابتها ويتلاشى أثر الدعايات المزورة والنعرات الجوفاء ، وتعيش المرأة المسلمة وقافة عند حدود الله والآداب الإسلامية ، رافعة لواء الفكر الإسلامي

ببصيرة في أي شعبة من شعب الحياة حتى تستطيع بها التمييز بين الصحيح والسقيم والحق والباطل من وجهة نظر دينية أو دنيوية . وتعيش غافلة عن القضايا المحلية والدولية . فلا تعلم ما يشهده العالم من تغيرات وتطورات وما هي أسبابها ودوافعها . فأصبحت منقطعة عن كل ما يجري في العالم من خير أو شر . ومما لا ينكر أن هذا الوضع قد تغير قليلاً في بعض المناطق والأقطار وقطعت نساؤنا شوطًا بعيدا من التقدم الملموس في مجال العلم إلا أن طول التخلف في هذا المجال يقتضى زمنا مديدا لتدارك الفوات وجبر النقصان .

ولننظر بعد التعليم في الجوانب الأخرى كذلك . فنرى المسلمين يفرضون مبالغ كبيرة في المهور عند الزواج ولا يهمهم أداؤها بعد الزواج . وكذلك تُستقصى لهنّ وتُكرر الواجبات والمسئوليات (وكثير منها لا تكلف بها المرأة شرعًا) التي تعود عليها ولا تذكّر أبدا مستحقاتها الشرعية . ويذهب أكبر جزء من حياتها سدى في المشاجرات والمنازعات العقيمة في منزل الزوج إلى جانب الإساءة إليها بأساليب شتى وإهدار صلاحياتها وقواها لتفاقم الجو وضغطة الظروف . وتحرم حقها من الارث في الضياع المنقولة وغيرها . كما لا يستحسن زواجها إذا طلقت أو ترملت . ربما تقضى عمرها أيّما لا يخطبها إنسان . فكان من الطبيعي أن يتطرق إلى قلبها نوع من اليأس والقنوط وتعتقد أنها تعامل معاملة الاعراض والتجاهل . ويستغل ضعفها واستكانتها . وهذا الشعور يبعدها عن الإسلام فعلا بصورة استدراجية . وهي وإن كانت لا تحدث فيها الثورة على الإسلام فكريًا ونظريًا بشكل عام إلا أن علاقتها

تمسك بأيديهم وتنقذهم من البوار فيظلم عليها الدنيا بما تنورت ، وضاقت بما رحبت ، وليس من العسير أن نتصور مدى قلقها ومبلغ همها .

هذه بعض المشاكل والقضايا التي لا يستغرب أن تحدث في مثل هذه الظروف بل يستغرب على عكسه ولا ينبغي للمرأة أن تندهش أمامها ، فإن المرأة المسلمة تستطيع أن تتغلب عليها إذا استمسكت بعروة الله الوثقى واستمدت بقوة إيمانها وعلاقتها بالله والاستعانة به وتحرت الحكمة والتدبير في عملها ولينصرنها الله تعالى نصرا مؤزرا ولتذهبن العوائق وينقشع الظلام ويسفر الصبح بالسعادة والنجاح إن أكدت على نفسها بالعزم والحزم واليقين . إنها تثبت على الحق وتصبر على المكاره وتتجشم المصاعب وتلاقي المشاكل بوجه طليق في مجال الإصلاح وتغيير الأوضاع وتغليب الإسلام .

مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي :

ما زالت حالة المرأة في المجتمع المسلم (و خصوصًا في قارة آسيا الصغرى) أردأ وأسوأ ما يكون ، كانت ولا تزال تعيش الحرمان من حقوقها التي منحها الإسلام ، لأنه يعتبر البنات عبئًا ثقيلاً كما كان ذلك في الجاهلية ، ولا يعلو أي فرح وسرور على شفاه الناس عند ولادتها ، وإنما يغشى وجوههم الكآبة والحزن ، ولا يهتم نحوهن بالتعليم والتربية كما يهتم بتربية الأبناء وتثقيفهم ، فلا يحصل للمرأة المسلمة ما يسمى بالمعنى الصحيح العلوم القديمة أو الحديثة ولا تعدو معلوماتها ما شاهدته وعاشته من بعض عادات الأسرة وتقاليدها ورسومها المحدودة من دون إلمام بتعاليم الكتاب والسنة و بالثقافة الحديثة كما لا تتصف

تصورات العصر ، وفكرها يختلف عن الفكر المعاصر ، وذوقها وهوايتها يتجافى عن وسائل المتعة والتسلية المعاصرة ، إلى جانب التزامها بأداء الواجبات الشرعية من الصلاة والصيام وحفاظها على العبادات الأخرى ، واستمساكها بالقيم الخلقية ومجانبتها لما يسمى بالفنون الجميلة و الثقافة الماجنة المتحررة واعتبارها الاستحياء والتعفف زينة لجنسها ، والاحتفاظ بملابسها الشرعية الخاصة ، كل ذلك يجعلها إنسانًا غريبًا في الظروف المعاصرة ، إنها تشعر بالخناق وضيق النفس ولا تكاد تتنفس - وإن أحبت - في جوّ نزيه من الدين ومكارم الأخلاق ، ويبدأ هذا الصراع أحيانًا من منزلها و يشكل صراعًا عنيفا إذا ما كان أولياؤها من الأبوين أو الزوج وأعضاء الأسرة ممن يحملون عقلية مضادة وطبيعة غير إسلامية ، وهي تواجه معوقات كثيرة لعدم ملاءمة الجو الذي تعيشه .

وكذلك من أعظم المشاكل التي تلاقيها المرأة المسلة في الأوضاع الراهنة مشكلة التربية والتعليم لأولادها . فقد عاد العلم اليوم إمدادًا لبعض المعلومات الفكرية والطبعية فحسب ، ولا شك أن مؤسساتنا التعليمية تسدى إلى الطالب بعلوم الطبيعة والاجتماع والأدب ولكنها لا تهتم بتوجيهها وجهة صحيحة فيحرم الطالب التربية الفكرية والعقلية وتؤدى الأعباء الثقيلة من هذه العلوم إلى الانحراف والإلحاد أحيانًا ، ولا يزيده العالم الخارجي إلا فسادًا في الأخلاق والعادات وربما لا يساعد الجو السائد في البيت في عملية الإصلاح والتربية وفي مثل هذه الظروف عند ما ترى المرأة المسلمة الـ تحظى بالفكر السديد والعقل السليم أن الجيل الناشئ ومن بينهم أفلاذ كبدها ، تجترفه الأفكار المادية ولا تستطيع أن

الغربية عن طريق فلسفتها .

قد اتبع الغرب بالنسبة للمساواة بين الرجل والمرأة نظرة خاصة وهي نظرة غير طبيعية ، ومن أجل ذلك باءت بالفشل في الغرب نفسه ، ولم تجد سبيلاً إلى تطبيقها في داخل بلاده ، ومن أكبر أسباب الفشل اختلاف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل واختلاف صلاحيتهما العملية ، ولكن يتم عرضها على الناس بصفة مستمرة وبصورة خلابة كأنها واقع ثابت يرتفع عن كل نظرة أو نقد ، حتى لا نسمع من يرفع عقيرته ضدها إلا من لا يؤبه به .

وتركز الجهود في إقناع المرأة المسلمة بناءً على هذه النظرة من المساواة بأن الإسلام لا يرضى بمنحها الحقوق المساوية للرجل في أي قطاع من قطاعات الحياة المختلفة وأنها في الإسلام لا تتمتع بالحقوق التي ينبغي أن ينالها إنسان في أي مجتمع متحضر ، وأنها تعد أقل درجة من الرجل ، فشهادتها نصف شهادة الرجل وكذلك نصيبها من الدية والارث ، ولا تشاطر الرجل في الوظائف الحكومية والمعاملات التجارية ، ولا تملك أي نفوذ في ميدان الصناعة والحرف ، ولا يمكنها أن تحتل منصة الحكم ، و أقوى وسائل الإعلام الحديثة تفرغ كل طاقاتها في نشر حوادث الاضطهاد للمرأة المسلمة ، وهضم حقوقها بشكل مثير وزهيب ، وليس عجيبا أن تتأثر به المرأة عقلا وعاطفة في حين لا يتضح موقف الإسلام نحوها بمثل تلك القوة والتركيز ، وكل ذلك في محيط يعارض الإسلام ويعاديه .

كذلك منيت المرأة المسلمة بصراع عملي ، إن تصوراتها تتصادم مع

وتجوس خلال الديار لتضرب على هدوئها وطمأنينتها التي تتمتع بها في ظل الإسلام الوارف وتثير حولها القلق والاضطراب . إن نظام الأسرة في الإسلام من أهم الجوانب التي اتخذها الغرب منفذًا لشنّ الغارة الشعواء حوله . إنه يتذرع بالعناوين الرائعة واللافتات البراقة إلى النيل من كرامة الإسلام . والتسريب في الأذهان أن الأسرة المسلمة ما هي إلا نوعا من السجن . وأنها تعتمد على سلطة الرجل . وأن المرأة فيها بمثابة المحكوم أمام الحاكم . وأن واجباتها غير محدودة وحقوقها غير مضمونة . تخضع لأوليائها منذ نعومة أظفارها إلى عنفوان شبابها . وبعد الزواج تبقى أمة مسكينة بيد الرجل . يخرجها من بيته متى شاء بطلقة واحدة يطلقها إذا استشاط عليها غضبًا . ليس لها نظام اقتصادى ولا حرية للإرادة والعمل . فهي صورة كاملة للبؤس والشقاء ومثال تام للتعاسة والحرمان في منزل الزوج .

ولم يكن وراء هذه الهجمات المتتابعة والغزو الفكري الشرس إلا تنفير المرأة المسلمة عن نظام الإسلام بوصفه جائرا غاشمًا لحقوقها . ولتبعث في نفسها ثورة ضده وتغريها على كل من يرعاها ويتولى أمرها ويضبط شئونها .

ولا شك فان الأسرة تفقد تماسكها وينهار بنيانها إذا اندفعت المرأة ضدها وثارت عليها . ولا يمكن إنقاذها من البوار والاندثار . إن الأسرة معهد مبدئي للمجتمع . ولا يزال الإسلام فيها حيًا ملوسًا . لو تم القضاء على هذا المعهد الأساسي لانطمس نور الإسلام وامحت معالمه من جميع أقسام الحياة الاجتماعية بكل سهولة . وهذا ما يهدف إليه الحضارة

مشكلات المرأة المسلمة في العصر الحديث

بقلم : فضيلة الشيخ السيد جلال الدين العمري

تعريب : الأستاذ محمد إبراهيم الندوي

من أكبر المشكلات التي أثارها الغرب اليوم مشكلة فلسفة الحياة بالنسبة للمرأة المسلمة . فقد بلغ غزو هذه الفلسفة وضغطها من العُنف والشراسة ما لا تكاد المرأة المسلمة تستطيع أن تقاومها إلا بنوع كبير من الجراءة والثبات ورباطة الجأش . فإنها تشعر في كل خطوة من خطواتها أن هذه الفلسفة بكل ما فيها ليست عائقًا في طريقها فحسب بل إنها تريد أن تحول مسارها إلى جهة مضادة . إنها تتجرد عن جميع التصورات التي تتعلق بالإيمان واليقين والعبادة والطاعة والتصديق بالرسالة والإيمان باليوم الآخر والوقوف بين يدى الله والحساب والجزاء ، وتتقدم إلى الأمام على أساس الرفض أو النفي لكل المبادئ الدينية ، وتريد بناء الحياة على أصل التحرر عن جميع الالتزامات والتقيدات الأساسية . وإن ذلك لصراع فكري رهيب تعاني منه المرأة المسلمة أينما كانت (ويشترك فيه الرجل مع المرأة إلا أننا اكتفينا بذكرها لأن البحث يدور حول مشاكلها) .

إن المرأة المسلمة في ضوء التعاليم الإسلامية تركز كل اهتمامها على الأمور المنزلية وشئون الأسرة . وتعتبر ذلك مجال عملها الحقيقي . والحضارة الغربية تبذل قصارى جهودها لتخرجها عن مركزها الأصيل

عليه ، فأقام يشكو ما به سنة ، فلما أفاق وتكلم ، وأكل وشرب سأل عن القصار ، فقيل إنه محبوس ، فأمر بإحضاره فحضر ، فقال : لقد بقيت لك خصلة أخرى فاحكم بها ، فإني قاتلك لا محالة ، إقامة للسنة ، قال القصار : فإذا كان لابد من قتلي ، فإني أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى بالخصلة الثانية الباقية لي .

فلما سمع النعمان ذلك ، خرّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت والله نفسي إذن ، ثم قال للقصار : ويلك دع عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره ، وأنفذه لك ، كائنًا ما كان .

قال : ما أرى حقي إلا ضربة أخرى لعنق الملك ، عند ذلك ، قال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : هذا حقه لأنك سننت سنة لابد من امتثالها ، قال النعمان : ويلكم ، إن ضرب الجانب الآخر من عنقي ما شربت الماء البارد أبدًا ، لأني أعلم بما قد نالني ، قالوا : فما عندنا حيلة .»

فلما رأى النعمان ما قد أشرف عليه ، قال للقصار : أخبرني ، أ لم أكن قد سمعتك يوم أتى بك الموكلون بالقبرين تقول : إنك قد سجدت ، وأنهم كذبوا عليك ؟ قال : قد كنت قلت ذلك فلم أصدق ، قال : فكنت سجدت ؟ قال : نعم .

فوثب من مجلسه وقبل رأسه ، وقال : اشهد أنك صادق ، وأنهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم وجعلت إليك أمرهم ، فضحك المهدي حتى فحص الأرض برجليه ، وقال : أحسنت يا شرقي و وصله [٢/٢٥٢] .

يجاب إليهما ، كائنًا من كان .

وفي يوم من الأيام مرّ قصّار معه كاره – وهو ما يحمل على الظهر من الثياب – وفيها مدقته ، فقال الموكلون بالقبرين للقصّار : اسجد ، فأبى أن يفعل ، فقالوا له : إنك مقتول إن لم تفعل ، فأبى .

فرفعوا أمره إلى النعمان ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : سجدت ، ولكن كذبوا عليّ ، قال : الباطل ، قلت : فاحتكَم في خصلتين ، فأنت مجاب إليهما ، وإني قاتلك لا محالة ، قال : لابد من قتلى بقول هؤلآء ؟ قال : لابد من ذلك .

قال : فإني احتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتى هذه ، قال له الملك : يا جاهل ، لو حكمت على أن أجرى على من تخلف وراءك ما يعينهم على الحياة ، ويغنيهم عن السؤال كان أصلح لهم ، قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ، فقال لوزرائه : ما ترون فيما حكم به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والشنار ، وعظم الإثم ، وأيضًا إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك لن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن .

قال : فارغبوا إلى القصّار أن يحكم بما شاء ، ويعفيني من هذه ، فإني أجيبه إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شطر ملكى ، فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا بضربة في عنق الملك .

فلما رأي الملك ذلك ، وما عزم عليه القصار ، قعد مقعدًا عامًا ، وأحضر القصار ، وجاءوا بمدقته ، فضرب بها عنق النعمان ، فأوهنه وخرّ مغشيًا

نعم ، أصلح الله الأمير : ذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ، ملك هو النعمان ابن المنذر ، وكان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة ، وكانا لا يفارقانه في لهوه ومنامه ويقظته ، وكان لا يقطع أمرًا دونهما ، ولا يصدر إلا عن رأيهما ، وسار على ذلك دهرًا طويلاً .. فبينما هو ذات ليلة في شربه ولهوه إذ غلب عليه الشراب ، فأزال عقله فدعا بسيفه وانتضاه ، وشدّ عليهما فقتلهما ، وغلبته عيناه فنام .

فلما أصبح سأل عنهما ، فأخبر بما كان منه ، فأكب على الأرض ، عاضًا لهما ، تأسفًا عليهما ، وجزعًا لفراقهما ، وامتنع من الطعام والشراب ، ثم حلف ألا يشرب شرابًا يزعج قلبه ما عاش ، و واراهما وبنى على قبريهما بنائين ، وسماهما الغَرِيَّين - وقيل في سبب التسمية أن النعمان كان يغريهما بدم من يقتلهما ، حيث جعل لنفسه يومين : يوم بؤس و يوم مسرة ، فمن دخل عليه في يوم البؤس قتلـــــه ، ومن جاء إليه في يوم المسرة وصله - .

وكان فيما سنه ألا يمر بهما أحد من الملك فمن دونه إلا سجد لهما ، وكان هذا قبل البعثة المحمدية ، وكان إذا سنّ الملك سنة توارثوها ، وأحيوا ذكرها ولم يميتوها ، وجعلوها عليهم حكمًا واجبًا ، وفرضًا لازمًا ، وأوصى بها الآباء أعقابهم .

فسار الناس على ذلك دهرًا طويلاً ، لا يمر أحد من صغير أو كبير إلا سجد لهما خوفًا من العقاب ، فصار هذا سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحكم على من يأبى السجود لهما بالقتل ، بعد أن يحكم له بخصلتين

يعوض الله بسرعة البرء والقوة ، وبالربح الذي يسدد الخسارة .

فبالدعاء تقوى النفوس ، وترتاح القلوب ، فتتحمل وتصبر ، لأن بهذا استحضارًا بالعلاج المقارن حالة بحالة ، حالة حلت ولس أثرها الإنسان ، بحالة أشد منها ، فخفف الأشد ما هو أقل منه .

الثاني : فهو أسلوب عملي بادية آثاره بإحساس دِيني ، يدفع السليم لمواساة المريض والمبتلى ، ليريح نفسه أولاً حتى يقوى على تحمل ما حل به ، ولتهوين وقعه عليه بعبارات تمتزج بالمواساة والتثبيت ، وفي هذا درس للزائر نفسه حتى يشكر نعمة الله عليه ، لما يتمتع به في بدنه من مصالح وفوائد فقدها أصحاب الأسرة البيضاء ، حيث يكبر أمامه ما أفاء الله به عليه من فضائل حُرمها غيره ، فقابلها بتوجيه رسول الله -ﷺ- لمن رأي مبتلى في نفسه او حاله بأن يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً .. ولا شك أن استحضار مثل هذا الشعور واستلهام مثل هذه النظرة الإيمانية ، مما يريح القلوب ، ويزيد العبد رابطة بخالقه - جل وعلا - وإيمانًا بقضائه وقدره .

النعمان بن المنذر :

ذكر المسعودي في مروج الذهب : أن المهدي قال ذات ليلة وكان أميرًا على الريّ لأبيه المنصور : يا شرقي ، وهو يعني الشرقي بن القطامي الشاعر الأديب العالم بالأنساب ، الذي أرسله المنصور مع ابنه ليكون معلماً له بأيام العرب ومكارم الأخلاق : أرح قلبي بشيء يلهيه ويفيد ، قال :

ينقى الله به أعمال المؤمن ، حتى يتطهر من الآثام ، كما يتطهر الثوب من الدرن بعد غسله وتنظيفه ، كما جاء في الحديث الشريف : « لا يزال البلاء بالمؤمن ، حتى يلقى الله وليس عليه ذنب » فهو تمحيص وتنقية ، لمن يدرك ويحتسب .

ولكي تهون آثار المصائب على النفوس مهما كانت ، وتخفّ وطأة الكوارث مهما تعاظمها الإنسان : مرضًا أو مشكلات اجتماعية ، أو غيرها مما تشتد وطأته على القلوب والأبدان ، فإن المسلم مأمور بأمرين :

الأول : الدعاء المأثور : الحمد لله الذي ما جعله أعظم ، والحمد لله الذي ما جعل مصيبتي في ديني .. ذلك أن كل أمر يهون ، عند استحضار ما هو أعظم منه ، فما من مرض ، إلا وهناك ما هو أعظم منه ، وما من كارثة إلا و وراءها ما هو أشد أثرًا منها ، وإنما يهوّن ما وقع على الإنسان ، اهتمامه بتذكر أن ما دفع الله عنه أشد وقعًا وألماً ، ويقيس ذلك بما يراه لدى الآخرين كشاهد محسوس ، فيحمد الله على ما قدر عليه ، لأن الحمد منزلة عظيمة ، إذ يقول الله لملائكته ، وهو سبحانه أعلم به منهم ، إذا نزل بالعبد مرض أو مصيبة ، ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك يا رب وأثني عليك ، فيقول سبحانه : أنزلوا عبديّ بيت الحمد .

كما أن مما يخفف ألم المصيبة أنها تقع في الجسم أو المال ، ولم تكن في الدين ، لأن مصيبة الدين لا تعوّض ، وأثرها قاسي الوطأة لأن به خسارة أبدية ، وألمًا مستديمًا ، أما ألم المصيبة في أي عضو من أعضاء البدن ، أو الخسارة في المال ، فإن ذلك مما ينسى ، ويخف مع الأيام أثره ، وقد

عمل الشيطان و لكن عليه إذا وقع به أمر أن يقول : قــــدر الله و ما شاء الله فعل .

وما ذلك إلا أن كل شيئ من مرض أو حادث ، أو غيرهما مقدّر من الله لحكمة أرادها الله ، ليمتحن بها سبحانه إيمان القلوب ، وصبر النفوس ، واحتسابها لما عند الله ، فتنال الأجر من الله ، أو يعكس ذلك فتبوء بالخسارة وسوء العاقبة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فمن أسعده الله بالمعرفة وحسن الاتباع والاسترشاد ، فهي نعمة كبيرة وفضل من الله يجب شكره وذكره .

وما ذلك إلا أن مقدر الأمور ، ومهيّئ سببها هو الله - جل وعلا - ، وهل من الأدب أن يعترض العبد الضعيف المخلوق على قضاء الخالق ، ولكن سيئات الإنسان هي من مسببات ما يقع عليه من كوارث ، عظة وذكرى ، لكي يحاسب نفسه قبل أن تحاسب ، وليزيد عملها قبل أن يوزن - كما جاء في الأثر الصحيح - حتى يتأهب للعرض الأكبر على الله ، ويأخذ من كل موقف عبرة ، ومن كل كارثة درسًا يقوم النفس ، ويردعها عن مسارها المنحرف ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم • حتى يتبيّن لهم أنه الحق ﴾ . [سورة فصلت ، الآية : ٥٣]

وعلى المرء أن يدرك أن الابتلاء من مرض وغيره ، قد يكون في صالحه وهو لا يدري ، لأنه جاء في الحديث الصحيح : « إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه » .. وقد ابتلي أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - ، وهم صفوة الخلق بالأمراض والكوارث والمصائب ، حيث إن الابتلاء محك إيماني ،

شدة وابتلاء ، ليمتحن الله بها عباده : صبرًا وتحملاً ، وقدرة على إدراك ما تفضل الله به عليهم ، ولا يحرك هذا إلا العامل الإيماني ، عند ما يستقر في القلب ، ويحرك الأحاسيس : فمن صبر واحتسب فله الجزاء والأجر على احتسابه وصبره ، ومن جزع وسخط ، لم ينل إلا سوء النتيجة على عمله عقابًا من الله ، وإحباط عمل .. ومع هذا فالإنسان لا يضر إلا نفسه ، ولن يغير أي عمل يقوم به شيئًا مما أراده الله ، إذ لا رادّ لحكمه _ جل وعلا - .

والإحساس الذي يسيطر على قلب المريض ، فيشعر بما أفاء الله عليه من نعم كثيرة رغم مرضه ، منبعه الإيمان الراسخ ، ومكانته العقيدة المتأصلة ، فلا يجزع ولا يتسخط ، بل يظهر عليه اليقين ، بالرضا والصبر ، إيمانًا منه بقضاء الله وقدره ، واحتسابًا لما أعده الله للصابرين القانعين ، وهذه السجايا المكنية التي تحركها المنزلة الإيمانية ، إنما ينميها ويقويها حسن العقيدة بالله - جل وعلا - ، التي هي محور الأعمال ، ومرتكز سلامتها ، لأن من أركان الإيمان السنة التي هي التصديق بالجنان ، والعمل بالأركان : الإيمان بالقدر خيره وشره .. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .. كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ [سورة التوبة] ، فلا ينبغي للإنسان أن يرمي مشكلة ما حل به على الآخرين ، ويجعلهم سببًا مسلطًا عليه ، ولا يسوّف فيجعل للشيطان على نفسه مدخلاً ، حتى يفسد علاقته بخالقه ، فيقول : لو عملت كذا ما حصل كذا ، لأن لو تفتح

هذا من دراسة أجراها حول نوعين من المرضى : نوع يزار ونوع لا زائر لهم .

والنوع الأول شعر استجابة أجسامهم للشفاء ، وقصر مدة البرء عن الحالات المماثلة في النوع الثاني الذين لم يزرهم أحد .

فالإسلام بتأكيده على أهمية الزيارة للمريض ، وترغيب هذا الحق بأمر محسوس وضّحه رسول الله -ﷺ- ، فإن وراء ذلك حكمة بالغة ، ونظرة بعيدة الغور ، قد يدرك المرء بعضًا منها ، إذ أن ذلك علاوة على كونها تنشيطًا للمريض ، وتثبيتًا على الصبر والتحمل ، فهي دعوة للزائر كي يعتبر ، ويلمس ما يتربع على رأسه من تاج صحّي ، وما ينعم به بدنه من مزايا فقدها غيره ، فيكبر في قلبه فضل الله عليه ، فيشكره بما هو أهله ، ويخفّ عنه غلواء التعالى على الآخرين ، فيتواضع لله ، الذي فضّله على كثير مما خلق سبحانه ، مستحضرًا في هذا حديث رسول الله -ﷺ- الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله -ﷺ- قال : « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » .

فقد يكون المريض ، مهما كان مرضه شدة وألماً ، أخف من مرض يعاني من آخر ، وقد يكون صاحب العاهة في حكم السليم المعافى ، إذا قورنت عاهته ، وما حل به من بلاء ، بمن هو أعظم منه عاهة ، وأشد في الابتلاء ، فالفاقد للعين أخف من الأعمى ، والأعرج أهون علة من المقعد والمشلول ، ومن ألمه خفيف ، أيسر حالاً من صاحب الضجر ، الذي يتعهده الأطباء بالمسكنات .. وهكذا دواليك ، حيث تتباين الأمراض ، وتختلف العلل

العلماء : الدعاء مخ العبادة ، أو الدعاء هو العبادة .

فالله جل وعلا هو مسبب الأسباب ، فالمرض يأتي بإرادة الله سبحانه ، لحكمة يريدها ، وبأسباب هو يقدرها ، وهو سبحانه الشافي من كل سقم يطرأ على الأبدان ، فقد يكون خيرًا للمرء من حيث يظنه شرًا ، وما على الإنسان إلا أن يرضى بقضاء الله وقدره ، والله يبتلى المرء بالخير والشر لينظر كيف يقابل ذلك ؟؟ !!

وإذا كانت الحكمة تنبئ عن أن : الصحة تاج على رؤوس الأصحاء ، لا يراه إلا المرضى ، فإنما تعنى أن بين المريض والصحيح المتعافي ، نظرة متباينة ، وإدراكًا لخفايا الحكمة ، ولا يضبط توازن هذه النظرة إلا اهتمام الإسلام بتربية النفوس ، وقهرها عن التعامي والبطر .

فالمريض إذا شعر بإخوانه الأصحاء يتقاطرون عل زيارته ، ويهتمون بمواساته ، فإنما ذلك مؤثر باطنيّ لديه ، يقوى الأمل في نفسه ، ويزيد الحيوية في طباعه ، إذ يرى المختصون أن الأنسجة الداخلية في الجسم ، وتفاعل الخلايا الدقيقة فيه ، ذات ارتباط في حسن الاستجابة ، وسرعة التجرد بالمؤثرات النفسية لدى الإنسان ، والمتتبع لهذا يراهم في بلاد غير المسلمين يحرصون على الترويح عن المريض بأساليب متعددة ، وأن يقضى فترة النقاهة في بيته وبين ذويه .

لكن زيارة المسلمين لمرضاهم ، واستفاضتهم في الحديث معهم ، تعتبر بمثابة الطاقة الدافعة الأقوى ، للأنسجة الداخلية في تطوير عملها ، وسرعة استجابتها ، حيث خرج بعض أطباء الغرب بنتيجة هذا الأثر ، ورأى أهمية التشجيع بزيارة المرضى ، وتجاذب الحديث معهم ، واستنتج

اجتماعي ، ومواساة بين المسلمين ، تحسن به العشرة ، وتتصافى النفوس ، وتتأصل الأواصر .. ومع هذا العمل بعائده الدنيويّ ، فإن الإنسان يؤجر على الاهتمام بإخوانه : زيارة لمريضهم ، واتباعًا لجنازة ميتهم ، وإفشاء للسلام فيما بينهم ، وغير هذا مما يحتاج إلى مواظبة وحرص ومراعاة لأحاسيسهم وتوطيد لمشاعرهم ، حيث يثاب عليه بالأجر الجزيل من الله ، ويظهر أثره توفيقًا في الدنيا علاوة على المحبة بين الناس ، وأجرًا مدخرًا في الآخرة ، مع رضا الله ، الذي هو أكبر مكسب .

فالفرد في المجتمع الإسلامي ، عند ما يعطى من نفسه ، ويستجيب بأداء الحق الذي أوجبه الله عليه ، في تعاليم دين الإسلام بمصدريه : كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- نحو أخيه المسلم ، ويزورره في مرضه ، فإنما ذلك إحساس عميق بأن للصحة والعافية ضريبة تؤدّى ، و واجبًا يحسن الاهتمام به .

ذلك أن المريض عند ما يلازم الفراش ، وتنتابه الآلام ، فإنه في حاجة إلى من يقف بجانبه ليخفف عنه ما يجد من آلام بكلمة حانية ، وبنبرات تشعره بالمشاركة ، و بدعوات تقوى الأمل في نفسه ، و تزرع الثقة في قلبه . حيث إن المسلم يجب أن يكون موصولاً بربه دعاءً وإحساسًا ، حتى ينتزع من فؤاده هاجس اليأس والقنوط ، أو عامل الجزع والخوف ، التي هي من مداخل الشيطان على ابن آدم ولا يقوّى ذلك مثل الزيارة التي يواسى فيها الصحيح أخاه المريض ، ويهوّن عليه ما حل به من آلام ومتاعب . وذلك في مثل مقارنة حالته بمن هو أشد منه ، وتذكيره بجزاء الصبر ، وأهمية الشكر والدعاء لله بأن يشفيه ويزيل ما به ، ولذا قال

« من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » .

ومن هنا فإن فلسفة الحياة عند المسلم تختلف عما هي لدى غير المسلم . فالمسلم يراها عبرًا وعظات تربطه بخالقه لمعرفة المهمة التي خلق من أجلها. وينتظر الجزاء عليها أجرًا من الله مدخرًا ، وتتربّى عليها المجتمعات ، حتى ترقّ بها الطباع ، ليرعى بعض المسلمين بعضًا ، ويحس بعضهم بما يؤرق البعض .

كما يراها شعورًا وإحساسًا بما يجب أن يدركه الفرد نحو غيره من حيث الاهتمام والمواساة ، وتخفيف الآلام مع الانفعال لأي أمر يؤلمهم ، ثم التعاون معهم بما يريح نفوسهم ، ويقضى على ثائرة الحقد الذي قد يسببه الشعور بعدم المبالاة أو الاهتمام بمن وقع في مصيبته ، أو حلت به كارثة .

ومن هنا ندرك الحكمة وراء الحقوق التي أوجبتها تعاليم الإسلام بين المسلم وأخيه ، كما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله -ﷺ- أنه قال : « حق المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصحه ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » . [رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه]

فالحقوق التي شرعها الله في الإسلام إلزامًا بين المسلمين ، هي من الآداب التي يهتم بها هذا الدين ، ومن مثاليات الأخلاق وقيمها ، التي ترعاها شريعته ، وتوجه إليها تعاليمه ، تأديبًا للنفوس وتحسينًا للأخلاق ، هذا المعتقد الذي هو علاوة على كونه عبادة مع الله جل وعلا ، وامتثالاً لأمره سبحانه بطاعته وطاعة رسوله -ﷺ- ، فهو ترابط

الدعوة الإسلامية :

فلسفة الحياة ونعمة الصحة

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

الإنسان في هذه الحياة ، بين عاملين متباينين : خوف ورجاء ، في كل أمر من أمور حياته وآخرته . فهو إن كان صحيحًا خاف من المرض ، وإن كان مريضًا ترجّى الشفاء ، وهكذا بقية شئون الحياة المتباينة ، ومع هذا فهو يسرح في حياته ويمرح ، وينسى أحيانًا المهمة التي يجب أن يجعلها نصب عينيه ، لانغماسه في ملذّات الدنيا ومشاغل الحياة ، بغفلة عن المصدر التشريعي في دين الإسلام ، الذي يقود النفوس لما فيه سعادتها ونجاتها : يغفل الإنسان عن تذكر مواطن الضعف في نفسه ، حتى يردعه ذلك التذكر عن كبوتها وجموحها ، وحتى يكون ما يمرّ به من نذير كابحًا لنفسه عن شهواتها .

وهذا لن يتمّ إلا بإدراك ما يجب على الإنسان أن يهتم به نحو دينه ، وعلاقة بربه أولاً ، وما يجب أن يصاحب ذلك من شعور وإحساس ، ثم نحو مجتمعه ، وما يحيط به من أمور هي من الإنسان يقظه ضمير ، وقوة إحساس وإدراك لما يجب أن تتربى عليه الطباع من خلق حسن ، وكرم وطيب معشر ، مع شعور بما يؤرق الآخرين ، لأن من قواعد دين الإسلام الراسخة ، الذي هو القائد والموجّه للإنسان في حياته ، الاهتمام بأحوال الآخرين ، والشعور بما يؤرقهم ، والتفاعل في ذلك ، كما جاء في الأثر :

ذلك لأن احتمالات الصدفة في أقل مسألة في نشأة الكون معدومة ، هذا الكون الذي نحيا فيه قد أوجده خالقه لحكمة بالغة ، كما لا يمكن أن يستمر في وجوده هذه الآلاف الملايين من السنين إلا برعاية خالقه .

وهذه قضية من كبرى قضايا التأصيل الإسلامي الذي يجب أن يتم لكل المعارف العلمية منها والإنسانية .

إنه لا حرج من الاستفادة من تجارب غيرنا على النحو الذي لا يغير شيئًا من القيم الثوابت الأساسية للإسلام على أن نأخذ ما يتفق مع فكرنا ونصهره في بوتقتنا لا أن ننصهر نحن في بوتقة الغير .

إن أسلمة المعرفة هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للمعارف وقواعدها ، وقوانينها ، يتمثل فيها الوحي المصدر الأساسي والأصيل لمصادر المعرفة وإعادة فهم المعرفة على أنها معطى إلّهي للإنسان لتمكينه من مهمته في الخلافة ، والعمران .

إن إعادة الارتباط بين المعرفة والقيم الإلّهية يستدعى رد الاعتبار للوحي كمصدر أساسي من مصادر المعرفة .

وبذلك يتم ما يتوخاه علماء المسلمين في مجال العلوم التجريبية والكونية من تأسيسها على قواعد الإيمان والعقيدة ، ورفع صرحها على معرفة الخالق والقوة الخارقة التي تتصل بإرادة الخالق سبحانه وتنطلق بأمرمنه .

وسيكون ذلك خطوة أولى في هذا الموضوع وفي مجال أسلمة المعارف التجريبية والعلوم والتكنولوجيا الحديثة .

ولا ريب أن موقف علماء التجريب - الغربيين - من فكرة الطبيعة وإنكار وجود الخالق تبارك وتعالى تؤثر تأثيرًا كبيرًا على توجيه العلوم التجريبية في الأفق الإسلامي وتؤدى إلى كثير من المحاذير ، أقلها حين يختلف مع معطيات العلوم الإسلامية نفسها و وجود هذا التضاد ، فليس هناك أخطر من الاعتقاد بأن الطبيعة خلقت نفسها وأنها تتحرك بارادة الإنسان وأن الإنسان يمكن أن ينطلق مع سياسة الاستهلاك والتكديس والنهب في تدمير مقومات الأمم .

وإعلاء شأن الترف والإباحيات على نحو يحول دون إقامة العدل الإآلهي بين الأمم وبين مقدراتها التي أوجدها الحق تبارك وتعالى .

فالإسلام يضع الضوابط على مقدرات الأمم حتى لا تُدمر من أجل أهواء وشهوات ومطامع الرأسماليين وأصحاب الثروات ، ولذلك فنحن لا نقبل هذا المفهوم بالنسبة للعلم التجريبي لأنه يتنافي مع مفهوم الإسلام من حيث العدالة والرحمة ومن حيث الاحتفاظ بالثروات وعدم تبديدها ، والدعوة إلى اسعاد البشرية جميعًا ، وليس صنفا واحدًا منها أصحاب العرق الأبيض المستعلى على البشرية على حساب الخلق .

فنحن المسلمون لا نؤمن بأزلية المادة والطاقة كما يؤمن الغرب ولا نؤمن بأزلية الكون وانتفاء الخلق ونسبة كل شئ جهلا إلى الطبيعة أو ردّ الخلق ظلماً إلى الصدفة .

وخطاهم ذلك في تفسير التدرج في عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .

[illegible]

سبع سور من القرآن الكريم ، لكن لم يصرح بخلق الإنسان من طين عفن مسنون في سور أخرى إلا بلسان الشيطان ، غير أنه جاء في سورة صٓ . قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين ﴾ [سورة صٓ ، الآية : ٧١] .

ولكن لم يصرح بالطين المسنون هنا ، والسبب في ذلك أن هذه القصة وإن كانت قد وردت في سور أخرى كذلك ولكن المقصود هنا إثبات قدرة الله تعالى ، ومن الظاهر أن خلق الإنسان من الطين العفن دليل أقوى وبرهان أسطع على قدرة الخالق الخارقة .

ففي هذه السورة ذكرت هذه القصة لإثبات القيامة ، وأهملت أمور أخرى لهذه القصة في سور أخرى لأن ذكرها هناك لا يلائم المقام ، وإنما أراد أن يوضح أن الشيطان لما أنكر السجود لآدم أمر بالخروج من الجنة ، فقال : ﴿ رب بما أغويتني لأزينّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٣٩] .

وقال تعالى جوابًا عنه : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ٭ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٤٢] .

وبعد ذكر جهنم قد بسط الكلام فيها وفي أجر المتقين يوم القيامة ، وانظر انه تعالى ذكر القيامة ثم أورد الدليل عليها ببيان هذه القصة الطويلة ، ولكنه أحسن ختامها بيان القيامة لكي يكون تمهيدًا جيدًا لبيان أهوال يوم القيامة ، مما لا يوجد في كلام بشر أبدًا .

الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ [سورة ق . الآية : ٤] .

ثم قال بعده : ﴿ أ فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج ﴾ [سورة ق . الآيتان : ٦-٧] .

فانظر أنه أتى بصفتيه العلم والقدرة جوابًا عن تعجبهم واستبعادهم : وسألهم عن ذلك ؟ وأوضح لهم بعد ما تحدث عن خلق السماوات والأرض ، أنه إذا قدر على خلقهما فكيف لا يستطيع أن يحييكم بعد موتكم .

والحاصل أن من الاستدلال بهذين الطريقين على وجود القيامة يعم القرآن الكريم ، فالمقصود بهذا الاستدلال هنا كذلك إثبات القيامة . لذلك قدّم صفة العلم عليه كالمعتاد ، فقال تعالى : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين . إن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ﴾ [سورة الحجر . الآية : ٢٥] .

وبعد ذلك أظهر قدرته تعالى بأنكم ترون انا خلقنا الإنسان المتحرك من طين لازب فلم لا نستطيع على إحيائكم بعد أن تصبحوا عظامًا ورفاتًا .

وهذا الدليل أثبت صفة القيامة في سور أخرى أيضًا من القرآن الكريم . كما قال تعالى في سورة يسين : ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين • وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه • قال من يحيى العظام وهي رميم • قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكلّ خلق عليم ﴾ [سورة يسين . الآيات : ٧٧-٨٠] .

هنا كذلك ذكر استبعادهم ليوم القيامة وردّ على الذين كانوا يرتابون في هذا اليوم ولكن بترتيب متغير . ولا شك فإن هذه القصة وردت في هذه السورة لتبيين قدرة الله تعالى على إيجاد القيامة . وجاء هذا المعنى في

الرزق ﴾ [سورة الأعراف ، الآيتان : ٢١-٢٢] .

وقد كان من الممكن أن يخاطب الله تعالى بـ : ﴿ يا أيها الناس ﴾ و ﴿ يا أيها الذين كفروا ﴾ ولكنه يخاطب في كل موضع بـ ﴿ يا بني آدم ﴾ ، وفي هذا الأسلوب للخطاب بلاغة لا تخفى على أصحاب الذوق السليم ، فهنا نبّه الله تعالى مخاطبًا بـ ﴿ يا بني آدم ﴾ أن الشيطان هو الذي عادي أباكم آدم عداءً مهيبًا فالعجب كل العجب أن تنخدعوا بحيله دون الفرار منه والحذر منه ، وبالنظر إاليه كنا صح أمين .

قصة آدم والشيطان في سورة الحجر :

إن تأملاً قليلاً في هذه السورة يوضح لكم الغرض من ذكر هذه القصة ، وقبل بداية القصة آيتان ، قال تعالى : ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ، ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين • وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ﴾ [سورة الحجر ، الآيات : ٢٢-٢٥] .

فبعد هاتين الآيتين تبدأ القصة هكذا : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٤] ، فأولاً ينبغي لنا أن نفهم غرض الآيات التي سبقت القصة ، لكي يتضح غرض هذه القصة ، ومما لا خفاء فيه أن في الآيات السابقة إثبات الحشر ، وفي القرآن يعم الاستدلال على الحشر من صفة العلم والقدرة لله سبحانه ، كما كان يقول مشركو العرب : ﴿ أ إذا متنا وكنّا ترابًا • ذلك رجع بعيد ﴾ [سورة ق ، الآية ٢] .

فكانوا يتعجبون مما إذ عادوا إلى الحياة بعد الموت والتحول إلى تراب ، ولكن الله سبحانه رد على ذلك في مواضع كثيرة من القرآن ، كما قال في [سورة ق] جوابًا عن هذا الشك المريب : ﴿ قد علمنا ما تنقص

[illegible]

[... : ٤٨-٨٨]

[illegible]

بعبادة « رب البيت » في كثير من سور القرآن بعد ذكر النعم والعطايا .
وفي هذه السورة ذكر سبحانه تلك النعم مخاطبًا إياهم ، وأثار العجب من موقفهم بحيث إنهم لا يؤمنون بالله ويعبدون غيره بعد ما أفاض عليهم هذه النعم العظيمة ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ .

وبعد ذلك ابتدأت قصة آدم هكذا : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ... ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١١] .

هنا خاطب تعالى بصيغة جمع المخاطب « كم » ليعلم بها ظاهرًا أن هذه القصة ذكرت لنفس الغرض الذي ذكر له التمكين في الأرض وملحقاته وهو الدعوة إلى الشكر لأنه يثبت بهذه القصة عظمة الإنسان ويعلم بهذه القصة أنه تعالى خلق آدم - عليه الصلاة والسلام - وأحسن صورته وأكرمه بالخلافة في الأرض وجعله مسجود الملائكة . فكما ذكر في الآية الأولى التمكين في الأرض للدعوة إلى الشكر ، ذكر لنفس هذه الدعوة في الآية التالية قصة خلق آدم وخلافته وتكريمه بالمجد والنعم ، لكن خلق آدم والاستخلاف في الأرض وسجود الملائكة له ، ليس كمثل خلق رجل وتشريفه بهذا الشرف الأمثل ، بل خلقه كان خلق العالم وتكريمه تكريم بني آدم كلهم وإعطائه منصب الخلافة يرادف منح هذا المنصب الجليل لجميع بني آدم ، لذلك فإن الحديث عن خلق آدم وتكريمه بصيغة الجمع يدل على خلق جميع الناس وتكريمهم .

وهنا يرد سؤال ، وهو أنه إن كان الغرض من ذكر هذه القصة هو الذي مضى بيانه فكان يكفى لذلك أن تذكر آيات عديدة فيها كيفية الخلق وسجود الملائكة ، و ک ، لماذا جاء فيها ذكر أحوال ما بعدها ؟ كوسوسة الشيطان ونزغه وتجرد آدم من الثوب وإخراجه من الجنة وغيرها من

التكرار في القرآن الكريم ، وقصة آدم والشيطان

[الحلقة الثالثة الأخيرة]

بقلم : فضيلة الشيخ المرحوم أبي الليث الندوي
تعريب : ابن لليق الأعظمي

قصة آدم والشيطان في سورة الأعراف :

سورة الأعراف تتناول هذه القصة بعد عدة آيات فلا يصعب تعيين الغاية منها ، فإنك إذا قرأت الآيات التي قبلها يتضح لك غرضها بنفسها ، يقول الله تعالى مخاطبًا أهل مكة :

﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٣] .

﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتًا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذا جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٣٥] .

وبعد التحذير من عذاب الدنيا أنذرهم بعذاب يوم القيامة ، فقال : ﴿ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٦] .

وبعد التهديد من العذاب الدنيوي والأخروي تحدث عن العطايا الخاصة مخاطبًا أهل مكة ، فقال : ﴿ ولقد مكنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٠] .

المراد بالأرض في هذه الآية أرض مكة والمراد بالمعايش النعم التي أنعم الله بها على أهل وادي مكة بفضل البيت العتيق ، وقد أمر تعالى أهل مكة

لنملأ فراغ الربانية المشرقة الصادقة المؤسسة على الكتاب والسنة ، وعلى الزهد في حطام الدنيا والانصراف إلى الآخرة ، والاشتغال بذكر الله تبارك وتعالى ، واستحضار الآخرة ، حتى نستطيع أن نجر هذه المجموعة الكبيرة إلى بر السلام ، إلى حقيقة الإسلام وإلى ماضي هذه الأمة .

أما بغير ذلك ، فإن العالم الإسلامي إنما أتحرج أن أقول ، ولكنني أقول لأنه قد قال قبلي مفكر كبير وهو أكبر الكتاب في عصره أمير البيان الأمير شكيب أرسلان يقول : « كاد أن يكون العالم الإسلامي بحرًا كبحر العروض ، بحرًا ولا ماءً » .

ومع احترامي لأمير البيان واعتراف بخبرته وإخلاصه أقول إن بحر العالم الإسلامي لا يزال فائضًا بالماء ، تضطرب أمواجه في الداخل وتتعارك ، ولكنه قد انقطع عنه الفيضان إلى الخارج وإرواء الأراضي القاحلة وإزالة العقبات والحواجز في سبيل الهداية العالمية وتوجيه الإنسانية : ﴿ و لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ [سورة الروم ، الآيتان : ٤-٥] .

هذا هو واقع العالم الإسلامي الذي نشاركه جميعًا ولو كنت منفردًا وفي عزلة عن هذا الواقع لما اجترأت أن أقول هذا ، ولكنني أشاركِكم كأي مسلم وكعربي ، ونصيبي ليس أقل من نصيبكم ، فيسوغ لي أن أتكلم بهذه الصراحة ، لأني لا أشهد على أنفسكم ، ولا على هذه المنطقة ، ولا على البلاد العربية فحسب ، بل أشهد على نفسي ، وعلى إخواني ، وعلى من أزاملهم وأشاركهم ، وأتعاون معهم .   [يتبع]

الثقافة الأوربية ، وبين الشعوب المسلمة الوادعة المخلصة البريئة الصادقة ، الوفية ، الزاكية الزكية ، البقية النقية ، أ ليس من الخير ، أ ليس من المعقول أن تنصرف كل الجهود ، والطاقات إلى استخدام هذه القوة التي لا يزال المسلمون يملكونها ، قوة الإيمان ، وقوة الفداء ، والوفاء للإسلام ، وبذل النفس والنفيس لله تبارك وتعالى .

وهذه هي القوة الكامنة التي لا بديل لها والتي يرجع إليها فضل البطولات الخارقة للعادة ، المحيرة للألباب ، أشار الله إليها بقوله : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم • إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون • وترجون من الله ما لا يرجون • وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٠٤] .

ثم لابد أن ينهض هؤلاء الربانيون الذين ذكرنا بعض النماذج من سيرتهم ومن دعوتهم للإسلام ، في كتابنا « رجال الفكر والدعوة » و « ربانية لا رهبانية » فإن الربانيين الصادقين ، الراسخين في العلم المتبعين للسنة ، فيهم وحدهم قدرة على تربية النفوس على الإيمان والإسلام ، والخلق المستقيم ، والتمرد على المادة والشهوات ، والتغلب على المغريات المعاصرة ، كان ما زال في العالم الإسلامي هذا النمط من الربانيين ، ما خلا منهم عصر ، ولكن اجتمعت عدة أسباب وعدة أدوات لمحاربة هذه الربانية الصافية ، فأقول كما قال الحطيئة :

أقلـــــــوا عليهم لا أبا لكم لأبيكم
من اللوم أو سدوا المكان الـذي سدوا

« مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

يقول الله تعالى : ﴿ وأن هذه أمتكم أمةً واحدة • وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٩٢] . هل نحن أمة واحدة ، يقول بعض المستشرقين ، انهزم الإسلام مرات عديدة سياسيا ، ولم ينهزم روحيًا ، وحين انهزم سياسياً هزم الفاتح المسخر المدمر روحيًا .

يجب أن تخمد هـــــذه المعركة الدامية الحامية ، هذه المعركة غير الطبيعية ، هذه المعركة الصناعية التي استنزفت جهود القادة والسادة ، و ولاة الأمور ، والمفكرين في بلادنا الإسلامية ، يجب أن تخمد وتنتهي هذه المعركة غير الحقيقية التي هي حامية بين الشعوب والجماهير والحكومة ، فالحكومات تتجه اتجاهًا آخر ، والشعوب تتجه الاتجاه القديم الإسلامي إلى الآن ، لا الحكومات نجحت في جر هذه الشعوب والجماهير المسلمة ، إلى الابتعاد عن جادة الإسلام ، ولا الجماهير نجحت في إقناع هؤلآء الحكام والملوك في استخدام الطاقة الذرية الهائلة التي هي كامنة في نفوس الجماهير المسلمة ، وهي قوة الإيمان التي هي أقوى من الطاقة الذرية ، فاذن من الحكمة ومن المعقول والنصيحة ، ومن التوجيه الرشيد السديد أن تنتهي هذه المعركة المصطنعة التي تحتدم ، هذا الصراع النفسي ، والصراع العملي الذي يحتدم بين من يملك الزمام ، سواء من يملك زمام التربية ، أو زمام السياسة ، أو زمام القيادة ، والذين نشأوا في أحضان

---

(١) حديث متفق عليه .

وأساتذتهم ، ومربوهم يعرفون أنه قد أفلت الزمام من أيديهم ، وانقطع الخيط الذي كان يربطهم بالمجموعة الإسلامية وبالجماهير المسلمة ، واستبدلوا به خيطًا سياسيًا ، والأوربيون يعرفون أن هذا الخيط إذا نفع وأفاد في بلده ، فإنه لا ينفع في بلد إسلامي ، منهم من درس القرآن ، ومنهم من درس تاريخ عصر الصحابة ومنهم من درس تاريخ صلاح الدين الايوبي ، وتاريخ الغزوات الإسلامية ، وتاريخ الدعوة إلى الإسلام ، فهم يعرفون أن الخيط الذي يربط قادة البلاد بالجماهير المسلمة ليس فيه قوة أبدًا ، إنه ينقطع سريعًا ، إن هذه الجماهير على ما أصابها من الوهن وعلى ما أصابها من أدواء وعلل ، وعلى ما أصابها من تدهور ، لا تزال تندفع للهتاف الديني والإيماني في كل مكان .

لقد أصبحت الأمة الإسلامية الآن هدف المآسي والمهازل في وقت واحد ، لماذا ؟ لأننا هازلون ، وهزيلون ، العالم الإسلامي أسبح هزيلاً وهازلاً ، لا جدّ فيه ، تزورون العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، من الشرق إلى الغرب ، تجدون هناك بطرا وترفًا، تجدون هناك فيضًا من ملاهٍ ، وملاعب ، هل هناك تناسب ، تناسب بين ما نعيشه ونمط الحياة الذي نحياه في هذه المدن الآمنة المطمئنة ، وبين ما يقع في الجزء الآخر في العالم الإسلامي ، هل إذا زار أحد من زوار الخارج ورأى هذه المدن ، هل يستطيع أن يفهم أن هذا جزء من الجسم الإسلامي الذي تقطع أجزاؤه ، في ناحية أخرى ، هل هذه الأمة هي نفس الأمة ، هذه الأمة التي تسبح في بحر من البذخ ، هل هي الأمة التي أصبحت هدفًا في لبنان وفي أفغانستان ، وفي البوسنة ، وفي الهند ، هل هم كلهم أعضاء الأسرة ، والرسول -ﷺ- يقول :

الأجنبية المحاربة للإسلام، كالصهيونية أو الصليبية الحاقدة أو أن تنهض للانتصار لقضية إسلامية من قضايا الشعوب الإسلامية المضطهدة .

ومن المؤسف أن قادة البلاد الأجنبية يعرفون هذه الحقيقة وهذا الوضع ، أحسن ، وأكثر مما يعرفه كثير من إخواننا الذين يعيشون هذا الواقع ، وعندهم تفاصيل دقيقة ، ودراسات عميقة لواقع العالم الإسلامي اليوم ، هم يعرفون أن الجمرة الإيمانية التي كانت تخشى في الزمن القديم وهو الاستهانة بالحياة والحنين إلى الشهادة ، قد انطفأت في صدور المسلمين أو كادت تنطفئ ، وكان هؤلاء القادة الأجانب يعرفون أن المسلمين يندفعون لهتاف الإيمان ؟ ولا يفهمون إلا لغة القرآن والدين ، وأنهم لا يندفعون إلا لما فيه أجر الآخرة ، ولما فيه رضا الله تبارك وتعالى . إن عددا من الأقطار الإسلامية كسبت المعركة مع العدو وتغلبت عليه بفضل الهتاف بالشهادة في سبيل الله ، والهتاف بالجهاد في سبيل الله . ولكن لما انتهى هذا الدور وخرجت من المعركة ، فأول ما تحاول وتصرف جهودها إليه هو القضاء على هذه الجمرة الإيمانية . إلى الآن لا تزال الصلة الأقوى التي تربط المسلمين بمصدر القوة التي تأتي بالمعجزات ، هي الصلة بالله تبارك وتعالى ، وبرسوله ، ولا تزال روائح الجنة تفوح ، مهما حاول السياسيون ، ولا تزال الجمرة الإيمانية كامنة في الرماد ، ولكن أكثر قادة البلاد عادوا لا يربطهم رباط بهذه اللغة الإيمانية والحمية الإسلامية ، وقد ضعفت الصلة بينهم وبين مصادر الإيمان ، إنه جيل قد نشأ في أحضان الحضارة الأوربية ومراكز الثقافة الأجنبية والتعليم الغربي العلماني في بلادهم ، وكليات التربية العسكرية في عواصم أوربا ،

في محله ، فإذا أصبح الشوك الذي يحيط ويصون الوردة الناعمة ، الوادعة البريئة ، حريرًا ناعمًا ، فلا بقاء للوردة ولا سلامة لها ، فكذلك لابد للعالم الإسلامي الشريف النبيل صاحب الرسالة السامية ، والمبادئ السماوية ، والتعاليم الربانية ، حامل الرحمة الإنسانية ، وصاحب قلب خفاق ، يذوب للإنسانية الضعيفة ويسيل رقةً ورحمةً ، كان واجبا أن يكون هذا العالم الإسلامي يملك ما يُرهب وما يخشى ، يملك السياج المنيع ، والسور العالي ، والجند الجاهز ، ولكن أصبح العالم الإسلامي اليوم ترجوه كل المعسكرات الآن ، المعسكرات على تناقضها في المبادئ ، وعلى ما بينها من منافسة ومحاربة ، تلتقي على الانتفاع بالعالم الإسلامي وحلب درته وامتصاص دمه ، كلها تنظر إلى العالم الإسلامي كمادة ثرية ، ولكن ليس معسكر من المعسكرات الآن ، وليست حكومة من الحكومات الكبيرة التي تتحكم الآن في مصاير الأمم ، وفي المسيرة الإنسانية ، تخشى العالم الإسلامي فتحترمه ، إنما نسمع كلمات الاعتراف لبعض الحكومات الإسلامية و العربية ، وكلمات الاحترام في أحيان أخرى ، ولكنها كلها سياسة ونفاق ، ليس في قلب أحد من هؤلآء الساسة والقادة ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، خوف من العالم الإسلامي في الحقيقة .

ثم زاد الطين بلة ، أنه قد عرف العالم الغربي أن هذه الحكومات التي كان يمكن أن تخشاها مشغولة بشعوبها ، مشغولة بالصحوة الدينية التي ظهرت في هذه البلاد ، إنها في شغل شاغل ، إن همها الوحيد أن تقضي على البقية الباقية من الجمرة الإيمانية في هذه الشعوب ، فهي لا تجد فرصة ، ولا تجد مجالاً لأن تبرز في الميدان الحقيقي وتتحدى القوة

فأصبح المسلمون في الزمن الأخير ، يُرجون ولا يُخشون ، وينفعون ولا يضرون ، وهذا وإن كان موقفا شريفًا في علم الأخلاق والنفس ، وفي العلم النظري والفلسفات النظرية الخيالية ، وإن كان يدل على شرف الرجل وعلى فضله ، وعلى نبله ، وعلى تمسكه بالمبادئ السامية ، ولكن الفطرة البشرية منذ أن فطرها الله تعالى تعودت أن تخضع للقوة ولِمَا عند الفرد أو الجماعة من قدرة الاضرار ، والدفاع عن نفسه وأخذ الثأر لها ، يقول الدكتور العلامة محمد إقبال :

« إن الوردة الجميلة لا سلامةً لها ولا صيانة ، إذا كان الشوك الذي خلق ليحوطها ويصونها من الأيدي العاتية ، قد انحرف عن فطرته وأصبح حريرًا ناعمًا ، إذن فلا بقاء للوردة ولا حرمة لها » .

واسمحوا لي أن أنشد البيتين باللغة الأردية ، لأني أرى هنا عددًا من إخواننا الباكستانيين والهنديين ليتذوقوا الأبيات في لغتها ، يقول إقبال :

تميـــــــز خار وگل سے آشكارا
نسيم صبح كـــــي روشن ضميري
حفاظت پهول كي ممكن نهيں هے
أگر كانٹے ميں هو خوئے حريري

يقول : إن نسيم الصباح يعرف طبائع الأشياء ، فيربي الوردة على طبيعتها الخاصة وهي النعومة والرقة ، وينشئ الشوك على طبيعة أخرى منافية وهي الشدّ والعنف ، وهذا يدل على فراسة النسيم العليل البليل الذي يهب صباحًا ، يدل على وفائه بالرسالة التي نيطت بها و وضع الشئ

كان تخلف فيها تخلفا كبيرًا منذ أمد بعيد، ولكن كانت له رهبة وسطوة .

إن الحقيقة العالمية الخالدة أيها السادة ! إن الفرد لا يُحترم إلا إذا كان يُخشى ويُرجى . والجماعة لا تُحترم إلا إذا كانت تُخشى وتُرجى . وتَنفع وتَضر . وكذلك الحكومات والمجتمعات . لا يُحسب لها حساب إلا إذا كانت تُخشى . وتُرجى . وتنفع وتضر . وتستطيع أن تضر ولو لم تفعل ذلك - بإرادة وقصد - مدة طويلة . ولكن يجب أن يعرف الناس أنها تملك قوة النفع والضرر . وإن لم تستعملها . إن الفرد ولو كان حقيرًا تافهًا كالنملة قد تخشى . لأنها تستطيع أن تقرص . والعقرب تُخشى لأنها تستطيع أن تلسع . والحية تُخشى لأنها تستطيع أن تلدغ . والكلب يُخشى لأنه يستطيع أن يعض . ولو حيل بينه وبين ذلك سنين وأعوامًا . وكان كلبا مدللاً أليفًا . فلابد من التوازن الصحيح وهو وجود صلاحية النفع . و وجود صلاحية الضرر في وقت واحد .

فكان لابد أن يملك المسلمون بصفة أمة . ويملك الفرد المسلم بصفة فرد . القدرة على النفع والضرر . وإن لم يضر كما قلت لشرفه . ولسماحته . وإنسانيته الرفيعة . وسمو رسالته . ولو لم يأت منه الضرر والأذى قرونًا عديدة . لا بأس . ولكن ليعرف أهل الزمان أنه بمكان يُرهب فيه . ويُخشى بأسه . يقول الله تبارك و تعالى و هو رب العالمين . و أحكم الحاكمين ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم • الله يعلمهم ﴾ [سورة الأنفال . الآية : ٦٠] .

العثمانية الاسم الكبير الحافل بالأمجاد والبطولات . فكان يصرف الناس عن الامتحان لقوته الحقيقية وكان هنالك « نظار » (١) أو مجدار (٢) على التعبير العربي القديم . وهو العود الذي ينصبه الفلاح في مزرعته . ويلقى عليه شيئًا من الثياب . فيتصور الغربان والطيور أن هنالك إنسانًا واقفًا . فلا تتجاسر أن تقع في هذه المزرعة وتسبب فيه ضررًا . فإذا سقط هذا النظار أو المجدار بريح عاصفة مثلاً . أو عاثت فيه بعض الحيوانات الجريئة فأسقطته . هنالك يعرف الطيور أنه ليس هنالك ما يُخاف فتساقط عليها وتتلفها . فكانت الدولة العثمانية . والتصور الكبير الضخم الذي تحمله . وكانت الانطباعات التي كان يحملها الدارسون للتاريخ الإسلامي . والتصور الكبير الضخم الذي كان أكثر من الحقيقة . يمنع كثيرًا من الشعوب التي كانت أقوى من الدولة العثمانية . وكان في إمكانها أن تسيطر على بعض الممتلكات العثمانية . ومحمياتها بسهولة . من أن تجرب الوقوع في هذه الحمى . فلما سقط هذا النظار أو المجدار . أصبحت المزرعة مالاً سائبًا ونهبةً لكل ناهب . وأصبحت الحمى مفتوحة لا حارس لها .

هذا مثل للعالم الإسلامي إذا قسنا العالم الإسلامي بمقياس الروح الإسلامي . وبمقياس القوة الإيمانية . والقوة الحربية الحقيقية . فقد

---

(١) النظار : الخيال المنصوب بين الزرع . والناطور : حافظ الكرم أو الزرع . والكلمة سريانية .

(٢) ما ينصب في الزرع لطرد الطير والوحش . ويقال له الفزاعة أيضًا .

ذكاء . فكيف إذا كان التناقض في مجتمع كبير . وكيف إذا كان في عالمَ واسع الأرجاء . كبير الأهمية . مجيد التاريخ . والتناقض الغريب الذي أريد أن أتحدث عنه في هذه الأمسية . هو أن العالم الإسلامي لم يكن في زمن من الأزمان أكثر حكومات . وأوسع مساحة جغرافية وأعظم أهمية سياسية . وأغنى في الطاقات والإمكانيات . وأملك للوريد في الجسم الصناعي . لم يكن العالم الإسلامي – في حد دراستي – وقد درست تاريخ الإسلام سياسيًا وفكريًا . وعلميًا . وروحيًا . في اطار واسع . وأستطيع أن أقول في ضوء دراساتي . إنني ما وجدت العالم الإسلامي في هذا التاريخ الضخم الكبير الحجم . الواسع مساحة زمنية . لم أجد العالم الإسلامي في فترة من فترات التاريخ أغنى وأقوى . وأوسع منه في هذا الزمان . ولكني أقول لكم . والحزن يملأ قلبي . والخجل يعتقل لساني : إن العالم الإسلامي مع هذا الحول والطول ومع هذا العدد الكبير من الحكومات . لم يكن أهون . ولا أذل . ولا أضعف . ولا أخف في الميزان السياسي الدولي منه في هذا الزمان . وهذا تناقض تحار فيه الألباب .

إن العالم الإسلامي في الحقيقة كان قد ضعف في روحه المعنوية وفي شخصيته ومميزاته من زمان . ولكن كان له اسم كبير . وكانت له مهابة وسطوة . كانت هنالك الدولة العثمانية – على علاتها ومحنها – كالسور المنيع للشرق العربي . لا يجترئ كثير من الحكومات أو الشعوب الحاقدة . أن تتسوّر هذا السور . ويهين المقدسات الإسلامية والبلاد التي كانت تحت حماية الدولة العثمانية . وقد كان شرف العالم الإسلامي وكرامته منوطة بهذا الجزء المقدس الحبيب إلى المسلمين في العالم . وكان للدولة

واقع العالم الإسلامي

وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

[الحلقة الأولى]

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[قُدّم هذا البحث القيم في الدورة الثالثة للمؤتمر الشعبي العربي والإسلامي المنعقد في الفترة ما بين ٢٠ مارس ٢/ أبريل ١٩٩٥م في الخرطوم (السودان) ونقدمه إلى قرآنا الكرام نظرًا لما يحتوي عليه من نقاط مهمة تصور واقع العالم الإسلامي تصويرًا دقيقًا] [التحرير]

سادتي وإخواني ! إني أتحدث إليكم في هذا اللقاء الكريم عن « واقع العالم الإسلامي » اليوم ، وفي الحقيقة أتحدث إليكم عن واقعنا جميعًا ، فهي مسئولية مشتركة وأمانة جماعية ، وكنت أتمنى أن أتحدث عن واقع مشرق جميل زاهر ، يسر المؤمنين ويسر أصحاب الواقع ، ويسر المتحدث ، وإنني بدوري أستطيع أن أصور العالم الإسلامي تصويرًا رائعًا جميلاً ، فإن اللسان يستطيع أن يعطي واقعًا حالكًا كئيبًا ، صورة جميلة مشرقة ، والقلم أقدر من اللسان على ذلك ، ولكن سيكون واقعًا خاليًا أسطوريًا لا صلة له بالحقيقة والواقع ، فسأكون أمينًا وصريحًا في تصوير هذا الواقع ، وإن لم أسر المستمعين الكرام ، ولم أدخل على نفسي السرور ، فالرائد لا يكذب أهله .

إخـــواني ! التناقض في حياة فرد عاديّ ، تحتاج إلى حل وفك وإلى

ܬܫܡܫܬܐ ܩܕܝܫܬܐ

يشغل فكرهم ويستولى على مشاعرهم .

تلتقي النصرانية الصليبية واليهودية الحاقدة على نقطة تضييق الحصار على كل نشاط إسلامي وتخنيق كل صوت يرتفع لصحوة إسلامية تحمل طابعًا عقديًا وتدعو إلى التمسك بجذور الدين والشريعة الإسلامية . إن هذا الالتقاء على هذه النقطة – على رغم المعاداة الشديدة التي تتميزان بها – يدعونا نحن المسلمين إلى التجمع على نقطة الاتصال والتضامن وتمثيل ذلك الجسد الواحد الذي أشار إليه رسول الله -ﷺ- حينما مثّل وحدة المسلمين وأشار إلى قوتهم التي تكمن في هذه الوحدة ضد كل باطل ، أو عدو يتربص بهم الدوائر ، ويركز جهوده على تشتيت شملهم وتوزيع أشلائهم ، « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى » وهو يدعونا إلى تذكّر نعمة الله علينا يوم كنا أعداء فألف بين قلوبنا ، وكنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا منها ، ويدعو إلى الاعتصام بحبله والفرار من كل تفرق ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا • واذكروا نعمة الله عليكم • إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا • وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

لماذا تلتقي القوات المعادية كلها على محاربة الإسلام وتتجمع على القضاء على كل ما يسمى بصحوة إسلامية ، وتغير هذا الاسم فتُلقّبها بالأصولية الإسلامية ازدراءً بشأنها وبغضا وعداوة لها ، ونحن لا نلتقى على مقاومة هذه العناصر المشبوهة العفنة ، ولا نوحّد صفوفنا لكي نرد كيدها في نحرها ؟!

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذبك من شرورهم .

سعيد الأعظمي

ورسلي • إن الله قويّ عزيز ﴾ .

وهناك حقائق كثيرة عن النشاط الغربي الدولي يتركز اليوم على اقتلاع جذور الأصولية الإسلامية ، والقضاء عليها نهائيًا ، فلا غرابة فيما إذا كان زعماء الغرب يسهرون على هذه الجبهة ويقلقون للصحوة الإسلامية التي تشمل جميع المجتمعات والبيئات وتأخذ بالألباب ، وهي التي تقض مضاجعهم وتشغل أفكارهم ، فلم يهتدوا إلا إلى تغيير عنوان الصحوة الإسلامية بالأصولية الإسلامية ، ازدراءً بها وحطًا من شأنها ، وتعبيرًا عما يضمرونه في أنفسهم من احتقار شأن المسلمين الذين يتمسكون بأصول الدين وشعائر الإسلام ، ولا يحيدون عن ذرة مما يوحى إليه تعاليم الإسلام للحياة الإنسانية وإقامة صرح الحضارة الإسلامية .

كل ما يحيكه الغرب من مؤامرات ضد صحوة تغزو العقول ، وتخرق الحواجب والسدود لكي تقود الإنسان التائه الحائر إلى حياة طبيعية ، إنما هو عمل صبياني لا يعدو ألاعيب الأطفال ومعارضهم التي يقيمونها للتسلية أو التدريب على بناء مستقبل حقير ، ذلك أن ما يريدون القضاء عليه وتدميره سواء بالعلم أو بأساليب الثقافة والاجتماع والتنمية وبناء العالم الحضاري للقرن الحادي والعشرين ، سوف يخلد مع الأيام ، وتتزايد ضرورة الإنسان إليه مع مرور كل يوم وساعة ، فإن الحضارات المادية لم توفر له الأمن والهدوء ، ولم تغذ قلبه بوجبة معنوية روحية يتطلع إليها القلب بطبيعته التي خلقه الله تعالى عليها ، وهي وجبة الذكر لله والالتجاء إليه عند كل رغبة ورهبة ، كما صرح بذلك كتاب الله العظيم : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وإن سد الطريق نحو صحوة القلب وصحته بسدود افتراضية وبقوة الحديد والنار لن يحل اللغز الذي

سحق المجتمعـــــات الإسلامية وتصفية الإسلاميين الذين تصفهم بالإرهابيين والأصوليين ، وتعتبرهم خطرًا كبيرًا على الأمن والسلام والاستقرار والاقتصاد . وقد وضع زعماء الغرب أساليب عديدة لتعريف هذه الفئة الإسلامية ، و خططوا لمعالجة القضية مشاريع مهمة على المستوى العالمي ، كعقد ندوات ومؤتمرات واجتماعات قمة ، للتوصل إلى الحل السريع لهذه المشكلة التي أورثتهم الأرق والتعب ، وملأ قلوبهم بالخوف الشديد والذعر على مستقبلهم . فلو لا أنهم أقاموا سدودًا على هذا السيل العرم من الأصولية الإسلامية لغمرهم ، وجرفهم إلى حيث يصعب لهم أن يعودوا منه .

من هنالك أدركهم القلق الشديد ، وهم يبذلون الان كل ما يمكنهم من جهود وطاقات في محاربة هذه الأصولية ودفنها في مهدها ، ولعلهم توصلوا إلى أن لا يدعوا أسلوبا من أساليب الغزو والفتك والتدمير وإخراج هيبة الدين والعقيدة من قلوب المسلمين إلا ويعملوا به وينفذوه عمليا ، وما هذه المؤتمرات التي تسمى مؤتمرات القمة والتي عقدت إلى الآن على مستوى الأقطاب ورؤساء الدول ، كمؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة على قرار من الأمم المتحدة في شهر سبتمبر المنصرم ، ومؤتمر التنمية الاجتماعية في كوبنهاجن ، و مؤتمر « المرأة » الذي يعقد في الصين في شهر مايو ١٩٩٥م ، ليست هذه المؤتمرات إلا سلسلة من المخططات العلية والثقافية التي تسدد سهامها المسمومة صوب الأمة الإسلامية وتحاول إذابتها في بوتقة الإباحية والإلحاد ، ولكنها محاولات سوف تبوء بالفشل الـ ع وليغلبن الإسلام ولتعلون كلمة الله تعالى : « إن الذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلّين • كتب الله لأغلبن أنا

الغربية والشرقية كلها تسانده بالقوة والسلاح وتمده بالجنود والمعدات الحربية الفتاكة . لكان العدو الصربي العنيد والكروات كلهم قد انسحبوا عن ميدان القتال . وتركوا المسلمين هناك يعيشون في أمن ودعة وسلام . ولكن الحقد الصليبي اليهودي فرض عليهم حربًا مشئومة ذهب ضحيتها ما لا يأتي عليه الحصر من نفوس وأرواح بريئة ذكية .

ولننتقل إلى الشيشان حيث العدو الروسي المعاند يستمر في القصف الجوي ، يدمّر البلدان والقرى ، ويُهلك الحرث والنسل ، ويحشر كل طاقاته من الجنود والسلاح والصواريخ والقنابل ضد المسلمين في الشيشان ، الذين يقاومون العدو الروسي بكل ما يمكنهم من قوة وبطولة وإيمان ، وهم يتمتعون بروح الجهاد لله تعالى ، وتلمع عيونهم بالثقة في نصر من الله وفتح قريب .

هذا مع العلم بأن روسيا وإن واجهت الإخفاق في مجال الأيدلوجية الاشتراكية البلشفية ولكنها لا تقل في معاداة الإسلام والنقمة من المسلمين الذين كانوا سببًا في سقوط الشيوعية ، من الغرب الحاقد على الإسلام ، بل الواقع أن روسيا أشد عداوة للإسلام والمسلمين ، وهي لا تراعي إلا ولا ذمة وإنما تتظاهر بالقسوة والهمجية بعيدةً عن كل حكمة وذكاء ، وما يجرى في الشيشان ضد سكانها المسلمين أكبر شاهد على ذلك ، إنها تضمّ صوتها مع صوت الغرب للقضاء على « الأصولية الإسلامية » مهما كانت المصالح السياسية تجعلها في معسكر مستقل ، له شهرة في إنتاج آلات الحرب المدمرة والقنابل الكيمياوية ذات الفاعلية الموسعة ، كما أن دورها خلال الحرب الكونية الثانية لم يعد خافيًا على العالم .

تتجمع اليوم عقول كبيرة من جنسيات غربية مختلفة وتتفق على

إخراج هيبة الإسلام كدين كامل ومنهج إنساني شامل من قلوب الناس . وتقنعهم بذهاب دولته وانطواء بساطه . وكونه دينا لاطرافة فيه للإنسان ولا غناء فيه للحياة . ومن هنالك زعموا أن الاصرار على تقديس أصوله وتنفيذ شريعته يشكل خطرًا كبيرًا على السلام العالمي . ويساعد في متدهور الاقتصادي وتأخير عجلة الحضارة إلى الوراء .

«الأصولية الإسلامية عند مفكري الغرب رمز للسفاهة والحمق والجنون . وعلامة للجهل والغباء . لذلك فإن القائمين بهذه الأصولية والمرابطين على ثغرها لا مكان لهم - فيما يزعمون - إلا في المعتقلات وغياهب السجون . والذين يابون إلا أن يتمسكوا بها . فلا حق لهم للعيش في هذه الدنيا مع المجتمعات البشرية . وإنما يجدرون بالتصفية . والقضاء على وجودهم نهائيًا . ولا شك فإن أوضاع المسلمين في العالم اليوم في غاية من الضعف والتردّى كأنهم واقفون أمام فوهة بركان يكاد يتفجر عليهم ويأتي عليهم من كل جانب .

هذا ما نشاهده في البوسنة والهرسك حيث يُقتّل المسلمون ويُنسفون بالقنابل المدمرة والأسلحة الفتاكة الحديثة . بغاية من القسوة ومن غير تمييز بين الرجال والنساء والشيوخ والولدان . ورغم تعاهدات الصلح واتفاقيات الهدنة تستمر الحرب ضد المسلمين الذين يقولون ربنا الله . ويُصرّون على الاعتصام بحبل الله والتمسك بشريعة الإسلام . ولا يبالون بما إذا ظل العدو الماكر واقفا بالمرصاد يتربص بهم الدوائر ويباغتهم بالهجمات المتتالية وبأسواط التعذيب من كل لون . إنهم واثقون بنصر الله وبأن العاقبة لهم بمشيئة الله تعالى . وفعلا جرب العدو هذه الروح الإيمانية الصامدة . والعزيمة الصادقة . ولو لا أن المعسكرات

محتويات العدد

الافتتـــــــاحية :

التوجيـــــه الإسلامي :

الـدعوة الإسلاميـــــة :

دراسات و أبحـــاث :

قـــــراءة في كتاب :

أخبار اجتماعية وثقافية :

أنشـــأهـــا :

نقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد الخامس

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :	محرم - صفر ١٤١٦هـ
سعيد الأعظمي الندوي	يونيو - يوليو ١٩٩٥م
واضح رشيد الندوي	

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

في آخر كلمة قدم بها هذا الكتاب :

« وكان من توفيق الله تعالى ومنته ، أن اختار لإبراز هذا الكنز وتسهيل الإفادة منه أخانا في الله الأستاذ الفاضل الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي ، وكان بذلك جديرًا وعليه قديرًا ، لاشتغاله بهذا الموضوع واعتنائه بمصادره ، شرحًا وعرضًا وبحثًا ، وقد قارن بين النسخة المخطوطة والمطبوعة ، وإذا كان هنالك اختلاف ذو بال نبه عليه ، وجعل المخطوطة أصلاً ، كذلك عزا نصوص الكتاب لمصادرها ومظانها ، بقدر الإمكان ، وترجم لبعض الإعلام ممن رأى الحاجة داعية إلى ترجمته ، إلى غير ذلك ، مما يعتبر خدمة لهذا الكتاب وتسهيلا للطالع المستفيد ، وباعثًا للاعتماد على هذه الطبعة الجديدة والاستفادة منها ، فله أجر الخادمين لهذا الفن الشريف ، وشكر القراء والمستفيدين ، وأملي أنه إذا اطلع على هذا المجهود العلمي والعناية بالكتاب مؤلفه وشارحه - رفع الله درجاتهما وأجزل ثوابهما - شكرًا-صاحب هذا العمل المفيد والمأثرة العلمية ، فضلاً عن شكر القراء والمستفيدين من هذا الكتاب في حلة طباعية جميلة ، صحيحة منقحة » .

وقد كانت لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) منة كبيرة على أصحاب العلم والتحقيق باسهامه في خدمة التراث الإسلامي الديني والعلمي ، وإن هذا الكتاب يحظى بتعاون المركز واسهامه في نشره مع دار القلم للنشر والتوزيع بدولة الإمارات لصاحبها سعادة الأستاذ السيد محمد علي دولة ، التي بالغ في الاهتمام بإخراج هذا التراث في صورة أنيقة وطباعة جميلة .

فلله الحمد الذي تتم بنعمته الصالحات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٧٧٧

فلما علم بذلك سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي - حفظه الله تبارك وتعالى - شجّعني على إخراج هذا الكتاب النفيس وطبعه فاستجبت لأمره .

وها هو ذا كتاب ظفر الأماني أمام القارئ والباحث في طبعته الجديدة .

عملي في هذا الكتاب :

١- قد قدمت مقدمة تشتمل على ترجمة الجرجاني والتعريف بكتابه وترجمة الشارح الإمام اللكنوي . وأهمية طبع كتابه : « ظفر الأماني في مختصر الجرجاني » .

٢- قارنت بين النسخة المخطوطة والمطبوعة . وإذا وجدت تغايرًا ذا بال نبهت إليه . وجعلت المخطوطة أصلا للتحقيق .

٣- عزوت نصوص الكتاب لمصادرها ومظانها بقدر الإمكان . وصححت الكتاب إذا كان فيه خطأ . وإن سقطت عبارة من الكتاب فزدتها بين القوسين في الأصل . ولكن إذا اختصر الإمام اللكنوي عبارة من المراجع ليس فيها خلل في المعنى فاكتفيت بعزو العبارة إلى المصدر .

٤- وترجمت لبعض الإعلام إذا رأيت الحاجة داعية إلى ترجمته .

٥- علقت على مراجع كثيرة من الكتاب بما يستكمل مقاصده ويزيد فرائده وفوائده .

٦- كان المؤلف - عليه الرحمة والرضوان - كعادته في أكثر كتبه قد علق في حواشي الكتاب تعليقات وختمها بقوله : (منه) فإني وضعت محله (ش) إيذانًا بأنها من المؤلف الشارح .

٧- وضت فهرسًا عامًا للكتاب » .

ويقول سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

ينير سبيله ويسهل مهمته ، ويوفر عليه وقته وجهوده .

قال الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف عن هذا الكتاب : هو لباب في هذا الباب (١) . وقال الشيخ عبد الفتاح : هو من أكبر ما ألف فيه (٢) .

وقد استفاد منه كثير من العلماء منهم : الشيخ محمد زاهد الكوثري في مقالاته . والعلامة محمد جمال الدين القاسمي في كتابه : « قواعد التحديث » (٣) .

وطبع هذا الكتاب بعد وفاة المؤلف سنة ١٣٠٤هـ في مطبعة چشمة فيض بلكناؤ .

وله نسخة مخطوطة بخط المؤلف الشارح في مكتبة مولانا آزاد العامة بجامعة عليجراه في قسم مخطوطات فرنگي محل رقم ١٤٨/١٠٧ وهي تشتمل على ٢٤٧ ورقة بالقطع الكبير .

وحصلت لي صورة هذه النسخة بطريق مايكرو فيلم .

لهذا كان الكتاب بحاجة إلى تحقيق وتعليق ونشره في ثوب قشيب وطبع جميل .

ولما بدأت التحقيق والتعليق على كتاب : « التعليق الممجد على شرح الموطأ للإمام محمد » . كنت أكتب في أثناء هذا العمل تعليقات على كتاب « ظفر الأماني » أيضًا وبعد طباعة « التعليق الممجد » أعدت النظر على هذه التعليقات ، وزدت عليها زيادات .

---

(١) « المبتكر الجامع لكتابي المختصر والمعتصر في علوم الأثر » : ص/٩٤ .
(٢) مقدمة التعليق الممجد : ص/٤٧ .
(٣) « قواعد التحديث » : ص/١١٨-١٢١ .

من كتب التراث :

ظفر الأماني في مختصر الجرجاني

س. الأعظمي

السيد علي بن محمد بن علي الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، من علماء القرن الثامن الهجري ، ولد بقرية طاغو من ولاية استرآباذ بجرجان .

ومن مؤلفاته القيمة في علم مصطلح الحديث حاشيته على خلاصة الطيبي التي كانت تدعو إلى شرح يكفى لحل غوامضها وبيان معضلاتها، فقيض الله سبحانه لهذا العمل العلامة عبد الحي بن عبد الحليم الفرنجي محلي اللكنوي (م ١٣٠٤هـ) فتناول متن خلاصة الطيبي بالشرح لفظيًا ومعنويًا وسماه : « ظفر الأماني في مختصر الجرجاني » ولكن هذا الشرح كان بحاجة ماسة إلى تحقيق وتعليق وتخريج نصوصه وإبرازه في حلة قشيبة متحلية بحلية من النظر والتحقيق جميلة .

وقد وفق الله سبحانه للقيام بهذا العمل العلمي الوجيه فضيلة الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الإمارات في العين بدولة الإمارات العربية المتحدة ، فعكف على هذا العمل وأنجزه بما قد تحدث عنه المحقق الفاضل في مقدمة الكتاب ، ولنقرأ ما كتبه بقلمه :

« هذا الكتاب العظيم والشرح الجليل أحد الكتب الكبار التي ألفها الإمام عبد الحي اللكنوي ، من كتبه الكثيرة البالغة ١٢٠ كتابًا .

وسيجد القارئ فيه فوائد وعلومًا قد تفرقت وتناثرت في كتب هذا الموضوع ، فجمعها الشارح في هذا الكتاب ، ويجد فيه المعلم الحاذق ما

المغرب وحتى اندونيسيا » . « لابد أن ينتظم مئات الملايين من المسلين في وحدة جامعة متينة حتى يخرجوا من دائرتهم الموصوفة بالتخلف والقهر والاعتماد على الآخرين » . « إن الإسلام يحتوي على كل المبادئ التي تضمن وحدة المسلين . والإسلام ليس قومية ، ولكنه فوق القوميات لأنه يوحدها » . على هذه المعاني وغيرها التف حول علي عزت بيجوفيتش نفر من شباب البوسنة ، ودفع علي عزت بيجوفيتش ومن حوله من الشباب ضريبة الأفكار الإسلامية الصافية والهدف المنشود الذي أعلنوا عن رغبتهم في تحقيقه والوصول إليه فاعتقل عزت بيجوفيتش مع عدد من الشباب المحيطين به في عام ١٩٨٣م ، وحوكموا بتهمة « الدعاية الإسلامية » وحكم على بيجوفيتش بالسجن لمدة ١٤ عاماً ، قضى منها ست سنوات ، ثم أفرج عنه مع إخوانه في عام ١٩٨٩م ، حيث أسس حزب العمل الإسلامي الذي اكتسح الانتخابات التي جرت في البوسنة عام ١٩٩٠م ، و وصل إلى رئاسة الدولة ، ويسعى عزت بيجوفيتش منذ ذلك الوقت للحفاظ على كيان البوسنة وإعادتها إلى هويتها الإسلامية .

ويتضح البعد الإسلامي في خطب بيجوفيتش وتوجيهاته إلى شعب البوسنة ، والتي تمتلأ بالاستشهادات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وهذا من أهم الأسباب التي جعلت الغرب يهاب الرئيس بيجوفيتش ويتهمه بـ « الأصولية » . [يتبع]

[مع الشكر للزميلة العزيزة « المجتمع » الأسبوعية الكويتية]

من بين الذين اعتقلوا وسجنوا في ذلك الوقت بنفس التهمة ، الرئيس الحالي للبوسنة علي عزت بيجوفيتش . حيث كان في العشرين من عمره في ذلك الوقت وحكم عليه بخمس سنوات قضى معظمها في السجون ، حيث أفرج عنه في عام ١٩٥٢م .

ويبدو أن فترة الاعتقال مع نظام القمع الذي كان يحكم به تيتو يوغسلافيا السابقة ومن بينها البوسنة ، قد حال بينهم وبين مواصلة مسيرتهم الدعوية بشكل ظاهر إلا أن هذا لم يمنع الامتداد السري للعمل الدعوي الإسلامي الصحيح . وقد كانت هناك مجموعة تبحث عن الحق وسط هذا الظلام ظلت تواصل مسيرتها حتى خرج علي عزت بيجوفيتش في عام ١٩٧١م برسالته الجامعة التي أصدرها تحت عنوان « البيان الإسلامي » فكانت خلاصة للفكرة التي يبحث عنها مسلمو البوسنة ، ثم تلاها بكتابه « الإسلام بين الشرق والغرب » وقبل ذلك وبعدها بسلسلة من المقالات والكتابات التي أعادت « المجتمع » نشرها بالعربية لأول مرة خلال عام ١٩٩٤م . ومن خلال ما طرحه علي عزت بيجوفيتش في « البيان الإسلامي » يتضح مدى العمق والبعد الإسلامي الذي يتمتع به الرجل ، يقول عزت بيجوفيتش ، في البيان الإسلامي : « إننا نريد بخطوات واثقة أن نقف على بداية طريق العودة إلى سيادة أنفسنا ومستقبلنا ، إننا يجب أن نستفيد مرة أخرى من عبقريتنا الإسلامية ، وبذلك نستطيع سلوك الصراط المستقيم نحو الهدف المنشود وهو إقامة الإسلام على كل الأصعدة ، لدى الأفراد ، وفي إطار العائلة والمجتمع ، وذلك من خلال العودة إلى العقيدة الإسلامية وإقامة مجتمع إسلامي موحد يمتد من

ويلاته . فهجم النمساويون على البوسنة وأخضعوا سراييفو لسيطرتهم في ١٨٩٧م . وكان هذا التاريخ بداية لسلسلة من المذابح وحروب الإبادة التي تعرض لها المسلمون حتى وصل الحال إلى الحرب العالمية الثانية . فبلغ عدد المسلمين الذين أبيدوا خلالها مائتي ألف مسلم . وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر بعض معالم الصحوة الإسلامية في البوسنة التي حملها بعض البوسنويين الذين درسوا في الأزهر ورجعوا إلى بلادهم يحملون فكر الإخوان المسلمين ورسائل الإمام البنا التي ترجموها سرا إلى البوسنوية . وبدأوا يسربونها إلى الشباب . ومن هؤلاء العلماء الشيخ حسين الجوزو . وقد كان من كبار العلماء في البوسنة . والشيخ دوبرتشا قاسم . والشيخ عبد الله دروفيتش . والشيخ مصطفى سيرتش . وهو الوحيد الباقي من هذه المجموعة على قيد الحياة . ويبلغ الآن الخامسة والثمانين - أمد الله في عمره - وقد ذهبت لزيارته في منزله في سراييفو ففرح كثيرًا بزيارتي . وأخذ يحدثني حديثا مسهبا عن السنوات التي قضاها في مصر خلال الثلاثينيات . حيث أنهى دراسته في الأزهر . وعاد إلى سراييفو في عام ١٩٢٨م . وظل إماما وخطيبا للمسجد الكبير ومسجد الغازي خسروبك - وهما أكبر مسجدين في سراييفو - ما يزيد عن خمسة وأربعين عامًا . وهو محال الآن للتقاعد .

وقد تعرضت هذه المجموعة للاعتقال في بداية عهد تيتو . فقضوا عامين في سجون تيتو من العام ١٩٤٥-١٩٤٧م . بتهمة انتمائهم للإخوان المسلمين . ثم اعتقلوا بعد ذلك مرة أخرى لعدة أسابيع . وكان

خمسة قرون مضت أطللت من خلالها على سراييفو ، فوجدتها عاصمة الصحوة والثقافة الإسلامية في أوربا منذ فتحها العثمانيون في عام ١٤٦٢م ، ولموقعها الاستراتيجي المميز في قلب أوربا ، فقد جعلوها مركزًا ينطلقون منه لفتح باقي مدن أوربا ، وفي الوقت الذي كانت تغط أوربا فيه في ذلك الوقت في التخلف والهمجية وسيطرة الإقطاع على مقدرات الناس وحياتهم ، سرعان ما انتشرت في سراييفو المدارس ومنارات العلم والمكتبات التي كان يرتادها الأوربيون للاطلاع على حضارة وثقافة المسلمين الفاتحين ، حتى إن عدد المجامع العلمية في سراييفو وحدها بلغ ٨٥ مجمعًا . يتألف المجمع من أكثر من طابق ، كما كان هناك عشرات التكايا والزوايا ودور الحديث ، وكانت هناك أوقاف تجري على المعلمين وطلبة العلم .

أما المساجد وهي بالعشرات فقد كانت محاضن للتربية وإعداد الأجيال ، وكانت سراييفو تُعرف في ذلك الوقت ، بعاصمة الثقافة والعلم في أوربا ، ثم أخذ يخبو نجمها ويأفل مع أفول نجم الخلافة الإسلامية العثمانية حتى دمر النمساويون كثيرًا من معالمها حينما اجتاحوا البوسنة في عام ١٨٩٧م ، ودمر الصرب ما تبقى في حربهم الهمجية التي لا زالت مستعرة هناك منذ عام ١٩٩٢م .

بيجوفيتش .. و معالم الصحوة الحديثة : حينما أخذ الضعف يدب في أركان الخلافة الإسلامية العثمانية في نهاية القرن الماضي كانت سراييفو هي خط المواجهة الأول الذي تلقى أحقاد الغرب الصليبي و

في قلب أوربا .

جذور الصحوة : كان المسجد الكبير في العاصمة البوسنوية المعاصرة سراييفو يعج بالمصلين وأغلبهم من الشباب ، وبعد انتهاء صلاة الجمعة وقفت في مكان مرتفع قليلا في المسجد ارقب المصلين وهم يتعانقون بعد الصلاة ويتحادثون ، ولم يقطع شرودي سوى أدس هودج وهو شاب بوسنوي تعرفت عليه صباح وصولي للعاصمة سراييفو ، وأبلغني أنه رافق كثيرًا من الصحفيين الغربيين الذين زاروا سراييفو وعرض على خدماته ، فرتبت معه بعض الأمور ، وحينما وجدني هودج شاردًا ، قال لي والفرحة تملأ وجهه : ما رأيك يا أخي في هذه الصحوة الإسلامية التي تعم مساجد البوسنة ؟ قلت له : إنها تبشر بعودة الإسلام إلى هذه البلاد ..

كانت إجابتي عفوية إلا أن صاحبي لم يتلقها بعفويتها ، وإنما امتقع وجهه فجأة وعلاه الغضب ، ثم قال لي بحدة : ما هذا الذي تقول ؟ إننا مسلمون يا أخي قبل خمسمائة عام ، وإن الإسلام قديم هنا قدم هوية هذا الشعب المسلم ، وإن منا من يفهم الإسلام ربما أفضل من كثير من المسلمين المقيمين في دول العالم الإسلامي ..

انتظرت صاحبي حتى هدأت فورته ، ثم أفهمته مقصدي ، فهز رأسه مبديا تفهمه في النهاية ، غير أن فورة هودج أعادتني إلى جذور المظاهر الإسلامية ، ليس في البوسنة على وجه العموم ، وإنما في سراييفو على وجه الخصوص .

سراييفو .. عاصمة الثقافة الأوربية : أعادتني كلمات هودج إلى

الإسلامية في البوسنة وكيف أن هذه الصحوة تعتبر - حسب زعمهم - خطرا يهدد حضارتهم وكيانهم . مما جعل الدول الغربية تعطي الضوء الأخضر للصرب حتى يواصلوا حرب الإبادة التي يقومون بها ضد مسلمي البوسنة منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات .

المظاهر العامة للصحوة :

قبل قيام الحرب في البوسنة كان الحجاب الإسلامي يشكل منظرًا شاذًا وخارجا عن المألوف ليس في البوسنة على عمومها وإنما حتى في المناطق الخاصة بالمسلمين . وكانت ندرة ارتداء الحجاب لدى النساء المسلمات تصل إلى مستوى زوجات وبنات بعض العلماء الدينيين الرسميين . أما الآن فقد أصبح الحجاب حتى للأطفال الصغيرات من المظاهر التي لا تغيب عنها العين في مدن البوسنة وشوارعها خاصة في العاصمة سراييفو . أما المساجد التي لم يكن يرتادها قبل الحرب سوى العجزة وكبار السن فأصبحت تغص الآن بالشباب المسلم وقت كل صلاة . وانتشرت المدارس الإسلامية وكتاتيب تحفيظ القرآن . وصدر قرار من الحكومة البوسنوية في عام ١٩٩٢م . يمنع بيع الخمور في الأحياء المسلمة والأماكن القريبة من المساجد . كما أصدرت الحكومة قرارًا يلزم أصحاب محلات الخمور بعدم بيعها لمن هم دون الثامنة عشرة .

كما أصدرت الحكومة قرارا إلزاميا بتدريس مادة الدين الإسلامي لأبناء المسلمين في المدارس بعد ما منعتها الشيوعية ما يقرب من خمسين عاما . وانتشرت فرق الإنشاد الديني في المساجد . وأصبحت هناك جمعيات

معالم الصحوة الإسلامية في البوسنة والهرسك

أحمد منصور – من سراييفو

« لو لم تكن هذه الحرب لنسينا ديننا خلال عشر سنوات ، وأصبحنا شعبا أوربيا لا يختلف كثيرًا عن الفرنسيين ، ولكن الحصار الشديد وقسوة الحرب والموت المحيط بنا من كل جانب كان دافعًا أساسيًا لنا من أجل العودة إلى ديننا وإلى هويتنا الإسلامية » .

بهذه العبارة أوجز لي الدكتور أنس قاريتش – وزير التربية والتعليم والشباب والرياضة البوسنوي – السر الحقيقي وراء مظاهر الصحوة الإسلامية ، والتي تعم أرجاء البوسنة التي أصبحت مثار اهتمام الغرب وربما سببا من أسباب تخليه عن دعم المسلمين في البوسنة وتشجيع الصرب لإبادتهم . وقد عبر عن ذلك جمال الدين لاتيتش – رئيس تحرير صحيفة « لليان » – التي تعتبر صوت المسلمين في البوسنة فقال : « إن الغرب تخلى عنا بحجة أننا متطرفون ، نمثل خطرا على ثقافته وحضارته في وقت لم نكن نعرف فيه عن الإسلام شيئًا ، وخلق ذلك ما نسميه نحن صحوة إسلامية ، وما يسميه الغرب تطرفا ، وها هم الغربيون يجوبون مدن البوسنة لجلب الأدلة على تطرف المسلمين هنا ، وضرورة حرمانهم من ال [illegible] استحقاقهم للإبادة » .

وقد عكس صدق رؤية لاتيتش الكم الهائل من التقارير والموضوعات التي أصبحت تتناولها وسائل الإعلام الغربية عن مظاهر الصحوة

مستمرة ، تهدد أن تكتسح الحضارة الغربية .

أبدت المجلة التناقضات في مواقف أوربا إزاء الحركات الإسلامية ، فقالت : إنها تحاربها من جانب وتدعمها من جانب آخر ، وكتبت تقول في مقال بعنوان : « العيش بالإسلام » :

« خذ أي متطرف إسلامي يدبر للإرهاب بنطاق واسع ، تجده قد نال تدريبه بأيدي رجال المخابرات الأمريكية للحرب في أفغانستان ضد روسيا ، أو تجده عضوًا لحماس دربته إسرائيل لمواجهة حركة تحرير فلسطين أو عضوًا من أعضاء الإخوان المسلين دربهم أنور السادات لمقاومة اليساريين المصريين .

وأعربت المجلة عن رأيها بأن أشد الأصوليين والنظم الأصولية لها صلات قريبة بأمريكا ، وقالت : إن أمريكا هي أكبر شركاء إيران في التجارة ، وأبدت المجلة رأيها في مقال آخر : إن احتلال العراق للكويت كان جزءًا من مؤامرة أمريكا .

إن هذه التصريحات عن الإرهاب الإسلامي المزعوم تصدق الأخبار والتقارير الواردة من مختلف أنحاء العالم أن كثيرًا من الحوادث مثل الانفجارات ، وأعمال القتل التي تلقى مسئوليتها على الحركة الإسلامية ، هي من تدبير المخابرات الأمريكية ، أو المخابرات الصهيونية ، بغرض مقاومة الزحف الإسلامي ، وتبرير الإجراءات القاسية ضد العاملين للإسلام وشن حملة الكراهية ضد الإسلام والقرآن الكريم والكتب الدينية التي يستمد منها الوعي الإسلامي .

وهذه فرصة سانحة لكشف القناع عن هذه المؤامرة العالمية التي تهدف إلى التطويق بالبعث الإسلامي .

وكتاب حكمة ، وقد سحر هذا الكتاب الكفار والمشركين في الماضي ، ولا يزال يسحر العقلاء والمثقفين في العصر الحاضر ، ممن نشأوا في البيئة الأوربية ، وعددهم لا يستهان به ، ومن يقرأ تقارير دخول كبار الفلاسفة ، والعقلاء الأوربيين في الإسلام ، يعرف دور القرآن الكريم في هدايتهم ورشدهم .

لقد بلغ ذعر الحاقدين للإسلام في الإسلام ، ومن سرعة انتشاره ، ومن تأثير القرآن الكريم في تكوين الذهن ، وفي جذب أهل العقل والحكمة مبلغ الكراهية الشنيعة التي تعدت إلى إنكاره بكامله ، وكان هذا الخوف هو الذي دفع بعض الكارهين في الهند إلى رفع قضية ضد القرآن الكريم في المحكمة بتهمة أنه يعلم العنف والقتل ، والتقطوا الآيات التي تأمر بالقتل ، وجاءت في مواضع مختلفة ، وقطعوها عن صلتها بالأوضاع ، ولكن القضاة كانوا أكثر عقلا منهم فرفضوا هذه القضية .

ودفع هذا الخوف بعض الأوساط في العالم إلى الهجوم على الكتب الدينية و وصفها بالكتب الصفراء ، وأثاروا الشكوك والشبهات في المدارس الدينية واتهموها أنها تعلم العنف ، وهو يدل على جهلهم ، أو تبعيتهم لقوى الكفر ، فإن هذه الكتب تعلم الأخلاق والنبل ، والمروءة ، والصلاح والإصلاح بين الناس ، وقد سلك الاستعمار في أول عهده هذه السياسة فاقفل الكتاتيب القرآنية ، وفي العصر الحاضر الذي بدأ الاستعمار فيه يستأنف حياته ، ويعيد سيطرته على بعض الدول الإسلامية ، ، أصبح شغل بعض الكتاب الشاغل أن يبثوا السموم عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والكتب الدينية الأخرى ،

[illegible]

ولا شك أن القرآن الكريم مصدر أول من مصادر الدين الإسلامي وأن الصلاة ركن ثان للإسلام ، بعد العقيدة ، ولكن الحياة الإسلامية حياة واسعة مستمدة من تعاليم القرآن والحديث النبوي الشريف ، والقرآن دستور للحياة ، وهو يشتمل على التعاليم الربانية التي كان محورها الرئيسي العقيدة الصالحة ، والعمل الصالح ، والإصلاح والهداية ، وهو كتاب هداية ، يعلم الأخلاق ، والمثل الإنسانية النبيلة ، ويعين وظيفة الإنسان في الأرض كخليفة الله ، أما القتال فله آداب وأصول وظروف معينة ، وقد دفع الحقد والكراهية للإسلام والخوف من تأثير القرآن ، الحاقدين إلى الطعن في هذه المصادر واعتبارها مصدرًا للعنف ، والواقع أن القرآن الكريم كتاب حق وحكمة ، يدعو إلى العمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، ويحث على العلم ، والتدبر في خلق الله ، وحسن الخلق ، وينعى على البغي والطغيان وكفر النعمة ، وفيه هداية للبشرية ، وتعليم لقيم الإنسان ، وقد قدم القرآن الكريم مثالا للرجل المثالي الذي يعد من عباد الرحمن ، فقال : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا • وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ .

وذكر القرآن الكريم سمات هذا الرجل المثالي أنه لا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يشهد الزور ، ولا يسرف ، ولا يقتر ، ويصبر ، ويعمل عملاً صالحًا ، وشرح القرآن وبين آداب الحياة المثالية التي تسعد بها الإنسانية ويشيع بها الخير ، والرفق ، والطمأنينة ، حتى السلوك مع الأعداء سلوكًا حسنًا ، فقال : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا • اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ وحتى الإساءة إلى من يدعو من دون

شعـــــــر :

انعتـــــــاق

سعادة الدكتور حيدر الغدير

أرجو أن يقبل بستان الشاعر العظيم محمد إقبال بضم هذه الزهرة إلى وروده ورياحينه إن رآها جديرة بذلك

هواي قيود تشد الوثاق ... و روحي بذروة سبع طباق
و قيدي من الطين عبء ثقيل ... يعوق خطاي فلات انعتاق
و خوفي من الموت أوهى الخطى ... و أوهن قلبي بوهم الفراق
تمزقت بين المنى و الظنون ... فبعضي شآم و بعضي عراق
و بعضي عجز بسفح كئيب ... و بعضي كالنور حين انطلاق
و بعضي نسر يجوب الفضاء ... و بعضي وهم و دمع مراق
أريد السمو و ما أستطيع ... و آي القيود التي لا تطاق
و عزمي أسيرٌ يريد الفكاك ... و يأبى الهوى و الونى و النفاق
فمن لي بعزم يفل الحديد ... و من لي بحزم يفك الوثاق
و من لي بسيف أبي جموح ... و من لي بروح كخيل عتاق
و من لي بقلب يجوب الدنى ... على صهوة أو مضت كالبراق
سكت و بعض السكوت البيان ... و قلت و بعض الكلام احتراق
و بعض المواقف من ذلها ... موات ، و بعض سنا و ائتلاق
و بينا أنا سابح في الغيوب ... أرجيّ الضياء و أخشى المحاق
إذا صيحة جلجلت كالرعود ... و طعم الحقيقة مرُّ المذاق
تقول إذا شئت طوق النجاة ... فكن فارسًا من رقاد أفاق
و كن قبسًا من شعاع الكتاب ... و لله منك السرى و المساق
و أحرق سجون الدنى و الضلال ... و مزق صفوف الهوى و الشقاق
و أحرق لذيذ الرقاء الكسول ... وريث الكماة و عجز الرفاق
و حاذر حياة الفتاء الرخيص ... و خوفًا أناخ و وهنًا أحاق
و أوقد بروحك نار الهدى ... و أسرج خيولك نحو السماق
و كن ومضة النور للحائرين ... و في حلبة السبق نجم السبـــاق

يكون بعيدا جدًا عن المكان الذي يستخدم فيه هذا الرمز .

٢- ibid (ibidem) أي « في نفس المكان السابق » أو « نفس المصدر السابق » .

ويستخدم هذا الرمز مباشرة في الهامش التالي أو الهوامش التالية لذكر مصدر ما حين تكون الإشارة إلى نفس المصدر ، ويضاف رقم الصفحة فقط في الهوامش التالية في حالة اختلافها ، وعدم ذكر رقم الصفحة يعني أن الكاتب يشير إلى نفس الصفحة أو الصفحات التي أشار إليها من قبل ، ويمكنك الاستمرار في استخدام هذا الرمز ما دام نفس المصدر مستمرا في الهوامش بدون انقطاع ، أما لو انقطع فتعود إلى « في المرجع المشار إليه » (op. cit) أو « في الموضع المشار إليه (Loc. cit.) حسب الحاجة مع ذكر اسم المؤلف .

وفي حالة بعد المرجع السابق بمسافة كبيرة ينبغي إعادته بذكر رمز مفهوم ، مثلا لو كنت تستخدم كتابًا واحدًا فقط للطبري أمكنك رمزه بـ« الطبري » فقط ، أما لو استخدمت تفسيره وتاريخه معا في بحث واحد فيمكنك الرمز إليهما كما يلي :

الطبري ، تفسير .....   الطبري ، تاريخ ....

وهكذا لا تقول : « السيوطي ، المصدر السابق » لو كنت ستستخدم عدة كتب له إلا لو كان ذلك قريبا جدًا من ذكر المصدر المراد ، وإلا اختر له عدة رموز مثل :

= السيوطي ، الدر (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) .

= السيوطي ، الإكليل (الإكليل في استنباط التنزيل) .

= السيوطي ، إتقان (الإتقان في علوم القرآن) .

= السيوطي ، شرح النسائي (شرح سنن النسائي) .

= السيوطي ، تنوير (تنوير الحوالك شرح على مؤطأ مالك) إلخ ..[يتبع]

من الاقتباسات التي تستبقيها تلك الأجزاء التي لا يتأثر نقاشك بحذفها ، وأحيانا يكفيك أن تقدم خلاصة وثيقة أو اقتباسات منها بدلا من إيراد نصها بالكامل . فالمطلوب عموما ليس أكثر من جملة تصبح جزءا من سردك العام . ولو شعرت بوجوب إيراد الوثيقة بكاملها فيمكنك في هذه الحالة وضعها في ملحق في نهاية البحث .

ويجب أن يحتوى ثبت المراجع على المصادر المخطوطة والمطبوعة . والمطلوب في المصادر المخطوطة أن تذكر المجموعة وأين توجد ، ورقمها هناك . أما معلومات المراجع المطبوعة فيجب أن تحتوى على اسم المؤلف بالكامل وعنوان الكتاب ، ومكان النشر وتاريخ النشر .

ومن الأهداف الثانوية لثبت المراجع أن يستفيد به آخرون في أبحاثهم ، ولا ينبغي أن تذكر في ثبت المراجع الأعمال التي لم تطلع عليها .

الرموز : الرموز الشائعة في الكتابات العربية المعاصرة هي في حقيقتها ترجمة لرموز يستخدمها الكتاب الغربيون ، وينبغي عليك أن تفهم أصول هذه الرموز لكي يسهل عليك استخدامها بدون التباس ، وستجد في الملحق « ١ » تفصيلا للرموز الغربية المعتادة ومعانيها باللغة العربية ، وهي رموز تستخدم للاختصار أو عدم تكرار ذكر المراجع مثل :

١ - "op. cit" (Opere citato) أي « في المرجع المشار إليه آنفًا » مثلا :
Brocklemann, op. cit, p. 30 .

وهذا يستخدم حين لا يكون المرجع المشار إليه بعيدا جدًا عن الهامش الذي ورد فيه هذا الرمز .

٢ - "Loc. cit." (Loco citato) أي « في الموضع المشار إليه آنفًا » مثلاً :
Brocklemann, loc. cit.

ويستخدم هذا الرمز حين يكون المراد عن الصفحة أو المكان الذي سبق الإشارة إليه في المرة السابقة لورود هذا المصدر في هامش سابق ، على ألا

[illegible]

[illegible] (١)

[illegible] (١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [3] : [illegible]

ومما لاشك فيه أن الزهراء قد حصلت قبولا عاما في عدة سنوات داخل البلاد وخارجها ، ولها دور هام في المساهمة في النهضة الأدبية والثقافية ويقظة الأمة المصرية والعربية من نوم الغفلة .

٧ ٧ ٧

المراجع :

(١٧) أنور الجندي : المحافظة والتجديد .. ص/٦٢١ .

(١٨) المصدر نفسه : ص/١١٣ .

(١٩) علي الطنطاوي : ذكريات : ج/٢ ، ص/٦ .

(٢٠) على الطنطاوي : ذكريات : ص/٢٠٧ .

(٢١) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث : ج/٢ ، ص/٧٨ .

(٢٢) المسلمون : مقال المجلد التاسع ، العدد السادس ، نيسان (أبريل) ١٩٦٥م : ص/٦٢ .

(٢٣) الزهراء : مقال : ج/١ ، م/١-١٥ محرم الحرام ١٣٤٢هـ : ص/١ .

(٢٤) المصدر نفسه : مقال : ص/٣ .

(٢٥) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث : ج/٢ ، ص/٢٠٢ .

(٢٦) الزهراء : ١٣٤٤هـ/١٩٢٤م .

(٢٧) أخذنا القائمة من فهرس المجلد الثالث من مجلة الزهراء جمادى الأولى ١٣٤٥هـ .

(٢٨) راجع : الزهراء : ج/١٠ ، م/٤ ، ذو الحجة ١٣٤٦هـ : ص/٦١٨ .

وبجانب هذا نجد فصولا جديدة وهذه عناوينها : « حركة النشر والتأليف » و « أنباءٌ اجتماعية » . و فيهما تعليقات على الكتب العلمية والأدبية . ونشر الأنباء العلمية والأدبية . والاهتمام بأخبار العالم الإسلامي . كما عمل على تشجيع معرض الكتاب العربي في مناسبات مختلفة . وفيها إعلان عن أشهر الكتب الأدبية التي ظهرت في الجديد والقديم .

فما زالت تصدر الزهراء حتى عام ١٩٢٠م تباعا ، وكان من كُتابها :

١ - الأب انستاس ماري الكرملي : سعة اللغة العربية وغناؤها .

٢ - أحمد تيمور باشا : تصحيح القاموس المحيط .

٣ - الدكتور أحمد زكي أبوشادي : السلطة الرابعة (الصحافة) .

٤ - الدكتور رينهات دوزي المستشرق : البدو .

٥ - سجاد حيدر نائب رئيس الجامعة الإسلامية في عليجراه - بالهند : جامعة عليجراه الإسلامية بوجه خاص .

٦ - مصطفى صادق الرافعي : الجملة القرآنية .

٧ - الأمير شكيب أرسلان : الجملة القرآنية ما وراء الأكمة .

٨ - عبد العزيز الميمني الراجكوتي : المعز بن باديس والفاطميون .

٩ - محمد عزة دروزه : الدعوة الإسلامية وشخصية العرب القومية .

١٠ - السيد سليمان الندوي : جرها (GERRHA) .

١١ - عيسى إسكندر المعلوف : أثمان المطبوعات القديمة .

١٢ - ادورد كلازر : المشتغلون بدرس الآثار اليمانية .

١٣ - وشعر : لزكي أبوشادي ، وخليل مطران ، وخير الدين الزركلي ، عادل أرسلان ، وأبو شادي ، وشوقي ، وعبد العزيز الميمني ، وأحمد

إلى تحطيم الوحدة العربية .

هكذا يمكن القول بأن مجلة الزهراء - كما نجد - لم يكن مجلة أدبية خالصة على المدى الواسع . وإنما كان أيضًا مجلة ثقافية صحفية ، وكانت منوعة بالموضوعات والمقالات قبل كل شئ ، وتبحث كل ما لها شأن في تقديم اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، واعتني منشئها بعناية خاصة بأنها احتوت على : مقالات أدبية ، وأبحاث و تعريبات و قصائد ، ودراسة الآثار العلمية والنقدية في سلسلة ورسائل الأدباء المعاصرين .

وكانت الزهراء بالغ الاهتمام بالآثار الأندلسية وتاريخها ولعل هذا هو السبب في تسميتها مجلة « الزهراء » بمناسبة « مدينة الزهراء » ، ولعل هذا كان من رأي محب الدين الخطيب الذي ألف كتابه باسم : « قصر الزهراء بالأندلس » و « تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس » متأثرا بالروح السائدة إذ ذاك عن بعث الآثار الإسلامية والدعوة إلى الحضارة .

وهذه بعض فصول المجلة الزهراء تعطي صورة لاتجاهاتها وكتاباتها :

١ - آثار بيروت .

٢ - الاتجاهات في الأدب العربي اليوم .

٢ - التجديد والإصلاح .

٤ - تفاسير القرآن المشهورة .

٥ - خزانة كتب بانكيفور (پتنا) .

٦ - خزانة كتب رامفور (رامفور) .

٧ - ابن خلدون .

٨ - خطط الشام (٢٦) .

[illegible]

[illegible] (٣٨) » .

[illegible]

[illegible] (٨٨) » .

[illegible]

مراجعة أو تردد ، وبعضها تدعو إلى الفرعونية والحركات الهدامة ، ومن الحقيقة أن الصحافة المصرية كانت تتحكم فيها نزعات وأهواء متباينة ، وكثير من المجلات والجرائد كان يتسلط عليها الاستعمار والأمراء المستبدون ، ولكن كانت الزهراء غنية عنها ، ومنتشرة في جميع البلاد .

إن « الزهراء » كانت مجلة أدبية تمتاز من بين اخواتها في الموضوعات المتنوعة و وجهات أخرى ، كما يقول علي الطنطاوي :

« وأما الزهراء في مجلة الأدب الإسلامي فكانت لما جئت مصر في دور النزع صدر منها أربع مجلدات ، فلما دخلت سنتها الخامسة نضب موردها، وقلّ مالها وافلست ، ولكنها كانت تجاهد جهاد المحتضر لتدفع عن نفسها الموت ، وقد صدر منها بعد وصولي « عددان » فقط ، كتبت أنا أكثر ما نشر فيها ولا أقول إن الذي كتبته كان من الأدب الجيد ، ولكن أقول انه كان فوق محاولات المبتدئين ودون كتابة المطبوعين المجودين (١٩) » .

ويصوّر محب الدين الخطيب أزمة العالم الإسلامي في افتتاحية الزهراء في العدد الأول، كما يصرح أهداف المجلة ، فيقول :

« وبعد فإن منشئ هذه المجلة قد تأصّل في نفسه الاعتقاد - منذ أعوام كثير - بأن الناطقين بالضاد لا تثبت لهم نهضة ما لم تكن قائمة على دعامتين إحداهما :

١- المرونة في اقتباس ما في حضارات الأمم الأجنبية من وسائل القوة ، ونظم الإدارة ، وانصراف الفرد إلى التخصص بعمل يجدّ لتجويده .

٢- الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية ، وأوضاعنا الوطنية وسجايانا القومية ، ولساننا الغنيّ الأصيل .

فعلى هاتين الدعامتين نستطيع أن نشيّد الباب الذي ندخل منه إلى

والفكرية مجهولة في الكتب والمجلات .. – وكما قيل : إن الزهراء مجلة دينية أو اجتماعية .. ؟ إذ أشار صاحب الزهراء إلى مقاله : « وكنت أصدر في ذلك الحين مجلة الزهراء غير أنها شهرية أدبية ولا تصلح مطية لهذه المعركة . فضلاً عن أنه مشروط في امتيازها ألا تتعرض للسياسة والدين .. (٢٢) » لا شك أنها كانت إضافة وسارت على منهج العروة والمنار .. بل أحاطت جميع الموضوعات فيها . وكانت إضافة إلى إحياء التراث العلمي القديم فإنها رفعت مستوى الصحف والمجلات العربية في مصر . إنها تبحث في الأدب والشعر والتاريخ والاجتماع . والعلم . وما يحدث في الاكتشاف والاختراعات . والمناقشات . ويتبسط على الخصوص في التاريخ والفلسفة والأبحاث العلمية . وكذا إنشاء الزهراء كان ضربة شديدة ضد الدعوة الفرعونية التي كانت تخادع الأمة المصرية وتتربّص بها الدوائر من زمن بعيد منذ حملة نابليون على مصر حتى اليوم .

كان محب الدين يؤمن بأن الفكر العربي . والصحافة والكتابة والإصلاح أدوات لخدمة الوطن العربي والعروبة . وانه عاش مؤمنا باللغة العربية وداعيا إليها ما دام حيًا . وآمن بأنها لغة صالحة راقية لكل زمان ومكان . وبذل جهده وبثّ أفكاره العلمية والسياسية والدينية في المقالات والتعليقات والكتب ومجلتيه . من أجل ذلك نالت . مجلته الزهراء شهرة عظيمة في الشرق والغرب وخاصة في الهند . والأرجح بالقول . كانت مجلة الزهراء في القرن العشرين نواة جديد للخدمة الأدبية والنهضة الفكرية الإسلامية ويترسم على الأسس القرآنية .. ونجد فيها نموذجا واضحًا لها . وكانت الزهراء ردًا على تلك الجرائد والصحف التي تحمل مشعل التجديد وتحث الناس على الأخذ بأسباب الحضارة الأوربية دون

والصحافة قوة كبرى ولذلك يخشاها المستبدون لأنها تزلزل سلطانهم وتقاوم مطامعهم وتكشف الغطاء عن مرمى سياستهم. إن الصحافة الحرة هي الحارس الأمين الذي يسهر بلا انقطاع على حقوق الشعب ، ونجد الزهراء هكذا ، وكانت دعوة محب الدين هي المحافظة على أصول اللغة وإحياء التراث القديم ومقاومة كل من يفرط فيها ، وهو واحد من أولئك الذين كانوا يرون ، بل يتحمسون إلى أن خير سبيل للحرية ومقاومة الاستبداد هو إنشاء الصحف والمكتبات والجمعيات في أنحاء العالم الإسلامي .

إن مجلة « الزهراء » مجلة علمية أدبية اجتماعية نالت صيتا لدى العلماء وامتازت في مدة قليلة ، والزهراء لمحب الدين الخطيب وكانت تصدر في مصر وتعدّ المجلة الأدبية الأولى (٢٠) .

أما إصدار الزهراء لم تكن تجديدا في ميدان الصحافة وهي من ثمرات ناضجة لجهود صفوة الكتاب البارزين الذين بذلوا لها بهذا الصدد ، وهي أيضًا ظهور الدعوة بإنشاء الصحافة الأدبية الخالصة الإسلامية « ومن ثم تظهر في الأفق مجلة قوية بأقلامها والمحررين فيها ، وكانت ثمرة ناضجة لهذه الجهود الطويلة الذي بذلها محمد عبده وأتباعه ألا وهي مجلة الرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات ، وتظل سنوات في مقدمة المجلات الأدبية في الشرق إلى أن تظهر مجلة الثقافة للأستاذ أحمد أمين ولجنة التأليف والترجمة وبقيت قوية بضع سنوات ثم ضعفت،هذا عدا الهلال والمقتطف والزهراء لمحب الدين الخطيب وغيرها (٢١) » .

وعلى الرغم من كل هذا – ومن المؤسف أن مُنشئها لم ينل مكانها لائقا لدى الكُتاب والصحفيين في العصر الحديث ، وآثاره الأدبية والصحفية

الشيخ محب الدين الخطيب : صحافيًا إسلاميًا

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم : الدكتور طارق جميل الفلاحي
الباحث المشارك - جامعة مليجراه الإسلامية

والجدير بالذكر أننا نجد في مراجعة شاملة ، أن هناك مرحلتين تبرزان لحياته الصحفية :

المرحلة الأولى : هي مرحلة نشأته وتدريبه على أطوار الصحافة والنقد والتربية .

المرحلة الثانية : في هذه الفترة كانت ظهرت معالم شخصيته صحافيًا ممتازًا .

إن « الزهراء » مجلة شهرية ، تصدر في القاهرة في منتصف كل شهر عربي . وكانت غايتها هو إحياء اللغة العربية وخدمة الإسلام والعروبة ، والمحافظة والمدافعة عنها ، وقد وصف ذلك الأستاذ أنور الجندي في كتابه « خطة الزهراء » :

« سارت « الزهراء » في نفس الطريق الذي شقته « العروة الوثقى » و « المنار » وحملت دعوة المحافظة على الأمجاد الإسلامية العربية ، ومقاومة الاستعمار والاستبداد على نفس الطريق الذي سار عليه جمال الدين الأفغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وصدرت في ١٥ المحرم ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م (١٧) » ، وقد كان للمنار مدرسة ورسالة سار عليها من بعد فريد وجدى وطنطاوي جوهري - الذي عمل على التوفيق بين العلم والدين - ومحب الدين الخطيب (١٨) .

في تاج الملكة . وتجد في ميدان هام من ميادين باريس « مسلة » تاريخية أخذت من مصر و وضعت هناك علانية سرقة مكشوفة دون حياء . وطف بمكتبات أوربا تجد الآلاف المؤلفة من المخطوطات سرق في ظل (العدوان) وحملت إلى بلاد أوربا !

إذن كان العدوان فسادًا في الأرض . وما كان كذلك إلا لأنه لم يكن يحمل معه رسالة إيمان وتوحيد ، ولا مسحة رحمة للإنسان . لقد حمل معه الشرك والظلم والعدوان وأشكال الفساد المختلفة .

ولذلك كانت عظمة التصور الإيماني في تحرير البلاد وفي مقاومة (العدوان) تبرز في أن التحرير من الشرك والإلحاد مهمة أساسية في الأرض . مهمة ماضية في واجبات الأمة المسلمة في الأرض ، حتى تكون محاربة الفساد ماضية على نهج سليم ، وفي درب صحيح ، ولهذا تصبح مهمة المؤمنين في الأرض « محاربة العدوان » في أي مكان ، محاربة الفساد ونشر العدل والإحسان :

﴿ فلو لا كان من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ [سورة هود ، الآية : ١١٦]

فالقضية ، كما يبرزها الإسلام أحيانًا ، هي قضية محاربة الفساد في الأرض . الفساد في جميع صوره وأشكاله :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣٣] .

وإجرامًا في الأرض ، وأكثرها امتدادًا . ولم يقتصر جبروتها على قارة واحدة دون أخرى : فحين نعرف ما فعله الإنجليز في الهند يجب أن نذكر امتدادهم « العدواني » إلى شرق آسيا وجنوبها . وكذلك امتدادهم إلى جميع أقطار العرب من العالم الإسلامي ، وكذلك إلى إفريقيا . وحين نقول إنهم سرقوا خيرات الهند ونقلوها إلى بلادهم ، فإننا نقول كذلك إنهم سرقوا خيرات كل البلاد التي احتلوها عدوانا ، وتركوها بلادًا محطمة متأخرة ممزّقة ، قائمة من الجرائم لا تكاد تنتهي .

ففي مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الإفريقية سنة ١٩٦٤م في القاهرة ، قال أحد الرؤساء الإفريقيين : إن بريطانيا كانت تاجر العبيد الأكبر في التاريخ وأن هذا الرئيس وجد وثائق من عهد الاحتلال البريطاني تثبت أن عدد العبيد الذين أسرهم البريطانيون وشحنوهم إلى مستعمراتهم ، أو تاجروا فيهم في مختلف أنحاء الأرض بلغ أربعين إلى خمسين مليونا من البشر ، ثم تساءل « نيريري » هل يعقل أن بلدًا مثل بلجيكا يستعمر بلدًا مثل الكونغو والكونغو أكبر منه بـ _٧٢) مرة ، وبيّن كيف أن الكونغو كلها بحجمها هذا بأرضها وبشرها كانت ملكا لرجل واحد هو ليوبولد السادس من سنة ١٨٧٦-١٩٠٨م ، فكان هذا الرجل مسيطرًا على أهم مناجم الذهب والنحاس والماس ومزارع المطاط وتجارة العاج ، فكان أغنى رجل في العالم ، ولكن في ظل غناه هذا وسيطرته مات أكثر من خمسة ملايين كنغولي جوعًا .

وضرب رئيس آخر مثلاً مما فعلته فرنسا حين سحب المقيم الفرنسي كل شيئ من القصر الذي كان يقيم فيه ، حتى لمبات الكهرباء ، بالإضافة إلى التحف النادرة والآثار التاريخية .

وماسة « كوهينور » أين هي الآن .. إنها سرقتها إنجلترا و وضعتها

في حياة الرسول -ﷺ- ، حين كان المسلمون يواجهون فارس أو روما . ومن هذا المعنى نفسه يجب أن يتحدد للمسلمين معنى العدو ومعنى المعتدي . فقد كانت قريش نفسها عدوة لرسول الله -ﷺ- وعدوة للمسلمين . وكان تحرير مكة يعني تحريرها من أمرين في وقت واحد هما : تحريرها من سلطان قريش ونفوذها ، وتحريرها من الشرك كله والأوثان والأصنام . ونحن بحاجة أن ندرك هذه المعاني في واقعنا اليوم ، حتى تكون قلوبنا وما تحمله من تصورات ، وخطانا وما تدفعه من جهد وعمل ، مطابقة لمنهاج الله . تنال رضاء الله . حتى نشقّ بذلك دربًا إلى نصر يتنزّل من عند الله ، ولقد امتدّ هذا التصور الإيماني القرآني إلى فترة طويلة في التاريخ الإسلامي ، ثم أخذ يضطرب المعنى والعمل هنا وهناك في واقع المسلمين ، لذلك نحتاج اليوم إلى أن نربط محاربة ما نسميه بالاستعمار مع قضية الشرك ومحاربته ، ونحتاج إلى أن تقوم علاقاتنا على هذا التصور الإيماني .

الثانية : إن ما نسميه اليوم « استعمار لا ينحصر ضرره وفساده عند أرض محدودة من ديار المسلمين ، وإنما هو في الحقيقة فساد في الأرض كلها ، حيثما تحرك ما نسميه « بالاستعمار » أو حلّ ، فهذا « العدوان » أثبت أنه خطر عام على حياة الإنسان ، خطر على إيمانه وتوحيده ، خطر على ثقافته وعلمه ، خطر على سلامته وأمنه ، خطر على وجوده كله على صورة ممتدة في الأرض ، وإذا أردنا أن نضرب مثلا على ذلك فنذكر «عدوان» الإنجليز والفرنسيين والبرتغاليين والهولنديين والإيطاليين وغيرها من دول أوربا ، وكذلك نذكر أمريكا وروسيا .

ونعتبر أن إنجلترا كانت في السابق أكثر دول الأرض فسادًا وإفسادًا

إلى الاصالة في الأدب (١) .

وظهر كذلك سزائي قراقوج (٢) وظهرت معه جماعة البعث الإسلامي . ونوري باكديل (٣) . وأردم بايزيد (٤) . ومحمد عاكف إينان (٥) . وصالح أوزجان . وإحسان باب عالي . وظهرت صحف ومجلات . ومضت مسيرة الدعوة الإسلامية . ومن أسلحتها الأدب الإسلامي . وظهر من الأدباء أيضًا ارسين أردوغان . وعلاء الدين أوردن . والشاعر مصطفى مياس أوغلو (٦) .

خـــاتـــمـــة :

مع نهاية هذا البحث الموجز . أشعر أنه من الواجب أن أؤكد نقطتين هامتين :

الأولى : مع اضطراب التصور الإيماني في كثير من ديار المسلمين في واقعنا المعاصر . واضطراب الممارسة عن النهج القرآني . برز اضطراب كذلك في معنى التحرير وفي الممارسة العملية لذلك في واقع المسلمين . لقد أصبح في كثير من أقطار المسلين يقتصر المعنى والتطبيق على إخراج العدوّ الغازي من البلاد . دون أن يرتبط المعنى والعمل بالمهمة الأساسية ألا وهي الدعوة إلى الله ورسوله وتحرير الإنسان والأمة من الشرك . لقد أصبحت هذه المهمة الثانية متوقفة متعطلة . أو معزولة عزلاً كاملاً عن المهمة الأولى . ولقد رأينا كيف كان المعنيان يمثلان مهمة واحدة

---

(١) المصدر السابق : ص/٢٦٤ . (٢) المصدر السابق : ص/٢٨٦ .
(٣) المصدر السابق : ص/٢٩٨ . (٤) المصدر السابق : ص/٣٠٢ .
(٥) المصدر السابق : ص/٢٠٨ . (٦) المصدر السابق : ص/٢١١-١٢

أما سليمان نظيف في شعره فهو يبكي العراق لسقوطه في يد الاحتلال ، ويرى أخطاء دولته ، ويتحدث عن وحدة الوطن الإسلامي وهو يخاطب نهر دجلة (١) :

لقد ولدنا جميعا في أفق نفس الوطن

منبعك و مهدي توأمان

كان يصب منبعك ومصبك وطن واحد

و لكنك الآن دخلت دوامة أخرى

لقد أحزنت قلوبنا وحطمتها .

خسرت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ، وسقطت الخلافة الإسلامية ، وتمزّق العالم الإسلامي إربا ، وقامت في تركيا دولة ملحدة علمانية ، وظل الإسلام يقاوم ، ويجاهد ويجالد .

فظهر في الأدب شعراء وأدباء لم ينسلخوا عن دينهم ، فظهر الشاعر (يحيى كمال بياتلي) يتغنى بأمجاد الإسلام ، ولكنه لا يتبنى مبادئه (٢) وتظهر الروائية « سامحة آي ويِردي » (ولدت ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) فيمثل إنتاجها العودة إلى التراث الإسلامي (٣) ، وظهر نجيب فاضل ليمر بأزمات ومراحل ، حتى استقر على إيمان وعقيدة ، وأصبح يرى أن سبب مشاكل المجتمع التركي هو بعده عن الإسلام ، فدافع عن الشخصيات الإسلامية ، وهاجم أعداءه ، ودعا الشباب إلى العودة إلى الإيمان ، ودعا

----

(١) المصدر السابق : ص/٢٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ص/٢٥٦ .

(٣) المصدر السابق : ص/٢٦٢ .

واسمع ضياكوك آلب يكشف حقيقة الغدر الإنجليزي (١) :

يا أخي لا تسرفي طريق لا تعرفه

اسلك الطريق الذي تكون متأكدا منه

و لو كان هنالك إنجليزي على أول الطريق

حذار أن تتبعه . فإنه أثر سيئ

فإنه لن يسرق نقودك

أو يسلب ثيابك فحسب

بل يسلب روحك أيضًا

يجعلك بلا حس ولا دين

يسرق ضميرك أولاً

ثم يغتصب وطنك .

هاكم خالق الحرية

هاكم آسر هذه الأمة

هاكم بالع مصر والهند

هو المسيطر على البحار

ما إن هرب من المضائق

حتى عاد ليدخل استنبول صلحًا (معاهدة) .

----

(١) المصدر السابق : ص/٢٢٥ .

وها هم يقسمون الآن إيران

إذا ابتلي المسلون بداء الفرقة

ألا تجعلهم أوربا المتحضرة ثلاث لقيمات وتبتلعهم .

ثم يقول :

هل كان للعربي فضل على التركي

أو للآظ على الجركسي أو الكردي

هل كان للفارسي فضل على الصيني . أين ؟

ما هذا الذي أصابكم ؟ هل ثمة عنصرية في الإسلام

الرسول -ﷺ- يلعن فكرة العنصرية .

هذه روح عالية ممتدة في المسلين الأتراك . إنها عظمة الإيمان . لقد ظلت روح المقاومة مشتعلة لا تنطفي أبدا . فالشاعر محمد جلال (١٢٩٣-١٣٣١هـ) يقول (١) :

ها هو قد عزم على فتح استنبول

جازما أنها نية الرسول -ﷺ-

فرأي أن فاتح المدينة وجنوده

لائقون بمديح المصطفى .

ويمضي شعراء الأتراك بين روح القومية وبين روح الإسلام . بعد أن غرس الأعداء فتنة الجاهليــة في قلب الدولة العثمانية . ولكن الإسلام ظل يجاهد ويجالد .

---

(١) المصدر السابق : ص/٢٢٩ .

الإسلامية والحل الإسلامي ، ولكن الدولة العثمانية كانت ضعفت كثيرًا ، والمؤامرات ضدها قويت كثيرًا ، ونفوذ الدول الأجنبية امتد في داخل الدولة ليقيم شبكات تتولى تحطيمها ، وتجمّع في استنبول عدد من المناهضين للإنجليز والأجانب في بلادهم ، لينطلقوا من عاصمة الدولة العثمانية في حرب ضد أعداء الله .

فجاء عبد الله النديم من مصر ، ثم جاء الشيخ عبد العزيز جاويش كذلك ، ولكن ظهرت كذلك الجمعيات السرية والعلنية التي تتبنّى التتريك والحركة القومية القاتلة ، ودار الصراع بالصحافة والأدب وبالسر والعلن ، ظهر شعراء كان من أبرزهم الداعية المسلم محمد عاكف ، فطرح فكره وجهاده في شعره ، يقول في إحدى قصائده (١) :

لم يفهم المفكرون عندنا كنه الدين
لم يدركوا روح الإسلام
فيظنون أنها لا تحتمل التطور
ولا تتكامل مع كمال الآثار العصرية
لا يعرفون أن الإسلام هو خميرة العلوم
وأنه المرتبة التي سيرقى إليها البشر يوما .

وعالج محمد عاكف الدين والسياسة ، والقومية والأمّية ، واستنفر الهمم ، يقول محمد عاكف (٢) :

فقد ضاعت تونس والمغرب والجزائر

----

(١) المصدر السابق : ص/٢١٨ .
(٢) المصدر السابق : ص/٢٢١-٢٢٢ .

ومن أهم حركات التمرد : الجبل الأسود (١٢٧٨-١٢٨١هـ) الأفلاق والبغدان (رومانيا حاليا) (١٢٧٨-١٢٨٢هـ)، الصرب (يوغوسلافيا حاليا) (١٢٧٩-١٢٨٤هـ) ، الكريت (١٢٨٣هـ) ، مزيدًا من الامتيازات لمصر ، ومؤامرات الروس ، عصيان الهرسك (١٢٩٢-١٢٩٣هـ) ، عصيان البلغار (١٢٦٣-١٢٩٣هـ) .

فعالج نامق كمال الوحدة الإسلامية في إطار روائي ، فكتب رواية جزمي (١٢٨٩هـ/١٨٨٠م)، وكتب مسرحية : جلال الدين خوارزشاه (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) لتصوير كفاح الخوارزميين ضد المغول (١) ، وجاء عبد الحق حامد ليستلهم التاريخ الإسلامي في معالجة ما تعانيه بلاده ، فوضع عدة مسرحيات تمثل تاريخ الأندلس هي ، نظيفة ، طارق بن موسى بين (١٢٩٢-١٣٢٦هـ) (٢) .

فيقول نامق كمال في مسرحية وطن مذكرًا بالأمجاد الإسلامية (٣) :

فلتنطلق المدافع وتلف نيرانها الأطراف

لتفتح أبواب الجنة للشهداء من الإخوان

علام حصلنا من هذه الدنيا لنهرب من الموت

نحن الذين نسعد بالشهادة

نحن الذين ننال المجد إذ نسلم الروح .

ويجئ السلطان عبد الحميد ليقف في وجه التغريب ، وليدعو للوحدة

---

(١) المصدر السابق : ص/١٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ص/١٥٧-١٦٢ .

(٣) المصدر السابق : ص/١٦٥ .

بغداد حين حل بها الدمار في منتصف القرن الثامن للهجرة ، حتى كأنك تشعر بوحدة الأمة المسلمة ، فمصيبة تقع في بغداد ، يردد صداها شاعر تركي . يقول القاضي برهان (١) :

من يطلق طيرًا أسيرًا
سيترك ذكرى طيبة ولا ريب
ومن قدر لبغداد الخراب
قادر أيضًا (الله) أن يُعيدها بغدادا

ولكن يظل القرنان : التاسع والعاشر الهجريان لا يحملان كثيرًا من شعر الجهاد والفتوح ، ولكن طرق عدد قليل من الشعراء هذه المعاني ، كما ذكرنا أعلاه ، وكذلك الشاعر محمود عبد الباقي في رثائه للسلطان سليمان القانوني وهي من أشهر المراثي في الأدب التركي (٢) :

حينما كان طائر الضلالة يجوب آفاق ، هذه الصحراء الفانية (الدنيا)
جاء سيفك ليفتح السبيل إلى الهدى (سبيل الله)
وأطلقت فرسانا كانوا كالسيوف .

ولقد أخذت دول أوربا تضع خططها لضرب العالم الإسلامي ، وأخذت بعض مظاهر الضعف تظهر في الدولة العثمانية ، ومظاهر التغريب تنمو هنا وهناك ، وكان من أخطر آثار هذه المظاهر هو بروز الروح القومية ، ومحاولات الانفصال عن جسد الأمة المسلمة الواحدة . هنا ظهر بعض الأدباء والشعراء يدعون للوحدة الإسلامية .

---

(١) المصدر السابق : ص/٥٢ .
(٢) المصدر السابق : ص/٨٢ .

دور الأدب الإسلامي في جهاد المسلمين الأتراك

بقلم : سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي

مع مطلع القرن الثامن للهجرة كانت الدولة العثمانية قد استقرت في الأناضول دولة إسلامية ، تحمل عبء الدعوة الإسلامية ، وتنهض للجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام وإعزاز دين الله .. ومع هذا التاريخ بدأ يظهر أثر الإسلام في الأدب التركي ، وتظهر بذلك صورة الأدب الإسلامي .

فالشاعر التركي أحمدي (٧٢٥-٨١٦هـ) عاصر فتوحات مراد الأول (٧٦١-٧٩٢هـ) وفتوحات بايزيد الصاعقة (٧٩٢-٨٠٥هـ) في أوربا ، وحدث في هذه الفترة نكسة في الدولة على يد تيمور لنك حين انقسمت الدولة على نفسها ، وقد كان من أغراض شعره استنهاض الهمم للجهاد ، واستنفار العزائم ، وإثارة حماستها ، فيقول عن معركة قوصوا (١٢٨٩م) : ما ترجمته (١) :

وهناك اندلعت حرب خلد الزمان ذكراها
أينما نظرت ترى الرؤوس في كل جانب
وأينما سرت تصطدم بأشلاء الكفار
أصابتهم الذلة والمسكنة قبل أن يبدأ الطعان

والشاعر التركي القاضي برهان الدين : (٧٤٥-٨٠١هـ) تراه يبكي

---

(١) الأدب الإسلامي التركي ، د/محمد عبد اللطيف هريدي : ص/٤٨ .

يوجد في ذلك الزمان لإزالة السحر بكثرة .

وذلك هو الزمان الذي كان وصل فيه اليونان إلى قمة في علوم الطب بينما كان بنو إسرائيل يقودون القوم في أنواع السحر .

لكن العلامات والمعجزات التي أكرم الله بها نبيه عيسى بن مريم كانت بالغة في النجاح في الوقوف من علم الطب والسحر موقفًا كان يُبرى فيه الأكمه والأبرص ويخبر الناس بما كانوا يدخرونه في بيوتهم - بإذن الله تعالى - ، فكانت معجزات عيسى - عليه الصلاة والسلام - قوية بهذا القدر الذي بهت به علماء اليهود .

وعلماء الطب في اليونان ما استطاعوا أن يواجهوها في هذا المجال ، كما أن الطب الحديث بجميع أنواعه وطرق علاجه في العالم المعاصر اليوم لا يستطيع أن يصل إلى أي درجة من معجزاته إلى يوم القيامة .

ولما عجز اليهود عن التغلب على النبي الكريم -ﷺ- بالعلم والدليل أغاروا عليه بالسحر فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه الأكرم -ﷺ- سورة الفلق والناس صيانة له عن السحر ، و وجدت أمته هذه الآيات علاجًا للسحر إلى يوم القيامة .

إن الله حرم السحر على سائر الأمم فمن ابتلي به فليقرأ المعوذتين اللتين تتجلى فيهما قوة الله سبحانه وتعالى العظيمة على جميع الإنس والجن ويُعتبران السلاح القوى للذين آمنوا لمواجهة مؤامرة شياطين الإنس والجن .

ولله في آياته دلائل باهرة لدحر فتنة السحر وما يُشبهه في كل عصر وجيل .   ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾

٧٧٧

نصر ملك إيران لما رآهم يعيشون السحر ويعاملون به الناس ولا يفارقونه بأي حال ، وذلك قبل ٥٢٨/عاما من ولادة عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - .

وأينما ذهبوا إلى أنحاء العالم اذاعوا عمل السحر وجربوه على الناس فكانوا خاسرين .

يتحدث الكتاب المقدس الإنجيل عن سحرهم ، فيما يأتي :

١ - ضل جميع الأمم بسحرك [مكاشفة : الباب/١٨ ، الآية/٢٢] .

٢- وساروا بأبنائهم وبناتهم إلى النار وتفاءلوا بالخير والشر وباعوا أنفسهم بحطام من الدنيا ، ليغضب الرب بعملهم الخبيث الذي كانوا يمارسونه بين يديه ، فغضب سبحانه وتعالى على بني إسرائيل [سلاطين : ج/٢ ، الباب/١٧ ، الآية/١٧-١٨] .

ما ثبت غضبان الرب عليهم بالسحر إلا من الكتب المقدسة ، وهم جعلوه الفن القومي بعد إخراجهم من بابل حتى بُعث عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - .

واليهود كانوا عبيدا تحت الروم حين بُعث عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - الذي رأي الناس في عبودية عقلية ، وهنالك كانت معجزاته - عليه السلام - غالبة على سحرهم فغضبوا وسخطوا وأرادوا قتله - عليــــه السلام - و حصلوا على إذن من الحكومة لقتله ، والعياذ بالله .

وههنا لا يعجز عقل أحد من أولى الباب عن فهم المعجزات التي أوتيها عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - ، وبها فاقت منزلته على معجزات الأنبياء الآخرين وزادت عظمة المعجزات على علم الطب الذي كان

إن سليمان - عليه الصلاة والسلام - حكم الجن كما حكم الإنس، وأصدر تعليمات حول إستخدام طاقاتهم في الأعمال التي تجدر بهم ، فمنهم من قام بصناعة القدور الراسيات التي لا تتمكن منها جماعة الإنس، ومنهم من كان يغيض البحر بأمره ، ومن كان يقوم ببناء المباني الشامخة ، ويكبّل الإنس بالسلاسل ، و هكذا قامت فضلية الإنس على الجن مرة أخرى ، على وجه هذه الأرض.

أنعم الله على الإنس بقدرة التسخير التي إذا رافقته في كل حال لغلب بها على سائر الأمم .

والأمر الثاني متعلق ببابل هاروت وماروت :

طائفة كبيرة من اليهود كانت تعتمد على علم السحر دون أن تقرأ التوراة وتستفيد منها رغم أنها كانت من أهل الكتاب ، فكان بعضهم يستخدم علم السحر لتسخير امرأة الغير وزوجة ابنه . ولما وقعت غارة السحر على اليهود فزعوا لها ، لأنهم كانوا لا يعرفون حقيقة التوراة المنزلة التي كانت بين أيديهم ولا يعلمون الطريقة التي يدفعون بها السحر، والتي كانت توجد في التوراة . فأرسل الله سبحانه وتعالى الملكين هاروت وماروت رحمة عليهم حتى يقوما بتعليمهم العلم الذي يرد تأثير السحر ويجعل القوم محفوظًا عن أثره ، لكن اليهود استعملوه بعد ما تلقوه بطريق سيّئ وسخروه لصيد النساء وحصروه في التمائم والرقى. وكسبوا به الدنيا .

فزجرهم الله وحكم ببراءة سليمان وهاروت وماروت من ذلك الفعل القبيح .

بدأ شغف اليهود بالسحر في زمن أسرهم ببابل . وقد هجرهم بخت

على الناس . أما علم السحر فليس له أي فضل وليس عاله ذا عزة وكرامة بل إن حاملي علم السحر يعيشون ملعونين كمثل المشعوذين والمحتالين المتسولين .

إن علماء اليهود الذين يتناولون قومهم بالوعظ والإرشاد من منبر الأنبياء والرسل ، كانوا قد تلقوا السحر وعلوه الناس ، ومن أجل ذلك واجهوا تساؤلات كثيرة عجزوا عن الرد عليها . فكانوا يسمعون أصوات القائلين دائمًا يقولون لهم : ماذا تصنعون وتعلّمون ، هل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، وتحبون ملذات الدنيا ناسين نعم الجنة ، ويخاطبونهم بمثل هذه التساؤلات .

وفي ناحية أخرى وضع هؤلاء الزعماء الروحيون قصة عجيبة ، وهي إن أساس دولة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت قائمة على السحر ، رغم أنه نبي الله ورسوله وقد حصلت له قوة عظيمة ، وقالوا فمن يمنعنا عن تلقى السحر وتعليمه .

وقد اتهم علماء اليهود ، الأنبياء والرسل بمثل هذه الافتراءات لكي يسدلوا الستار على أعمالهم الخبيثة .

ولكن الله تبارك وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، أنزل براءة سليمان النبي - عليه الصلاة والسلام - مخبرًا اليهود بذلك بقوله : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ .

إن معاشرة الإنس والجن المختلطة وجدت أول مرة في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - فمنهم من كانوا يشهّرون أن القوة التي حصلت لسليمان - عليه الصلاة والسلام - ، لم تكن إلا بعلم السحر الذي كنا نتقنه . ولكن الواقع لا يؤيد ذلك بأي حال .

[illegible]

كان من قول أبيه و قوله ، فأعطاه مائة من هجانه ، فبعث بها قراد إلى أبيه زرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه و أعطاه جوهراً ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهز بنته ، و لما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، و ليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، و اعلمي أن زوجك فارس مضر و أنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخمشي عليه وجهاً ، و لا تحلق شعراً .

قالت له : أما و الله لقد ربيتني صغيرة ، و أقصيتني كبيرة ، و زودتني عند الفراق شر زاد .

و ارتحل بها لقيط ، فجعلت لاتمر بحي من أحياء العرب إلا قالت : يا لقيط ، أ هؤلاء قومك ؟ ، فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم ، فرأت القباب ، والخيل الصراب ، فقالت : يا لقيط ، أ هؤلاء قومك ؟ ، قال : نعم ، فأقام أياماً يطعم و ينحر ، ثم أقامت عنده حتى قتل يوم جبلة .

فبعث إليها أبوها أخاً لها لتحمل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أوصيكم بالغرائب خيراً ، فو الله ما رأيت مثل لقيط بن زرارة لم تخمش عليه امرأة وجهاً ، و لم تحلق عليه شعراً ، فلولا أني غريبة لخمشت و حلقت ، فأثنوا عليها خيراً .. ثم ذهبت لأبيها (مجمع الأمثال ٢ : ١٥٣) .

★●●●★

قال : لم يا عم ؟ ، فوالله إن فيك لرغبة ، و ما بي من عيب ، و لئن ناجيتك لا أخدعك ، و لئن عالنتك لا أفضحك .

فأعجب قيساً كلامه ، و قال : كفء كريم إني قد زوجتك و مهرتك ما: ناقـــة ليس فيها ناب و لا كزوم — يريد المسنة أو التي ذهبت أسنانها — و لا تبيت عندنا عزباً و لا عروماً .

ثم أرسل إلى أم الجارية : أني قــــد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي فلان فاصنعيها ، و اضربي لهـا ذلك البلق — أي الفسطاط — فان لقيط بن زرار لا يبيت فينا عزباً .

وجلس لقيط يتحدث معهم، فذكروا الغزو : فقال لقيط : أما الغزو فأردها للقاح ، و أهزلها للجمال ، و أما المقام فأسمنها للجمال ، و أحبها للنساء .

فأعجب ذلك قيساً ، و أمر لقيطاً فذهب إلى البلق فجلس فيه ، و بعث أم الجارية إليه بمجمرة و بخور ، و قالت للجارية اذهبي إليه فو الله لئن ردها ما فيه خير ، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره و لحيته ، ثم ردها إليها ، فلما رجعت الجارية إلى أمها خبرتها بما صنع ، فقالت : إنه لخليق للخير .

فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فمازحها بكلام اشمأزت منه ، فقام و طرح عليه طرف خميص و الخميصه كساء أسود مربع له علمان — و باتت قريباً منه .

فلما استثقل انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً و هو في أسفل الوادي فقال : ارحل بعيرك ، و إياك أن يسمع رغاؤها ، فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، و أصبح قيس ففقد لقيطاً ، فسكت و لم يدر ما الذي ذهب به ، و مضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما

ويوسفني حقاً أنني لا أبرئ بعض بنات جنسي من هذا الاتهام ، فمنا من تنظر إلى المحجبة و كأنها مخلوقة من طين غير الطينة التي خلقت منها ، و تنظر إليها و كأنها أقل ذكاء ، و أقل جاذبية ، أو أقـــل استجابة لمتطلبات التطور و العصرية ، من اهتدت إلى قناعة ثابتة ، نابعة من العقل و الروح بضرورة تنفيذ تعاليم دينها ، فطوبى لها ، و ليس لأخرى أن تسخر منها أو تقلل من شأنها ، لأن الاحتشام واجب إسلامي على المرأة ، والتعفف والطهر واجبان على الجنسين .

لقيط بن زرارة :

جاء في قصص العرب نقلا عن الأصبهاني في الأغاني ، أن زرارة بن عدس كان رجلا شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابن لقيط ، فرأى منه خيلاء و نشاطاً ، و قد جعل يضرب غلمانه — و هو يومئذ شاب — فأراد أن يهذب من طباعه فقال له : أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هجان ابن المنـــذر بن ماء السماء ، والهجان البيض ، الكرائم من الابل ، أو تزوجت بنت قيس بن خالد ، قال لقيط : لله علي أن لا يمس رأسي غسل ، ولا آكل لحماً ولا أتلذذ بشراب حتى أجمعها جميعاً أو أموت .

فخرج لقيط و معه ابن خال له ، يقال له القراد بن إهاب ، و كلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسلما على ناديهم ، ثم قال لقيط أفيكم قيس بن خالد ؟ — و كان سيد ربيعة يومئـــذ — قالوا : نعم ، قال : فأيكم هو ؟ ، قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ ، قال : جئتك خاطباً ابنتك — و كان قيس قـــد آلى يميناً ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية إلا أصابه بشر ، وسمع به — أي فضحه وشتمه — فقال له قيس : و من أنت ؟ ، قال : لقيط بن زرارة بن عدس ، قال قيس : عجباً منك ، هلا كان هذا بيني و بينك ؟ ،

لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة و رحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »
(الروم : ٢١) .

و لا يكاد المسلم يصدق بأن مثل هذه الحملة ، و بأقلام يتسمى أصحابها بأسماء إسلامية ، و يدعى بعضهم اهتمامه بالاسلام و الدفاع عنه ، لكن الهوى و الاندفاع ، و تزيين سوء العمل ، بحيث يراه أمثال هؤلاء حسناً ، نسأل الله السلام و العافية ..

و قد كشف شيئاً من أسرار الهجوم على الحجاب ، و ما قيل عن أخذ الفنانات اللواتي احتجبن عن قناعة و رضا و ابتعدن عن درب الفن و التبرج ، بعودة صادقة إلى الله ، الأستاذ ياسر فرحات في كتاب صدر له مؤخراً ، بعنوان : معركة الحجاب ، أسرار وراء الحجاب المدفوع ، أبان فيه شبهات المغرضين و أكاذيبهم ، على ألسنة من امتدين من أهل الوسط الفني أنفسهم ، و قد عرج على ما يقرب من عشرين سيدة ، كانت إجاباتهن إن المدفوع لنا ليس مالا و لا شهرة ، فقد تخلينا عن ذلك بطواعية و حسن اختيار ، و لكن المدفوع لنا جزاء ننتظره من الله لقاء حسن الاستجابة ، و هو فوق كل مغريات الدنيا ، و بدأنا نحس لذاذة طعم ما أقدمنا عليه ، و راحة النفس التي لا يعدلها راحة .

كما استشهد بدفاع أكثر من عشرين شيخاً و سيدة ، هم قمة الشهرة و السمعة الحسنة في الدفاع عن الحجاب و اختيار المرأة له عن طواعية ، ومن ذلك ما قالته السيدة فوزية سلامة رئيسة تحرير مجلة « سيدتي » تحت عنوان : هم و أنا و الحجاب : « الذين أخذوا على عاتقهم محاربة المسلمة المحجبة ، و قذفها بالألقاب و الاتهامات بهدف اضعاف إيمانها بما اختارت ، فهم حتماً من السفهاء ،

الحجاب رد فعل نتيجة الفاقة الاقتصادية و المعيشية التي تعيشها المرأة ، و اندفع آخرون إلى وصم الفنانات بالذات بالطمع المادى إلى مبالغ مالية دفعت لهن من باب الاغراء لكي يرتدين الحجاب إلى غير هذا من شبهات عديدة طرحت ، و أقاويل باطلة روجت ، يراد منها أن تتراجع المرأة المسلمة عن هذا المنهج الذى رضيته ، و تشويه الصورة حتى لا يقتدى بها غيرها من غير الملتزمات ، و غاب عنهم أنهن بهذا العمل تخلين عن أموال كثيرة ، وذلك لأن طعم الاستجابة لشرع الله ألذ من كل شيء .

و كان من المناوئين لهذا المنهج الذى سارت فيه فتيات عن قناعة و علم ، الكاتب المصرى محمود السعدنى و هو واحد من مجموعة الكتاب المتأثرين بثقافة الغرب ، و المتشبعين بفكرهم عندما كتب فى جريدة أخبار اليوم ليوم السبت ١٩٩٣/٤/٣م تحت عنوان : أما بعد : قائلا بانزعاج : فى مصر الآن ظاهرة لافتة للنظر ، و هى انتشار الحجاب بين طالبات المدارس الاعـــدادية و الثانوية ، و العبـــد لله لا يصدق ما يقوله البعض بأن السبب وراء حجاب الطالبات الصغيرات هو ارتفاع أجر الكوافير ، لأن هناك وسائل أخرى لتصفيف الشعر بالجهود الذاتية ، و لا ترهق ميزانية الفقراء .. إلى آخر ما جاء فى مقاله هـــذا الذى يفهم مضمونه من مقدمته :

و هذا الصوت وراءه واحد من أصوات كثيرة انبعثت هناك و هنالك لأن هاجساً دينياً انجذبت إليه الطالبات و عبرت عن الاستجابة بقناعة بالحجاب ، الذى يحمى المرأة من الذئاب الجائعة ، و يعيدها إلى وظيفتها الأساسية التى وجهها إليه الاسلام : ملكة متصرفة فى البيت ، و أماً تنجب و تربى أبطال الأمـــة ، وسكناً للزوج كما قال سبحانه : « و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً

وتلبس ما يجب عليها أن تعمله .. فاهتم الجميع بأمر الحجاب الشرعي ، وحرصن على التستر و عدم التبرج ، و بعد من كان من أهل الفن عن جوه ، و ما في مساربه من مياه آسنة ، و اهتم من يعمل بالتلفاز بعدم الظهور أمام المشاهدين إلا بستر و وقار ، و امتنع عدد كبير من طالبات الجامعات عن الاندماج في هذه البيئة إلا بالحجاب الشرعي ، الذي يحمي حياء المرأة ، و يضفي عليها مهابة و احتراماً .

حرصن جميعاً على الابتعاد عن كل طريق يسوق المرأة إلى درب يخالف منهج الاسلام السليم ، و يباعد عن الدور الذي أراد الاسلام للمرأة : قـــدوة وعملا ، وفق التوجيه الكريم الذي دعيت إليه نساء النبي ﷺ ، و نساء المؤمنين لمن تبع في الدعوة و التوجيه و العمل ، فقـال سبحانه : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، و قلن قولا معروفاً ، و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى و أقمن الصلاة و آتين الزكاة ، و أطعن الله و رسوله » (سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢-٣٣) .

بعد هذه الاستجابة التي تزايد عددها ، كثرت التهم المقصود منها التنفير و الصد ، و تتابعت الأصوات المناوئة لهـــذه الظاهرة ، وتبع ذلك أكاذيب و تشنيعات ، ترمز إلى تحقير و تشويه عمل هؤلاء النسوة الصالحات المفيقات من غفوة الجاهلية .

و قد كتب كثير من ذوي الأقلام الصحفية في مصر و غيرها ، محاولين تشويه الصورة ، باعتبار الحجاب في نظرهم يفقد المرأة أنوثتها و جاذبيتها وجمالها ، و أن الحجاب في الاسلام قيد و رجعية و تخلف ، و منهم من قال : إن

بالرجل الفاجر » ذلك أن الله جلت قدرته إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه ، و ألان القلوب من أجله ، كما يظهر أمامنا جلياً إلانة قلب فرعون لموسى عندما كان صغيراً حتى تربى فى بيته ، مع أن الله سبحانه قد قضى فى حكمه أن يكون هلاك فرعون بسبب موسى .

و كما ألان الله قلوب بعض جبابرة قريش لمحمد ﷺ و لأبى بكر رضى الله عنه و غيره من الصحابة رضوان الله عليهم إبان الصدر الأول من بدء الدعوة المحمدية التى جاءت من عند الله .

و مثلما حصلت الضجة فى فرنسا حول حجاب المرأة المسلمة ، حصلت ضجة مماثلة فى بلد إسلامى عندما أصرت طالبة تدعى خديجة على دخول الجامع بالحجاب ، فرفضتها الجامعة ، و كبرت القضية و تعقد الأمر ، و تناولت ذلك الصحافة العالمية بمختلف اللغات ، و قد كثر فى ذلك البلد خصوم الحجاب ، باعتباره نافذة لتوعية الشباب ، ذكوراً و إناثاً ، وقف دون إفساح المجال له من يتسمون بأسماء إسلامية ، موقف التحدى و الاصرار ، باعتبار ذلك بادرة يجب التصدى لها .. و إن كانت ظاهرة الحجاب لم تكن المقصودة عند بعضهم ، و إنما الهدف التصدى للاسلام و تعاليمه ، لأنهم أساؤا إليه فاستوحشوا منه ، و ذلك يبعدهم عنه منهجاً و عملا ، مع أنهم يدعون الانتماء إليه ، و يتسمون بأسماء إسلامية .. و معلوم أن للاسلام ليس بالتحلى و لا التمنى ، و لكنه سلوك و عمل و عقيدة .

و لما حرصت مجموعة من الفنانات فى مصر فى الآونة الأخيرة ، بعد أن وفقهن الله بالعودة للدرب الصحيح ، و بعـــد أن انجذب كثير من الفتيات فى المدارس و الجامعات لأمر الله ، بدعوة المرأة المسلمة لمعرفة دورها فى الحياة ،

كرامتها من مفاتين و عورات ، و ذلك بالحرص على الحجاب الشرعي ، الذى فرض الله على المرأة المسلمة ، و هو سبحانه أعلم بما تصلح به أحوالها و أحوال المجتمع كله ..

و ما ذلك إلا أن الحجاب حلية للمرأة ، و حماية لكرامتها ، يدرك هذا من يتابع أوضاع المجتمعات المتحللة من قيوده ، و المنفلتة من كل تعليم شرعى ، حسب الواقع العملى فى كل بيئة مهما كانت عقيدة أهلها و اتجاهات ذوى الرأى فيها ، أولئك القوم الذين جعلوا المرأة متعة يتلهون بها ، فاذا ذبلت رميت كما ترى الزهرة بعد ذهاب النفع منها .

كما أنه تاج يجب أن تفتخر به المسلمـــة ، لأنه أمر فوق جميع الأوامر البشرية ، مهما كانت مكانة أصحابها ، قدراً و دوافع ، فهو أمر الله جل و علا فى أمره لنبيه ﷺ ، بابلاغ أزواجه و بناته و نساء المؤمنين بانتهاج درب تميز المرأة المسلمة ، فى أمر إلزامى لا تراجع بعده فقال سبحانه : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » (سورة الأحزاب الآية ، ٥٩) و الادناء لا يكون إلا من الخلف إلى الأمام ، و الجلباب هو غطاء يوضع على الرأس .

و فى هـــذه القضية علت كلمة المنافحين عن الحجاب ، و انتصر مطلب الفئتين بانهزام خصوم الحجاب ، و لئن كان المدافعون لم يكونوا يهدفون لنصرة الاسلام و تعاليمه ، لأنهم أو أغلبهم لا يدينون بالاسلام و لم يتحمسوا لانتصار مبادئه ، و لكنهم أرادوا انتصار الديموقراطية ، و غلبة الحرية الشخصية ، فكان فى هذا الجانب نصر للاسلام ، و استعلاء لتعاليمه من حيث لا يقصدون ، و قد يستدل على هذا بمغزى حديث رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيد هذا الدين

ضجة كبيرة ، بعد أن رفضت إدارة المدرسة باصدار السماح لهما بالدراسة ما تخلتا الحجاب ، فصار المجتمع والصحافة هناك على قسمين : منهم من يؤيد هاتين الطالبتين باعتبار أن الحجاب من الحرية الشخصية التي لا يكره عليها الانسان و لم يكن في القوانين التعليمية ما يمنع ذلك ، و القسم الآخر رفض السماح لهما بدخول المدرسة ، ما دامتا مصرتين على ارتداء الحجاب ، بحجة أن ذلك غير مألوف ، و يفتح باباً يصعب إغلاقه مما يتنافى مع اللباس الموحد في المدرسة و إفساح المجال لظاهرة لا ينبغي السماح لها في المحيط التعليمي .. إلى غير من تعليلات متباينة ، مع أن المرأة البوذية و الهندوسية لم تمنع من تغيير لباسها هناك لا في المدرسة و لا في غيرها .

هذا في ظاهر الأمر ، أما السر الذي لم يفصحوا عنه ، فهو خوفهم من التفات الشباب عندهم ذكوراً و إناثاً لدلالة الحجاب ، و ما وراء ذلك من أمور هي من تعاليم الاسلام التي تخاطب الوجدان ، و تهفو إليها الأفئدة المتعطشة و في قرارة نفوس المتلوثين لمسلك هاتين الفتاتين ، أن الاسلام يجب إخفاء تعاليمه عن الشباب حتى لا ينجذبوا إليه ، ويدركوا عمق أسراره و ما يدعو إليه .

و قد أثارت هذه القضية ضجة كبيرة لدى الرأي العام الفرنسي خاصة ، و غيره عامة ، فتضامن الأغلبية الشعبية مع مطلب هاتين الفتاتين و تبرع بعض المحامين للدفاع عن حقهما و تخطئة إدارة المدرسة و من يشايعها .. و لما كان الحق هو المنتصر دائماً فقد وفق الله ، و انتصرت قضية الحجاب ، و عادت الطالبتان للدراسة باللباس الذي اختارتاه إرضاء لشريعة رب العالمين ، بعد أن أصرتا عليه ، و وقفتا ضد من يناوئه بصلابة و عزم ، و ما ذلك إلا أن هذا الأمر كان تلبية لنداء الله الذي يأمر المؤمنة بحماية نفسها ، وستر ما يخدش

و تبرجها ، خاصة عند ما تكون في بلاد الغرب ، أو في جهات اندفعت في تقليد أعمى للغرب أو الشرق في كل أمر ، حتى إن المرأة المسلمة أصبحت كالمرأة في تلك الجهات ، ولا تتميز المرأة المنتمية للاسلام إلا بالاسم والادعاء .

و ذلك لأن الضرورة أحوجت كثيراً من المسلمين و المسلمات إلى طلب لقمة العيش في تلك الديار ، أو التماس الدراسة في بلادهم لتقدمهم في كثير من العلوم الحديثة ، و لأن بعضاً من ديار المسلمين قد ضاقت بأهلها ، و ضاقت صدور الجهلة بعمق ما تعانيه تعاليم شريعة الاسلام ، بما يجب أن يكون عليه المسلم و المسلمة ، من فهم و علم لأمور دينه ، و ما يزين ذلك من عمل و تطبيق .. لأن جوهر العلم العمل .

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها و لكن أخلاق الرجال تضيق

فكان من فضل الله أن جعل من هؤلاء و هؤلاء في البلاد التي نزحوا إليها شرقاً أو غرباً أثراً ظاهراً ، حيث انجذب للاسلام كثير من أبناء تلك الديار ، فصاروا أقلية تنمو ، و براعم تتفتح لتجذب برحيقها أعداداً أخرى لحظيرة الاسلام ، و ليستظلوا بفيء دوحته ، حتى كان للاسلام دور بارز في كثير من تلك الأصقاع ، لم يرض عنه الحاقدون على الاسلام ، و لا المتباينون معه فكراً و منهجاً ، حيث حملات الدس و التعمية ، من قبل كل من المستشرقين و المبشرين ، و من تأثر بهم أو تتلمذ عليهم ، فبدأت المجابهة السافرة عند ما شعروا بمكانة الاسلام تعلو ، و بتعاليمه تستأثر على النفوس ، فخافوا على شبابهم الخاوي الوفاض ، و المتعطش إلى من ينقذه من الضياع الغارق فيه ، فظهر منهم أثر ذلك ، كما في قصة الفتاتين عائشة و فاطمة ، اللتين أصرتا على الحجاب في المدرسة الفرنسية ، و لم تفلح مساعي المدرسة بحرمانهما من الدراسة ، مما أثار

الحجاب .. و حملات المغرضين

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

يقول زعيم المبشرين فى النصف الأول من هذا القرن : صمونيل زويمر : لا يشرفنا أن يرجع المسلمون عن دينهم ليدخلوا فى المسيحيين فان هذا لا يفيدنا شيئاً ، ولـكن الذى يهمنا أن يتجرد المسلم عن الدين ، فهذا يخدم هدفنا أكثر مما يخدمه أعداد كبيرة من المبشرين .

ويقول غيره: إن مطيتنا لابعاد المسلمين عن دينهم: المرأة وجهلة المسلمين، فهم يقدمون لنا أدواراً تفوق جهودنا وما نبذل من أموال فى التبشير بالمسيحية.

و لذا فان المرأة المسلمة عندما بدأت تفيق من غفوة الجهالة ، و تدرك أهمية تعاليم دينها الاسلامى ، التى جعلها الله حلية تميز المسلمة عن غيرهـا ، فقد حرصت بعد إدراك موطن الخطأ أن تعرف الطريق السليم الذى وجهت إليه ، حتى لا تـكون موطناً للايذاء ، لأنها رأت ببصرها الثاقب ، وعلمت بما سمعت إليه من علم بأمور الدين ، أن توجيهات الاسلام قد وهبتها وقاراً ، كما أضفت عليها الهيئة الاسلامية مكانة، بما فرضت لها من الاحترام والمهابة، حيث نوهت عن ذلك آية كريمة فى كتاب الله عزوجل ، فقال سبحانه : « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين و كان الله غفوراً رحيماً » (٥٦ : الأحزاب) .

فمع حرص المرأة المسلمة فى يقظتها الجديدة ، رأت أن الواجب يحتم عليها الابتعاد عن محاكاة و تقليد المرأة غير المسلمة بمظهرهـــا و ملبسها ، و عاداتها

إن التنظيم الجديد للحياة الاجتماعية حاجة كل بلد إسلامي من الدرجة الأولى . وقد جرب تغيرات سطحية ، وحزبية وثورية ، وأثبت التاريخ ، وسجل الزمان ، وشهد العالم كله ، أنها كانت تغييرات صبيانية ، لم تقدم في القضية ولم تؤخر بل زادت هذه البلاد نكسة وانهيارًا وانفكاكًا وانقسامًا .

وأخيرًا فإن المشكلة الكبيرة التي نعيشها الآن لا تحل بإنصاف الحلول ، بتغيرات سطحية ، بأساليب الثورة البالية ، بالمناورات الكلامية ، بالتهديدات الفارغة ، والمواعيد الكاذبة ، ولا بترديد لفظ الحرب وتكراره ، وإن الحرب أيضًا لا تحل هذه المشكلة ، فضلاً عن لفظها ، إن الحرب الفعلية والحرب الواقعة أيضًا لا تستطيع أن تجر غير الشقاء ، ولا تأتي إلا بجديد من الذل ، ومزيد من الخيبة والإخفاق ، إن ما بعد الحرب نتيجة طبيعية لما قبل الحرب ، فالعاقل من يستعد لها قبل أن يشعل نارها ، ويعد لها عدتها قبل أن يخوض غمارها ، وهذه العدة والعتاد ، والجد والاستعداد ، ليس غير ما دعونا إليه من قلب الأوضاع رأسًا على عقب ، وتنظيم الحياة الاجتماعية والعقلية من جديد ، وأيام معدودات من الصبر ، وصدق الشاعر العربي :

كل امرئ يجرى إلـــى يوم الهياج بما استعدا

إنها ضريبة المؤمنين الأطهار ، وضريبة المناضلين الأحرار ، إنها ضريبة الكرامة وضريبة الشرف .

إنه الطريق الوحيد إلى القدس ، وإلى كرامة المسلمين ، وعزة الإسلام فهل نحن سائرون ؟

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾

٧٧٧

وتدفع بالأمة إلى هدفها الجديد ، مسرعة راكضة ، لا تبالي بالعراقيل والمخلوف والأخطار ، ولا تنام قريرة العين ، هادئة البال ، إلا بعد أن تبلغ مناها ، وتوفي نذرها ، ولو فتشنا في تاريخ الأمم الناهضة والفاتحين اللامعين لوجدنا وراءها انتفاضة من غيرة ، أو ومضة من عزم ، أو إشراقة من إيمان ، وهي سنة الله في الأرض ، لا تفريق فيها بين مؤمن وكافر ، وذلك هو تأويل قصة هرقل الكسول ، الخامد النائم الراقد ، فإذا به يتحول أسدًا ضاريًا يمحو عاره ، وينتصر على الفرس الذين أهانوه وأملوا عليه شروطًا لا يقبلها شرف الرجال ، وهذه الغيرة هي التي دعت المعتصم أن يلبى نداء نساء مستضعفات ، ويكسب قارة عظيمة لقرون وأجيال ، وتلك هي قصة بابر وشهاب الدين الغوري في الهند ، وهناك غيرها من الأمثال لا تجد لها تعليلا ولا تجد لها مفتاحًا غير هذه الانتفاضة أو غير هذا الإيمان .

نحن في حاجة إلى « مشروع السنوات الثلاث الإيماني » أكثر من « مشروع السنوات الخمس الاقتصادي » الذي عم وشاع في البلاد النامية المتأخرة .

سنوات زهد وصبر ، وسنوات جد واجتهاد ، سنوات إيمان مشرق وعاطفة جياشة ، وعقيدة صافية نيرة ، سنوات بناء ، بناء الرجال ، لا بناء الفنادق والعمارات ، سنوات اكتفاء ذاتي ، سنوات تصنيع وإعداد حربي ، وبإيجاز سنوات أمة آلمها الوضع الراهن فقامت تنفض عنها غبار السنين ، وركام الأعوام ، وضباب الأسى ، وتسجل اسمها في قائمة الشرف ، وكتاب المجد ، ودفتر الخلود .

إلى تغيير طفيف في أسلوبنا الخاص ، فلا مقاومة ولا عنف ، ولا نزاع ولا صراع ، إنما هو رضي بما يلقى إلينا من فتات المائدة ، وهو كثير وغال لمن رضي بالدون والرخيص .

والثاني : يقتضي منا أن نحطم هذه الحياة برمتها ، نحطم صورتها و وضعها ، وأسلوبها ونمطها ، وغايتها وهدفها ، وظاهرها وباطنها ، ولا أقول أن نحطمها جملة واحدة أن ننسفها بقنبلة واحدة ، فهذا لا يمكن ، وهذا لا يفيد ، بل نحقق ذلك بالتدريج والتأني والحكمة ، ونكمل هذا التحطيم أو بعبارة أخف هذا التنظيم والتصميم في صورة مراحل وأدوار ، حتى يسمع الناس في الشرق والغرب أن أمة فلانية ودولة فلانية أبت على نفسها أن لا تفعل كذا وكذا ، وألغت جميع برامجها الفنية والإعلامية ومشروعاتها الترفيهية وأعمالها المعمارية والهندسية ، و وضعت مواردها لصنع جيل جديد قوي يجدر لمواجهة الظروف المتغيرة ، وتحمل المحن القاسية ، ويستوفي شروط النصر ، ويدفع ضريبة الشرف [illegible]ا على الشدة ، هاجـــرًا ملذات الحياة ، مؤدعا حياة الدعة و الراحـ[illegible] الهناء والرخاء .

إن ومضة من ومضات العزم وإشراقه من إشراقات الإيمان ، وانتفاضة من انتفاضات الغيرة والحمية تساوى عمرًا مديدًا ، وزمـــ طويلاً لأي شعب بحساب الحقائق الباطنة والدوافع الكامنة لا بحساب الأرقام الحسابية ، والأعداد الظاهرة .

إن انتفاضة واحدة (إذا صحت وأتت في ميعادها) تكفى لتحويل الاتجاه ، وتغيير المستوى والمنهج والأسلوب ، والصورة والحقيقة ،

وبحث عالم ، ودراسة محقق . ولا ينفع معه إحياء العلوم والمعارف ، وإحياء التراث القديم ، والكشف عن المخطوطات ، و وضع الفهارس والمعاجم واللغات ، وجلسات المجامع اللغوية وخدماتها العلمية .ولا المحاضرات الدينية وأحاديث الموسم . رغم اعترافنا بأهميتها وخصوبتها ، وغناها وإخلاص العاكفين عليها ، المتفانين في سبيلها ، فإنها (شئنا أم أبينا) قطرات صغيرة إلى جانب هذا العباب الزاخر والسيل الدافق من الحياة السريعة الراكضة الفارهة الفارغة عن كل معنى غير معنى « التكاثر » وعن كل مبدأ غير مبدأ « التناحر » .

والذي يحلم بعرش القيادة ، وإكليل العزة ، وغرة الشرف وهو على فراشه الناعم الوثير في منزله المؤثث الجميل يتمتع برقصات شرقية ويتلهى بأناشيد الحب والغرام أو حوار المحبين الهائمين إما هو كاذب أو مغرور أو مخادع أو جاهل ، فليصرح وليقل إنه ليس من هؤلاء ، ولا مأرب له في عزته المسلوبة ، وشرفه الجريح وليتمثل بما قال الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فلا صلة له من قريب أو بعيد بالمجد التليد مجد الأشراف والأحرار لا مجد الرقيق والعبيد ، ولو كان من أساتذة الجامعة ورجال الأعمال ، وأدباء المهجر ، فالله غني عن العالمين .

إن الرضوخ للأمر الواقع ، و الخضوع للعدو الظافر له لون ، و رفض الحلول المفروضة والوقوف في وجه العدو الغاشم له لون آخر ، فالأول : لا يقتضي منا تيقظًا وحذرًا ، ولا يطلب منا إيثارًا وصبرًا ، ولا يحتاج

في وقت الصراحة ، والصراحة في وقت المجاملة ، وكلاهما من جنس واحد ، جنس الكلام ، وقد تحقق وثبت وتبين وأصبح واضحًا لكل ذي عينين أن هذا الجنس أخفق في جميع المعارك ، بل إنه زاد الطين بلة وزادنا وهنا على وهن ، ومرضا على مرض ، ولو كان الكلام نافعًا ما لكفى ذلك المقال الأسبوعي الذي يكتب « بكل صراحة » وكفى الله المؤمنين القتال .

الظروف تقتضي وتطالب بل تهتف بنا ، وتنشدنا بالله أن نقلع عن هذا الأسلوب القديم البالي الذي جرنا إلى هذا الشقاء والخذلان والهوان ، ونحطم هذه الحياة التي نحرص عليها ونعض عليها بالنواجذ تحطيما كاملاً ، فلتكن حياة العمل الصامت ، واللسان الساكت ، والقلم الجامد ، فإن فيما كتبنا وخطبنا وشرحنا كفاية لأعوام طوال .

ولتكن حياة الشكيمة والتضحية والصبر والمثابرة ، فإن ما جمعناه من أسباب الترفيه و وسائل الترويح تكفينا لعدة أعوام أخر ، بل لعقود من السنين إذا توقف سيلها ، وانقطع مددها ، ونضب معينها .

وإذا عز على النفس فطامها ، وشق عليها خلعها وتركها فقولوا لها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أيامًا معدودات ﴾ أو قولوا لها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم • وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ﴾ .

قولوا لها أن تصبر على هذا المكروه ، وتصوم عن بعض مألوفاتها وعاداتها ، ورواتبها ، ومنافعها لثلاثة أعوام فحسب ، حتى تسترد في ثلاثة أيام ما فقدت ، وتربح ما خسرت .

إن صورة الحياة و وضعها في هذه البلاد الإسلامية الغنية الخصبة الفائضة بالخيرات وضع لا ينفع معه رشاقة كاتب ، وبراعة خطيب ،

كيف الوصول إلى سعاد ودونها

سعادة الشيخ محمد الحسني المرحوم

نحن المسلمين اليوم نعيش في حالة نفسية واحدة ، نفس الآلام والأحلام ، نفس الأحزان والأشجان ، فضياع القدس ، ضياع تراث مشترك عظيم لا يفرق فيه بين وطن دون وطن ، وشعب دون شعب ، وفضيحة الإخوان العرب فضيحة البلاد الإسلامية كلها لما بينهما من رابطة دينية وأخوة إسلامية ، وهي رابطة لا تعتدى على الروابط المحلية والأواصر الإقليمية ، والاعتبارات الوطنية ، و حق الجوار و القرابة و الأصل و السلالة : ﴿ جعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

كلنا يتمتم ويقول : كيف الوصول إلى سعاد ؟ أين الطريق إلى القدس وإلى حيفا-ويافا ؟ ما هو السبيل إلى استرداد ما فقدناه ، وجبر ما كسرناه ؟ ولكن الأمر جاوز التمتمة والترنيم ، بل وجاوز التهويل والتفخيم ، وأفلت الزمام من يد « صاحبة الجلالة » أعني الصحافة والكتابة والإذاعة أن تتدارك ما فات ، واقتضت الحاجة والمصلحة أن نغير في أساليبنا لمواجهة الظروف المتغيرة ، فنتكلم وقت الكلام ، ونحارب وقت الحرب ، نجامل في حين المجاملة ونصارح في حين الصراحة ، أما أن تكون حياتنا كلها مجاملة ، أو حياتنا كلها صراحة ، فلا ، فانظروا في مجتمعنا الحاضر ، ما هي لغته السائدة ، وأسلوبه البارز وطابعه الممتاز ؟ لو أردنا الاختصار والإيجاز لقلنا : إنه المجاملة

يصرون عليه ويجنبه طريق الضالين الذين يتعبدون بغير علم ويزعمون أنهم على طريق هدى وهم على طريق ضلالة ، وهم النصارى ومن شابههم من الأمم الأخرى التي تتعبد على ضلال وجهل ، وكل ذلك ليعلم المسلم علم اليقين أن كل ديانة غير الإسلام فهي باطلة وأن كل من يتعبد لله على غير الإسلام فهو ضال ، ومن لم يعتقد ذلك فليس من المسلمين والأدلة في هذا الباب كثيرة من الكتاب والسنة .

فالواجب على صاحب المقال - عبد الفتاح - أن يبادر بالتوبة النصوح وأن يكتب مقالاً يعلن فيه توبته ومن تاب إلى الله توبة صادقة تاب الله عليه لقول الله سبحانه : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا الحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ ، ولقول النبي -ﷺ- : « الإسلام يهدم ما كان قبله والتوبة تهدم ما كان قبلها » وقوله -ﷺ- : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا إتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن يمن علينا وعلى الكاتب عبد الفتاح وعلى جميع المسلمين بالتوبة النصوح وأن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن وطاعة الهوى والشيطان إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عنه - قـــال : بينما نحن في المسجد خرج رسول الله -ﷺ- فقال : « انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي -ﷺ- فناداهم فقال : يا معشر يهود أسلموا تسلموا فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، قال فقال لهم رسول الله -ﷺ- : ذلك أريد ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله -ﷺ- : ذلك أريد ثم قالها الثالثة ... » الحديث والمقصود أنه -ﷺ- ذهب إلى أهل الديانة من اليهود في بيت مدراسهم فدعاهم إلى الإسلام ، وقال لهم : « أسلموا تسلموا » وكررها عليهم ، وكذلك بعث بكتابة إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ويخبره أنه إن امتنع فإن عليه إثم الذين امتنعوا من الإسلام بسبب امتناعه منه ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن هرقل دعا بكتاب رسول الله -ﷺ- ، فقرأه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » ، ثم لما تولّوا ورفضوا الدخول في الإسلام قاتلهم -ﷺ- هو وأصحابه - رضي الله عنهم - وفرض عليهم الجزية .

ولتأكيد ضلالهم وأنهم على دين باطل بعد نسخه بدين محمد -ﷺ- أمر الله المسلم أن يسأل الله في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة أن يهديه الصراط المستقيم الصحيح المتقبل وهو الإسلام وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم وهم اليهود وأشباههم الذين يعلمون أنهم على باطل

-ﷺ- إلى جميع البشر ، وأنها نسخت جميع الشرائع المتقدمة ، وأن من لم يتبع محمدًا -ﷺ- ، و لم يطعه فهو كافر عاص مستحق لعقابه ، قال تعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ ، و قال سبحانه وتعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والله سبحانه قد قرن طاعة الرسول -ﷺ- بطاعته ، وبين أن من اعتقد غير الإسلام فهو خاسر لا يقبل منه صرف ولا عدل ، فقال تعالى : ﴿ و مـــــــن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قط أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريّة ﴾ ، وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله -ﷺ- قال : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » .

وقد بين رسول الله -ﷺ- بفعله وقوله بطلان ديانة من لم يدخل في دين الإسلام ، فقد حارب اليهود والنصارى كما حارب غيرهم من الكفار وأخذ ممن أعطاه منهم الجزية حتى لا يمنعوا وصول الدعوة إلى بقيتهم وحتى يدخل من شاء منهم في الإسلام دون خوف من قومه أن يصدوه أو يمنعوه أو يقتلوه ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله

ولرسوله -ﷺ- كما يعلم ذلك من قرأ المقال من أهل العلم والإيمان ، والواجب على ولي الأمر احالته للمحكمة لاستتابته والحكم عليه بما يقتضيه الشرع المطهر .

والله سبحانه وتعالى قد بين عموم رسالة محمد -ﷺ- و وجوب أتباعه على جميع الثقلين وذلك لا يجهله من له أدنى مسكة من علم من المسلمين . قال الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾، وقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافّة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أ أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ ، و قال سبحانه وتعالى : ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ .

وروى البخاري ومسلم عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » ، وهذا بيان صريح لعموم وشمول رسالة نبينا محمد

الدعوة الإسلامية :

بيان كفر وضلال من زعم أنه يجوز لأحد الخروج عن شريعة محمد -ﷺ-

بقلم : سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين - أما بعد !

فقد اطلعت على المقال المنشور بجريدة الشرق الأوسط بعددها رقم/٥٨٢٤ وتاريخ ١٤١٥/٦/٥هـ كتبه من سمى نفسه عبد الفتاح الحايك تحت عنوان : « الفهم الخاطئ » .

وملخص المقال إنكاره لما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة وبالنص والإجماع وهو عموم رسالة محمد -ﷺ- إلى جميع الناس وادعاؤه أن من لم يتبع محمدًا -ﷺ- ولم يطعه بل بقي يهوديًا أو نصرانيًا فهو على دين حق . ثم تطاول على رب العالمين سبحانه في حكمته في تعذيب الكفار والعصاة وجعل ذلك من العبث .

وقد قام بتحريف النصوص الشرعية و وضعها في غير مواضعها ، وفسرها بما يمليه هواه وأعرض عن الأدلة الشرعية والنصوص الصريحة الدالة على عموم رسالة محمد -ﷺ- ، وعلى كفر من سمع به ولم يتبعه ، وأن الله لا يقبل غير الإسلام دينًا إلى غير ذلك من النصوص الصريحة التي أعرض عنها لينخدع بكلامه الجهال .

وهذا الذي فعله كفر صريح وردة عن الإسلام وتكذيب لله سبحانه

وتكاملها مع العقل والتجريب .

ولقد كان التصور الإسلامي للمعرفة تصورًا كاملاً جامعًا يربط بين عالمي الغيب والشهادة ، وبين العقل والنقل ، وبين الدنيا والآخرة ، وبين الروح والمادة .

ولقد كان المسلمون هم أصحاب مذهب الاستقراء القائم على الملاحظة والتجربة والمشاهدة بعد أن كانت البشرية لا تعرف هذا المذهب الذي استمده المسلمون من القرآن الكريم ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ .

وقد نبه علماء المسلمين إلى أخطاء النظر وأوهام الحسّ قبل ديكارت ، وقد أكملوا المشاهدة الحسية بشيء آخر سموه : « الاعتبار » أي التجربة ، ولقد كان من أكبر أخطاء الغرب مقولة أن العقلية الإسلامية هي عقلية غيبية بشكل مطلق لاعتمادها على الوحي كأحد أسسها ، وهذا مرفوض تمامًا فليس هناك شيء مطلق ، وكيف تكون عقلية غيبية وقد أنتجت علما تجريبيًا ومنهاجًا تحليليًا ونقديًا .

والمسلمون يرفضون اتهام العقلية الإسلامية بالغيبية والبيان بشكل مطلق ، وان الذين عبروا عن هذا من كتاب العرب (أمثال عابد الجابري وغيره) كمقولة : « البياني والعرفاني والبرهاني » وقد تأثروا أساسًا بالفكر الفلسفي الفرنسي وخاصة عن الفيلسوف « التوسير » فالعقلية الإسلامية تتضمن جانبا تحليليًا نقديًا تأويليًا يعمل العمل .

خدعهم بعض قادة الفكر فيهم الذين قدموا لهم القومية والشيوعية والليبرالية كوسائل لبناء مجتمعاتهم وكانت التجربة بعد مرور قرنين كاملين اليوم : سقط المتاع وقبض الريح .

فقد تأكد اليوم أن (بتمية) ، العرب والمسلمين للغرب لم تحقق لهم أي تقدم علمي أو حضاري حقيقي ، وإنما توقف العطاء في حدود خدمة العرب والمسلمين لمنهج الغرب في الاقتصاد و تقديم العناصر الأولية واستقدام المصنعات دون أن يتحقق لهم إقامة صناعة حقيقية تقوم على موادهم وسواعدهم ، فقد حرص الغرب على حجب معطياته العلمية واستبقاء هذه البلاد مصدرًا للخامات وسوق للبضائع وقد فعلت ذلك بتركيا ثم بالبلاد العربية والإسلامية .

كذلك خدع الغرب أهلونا في الدعوة إلى القوميات ومفاهيم العروبة المنفصلة عن الإسلام والمرتبطة بالاشتراكية وكانت التجربة مريرة وقاسية . ولقد خدع العرب أيضًا في الاشتراكية وتحولت بلادها إلى الولاء الماركسي وكانت نتيجة ذلك في نكسة ١٩٦٧م حيث لم يقبل السوفيتي إعطاء العرب أسلحة هجومية حتى لا يمكنوهم من استئصال إسرائيل واكتفوا بإعطائهم أسلحة دفاعية .

ولقد دخل العرب والمسلمون معارك حاسمة في سبيل الحرية وامتلاك الإرادة . ولكن النفوذ الاستعماري كان قادرًا على احتواء هذه الحركات وتدميرها واستطاع احتواء هذه الأقطار في نفوذه وسلطانه وتحويلها من العمل الإسلامي الأصيل إلى التبعية .

إسلامية المفاهيم والقيم والمصطلحات

بقلم : سعادة الأستاذ الأديب البارع أنور الجندي

لقد أصبح من الواضح اليوم أن الفكر الإسلامي قد خرج من دائرة الدفاع وتصحيح المفاهيم إلى تقديم البدائل للمفاهيم الغربية الوافدة ، سواءا كانت من الفكر القومي أو الفكر الغربي أو الفكر الماركسي أو مفاهيم الصهيونية .

هذه المرحلة بدأت فعلا مع مشرق فجر القرن الخامس عشر وما زالت متصلة عاما بعد عام في سبيل تأكيد ضرورة تقديم البدائل الإسلامية الأصيلة للمفاهم الوافدة على طريق الأصالة والتحول إلى بناء الفكر الإسلامي على قاعدة تكامل الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وبعد أن تتأكد من أن العالم كله يتطلع في أمل كبير إلى الإسلام كمنقذ له من الحصار الخطير الذي فرضته الحضارة الغربية الغاربة .

وقد جاءت كتابات الغربيين في العقود الأخيرة لتؤكد عجز الحضارة الغربية عن العطاء وعن تقديم أشواق النفس الإنسانية واستعلائها في جوانبها المادية و الإباحية مع النحو الذي وصلت إلى الحضارات الروحانية والـ..انية قبل أن تهوى ويتبين اليوم في وضوح للعرب والمسلمين ، كيف أنهم خدعوا في هذه الحضارة ظنًا منهم أنها تقدم علومها أصيلة صالحة للأمم كلها وأنها تحقق للعالمين الأمن والأمان،وقد

في الأرض خليفة ، ثم كرمناكم بسجود الملائكة لكم فهل بعد هذه النعماء العظيمة يجوز الشرك بالله تعالى ؟! وقبل هذه القصة ذكر النعم وفي ضمنها ذكر هذا العطاء الكبير .

٤- من المعلوم أن عمود سورة البقرة إثبات رسالة النبي الكريم -ﷺ- خاصة لليهود ، فبعد هذه القصة قد استمر الخطاب لكلمة « يا بني إسرائيل » وقبل خطابهم ذكر الله سبحانه هذه القصة بعلاقة خاصة ، وجريا على العادة فإن في هذه القصة تمهيدًا للخطاب الخاص لبني إسرائيل ، وإنما هي في الحقيقة مرآة لماضيهم ومستقبلهم ، إنهم كانوا ينكرون رسالة محمد -ﷺ- بعد ما عرفوها لكبرهم ، كما أنكر الشيطان متكبرًا ، سجوده لآدم - عليه السلام - ، وكان السبب الظاهر لإنكارهم رسالة محمد -ﷺ- هو الاعتزاز بقبائلهم وعشيرتهم ، فكانوا يزعمون أنهم من المقربين عند الله وأن الرسالة كانت في بني إسرائيل حتى الآن ، فكيف يمكن أن يتحملوا عار الإيمان برسول هو من بني إسماعيل ، فقد ردّ تعالى على زعمهم هذا في كثير من المواضع وأكد أن الرسالة عطاء من الله يعطيه من يشاء ، ولستم بمتعهدين بها ، فإن قصة الشيطان لعبرة لبني إسرائيل قد ذكر فيها نقض آدم العهد ثم بين عاقبته ، وهذا انتباه لبني إسرائيل بأنهم لم يدوموا على الميثاق بعد إنكار رسالة محمد -ﷺ- ، أما ذكر توبة آدم فتنبيه لبني إسرائيل .

[يتبع]

خاطبًا لبني آدم : ﴿ فإما يأتينّكم مني هدىً فمن تبع هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

والمراد باتيان الهدى بعثة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كما قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ يا بني آدم إمّا يأتينّكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي ﴾ .

في هذه السورة جاءت كلمة الرسل بدلاً من الهدى فهنا دعا الله سبحانه القوم إلى الإيمان بنبوة محمد -ﷺ- مذكّرًا بالميثاق . فيجب إثبات الرسالة الهادية إلى سبل الطاعة بعد إثبات وجوب الطاعة في الآيات السابقة .

٢- قبل هذه القصة أشار الله سبحانه إلى عطائه وهو خلقُ الإنسان ، وخلقُ جميع ما في الأرض والسماوات لمصلحته . ولكنه لا يمكن أن يتمتع الإنسان بجميع ما في الأرض والسماوات من النعم إلا إذا كان عليهم أمير يقيم الأمن والسلام بينهم . فقد بين تعالى خلافة آدم بعد هذه النعم التي تشير إلى أساس الخلافة وبدايتها وحاجة الناس إليها .

٣- ذكر تعالى قصة آدم - عليه الصلاة والسلام - ليوضح أمام الإنسان عطاياه التي لا تحصى ولا تعدّ . لكن قبل هذه القصة أقام الدليل على بطلان الشرك . فجاء في ذلك أنه تعالى خلق لكم جميع ما في الأرض والسماوات . فمن الجور العظيم أن تعبدوا غير الله . ثم ذكر أعظم النعم وأكبرها وهي خلافة آدم وسجود الملائكة له قائلاً للنّاس : إنا خلقنا لكم ما في السماوات والأرض ثم فوضنا إليكم الخلافة في الأرض بل جعلناكم

٢- ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ﴾ .

هذه الآية تدل على بطلان الشرك من جهتين : الأولى : المطابقة والموافقة في جميع أشياء الكون فلابد أن الخالق واحد . والثانية : لما خلق الله لنا الأشياء كلها فمن أعظم كفران النعم أن نشرك به أحدًا .

هذه الأمور الثلاثة ثابتة من ألفاظ النص . وبعد ثبوتها يثبت وجود طاعة الله سبحانه لما أن الله تعالى كان عليمًا بأعمالنا وسوف نقوم أمامه فطاعته واجبة علينا ولما كان كريمًا علينا وخلق لنا جميع الأشياء الضرورية للعيش فوجب علينا أن نعبده شكرًا له . وفي طاعته نفع كبير لنا لأنه تعالى كان حكيمًا وأحكامه كلها مبنية على الحكمة فكانت طاعته مفيدة لنا في كل حال .

بعد هذا الإيضاح يسهل لنا أن نفهم أن الاعتقاد بالله سبحانه والاعتراف بنعمائه . والإقرار بالمعاد ينتج إثارة روح الطاعة . فمن يؤمن بوجوده تعالى ويعترف بعطائه مع إخلاص نيته . ويتيقن بالقيامة فهو يخضع له سبحانه ساجدًا ويبذل السعي في ابتغاء رضوانه تعالى . ومن ثم نحتاج إلى اعتقاد النبوة لأن الأنبياء هم الذين يخبرون بأمور تسبب رضا الله تعالى . فلما ثبتت طاعة الله في الآيات السابقة ذكرت قصة آدم في الآيات التالية لأن هذه القصة تدل على إثبات الرسالة العامة التي تؤيد تأييدًا كاملاً رسالة محمد -ﷺ- وفي هذه الحكاية إثبات النبوة العامة من جهتين : الأولى : خلافة آدم . والثانية : الميثاق الذي أخذه تعالى على طاعة الأنبياء من بني آدم - عليه الصلاة والسلام - . وقد قال الله تعالى

في ارتباط هذه الآيات بقصة الخلافة . وهنا يجب أن نرسخ مفهوم هذه الآيات في أذهاننا جيدًا لفهم هذا الارتباط . يقول الإمام الأستاذ الفراهي في تفسير هذه الآيات المذكورة عند تفسير سورة البقرة : « فيها دليل على وجود الخالق و وقوع القيامة وإبطال الشرك و وجوب الطاعة » .

فكيف تدل هذه الآيات على هذه الأمور ؟ فأجيب بلسان قلبي عن هذا السؤال أولاً . وإذا قمنا بتحليل معاني هذه الجمل إلى أجزاء وجدنا كل جزء يشتمل على دليل ثابت وبرهان قاطع .

١ - ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ .

هذا الجزء من الآية دليل ظاهر على وجود الخالق سبحانه وآثار القدرة التي لا تحصى . وفيها دليل على وجود الإنسان نفسه . والتساؤل معه بأن يقال : إنك لم تكن شيئًا فمن الذي خلقك ؟ ثم من الذي أعطاك المشاعر وقوّاك شيئًا فشيئًا بعد خلقك ؟ إذا لم يكن هناك خالق فمن كان يخلقك ؟ ومن يعطيك القوى والمشاعر ؟ وهل إن فاقد الشئ يعطيك شيئًا ؟

٢ - ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ .

هذا الجزء وإن كان مرتبطًا بما قبله لكنه يتضمن الدليل على المعاد لوجوه . وهي أنه قد دل ما قبله على وجود الخالق سبحانه بأنه أحدثك من العدم إلى الوجود وهو خالقك . ثم استدل به على المعاد بأنك ما كنت شيئًا فخلقك . فكيف لا يقدر على أن يحييك بعد أن أماتك ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ والآيات ما بعده ذكرت لإظهار صفة القدرة والعلم . ويعضد هنا إثبات المعاد كذلك .

إلى يومنا هذا متفقًا عليها و معترفًا بها » (١) .

ويقول لين بول (Lane Poole) :

« إن أكبر محاسن القرآن أصالته غير مشكوك فيها . كل حرف نقرأه منه اليوم يمكننا أن نثق بأنه هكذا من قرابة ثلاثة عشر قرنًا من الزمن غير مغير ولا محرف » (٢) .

لهذه الحقيقة القاطعة لم تكن للإسلام من حاجة إلى نبوءة جديدة تقضي على الشكوك والشبه ، وتميز الحق من الباطل ، وتفضح كذب الكاذبين ، ولم يكن ثمة من داعٍ إلى كتاب آخر يحل محل الكتب المنسوخة التي كانت عرضة للتحريفات والإلحاقات والتعديلات (٣) .

﴿ إنه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٤) .

٧ ٧ ٧

---

(١) (The Quran Introduction, P. 79,) تعريف بالقرآن لـ « وهيـــــري » : ص/٧٩ .

(٢) هذه المقتطفات والشواهد كلها مقتبسة من « تفسيرالقرآن » الإنجليزي ، للعلامة عبد الماجد الدريابادي .

(٣) مقتبس من « النبوءة والأنبياء » للمؤلف : ص/٢٢٧-٢٢٤ .

(٤) سورة حم السجدة :٤١-٤٢ .

« لقد نشأت بعد مضى ربع قرن من الزمن على وفاة محمد ﷺ مناقشات حادة وتحزبات شديدة أدت إلى مقتل عثمان – رضي الله عنه – ولا تزال هذه الخلافات موجودة الآن ، إلا أن القرآن المشترك بينهم هو قرآن واحد ، وإن تلاوة هذه الفرق و الطوائف – التي ظهرت بسبب التحزبات – لهذا القرآن الواحد بصفة متواترة مستمرة في كل عصر حجة قاطعة على أن الصحيفة التي بأيدينا هي نفس تلك الصحيفة التي أعدت بأمر الخليفة السيئ الحظ (١) ، ولعله لا يوجد في العالم كله كتاب مثله بقي مدى القرون الإثنى عشر على أصالته بدون تحريف وتغيير ، وإن الخلافات في قراءات القرآن هي أيضًا قليلة جدًا إلى حد مدهش ، و هي كذلك بسبب الإعراب و الشكل الذي كان بعد زمن طويل » (٢) .

ويقول وهيري (Wherry) في تفسيره للقرآن :

« إن القرآن هو من بين جميع الصحف القديمة أكثرها أصالة وعدم اختلاط بغيره (Purest) » (٣) .

ويقول مترجم القرآن المعروف إلى الإنجليزية « بالمر » :

« إن الصحيفة التي رتبها عثمان – رضي الله عنه – لم تزل من عهده

---

(١) يريد به سيدنا عثمان – رضي الله عنه – وقتله ، ولكنه لا يعرف أن عثمان لم يكن سيئ الحظ كان سعيدا بالشهادة ، إنما كان سيئ الحظ أولئك الثائرون والمنتهكون لحرمته الذين لم يراعوا إلا ولا ذمة .

(٢) «حياة محمد» (Life of Mohammad) لسر وليم ميور (Sir William Muir) .

(٣) (Commentary of The Quran , Vol. 1, P. 349. تفسير القرآن ج/١ ، ص/٣٤٩ .

لم يزل المسلمون بعد الانتهاء من عملية جمع القرآن وتدوينه في المصحف مجمعين إلى يومنا هذا على الأخذ به ، ولقد حفظ القرآن الكريم بعد كل ذلك ولا سيما الآن من أن تمتد إليه يد التحريف ، أو يغير فيه حسب الأهواء والرغبات لكثرة حفاظه وحملته ، وسعة انتشاره وكثرة طباعته ، وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية الاعتراف التالي :

« إن القرآن هو أكثر الكتب على وجه الأرض تلاوة وقراءة » (١) .

ويوافق المستشرقون والباحثون الغربيون - الذين لا يرون القرآن كتابًا إلهيًا ، نزل بطريق الوحي على محمد -ﷺ- على الرأي السابق ، ونسوق - فيما يلي - بعض أقوال الباحثين المسيحيين في هذا الصدد :

يقول سروليم ميور - الذي يعرف بالتحامل على الإسلام ورسول الإسلام محمد -ﷺ- والذي اضطر كتابه : (Life of Mohammad) سر سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكراه الإسلامية - الذي كان حامل لواء التعليم الحديث للمسلمين - إلى أن يرد عليه بكتابه : « الخطبات الأحمدية » - يقول هذا الباحث :

>>> القرن الثاني الهجري ، ولكنها كلها لا تحمل أي اختلاف لفظي ، اللهم إلا اختلافًا في اللفظ ، وهو بسبب الخلل في الخط العربي القديم ، وأبدى مثل هذا الرأي الأستاذ نولديك (Noeldeke) في دائرة معارف الديانات والأخلاق : ج/١ ، ص/٥٤٨-٥٤٩ .

(١) انظر دائرة المعارف البريطانية ، تحت عنوان « محمد » -ﷺ- .

القراءات تحتمل سبعة أحرف أنزل الله بها القرآن للتيسير على الأمة العربية المترامية الأطراف في أول عهدها بهذا الكتاب . وظهرت للناس عدة وجوه في هذه القراءات ، وبسبب دخول الأعاجم بكثرة في الإسلام اختلافًا في اللهجة والأداء ، وعدم فهم لحكمة التيسير في وجوه القراءات المتعددة . وخاف الصحابة - رضي الله عنهم - أن يؤدى هذا الاختلاف الذي سيشتد ويحتدم - وقد احتدم في بعض الأماكن فعلا - أمر عثمان - باستشارة من الصحابة -رضي الله عنهم- واتفاق عنهم - بأن يقرأ هذا القرآن على لغة قريش التي نزل عليها أصلاً . وأمر بإعادة الكتابة مراعاة للغة قريش في وجوه القراءات . وبعث بهذه النسخ إلى كل مدينة إسلامية . واستبقى نسخة منها في المدينة المنورة تسمى « المصحف الإمام » .

وهذه هي النسخة التي أجمعت عليها الأمة ، وقبلتها ، وتداولتها عبر القرون والأجيال ، وعمرت بها القلوب ورطبت بها الألسن ، فحفظوا القرآن الكريم ، وتعبدو الله -تعالى- ، ولا يزال الاعتماد إلى يومنا هذا من أقصى العالم إلى أقصاه على هذا المصحف العثماني الإمام . ولم يختلف فيه من ٢٥هـ الذي كان فيه هذا الاتفاق على هذا المصحف المختار أي اثنين في أي مجتمع إسلامي . ولم يعثر على كشف جديد لنسخة أخرى في أي مكتبة من مكتبات العالم و لا في أي متحف من متاحف الآثار القديمة (١) .

---

(١) يقول المستراوي منغانا (أستاذ جامعة مانشستر سابقًا) : توجد في المكتبات الأوربية نسخ خطية كثيرة للقرآن الكريم ، و اقدمها نسخة من >>>

القرآن الكريم في معركة اليمامة (١) بكثرة مقلقة ، خافوا أنه إذا استمر القتل بمثل هؤلاء ، فإنه يخشى على بقاء القرآن - لو كان معتمدًا على الحفظ في الصدور - ويتعرض لخطر الضياع .

وقد هجس هذا الهاجس أولا في خاطر عمر الفاروق -رضي الله عنه- الذي كان دائمًا أسبق إلى تقدير مصالح المسلمين وضروراتهم ، والذي كان صوت ضميره يوافق -أكثر الأحيان- نداء الحق ومقاصد الشرع المنير - فتقدم إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - باقتراح جمع القرآن الكريم ، وكتابته في صحيفة واحدة ، وكان قبل ذلك مكتوبًا مفرقًا في الأدم والعسب (٢) ، واللخاف (٢) ، ومحفوظا في صدور الناس ، فشرح الله -عزوجل- صدر أبي بكر - رضي الله عنه - لذلك .

و ولي كاتب الوحي الأمين زيد بن ثابت -رضي الله عنه- هذا العمل ، فقام به زيد باهتمام بالغ وعناية منقطعة النظير ، وجمع القرآن من صدور الحفاظ وصحف كتاب الوحي ، ومن الأدم والعسف واللخاف المحفوظ في بيوت الناس ، وهكذا ظهرت هذه الصحيفة القرآنية المجموعة في مكان واحد التي يعول عليها الناس ، ويرجعون إليها .

ولما جاء عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وانبث القراء والحفاظ بسبب كثرة الفتوح في مختلف الأقطار والأمصار ، وانهال الناس عليهم يتعلمون منهم ويقبلون على قراءاتهم ، وكانت هذه

---

(١) كانت حرب اليمامة في أيام أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - سنة ١٢ من الهجرة ، وقتل فيها مسيلمة الكذاب .

(٢) العسب جمع عسيب ، و هو جريد النخل الذي ليس عليه ورق .

(٢) اللخاف جمع لخفة ، و هي صحائف من خطية الحجر الأبيض .

القرآن الكريم ولا يزال مصدرهم الأول ، ومرجعهم الذي إليه يرجعون .

لقد أنشأ كل ذلك في المسلمين صلة روحية قلبية بالقرآن الكريم بلغت حد تعشقه والهيام به ، وكثر فيهم من بداية العهد الإسلامي حفاظ القرآن كثرة مدهشة ، حتى استشهد في حادثة بئر معونة عام ٣هـ سبعون من المسلمين الذين كانوا يدعون « القراء » أي الحفاظ العلماء (١) ، ولم يزل عدد الحفاظ بزيادة نسبة المسلمين ، والرغبة في حفظ القرآن في ازدياد ونمو بالغين حتى أصبح حفظ القرآن الكريم منتشرًا في كل مدينة وكل قرية صغيرة وكبيرة ، وفي كل مجتمع مسلم إلى حد مدهش .

ولم يزل المسلمون ينقلون القرآن الكريم من صدور إلى صدور شفاها وكتابة ، وبلغوا في حفظه من الإتقان والمهارة وفي قراءته وتصحيح مخارجه ، وأحكام قواعده من الدقائق الفنية والكمال العلمي ، وفي التنافس فيه وكثرة تلاوته والتعبد به من الشوق والهيام ما يحير الألباب ، ولا يصدقه عامة غير المسلمين إن ذكر لهم ، نعم أولئك الناس من غير المسلمين الذين يعيشون في بيئة إسلامية ولهم صلات مع المسلمين ، فإنهم يمكن أن يقدروا ذلك بعض الشئ ، وقد كان عدد هؤلاء الحفاظ في كل عصر أكثر من أن يحصى ، وإنهم الآن ليتجاوزون مئات الألوف في شبه القارة الهندية فحسب .

لقد صرف الله -عزوجل- خلفاء الرسول الكريم -ﷺ- والمسئولين عن شئون المسلمين إلى هذا الأمر بطريقة إلهامية ، فلما استشهد حفاظ

---

(١) البداية والنهاية : ج/٤ ، ص/٧١ ، وحديث بئر معونة مشهور ، وقد أخرجه البخاري و مسلم و أصحاب السنن الأخرى .

التوجيه الإسلامي :

القرآن المجيد والصحف السماوية القديمة

في ميزان العلم والتاريخ

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

ولما قضى الله -عزوجل- بأن يبقى هذا الكتاب على أصالته وبجميع لوازمه - حسب ما أنزل على الرسول الكريم -ﷺ- وجه لتحقيق هذا الغرض الجليل النفوس البشرية ، والأسباب الطبيعية والخارجية والحوادث التاريخية ، فكلما كان رسول الله -ﷺ- يتلو آية كريمة ، وترن في أسماع المسلمين ، إذا بهم يتقبلونها تقبلا ، ويضمونها إلى صدورهم ، وينقشونها في قلوبهم ، و يتهافتون على حفظها واستظهارها تهافت الفراش على النور .

وقد كان من أسباب هذا التنافس والمسارعة إلى حفظه حبهم للقرآن ، وشغفهم به ، كما كان لإعجاز القرآن وبلاغته وحلاوة جرسه ، وجمال نبراته وتناسب ألفاظه ، زدْ إلى ذلك الآيات والأحاديث الواردة في فضل حملته وحفاظه (١) ، تأثير أيما تأثير ، ثم ارتباط المسلمين بالقرآن عن طريق صلواتهم وجميع عباداتهم ، وعن طريق تشريعهم وأحكام دينهم ، ومدنيتهم واجتماعهم ، وعلومهم وآدابهم ، في كل هذه الجوانب كان

----

(١) انظر في فضائل القرآن أبواب فضائله في كتب الحديث ، واقرأ رسالة « فضائل القرآن » للإمام عماد الدين الحافظ ابن كثير (م ٧٧٤هـ) في آخر تفسيره المشهور .

ومنذ قديم عرف أبناء الندوة بالاشتغال بعمل الدعوة إلى الله في داخل الهند وخارجها على السواء وقد شغلوا كراسي القسم الإسلامي في بعض جامعات العالم الكبيرة . وإن لجولات أبناء الندوة وكتاباتهم في موضوع الدعوة إلى الله دويًا في أوساط التربية والتوجيه والدعوة ويرأس الآن متخرجي الندوة وعلماءها البارزين سماحة العلامة الداعية إلى الله الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي الذي لا يخفى دوره الطليعي في هذا المجال من كل جهة . و قـــد دعي أخيرًا إلى جامعة أوكسفورد من قبل المسئولين عن الجامعة في الأسبوع الأخير من شهر يوليو عام ١٩٨٣م لكي يقوم بافتتاح مركز للدراسات الإسلامية في هذه الجامعة . وهو الذي يتولى رئاسته . والإشراف على سير أعماله . فيزوره كل عام على دعوة من القائمين ويرأس الندوة العلمية التي يعقدها المركز . ويحضرها كثير من المثقفين الإنجليز ممن يستفيدون من المحاضرات التي يلقيها سماحته في المناسبة . وقد نُشرت مجموعة من محاضراته التي ألقاها في هذا المركز الإسلامي باسم « الإسلام والغرب » .

ويوجد اليوم إقبال كبير على مناهج ندوة العلماء ونظامها التعليمي فقد أصبحت لدار العلوم التابعة لندوة العلماء فروع ومدارس تابعة لها منبثةً في جميع أنحاء الهند وخارجها . وهي في تزايد مستمر و تابعة لها في المنهج الدراسي والسياسة التعليمية بوجه خاص .

وبهذا القدر الضئيل من الضوء الذي ألقيناه على الموضوع .. يتضح أهمية دور ندوة العلماء في هذا المجال ويمكن تقدير نتائج هذا العمل بعض الشئ ..

﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾

سعيد الأعظمي

لغات عالمية أخرى مثل الإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية واللغة الهندية السنسكريتية والبنغالية ، و قد تأسس هذا المجمع منذ ٢٥/عامًا ، و لكنه أكرمه الله تعالى بالخصوبة والإنتاج ، ويشرف على برامج أعماله ونشاطاته سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وأمينه العام ، سعادة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي الذي هو مدير دار العلوم جامعة ندوة العلماء كذلك .

الدعوة العامة إلى الله :

منذ أن قامت ندوة العلماء على مبدأ الجمع بين الدين والدنيا وبين القديم الصالح والجديد النافع فهي تحرص على الاسهام الفعال في مجال الدعوة إلى الله ! ولقد كان لعلماء الندوة نشاط كبير في أداء هذه المسئولية العظيمة من خلال الكتابات والخطابات والاتصالات وعقد الندوات والمؤتمرات ، وإنهم يلقنون طلابهم أهمية هذا الجانب المهم وماله من دور كبير في بناء الحياة وتربية الإنسان الصالح الذي يقوم بوظيفته في هذا العالم نحو دعوة الناس إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

فكانت الدعوة إلى الله من ميزة ندوة العلماء البارزة .. وقد ضغطت على هذا الجانب الحيوي المهم بشدة و وفقت في عهدها الأخير إلى إنشاء « المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي » الذي أشرنا إليه حيث تحدثنا عن معاهدها العالية . افتتحه سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، بمحاضراته الدعوية التي ألقاها في المعهد أمام طلاب المعهد وبحضور الأساتذة والطلاب . وقد طبعت هذه المحاضرات في صورة كتاب قيّم باسم روائع من أدب الدعوة في الكتاب والسنة ، وهو في كل عام يلقي محاضرات في الموضوع في مفتتح العام الدراسي .

عليجـــراه الإسلامية ، وجامعة حيدرآباد العثمانية والجامعة الملية الإسلامية وجامعة داكا (في بنغلاديش اليوم) وأمثالها قد اعترفت بقيمة ندوة العلماء وأهميتها في مجال تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وجمعها بين القديم الصالح والجديد النافع .. أما المدارس الإسلامية الأهلية فإنها لم تولها عناية ولا اعترفت بفضلها في مجال التعليم والتربية إلا في تعليم اللغة العربية والعناية بآدابها فقط . فقد اعترفت بهذا الجانب هذه المدارس وعلماؤها كذلك .

ولم تتمكن ندوة العلماء من توسعة نطاقها إلى الشعب المسلم العام ، لأنها ظلت تعمل في نطاقها العلمي والأدبي في تاريخها السابق .. ولكن إقبال الجماهير المسلمة على الندوة تزايد ولا يزال في استمرار منذ أن آل زمام المسئولية إلى سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فإنه وضع خدمات ومكاسب ندوة العلماء كلها في خدمة مصالح المسلمين الدينية والشرعية عامة ، عسى أن يرجعوا إلى الطريق السوى .

إنتاجها العلمـــي :

ندوة العلماء وزعت إنتاجها العلمي والثقافي بين جانبين ، فمكتبة دار العلوم ندوة العلماء تقوم بنشر كتب المنهج التعليمي و وضع هذه الكتب بأقلام أعضاء لجنة من المؤلفين والكتاب ، ذلك أن ندوة العلماء قامت بوضع منهجها اللغوي والأدبي بوجه خاص و وضع كتب من الفقه والتشريع والعقيدة من قبل أساتذة الجامعة نفسها ..

أما الكتب العلمية والفكرية والدعوية فيقوم على إصدارها ويشرف على نشرها وتوزيعها (المجمع الإسلامي العلمي) ذلك المجمع الذي وصل إنتاجه إلى أكثر من مائة وخمسين مؤلفا .. وقد ترجم أكثر إنتاجات المجمع إلى

الرئيس فيه سعادة الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومكتب شبه القارة الهندية ومقره في ندوة العلماء ونائب الرئيس فيه سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي .

والرابطة مستمرة في نشاطها الأدبي وتأكيد مفهوم الأدب الإسلامي في النفوس ، ودوره الكبير في بناء الحضارة الإسلامية وإعادة الثقة برسالة الإسلام إلى المجتمع الإسلامي ، وذلك بطريق عقد الندوات والمؤتمرات الأدبية في مختلف عواصم العالم الكبرى وفي الجامعات الإسلامية العربية ، ونشر كتب أدبية قيمة ، وإصدار مجلات أدبية راقية باللغات العربية والشرقية .

كما أن مكتب شبه القارة الهندية مكب على أداء رسالته الأدبية بنشر الكتب والإصدارات ، وعقد المؤتمرات والندوات في الهند وفي مختلف بلدان الدول الشرقية .

وقد أصبح للرابطة أنصار وأعضاء من كبار الأدباء والمثقفين والعلماء والمفكرين ، على المستوى العالمي ، وهي تكسب الاعترافات العالمية بأهمية دورها ولا يزال يتسع نطاق عملها وتأثيرها على مرّ الأيام .

ولقد كان للمنجزات العلمية والأدبية ولنتائج اللغة والفكر التي حققتها ندوة العلماء تأثير كبير في الأوساط العلمية والدينية في الهند ، واعترف علماء المدارس الفكرية المختلفة بفضلها في تعليم اللغة العربية وآدابها ، وذلك لما رأوه من ممارسة متخرجيها شئون الحياة بشئ كثير من الثقة وعلى المستوى العلمي والفكري الرفيع ..

وكانت جامعات الهند العصرية التي يشرف عليها المسلمون مثل جامعة

ويتسلحوا بأسلحة الفكر النقي والعلم الواسع والاطلاع الكامل على مجريات الزمان ومتطلبات العصر . وللمعهد مدير ، ومكتبة تحتوى على الكتب والمواد المختارة ، يستفيد منها الطلاب في إعداد مناهجهم الدعوية والفكرية .

وكذلك المعهد العالي للقضاء والإفتاء ، يلتحق به الطلبة المتخرجون من الدراسات العليا في كلية الشريعة ، الذين يرغبون أن يتخصصوا في موضوع القضاء الشرعي والفتوى ، وذلك جانب مهم جدًا في الظروف الراهنة ، ومن متطلبات الحياة والحضارة الإسلامية ، وله دور كبير في بناء الشخصية الإسلامية والإبقاء عليها في خضم الحضارات والفلسفات المادية اليوم .

هذا عدا المعهد المتوسط والثانوي لدار العلوم ، ومعهد تحفيظ القرآن الكريم ، الذي يُعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده على مستوى رفيع وأسلوب تربوي جيد ، والمتخرجون من هذا المعهد ينضمون إلى الصف الإعدادي الثانوي استكمالا لدارسة الشريعة والأدب وأصول الدين .

رابطة الأدب الإسلامي العالمية :

وانطلاقًا من نظرة ندوة العلماء نحو الأدب العربي الإسلامي ودوره في تفسير مفاهيم الكتاب والسنة ، فقد أسس سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رابطة الأدب الإسلامي أولاً ، ولكنها نالت إعجابًا وتقديرًا كبيرًا من أدباء اللغة العربية في الدول الإسلامية فأقيمت لها مراكز في الدول العربية ، وسُميت برابطة الأدب الإسلامي العالمية ، اختير سماحة العلامة الندوي رئيسًا عامًا لها ، وهي تتوزع بين مكتبين كبيرين ، مكتب الدول العربية ومقره في الرياض ، ونائب

وإشرافه .

ولم يكن تأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء بعد تأسيس ندوة العلماء بخمس سنوات إلا خطوة عملية نحو تحقيق إنجازاتها العلمية والأدبية والدعوية والفكرية وقد اتسع نطاقها على مر الأيام .. وتشعبت فروعهـــا وتنوعت أغراضها حتى تحولت إلى جامعة علمية وتربوية كبيرة ..

كليات ومعاهد عالية :

وزعت دار العلوم النشاط التعليمي والدعوي والفكري ، بين كليات ومعاهد عالية وذلك تحقيقًا للأهداف العظيمة التي تدعو إليها ، واستيعابًا للقوى العاملة في مجالات التعليم والدعوة والفكر ، وتفجيرًا للمواهب والطاقات الكامنة تحت الرماد . فكلية الشريعة وأصول الدين ، تُشرف على تدريس العلوم الشرعية والدينية بأقسامها واختصاصاتها المختلفة ، كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، ولها إدارة تابعة لإدارة دار العلوم ، تعمل في نطاقها المعين ، وعميد للكلية ومكتبة خاصة بها ، تحتوي على كتب ومراجع للشريعة وأصول الدين .

كما أن لتعليم الأدب العربي تاريخًا ونقدًا وبلاغةً ، كلية اللغة العربية وآدابها التي تشرف على أقسامها المختلفة ، وهي تتبع إدارة دار العلوم في النظام واللائحة ، ولها عميد ومكتبة واسعة يستفيد منها طلاب الكلية بوجه خاص .

والمعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ينتسب إليه الطلاب المتخرجون من الدراسات العليا ممن يريدون الاختصاص في موضوع الدعوة والفكر الإسلامي . ويريدون أن يتعلموا أساليب الدعوة وصفات الداعية

وقد نجحت ندوة العلماء في هذه الناحية إلى حد كبير وبدأت تخرج أفواجًا من العلماء الذين كانوا يتقنون اللغة العربية كلامًا وخطابة وكتابة وتعبيرا وأدبًا . وذلك بإشراف أساتذة من العرب منهم محمد طيب المكي ، وخليل بن حسين ، وتقي الدين الهلالي ، ومحمد العربي المغربي ، فقد عصر هؤلاء مواهبهم العلمية والأدبية في نفي الظن بأن اللغة العربية إنما هي لغة الكتب والتراث ، ولا شأن لها بصميم الحياة والمجتمع ، وتولوا تخريج جيل من الناطقين بلغة الضاد الفصيحة ..

صحافة عربية :

أما الصحافة الإسلامية العربية فقد أولتها ندوة العلماء قسطًا كبيرًا من العناية والاهتمام ، وأصدرت أول مجلة عربية راقية في هذه البلاد ، تضارع المجلات العربية الصادرة في العواصم العربية الكبرى ، بل وقد تفوقها من بعض الاعتبارات ، وهي مجلة « الضياء » الشهرية التي صدرت بإدارة أدبائها الكبار ، في عام ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م واستمرت إلى مدة ، ثم توقفت لأسباب قاسرة .

ولما آلت مسئولية الشئون التعليمية والتربوية ، و وضع المناهج الدراسية لتعليم اللغة العربية وآدابها إلى سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي استأنفت ندوة العلماء سير الصحافة العربية الإسلامية من جديد ، وصدرت مجلة « البعث الإسلامية » الشهرية في عام ١٢٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م ، وصحيفة « الرائد » نصف الشهرية في عام ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩م ، ولا تزال لهما شهرة أدبية ، وقبول عام في الأوساط الأدبية لدول العالم العربي والإسلامي ، وكلتاهما مستمرتان في أداء رسالتهما الأدبية والدعوية بتوجيه من سماحة العلامة الندوي

الزمن الذي أسست فيه . يحتم الواجب الديني والدعوي على المسئولين عن ندوة العلماء في العصر الحاضر وعلى رأسهم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (الأمين العام لندوة العلماء) أن يقوموا بمهمة تعريفها على أوسع نطاق . وبشئ كثير من الثقة والجدية والاهتمام . في ضوء الحقائق والأرقام : وأن ينهضوا بتأكيد حاجتها للمسلمين في العصر الراهن أكثر من أي عصر مضى ..

تعليم اللغة العربية :

ندوة العلماء ركزت عنايتها بوجه خاص على تعليم اللغة العربية وآدابها كلغة حية نامية وكلغة خطابة وكتابة تعامل في جميع شعب الحياة من أجواء البيوت الداخلية إلى الدوائر الرسمية والجامعات العلمية والمراكز الثقافية والأكاديمية . ولتحقيق هذا الغرض قام المسئولون عن شئونها التعليمية والتربوية بوضع منهج لتعليم اللغة العربية يفتح الطريق والذوق للمتعلمين . ويُحبّب إليهم هذه اللغة حتى يؤثروها على جميع اللغات العالمية الأخرى . ويروا إليها بنظرة ملؤها التقدير والتعظيم . ذلك لأن اللغة . أيّ لغة كانت . لا يمكن أن يتعلمها أي إنسان ما لم تكن هي اسمى أمنية في عينه فيضحي بكل ما يمكنه في سبيل تعلمها. ولا يبخل بأي شئ من وقته وصحته وقوته ومادته . هذه طبيعة كل علم وفن ولغة . ولا سيما اللغة العربية فإنها تفوق جميع اللغات وتتطلب تضحية كبيرة وبذل مجهودات شاقة في بلد عجمي كالهند ..

ونظرًا إلى هذه الحقيقة الصارخة فقد عُنيت الندوة بتعليم اللغة العربية وآدابها وعلومها وحاولت أن تغير الجو السائد في الهند آنذاك في مجال تعليم اللغة العربية .. وتُخرجها من ركن العجز والخمول إلى ميدان فسيح تتصرف فيه هذه اللغة العظيمة تصرفا يعم جميع شئون الحياة .

نادي العلماء في « ندوة العلماء » في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وتسعينات القرن التاسع عشر بالمبدأ الوسط الذي كان تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ ولقد ركزوا هذا المبدأ على ثلاثة جوانب مهمة وفي ثلاث نقاط لها أهمية ثقافية وفكرية واجتماعية ، وهي :

١- إصلاح وتعديل نظام التعليم والتربية وتطويره في ضوء متطلبات الظروف و وفق مقتضيات العصر ، وصياغته على أساس متين من الكتاب والسنة والفقه الإسلامي والتاريخ والعلوم الإسلامية مع مراعاة العلوم الحديثة التي لا غنى عنها للمسلم في العالم الذي يعيش فيه ..

٢- تصحيح المفاهيم الدينية وتنقية الأفكار ، وتفسير الدين بجميع أصوله وفروعه وكلياته وجزئياته بحيث يتفق وروح الكتاب والسنة ، ويمثل الحياة الإسلامية الخالصة التي عاشها الرسول -ﷺ- وأصحابه البررة - رضي الله عنهم - ، وبحيث يغطي الدين الكامل الشامل الذي هو ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ..

٣- جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وإيجاد روح التسامح بينهم بكل محتواه وإنشاء التضامن على جميع المستويات الفكرية والمذهبية ..

هذه الجوانب المذكورة أعلاه كلها قد عُنيت بها ندوة العلماء ونجحت في أداء دورها القيادي إلى حد لا يستهان فيه بقيمتها ، ولكنها رغما من ذلك لم تتمكن من عرض صورتها الواضحة على الصعيد العام وفي القطاع الشعبي وظل كثير من ملامحها وقسماتها الواقعية وراء ستار من الظروف حتى يومنا هذا ..

والآن وقد تضاعفت حاجة ندوة العلماء وفكرتها وبرامجها العملية عشرات المرات في الهند الإسلامية وخارجها على السواء بالنسبة إلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

حركة ندوة العلماء ودورها الطليعي في القرن الحاضر !

تضاعفت حاجتها اليوم عشرات المرات بالنسبة إلى اليوم الذي تأسست فيه

إن كثيرًا من الناس - حتى المثقفين منهم - لا يعرفون عن ندوة العلماء سوى انها مدرسة كسائر المدارس الإسلامية الكبرى في الهند ، فقد ظلت فكرة ندوة العلماء محتجبة وراء حجب كثيفة من الظنون والأوهام التي لم تكن تمت إلى الواقع بصلة ما .

إن رؤية أولئك العلماء الأعلام - وفي مقدمتهم الشيخ الكبير محمد علي المونكيري - الذين تولّوا تأسيس ندوة العلماء إنما كانت واضحة وعميقة للغاية ، فقد رأوا ببصيرتهم الدينية والإيمانية أن المسلمين في الهند بوجه عام وفي العالم الإسلامي كله بوجه خاص إنما يحتاجون في تلك الظروف الحالكة التي عاشوها - أيام الاستعمار الإنجليزي - إلى إعادة الثقة بشريعة الإسلام وحضارته . إليهم .. إنهم تفطنوا تلك المنافذ التي كانت تتسرب منها السموم إلى عقول المسلمين وتشمل كل جانب من جوانب العقائد والأعمال وتتأثر بها مجالات الفكر والتربية والتوجيه والاجتماع والحضارة حتى كاد يضيع نقاء الدين وأصالة الفكر بين جاحد وجامد .. ويفقد المسلمون ذلك الطريق الوسط العادل المتزن الذي يضمن الوصول إلى الغاية بسلام ..

محتويات العدد

الافتتــــــــــــاحية :

التوجيــــــه الإسلامي :

الـدعوة الإسلاميـــــــة :

دراسات و أبحـــــاث :

منهجية البحث العلمي :

صـــور و أوضـــــاع :

من كتب التراث :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد الرابع

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

ذو الحجة ١٤١٥هـ
مايو ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBĀSS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93. Lucknow (INDIA)

العمل الإسلامي . فاقرأوا هذا التقرير الذي نشرته صحيفة الدعوة الصادرة من لندن .

« بعد سلسلة من التصريحات المكثفة حول خطر الحركات الإسلامية في العالم العربي على الأمن الأوربي من وزراء خارجية فرنسا وأسبانيا وإيطاليا . وبعد لقاءات وعمليات تنسيق ثنائية بين كل من فرنسا والجزائر وتونس وبريطانيا ضد نشاطات القوى والأحزاب الإسلامية في الجزائر وتونس وفلسطين عقد في تونس مؤخرًا اجتماع لوزراء داخلية كل من تونس والجزائر وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال خصص للبحث في كيفية التعاون للقضاء على نشاط الأحزاب الإسلامية المتزايد في منطقة حوض البحر المتوسط » .

وقبل ذلك كانت مسألة الأصولية أهم مسألة في جدول أعمال مؤتمر منظمة الدول الإسلامية . وشغلت هذه المسألة اهتمام المشتركين ، وأنستهم جميع المشاكل الاقتصادية والسياسية والأمنية والفكرية الأخرى حتى الحروب في البوسنة والهرسك والشيشان . والقضايا الحاسمة الأخرى التي تواجه العالم الإسلامي وتهدد سلامته .

إنه لمن لباقة الدول الأوربية السياسية أنها نقلت حماية مصلحتها إلى الدول الإسلامية فتركت الدول الإسلامية مصالحها وبدأت تدافع عن مصلحة عدوها .

وكالعادة قبلت الدول الإسلامية ما لقنته أوربا الإمبريالية لأنها لا تزال تعيش على نفاياتها ، ولم تعد تملك قدرة لتميز ما هو في مصلحتها وما هو في مصلحة أعدائها وإذا كان هذا موقف الدول الإسلامية فماذا يقال عن موقف ناتو . والدول المسيحية .

على جميع الدول المستضعفة في العالم أصبحت خطرًا أكبر ، خطرًا أكبر حتى من ألد أعدائها ، فهي تتصادق الآن مع أعدائها التقليديين ، من بين الذين استعبروها وأذلوها ، وقهروها ، وسلبوا ثرواتها ، وطمسوا معالم تاريخها ، وأهانوها وكانوا سبب تخلفها وخزيها وإفلاسها ، تتصادق معها لتحارب هذا العدو الجديد ، تحارب أبناء شعوبها ، وتنكل بهم .

ويتفخم ويتضخم هذا الخطر كل يوم فيصل إلى دول جديدة ومن أحدث الدول التي أصيبت بهذا الخطر باكستان التي قامت باسم باكستان والمسلين وقامت لتطبيق الشريعة ومن أجل ذلك انفصلت عن الهند ولا يزال شعبا البلدين يتجرعون مرارة تقسيم البلاد .

أصبحت الحركة الإسلامية لهذا البلد الإسلامي خطرًا أكبر من الأخطار الأخرى التي تواجهها البلاد ، فتبدى رئيسة وزرائها أن مكافحة الأصولية الإسلامية لن أهم أدوارها ومسئولياتها ، وسبق أن فرضت القيود على دعم المؤسسات الإسلامية من الخارج ، وأبدت نيتها بالتدخل في مناهجها الدراسية ، ولم تكن الصراعات الإقليمية والعنصرية التي تحدث في بعض أجزاء بلادها وتسبب الدمار الواسع ، وتقتل فيها نفوس الأبرياء خطرًا لها ، ولا يُشكل أفلاس بلادها ، والبطالة العامة ، وتجارة الهيروئين ، وتهريب المخدرات ، ونشاطات المافيا و انتشار الإرساليات وغزو النصرانية لأجزاء واسعة في بلادها خطرًا ، وهناك أخطار أخرى واقعية لبلادها تغفلها حكومة بهتو ، هذا هو أحدث البلدان الإسلامية التي أصيبت بالخطر الإسلامي الذي يُصدره الغرب ويصوره ، أما الدول العربية التي تعتبر مهد الإسلام ومرجع

والتخلف . فكانت هذه الدول فريسة للعداوة المتبادلة بين المعسكرين . فلم تكن تقوم حركة للنهضة في أي بلد إلا وتصاب بتهمة الولاء لمعسكر مناوئ ، وتتعرض لاستبداد الحكام الذين آثروا اللجوء إلى أحد المعسكرين . وقامت من أجل ذلك ثورات وانقلابات عسكرية أدت إلى خسائر في الأرواح والممتلكات ، وإلى نزوح العقلاء وأصحاب الكفاءات من أوطانهم ، واللجوء في البلدان الأخرى .

وسقط المعسكر الاشتراكي فجأة ، كان سقوطه عقابًا لسياسة الاستبداد ، والقهر والقمع التي سلكها منذ نشأته ، وقد قام هذا النظام بحصاد رؤوس الملايين ممن كانوا لا يتفقون مع فكره وسياسته ، وتشريد ملايين آخرين ذهبوا في مجاهل التاريخ .

وبعد سقوط هذا المعسكر الذي كانت الدول الأوربية الإمبريالية تصوب إليه جميع طاقاته وقع فراغ في العالم ، وزال الخطر الذي عاشت أوربا الغربية تردده في إعلامها وفي مناهج تعليمها ، وفي سياستها ودفاعها ، فاكتشفت خطرًا جديدًا ، وهو خطر الحركة الإسلامية ، و وضعت الحركة الإسلامية في بوتقة الشيوعية ، وفي فترة قصيرة ، حلت الحركة الإسلامية في كل محل كانت الشيوعية تحلها .

وكان الفرق الوحيد هو أن الشيوعية كانت ندًا للرأسمالية ، والرأسمالية كانت ندًا للشيوعية . ولكن الحركة الإسلامية أصبحت ندًا لكل نظام غير إسلامي ، وحتى للنظم التي تدعي أنها إسلامية باعتبار عقائد أغلبية سكانها .

إن الحركة الإسلامية نتيجة لضغط الدول الإمبريالية التي تستولى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وتلت هذه الفترة التي كانت فترة الحروب المكشوفة ، فترة حرب الأيدلوجيات . وقد كان الصراع في السابق بين قوميات مختلفة ، فكان الصراع الجديد بين النظريات المختلفة وقادت أمريكا العالم الجديد ، لأن الدول الأخرى كانت قد انهكتها الحروب التي اشعلتها وخسرت كثيرًا من مستعمراتها ، وخيراتها ، وذهبت هيبتها التي كانت على نفوس المستضعفين ، وانقسم العالم مرة أخرى إلى معسكرين، المعسكر الرأسمالي ، والمعسكر الاشتراكي ، وكان بينهما العالم الذي تجرع مرارة الاستعمار ، ونشأت فيه كراهية الاستعمار ، فكان يميل إلى المعسكر الاشتراكي ، لأنه كان يحارب الدول الاستعمارية الرأسمالية .

وفي هذا العصر كان الاستعمار الخطر الأكبر في نظر الشيوعيين ، فإذا اتهم أحد في دولة اشتراكية وأدين، اتهم بأنه عميل للاستعمار أو الإمبريالية وكان يكفى ذلك للحط من شأنه مهما كانت مكانته وخدماته ، وعلى عكس ذلك كان إذا اتهم أحد في بلد غير اشتراكي اتهم بأنهم شيوعي أو أنه يحمل ميولا شيوعية ، أو هو عميل للمخابرات السوفيتية .

كانت هذه الحرب الباردة عنيفة فكانت شخصيات وحركات كبرى تمر بمحن وشدائد بمثل هذه التهم ، و واجه كثير من العلماء والباحثين والشخصيات السياسية الكبرى أقسى عقوبات بهذه التهم ، وكان مصير بعضهم الإعدام ، واقصاء بعضهم من وظائفهم الكبرى وفرضت عقوبات شديدة عليهم ، ومر العالم بهذا النزاع بأوقات حرجة كادت توصل إلى حرب لأن كل معسكر كان يحاول توسيع مصالحه ، والتوغل إلى دوائر المعسكر الآخر .

وقد انقسمت عدة بلدان على أساس النظرية أو أساس نفوذ بلد من

صور و أوضاع :

الخطر العالمي حقيقة أم وهم ؟

واضح رشيد الندوي

لكل عصر أخطار وتحديات ، في بعض العصور الحروب تشكل خطرًا تهدد العالم ، وتتجه عناية الزعماء والقادة في العالم كله إلى مواجهة هذا الخطر ، ويوجه كل زعيم نداء إلى إقرار الأمن والسلام فإن الحروب إذا نشبت واتسعت دائرتها شملت كل بقعة من بقاع العالم ، ولا يستطيع أحد أن يعيش بنجوة منها ، مثل النار التي إذا اشتعلت احرقت الأخضر واليابس ، ومن لا يحارب ، تفرض عليه الحرب من غيره ، وقد كانت أوائل القرن العشرين ، فترة الحروب الطاحنة ، بدأت لصراع بين بلدين حول حادث بسيط ، واشتركت فيها الدول الكبرى التي كانت تملك الذخائر الحربية ، والتكنولوجيا العلمية الفائقة في الصناعة المدنية والعسكرية وانقسم لها العالم إلى معسكرين متحاربين ، وسخرت لها جميع الوسائل المتوفرة لدى الدول المحاربة والدول الخاضعة لها وانصرف العقل والعلم في تلك الفترة إلى الحرب ومواجهتها ، وتغيرت الخريطة العالمية في هذه الحروب وظهر عالم جديد بانتماءات و ولاءات جديدة .

وتقدم العالم في هذه الفترة التي كانت فترة الحروب في العلم والوعي السياسي ما لم يتقدم مثله في العصور السابقة لأن الحروب وحالة الطوارئ الناتجة عنها منحت حوافز على العمل ، والتفكير والتخطيط ، وانتهت الحروب وابرمت معاهدات ، واتخذت مواثيق لتجنب الصراع المسلح .

الزركلي وابن الخطيب ، وغيرهما قد ذكروا سنة ولادته ١٣٠٢هـ ، فيقول الزركلي في الأعلام : ج/٥ ، ص/٢٨٢ : « اشتهر تاريخ مولده سنة ١٣٠٥هـ ورجح بعض لداته أن الصواب ١٣٠٢هـ ، وانظر في تحقيق اسم أبيه « مخطوطات الظاهرية » النحو : ص/٤٥٤ .

(٣) علي الطنطاوي : ذكريات : ج/١ ، ص/٢٠١ .

(٤) أنور الجندي : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام : ص/٦٢٧ .

(٥) الجامعة الإسلامية : مقال ، العدد الثالث السنة الثانية محرم ١٢٩٠هـ : ص/١٤٢ .

(٦) أنور الجندي : مفكرون وأدباء : ص/٢٠٢ .

(٧) أنور الجندي : المحافظة والتجديد : ص/٦٢٤ .

(٨) أنور الجندي : مفكرون وأدباء : ص/٢٠٢ .

(٩) الأزهر : مقال : فبراير ١٩٧٠م : ص/٧٧٦ .

(١٠) البعث الإسلامي : مقال ، العدد السابع المجلد الرابع عشر محرم الحرام ١٢٩٠هـ (مارس ١٩٧٠م) : ص/٩٨ .

(١١) انظر مجلة « العربي » ١٢٨ ، مايو ١٩٧٠م : ص/٨٠ .

(١٢) أخبار العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، الاثنين - ٥ ذو القعدة ١٢٨٩هـ ، ١٢ يناير ١٩٧٠م : ص/٨ .

(١٣) البعث الإسلامي : مقال ، المجلد الرابع عشر العدد السابع محرم ١٢٩٠هـ (مارس ١٩٧٠م) : ص/٩٨ .

(١٤) أنور الجندي : مفكرون وأدباء : ص/١٩٢-١٩٤ .

(١٥) علي الطنطاوي : ذكريات : ج/١ ، ص/٢٥٩ .

(١٦) دعوة الحق : مقال ، العدد الخامس والسادس ، ربيع الأول ١٢٩٠هـ (مايو ١٩٧٠م) : ص/١٢٤ .

فنراه يتكلم عن التعليم والتربية ، وأثره في الثقافة والعروبة والعمران وما يجلبه الجهل من الآفات الاجتماعية والعلل الخلقية ، ويفدد هذه المثالب ويبين اثرها في تأخر الأمة ، تارة يحث شباب العالم الإسلامي على الاتحاد والتآزر والتآلف حول الوطن ، والتنكر للأجانب مهما كان شأنهم ، والتحذير من غواياتهم ، ويومئذ تعرف الغرب على الشيخ محب الدين الخطيب ، واطلع عليه كداعية من دعاة الإسلام

ومنذ ذلك الوقت بدأ يتلمذ عليه أفراد جيل الكفاح الوطني والرعيل الأول في طليعة ذلك الكفاح الذي ابتدأ مريرا وانتهى مريرا كذلك (١٦) .

فظل يحرر وينشر في الجرائد ولكن ليس يكتفي بهذا العمل ، بل نراه يلتحق نفسه بمدرسة الصحافة والتي يرأسها الشيخ علي يوسف وانضم إلى أحمد تيمور باشا العلامة المحقق ، وطاهر الجزائري ، أستاذه الكبير خاصة ، حيث تلقى ثقافة حقوقية أدبية وصحافة واسعة وتعلم معاني الحرية و العقل ، و كوّن حلقة أدبية كانت تستهدف العمل للقومية العربية ، وشارك في الحركة الفكرية والأدبية . [يتبع]

المـــراجـــــع :

----

(١) خير الدين الزركلي : الاعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ومن العرب : ج/٥ ، ص/٢٨٢ .

(٢) الجامعة الإسلامية : مقال محرم الحرام ١٢٩٠هـ : ص/١٤٢ ، ذكر ممدوح فخري « المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين ، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة » في مقاله تاريخ ولادته سنة ١٢٠٥هـ ، ولكن الآخرين أمثال خير الدين

وللمنار أثر كبير في العقيدة وفي العلم وفي توعية المسلمين (١٥) . وفي ظل المنار صدرت مجلات إسلامية عديدة . وكان أبرزها مجلتي الزهراء والفتح . لمحب الدين الخطيب حيث بدأ حياته رجلا صحافيا وكاتبًا . وقد عاش حارسًا أمينا للغة العرب والإسلام . والآن موضع دراستنا «الزهراء» .

إن محب الدين الخطيب قد استهلّ حياته الصحفية الأدبية من عهد مبكر . وكما نراه كان محررا متابعًا في الجرائد المختلفة والصحف الشهيرة فنّيًا بقلم المطبوعات . ونرى أنه بالغ في الصحافة رائدا مصلحًا مفكرًا وأديبًا بعلمه وبقلمه . وتمرّس في ميدان الصحافة والسياسة في الجرائد المذكورة . لا شك أنه نفث الصور بنشرات ومقالات متنوعة في العالم العربي ضد الاستعمار . وأنقذ اللغة العربية عن المستعمرين وأحدث فيها مقومات الوحدة الفكرية من نواحي الجنس واللغة والتاريخ والسياسة والروح والدين والتشريع والاجتماع والثقافة . وإن الخطيب لم يلجأ إلى أي منصب . بل لم يزل بعيدًا عن التملق . و عاش مؤمنًا وخادمًا للغة العربية والإسلام طول حياته . وذلك هو الفوز الكبير .

وكانت صحافته صحافة نقية متداولة وإنه أنشأ صحافة جديدة على خطط الإسلام بعد العروة الوثقى . والمنار . وبذل جهده على هذا المنهج . وروّج الصحافة الإسلامية . وبالأخص إنه عالج مشاكل العلم . والأدب . والنقد . والدين . والفن . بدون تخصيص . مدافعا عن الصحافة الخالصة . أما مقالات الخطيب فكانت صرخة أخرى مدوية حاول بها إيقاظ مصر وكشف مؤامرة الاستعمار لما يحدق بها من أخطار . وعالج في هذه المقالات موضوعات اجتماعية وسياسية وخلقية لم تخطر على بال أحد من قبل .

أصدر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس جريدة العروة الوثقى عام ١٨٨٤م . فكانت الحجر الأول في بنيان الصحافة الإسلامية في العالم العربي كله .. تحمل طابع الدفاع عن الإسلام وتحرير بلاد المسلمين ، أو على حد تعبير محب الدين الخطيب : الدفاع عن حقائق الإسلام وحقوق المسلمين . ولكن العروة الوثقى لم تستمر طويلا . حيث واجهها الاستعمار بحرب عنيفة ومقاومة ضخمة في كل أنحاء العالم الإسلامي وفرض على من توجد عنده غرامة كبيرة . ولكن العروة الوثقى . في تلك الحقبة . لعبت دورًا هامًا . وكانت البذرة الأولى لهذا اللون من الصحافة الإسلامية الذي امتد إلى يومنا هذا .

الغرض الذي رمى إليه المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة الإسلامية . والسعي في القضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة في الإسلام ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده ومحو التعصب لمذهب من المذاهب وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد في الأولياء وما تأتيه من طرق المتصوفة من بدع وضلالات . وهو في الجملة عين ما عملت له صحيفة العروة الوثقى . وهو قد ملأ في عالم الصحافة العربية فراغا وقام بمرحلة تالية لصحافة العروة الوثقى . فقد تأثر بها محمد رشيد رضا الشاب السوري الذي هاجر إلى القاهرة من بعد . وصحب محمد عبده . وأصدر المنار أكثر من ٢٨ عامًا . منذ عام ١٨٩٨م تقريبا إلى عام ١٩٢٧م فكانت بذلك أضخم الصحف الإسلامية أثرًا و أطولها عمرًا (١٤) .

إن المنار كانت أول مصباح أرسل شعاعا من التفكير الجديد . وجمع بين خطّة الجامعة الإسلامية والقومية العربية . ولقد كانت قبلها « المنار »

٢- القبلة - مجلة شهرية رسمية ، تصدر بمكة ، عمل محررا من سنة ١٩١٦م إلى ١٩١٨م .

٣- العاصمة - مجلة شهرية ، تصدر بدمشق ، تولى إدارة جريدتها من سنة ١٩١٨م إلى ١٩١٩م .

٤- الفيصلة - أخبار رسمية ، يصدر بدمشق ، عمل فيها محررا .

٥- الاهرام - مجلة شهرية ، تصدر بمصر ، عمل فيها محررا من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٥م .

٦- الزهراء - مجلة شهرية ، تصدر بالقاهرة من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٣٠م .

٧- الفتح - مجلة أسبوعية ، تصدر بالقاهرة من سنة ١٠ مايو ١٩٢٦ إلى ١٩٥١م .

٨- الأزهر - مجلة شهرية ، تصدر بالقاهرة ، تولى إدارة جريدتها من سنة ١٩٥٢ إلى ١٩٥٨م .

٩- المسلمون - مجلة شهرية ، تصدر بالقاهرة ، تولى إدارة جريدتها .

نرى محب الدين الخطيب صحفيا أقوى وأبرز من معاصريه في الثورة الأدبية والصحفية ، والآن نركز بحثنا على مجلة « الزهراء » ومجلة « الفتح » فهما مجلتان أدبيتان لهما أثر كبير في ميدان الصحافة والأدب ، ويمكن القول بأن محب الدين الخطيب رائد في ميدان ثلاثة :

١- الصحافة .　　　　٢- الترجمة .

٣- والتحقيق اللغوي والتاريخي .

مجلة « الزهـــــراء » : -

إذا طالعنا مطلع الصحافة العربية في مصر من خلال ثمانين عاما من القرن العشرين الأول ، نجد صورة الصحافة الإسلامية ، واضحة ، عندما

قوات مختلفة الأجناس ومختلفة الاتجاهات والمناهج . قصد اذلال أهله والسيطرة والهيمنة على ما تختزنه أراضي البلدان الإسلامية من ثروات ، وتنافست في الاستئثار بمواقعة الاستراتيجية . وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى خرج الحلفاء المنتصرون بتخطيطات بعضها علنيّ وبعضها سريّ . وجماعة من الكتاب والأدباء وأصحاب الصحف برزوا وحملوا لواء الدعوة إلى الحرية الفكرية ، ومقاومة الاستعمار في عالم الوطنية والسياسة والأدب ، وقد أخذت الصحف في أوائل العشرين تتسع دائرتها وتتقدم إلى الامام خاصة لفضل تلك النهضة الصحافية التي أحدثها مصطفى كامل في « اللواء » والشيخ علي يوسف في المؤيد ، وهما يعتبران من بناة النهضة الصحافية الحديثة في مصر .

وقد أعان محب الدين على النجاح في الصحافة ، أنه كان من عدد قليل جدا ممن يجيد اللغة العربية والفرنسية والتركية القادرين على الترجمة منها . وظل الخطيب يعمل في ميدان الصحافة في مطلع شبابه عند ما اختير محررا في مختلف الجرائد والصحف فنيا بقلم المطبوعات إلى آخر عمره .

ولقد ترك الخطيب ثروة فكرية كبيرة تتمثل في مجموعة الكتب و التعليقات و الطبعات و التحقيقات . التي كتبها في مراحل عمره المختلفة . وجميع كتاباته تتميز بالأسلوب الأدبي الرفيع والبيان البديع والحرارة الصادقة في العاطفة والفكرة العلمية المحققة . وكذلك كثير من المجلات والصحف وا[illegible]د العلمية والأدبية صدرت بإدارته . ثم أصدر مجلته الأولى : « الزهراء » و « الفتح » وهي ما يلي :

١- المؤيد - مجلة شهرية . عمل محررا من سنة ١٩٠٩م إلى ١٩١٢م .

والمكتبة السلفية بمكة المكرمة ، في ذلك التاريخ .

والأستاذ محب الدين الخطيب وافته المنية في الأسبوع الماضي بالقاهرة وهو رغم شيخوخته وسنه المتقدمة ، يزاول ويحاول في ميدان الكتابة والطباعة والإنشاء والتحرير ويواصل عمله في التأليف والتحقيق ، والشرح والتعليق وقد أمضى أكثر سنوات عمره مجاهدًا بقلبه وقلبه في العمل الدائب لنشر الإسلام ، عن طريق الدعوة الصادقة المخلصة ، وعن طريق الكتابة ، فقد أصدر عددًا كبيرًا من المؤلفات الإسلامية في مطبعته التي أنشأها بالقاهرة وسماها « مطبعة الفتح » وظل يواصل عمله فيها إلى أن وافته المنية .. (١٢) .

وتثنى مجلة « البعث الإسلامي » على الراحل العظيم ، فتقول :

« تلقيت نبأ وفاة الكاتب الإسلامي القديم الأستاذ محب الدين الخطيب بحزن وأسى كما يتلقى تلميذ نبأ وفاة أحد الشيوخ الكبار من الجيل المتقدم الذين يدين لهم بشئ كثير في ثقافته وأدبه فأنا أعتبر نفسي من تلاميذ مدرسة «الفتح » الغراء التي أنشأها الأستاذ محب الدين الخطيب .

.. فقد كانت كتاباته الأخيرة في مجلة « الأزهر » التي رأس تحريرها مدة من الزمان تشهد بفكر إسلامي حصيف وإيمان لا تشوبه نزعة قومية ، ودعوة إلى الإسلام الحقيقي لا تشوبها نعرة جاهلية ، ومقاله : الجيل المثالي ، من أبلغ ما كتب في هذا الموضوع في هذا العصر القريب ، فرحم الله أبا قصي وغفر له وتقبل حبه للدين فقد كان محب الدين متمنيا لعلوه ، وسيطرته في بلاد المسلمين (١٣) .

صحافته الأدبية والثقافية :

لقد تكالبت في القرن العشرين – كما هو معلوم – على العالم الإسلامي

زاهدًا جوادًا متواضعًا محبًا للخير ، وكما قال الأستاذ الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في كلمة انطباعية :

« وكان أستاذنا الدكتور تقي الدين الهلالي وأخي الكبير الدكتور السيد عبد العلي مولعًا بها ومن المشتركين فيها ، وقد كان لما كنا نقرأه للأستاذ محب الدين تأثير في كتاباتنا وأسلوبها ، ولما زرته في بيته بالروضة في القاهرة عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف قدمت إليه نفسي كتلميذ من تلاميذ مدرسة « الفتح » وكان جوابه ممزوجًا بالسرور والتواضع ، ولا يستغرب إذا كنت حزنت لوفاته وترحمت عليه ، وذعوت الله أن يغفر له ويسامحه فيه » (١٠) .

وفـــــــاتـــه :

إلى هناك عند الشاطئ الآخر للحياة ذهب العالم والكاتب والأديب محب الدين الخطيب ليستريح بعد حياة طويلة معدودة مباركة الغدوات ميمونة الروحات ..

توفي محب الدين في أواخر شوال سنة ١٢٨٩هـ المصادف ٩ يناير سنة ١٩٧٠م (١١) في القاهرة بعد أن أمضى حوالي تسعين عامًا ، ولما وصل خبر وفاته إلى أنحاء البلاد نشرت المجلات والجرائد كلمة عزاء للفقيد وأبدى العلماء والأدباء والكتاب حزنهم وأساهم ، وأهدوه كلمات الثناء عليه إلى تحياتهم لخدماته العلمية الجليلة ، فيقول أخبار العالم الإسلامي :

« نعت أنباء القاهرة ، منذ يومين الكاتب الإسلامي العلامة الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب ، الذي عرفته هذه البلاد منذ أكثر من نصف قرن حيث ساهم في تحرير جريدة القبلة ، في العهد الهاشمي ، وأنشأ بالاتفاق مع أحد رجال سوريا هو الشيخ عبد الفتاح قتلان ، المطبعة

الذهب للسعودي » (٨) .

حيث عاد محب الدين إلى إصدار الزهراء سنة ١٩٢٤م بعد تحرير الاهرام . ثم أنشأ الفتح مايو ١٩٢٦م ومع ذلك فقد ظلت الفتح ١٩٢٦م إلى ١٩٥١م . أبرز هذه الصحف وأقواها وأبعدها اثرا في العالم الإسلامي وأقدرها انتشاراً في مختلف الأقطار . وكلتا الجريدتين إسلاميتان وكان لهما شأن عظيم في تاريخ مصر وفي توجيه الحركة والإصلاح الاجتماعي ، والديني ، و بهذه الصحافة قاوم الاحتلال و الاستعمار ، و تمثلت بها مكانته الـبـــــروحية و الأدبية و الثقافية و بها لمع بريق الحرية ضد الأجانب .

كان محب الدين عربي الصفات يتمثل فيه الكرم ، والجراءة والحزم ، وامضى أكثر سنوات عمره مجاهدا بقلمه في العمل الدائب لنشر الإسلام عن طريق الدعوة الصادقة المخلصة ، وعن طريق الكتابة ، ومدافعا عن اللغة العربية والبعث لذخائر الأدب العربي ، وعمل عملا ضدّ تيار الغرب ودعوات حركة الهدامة ، ودعوات تفتيت وحدة اللغة العربية ، كان يتفرّس الأمور ، فمن أخص مزاياه الشمم والإباء واعتداده بنفسه ، وكانت له أفكار تخشاه الأسرة الحاكمة ، وقد صرح بها في مواطن كثيرة من كتبه ، فكان يدعو إلى العدالة الاجتماعية والعيش في ظل الحياة السعيدة .

وكان من أشد أنصار السلفية النقية في العقيدة والعبادة ، وهذه سمة بارزة في كل كتاباته ، كان « .. سلفيا متشددا يكره الترخص في المبادئ الإسلامية وبرغم حبه لآل البيت كان يكره الإفراط في مشايعتهم ، وله مع بعض الطوائف جولات قلمية عنيفة ، وظل مجافيا لها طوال حياته (٩) » وكان يمثل أخلاق العلماء ببعده عن مظاهر الخيلاء والغرور ، بل كان

كان باحثًا إسلاميًا أديبًا ، واسع المعرفة ذا بيان ناصع ، تلقى علومه من كبار العلماء والفضلاء في دمشق ، وكان ذا نزعة فكرة إصلاحية ، وحرّر الرسائل والمجلات ونشرت المقالات المفيدة ، وله كتب كثيرة ، وإنه حقق وعلّق كثيرًا من الكتب الإسلامية والدينية ، والأدبية ، بعد حصول العلم رحل إلى صنعاء فترجم عن التركية وعمل في بعض مدارسها ، كان عالماً باللغة التركية وله كتب معربة وعدة مقالات جامعية في هذه اللغة - يصرح الكاتب الإسلامي أنور الجندي عن شخصيته :

« .. هو واحد من مفكرى العرب وأعلامهم في علم الوطنية والسياسية والأدب ، عاش حياته عاملا في الميدان ، وفي مجلدات مجلتيه « الزهراء » و « الفتح » ومؤلفاته المتعددة ثروة ضخمة ، وقد بدأ حياته الفكرية تلميذا للإمام المصلح أستاذ الأساتذة في الشام : الشيخ طاهر الجزائري إلى جوار أساتذة أعلام هم سليم البخاري ، وجمال الدين القاسمي ، وعبد الرزاق البيطار ، وكان واحدًا من الرعيل المجاهد في الجمعيات السرّية والحركة الوطنية : محمد كرد علي وفارس الخوري ، وعبد الرحمن سهنيد ، والزهـراوي ، و رفيق العظم ، و كان الصق هؤلآء بالشيخ طاهـــر الجزائري .. » (٧) .

وفي القاهرة أخذ يتابع جهوده الدينية في الصحافة والمجتمعات الدينية وتعليمه ولسانه ، ولم يترك العمل السياسي في مجال العروبة خلال هذه الفترة « حيث انتدب في أوائل الحرب العالمية الأولى لمفاوضة امراء العرب ابن سعود والإمام يحيى ، والإدريس باسم جماعة الوحدة العربية ، وهنالك في البصرة اعتقله الإنجليز [أكتوبر ١٩١٤م] حيث أمضى سبعة أشهر يقرأ في السجن تاريخ الكامل لابن الأثير ومروج

إلى غير العربية والعرب ، وفي أثناء دراسته كوّن حلقة أدبية كانت تستهدف العمل للقومية العربية لتذكر العرب بأصالتهم وبدورهم في حياة البشرية ، فيذكر أنور الجندي تفاصيل هذه الحلقة :

« وهو في خلال إقامته في دمشق واستنبول ، كان حفيًا بأن يعمل من أجل تثقيف جيل وإنشاء طلائع مؤمنة بالعروبة والإسلام معًا ، وظلّ دائبا على هذا العمل مع أصدقاء شبابه : عارف الشهابي وصلاح القاسمي وصالح قنباز ولطفي الحفار وزكي الخطيب ورشدي الحكيم ، وكان لأبيه الروحي الشيخ « طاهر الجزائري » أثر وفضل فقد أوسع له مجال القراءة والاطلاع في دار الكتب الظاهرية ومجال ترجمة المقالات من اللغة التركية ، ينشرها في مجلة ثمرات الفنون ، وينشئ حلقته الصغيرة ، ويقرأ الكواكبي ، ثم يدرس في بيروت بعد دمشق ، وفي استنبول عام ١٩٠٥م يلتحق بكليتي الحقوق والآداب ، ويجمع شباب العرب هنالك في ندوة تقرأ قصاصات الصحف العربية ، ويعلم الطلاب مع صديقه عارف الشهابي اللغة العربية والتاريخ العربي مكاشفا أصحابه بأن هذا العمل نهضة » (٦) .

وكان محب الدين أديبًا ، كاتبًا إسلاميًا ، صحافيًا مصلحًا ، محققًا ، دقيق النظر ولكنه مع هذا بقي طول حياته محافظا للغة العربية والتراث العلمي القديم .

نشأ الخطيب في ظل الصراع بين الحرية والاستعمار في الوطن العربي كله ، وفي الشام الذي قاست من عسف الاستعمار الفرنسي كثيرا وفتح عينيه على الدنيا أيام الحرب العالمية الأولى .

وإذا أردنا أن نضعه في ميزان التقدير فنصل إلى نتيجة حاسمة بأنه

عنه - (٢) . وكان محب الدين سوري الجنسية ، كما أشار إليه علي الطنطاوي ويقول :

« أما أسرة أمي فهي إحدى الأسر العلية في الشام . حدثني خالي محب الدين الخطيب ، ثم نشر ما حدثني به ، أن أصلها من بغداد ، ثم نزلت فرع منها إلى قرية عذراء (عدراء) التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، فقال : إذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة رأيتها أول قرية تلي الجبل » (٢) .

وكان أبوه وجده عالمين جليلين وعنهما أخذ معلوماته الأولى وبدأ تعليمه الأولى في دمشق على الطريقة التي كان يتلقى العلم بها الشيوخ أو العلماء . وقد تلقى محب الدين دروسه في دمشق ثم التحق بالمدرسة الثانوية في بيروت ومنها إلى تركيا ، حيث درس الآداب والحقوق بجامعة استنبول . وأجاد اللغة الفرنسية والتركية ، وقرأ شوقي وأحمد ذكي باكرًا وكان يسهر إلى الصباح يقرأ على نور مصباح البترول .. (٤) .

وصور محب الدين أثر أستاذه ومعاصره في مصر ، قبل أكثر من ستين سنة حينما كان في دراسته الثانوية بدمشق ، بين سنتي ١٣٢٠ و١٣٢٢هـ ، مع لداته من صفوة من فتيان العروبة والإسلام ، ثم حيث بدأ حياته الفكرية تلميذا للإمام المصلح أستاذ الأساتذة في الشام : هو « شيخه الذي كان يجله كثيرا ويذكره بخير دائما فهو المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وكان يقول - رحمه الله - منه تعلمت عروبتي وإسلامي ، وكان مدحه بقصيدة جميلة في شبابه لا يتسع المجال لذكرها (٥) » وفي تلك الأثناء التقى بمجموعة من المثقفين العرب الذين كانوا يدرسون في استنبول ورأى منهم انهيارا في شخصيتهم وذوبانًا في غيرهم وتزلفًا

من رجال التاريخ الإسلامي :

الشيخ محب الدين الخطيب : صحافيا اسلاميا

[الحلقة الأولى]

بقلم : الدكتور طارق جميل الفلاحي
الباحث المشارك – جامعة عليجراه الإسلامية

كان محب الدين الخطيب المصري ، من كبار الإسلاميين ومفكرى العرب ، وامتاز بأفكاره العلمية والفكرية في عالم الاجتماع والسياسة والأدب ، إنه استقر في القاهرة في شارع الفتح في الروضة ، وراح يخطب ويحرر وينشر ، حتى عرف في مصر واشتهر أمره خاصة عند ما اصدر مجلتيه : « الزهراء » وَ « الفتح » ، وازدادت شهرته وذاع صيته حينما تولى رئاسة تحرير في « المويد » وكتب مقالات عن الاستبداد العثماني والاستعمار الفكري والتركي الذي حاول السيطرة على اللغة والكتابة ، وفي مطلع هذا القرن العشرين تقوّم بحركات وجمعيات متعددة ، وساهم فيها بنفس الرغبة وبنفس الحماسة ، كما أنه لما خاض في أمور السياسة والثقافة فدافع عن الحرية والعروبة والتراث العلمي ، فمؤلفاته المتعددة العلمية تعدّ ثروة ضخمة .. تتجلى فيها شخصيته البارزة ككاتب إسلامي وأديب موهوب ومفكر مخلص ومصلح كبير .

مولـــــده و نشأتـــه :

هذا الفذّ الكبير « محب الدين بنَ أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب ، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني » (١) ، هو من كبار الكتاب الإسلاميين ، ولد عام ١٣٠٢هـ في دمشق من أسرة عريقة أصيلة النسب هاشمية تعود أصولها إلى علي بن أبي طالب – رضي الله

وفي حالة عدم تنظيم نفسك ستضيع الساعات تلو الساعات وأنت تبحث عن معلومة ما ، ويكون هذا عموما عند ما تكون مشغولا بكتابة الرسالة ورأسك مشحون بالأفكار التي تريد أن تعطيها ترتيبا معينا ، والأفضل في مثل هذه الحالة ألا تزعج نفسك بحثًا عن تلك المعلومة بل اترك لها فراغا وامضِ إلى الإمام على أن تملأ ذلك الفراغ فيما بعد عند ما تعثر على ما تريده .

أما البطاقات التي تدوّن عليها المعلومات فرتّبها حسب الفصول أو الأبواب التي تتخيلهـــا لبحثك ويمكنك نقل مكانها بسهولة كلما أردت ذلك ، وكلما أخذت شيئًا من أوراقك وبطاقاتك أعدها إلى مكانها بعد استخدامها .

أما الأصول المصورة عنْ مصادر ومراجع مختلفة فاحتفظ بها بصورة منظّمة كأن ترقّم كل النصوص المصورة من كل كتاب على حدة وتحتفظ بها في ملف على حدة مع كتابة رقم ذلك المصدر على واجهة ذلك الملف ، وتسجل نفس الرقم على بطاقة ذلك المصدر ، ولا تنس كتابة التفاصيل البيبليوغرافية الكاملة على الصفحة الأولى مما تصوره من كل مصدر لكي لا يختلط الأمر عليك فيما بعد .

ويمكنك على كل حال ، أن تلتزم بأي أسلوب آخر تخترعه بنفسك .. فالمهم أن تكون أوراقك منظمة وأن يكون تنظيمك على أصول ثابتة لا تغيرها كلما شئتَ وإلا أصبت بالفوضى في خضم آلاف الأوراق التي ستتجمع لـــديـــك ، و اعلم أن الفوضى سرّ فشلنـــــا و أن التنظيم (Organisation) هو سر نجاح الغرب ، وكلما كنت منظما سهل عليك البحث العلمي .. ونفس الشيء ينطبق على حياتك العامة . [يتبع]

عرفت تنظيم أوراقك منذ البداية ، فيجب أن تحتفظ بأوراقك وملاحظاتك ومدوناتك بأسلوب يسهل عليك الرجوع إليها بدون تعب كلما احتجت إليها ، ويستحسن لهذا الغرض استخدام سجل مقسّم أبجديًا .

وأول شئ يجب أن تتعلمه هو أن تنقل فورا على بطاقة التفاصيل البيليوغرافية الكاملة (اسم المؤلف ، عنوان الكتاب ، مكان النشر ، سنة النشر) لأي كتاب أو مرجع تتناوله (مع تدوين اسم المكتبة التي توجد بها ورقمها هناك ، وذلك في جانب من البطاقة) .

وعليك بعد هذا أن تخترع للكتاب رمزا تسجله على قائمة منفصلة تضم كل الرموز التي اخترعتها مع بيان تفاصيلها ليسهل عليك معرفة أي رمز في حالة أي شك ، ولابد أن تلتزم بهذا الرمز طوال البحث ، وضع هذا الرمز على الجانب الأعلى الأيمن من كل بطاقة ، وقبل بدء تدوين أي عبارة ضع على الهامش رقم الصفحة على أن يسبقه رقم المجلد إن كان الكتاب في عدة مجلدات (مثلا : ١٢/٢ يعني المجلد/٢ ، الصفحة/١٢) ثم انقل المعلومات على جانب واحد فقط من البطاقة ، ولا تكتب على بطاقة واحدة إلا معلومة واحدة أو معلومات حول قضية واحدة لا غير وإلا ستعتريك مشكلات كثيرة عند بدء الكتابة ، فقد تحتاج بطاقة واحدة في أبواب متعددة لو دونت عليها معلومات متنوعة ، وضع كل المعلومات المصورة أو المستلّة من مصدر واحد برقم واحد واكتب هذا الرقم على البطاقة البيليوغرافية الخاصة بذلك المصدر ، وهكذا يمكنك العودة إلى الأوراق بمنتهى السهولة بمعرفة رقمها من البطاقة البيليوغرافية الخاصة بها ، ولا شئ يزعج الباحث أكثر من معرفته بوجود معلومة أو عبارة يريد الرجوع إليها ولكنه يكون غير قادر على الاهتداء إليها من جديد ..

[illegible]

منهجية البحث العلمي [٤] :

الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها عند إعداد الرسائل والبحوث العلمية

[الحلقة الأولى]

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

تتسم البحوث الأكاديمية في الجامعات الإسلامية بغزارة العلم والمادة إلا أنها تعاني من السقم الفني .أما بحوث الجامعات الغربية فعلى فقرها إلى غزارة المادة تتسم بالكمال الفني ، ونفس الشئ يميز كتبنا وبحوثنا العامة عن الكتب والبحوث الغربية ، ويمكن رفع هذا السقم بمراعاة بعض القواعد بدقة .

وسنتناول هنا أولاً بعض الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها خلال عملية البحث ، وسنتبعها ببعض الملاحظات حول الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها في النسخة النهائية للرسالة التي ستقدم إلى الجامعة تتويجا لعملية البحث .

أدوات العمـــــــــل :

لكل مهنة أدواتها .. وأدوات مهنة « الباحث الأكاديمي » إلى جانب الأدوات المادية - كالأقلام والورق والمقص والصمغ - هي « المراجع » التي يحتاج إليها باستمرار ، كمؤلفات أساسية في مجال تخصصه وبعض المعاجم التي يحتاج إليها في عمله ودائرة معارف عامة وقاموس أعلام ، وينبغي لو أمكنك شراء أشياء كهذه ، ألا تبخل في صرف أموالك في اقتناء هذه المراجع فهي ستكون رفيق عمرك وستكفيك مؤنة الذهاب المرة

(٨) [illegible] ٦/٧١ · [illegible] : ٧١ · [illegible] /٢٠٠٨ ·

(٩) [illegible] : ٣/٧١ · [illegible] / ٦٨ ·

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] » (٨) · [illegible]

[illegible]

[illegible] » (٩) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] : ٠٦] ·

[illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible]

[illegible]

[illegible] ...

العلم المستبين ، وكلمة الرجل القوي الصادق ، هذه السمات كلها دفعت بين أيدينا نصوصًا من أدب الإسلام ، كما رأينا ، على درجة عالية من البيان ، تعلو على كثير من غيرها بهذه السمات ، كل جملة قاعدة إيمان وسماحة بيان ، فاسمع إلى المغيرة - رضي الله عنه - يروي : « إنا ليس طلبنا الدنيا ، إنما همنا وطلبنا الآخرة » واسمع النعمان بن مقرن يقول : « .. فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام حسّن الحسن وقبّح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه ، الجزية ، فإن أبيتم فالمناجزة .. » إلى آخر ما قال : واسمع ربعي بن عامر يقول : « .. الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .. » .

هكذا يرتفع الأدب في الإسلام إلى قمة عالية من البيان والحكمة واليقين ، لتظل هذه النصوص مدوية مع الدهر ، تعلم الناس كلهم ليؤمنوا ، وتعلمهم عظمة « المفاوضات » السياسة والعسكرية ، إنها أدب إسلامي عظيم ، نحن في حاجة إليه ، لتتعلم أجيال المؤمنين سمو رسالتهم في الحياة ، فيرتفعوا عن هوان الوحول ، وسقط المتاع ، وأغلال الشهوات ، ويرتفعوا عن ذلّ من أحب الدنيا وعمل لها ، ليتعلموا كيف يتمّ تحرير البلاد من العدوان و « الاستعمار » .

هنا ، مع هذا الأدب العظيم ، يقف المؤمن في ميدان الجهاد ليفاوض ويناجز ويجاهد ، وليبلغ رسالة الله ، ولتعلم الدنيا قوته وثباته ، فهو الذي يعطي ، وهو الأقوى ، سواء في المناجزة وفي الحديث ، إنه لا يستجدي على ذلة وهوان ، وتمضى أمة الإسلام في الأرض عزيزة قوية ، تجابه قوى الروم في معارك متتالية ، وتجابه التتر ، وتجابه الصليبيين، وتمتد معركة الإسلام في ملحمة ماضية ، ومع كل جولة قصة وعبرة ، ومع

سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك ! فقال : إني لم آتكم . وإنما جئتكم حين دعوتموني . فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت . فقال رستم : ائذنوا له ! فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها . فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله . ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه . فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه . ومن أبي قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟! قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى . والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال : نعم ! كم أحب إليكم ؟ يومًا أو يومين ؟ قال : لا . بل نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سنّ لنا رسول الله -ﷺ- أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث . فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا . ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم (١) .

وفود عدة من المسلمين تحركت إلى كسرى وإلى رستم . كما رأينا أعلاه ومع تعدد الوفود واختلاف المكان نجد أن حديث الصحابة كلهم حديث واحد . وبيانهم بيان واحد . وحجتهم حجة واحدة . وإن اختلف الألفاظ والتعابير . ذلك لأنهم أمة واحدة لها رسالة تحملها وتبلغها أهل الأرض . ليحرروا بها العباد والبلاد . كما حررتهم هم . فلا تكاد تجد فرقا بين فحوى كلام النعمان بن مقرن . ولا المغيرة بين شعبة . ولا ربعي بن عامر وكذلك تجد عند الالتزام بقواعد الإسلام من قرآن تعلوه . ومن سنة سنها لهم رسول الله -ﷺ- . وكذلك تجد خفقة الإيمان واليقين . ودفقة

---

(١) نفس المصدر .

(١) [illegible]

[illegible]

الإيمان ، وجنود الإسلام في الأرض ، وظل هذا المعنى العظيم ملازما لفتوحات الإسلام قرونا طويلة تنشر العدل والإحسان ، وتمد الناس بالأمن والأمان .

وحين بعث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - نفراً من الصحابة ومن سادة المسلمين ، يدعون كسرى إلى الله قبل وقعة القادسية ، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم ، وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها ، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب ، كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعُدَدِها ، ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبرا قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم وغير ذلك ، ثم قال لهم : ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن : « إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، و وعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة » ثم تابع النعمان حديثه حتى قال : « .. وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام ، حسّن الحسن وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شرمنه ، الجزية ، فإن أبيتم فالمناجزة ، وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم .. » إلى آخر القصة (١) .

وفي رواية أنه لما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث له

---

(١) البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير : ج/٧ ، ص/٤٠-٤٢ .

لتكون غيظًا للعـــــــدو ، وحَيْطا   للدار ، إن دلفت خيول النـــــــزّق

ويمضي شعراء المسلمين يدفعون لواء الجهاد في سبيل الله لتحرير العباد والبلاد ، وتمضي مواكب الإيمان من ميدان إلى ميدان ، فهذا عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ينشد الكلمة المؤمنة الفنية في طريقهم إلى غزوة مؤتة ، حيث يقابلون الروم ومن ولاهم من قبائل العرب ، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة (١) :

جلبنـــا الخيل من آجام قرح   تغرّ من الحشيش لها العكوم

فرحنا والجياد مسوّمـــات   تنفس في منـاخرها السّموم

فلا وأبى مآب لنـــأتينها   ولو كانت بهـا عـرب و روم.

فعبّأنا أعنتها فجـــاءت   غوابس و الغبـار لهـا بريم

بذى لجب كأن البيض فيه   إذا برزت فوانسهـا النجوم

كان لدى المسلمين كلهم ، جنودا وقادة ، شعراء وفرسانًا ، معنى واحد لتحرير البلاد ، ذلك المعنى الذي تعلموه من كتاب الله ومن أحاديث رسول الله -ﷺ- ، ومن النهج العملي التطبيقي الذي تعلموه ومارسوه بقيادة قائدهم ونبيهم -ﷺ- ، ذلك المعنى هو تحرير العباد والبلاد من الكفر والشرك ، ومن الوثنية والضلال ، هو دعوة الناس إلى التوحيد والإيمان ، حتى يرى الناس أن كلمة الله هي العليا ، وليدين الناس بدين الحق ، ويخضعوا كلهم لدين الله ، من أجل هذا المعنى وحده انطلقت مواكب

----

(١) تاريخ الطبري ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ،الطبعة الثانية ، المجلد الثاني : ص/١٩ .

[illegible]

هنا انحسرت الشهوات والأهواء . هنا تحطمت الأوثان والأصنام . هنا هان المتكبرون المتجبرون في الأرض . وهنا شعر الإنسان المؤمن بانطلاقه العظيم . بحريته الطاهرة . بحريته الواعية الصاحية . بعد أن زال الخدر من العروق . والسكر من الرؤوس . وانطلق الإنسان المؤمن بكل عدته وسلاحه . يحطم معاقل الجبابرة في الأرض . وجحور الثعالب والأفاعي والذئاب . ومأوي الوحوش الكاسرة الضارية . وظل منهاج الله . قرآنا وسنة . يقود الإنسان والأدب في مهمة التحرير ومقاومة الفساد في الأرض .

انطلق أصحاب رسول الله بهذه الحرية العظيمة ليجابهوا عصبة الفساد الأولى . عصبة الشرك والكفر والإلحاد . وانطلقوا ليجابهوا عصابات العدوان والطغيان من فارس وروما . ويصدوها عن غيّها وضلالها ويدعوها إلى الإسلام . إلى الإيمان . إلى التوحيد .

انطلق أصحاب رسول الله -ﷺ- ليحطّموا أول « استعمار » جابهوه . ليحطموه بكل أسلحتهم وعدتهم . وكان من أمضى الأسلحة التي استخدموها في النزال : الكلمة المؤمنة التقية الواعية . الكلمة الصادقة المدوية . كلمة أدب الإسلام شعرًا ونثرا . وكان سلاحًا عظيمًا فتاكًا . ويظل هذا الأدب العظيم . الأدب الذي يخرج من مدرسة النبوة . يرسم دربًا واحدًا للجهاد . لمقارعة أعداء الله . لتحرير العباد والبلاد . دربًا واحدًا إلى هناك . إلى الجنة . فاسمع عمير بن الحمام - رضي الله عنه - يرسم هذه الصورة الرائعة لمقارعة الشرك ومنازلته يوم أحد (١) :

----

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام . د/عبد الله الحامد : ص/١٨٥ .

المؤمنون من بعده يحملون رسالة الله إلى الناس ، يبلغون ويدعون ، ويصلحون ولا يفسدون ، ويحاربون الفتنة والفساد في الأرض ويحاربون الظلم والعدوان والطغيان .

هذه الطائفة الكريمة أعدها الإسلام أعظم إعداد ، وزوّدها بأعظم سلاح ، وأمدّها بأعظم عتاد ، ودفعها في الأرض لتحرر العباد والبلاد . لقد أعد الإسلام جيلا ممتدا ، كان على أعظم صورة وأقوى بناء ، وأجل فداء في صحبة الرسول محمد -ﷺ- .

لقد كانت حقيقة « الحرية » من أعظم الدروس التي تعلمها صحابة رسول الله -ﷺ- ، وظلت الأجيال بعد الأجيال تتعلمها ، إلا من غلب عليه هواه ، وأضلته شهوته .

لقد تعلموا حقيقة الحرية حين حطم الإسلام كل الأغلال والسلاسل والقيود التي كانت تشلّ حركة الإنسان ، وكانت ترميه حطاما في مهاوي الفتنة والشهوات والضلال . لقد حطم الإسلام أولاً تلك الأغلال الداخلية ، الأغلال التي كانت تكبل الإنسان داخله ، في قلبه وأحنائه ، لقد حطم الإسلام هذه القيود الثقيلة حين ربط الإنسان بالتوحيد الخالص ، والإيمان الصافي حين أصبح ولاؤه الأول لله سبحانه وتعالى ولاءً خالصًا نقيا صافيا :

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ° لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المرسلين ﴾ [سورة الأنعام ، الآيتان : ١٦٢-١٦٣] .

﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ° ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ [سورة المائدة ، الآيتان : ٥٥-٥٦] .

شياطينهم ، حتى يزينوا للناس شرورهم ، ويخفوا عنهم مقاصدهم .

أما في كتاب الله فإنها تأتي في صورة مشرقة لمهمة عظيمة وعبادة خالصة لله سبحانه وتعالى :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾ [سورة هود ، الآية : ٦١] .

واستعمركم فيها : أي أمركم بعمارتها برسالة التوحيد ونهج الإيمان . هذا هو « الاستعمار » الذي شرعه الله . جزءًا من الأمانة التي حملها الإنسان ، والخلافة التي جعلت له ، والعبادة التي خلق لها ، لتقدم للبشرية الخير والفلاح ، والعزة في طاعة الله .

هؤلاء هم الظالمون في الأرض ، وما كان الله ليذرهم يفسدون في الأرض دون أن يجدوا من يصدهم عن شرهم ، أو ينهاهم عن غيّهم ، أو يدعو للحق والخير والتوحيد ، فكان ينهض أولئك الذين صفت فطرتهم بعملهم الصالح فهداهم الله ، فهبوا لمقاومة الفساد في الأرض ، ومحاربة الظلم والعدوان ، والاستبداد والطغيان ، ومضت هذه العصبة في الأرض تنهى عن الفساد ، حتى كأنك تجدها معلما بارزًا في تاريخ البشرية :

﴿ فلو لا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ [سورة هود ، الآية : ١١٦] .

هذه الطائفة الكريمة في تاريخ البشرية هم أتباع الأنبياء والرسل ، الذي أسلموا لله سبحانه وتعالى وحملوا رسالته هدى للناس ونورًا ، وختمت الرسالة بمحمد -ﷺ- ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، ومضى

هذه هي الفطرة السوية التي خلق الله الناس عليها ، فطرة تقوم على التوحيد ، على الحق ، على كل ما يدعو إلى الحق أو يمتد من الحق ، هذه الفطرة السوية تحب العدل وتكره الظلم ، تحب الرحمة وتكره الطغيان ، تحب التعاون الطاهر وتكره العدوان والاستبداد .

ولكن الله سبحانه وتعالى قضت حكمته ومشيئته أن تكون الحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ، فتمضي الفطرة السليمة على صلاحها بالعمل الصالح الطاهر ، وتنحرف الفطرة عن سلامتها بالمعصية والفتنة والسيئات ، فيهدي الله بعدله وحكمته من يشاء ويضل بعدله وحكمته من يشاء ، فتمضي بعض النفوس على تقواها ، بهداية الله لها ورحمته لها بعملها الصالح ، وتمضي بعض النفوس على فجورها ، وقد حقت كلمة الله على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون .

ومن هنا ظهرت في الأرض قوى ضالة مضلة ، فاسدة مفسدة ، معتدية مجرمة ، ملكتها شهوات الدنيا فاستحلت بظلمها دماء الناس وثروات الأرض وأعراض البشرية ، فجمعت الجيوش والعدة والسلاح ، وزحفت في الأرض تفتك وتنهب وتدمر ، على ضراوة أشد من ضراوة الوحوش ، ومكر أشد من مكر الثعالب والذئاب ، إن هذا هو الذي يسميه الناس بالاستعمار. فدرجت كلمة « الاستعمار » على ألسنة الناس لتدل على شر ما يفعله الناس ، بينما هي لفظة ندية غنية ، حملت ظلالها الممتدة من كتاب الله ، من القرآن الكريم ، لتدل على أطهر ما يفعله الإنسان السوي الفطرة ، القوي الإيمان ، لتدل على ظل ندي من ظلال الأمانة التي حملها الإنسان في الأرض ، عبادة وطاعة لله ، لتدل على عمارة الأرض بحضارة الإيمان ، ومسالك الإحسان ، ونشر العدل والأمان ، ونمو جهد الإنسان ، وربما استخدم المعتدون الظالمون هذه اللفظة الندية ، أو أوحى لهم بها

الفصل الأول :

دور الأدب الإسلامي في عهد النبوة والخلافة الراشدة

سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي

من أعظم ما قدم الإسلام للبشرية كلها الحقيقة الكبرى في الكون والحياة . حقيقة التوحيد . حقيقة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مع ما عرف من أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى عما يشركون . وقدم الإسلام كذلك الحقائق الأخرى النابعة عن التوحيد . المرتبطة به . حقائق مطلقة ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها :

﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [سورة فصلت ، الآيتان : ٤١-٤٢] .

ومن بين هذه الحقائق المطلقة أن هذا الدين هو دين الفطرة ، وأن الإنسان . كل إنسان يولد على الفطرة . يولد على التوحيد . على عهد ثابت مع الله . وشهادة موثقة أخذها الله من كل إنسان في عالم الذر . في عالم الغيب . حتى لا يكون لأي إنسان حجة في كفر . وقامت آيات الله في الكون والآفاق لتشهد وتبين وتذكر . وبعث الله الأنبياء والرسل ليذكروا ولينذروا كذلك . حتى تنقطع كل حجة بعد الرسل :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٦٥] .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٥٣] .

والحديث مضمونه مزرعة الأرض وليس له صلة خاصة بالباب السابق
ا يتصل به بالمناسبة لأصل الموضوع : الحرث والزراعة ، ومثل ذلك
ر في الكتاب ، وربما تكلف الشراح عقد الصلة لهذا النوع من الأبواب
نبلها ، ولسنا نرى ذلك لأنه ما دام الباب مناسبا للبحث الذي عقد فيه
ذلك كافياً (١) .

ذا هو منهج البخاري في تراجم كتابه ، ولا شك أنه يدل على دقة نظره
، وهذا من أهم مزايا الكتاب ، وقد قصر قوم في البحث والاستقصاء
غ مرامي التراجم ، وعجزوا عن إدراكها والوصول إلى كنه فقهها ،
رفوا على ابن عبد الله ، وطعنوا على الجامع الصحيح بأنه لم يحكم
ع تأليفه لعدم المطابقة بين عناوينه وأحاديث أبوابه ، فاعترضوا
ال الحافظ ابن حجر العسقلاني : اعتراض شاب غر على شيخ مجرب
كتهل ، وأوردها إيراد سعد وسعد مشتمل : ما هكذا تورد يا سعد
، وربما احتال بعضهم في الاعتذار له - بزعمهم - فزعموا أنه ترك
ب بلا تبييض وقد رد عليهم الحافظ وقال : وللغفلة عن هذه المقاصد
ة اعتقد من لم يمعن النظر انه ترك الكتاب بلا تبييض .

وقد اثبتنا في هذا البحث الموجز بالأدلة القاطعة على أن كل هذه
فات من الإمام البخاري كان عمدًا ، إنه وضع فيه دقائق استنباطه
خراجه فمن جد وجد ، والله ولي التوفيق .

تح الباري : ٦/٥ .

٧٧٧

قال الحافظ ابن حجر : (١) فهي بمنزلة الفصل من الباب الذي قبله تقدم تقريره غير مرة .

٢- إن المؤلف أحيانا يترك الترجمة عمدًا كما ترجم (بباب) بلا ترجمة بعد : باب ما جاء في غسل البول (٢) .

وقد ذكر فيه البخاري حديث الرجلين يعذبان في القبر . هذا الحديث في نفس الأمر هو الحديث الذي ترجم له البخاري بقوله : باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٣) لأن مخرجهما واحد . غير أن الاختلاف في السند وبعض المتن لأن هناك عن مجاهد عن ابن عباس وههنا عن مجاهد عن طاؤوس إلى آخر ما قال : وحاصله أنه ذكر الباب بلا ترجمة تنبيهًا على الاختلاف في الرواية (٤) .

٣- والكثير الغالب أن يكون في مضمون الباب فائدة تتصل بأصل الموضوع . ومن ذلك : باب قطع الشجر والنخل (٥) . أخرج فيه حديث عبد الله بن عمر عن النبي الكريم -ﷺ- أنه حرق نخل بني النضير وقطع ثم قال (باب) وأخرج فيه حديث رافع بن خديج قال : كنا أكثر أهل المدينة مزدرعًا . كنا نكرى الأرض بالناحية منها مسمّى لسيد الأرض قال : فمما يصاب ذلك وتسلم الأرض ومما يصاب الأرض ويسلم ذلك فنهينا وأما الذهب والورق فلم يكن يومئذ (٦) .

---

(١) فتح الباري : ٢/١٠٥ . (٢) انظر صحيح البخاري : ١/٦١ .

(٣) صحيح البخاري : ١/٦٠ .

(٤) مقدمة لامع الدراري : ص/٢٤٠ .

فائدة : قال السندي : باب « بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة (تنبيه) أو لفظ فائدة : أو لفظ « قف » حاشية السندي على البخاري : ٢/١٢٦

(٥) صحيح البخاري : ٢/٦٧ . (٦) نفس المصدر : ٢/٦٨ .

قال العيني : إن البخاري جرت له عادة أنه إذا ذكر لفظ (باب) مجردًا عن الترجمة يدل على أن الحديث الذي يذكر بعده يكون له مناسبة بأحاديث الباب الذي قبله (١) .

وقال الحافظ في الباب المذكور : كذا في الأصل بلا ترجمة ، وكأنه بيض له فاستمر كذلك ، وقال ابن رشيد : إن مثل ذلك إذا وقع في البخاري كان كالفصل من الباب ، قد اختلفوا في وجه المناسبة على عشرة أقوال : الأرجح عندي الاستدلال على جواز إخراج المصباح من المسجد للضرورة كإدخال البعير فيه للحاجة (٢) .

ومن ذلك قوله « باب ما يكره من النياحة على الميت (٢) » وأخرج فيه حديث المغيرة : من نيح عليه يعذب بما نيح عليه ، وحديث عمر : والميت يعذب في قبره بما نيح عليه .

ثم قال : (باب) وأخرج فيه حديث جابر في مقتل أبيه يوم أحد وفيه فأمر رسول الله -ﷺ- فرفع فسمع صوت صائحة ، فقال : من هذه ؟ فقالوا : أبنة عمرو أو أخت عمرو ، قال : فلم ، أولا تبكي ؟ فما زالت تظلله بأجنحتها حتى رفع ، فهذا الحديث أفاد كراهة النياحة على الميت ، وتعليل ذلك بأن هذا الميت ظللته الملائكة بأجنحتها واكتنفته الرحمة فهو في نعيم عظيم يوجب السرور له لا الحزن والنياحة ، وذلك بطرق آخر غير ما أفادته الأحاديث السابقة من علة النهي عن النياحة ، فلذلك فصله في باب مستقل .

---

(١) عمدة القارئ : ٢/٢٢١ .   (٢) انظر لامع الدراري : ٢/٤٥٤-٢٥٤ .
(٢) فتح الباري : ١/٨٠-٨١ .

الواردة في حديث أبي سعيد الخدري الذي أورده في الباب ، يقول : قال رسول الله -ﷺ- : إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني . [الحديث]

قال العيني : إذا وضعت الجنازة أي الميت على النعش ، فشرح بالترجمة لفظ الجنازة الوارد في حديث أبي سعيد الخدري (١) وترجم : باب بركة السحور من غير إيجاب (٢) فإنه بهذا القيد نبه على أن الأوامر الواردة فيه للاستحباب (٣) .

رابعًا : التراجم المرسلة :

وهي التي أرسلت فلم تذكر واكتفي عنها بكلمة العنوان (باب) فبالاستقراء اتضح لنا أن البخاري يستعمل عنوان (باب) على وجهين :

١- إما أن يكون مضمون الباب متصلا بالباب السابق مكملا له فيفصل لفائدة زائدة في مضمونه فيكون بمنزلة الفصل من السابق . مثال ذلك : قول البخاري : باب إدخال البعير في المسجد (٤) وأخرج فيه حديث أم سلمة . قالت : شكوت إلى رسول الله -ﷺ- أني اشتكي . قال : طوفي من وراء الناس وأنت راكبة . [الحديث]

ثم قال : (باب - ٤٦٥) أخرج فيه حديث أنس . أن رجلين من أصحاب النبي -ﷺ- خرجا من عند النبي -ﷺ- في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما . [الحديث]

---

(١) مقدمة لامع الدراري : ص/٢٢٥ .
(٢) صحيح البخاري : ٢/٢٣٢ . وفتح الباري : ٤/١٣٩ .
(٣) مقدمة لامع الدراري : ص/٢٢٥ .
(٤) صحيح البخاري : ١/١٩ . وفتح الباري : ١/٥٥٧ .

١- مثال ذلك : باب مسح اليد بالتراب لتكون أنقى (١) :

أخرج فيه حديث ميمونة أن النبي -ﷺ- اغتسل من الجنابة فغسل فرجه بيده ثم دلك بها الحائط ثم غسلها إلخ .

فقوله لتكون أنقى بين بذلك علة مسح اليد بالتراب مع الإشارة إلى الاختلاف في ذلك (٢) .

٢- وكقوله باب الإقامة واحدة إلا قوله قد قامت الصلاة (٣) .

أورد فيه حديث أنس قال : أمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة [التحديث] أي يوحد ألفاظهما . فشرح البخاري بذلك قوله في الحديث : يوتر الإقامة . لأن لفظ الوتر غير منحصر في المرة فعدل عن لفظ فيه الاشتراك إلى ما لا اشتراك فيه ، وقال بعضهم : إنما قال واحدة للفظ الخبر الوارد في ذلك (٤) .

٣- وكقوله : باب الذكر بعد الصلاة : شرح ذلك لفظ الدبر الوارد في أحاديث الأدعية ردا على من قال : بأن هذه الأدعية في التشهد قبل السلام للفظ (٥) .

٤- وترجم : باب كلام الميت على الجنازة (٦) شرح بذلك لفظ الجنازة

----

(١) صحيح البخاري : ١/٧٠ ، وفتح الباري : ١/٣٧٢ .
(٢) لامع الدراري : ٢/٢٢٥ .
(٣) صحيح البخاري : ١/١٥١ ، وفتح الباري : ١/٨٣ .
(٤) عمدة القارئ : ٥/١١٠ .
(٥) صحيح البخاري : ١/٢٠٤ ، ومقدمة لامع الدراري : ص/٣٢٥ .
(٦) صحيح البخاري : ٢/٨٨ ، وفتح الباري : ١/٢٤٤ ، وعمدة القارئ ٨/١١٤ .

والاستقصاء تظهر له فائدة مجدية ، ومن أمثلة ذلك :

قوله : باب قول الرجل ما صليناه (١) .

أخرج فيه حديث أن النبي -ﷺ- جاءه عمر بن الخطاب يوم الخندق ، فقال : يا رسول الله ! والله ما اكدت أن أصلي حتى كادت الشمس تغرب وذلك بعد ما أفطر الصائم ، فقال النبي -ﷺ- : « والله ما صليتها » . قال ابن بطال : فيه رد لقول إبراهيم النخعي يكره أن يقول الرجل لم نصل .

قوله باب الصلاة إلى الحربة وباب الصلاة إلى العنزة (٢) . لما كان النهي عن السجدة إلى ما يلزم التشبه بعبدة الأصنام يقتضي أن لا يجوز الصلاة إلى الحربة والعنزة وغيرها من السلاح لتعظيم بعض الفرق إياها ، هذا أقصى ما يوجه به الترجمة بحيث يناسب شأنه وإلا فالشراح قاطبة سكتوا عن بيان غرضه (٣) .

ثالثًا : التراجم الشارحة للأحاديث :

إن الأصل في التراجم أن تكون دعاوى والأحاديث الواردة في الباب تكون دلائلها مثبتة .

والإمام البخاري كثيرًا ما يترجم بما يكون منزلة شرح للحديث .

قال العلامة السندي : إن تراجم الصحيح على قسمين : قسم يذكره للاستدلال بحديث الباب ، وقسم يذكره ليجعل كالشرح لحديث الباب ، والشراح جعلوا الأحاديث كلها دلائل للترجمة فأشكل عليهم الأمر (٤) .

---

(١) انظر البخاري : ١/١٥٧ . وفتح الباري : ١/١٢٢ .

(٢) صحيح البخاري : ١/١٢٧ .　　(٣) انظر لامع الدراري : ٢/٤٩٨ .

(٤) مقدمة لامع الدراري : ص/٢٢٥ .

فقه الأبواب والتراجم في صحيح الإمام البخاري

[الحلقة الخامسة الأخيرة]

سعادة الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه بجامعة الإمارات - أبو ظبي

١١- مطابقة الترجمة بالعموم وبالخصوص :

تطابق الترجمة للحديث بالعموم والخصوص بأن يكون الحديث خاصا والترجمة أعم منه فيطابقها بتعميم معناه . أو يكون الحديث عاما والترجمة خاصة فتندرج فيه . ومن أمثلة ذلك باب التيمن في دخول المسجد (١) أخرج فيه حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - : كان النبي الكريم -ﷺ- يحب التيمن ما استطاع . [الحديث]

قال العيني : مطابقة للترجمة من حيث عمومه لأن عمومه يدل على البداية باليمين في دخول المسجد (٢) .

قوله : باب لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد في مكانه . أخرج فيه حديث ابن عمر نهي النبي -ﷺ- أن يقيم الرجل اخاه من مقعده ويجلس فيه (٢) والنهي مطلق يعم جميع الأوقات . منها يوم الجمعة الذي ترجم به البخاري .

١٢- الترجمة بشئ ظاهر لكنه كثير الفائدة :

الترجمة بشئ بدهي قد يظنه الناظر قليل الجدوى ثم بالبحث

---

(١) صحيح البخاري : ١/١١٠ .　　(٢) عمدة القارئ : ٤/١٧١ .

(٢) انظر البخاري : ١/٨ . وفتح الباري : ٢/٢٦٧ .

(١) [illegible]

٨٨٨

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١) .

[illegible]

[illegible]

النقوش أو انعدمت ، لأن علم اللغة يبدأ حيث يوجد نقش قديم أو نص مدون فقط . وليس من الممكن أن يمضى الباحث في تاريخه للأسرة اللغوية إلى المراحل السابقة على تدوين أقدم النقوش المكتوبة : فنشأة اللغة تخرج تماما عن مجال البحث في اللغة . وعلم اللغة يشبه في هذا الصدد علم التاريخ ، في أن كليهما يبدأ من أقدم الكتابات والنقوش . تاركا لعلم ما قبل التاريخ بحث المراحل السابقة على الكتابة .

وعن أقدمية العربية بين أخواتها الساميات ، بعد دراسات طويلة ومستفيضة .

تقول الدكتورة باكزة حلمي : « دلت الدراسات التي أجريت حتى الآن في قواعد لغات الجزيرة الجنوبية على أنها تمثل أقدم صور اللغة العربية الحديثة .

ودلت على أن المعينية - التي تعد من أقدم تلك اللغات - هي أيضًا أكثرها صلة بأقدم لغة عرفت في التاريخ من أسرة « لغات الجزيرة العربية - العربية » كما تفضل الدكتورة تسميتها البابلية الأولى ، فقد كانت معاصرة لها أو أقدم منها على الأغلب .

وتعلل الدكتورة ذلك - بأن البابلية - التي تعد بإجماع آراء علماء اللغة ، إحدى أهم لغات هذه الأسرة وأقدمها ، انتقلت من موطنها الأول في جنوب الجزيرة قبل بدء التدوين ، وحملت معها بلا شك تلك الصفات اللغوية التي رأيناها تشترك فيها مع المعينية العربية ، بل وتنفرد معها بكثير من تلك الصفات دون سائر لغات الأسرة الأخرى : الأمر الذي يدل على أنهما كانتا في مرحلة واحدة من التطور حين افتراقهما .

وقد اندثرت البابلية قبل نهاية هذه المرحلة لتحل محلها لغات أخرى

والعربية تنتمي إلى أسرة الساميات ، وتدخل فيها المجموعة الأكادية ، التي كانت في العراق القديم ، وتدخل فيها أيضًا المجموعة الكنعانية التي تضم الأجريتية والفينيقية والعبرية ، وكذلك اللهجات الآرامية المختلفة ، التي سادت العراق والشام في الجاهلية .

ويدخل كذلك في إطار اللغات السامية عدد من اللغات في الحبشة .

« والعربية التي نعرفها اليوم هي العربية الشمالية ، وهي لغة متميزة عن العربية الجنوبية ، التي حملت لنا حضارة اليمن القديمة ، كما يرى الدكتور محمود فهمي حجازي وغيره من علماء أصول اللغة قديما وحديثا » (١) .

وتكون العربية الشمالية والعربية الجنوبية ، واللغات السامية في الحبشة : الفرع الجنوبي من أسرة اللغات السامية .

ويحاول المتخصصون في اللغات السامية منذ القرن الماضي - إعادة تكوين اللغة السامية الأم ، أو السامية الأولى ، التي يفترض أنها كانت الأصل المشترك ، الذي خرجت عنه اللغات السامية المختلفة .

والأمر كذلك بالنسبة لفرع اللغات الهندية الأوربية ، إذ حاول بعض الباحثين إعادة تكوين اللغة الأولى ، والتي يفترض أنها سبقت - كما يرى بعض العلماء - في الوجود كل لغات هذه الأسرة .

وجاءت كل الافتراضات ظنونا في الواقع ، لأن البحث - مع وصوله إلى مرحلة مبكرة في التاريخ اللغوي للإنسانية - لم يقم على واقع مدون ، أو بمنهج علمي يقيني ، ومن ثم توقفت الأبحاث في المراحل التي ندرت فيها

----

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص/١٦-١٧ - بتصرف - .

وتابع العلماء الكشوف بعد (هاليفي) ودرسوا قواعد ما عثروا عليه . وأجروا مقارنات أفادت البحوث اللغوية كثيرا :

فوضع المستشرق (إينوليتمان) دراسة موجزة لقواعد الصفوية . والثمودية . من لغات غرب وشمال الجزيرة العربية .

ثم وضع الأستاذ اغناطيوس جويدي سنة ١٩٢٠م كتابا مختصرًا في قواعد لغات الجزيرة العربية الجنوبية لغة حمير بالعربية .

وأعاد (إينوليتمان) نشر بحوثه ودراساته مفصلة سنة ١٩٤٠م .

وقامت تلميذته (ماريا هوفنر – MARIA HOFNER) بدراسة قواعد اللغة العربية الجنوبية سنة ١٩٤٢م .

ويتبع هؤلاء باحثون في هذا الجانب أيضًا . مثل : العالم (كلازر) سنة ١٩٠٨م و (هومل) سنة ١٨٩٢م . و (روسي) سنة ١٩٢١م وأخيرا محمد توفيق . والدكتور خليل يحيى نامي من كلية آداب القاهرة .

ومن هذه الدراسات : « أصبح لدى العلماء تاريخ كامل للغة العربية بمراحلها الثلاث . منذ أقدم عهد لهذه الأسرة اللغوية حتى الآن بغير انقطاع أو ثغرة . واستفادت منها دراسة البحوث المقارنة التي تتطلبها الدراسات اللغوية الحديثة . وثبت – عليًا – من صلات القربى بينها أن اللغات لهذه المنطقة كلها ما هي إلا لهجات « للغة واحدة » تفرعت عنها وانتشرت في أنحاء الجزيرة وأطرافها . لتكون بدورها لغات مستقلة . انفردت كل منها باسم خاص عرفت به . وخصائص لغوية جديدة ميزتها عن أخواتها عبر الزمن » (١) ـ

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد/٢٤ سنة ١٢٩٤هـ .

ومعنى هذا أن الأوغاريتية تعد أقرب اللغات إلى العربية القديمة والحديثة . وأقوى صلة بها . للتشابه القوي والذي يقرب أن يكون تاما بينهما .

وإذا كانت الأوغاريتية أقدم تاريخا - أيضًا - فإن العربية قديمة ضاربة في أعماق التاريخ أكثر من غيرها من لغات الجزيرة العربية .

وتدل الدراسات اللغوية على أن هناك لغات أخرى في الجنوب (اليمن) ، والغرب (نجد والحجاز) عاصرت البابلية والأشورية في الشرق . والأوغاريتية في الشمال الغربي (رأس شمرا) .

ومع أهمية لغات الجنوب والغرب إلا أن الحفريات لم تسفر للآن عن مراحل تطور تدوينها ، حتى يمكن إرجاعها إلى تاريخ بدء التدوين بلغات الجزيرة ، أي الألف الثالث ق. م ، وتوضح ملامح الكتابة في جنوب الجزيرة وغربها .

أما دراسة لغات جنوب الجزيرة العربية وغربها ، فلم يكشف النقاب عنها إلا في أواخر القرن الماضي ، حيث توالت الكشوفات والدراسات التي أماطت اللثام ، وحلت الرموز التي عثر عليها ، فتم للعلماء معرفة كبيرة وشبه أكيدة بمعرفة مراحل اللغة العربية ، وشقيقاتها الحية والمندثرة ، وتكاملت الدراسات بالمقارنة لتثبت الملامح والصلات ، وتكشف المجهول ، وعرف العلماء بذلك قواعد لغات الجزيرة العربية كلها : الحية والمندثرة على السواء :

فقد عثر المستشرق الفرنسي (هاليفي) على ستمائة وخمسة وستين نقشا مكتوبا بخط المسند - ولم يعرفه العلماء قبل ذلك - فحل رموزها ونشرها ، فيما بين سنتي (١٨٦٩-١٨٧١م) .

واللينة ، وكذلك القواعد ، مما يدل على قوة الصلة بين الأوغاريتية والعربية أكثر من غيرهما من لغات الجزيرة ، تتمثل فيما يلي :

١- أبجديتهما تحتوي على الأصوات الصحيحة الموجودة اليوم في العربية ، بما في ذلك حرفي « الضاد ، والظاء » اللذين تفتقر إليهما معظم لغات الجزيرة العربية ، وعدد الأصوات الصحيحة واحدة فيهما ومتماثلة ، الأبجديات للغات الأخرى فتتألف من اثنين وعشرين حرفًا .

٢- وأصوات الحركة واللين « الألف ، والواو ، والياء » يضاف إليها لرموز الحركية ، أو أنصاف هذه الحركات كما يعبر ابن جني ، في للغتين واحدة .

٣- وكما اتفقت اللغتان في الأبجدية واللفظ اتفقتا في النطق كذلك خلاف اللغات الأخرى حيث اتسعت مسافة الخلف فيما بينها وبين لعربية .

٤- واشتركتا كذلك في الإعراب بالحروف والحركات ، بينما اختفت ظاهرة الاعراب في اللغات الأخرى أو لغات المرحلة الثانية (العربية الآرامية) وإن بقي من الظاهرة شئ لا يذكر .

واشتركت الأوغاريتية والعربية كذلك في تقسيم الاسم إلى مفرد مثنى وجمع ، وعلامات الجمع والتثنية ، سوى أن النون في الأوغاريتية قلب إلى (الميم) .

بينما تنعدم التثنية في لغات المرحلة الثانية .

٥- وقواعد الاشتقاق والتصريف تكاد تكون واحدة فيهما (١) .

---

(١) قواعد الأوغاريتية : د/جوردون : ص/٢-٥ .

عنه الشيخ عبد الله العلايلي في مقدمته (١) .

ولا ينكر أحد أن اكتشاف اللغة الأوغاريتية وكتاباتها ، وفك رموزها في النصف قرن الماضي أدى بالعلماء إلى إعادة النظر في كل ما قاموا به من دراسات عن الجزيرة العربية ولغاتها .

كما عرفوا بعض مراحل من تاريخ تطور الكتابة المسمارية المقطعية وأبجديتها ، وصوتياتها ، والصلات الكبيرة بينها وبين لغات الجزيرة العربية الجنوبية (المعينية والسبئية) ما زالت غموضا كان يخيم على الصلات اللغوية في الشمال والجنوب .

ويذكر الدكتور جواد علي : أن الفضل في اكتشاف ألواح (الأوغاريتية) في الربع الأول من هذا القرن ترجع إلى العالم M. CLAUDE SCHAEFFER وقد وجد على هذه الألواح الأبجدية المسمارية بكاملها مدونة بخط جلي واضح (٢) . وعند قراءتها تبيّن أنها تتألف من ثلاثين رمزا صوتيًا ، لكل صوت صحيح في اللغة رمز مستقل واحد ، لا ترافقه حركة كما كان الأمر في المسمارية المقطعية ، فيما عدا صوت الهمزة الذي بقي كما كان في المسمارية المقطعية بثلاث صور مع حركة تلحقها هي الفتحة والضمة والكسرة .

ويرى الدكتور (س. جوردون) في كتابه : « قواعد الأوغاريتية » كما نقلته عنه الدكتورة باكزة حلمي : أن الأوغاريتية تشترك - أيضًا - مع العربية القديمة والحديثة في أمور كثيرة ، مثل : الأصوات الصحيحة ،

---

(١) انظر كتابنا (أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية) مكتبة وهبة - القاهرة .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام : ١/٢٠٦ .

المعاجم والقواعد والأصوات في العربية

سعادة الدكتور توفيق محمد شاهين

وبعض الباحثات في الحقل اللغوي تعتقد « أن الأمة العربية أول من عني بتأليف المعاجم اللغوية ، ولم يسبقها - بحسب اعتقادها - إلى مثل هذا النوع من التأليف اللغوي إلا ما ظهر مؤخرًا من ألواح المعاجم وجدت في مدينة (إيبلا) السورية ، والتي يقال فيها : إنها معاجم وأنها معاجم ثنائية الأصول ، تعود إلى إسماعيل جد العرب ، ويبدو أن اليونان أخذوا عن العرب هذا النوع من التأليف » (١) .

فقد أرجعت نشأة تأليف المعاجم العربية إلى مرتبة تالية لمكتشفات (إيبلا) ، والتي قيل إنها معاجم سامية وثنائية الأصول ، وأرجعتها إلى عهد جدنا إسماعيل -ﷺ- ، وظنوا أن اليونان عرفت المعاجم عن العرب .. وهذه ظنون في الواقع ما زالت بحاجة إلى أدلة .. وما كتب عن المعاجم العربية خاصة واللغوية عامة يجعلنا مترددين في قبول هذا القول على علاته بغير سند أو دليل .

وإن كنت أميل إلى تأييد ثنائية الأصول في هذه الفصيلة اللغوية السامية ، لما لمسته إبان بحثي ومعايشتي في هذا الجانب ، وأكثر من ذلك وجدت أن للحرف قيمة تعبيرية ، كما في الجدول الفينيقي الذي تحدث

----

(١) علم المفـــــردات في إرثنا اللغوي ، للدكتورة نشأة محمد رضـــا ظبيان : ص/٩٩ .

هذا ، ولا يريدون وقوعه (١) ..

٣٠- ولا بأس في أن تلحق بخصائص العربية : *أن الذي يتضلع من هذه اللغة يقف على أسرارها ودقائقها لا يزال يبغي الازدياد من فوائدها ، وكلما سار شوطا أخذه اليأس من البلوغ إلى غايتها .*

أما الذي لم يقف إلا على جزئياتها فيخيل إليه أنه أصبح باقعة الدهر ، وأن جهابذة اللغة وأقطاب الأدب وفحول الشعراء إنما هم عيال عليه .. ولله في خلقه شئون (٢) ..

وبعد ، فقُل لــي بربك أي لغة من لغات العالم لها ما للعربية من خصائص وسمات ؟ وصدق الفارابي حينما قال عنها : « هذا اللسان كلام أهل الجنة ، وهو المنزّة من بين الألسنة من كل نقيصة ، والمعلّى من كل خسيسة ، والمهذّب مما يُستهجن ، أو يُستشنع ، فبنى مباني باين بها جميع اللغات » (٢) .

ولعل هذا كله هو الذي جعل من الاستحالة بمكان ترجمة ألفاظ القرآن الكريم إلى لغات أخرى ، كما كان من الكتب السماوية الباقية ، إذ كيف يترجم القرآن باللفظ ، وهو بالعربية - التي بها كل هذه الميزات - إلى لغات أخرى عارية من كل هذه الخصائص والسمات ؟ !

٧ ٧ ٧

---

(١) المصدر السابق : ١/٢٢٠-٢٢١ .
(٢) د/شعبان عبد العظيم : قبس من وحي اللغة : ص/١٩٠ .
(٢) العلامة السيوطي : المزهر : ١/٢٤٢ .

يقول ابن جني - :

أ - إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقع بك فكرك عنه .

ب - أو لأن الأول - أي القدماء - وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر (١) !

٢٦- العروض : فهو ميزان الشعر وللعرب أوزان - وضعها الخليل - غبطنا عليها جميع الأمم .

٢٧- تركيبات خاصة في العربية : وذلك كذكر الواحد والمراد الجمع . كقولهم للجماعة : ضيف . قال تعالى : ﴿ هؤلاء ضيفي ﴾ [سورة الحجر . الآية : ٦٨] . والمراد ضيوف لا ضيف واحد .. وكذكر الجمع والمراد واحد ، كقوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ [سورة الحجرات . الآية : ٤] . والمنادي واحد (٢) ..

٢٨- أوزان خاصة بالعربية : يكثر ورود بعض الأوزان في اللغة العربية ، أو يطرد ورودها فيها ، للدلالة على معان خاصة ، فمن ذلك أوزان أفعال الماضي والمضارع والأمر وأوزان اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول وأفعل التفضيل والتعجب .. وهذا مما لا يوجد له نظير في اللغات ..

٢٩- نظم للعرب لا يقول غيرهم : كقولهم : عاد فلان شيخا ، وهو لم يكن شيخا قط . وكقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره ! فهم يقولون

---

(١) علامة اللغة ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار : ٢/١٦٢-١٦٤ ، الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ، ولمزيد من التفصيل والإمتاع حول هذا الموضوع راجع : المصدر نفسه : ٢/١٤٥-١٦٨ ، ٢/٢٦٤-٢٦٩ .

(٢) العلامة السيوطي : المزهر : ١/٣٣٢ .

فخاطب ثم قال : أقوت .. أو أن تخاطب المخاطب ثم يرجع الخطاب لغيره . كقوله تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم ﴾ الخطاب للنبي -ﷺ- . ثم قال للكفار : ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ يدل على ذلك قوله : ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ [سورة هود . الآية : ١٤] (١) ..

٢٢- التعويض : وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة . كإقامة المصدر مقام فعل الأمر . نحو قوله -ﷺ- : « صبرًا آل ياسر » والتقدير : اصبروا . وكإقامة الفاعل مقام المصدر . كقوله تعالى : ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ [سورة الواقعة . الآية : ٢] أي تكذيب (٢) ..

٢٤- الاعتراض : وهو أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام مثل قول الشاعر :

إن الثمانين - وبُلّغْتَها - قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

٢٥- محاكاة ألفاظ العربية لمعانيها : وفيه العجب . فالعربية لغة شاعرة في كلماتها وتركيباتها وفي حروفها وأصواتها وصورتها . فمثلا كلمة : شدّ من قولك شدّ الحبل . فالشين في هذه الكلمة بما فيها من التفشّي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد . ثم يليه إحكام الشد والجذب والعقد . ليعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين . لا سيما وهي مدغمة . فهي أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها .

فكأن حروف الكلمة في العربية مقسمة على تقسيم الأحداث . وهكذا جميع كلمات العربية . فإن أنت لم تلحظ ذلك فيها . فأحد أمرين - كما

---

(١) العلامة السيوطي : المزهر : ١/٢٢٤ وهامشها .

(٢) المزهر : ١/٢٢٧-٢٢٨ - بتصرف - .

لكنه تفجع لما رأى السكن رحلوا . وتوهم أنه يسأل الربع أين انتأوا . وذلك كثير في أشعارهم (١) ..

١٩- الفرق بين الأضداد بالحرف أو السكون أو الحركة :

وذلك شائع في العربية فالفرق بالحرف كقولهم : « يَدوَىَ من الداء ، ويُدَاوِي من الدواء » .. والفرق بالسكون كقولهم : « لُعَنَة إذا أكثر اللّعن ، و لُعْنَة إذا كان يُلْعَن » أما الفرق بالحركة فكقولهم : « يُخفِر إذا نقض من أخفر ، ويَخفِر إذا أجار من خَفَر (٢) ..

٢٠- الترخيم في النداء نحو : يا حار ، في : يا حارث ، ويا مال ، في يا مالك ..

٢١- الفرق بالحركات وغيرها بين المعاني : يقال لآلة الرمي : مِرمًى ، ولمكان الرمي : مَرْمًى .. وللإناء يحلب فيه : مِحْلَب ، ولمكان الاحتلاب : مَحْلِب .. ويقال : امرأة حامل - بحذف الهاء - لأن الرجل لا يشركها في حمل البطن ، ويقال : امرأة حاملة - بالهاء - إذا حملت على ظهرها شيئًا ، لأن الرجل يشركها في هذا الحمل .. كما يقال : امرأة مرضع - بحذف الهاء - إذا كان لها ولد ترضعه ، وامرأة مرضعة - بالهاء - عند ما تلقم الولد ثديها ، فما أجمل العربية وأدقها (٣) ..

٢٢- الالتفات : وهو أن تخاطب الشاهد ، ثم تحول الخطاب إلى الغائب ، أو تخاطب الغائب ثم تحوله إلى الصامد ، كقول النابغة :

يا دامية بالعلياء فالسنـــد　　　أقوت وطال عليها سالف الأمد

(١-٢) المصدر السابق : ٢٣٦/١ .

(٢) الأمير امين آل ناصر الدين : دقائق العربية : ص/١٤-١٥ ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٩٦٨م .

علماء البلاغة بـ « المجاز المرسل » .

كما تطلق العبارة أحيانا ويراد بها ما يترتب على مدلولها ويلزمه ، ويسمى هذا « كناية » في عرف علماء البيان . وذلك كقولك في الكناية عن الرقة وشدة التأثر : مسّ الحرير يدمي بنانه . وعن الترف : نؤوم الضحى . وعن الكرم : اليُمن يتبع ظلّه .

فللأبواب السابقة جميعًا فضل كبير في سمو الأساليب العربية . وشدة تأثيرها في النفوس ، وقوة بلاغتها وحسن بيانها ، ومرونة تعبيرها ، ومطابقتها لمقتضيات الأحوال . وما وصلت إليه من مكانة منقطعة النظير في ميادين الشعر والخطابة والنثر الفني ومختلف فروع الآداب (١) ..

١٦ - الهمز في عرض الكلام : مثل قرأ . ولا يكون في شئ من اللغات إلا ابتداءً (٢) ..

١٧ - زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى في العربية : ويتضح ذلك في مواطن كثيرة فيها . منها : المبالغة مثل : اعشوشب المكان . إذا كثر فيه العشب . ومنها : التسوئة والتقبيح . مثل : امرأة سمعنّه نظرنّه . لكثيرة التسمع والتنظر ..

١٨ - التوهم و الإيهام : ومن سنن العرب التوهم والإيهام . وهو أن يتوهم أحدهم شيئًا . ثم يجعل ذلك كالحق . منه قولهم : وقفت بالربع أسأله . وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسما . يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل

---

(١) د/علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة : ص/٢٢٥-٢٢٦-٢٢٩ - بتصرف -.
(٢) العلامة السيوطي : المزهر : ١/٢٢٨ .

.. كما رأيناهم يتركون الجمع بين الساكنين ، مع أنه قد يجمع في اللغات الأعجمية ثلاثة سواكن ..

وكذلك لم نجد تنافرا بين حروف كلمات العربية ، كاجتماع الغين مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، وغيرهما مما هو موجود في كثير من اللغات ، ولذا فلقد كان للعربية فضل من جهة فصاحة مفرداتها ، فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان ، أو ينبو عنه السمع ، وللعارف بحسن صياغة الكلام أن يصنع من مفرداتها المأنوسة الوضاءة نظما أو خطبا أو قصائد تسترق الأسماع وتسحر الألباب (١) ..

١٣ – حروف اختصّت بها العربية : وهي الحاء والطاء والضاد ..

١٤ – انفردت العربية بالألف واللام التي للتعريف مثل : الإنسان ، الكتاب ، القلم ..

١٥ – استخدام الجمل في غير أبوابها في اللغة العربية : يكثر في اللغة العربية استعمال الألفاظ والتراكيب في غير ما وضعت له لأغراض بلاغية ، كتوضيح المعنى والمبالغة في تقريره والإبانة عنه ، أو الإشارة إليه في قليل من اللفظ ، أو عرضه في صورة جذّابة .

فقد يستخدم اللفظ أحيانا في غير ما وضع له لعلاقة أخرى غير المشابهة بين المعنيين ، كعلاقة السببية والمسببية والمجاورة والكلية والجزئية واعتبار ما كان عليه الشئ أو ما يؤول إليه .. وهلم جرّا .

فمثال باعتبار ما يؤول إليه قوله تعالى : ﴿ إني أراني أعصر خمرًا ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ٣٦] أي عنبًا يؤول إلى خمر ، ويسمى هذا عند

----

(١) الشيخ محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها : ص/١٧-١٨ .

ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ : فمثلا يتصرف من عَلِمَ : عَلِمنا ، أعلم ، يَعلم ، أُعلم ، أَعلام ، عَلامات ، عالَم ، عالَمون ، علِيم ، علامة ، عُلماء ، عالِمون ، متعلّم ، معلّم ، معلوم .. إلخ ، ولم تحصل أية لغة سامية أخرى في هذه الناحية إلى هذا الشأن (١) ..

١١ - الثالوث اللغوي العجيب : المشترك اللفظي ، والتضاد ، والترادف (٢) ، فبها تمتاز لغتنا العربية ، إذ أن لها أثرا كبيرًا في نموها وسعتها ، وبما طالت اللغة العربية غيرها من اللغات ، واستطاع الشاعر أو الأديب أن يتخير الألفاظ التي تعبر عما في نفسه ، عن طريق التنقل بين السلب والإيجاب ، والتعكيس والتنظير ، وهذا مما ليس له في اللغات الحيّة نظير (٣) ..

١٢ - الجنوح إلى الخفة والرشاقة في الكلمات ، وفي مجاورة الحروف بعضها البعض : ولذا وجدنا العرب يقلبون بعض الحروف للتخفيف ، مثل قولهم في موعاد : ميعاد ، وهما من الوعد ، إلا أن اللفظ الثاني أخف

----

(١) ع/علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة : ص/٢١٧ - بتصرف - ط. دار نهضة مصر .

(٢) « المشترك اللفظي » هو : دلالة اللفظ على معنيين أو أكثر على التساوي ، مثل : « العين » فإن لها أكثر من معنى في العربية منها : الباصرة ، وعين الجيش الذي ينظر لهم ، والجاسوس .. و « التضاد » هو : دلالة اللفظ على معنيين متقابلين بمساواة بينهما ، مثل : « الجون » يطلق على الأبيض والأسود ، و « الرادة » هو : دلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد ، مثل : « السيف » فمن أوصافه : الصمصام والحسام ، والصارم ، والمشرفي .. ولمزيد من التفصيل راجع : المزهر : ١/٢٦٩-٤٢١ .

(٣) د/صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة : ص/٢١٢ .

ما يحدث في عاميتنا الآن (١) ..

٧- اعتدال كلماتها : للعربية فضل من جهة اعتدال كلماتها ، فإننا نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف ، وأقلّ من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف ، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف ، وليس في اللغة كلمة ذات ستة حروف أصلية ، وقد جاءت ألفاظ قليلة جدًا على حرف واحد أو على حرفين (٢) .

٨- العربية لغة ولود : لقد استوعبت العربية الفصحى خير ما في اللهجات العربية الصحيحة بالتوالد والاشتقاق ، وخير ما في اللغات الأجنبية بالنقل والتعريب ، ومقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعدّ ميزة وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها وصبغته في قوالبها ونفخت فيه من روحها (٣) ..

٩- العربية كاملة الجوانب : لأن تحقيق جميع أصوات اللفظ ، وإعطاءها حقها من النغم طور نهائي في صقل اللغة واستكمال أدواتها ، وهذا ما نجده في العربية (٤) ..

١٠- التصريف : فالأصل الواحد في اللغة العرية يتوارد عليه مئات من المعاني ، دون أن يقتضى ذلك أكثر من تغييرات في حركات أصواته الأصلية نفسها مع زيادة بعض أصوات عليها أو بدون زيادة ، وإن كل

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة : ص/٢٢ .

(٢) الشيخ محمد الخضر حسين : دراسات في العربية وتاريخها : ص/١٧ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠م .

(٣) د/صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة : ص/١٠٩-١١٠ ، الطبعة العاشرة – دار العلم للملايين .

(٤) المرجع السابق : ص/١٠١ .

ويمكن أن نسوق أسبابًا عدة لهذا الحدث الرائع في تاريخ اللغات . والسبب الرئيسي هو بالطبع : انتشار الإسلام . فهذا الدين الفعال المؤثر هو القوة الأساسية التي نشرت العربية أولاً ثم حفظها خلال العصور ..

وكما استطاع الإسلام أن يتحدى عقائد أخرى في أوطانها استطاعت لغة كتابه الكريم أن تتحدى لغات أخرى في بلادها ..

وزاد من انتشار العربية عوامل أخرى : فقد كانت لغة الحكام العرب . واللغة الرسمية للإدارة . وكانت لغة التجار العرب الذين أدّوا دورًا هامًا في نشر الإسلام والعربية حيثما ذهبوا .

وثمة سبب هام لانتشار العربية هو : تفوّقها اللغوي . فالعربية لغة طيّعة أعانها إيجازها ودقّتها على أن تسد حاجات البسطاء المثقفين من الناس . ومطالب البيئات البدائية والمتحضرة (١) .

٦ - الإعراب الكامل : يكاد يُجمع العلماء على أن الإعراب ظاهرة لغوية اتسمت بها العربية من قديم الزمان ومنذ نشأتها . لذا كانت أدق اللغات تعبيرا وتنسيقا لجملها . وإن كان قد حظى بالإعراب بعض اللغات الأوربية كاليونانية واللاتينية والألمانية . إلا أنه ليس بالنظام الكامل كما في العربية .

كما أن معظم لغات أوربا الحديثة - الآن - تخلو من الإعراب . فلا يميز فيها بين الرفع والنصب والجرّ وإنما يقوم مقامها إلحاق أدوات خاصة بذلك : معظمها من حروف الجرّ . أو بتقديم الألفاظ وتأخيرها على نحو

---

(١) د/شعبان عبد العظيم : قبس من وحي اللغة : ص/١٨٦-١٨٨ . فراجعه تجد مزيدا من التفصيل .

الذي أصاب اللغة العربية ، إنما حدث عقب ظهور الإسلام . فقد انقلبت إلى لغة عالمية تتكلم بها شعوب كثيرة جدًا . فقد نزح عرب الحضر والبادية من أطراف الجزيرة – تحت قيادة أبطال المسلمين – إلى جميع نواحي المعمورة ، وفتحوا الممالك والأمصار . فكانت اللغة العربية تسايرهم خطوة خطوة . وقد كان القرن الأول للهجرة عظيما من كلّ وجه ، فقد ارتفع شأن اللغة العربية ارتفاعًا لا نظير له . وامتدت الفتوح الإسلامية امتدادًا كبيرًا جدًا ، حتى وصلت إلى الهند من ناحية وإلى بحر الظلمات من ناحية أخرى (١) !

فهذه فتوح لغوية بكل ما في الكلمة من معنى ، وهي حقيقة يؤكّدها المؤرخون ، ويعرفونها كما يعرفون أبناءهم . لا نعرف لغة أثّرت بلغتها أكثر مما أثرت الأمة العربية الفاتحة . ففي مصر وفي العراق وفي الشام وفي المغرب وفي الأندلس وفيما شاء الله من بقاع وأصقاع . أصبحت اللغة العربية سائدة سيدة ، واكتسحت اللغات الأصلية لهذه البلاد ، ولم يعد لها شأن ولا ذكر . وما ذلك إلا لعظمة هذه اللغة وقدرتها على الفتح والانتشار (٢) . وحسبنا دليلا على هذا : بقاء العربية في « مالطة » إلى يوم على الرغم من النورمانديين المسيحيين الذين استولوا عليها من العرب المسلمين عام ١٠٩٠م ، وعلى الرغم من جوارها لإيطاليا ، مما يدل ذلك – دون ريب – على القوة الفذّة التي في العربية .

----

١) د/إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية : ص/٢١٤-٢١٥ – بتصرف يسير – ط. دار القلم ببيروت .

٢) الأستاذ عبد الحي حسن كمال : حروف المعاني : ص/٤-٥ ، الطبعة الأولى .

التلوين الداخلي » الذي كأنما يرسم للماهية الواحدة بالأطياف والظلال ، صورا ذهنية متعددة تغنينا باللفظ الواحد عن عبارات مطولة تحدّد بها المعنى المقصود .

وتظهر تلك الميزة جليا في كثير من الألفاظ المترادفة الدالة على الشئ الواحد ، منظورًا إليه في مختلف درجاته وأحواله ، ومتفاوت صوره وألوانه ، فالظمأ ، والصدى ، والهيام ، كلمات تدل على العطش إلا أن كلاً منها يصوّر درجة من درجاته : فأنت تعطش إذا أحسست بحاجة إلى الماء ، ثم يشتدّ بك العطش فتظمأ ، ويشتد بك الظمأ فتصدى ، ويشتد بك الصدى فتؤوم ، ويشتد بك الأوام فتهيم .

وإذا قلت : إن فلانًا عطشان ، فقد أردت أنه بحاجة إلى جرعات من الماء ، لا يضيره أن تبطئ عليه ، أما إذا قلت : إنه هائم ، فقد علم السامع أن الظمأ برح به حتى كاد يقتله .. وهذا على حين أن الفرنسي لا يستطيع أن يؤدي هذا المعنى إلا في ثلاث كلمات إذ يقول :

« مائت من الظمأ » : Mourant de sof

أو في سبع كلمات ليكون المعنى أوضح فيقول :

« على وشك أن يموت من الظمأ » : Sur le point de mourirbe soif

ففي كلمات العربية إيجاز يجعل من الكلمة الواحدة جملة كاملة (١) ..

٥ - العربية لغة فاتحة تحلّ أينما حلّ أهلوها :

يقول إسرائيل ولفنسون : ومهما يكن من شئ فإن الانقلاب العظيم

---

(١) د/عبد الغفار حامد هلال : علم اللغة بين القديم والحديث : ص/٢٢١ ، ط. أولى سنة ١٩٧٩م - دار الطباعة المحمدية ، نقلاً عن د/عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية : ص/٥٨-٥٩ .

القديمة أكثر مما حافظت عليها أية لغة سامية أخرى .

هذه الروح المحافظة فعلت الكثير في الإبقاء على اللغة دون تغيير طوال العصور ، كما أنها أضعفت تأثير الزمن ، فأمكن للأدب العربي القديم أن يقرأ اليوم في سهولة نسبية ، وقللت أيضًا من آثار البيئات المختلفة ، فأمكن للعرب في مختلف أنحاء العالم العربي ، أن يتحدث بعضهم إلى بعض دون صعوبة ظاهرة ، كما وحدت هذه الروح المحافظة أيضًا من التباين بين العربية الفصحى ولهجات الكلام ، فإذا محصنا هذه اللهجات تمحيصا دقيقا تبين لنا أنها لا تختلف اختلافا كبيرًا عن اللغة المكتوبة (١) ..

٤ - الإيجاز : ويعتبر من أبرز خصائص اللغة العربية ، فهي لغة قوية قاطعة ورثت حيويتها عن الأيام القاسية التي قضتها في الصحراء ، فأعانتها هذه الحيوية على مغالبة صعاب الزمان ، والقوة تتضمن الإيجاز ، فالكلام القوي موجز بطبعه ، والعربية مولعة بالإيجاز الذي يعده البلاغيون المقياس الحق لبلاغة الكلام .. والعربية على إيجازها لا تنقصها دقـــة التعبير ، فهي قادرة بأساليبها على التعبير عن أخفى الأفكار ، وأبهت ظلال المعاني (٢) ، وتلك ميزة تكاد تنفرد بها لغتنا الخالدة ، وتعد من خصائصها .

ولقد أطلق الدكتور عثمان أمين على هذه السمة اسم : « خاصيّة

---

(١) د/شعبان عبد العظيم : قبس من وحي اللغة : ص/١٨٤-١٨٥ ، ط. أولى سنة ١٤٠٢هـ - الأمانة بمصر .

(٢) د/السيد يعقوب بكر : دراسات في فقه اللغة العربية : ص/١٥ ، ط. بيروت سنة ١٩٦٩م .

الشعراء ، الآيات : ١٩٢-١٩٥] . فأخبر المولى سبحانه وتعالى عن القرآن بأنه : ﴿ بلسان عربيّ مبين ﴾ و وصف هذا اللسان بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان . ولما خصّ - سبحانه - هذا اللسان بهذه الصفة ، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه ، و واقعة دونه ..

فإن قال قائل : قد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن . قيل له : إن كنت أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أخسّ مراتب البيان ، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلما ، فضلا عن أن يسمى بيّنًا أو بليغًا . وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط ، لأنا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسميات بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ هذا ما لاخفاء به على ذي نهية (١) ..

٢- العربية في مجموعها كما يقول فرجسون : لغة محافظة تتغير في بطء ، فدرجة الاختلاف - مثلاً - بين عربية القرن الثامن وعربية القرن العشرين أقل قلة واضحة منها بين إنجليزية هذين القرنين .

ومما يدل على ذلك أن العربية حافظت على الحروف والحركات السامية

----

(١) العلامة السيوطي : المزهر . تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين : ٢٢٢/١ . ط. عيسى البابي الحلبي بمصر .

دراسات في اللغة العربية :

عربيتنا .. لغة فريدة من نوعها !

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
أستاذ جامعي . أديب وكاتب إسلامي - مصر

إن لغة اختارها الله تعالى لتكون وعاء لكتابه الخالد ، لا شك ، لغة تتربع على عرش الألسنة واللغات وتلك مفخرة لنا نحن العرب ، غبطنا عليها أهل الفكر والثقافات - شرقيين أو غربيين - ..

يقول المستشرق الفرنسي ماسينيون : « وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له » (١) .

ولا عجب ، فلقد حباها الله من السمات والخصائص ما جعلها فريدة من نوعها بين اللغات ، ومن هذه الخصائص :

١- **السّمة التي لا حدّ لها :** حتى كادت مفرداتها لا تحصى ، مما حمل الشافعي - رحمه الله - أن يقول : « ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا ، وأكثرها ألفاظًا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي » (٢) ..

٢- **البيان :** قال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين • نزل به الروح لأمين على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربيّ مبين ﴾ [سورة

----

(١) من مقال للمستشرق الفرنسي « لويس ماسينيون » بعنوان : « مقام الثقافة عربية بالنسبة إلى الدنية العالمية » نشرته له جريدة الأهرام القاهرية ، عدد ١٩٤٩/١/٢٦م .

(٢) الإمام الشافعي : الرسالة : ص/٤٢ .

عينيها فصحتا ، وأخذ بيدها وقال : قومي بإذن الله ، فأطلق رجليها ، فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال ، فنظرت فقالت : اشهد أنك عزير ، وانطلقت إلى محلة بني إسرائيل ، وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة ، وثماني عشر سنة ، وبين بنيه شيوخ في المجلس ، فنادتهم ، فقالت : هذا عزير قد جاءكم ، فكذبوه ، فقالت : أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه ، فرد عليّ بصري ، وأطلق رجلي ، وزعم أن الله تعالى أماته مائة سنة ثم بعثه ، قال : فنهض الناس فأقبلوا إليه ، فنظروا إليه ، فقال ابنه : كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير ، فقالت بنو إسرائيل : فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزير ، وقد حرّق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شئ ، إلا ما حفظت الرجال ، فاكتبها لنا ، وكان أبوه سروخًا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع لم يعرفه أحد غير عزير ، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع ، فحفره فاستخرج التوراة ، ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه ، فتذكر التوراة ، فجددها لبني إسرائيل ، وكان قد وجد التوراة عند ما حفرها قد عفن ورقها ، ودرس الكتاب ، وجلس في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله يجدد لهم التوراة ، فمن ثم قالت اليهود عزير ابن الله للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بني إسرائيل ، وكان جددها بأرض السواد بديرحزقيل ، والقرية التي مات فيها يقال لها ، ساير أبان ، قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى : ﴿ و لنجعلك آية للنّاس ﴾ يعني لبني إسرائيل وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لأنّه مات وهو ابن أربعين سنة فبعثه الله شابًا كهيئته يوم مات . [البداية والنهاية : ٢/٤٤-٤٥]

٧ ٧ ٧

[illegible]

كان ممن سباه بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة . قال : ولم يكن أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه . وروى عن عبد الله ابن سلام أن عزيرًا هو العبد الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه . وروى عن إسحاق بن بشر بسنده إلى وهب بن منبّه . ثم قال إسحاق كل هؤلآء حدثوني عن حديث عزير . وزاد بعضهم على بعض . قالوا بإسنادهم إن عزيرًا كان عبدًا صالحًا حكيمًا خرج ذات يوم إلى ضيعة له . يتعاهدها . فلما انصرف أتى إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحرّ . ودخل الخربة . وهو على حماره . فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنّب . فنزل في ظل تلك الخربة . وأخرج قصعة معه . فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصة . ثم أخرج خبزًا يابسًا معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله . ثم استلقى على قفاه . وأسند رجليه إلى الحائط . فنظر سقف تلك البيوت . فلم يشك أن الله يحييها . ولكن قالها تعجبًا . حين رأي ما فيها وهي قائمة على عروشها . وقد باد أهلها . ورأي عظامًا بالية . فقال : « أني يحيى هذه الله بعد موتها » . فبعث الله ملك الموت . فقبض روحه . فأماته الله مائة عام . فلما أتت عليه مائة عام . وكانت فيما بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث . قال : فبعث الله إلى عزير ملكًا . فخلق قلبه ليعقل قلبه . وعينيه لينظر بهما . فيعقل كيف يحيى الله الموتى . ثم ركب خلقه وهو ينظر . ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد . ثم نفخ فيه الروح . كل ذلك وهو يرى ويعقل . فاستوى جالسًا . فقال له الملك : كم لبثت ؟ قال : لبثت يومًا أو بعض يوم . ولم يتم لي يوم . وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة . وبعث في آخر النهار والشمس لما تغب . فقال له الملك : بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير . يعني الطعام الخبز اليابس وشرابه العصير

[illegible]

ابنًا لله ، أو ثالث ثلاثة . تلك المقالة التي كفر بها النصارى ، كما كفر اليهود من قبل بقولهم في عزير أنه ابن الله ، فإنه قريب الدعوة للإسلام ، وأن دور العلماء والدعاة من المسلمين النفاذ إلى قلوبهم ، لتعريفهم بالحق ، ولمباعدتهم عما وجه إليهم من غلاة قومهم ، أو من تسلط اليهود الحاقدين على رسول الله -ﷺ- وأتباعه ، حيث ورد في الحديث : عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال : « ما خلا يهودي بمسلم قطّ إلا هم بقتله » .. وإن من يقرأ في كتب الملل والنحل ليجد أن من النصارى من هو قريب في معتقده إلى المسلمين ، وبعيد عما يدين به غلاة النصرانية ، وهؤلاء هم الذين يحسن التقرّب إليهم ، وتعريفهم بالإسلام ، حيث إن غالبية من يدخل الإسلام هم من هؤلاء الفئة .

والكواكبي في كتابه أم القرى أعطى تعريفًا بهذه الفئة على لسان مسلم إنجليزي في مؤتمره الذي تصوره فقال : إننا مسلمي ليفربول حديثو عهد بالإسلام ، ولنا إشكالات تتعلق بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة ، لأن أكثرنا قد اهتدينا -والحمد لله - إلى الإسلام ، منتقلين إليها من البروتستانية ، أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليكية أي الطائفة التقليدية . فنميل طبعًا لاتباع الكتاب والسنة فقط ، ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتبع دين محمد ، نبي الإسلام - عليه الصلاة والسلام -لا لنتبع غيره ، ونحن راغبون بالسعي حثيثًا في الدعوة للدين الإسلامي السامي المبين ، والأقوام الذين ندعوهم أغلبهم متمدنون أي أفكارهم متنوّرة بالعلوم والمعارف ، وأكبر أملنا معقود على هداية فئتين اثنتين : الأولى البروتستان ، والثانية : الزنادقة . أما أملنا في البروتستان فلأنهم منقلبون حديثًا

أما ابن كثير – رحمه الله تعالى – فيقول : ﴿ إنا نصارى ﴾ أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح – عليه الصلاة والسلام – وعلى منهاج أنجيله ، فيهم مودة للإسلام ، وأهله في الجملة ، وما ذاك إلا لما في قلوبهم ، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ﴾ وفي كتابهم : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، وليس القتال مشروعًا في ملتهم ، و لهذا قال : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين و رهبانًا و أنهم لا يستكبرون ﴾ أي يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلماؤهم ، احدهم قسيس وقسّ أيضًا ، سئل سلمان عن قول الله تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا ﴾ وتضمنت الآية وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع ، ثم وصفتهم بالانقياد ، للحق واتباعه والإنصاف ، قال ابن عباس : قيل إنهم كرّابين يعني فلاحين ، قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ، فلما قرأ عليهم رسول الله -ﷺ- القرآن ، آمنوا وفاضت أعينهم ، فقال -ﷺ- : لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم ، فقالوا : لن ننتقل عن ديننا ، فأنزل الله : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق • ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ .

[تفسير ابن كثير : ٢/٨٦]

ولقد توسع المفسرون – رحمهم الله تعالى – فيما تعينه دلالة الآيات الكريمات ، وفي إيراد روايات عديدة عن مسلمي الحبشة الذين وفدوا على رسول الله -ﷺ- ، وآمنوا بما جاء به من عند الله ، بعد ما سمعوا ما أنزل عليه ، ويرى كثير من المفسرين ، وبعض المتأخرين أن من رقّ قلبه إلى الحق من النصارى ، وابتعد عن الغلوّ في عيسى بجعله إلهًا مع الله ، أو

النصارى ، فعرفت كل ما قرأوا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق [١٠/٤٩٨-٥٠٠] .

و قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في زاد المسير : اللام في ﴿ لتجدنّ ﴾ لام القسم والنون دخلت تفصل بين الحال والاستقبال ، و ﴿ عداوة ﴾ منصوب على التمييز ، واليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدًا للنبي الكريم -ﷺ- ، قوله : ﴿ والذين أشركوا ﴾ يعني عبدة الأوثان ، فأما الذين قالوا : إنا نصارى فهل هذا عام في كل النصارى أم خاص ؟ فيه قولان : أحدهما : أنه خاص ، ثم فيه قولان : أحدهما : أنه أراد النجاشي وأصحابه ، لما أسلموا ، قاله ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - وابن جبير ، والثاني : أنهم قوم من النصارى كانوا متمسكين بشريعة عيسى ، فلما جاء محمد -ﷺ- أسلموا ، قاله قتادة ، والقول الثاني : أنه عام ، قال الزجاج : يجوز أن يراد به النصارى ، لأنهم كانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود .

والقسيس من رؤساء النصارى ، وهو العالم بلغة الروم ، أما الرهبان فهم العباد أرباب الصوامع ، فإن قيل : كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهبانًا ، وليس بذلك في أمر شريعتنا ؟ فالجواب : أنه مدحهم بالتمسك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ، ما أخذ عليهم في كتابهم ، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم ، والمعنى أن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد -ﷺ- ، قال القاضي أبو يعلى : وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدحًا للنصارى وليس كذلك ، إنما مدح من آمن منهم ، ويدل عليه ما بعد ذلك ، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود [٢/٤٠٨] .

[illegible]

الاستقامة على المنهج السليم ، لأن الحاقد لا ترتاح نفسه ، ولا يهدأ باله . حتى يجذب الناس للمنحدر الذي يريد ، ولا يستقر ضميره حتى يفسد على الآخرين ، ما حرصت على إصلاحه تعاليم شرع الله ..

ونموذج ذلك ما حصل من اليهود ضد رسول الله -ﷺ- والفئة المؤمنة معه في المدينة من أعمال ومكائد وتأليب وموالاة للمشركين .. وقد وصف الله هذه الفئة بشدة الحقد والعداوة للذين آمنوا فقال سبحانه : ﴿ لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا • ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون • وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق • يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق • ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين • فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ [سورة المائدة ، الآيات : ٨٢-٨٦] .

قال الإمام الطبري في تفسيره : قال أبو جعفر يقول تعالى لنبيه محمد -ﷺ- : ﴿ لتجدنّ ﴾ يا محمد ﴿ أشد الناس عداوة ﴾ للذين صدقوك واتبعوك ، وصدقوا بما جئتهم به ، من أهل الإسلام ﴿ اليهود والذين أشركوا ﴾ يعني عبدة الأوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله ﴿ ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا ﴾ يقول : ولتجدن أقرب الناس مودة ومحبة ﴿ للذين آمنوا ﴾ يقول : للذين صدقوا الله ورسوله محمدًا -ﷺ- . ﴿ الذين قالوا : إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسّيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون ﴾ عن قبول الحق واتباعه ، والإذعان له ،

إفريقيا بالجمعيات والمساعدات ، ففي بوركينا فاسو وحدها ١٠٠ جمعية تبشرية مقابل جمعيتين إسلاميتين فقط .

= هذا إلى جانب أخبار من هنا وهناك تملأ السمع والبصر ، وتحزن قلب كل مسلم غيور على دينه ، تمتلئ بها الصحف ، و وسائل الإعلام المختلفة ، موجهة سهاما نحو المسلمين ، لتجهيلهم أولاً ، أو لجعلهم ضائعين لا يعرفون أين يتجهون ، ولا ماذا يعملون ، ليسهل قيادهم ومباعدتهم عن دينهم وتعاليمه ، كما هي خطة اليهود من قبل مع النصارة حتى باعدوا بينهم ، وبين دينهم ، فكانت المقاومة في البداية يسيرة لانتشار الجهل ، وبعد أن ذهبت الأجيال الواعية تدريجيًا ، وتزعّمهم علماء جهلة ، بعد أن عمّ الجهل وعلماؤهم وقادتهم فغيروا في شرع الله ، حسب ما تصف الألسن ، وتهوى الأنفس ، حيث نشأت العبادة على جهل وضلال فضلوا وأضلوا .

وهذا هو الخط الذي يراد للمسلمين انتهاجه في محاولة لمباعدتهم عن دينهم ، مستغلين جهل بعض المسلمين ، وقصور العلماء والدعاة في تبيين ما أمر الله به ، ولتحويل بعضهم مجال الدعوة لله وشرعه ، إلى منهج مغاير لمسيرة أنبياء الله ، وأتباعهم بإحسان ، في نشر العلم ، وتوضيح الحق ، إلى جانب ما حاق بكثير من شعوب الأرض المسلمة من غشاء باعد بينهم وبين فهم دينهم ، فهمًا حقيقيًا ، كما يجب أن يدركه كل مسلم حريص على نقاء عقيدته ، وسلامة علاقته بخالقه .

ويحمل مقود الحركة ضد الإسلام أعداء ثلاثة : نفس أمارة بالسوء ، وإبليس وأعوانه الذي نذر نفسه لاغواء الناس ، وشياطين الإنس .. وفي مقدمة شياطين الإنس الصهاينة ، الذين نصبوا أنفسهم رموزًا لعداء البشرية جمعاء للإغواء والتضليل ، والتلبيس والصدّ عن ذكر الله ، وعن

الدعوة الإسلامية :

من يـوادّ المسلمين ؟

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

ما أكثر الأخبار التي تنبئ عن الحملات ضد الإسلام ، والحيلولة دون الناس ومعرفة الدين الحق . وما أكثر الجهود التي تبذل للرغبة في تحويل أمم الأرض عامة ، والمسلمين خاصة ، إلى اليهودية أوالنصرانية ، أو البوذية أو الهندوسية ، أو غيرها من الملل والنحل ، ففي جريدة الجزيرة ليوم ١٤١٤/٧/٢٥هـ جاء تحت هذا العنوان : ٩٠/جمعية تنصيرية تعمل في ألبانيا : ذكر رئيس التجمع الإسلامي في ألبانيا ، أن المسلمين الألبان ، بدأوا يتعاملون بعد سقوط الشيوعية ، بأخلاق الإسلام ، وتطبيق منهج العقيدة الصحيحة في التربية ، وبيّن الشيخ : صالح فرحات هوكشا ، أن في ألبانيا ٩٠/جمعية تنصيرية ، تعمل بما لديها من إمكانات ضخمة على تنصير أبناء المسلمين الذين بدأوا في الظهور بفاعلية ، في ساحة العمل الإسلامي في ألبانيا ثم في معرض حديثه قال : إننا نبذل جهودًا مضاعفة للوقوف في وجه إبطال العمل التنصيري ببناء المدارس والمعاهد والمراكز الإسلامية .. ثم ختم حديثه بطلب المساعدة لمواجهة التحديات الجديدة ودعوة أهل الإحسان من دول ومنظمات إسلامية ، مشيدًا بالمملكة العربية السعودية ، ودورها الرائد في العمل الإسلامي .

= وفي صحيفة أخرى جاء خبر عن تحديد عام ١٩٩٤م لاجتماع كبار المبشرين برعاية البابا لتنصير إفريقيا حيث سعى الفاتيكان لاقتحام

والشيطان لم ترد في القرآن الكريم مرة أو مرتين بل في سبعة أماكن . ولكن وجه مجرى الاستدلال منفصل عن الآخر في كل موضع ، فقد اختلف في كل موضع الأسلوب والنص والعبارة والتعبير واستدل من قصة واحدة على ظواهر مختلفة من جهات متعددة . فلذلك وقع التغير في الأسلوب والنقص أو الزيادة في المتون ، لأن مراعاة مقتضى الظاهر من أصل البلاغة . ولكن من لا يراعي هذه النكتة الدقيقة اللطيفة يرى القصة مكررة زائدة ويظن أن هذا التكرار غير مفيد . وأما القصص الأخرى فهي كذلك . غير أن قصة آدم والشيطان عند تلاوة القرآن الكريم يأتي ذكرها مرارًا ، و قصة موسى وفرعون يكثر ورودها مرة بعد مرة ولأن ذكرها أكثر بسطًا وتفصيلاً من القصص الأخرى فتكرارها - طبعًا - يخطر في نفوس الذين يحسبونها مكررة جهلاً بها ، فيجب علينا أن نبين مواضع ورودها وأغراضها ليتضح أن القصص التي وردت في القرآن العزيز سبع مرات مثلا ليست مكررة ، وإن هذا الإيضاح والتبيين يفيد للذين يحسبون القصص في القرآن الكريم غير منظمة ولا يعترفون بأن فيه نظمًا وترتيبًا . ويتضح عليهم بهذا التبيين أن القرآن الكريم يراعي النظم العميق والارتباط اللطيف في آياته وفصوله وأساليبه .

[وللكلام بقية]

في كل مكان لمناسبة جديدة ، ففي سورة المرسلات كررت : ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ عشر مرات فهل يُحسب أنها تكرار لا فائدة فيه ؟ ولكن الأستاذ الإمام الفراهي - رحمه الله - قد أثبت عند تفسير سورة المرسلات أن هناك معاني عديدة تحملها هذه الجملة ، لتعدد مواضعها . وقد استعملها القرآن الكريم في كثير من الأماكن لمناسبات مختلفة بغاية من البلاغة ، وهكذا تحدث عن الآية الكريمة : ﴿ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ﴾ حينما فسّر سورة الرحمن .

وإن تكرار القصص والحكايات يبعث المعترضين على التشكيك أكثر من تكرار الترجيعات و ذلك لأن في القرآن الكريم قصصًا عدة تكـرر ذكرها ، ولذلك فإنني أريد أن أناقش الموضوع في هذا البحث .

لقد كثر في القرآن الكريم من قصص بعض الأنبياء وأحاديث الأمم السابقة . والغرض من ذلك إنما هو تذكير واستدلال ، وللتذكير والاستدلال مجريات مختلفة . إذ يمكن الاستدلال من قصة واحدة على أمور مختلفة ويمكن الحصول على منافع منوعة . فلقد أعيدت قصة واحدة لأغراض شتى وأتى بيانها عدة مرات ، وإن تأمل فيها أحد بالنظر إلى سياقها اتضحت له أغراض ذكرها ، وإن أمكن أن قصة ذكرت في مكان لغرض - ولا نقص فيه - جاءت أيضًا في مكان آخر لنفس الهدف ، ولكن المتأمل في هذا التكرار يطلع على أن كل قصة ذكرت في كل مكان لفائدة جديدة ، ومن أجل هذا ترى أن قصة واحدة جاءت في سور مختلفة ، ولكنها ذُكرت في كل موضع بأسلوب جديد وعبارة مختلفة ، وإن قصة آدم

وعطفه تعالى على عباده ، يذكّرهم بأن هناك يومًا يعودون فيه إليه ويتميز فيه الصالح عن الفاجر ويتمثل أمام الناس ثمار أعمالهم ، وجاء ذكر المعاد في مكان آخر تذكيرًا لهم بأنه إذا لم تقم القيامة فيُصبح خلق الأرض والسماوات والإنسان عبثًا لا فائدة فيه ، وجاء ذكره في موضع يقتضي تنبيه الناس على أنهم إذا أغفلوه فيميلون إلى الكفر و الفسق والفجور ، وذكره في موضع كدعوة عامة قام بها الأنبياء والرسل ، وأشار القرآن الكريم في بعض المواضع أن نواميس الكائنات تفرض أن يكون هناك عالم بعد هذا العالم .

وهكذا جاء ذكر الرسالة لإثبات التوحيد في موضع ، وللاعتراف بوجود الله تعالى الذي يستلزم الإقرار بالرسالة ، وفي مكان آخر تحدث عن إرسال الـــــرسل الذين يبعثهم الله تعالى لتروية نفوسهم و طمأنة قلوبهم ، كما ينزل المطر من السماء ويخرج النبات من الأرض لراحتهم البدنية ورخائهم ، هذه المفاهيم الثلاثة ذكرت في كثير من سور القرآن الكريم مما يتخيل إلى الناظر من المكررات وإن لم يكن عيبًا أن توجد المشاركة في ذكر أساليبها إذا كانت للتوكيد والإثبات ، ولكن إذا تأملنا نجد أن طريقها يختلف في كل مكان .

وهنا ينشأ سؤال وهو ، لماذا ذكرت هذه المفاهيم متفرقة تحت عناوين مختلفة رغم أنها موجودة في عدة سور ؟ لكن هذا السؤال يتعلق بالترتيب لا بالتكرار فلذا نصرف عنه النظر في هذا الموضع ، و أما تكرار الكلمات أي الترجيعات فيبدو أنها تُعاد مرات بلا حاجة لكنها تذكر

التوكيد ، ولكن ردودهم في التكرار المعنوي فهي طريفة ، وهي أن بعض العلماء ذهب إلى أن القارئ الكريم كلما شعر بغليل هيئ له ما يروى غليله ، شأن تكرار الطعام والشراب بعد كل جوع وعطش ، وقال بعضهم : إن تكرار مباحث عدة في كل سورة من القرآن الكريم إنما وضع للشخص الذي لا يقدر أن يقرأ جميع القرآن الكريم ، لكي يطلع على جميع مفاهيمه المهمة ، وأتى غيرهم بأجوبة وردود أخرى ، ولا نتعرض الآن هنا لما إذا كانت هي صحيحة أم لا ؟ ولكن عندنا جواب واحد عن هذين التكرارين اللفظي والمعنوي ، وهو أن المعاني والقصص والجمل وإن أعيدت في القرآن الكريم عدة مرات لكنها تفيد معنى جديدًا في كل موضع ، فحينما ذكر القرآن الكريم معاني التوحيد والرسالة والمعاد مرات متعددة للتأكيد والإثبات إذا تأملنا فيها وجدنا أن أسلوب بيانها متفرد في كل موضع ، إنه جاء بذكر التوحيد حيث إن الاعتقاد به أصل الطبيعة الإنسانية ، وقد دعا إليه جميع الأنبياء السابقين ، وفي موضع آخر ذكر التوحيد لأن الاعتقاد به من مقتضيات نعم الله تبارك سبحانه وتعالى التي لا يأتي عليها الحصر ، وفي موضع ثالث كان السبب في ذلك أن نظام الكائنات والموجودات وانسجام بعضها مع بعض وتوافق بعضها ببعض دعوة ظاهرة إلى توحيد الربوبية ، ولم يذكر التوحيد في كل موضع على أسلوب واحد وسياق واحد .

وكذلك جاء ذكر المعاد في مكان من حيث إن صفة عدل الله تبارك وتعالى تتقاضاه وفي مكان آخر ذكره كنتيجة حتمية لغاية رحمة الله

ولكننا لا نعترف بأن هذه الإعادة تكرار يعيب الكلام أو علامة لغفلة صاحب الكلام ودليل على عدم قدرته على التعبير. وأما النقاد فإنهم ذمّوا القسم الأول من التكرار ولكن القسم الثاني منه لم يعتبروه عيبًا . ولا شك فان عدة المعاني والقصص قد أعيدت في القرآن الكريم في الموضع الذي مست الحاجة فيه إلى ذلك مراعاةً للسياق وفضلاً على ذلك فقد اختار القرآن الكريم أسلوبًا بديعًا رائعًا لهذا التكرار لا يخلو من فوائد جديدة ، و حكم بديعة . فإذا نظرنا من هذه الناحية صح أن نقول : « لا تكرار في القرآن الكريم » ولمزيد من التأكيد في هذا الموضوع نريد أن نبحث عنه بشئ من التفصيل في ضوء الأمثلة .

ما يظهر من التكرار في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين :

الأول : تكرار المعاني .

الثاني : تكرار الكلمات .

وقد تحلّت كل سورة من القرآن الكريم بقصص الأنبياء والأمم الماضية وأحاديث التوحيد والمعاد و الرسالة وغيرها من المباحث . كما أن هناك جملا تكررت في سورة واحدة مثلاً : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذّبان ﴾ في سورة الرحمن ، و : ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ في سورة المرسلات . فلما وجد هؤلاء المعترضون في القرآن الكريم تلك الأمثلة ظنوا أن هذا القرآن الكريم المعجز لا يخلو من نقائص التكرار اللفظي والمعنوي .

وقد التفت العلماء - والحمد لله - إلى مثل هذا الاعتراض الركيك وحاولوا أن يردوا عليه . وقد عُرف جوابهم في التكرار اللفظي . أنه يفيد

في رحاب القرآن الكريم :

التكرار في القرآن الكريم . وقصة آدم والشيطان

[الحلقة الأولى]

بقلم : فضيلة الشيخ المرحوم أبي الليث الندوي
تعريب : ابن لليق الأعظمي

من أهم الاعتراضات الواردة على القرآن الكريم أن فيه تكرار المعاني والقصص . فقد أعيدت فيه قصص شتى وكررت معان عدة . وذلك مما يدعو إلى أن يُعتبر نقصًا لكتاب رائع عظيم !

ودرءًا لهذا الاعتراض أتى العلماء بردود مختلفة ولكنها ليست مفحمة تُسكت المعترضين وتُقنعهم . وقد ذهب أكثرهم إلى أن التكرار في الكلام من أساليب العرب . ونقلوا لتأييده قصائد شتى فيها تكرار مصراع للبيت بعد مصراع . لكنه ليس برد بل هو إقرار بصحة هذا الاعتراض . ومتى قلنا : إن التكرار نقص فكيف يُعتبر فنًا لمجرد استعماله عند الشعراء الجاهليين . أما استعماله في كلام العرب فهو شاذ غير شائع وإن ذكاء العرب الطبيعي يأبى التكرار الذي لا فائدة فيه . والقول المكرر وسماعه كلاهما لا يتفقان مع الذكاء العربي . وإن ما نقلوه من القصائد لتأييد هذا التكرار ليس هو بمكرر في الحقيقة بل التكرار نقص لكلام بليغ يتجنبه الكاتب والمؤلف البليغ . إننا لا ننكر أن إعادة بعض المعاني والمفاهيم موجودة في عدد من قصص القرآن الكريم وآياته .

ولكن القرآن الحميد الذي هو كتاب الله الأخير ، ومصدق لكتب الله السابقة ، ومهيمن عليها وهو المسئول عن هداية البشر وربط المخلوقين بالخالق ودعوتهم إلى الله من زمن البعثة المحمدية - صلى الله على صاحبها وسلم - إلى يوم القيامة ، فإنه يختلف عن جميع الكتب السماوية كل الاختلاف ، فشأنه ليس كشأنها ، وقد وعد الله - تعالى - بنفسه بحفظه وصيانته من كل تحريف وتغيير ، ونقص وزيادة ، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وإنه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • تنزيل من حكيم حميد ﴾ [سورة حم السجدة : ٤١-٤٢] .

وقد حفظ كذلك من المحو والتشويه ، وأن يستهدف للغو والباطل ، أو أن ينسى من الذاكرة ، ويمحى من الصدور ؛ أو يتعرض للتلف والضياع في حادثة من الحوادث كما وقع مع التوراة مرارًا ، كل ذلك مع القرآن ممنوع :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٩] .

إن هذا الوعد الجازم للحفظ يشمل حفظ القرآن في المصاحف والصدور، وبقاءه غضًا طريًا ، ونشره ، ورواجه ، وتلاوته وفهمه ؛ وأنه محفوظ من أن يهجر ، أو يعطل ، أو لا يعمل به ، أو لا يفهم أو يصبح في يوم من الأيام نسيًا منسيًا ، فكلمة « الحفظ » العربية البليغة تحمل آفاقًا واسعة ، ومعاني عميقة تامة .

[يتبع]

٧٧٧

إن التصور الفكري الإجمالي الذي تعرضه كتب « ويد » ليس محدودًا ولا واضحًا ولذلك يمكن لمختلف المدارس الفكرية أن تستخدمه بمختلف أساليبها ومناهجها . وعلاوة على ذلك فإن سعة هذه الكتب وضخامتها تحتمل احتمالا كاملاً لأن يأخذ منها المؤلفون الأدلة والشواهد بحرية تامة حسب معتقداتهم وآرائهم » (١) .

أما « أوستا » صحيفة إيران القديم الدينية التي يعتقد الفرس (Persians) أنها صحيفة سماوية . فإننا نقدم هنا عنها شهادة لعالم غربي كانت موضوع دراسته الخاص :

يقول رابرت ح. بفائفر (Robert H. Pfeiffer) رئيس قسم اللغات السامية بجامعة هارورد (Department of Semitic Languages) في دائرة المعارف للديانات (An Encyclopaedia of religions) :

« لقد كانت « أوستا » - حسب ما تقوله الروايات مجموعة جميع العلوم . وقد أتلف أكثر أجزائه الإسكندر المقدوني . ثم ألف من الأجزاء الباقية كتاب يشتمل على ٢١ جزءًا أو « نسك » (Nask) - كما يسمون - في القرن الثالث المسيحي . ولكن لم يبق من هذه الأجزاء جزء كامل إلا الجزء الذي يسمى « ويندايداد » (Vendidad) وحمل منه شئ يتعلق بالعبادات إلى الهند بعد القرن التاسع المسيحي . وهو الذي يوجد بها في خمسة أجزاء . تسمى « ياسنا » (Yasna) و « جاتا » (Gatha) و « ويسبرد » (Vespered) و « ويندید » (Vendid) و « خوردا ويستا » (Khordaavasta) :

---

(١) طبع لندن . عام ١٩٢٧م : ص/٢١-٢٢ .

بعد البحث والتفكير الحر . يمكن أن يقدر ذلك من هذين الاقتباسين التاليين :

يقول الفاضل المعروف سريش جندرا جكرورتي (Suresh Chandra Chakravarti) المحاضر في جامعة كلكتا . في كتابه (Philosophy of The Upanishads) (فلسفة أوبنيشدا) :

« ولقد قدمت في هذا الصدد وجهتان للأنظار . يمثل إحداهما « بال جنجادهر تلك » ويمثل الثانية مكس مولر (Maxmullar) يرى « تلك » أن تاريخ ابتهالات « ويدا » يرجع إلى ٤٥٠٠ قبل المسيح . على حين أن مكس مولر لا يراها أقدم من ٢٢٠٠ قبل المسيح . رغم كونه متفقًا معه على أن « رك ويد » أقدم وثيقة للتفكير والتخيل الآري . ويمكن – من دون تحديد عمر « رك ويد » – أن يقال إنه بالرغم من جمع ابتهالات « رك ويد » في مجموعة واحدة . لم تحرر هي في زمان واحد . ولذلك لا يمكن تقدير عمره بتحديد تاريخها وتحريرها . و لا بد من التسليم بأن جميع ابتهالات « رك ويد » من أولها إلى آخرها . ألفت على مدى قرون عديدة » (١) .

ويقول الدكتور « رادها كرشنن » الفيلسوف الهندي المعروف (ورئيس الجمهورية سابقًا) وهو يلقى الضوء على التصور الأساسي في « ويدا » في كتابه "Philosophy Indian" (الفسلفة الهندية) . المجلد الثاني :

---

(١) (فلسفة أوبنيشدا) طبع كلكتا لعام ١٩٣٥م : ص/٢٤-٢٦.

أيضًا إلى حد أنه خاطب حملتها بـ « أهل الكتاب » ولقبهم به .

أما « ويدا » الهند . و « أوستا » إيران فإن زمنهما أعرق في القدم . وإن المعلومات التاريخية عنهما أقل . والتوصل إلى معانيهما الحقيقية ومقاصدهما الأساسية أعسر وأصعب مع عوادي الزمن والحوادث التاريخية بحيث يشك في صحتهما شكًا قويًا . ويتعسر الوصول إلى تحديد زمنهما . وإبداء أي رأي علمي حولهما .

يقول بارته (A. Barth) عضو الجمعية الملكية الآسيوية لباريس (The Society Asistis of Paris) في كتاب "The Religions of India" (الديانات الهندية) (١) :

« لو نحينا بعض الإلحاقات التي لا يصعب فصلها و تنحيتها على محك النقد فإن هذه الصحيفة تبقى أصيلة وأنها لا تدعى عن نفسها إلا ما هي فعلا . فلا تدعى أنها من الله . ولا تخفى عمرها الحقيقي بطريقة صناعية . وقد زيدت فيهما زيادات وتحريفات كثيرة . ولكنها كلها كانت بحسن الطوية . وبالرغم من ذلك يصعب علينا تحديد عمر هذه الصحف . وأن برهمنا (Brahmana) الصحف التي حررت في الأخير . ليست هي بأقدم من بداية عهدنا أكثر من خمسمائة عام . أما المواد المذكورة في « ويدا » فهي أقدم منها . أقدم إلى حد أنه لا يمكن أن يقال فيها شئ وإن إبداء شئ من الرأي في أقدم كتاباتها أمر مستحيل » .

حتى الأساتذة الهندوس والمختصين المحققين في تاريخ الديانات الهندية . ماذا يرون عن هذه الصحف وما هو موقفهم . وإلى أين توصلوا

---

(١) طبعة دلهي عام ١٩٦٩م : ص/٥٠٤ .

المسيحيون مكانه أربع مؤلفات يشك في صحتها ومكانتها التاريخية . لأنها توجد في اللغة اليونانية التي لا توافق طبيعتها لغة عيسى - عليه السلام - الأصيلة السامية . ولذلك فإن صلة هذه الأناجيل اليونانية بمنزلها واتصالها به أضعف من صلة توراة اليهود ، وقرآن العرب » (١) .

وتشير الشواهد الداخلية في العهد العتيق على أخطائه التاريخية الصريحة والتناقضات الواضحة والمستحيلات العقلية . فقد نسب فيه - على سبيل المثال - إلى الله -تعالى- ما لا يليق أبدًا بجلاله وعظمته ، ولا يناسب صفاته التي اتفقت عليها جميع الديانات السماوية ، ويقر بها العقل السليم ، وجاءت فيه اتهامات للأنبياء لا يتهم بها الإنسان العادي ويسمو عليها ، هذا وغير ذلك من الشواهد الداخلية التي توجد في التوراة والأناجيل التي تسمى مجموعتهما (بائبل Bible) أو الكتاب المقدس (٢) ، تدل على الزيادات والإلحاقات والتعديلات .

هذا شأن تلك الصحف التي يقدسها أتباعها منذ آلاف السنين ، والتي يعتقد فيها ويحمل لواءها شعبان اثنان من شعوب العالم المتمدنة « الراقية » (الشعب اليهودي والشعب المسيحي) واعترف بها الإسلام

----

(١) أضواء على المسيحية : ص/٥٢-٥٣ ، وعبارته يبـــدو فيها مساواته بين التوراة والقرآن ، في الثقة ، فلعلها صدرت منه قبل إسلامه أو أنه أراد به غير معناه الظاهر ، كما أن قوله : « قرآن العرب » تعبير غير سليم » .

(٢) يرجع إلى كتاب « إظهار الحق » الكتاب الفريد في موضوعه للعلامة الشيخ رحمة الله الكيرانوي (م ١٣٠٨هـ) دفين مكة المكرمة ، فقد ذكر المؤلف ١٢٢ اختلافًا وتحريفًا لفظيًا في هذه الصحف ، وأخذ عليها ١٠٨ من الاخطاء التي لا يمكن تأويلها وقد طبع الكتاب على نفقة الشئون الدينية في قطر سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) بعناية الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري -رحمه الله- .

أو علة (١) . وعلى العكس من ذلك تخلو جميع الأناجيل من جميع أنواع السند . فليست هناك أسانيد متصلة إلى مؤلفيها ، ولا من مؤلفيها إلى سيدنا المسيح - عليه السلام - .

هذا وإن هذه الصحف التي بأيدينا ليست هي في تلك اللغات التي نزلت بها ، والتي كان ينطق بها المسيح - عليه السلام - وقومه ، بل لم تزل تنقل من لغة إلى لغة ، و وصلت عن طريق مختلف المترجمين و الناقلين ، فهي - في الواقع - مثل كتب السيرة والتاريخ بل مثل كتب القصص والمواعظ ، ليس إلا .

وإذا لم نعدها - احترامًا لها وتقديرًا لأصولها - من كتب الروايات الضعيفة والواهية ، فلا أقل من أن نعتبرها كمجموعات الحديث بالدرجة الرابعة ، التي لم يلتزم صحتها ولم تراع فيها قواعد الرواية والتحديث . ولأجل كل هذه الحقائق الراهنة نرى الموازنة بين القرآن الكريم وبين هذه الصحف القديمة خطأ صريحًا ، مبنيًا على الغفلة وقلة العلم ، فإن الموازنة لا تكون إلا بين شيئين متقاربين متماثلين .

و لقـــــــد أحسن المهتدى الفرنسي إلى الإسلام موسيوايتين دينيه (Monsieur Eaton Dien) إذ قال وهو يعرف بهذه الأناجيل ويحدد مكانتها العلمية والتاريخية :

« إن الإنجيل الذي أنزله الله - تعالى - على عيسى - عليه السلام - بلسانه ولسان قومه ، لا نشك في أنه قد ضاع ، وأنه لم يبق له عين ولا أثر ، وهو إما تعرض لعوادي الزمن ، أو أتلفته الأيدي ، ولذلك اقتنى

---

(١) انظر تعريف الحديث الصحيح في كتب أصول الحديث كمقدمة ابن الصلاح و « تدريب الراوي » و « فتح المغيث » .

السلام - » (١) .

إن أحدث التحقيقات العلمية قد أثبتت على سبيل القطع واليقين أن الكتب الخمسة الأولى من العهد العتيق مؤلفه مما لا يقل عن ٨٢ مصدرًا من المصادر » (٢) .

أما الأناجيل الأربعة (التي تسمى العهد الجديد) فشأنها أكثر تناقضًا واختلافًا من صحف العهد العتيق . ويحيط تدوينها ومؤلفيها كثير من الغموض والتعقيد والعقبات والشكوك . ويوجد بينها وبين المسيح - عليه السلام - خليج واسع كبير . ولا يمكن ردمه أو عبوره لأي مؤرخ أو محقق ناقد . فقد كانت الأناجيل في المجامع الكنيسية ومختلف الفترات الزمنية عرضة للتغيير والتحوير والإصلاح والتعديل بصفة مستمرة . و علاوة على ذلك فإنها أشبه بكتب السير والتاريخ . والقصص والروايات . منها بالكتب السماوية . والوحي الإلهي والإلهام الرباني .

إن هذه الأناجيل ليست بمستوى مجموعات الأحاديث بالدرجة الثانية أو الثالثة . فضلاً عن أن تكون على مستوى الكتب الستة . لأنها مجموعات متصلة السند إلى رسول الله -ﷺ- أولها أسانيد يعتمد عليها ويرجع إليها . والحديث الصحيح عند المسلمين ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه من غير أن يكون فيه شذوذ

---

(١) المصدر السابق : ص/٥٩٠ .

(٢) مقتبس من التفسير الماجدي (تفسير القرآن) ويرجع للاطلاع على تحديد زمن المؤلفين الأناجيل الأربعة . واختلافات المصادر والمراجع (التي الفت منها هذه الصحف) إلى الكتاب المهم (تاريخ الديانات) (History of Religions) للبروفيسور جيمس (E. O. James) أستاذ تاريخ الديانات في جامعة لندن .

وثبوته . إن المسلمين يعتقدون أن كل لفظة بل حرف في القرآن الكريم منزلة من عند الله - تعالى - محفوظة مصونة من يوم نزولها إلى يومنا هذا . أما اليهود فإنهم لا يرون النقص والزيادة في صحفهم والتعديل والإلحاق فيها ينافي كونها كتبًا سماوية . وإنهم لا يتحرجون إطلاقًا من وصف هذه الصحف بأنها من تأليف الأنبياء . ويمكن أن يقدر موقف اليهود من كتبهم المقدسة وعقيدتهم و وجهة نظرهم فيها من المقتطفات الآتية . جاء في دائرة المعارف اليهودية التي قام بتأليفها كبار الفضلاء والمختصين اليهوديين :

« رغم إصرار الروايات اليهودية على أن صحف العهد العتيق هي من مؤلفات تلك الشخصيات التي ذكرت فيها . وليس ذلك مما يخالف الواقع بتاتًا . ولكنهم لا يرون بأسًا في الاعتراف بأنه وقع في بعض هذه الصحف تعديلات وإلحاقات » (١) .

« إن الصحف الخمسة الأخيرة من التوراة (عدا الآيات الثمانية التي فيها ذكر موت موسى - عليه السلام -) - هي حسب الروايات اليهودية القديمة . من تأليفات موسى -عليه السلام- ولكن الربيين لم يزالوا يعنون بالتناقضات والاختلافات الموجودة في هذه الصحف . ويقومون - ببراعتهم - بإصلاحاتها وتعديلاتها » (٢) .

« يقول سبينوزا (Spinoza) : إن الصحف الأولى من العهد العتيق ليست من تأليف موسى - عليه السلام - بل هي من تأليف عزرا (عزير) - عليه

---

(١) دائرة المعارف اليهودية (Valentine's one Volume Jewish Encyclopaedia) P. 93. ص/٩٢ .

(٢) دائرة المعارف اليهودية : ج/٩ . ص/٥٨٩ . و أيضًا : ص/٥٩٠ .

وحملهم مقيدين إلى بابل . حيث مكثوا خمسين سنة . وأملى النبي عزرا (عزير) الصحف الخمسة الأولى من التوراة من حفظه مرة ثانية . وألف الوقائع والحوادث بالترتيب التاريخي . ثم أضاف إليها « نحميا » سلسلة أخرى من الكتب . وألحق بها « زبور » النبي داؤد - عليه الصلاة والسلام - .

والمرة الثانية : عندما أغار « أنطيو خوس » الــــــــــرابع (Antiochus) الذي كان يلقب بـ « أبيفانس » وكان ملك أنطاكية اليونانية على بيت المقدس عام ١٦٨م وأحرق الصحف المقدسة . وفرض الحظر على تلاوة التوراة وعلى الشعائر والتقاليد اليهودية ثم بدأ « يهودا مقابى » بجمع هذه الصحف وترتيبها . وأضاف إليها سلسلة من كتب العهد العتيق .

والمرة الثالثة : حمل « تيطوس » (Titus) (٤٠-٨١م) الملك الروماني على بيت المقدس في ٧/من سبتمبر عام ٧٠م وأحرقه مع هيكل سليمان . وحولها أنقاضا ورمادًا . وأخذ الصحف المقدسة - تذكارًا لانتصاره - إلى العاصمة الرومية ونفى اليهود . وأقام حول البلد مستعمرات أسكن فيها ناسا آخرين (١) .

إن موقف اليهود والمسيحيين من صحف الأنبياء والكتب السماوية ومعاييرهم لصحتها وصيانتها ومطابقتها لأصولها . تختلف تمام الاختلاف عن موقف المسلين من القرآن الكريم ومعاييرهم لصحته

----

(١) انظر مصادر تاريخ الصحف المقدسة . ودائرة المعارف اليهودية . وتوجد إشارات إلى هذه الحوادث في صحيفة نحميا ومقابين أيضًا .

القرآن الحميد والصحف السماوية القديمة
في ميزان العلم والتاريخ

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

لقد كانت الصحف السماوية السابقة على القرآن الكريم هدفًا دائمًا للتحريف ، والتعديل والتغيير ، وعرضة للضياع والتفرق والاندثار ، وذلك لأن الله تعالى لم يتكفل بوعده لها بالحفظ والبقاء ، بل وكّل أمرها إلى علمائها وحملتها وناقليها كما أن حاجة البشرية إليها سواء من آمن بهـا و من كفر ، كانت محـدودة مؤقتة ، يقول الرب - تبارك سبحانه وتعالى - :

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور • يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا و الربانيون و الأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٤] .

وهذه حقيقة تاريخية علمية يعترف بها أتباع هذه الصحف وحملتها الذين أنزلت إليهم ، أن صحف العهد العتيق تعرضت - دائمًا - للسطو والإحراق والإغارة . وقد اتفق المؤرخون اليهود أنه وقع ذلك في التاريخ ثلاث مرات ، المـــرة الأولى : عنـــدما حمل « بختنصر» (٥٦٤ قم) (Nebuchadnezzar) ملك بابل على اليهود عام ٥٨٦ ق م ، وأحرق بيت المقدس ، الذي كان سيدنا سليمان - عليه السلام - أودع فيه ألواح التوراة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وأسر ممن بقي من اليهود

التوجيه الإسلامي

والبيئات العالمية مقبلون بغاية من الجدية والاهتمام البالغ على نشر الدعوة والفكر السليم ، وهم يستعينون في ذلك بالتسهيلات الحضارية والاعلامية ، وبالأساليب المطلوبة لهذا العمل ، ولا يتركون فرصة أو مناسبة إلا وينتهزونها لأداء مسئولية الدعوة ، ومعالجة القضايا الإنسانية في ضوء توجيهات الدين وتعاليم الكتاب والسنة ، وفعلا كان لهذا النشاط تأثير عملي في البيئات المادية والمجتمعات الغربية ، وما جاءت الصحوة الإسلامية إلا نتيجة لهذه المجهودات والأعمال المخلصة .

إلا أن الجانب المهم الذي يجب أن نشير إليه في هذا اللقاء الكتابي على صفحات هذه المجلة الهادفة ، هو القدوة العملية التي يتضاعف تأثيرها إذا اقترنت بالفكر والدعوة ، أو بكلمة أخرى : اقتران الجانب التطبيقي بالجانب القولي ، و اتصال الفكر بالعمل ، فليس الإسلام مجرد بيان أو شرح ، وليس مجموعة من الأفكار والنظريات ، مهما تعمقنا في استنباط المفاهيم من كل نوع ، وفي استخراج ما يتفرع منها من القضايا والمسائل الحيوية ، إنما الإسلام دين عملي كامل يقدم أسوة في كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع مجالات حياته ، ومن هنالك نستطيع أن نوفر جميع الوسائل المطلوبة للقيادة العالمية ، وننقذ البشرية المعذبة في أتون الحضارات والأيدلوجيات الواهية إلى ساحة الإسلام النيرة الواسعة فكرًا وتطبيقًا ، وقولا وعملا ، وفي ذلك سرُّ الغلبة والانتصار على جميع المشكلات والأزمات التي نعيشها اليوم ، ولعل ذلك ما يشير إليه كتاب الله تعالى في قوله : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا [الاستقامة تتحقق بالعمل والتطبيق] تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا [في الدنيا] وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ .

سعيد الأعظمي

ممن حادوا عن طريقهم فوقعوا فيما وقعوا من الضلال والانحراف ، وسجلوا صفحات سوداء في تاريخ الإنسان ، وبين واقعنا نحن المسلمين الذين انصرفوا عن الالتزام بتعاليم الكتاب والسنة وتوجيهات الدين والأخلاق ، لوجدنا شبهًا كبيرًا في الشكل والواقع ، وأدركنا أن معظم أفراد الأمة تائهون في ظلمات النفس والهوى ، وهم في غفلة معرضون عن طريق الدين وسلوكيات الحياة و واجبات الإنسان المسلم . وإن أوضح جانب يلمس في تفسير هذه الغفلة يتلخص في تناسي المسئولية العامة التي تعود علينا كخير أمة أخرجت للناس ، وهي مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان والطاعة ، كما تنص عليه الآية : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

اتسع العمل الإسلامي بأشكاله المختلفة وأساليبه المنوعة وفق المتطلبات الاجتماعية والحضارية والأجواء العلمية والعقلية على اختلاف المساحة الزمانية والمكانية في العالم الحديث اليوم ، وقد تأسست هناك مراكز إسلامية في مختلف أنحاء العالم ، ومنها ما هو مزود بأحدث الأجهزة الاعلامية والأنشطة الدعوية مما يكون له تأثير في المجتمعات الغربية المادية بوجه خاص ، حيث يتطلع الناس إلى ملجأ يأوون إليه من متاعب الحضارة ومشكلات الاجتماع والحياة ، ولا يجدونه إلا في تعاليم الإسلام وتوجيهاته الاجتماعية والفردية ، وتشكيلاته الحضارية التي تنظم الحياة الإنسانية على جميع المستويات ، وتنقذها من جميع الاختلالات ، وتُحلّيها بالتوازن والانسجام بين الروح والجسد ، ومطالب النفس والمجتمع ، الواقع الذي يشهده التاريخ الإنساني منذ بزوغ شمس الإسلام .

إن دعاة الإسلام وحملة الفكر الإسلامي في مختلف القطاعات

أ لم تروا إلى الأمم التي حادت عن طريق الدين الذي رسمه لها رسل الله المبعوثون إليها ، وانصرفت عن التعاليم السماوية الحقيقية ، واخترعت أساليب وأنماطا جديدة للحياة بتحريف الواقع ، وتشويه الحقائق التي جاءت لاسعاد الإنسان وربطه بمصدر التكريم والتفضيل الذي أشار إليه كتاب الله تعالى في قوله : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ و لما حادت هذه الأمم عن طريق الدين شغلتها الحروب المدمرة والمعارك الطاحنة . وعاشت شقاء يبذّ ما حدث في تاريخ الجاهليات من تجاوزات خلقية وممارسات لا إنسانية . ولا سيما فإن ما جرى بين اليهودية والمسيحية والنصرانية من وقائع وأحداث في القرون المظلمة في أوربا يتندى لها جبين الحياء وتنتكس لها الرؤس خجلاً . فقد قام الإنسان بتعذيب الإنسان بالقتل والتحريق ، والسفك والهتك . وتجرّد عن كل نوع من السلوك . وغاص في أوحال الانحلال والاسفاف والفساد إلى الآذان .

كانت تعاليم المسيح - عليه السلام - موجودة وكانت الكتب المقدسة - على التحريفات والتغييرات التي أصابتها - زينة المكتبات والكنائس ، ولكن طبيعة الانحراف و الفساد غلبت على كل شئ من القيم الخلقية والمثل العليا . وانحدر الناس إلى الحضيض ولم يعد لهم غرض إلا أن يتظاهروا بالقوة والعلو . ويتنافسوا فيما بينهم بالعزة الكاذبة والمظاهر الزائفة . وذلك ما استنفد طاقاتهم وقدراتهم البشرية واستهلك ذخائر العقل والذكاء التي كانوا يملكونها من أجل انتمائهم إلى تعاليم الدين . ولو كانت محرفة .

ولو أننا قمنا بمقارنة بين هؤلاء المنتمين إلى الديانات السماوية

فكان من المغرقين ﴾ .

إذا تجرد الإنسان عن لباس الفطرة وسار على درب من وحي الأهواء والشهوات فلن يكون إلا صورة صادقة للضراوة والبهيمية . ولا يصدر منه إلا أعمال متمثلة في شتى ألوان الظلم والفساد والبغي والعدوان ، والقسوة والوقاحة ، ثم هو لا يتردد في إزهاق الأرواح وسفك الدماء بغير حق ، إنه يعيث في الأرض فسادًا بأشكال فردية وجماعية ويعبث بالأعراض والأرواح وينتهك الحرمات ويدمر المجتمعات ويحول الحياة جحيمًا لا تطاق ، الواقع الذي صوره ملائكة الله يوم أخبرهم بأنه جاعل في الأرض خليفة ، وهو الإنسان الذي كان معروفًا لديهم بأفاعيله وممارساته التي يخدم بها نفسه ومصالحه فحسب ، ولا يبالي بما إذا دعا ذلك إلى اقتراف أي جريمة مهما كانت ضخمة وجرّت إلى أوخم نتيجة وأوبل مصير : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعًا • إذا مسّه الشر جزوعًا • وإذا مسّه الخير منوعًا ﴾ .

إن عملية تحليل نفسي واقعي للإنسان تكشف عن صورة كالحة للحياة يعيش فيها المرء انفعالات مضادة للحب والخُلق والسلوكيات الإيجابية البناءة ، ولا يكون له همّ إلا الاستعلاء والحكم الذاتي ، فلا يتأخر في التسرّع نحو البغي والعدوان فيما إذا تمكن من قوة أو غلبة ، وتوحي إليه كبرياؤه أن يكون كل شخص مسخرًا له وخاضعًا أمامه يعترف بعظمته ويلتجئ إليه في حاجاته ، ويعتبره رمزًا للعزة والسيادة وإلا فإن سيف النقمة معلق على رأسه ، وسوط العذاب ماثل أمامه ، وقد صوّر لنا التاريخ هذا الوجه الأسود للإنسان أيام تحرّره عن القيم الخلقية الواقعية ، وانطلاقه عن تلك الحدود والقيود التي يفرضها عليه الدين ، وتنفذها رسالات الأنبياء والرسل في المجتمعات البشرية .

دامية بأحجامها وتشكيلاتها المختلفة وتعدد فنونها . والحق أحق أن يقال : إن تاريخ الإنسان يبتدئ في هذه الأرض من هذه النفسية التي تتضمن الفساد والانسياق مع الهوى . ولكن المجهودات التي يبذلها الأنبياء نحو تغيير النفسية تسفر عن نتائج طيبة تارة . وأحيانا لا تنجح في تحقيق الهدف المتوخى . ويتمثل ذلك في تاريخ كل نبي . إذ ليس هناك من الأنبياء والمرسلين من وُفق إلى إصلاح جميع أفراد الأمة من غير استثناء . أ لم تروا إلى ابني آدم - عليه الصلاة والسلام - اللذين قتل واحد منهما الآخر . لمجرد أن القاتل لم يحد عن طريق الفساد ولم يسعد بالهداية ولكن المقتول أكرمه الله بالتقوى والصلاح . ولنقرأ القصة في كتاب الله حتى نرى كيف أن طبيعة الفساد و وسفك الدماء تتغلب على طبيعة الإيمان والتقوى إذا لم يرافقها التوفيق الرباني : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق،إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر • قال لأقتلنّك • قال إنما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطتَّ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يّدي إليك لأقتلَكَ إني أخاف الله ربّ العالمين • إني أريد تبوّأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ؛ وذلك جزاء الظالمين • فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ .

وهذا نوح - عليه الصلاة والسلام - الذي تمرد ابنه على رسالته التي جاء بها من عند ربه ولم يدرك الحق . وظل على طبيعة الفساد والكفر . فلم يتمكن من إنقاذه من الضلال ثم الغرق في الطوفان الذي جرف أهل الفساد والكفر في تياره . وخلّف عبرة في تاريخ الأمم والأقوام إلى يوم الدين : ﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء • قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم • وحال بينهما الموج

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

متطلبات القيادة العالمية . ودور الدعاة والمفكرين !

قضية الفكر الإسلامي لا ينبغي أن تعيش كحبر على ورق . بل ولابد من أن تتجاوز سُلّم النقاش والتفكير أو نطاق الندوات والقرارات . إلى ساحة الحياة العملية التي تقدم نموذجًا كاملاً للحضارة الإسلامية التي صنعها الرعيل الأول من المسلمين في فجر التاريخ الإسلامي . فقد تزايدت أهمية هذه الحضارة وتطلعات الناس إليها منذ أن تكشّف عليهم زيف الحضارات المادية وإخفاقها في إعداد الإنسان الذي يمثل دوره المرتقب في بناء العالم بمعناه الأوسع والأشمل . متمردًا على طبيعة الفساد وسفك الدماء التي أشار إليها ملائكة الله يوم قال لهم : « إني جاعلٌ في الأرض خليفة » فكان ردهم على هذا القول . أو بتعبير آخر : كان تعليقهم على هذا النبأ « أ تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء • ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » .

ولإصلاح هذه الطبيعة وتغييرها بطبيعة الصلاح واحترام النفس البشرية . بعث الله سبحانه المصطفين من عباده . ابتداءً من آدم – عليه الصلاة والسلام – إلى خاتم النبيين محمد –ﷺ– . فقد ركز كل نبي مبعوث على هذه النقطة ذات الأهمية والخطورة . وتناول أفراد أمته بالإصلاح . والتغيير . وعاش معهم يدعوهم من الضلال إلى الهدى . من الطبيعة المضادة إلى فطرة الله . من طريق الشقاء والتشتت والزيغ إلى ساحة الأمن والسعادة والهدوء . فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وسار على درب الفساد وسفك الدماء .

يزخر التاريخ البشري بأحداث من الفساد بجميع ألوانه . وأحداث

محتويات العدد

الافتتاحية :

التوجيه الإسلامي :

في رحاب القرآن الكريم :

الدعوة الإسلامية :

دراسات و أبحاث :

منهجية البحث العلمي :

من رجال التاريخ الإسلامي :

صور و أوضاع :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـأهـا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد الثالث

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

ذو القعدة ١٤١٥هـ

ابريل ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ – الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93; Lucknow (INDIA)

« جوربا تشوف » في تصريح خاص :

اتهام المسلمين بالإرهاب بوادر فتنة كبري

حذر « ميخائيل جوربا تشوف » الرئيس الأخير لما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتي . الغرب وأجهزة الإعلام التابعة للدول الغربية من افتعال المواجهة بين الغرب والمسلمين . وقال : إن ما يتم الترويج له من خطورة المسلمين على السلام والاستقرار الدوليين هو من وحي قوي مشبوهة تسيطر على الاعلام ومراكز صناعة القرار في الغرب .

وقال : يحلو لبعض الاعلاميين ورجال السياسة إيجاد عدو خارجي لكسب تأييد العامة من الناس لمشاريعهم وأفكارهم . وأكد على خطورة هذه السياسة على السلام والتعاون بين الشعوب من كل الأديان . وأكد أن سياسة استعداء الإسلام ستقسم العالم إلى جبهات دينية مما يعنى الانتقال من حالة الحرب الباردة بين الشرق والغرب إلى مواجهة قد تكون بين العالم الإسلامي والغرب . وأكد « جوربا تشوف » لـ « المسلمون » خلال زيارته ... الإمارات العربيه المتحدة : أن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام خطرا على الحضارة الغربية وأن المسلمين لعبوا دورًا مهمًا في إغناء التراث البشري والعلوم الإنسانية بما نقلوه من علوم ومعارف للغرب أيام ازدهار حضارتهم .

وقال جوربا تشوف : إن تصوير الإسلام على ... مصدر للإرهاب وإن الجماعات الإرهابية هي نتاج التشدد الديني الذي ... في أوساط المجتمعات الإسلامية هو قول فيه مجافاة للحقيقة والواقع

وقال : إن الإسلام دين سلم وإن تعاليمه تؤكد على التعاون بين الشعوب والأفراد وإن البشرية تدين للإسلام بفترات مزدهرة من تاريخها حيث سادت القيم الحقيقية لهذا الدين العظيم فانعكس ذلك على التقدم والرخاء البشري

وأدان جوربا تشوف محاولات إلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين من قبل بعض السياسيين الغربيين . تساندهم في ذلك وسائل الاعلام الغربية . وقال : إن هذا النهج يحمل في أحشائه بوادر فتنة كبرى سيرجع فيها التاريخ الإنساني إلى الوراء . وتساءل « جوربا تشوف » عن الهدف من إلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين في الوقت الذي تتشكل فيه جماعات إرهابية في أوربا الغربية . وفي أماكن كثيرة من العالم النصراني . وقال : إنه تظهر من وقت لآخر بعض الجماعات التي تتبنى العنف والحروب وإن ذلك لا يعني تعميم صفة الإرهاب على الشعوب التي تنتمي إليها هذه الجماعات . [مع الشكر لـ « المسلمون »]

٧٧٧

تحمل دول العالم الإسلامي ثروة غنيّة من المعادن والفلزات ، وثروة الحيوان ، والبحار ، والغاب ، بالإضافة إلى ثروة البترول والذهب التي تتوقف عليها الصناعة الأوربية .

والطاقة البشرية لها وزن في الحياة المعاصرة ، رغم اكتشاف الوسائل ، والآلات ، وهي ذات قيمة حاسمة في الصناعة ، والدفاع معًا .

ويملك المسلمون أصواتًا في المنابر الدولية ، كالأمم المتحدة و وكالاتها ، فإذا مارس المسلمون هذه الأصوات بحرية ، وبشعور ذاتي كان لهم تأثير في السياسة العالمية .

إن العامل الأكبر لنجاح أوربا في العصر الحاضر هو إبعاد المسلمين عن الشعور بمنابع قوتهم ، و وزنهم وأهمية موقعهم في العالم ، إنه يوالي جاهدًا لابعاد المسلمين عن هذا الشعور ، كما عمل جاهدا لإبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم وروّج فيهم العلمانية والقومية ، وفرض الإلحادَ بالقوة ، وقد استعاد المسلمون الشعور الديني بفضل الحركة الإسلامية إلا أن هذا الشعور يحتاج إلى عمل ، وإلى تجسيد هذا الشعور في الحياة العامة ، و يحاول الغرب منع المسلمين من العمل بدينهم ، و تطبيق تعاليمه على الحياة بتوريط الدعاة في النزاعات مع الحكومات وتفريق كلمتهم لكيلا يواصلوا عملهم في نشر الوعي الديني ، وتغيير الحياة في غالبية المسلمين ، واستسلم بعض الولاة لأوامر الحكام الغربيين ولكن هذه النزاعات ستسوى تدريجيًا بتسرب الشعور الديني في الولاة بالحوار، والتفهيم وتبادل وجهات النظر بروح الأخوة و الإنسانية ومعرفتهم لحقيقة النوايا الاستعمارية لأوربا .

لقد تصعد في المسلمين الشعور بأن منهج الإسلام هو خير المناهج ، وإذا نقل هذا الشعور إلى حياتهم فإنهم سيكونون خير الأمم ، كذلك ينمو في المسلمين الشعور بأنهم أمة عالمية ذات مواهب وذخائر طبيعية ، ومواقع استراتيجية تؤثر على السياسة العالمية والحركة العالمية وأنهم عنصر لا يُستغنى عنه ، و بتصعد هـــذا الشعور و قوة الإرادة ، و حرية العمل ، و الاستقلالية ، تتغير حالتهم .

لها . ولذلك تخشى الدول الأوربية الصحوة الإسلامية لأنها إذا قويت فإنها ستصل إلى الحكام . وقد أبدت الصحف الأوربية قلقها بالصحوة الإسلامية أنها إذا قويت و شملت الحكام فإن مصالح أوربا التجارية والسياسية والدفاعية ستكون في خطر . ومن أجل حفاظها على مصالحها فهي تحارب الصحوة الإسلامية . ويتجلى هذا القلق في معظم التعليقات التي يكتبها المعلقون الأوربيون . وقد بلغ القلق ببعض المعلقين إلى حد أنهم دعوا إلى التوصل إلى هدنة في هذه الحرب المعلنة ضد الصحوة الإسلامية . والتصالح مع المعقولين في قياداتها. والمساومة معهم حول المصالح الأوربية . لأنها تشعر بأن حربها تزيد الإسلاميين قوة وصلابة . وتدربًا وثورة وحقدًا في النفوس وروح الانتقام منها.

وقد دخلت هذه الصحوة والخوف منها في أرض أوربا . و ستودى الوسائل التي تختارها بعض الدول الأوربية لطرد المسلمين بتهمة الإرهاب . أو الاتجاه الإسلامي إلى الاجلال بتوازن القوة العاملة فيها . ويضطرب النظام الاجتماعي والاقتصادي فيها . وتحدث فجوة لا يغفل إلا حاقد أعمى . فإن الحياة الصناعية في هذه الدول تحتاج إلى عمالة أجنبية كبيرة . وإن التقدم الصناعي والحضاري الذي أحرزته هذه الدول لا يستمر بمجرد الاعتماد على السكان الأصليين للبلاد . ومهما بلغت تهديدات هذه الدول فإنها لا تستطيع الاستغناء عن هذا العدد الضخم الذي استوطن البلاد . وانضم إليها وتأنس بسكانها . وأصبح كالمواطنين . ثم إنه سيقلب الموازين والتصورات عن النظام القائم . ويفضح دعاوى هذه البلدان عن العلمانية والديمقراطية . وحقوق الإنسان . وحرية العمل . والعقيدة . والسلوك . وكيف يمكن أن تدعى هذه الدول أنها دول متقدمة متحضرة تؤمن فيها سلامة المواطنين ويتمتع المواطنون فيها بحرية كاملة وبعض المواطنين فيها يُجبرون على اتخاذ نوع معين من اللباس . والطعام . و الشراب . والعبادة . والعقيدة . و باتخاذ هذه السياسة كيف تستطيع هذه الدول أن تقيم علاقات ودية مع أكثر من خمسين بلدًا في العالم لها أهمية سياسية وجغرافية وتجارية .

وبالإضافة إلى المواقع الاستراتيجية التي تحمل أهمية حيوية للدول الكبرى .

صور و أوضـــــاع :

أوربا في طريقها إلى الانتصار أو الانتحار ؟ !

واضح رشيد الندوي

في العهد الأخير فكرت بعض الدول الأوربية في استعادة كنيسة الأرثوذكس في القسطنطينية . و جرت محادثات بين الدول الأوربية وتركيا . لكن هذه الأصوات خفتت بعد أن أدركت هذه القوى أن هذه المحاولات ستقوى العناصر الإسلامية وتعجل عملية عودة تركيا إلى الخط الإسلامي . وستقوى صلات تركيا ببقية أجزاء العالم الإسلامي . وتتولى تركيا بفضل موقعها موقف الشرطي والحارس بين الجزئين من أوربا . كذاك تملك مصر واليمن والمغرب مواقع المراقبة الدولية .

وقد نجح الغرب بعض النجاح في السيطرة على موقع استراتيجي وهو الموقع الواقع في فلسطين . بإقامة نظام يتعامل معه ويحقق مطامعه . ولبعد المسافة بينه وبين هذا النظام الذي ربّاه وقواه . يخشى على مستقبله . فإنه مهما قوى ساعده محاط بكثافة سكانية تعتبره أجنبيا جائرًا . ويدعى حقه في بلاده . وتوجد في داخل البلاد أيضًا أغلبية تناضل لاستعادة بلدها . ولتأمين سلامة هذا الجيب الذي أنشأه الغرب لخدمة مصالحه تسعى الدول الغربية إلى إقامة علاقات ودّية بين الجانبين . لتخفف من أعبائها التي تثقل عليها بانهيار اقتصادها . و تراكم مسئولياتها العالمية .

إن هذه المواقع الاستراتيجية التي يحتلها المسلمون . وهي كثيرة منتشرة في العالم . برية وبحرية . تجبر الدول الكبرى على البحث عن طريق للتعامل مع الدول التي تقع فيها هذه المواقع . وتحمل هذه الدول الكبرى اطماعًا وتوجد بينها أحقاد . وخلفيات صراع أدت إلى حروب طويلة لا تنسى وهي خالدة في الذاكرة . فلا تستطيع دولة منها أن تبذل جهدها للاستيلاء عليها كليًا . إلا بواسطة الحكومات القائمة محليًا . والاستعانة بها . وستبقى سيادة أوربا غير المباشرة على هذه المواقع ما دامت الحكومات في المنطقة متعاونة معها ومنقاده

يقـــــــول ملت انعامًا و بهمًا

و إنسانًا أريد فهـــــــل ينال ؟

برمت برفقة خارت قواهـــــــا

برستم أو بحيـــــــدر اندمال

فقلنا ذا محال قد بحثنـــــــا

فقال : و منيتي ذاك المحـــــال

كذلك أورد في افتتاح منظومة « رموز اللاذاتية » بيتًا للرومي وذلك :

جـــــــد بنفي الذات ذاتًا لا تهاب

اجتهد والله يهديك الصـــــــواب

[تعريب : د. عزام]

وسئل إقبال عن مصدر فلسفته للذاتية وهل لها أصل في القرآن الكريم . فقال : نعم . وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم • لا يضركم من ضل إذا اهتديتم • إلى الله مرجعكم جميعًا • فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [سورة المائدة] .

ومجمل القول : إن استخدام الشاهين رمزًا للمؤمن القوى المكافح من ابتكار إقبال وذلك أبلغ تشبيه أمكنه في عصر تسخير الفضاء والكون . والشاهينية تختلف كل الاختلاف من السوبرمانية مبدئيًا ومعنويًا ، فإنها تمتاز بروح الحب والجمال والرفق والرحمة والتقدير بمبادئ الأخلاق وكرامة الإنسان وسعادته على خلاف السوبرمانية التي لا تحمل هذه الميزات الخلقية والجمالية . في أيّ حال .

٧٧٧

حركته وإرادته ويمنعه من التقيم والوصول إلى القوة والعزة ، فالله والدين والأخلاق والروحانية والكنيسة ورجالها كلها من وسائل الاستغلال وآلات الاستعمار فلابد من رفضها واستنكارها والثورة ضدها. ومن كمال الذاتية أن يرى الإنسان مصلحة نفسه فحسبُ ، و لا مجال لوجود العبيد والمساكين والضعفاء في المجتمع النموذجي ، ومن حق الرجل المتفوق أن يستأصل هذا النوع من جنس البشر . فلا مناسبة بين الرجل المتفوق لنيتشه والرجل المؤمن لدى إقبال في ميزان الحق والإنسانية . فإن الرجل المتفوق معجب بنفسه معتز بكرامته دون أن يرجع إلى مبدأ أخلاقي وهو ملحد بالله والدين ومنكر لأداء واجباته تجاه المجتمع بينما الإنسان المثالي لدى إقبال فيه اعتداد بالنفس واعتزاز بالذات مع الاخلاص والخضوع والاذعان اللازم للتأكيد والاصرار على الحق والعدل . والرجل المتفوق عند نيتشه شئ متخيل وموهوم لم يتحقق إلى الآن ولكن الرجل المؤمن في فكر إقبال متحقق في شكل الأنبياء والصحابة والصديقين والصالحين .

ومما لاريب فيه ان أكبر تأثيَر في نشأة فلسفة إقبال للذاتية وصياغتها كان لمولانا جلال الدين الرومي فسلك إقبال مسلك المثنوي للرومي في نظم « الاسرار والرموز » لغة وأسلوبًا ومنهجًا وبحرًا . كما انه افتتح منظومة اسرار الذات بمنظومة الرومي أوردها في بداية الديوان تيمنًا وإشارة إلى ما تحتويه المنظومة وتلك المقطوعة :

رأيت الشيخ بالمصباح يسعـــــى

له في كل ناحيــــــــــة مجال

الكريم والسنة النبوية وتعاليم الشيخ جلال الدين الرومي (١٢٠٧–١٢٧٢م) متأثرًا إلى حد ما بالأفكار الحديثة الغربية ، ومنها مثالية هيجل وسوبرمانية نيتشه ونقد التاريخ لماركس وفكرة تأثير الزمان و واقعيته لبرجسون .

ويبين الدكتور الأنصاري أوجه التشابه والتقارب بين فكرتي إقبال ونيتشه وشخصيتهما ويقول : « كل من تعمق في دراسة فكر إقبال لاحظ أثر نيتشه على فكره . كما كان إقبال يردد اسمه حتى عام ١٩١٨م ، ومن أوجه الاشتراك بينهما ان كلا منهما قد بدأ وظيفته في العمل بالتدريس في الكلية وحاول تربية الشباب الفكرية . وكان لكل منهما صلة وخبرة بعلم اللغة والألسنة ونشأ كل منهما تحت تربية الأفكار والآداب الآرية ، كما كان كلاهما يعتز بتاريخ أمته وماضي ملته وكان ينتظر لها مستقبلا زاهرًا وكان يرى كلاهما حل مشاكل أمته وشعبه بتنمية إرادة الفرد وقوته . كما كان ساخطًا و ثائرًا على بريق الحضارة الغربية و افتتانها الزائف فكان يتكهن كل منهما بانهيارها وانتحارها من وجهة نظره الخاصة » .

[البحث عن إقبال – للدكتور ظ. الأنصاري]

والحق أن هناك اختلافًا واضحًا بينهما . رغم أوجه التشابه المذكورة ، فقد كان من رأي نيتشه ان المجتمع الإنساني صار مؤسسًا على الاضطهاد والاستغلال و صار الدين و الأخلاق و التصورات الميتافزيقية وسيلة لاستغلال الضعفاء والسذج من الناس . فلابد من أن يُستنكر الدين ونظام الأخلاق السائد في المجتمع . ومن حق الإنسان أن يثور على كل ما يعوق

يقول :

الفقر يمضي بـــــــلا سلاح

في صوته الحرب كالرجـــــــوم

و كل ضرب له سديـــــــــد

إن ثار من قلبـــــــه السليم

حماسه قص كل عصـــــــر

قصة فـــــــرعون و الكليم

يا غيرة الفقر انجـــــــدينا

و اهدي إلى نهجك القويـــــــم

عبادة الغرب جمع مـــــــال

تنخر في روحـــــــه السقيم

[ترجمة ضرب الكليم للدكتور عزام]

ويشبه إقبال الشباب المؤمن بالشاهين لأنه يحب أن يرى خصائص الشاهين فيه . وقد يقال إن إقبال أخذ تلك الفكرة من فكرة السوبرمان (الرجل المتفوق) المعروف عند الفيلسوف الألماني نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) و من الفاشية الموسولينية . و الحق أنه يحتمل تأثر إقبال بالأفكار السائدة في الغرب أثناء إقامته بأوربا وفعلا إنه لاحظ ان الغرب استيقظ من سباته وتجدد نشاطه بروح النهضة متسلحًا بأفكار علمية علمانية عديدة ومنها فلسفات الوجودية والاشتراكية والعبقرية السوبرمانية والنفعية والانتاجية وأمثال ذلك ولكنه صاغ فلسفته الخاصة المعروفة بالذاتية أو إثبات الذات (خودي) في ضوء تعاليم القرآن

العزيمة والإيمان بالأسد ولكن في عصر تسخير الفضاء والطيران الجوي، فإن تشبيه الشاهين يكون أبلغ بكثير من تشبيه الأسد ونرى أن أساس فلسفة إقبال وشاعريته هو الإيمان بالله ومعرفة الشخص لذاته ومواهبه. وثقته واعتزازه بنفسه، وامتناعه عن التسول والضعف وعقدة الصغر فيجب أن يكون المؤمن في رأيه وقورًا قنوعًا زاهدًا يسهل الصعاب حتى يخاف منه الجبارون يقول:

مسلم دولته فوق الحصيـــــر
كان يخشى بأسه ألف سريـــــر
يتلاشى الجمر في نيرانـــــه
و يخاف البحر من طوفـــــانه
لم يحد شعب عن النهج المنيـــــر
و لديه مثل ذيّاك الفقيـــــر
فقرنا معناه تيسير الجهـــــود
فقرنا معناه تسخير الـــــوجود
إنه إيمان بدر وحنيـــــن
إنه زلزال تكبيـــــر الحسين

« ترجمة الأستاذ الصاوي على شعلان ضمن كتاب الحياة والموت في فلسفة إقبال ».

ويبشر إقبال بأن الفقر والزهد الغيور سيسود العالم في المستقبل القريب لأن الطمع والحرص على المال والمادة واتباع الهوى والشهوات قد أورد الحضارة الغربية إلى مورد الانهيار و أوصلها إلى ساحة الانتحار

السابق ، ومن أبيات إقبال حول الشاهين ما يلي :

« حين تنبعث الروح الشاهينية في شباب تتجلى لهم الآفاق فيرون منزلهم في السماء ، وأيها الشباب المؤمن ليس مقرك على قبة قصور السلاطين فإنك شاهين يجب عليك أن تعيش في صخور الجبال » .

ومنها منظومة بعنوان الشاهين في ديوانه « جناح جبريل » - بال جبريل - يتحدث فيها الشاهين عن نفسه فيقول : « إنني أحب عزلة الصحارى لأني زاهد راهب منذ الأزل ولا أصيد الحمام والطيور جوعًا لها بل أصيدها حفاظًا على حياتي وتسخينًا لدمي فأكرر الهجمات مرة وأخرى لذلك . بينما الطيور الجميلة العادية من الدراج والتذور تعيش في الاعشاش شرقًا وغربًا وأنا أحلق عاليًا في السماء الزرقاء دون الحدود ولا اتخذ مقرًا لنفسي لأني زاهد في طبعي » .

ويشرح إقبال سبب استخدامه ذلك المثال ضمن بعض رسائله أيضًا فيقول : « تشبيه الشاهين ليس تشبيها شعريًا فحسب بل إن هذا الطائر يملك جميع خصائص الزهد الإسلامي » .

أولاً : إنه غيور ومعتز بنفسه فلا يأكل صيدًا اصطاده غيره .

ثانيا : زاهد مستغن عن العلائق فلا يبني عشًا لسكنه .

ثالثا : يحلق عاليًا في السماء .

رابعا : يحب العزلة .

خامسًا : إنه بعيد النظر حاد البصر « إقبال نامه » .

ويتخذ إقبال الشاهين رمزًا للمؤمن القوى الشجاع وذلك التشبيه نادر في أسلوبه . فقد كان الشعراء القدامى يشبهون الرجل الشجاع قوى

فكرة الشاهين في شعر إقبال

بقلم : سعادة الدكتور خليل عبد الرحمن راز

من نوادر إقبال أنه يستخدم كثيرًا مثال الشاهين في بيان معنى الزهد الإسلامي وأسراره ومزاياه من الشهامة والكرامة والقوة والغيرة وسذاجة العيش والسكن في الصحاري والجبال وعدم الرغبة في جمع الأمتعة وادخار الأغذية .. وما إلى ذلك . ويبالغ إقبال في استخدام ذلك التشبيه ضمن كثير من أناشيده وأقواله حتى اتهمه بعض نقاده بأنه ينادى بالشاهينية أي الفاشية الإسلامية .

وتعنى كلمة الشاهين صقرًا يربى على أيدي الملوك نسبة إلى الشاه أي الملك . ولهذا الطائر أنواع وأسماء مثل : صقر وباز أو بازى وشاهين وعقاب وجرغ (بالجيم الفارسية) وهو صقر كبير الحجم يسكن الجبال الجرداء . ويسجل الدكتور.ظ. الأنصاري ضمن تعليقه على منظومة إقبال بعنوان : « أفكار محراب كل الأفغاني »أن الشاعر في أواخر أيامه واقف وحيدًا منعزلاً مرتديًا لباس الزهد . على صخرة من الجبل لا يرى فيها زهرة ولا طائرًا مفردًا بل ينزل فيها الشاهين والجرغ فيخاطب الصخرة قائلاً : « أنت مهبط الشاهين والجرغ منذ الأزل خالية من بسمات الزهور ونغمات الطيور » ثم يقول الدكتور الأنصاري : إن الجرغ صقر قناص الطيور يبتعد من البساتين والميادين الخضراء وقد نزل لأول مرة على لسان إقبال في شعر الأوروود الحافل من أنواع الزهور والطيور من

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

١١١

[illegible]

= = =

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٨) [illegible]

[illegible]

(٩) [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible]

(٨) [illegible]

(٨) [illegible]

(١) [illegible]

---

(٨) [illegible]

(٨) [illegible]

(١) [illegible]

كان الأب يتحمل ذلك نتيجة الفقر والعوز وضغط الحاجة .. فهل يتحمله الطفل من زميله في المدرسة أو من شاب مثله في الجامعة .. ؟

صحيح أن طبقة من الأتراك تحسنت ظروف حياتهم وأصبحوا أصحاب أعمال مرموقة .

وأن أعدادًا متزايدة من الأبناء يتجهون للدراسات الجامعية العليا ..

وأن لهم مؤسساتهم الخاصة بهم مثل تلفزيون ينطق بلسانهم وصحفًا خاصة بهم .. ولكن هل بالخبز وحده يحيا الإنسان ..؟

إن الحكومات التركية المتعاقبة لم تفرّط فقط في صيانة أبنائها داخل أوطانهم .. بل فرطت في حماية أبنائها خارج الحدود في ألمانيا وغيرها ..

كل الأدلة تشير إلى أن الألمان الذين تتناقض أعدادهم سنويا اثنين بالألف يخشون على بلادهم الجميلة المتميزة من أن تسقط في أيدي الأتراك الذين يشكلون ٤ر٢ مليون نسمة في الوقت الحاضر .

وكلما فكروا أنهم في غضون ستين سنة سيتناقص عددهم إلى أقل من أربعين مليونا بينما سيرتفع عدد الأتراك .. هذه الصورة تقلق الألمان بل وتوقظ العنصرية التي في صدورهم لتتحول إلى وحش كاسر ينقض على العمال الذين أسهموا بعرقهم وجهودهم ودمائهم في بناء معجزة ألمانيا الاقتصادية .

إن الحكومات التركية المتعاقبة هي المسئولة عن إيجاد حل معقول لمواطنيها يحفظ لهم كرامتهم ويؤمن لهم مصالحهم ويفسح لهم مجالا في بلادهم ليساهموا في معركة البناء .. كما ساهموا في بناء الدولة الأجنبية التي كافأتهم بالجحود والنكران .

بالأجانب (أ) ، وهذا الربط يثير الألمان ويشجع على الأعمال العنصرية ضد الأقلية التركية .

فلقد نشرت وزارة الداخلية في ١٠/٧/١٩٨٠م التقرير السنوي لهيئة حماية الدستور والذي أشار بوضوح إلى تنامى النشاطات المتطرفة بين العمال الأتراك .

ع - هذه العوامل المعلن منها والمخفي ، ساهم في رفع درجة العداء تجاه الجالية التركية .. فهم يتعرضون إلى عدم الاحترام .. حتى إن بعض ألعاب الكمبيوتر التي نزلت للأسواق مؤخرا تتضمن لعبا عنصرية قبيحة تبعث على الهزء بالأتراك والسخرية من مشاعرهم الإنسانية وربما الدينية والوطنية .

ولقد تحولت المشاعر الحاقدة كما كان متوقعا إلى أعمال عنف عنصرية رهيبة .. هذه الأعمال ما زالت تتصاعد يوما بعد يوم .. يتهمون النازيين الجدد ويضعون اللوم أحيانا على الأتراك .. ولم يشيروا مرة واحدة إلى مرض العنصرية التي يتفاقم يوما بعد يوم في ألمانيا .

و ماذا عن المستقبل .. ؟

والسؤال المطروح هو .. وماذا عن مستقبل هؤلاء العمال الذين زجت بهم حكوماتهم في فم تنين العنصرية والكراهية .. قبلوا أن يكونوا عمالا من الدرجة الثالثة .. يعملون في المهن التي يأنف العمال الألمان من القيام بها .. رضوا بالذل .. ولكن الألمان لم يقبلوا بهم .. ماذا عن مستقبلهم ..؟

بل وما هو مستقبل الأبناء وعددهم يبلغ ٢٥٪ من عدد الجالية ككل .. هل يستطيع هؤلاء أن يعيشوا أسوياء في جو الكراهية والإذلال ..؟ وإذا

وتظهر دراستها بأن العمال الأتراك يدفعون أجورا أعلى للحصول على سكن مناسب ، وتؤكد أن الأتراك يسكنون في مناطق فقيرة تشكو من قلة الخدمات وفي ظروف غير مناسبة ، ويعود ذلك إلى تحيز عنصري وأفكار راسخة لدى الألمان بأن المرأة التركية تفخر بعدم تنظيفها لمنزلها ، وأنهم لا يكافحون الحشرات لأن دينهم يمنعهم من ذلك .. !

إن الكتابات التي يكتبها علماء الاجتماع الألمان لها أثر كبير على ذهنية الشعب الألماني وتصعيد العداء بينه وبين الآخرين .. وخاصة مع الأتراك .

مسئولية الحكومة الألمانية .

إن الحكومة الألمانية لم تساهم مطلقا بحل هذه القضية بشكل حضاري وإنساني .. وهي متخلفة عن مستوى الدول الغربية ذاتها مثل بريطانيا وفرنسا .. بل إن العديد من الدراسات تؤكد أن الحكومة تقف وراء هذا التصعيد .. فهي على سبيل المثال :

أ - **لم توجد الصيغة القانونية** المناسبة لاستيعاب المهاجرين ضمن نظامها الاقتصادي أو السياسي .. فلم تمنحهم مثلا حق التجنس أو الإقامة الدائمة ، و وضعت أمامهم عقبات إدارية وقانونية هي أصعب بكثير مما هي في البلدان الأخرى ، فالدستور الألماني يمنع تجنيس أي أجنبي من أصل غير ألماني .. فالجنسية الألمانية متحدة بالعنصر وليس بالمواطنة.

ب - بل ان الحكومة تسهم إلى حد بعيد في توتير العلاقات بين الأتراك كجالية والألمان كمجتمع ، فأجهزة الدولة المسئولة عن الأمن والنظام تتعمد الإثارة عن طريق تقارير دورية عن الجريمة ومستواها وربطها

وبدأت الأعداد بالارتفاع حتى وصلت في ألمانيا وحدها إلى قرابة المليونين .

بداية المشكلة :

في مطلع الستينات كانت المعجزة الاقتصادية الألمانية في طور الصعود .. وكانت حاجتهم للعمالة الخارجية متزايدة .. ولكن المشكلة جاءت بعد ذلك .. فكيف يمكن التوفيق بين مجتمع ألماني شامخ بأنفه ، معتز بجنسه ، تخلَّص من النازية سياسيًا وإن كانت دماؤها تملأ قلبه وشرايين جسمه .. مع شعب تركي مسلم منغلق على نفسه حالت فوارق اللغة والدين والعرف والعادات والتاريخ والمظهر العام دون اندماجه في المجتمع الألماني .

ولعل أهم جوانب عزلة الأتراك الاجتماعية وبعدهم الحضاري عن الألمان ، هي العزلة في السكن ، والبحث عن سكن في ألمانيا أمر شاق إذ يرفض الكثير من أصحاب البيوت تأجيرها للأتراك .. هذا بالإضافة إلى الشروط الصعبة التي وضعتها الحكومة الألمانية والتي تصعّب إلى حد كبير استقدام العامل التركي لعائلته ، مثل ارتفاع الراتب ، واستئجار شقة بشكل مسبق ، وحصوله على شهادة حسن سلوك من المصنع الذي يعمل فيه .. ويتردد أصحاب العمل كثيرا في منح مثل هذه الشهادات لأسباب كثيرة يتعلق بعضها بعنصريتهم ويتعلق بعضها الآخر بمصالحهم .

تقول الدكتورة عائشة قضاة ، وهي باحثة تركية ، أن العنصرية الألمانية هي المسئولة عن تدهور مستوى مساكن الأتراك في ألمانيا .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

معنى المحبة و Ennemi أي عدوّ . لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي بمعنى البغض . فالمفهوم العربي للصداقة مبني على الصدق وللعداوة على العدوان . علـــــى حين أنه عند الفرنسيين مبني على أساس الحب والبغض ! (١) .

من هنا . فإن اللغة العربية - كما يقول الأستاذ العقاد - تعتبر في مقدمة اللغات جميعًا . تعبيرا و دلالة . و تصويرا للمجتمع الذي لهج - ويلهج - بها . ففي ألفاظها التي قطعت الأزمان التاريخية المتطاولة ما يدل على أصلهم وتاريخهم وعقليتهم . فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة . فالكتابة والشكل : بمعنى القيد . والرسم : أثر خطو الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم . والبلاغة : من الوصول إلى غاية السير . والفصاحة : من اللبن الفصيح الذي زال رغوه . والدلالة للقافلة كالدلالة في الكلام (٢) .

وتلك صورة من صور التمام اللغوي الذي اتسمت به لغتنا الخالدة . ولم يكن هذا التمام الكلي الشمولي للغة العربية ناجمًا عن تطور تكاملي تدريجي متنام . استغرق أزمانا تاريخية مديدة . كما لم يكن ناتجا عن عمل تشكيلي مصنوع . نشأ على أيدي علماء اللغة . وإنما كان شيئًا ذاتيًا مطبوعًا . فُطرت عليه هذه اللغة منذ أن وجدت . ولازمها طوال حياتها وسيكون ملازمًا إياها أبد الآبدين .. (٢) .

---

(١) د. محمد المبارك : فقه اللغة : ص/١٢٨ ط. جامعة دمشق سنة ١٢٧٩هـ .
(٢) عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة : ص/٤٢ . ط. مخيمر سنة ١٩٦٠م .
(٣) إسماعيل العرفي : اللغة العربية : أم اللغات ولغة البشرية : ص/١٥ . الطبعة الأولى - دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٦هـ .

علماء الاشتقاق ، وعلى رأسهم العلامة ابن جني وابن فارس ، ويعدّ هذا من ميزات لغة العرب التي لا تتمتع بها اللغات الأخرى (١) .

فمثلا كلمتا : « أخ » و « أخت » ترجعان إلى مادة « أخو » في العربية ، على حين نجدها مختلفين لا رابط بينهما في اللغات الأجنبية ، فهما في الفرنسية مثلاً : Frere و Sqeur ، وفي الإنجليزية : Brother و Sister ، ونحو ذلك كثير .. وتلك ميزة للغتنا الشاعرة ، فإنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت ، اتفق أو تقارب المعنى ، والعكس بالعكس .. ! (٢) .

هذا بخلاف اللغات الأخرى ، فإننا نجد فيها كلمات لا يوجد ما يدل على أنها من أصل واحد مع تقاربها في الحروف ، مثل كلمتا : Canine و Chien في الفرنسية ، إذ المعنى مختلف بينهما تماما ، فالأولى بمعنى [عادات] والثانية بمعنى [كلب] ؟ !

كذلك نجد كلمات ذات أصل معنوي واحد ، غير أنها لا تشترك في المادة ، مثل كلمتا : Capitaine [رئيس فريق كرة] و Chef (رئيس حكومة] ، لهما أصل معنوي واحد هو الرئاسة ، ولا يشتركان في مادة واحدة - فحروف كل منهما تختلف عن حروف الأخرى - مع أنهما يرجعان إلى كلمة : Caput اللاتينية ومعناها [الرأس] (٣) .

كذلك لفظ [الصديق] في العربية من الصدق و[العدوّ] من العدوان ، في حين أن كلمة : Ami أي صديق في الفرنسية وهي مشتقة من لفظ يفيد

---

(١) دكتور عبد الغفار هلال : اللغة العربية : خصائصها وسماتها : ص/٧ -بتصرف- .   (٢) انظر : المرجع السابق : ص/١٧٨ وهامشها .

(٣) نفس المرجع : ص/١٧٧-١٧٨ وهامشها ، وراجع : خصائص العربية ومنهجها الأصيل : دكتور محمد المبارك : ص/٢٩ ، تجد مزيدا من التفصيل .

الأصل الثالث [أ ب ج ر] : والأبجر والبجرة : القوي السرّة .

الأصل الرابع [أ ب ر ج] : ومنه : البُرج ، لقوته في نفسه وقوة من عليه به .
والبرج : لنقاء بياض العين وصفاء سوادها ، هو قوة أمرها وأنه ليس
بلون مستضعف .

الأصل الخامس [ر ج ب] : ومنه : رجبت الرجل ، إذا عظمته وقويت أمره .
ومنه : رجب : لتعظيمهم إياه عن القتال فيه . ومنه : الرّجبة ، فإنه إذا
كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة ، وهو شيء تسند إليه
لتقوى به ، ومنه : الراجبة : أحد فصوص الأصابع ، وهي مقوية لها .

الأصل السادس [ر ب ج] : ومنه : الرباجي : وهو الرجل الذي يفخر بأكثر
من فعله ، قال الشاعر : = وتلقاه رباجيًا فخورا =
وتأويله : أنه يعظم نفسه ، ويقوي أمره .. (١) .

= ثانيًا : مادة [س ل م] : فإنها تدور حول معنى السلامة في تصرفها ،
نحو : سلم ، ويسلم ، وسالم ، وسلمان ، وسلمى ، والسلامة ، والسليم ، اللديغ ،
أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة (٢) .

= ثالثًا : مادة [ح د ق] : نجد أنها تدور حول الإحاطة والاستدارة ، ومنها :
حدقة العين ، والحديقة ، وأحدق بهم الخطر .. ونحو ذلك .

من هنا ، ندرك أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها ، وتقلباتها حول
معنى واحد ، وهذا الدوران حول معنى واحد قد توصل إليه -قديمًا-

----

(١) العلامة ابن جني : الخصائص : ج/٢ ، ص/١٢٥-١٢٦ -بتصرف - تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى - ببيروت .

(٢) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/١٢٤ .

، وكأنها مجموعات أسرية تتلاقى كل منها في إطار واحد ، وتتجانس وتتشاكل إلى حدّ يمكن منه معرفة الشقيق والغريب والدخيل ، ويمكن منه كذلك معرفة نشوء اللغة وكيف تطورت معالم ألفاظها ومعانيها وارتباطها بعضها ببعض ..

والاشتقاق يكشف هذه الحقيقة ، فلو تتبعنا مادة معجمية ودرسناها وأمعنا النظر في المعاني التي تدل عليها ألفاظها ، لوجدناها ترتبط بمعنى عام يشمل هـــذه المعاني و يعدّ مركزا لهـــا تتفرع عنه و تدور حوله .. ! (١) .

ولتوضيح هذا نسوق بعض الأمثلة :

= أولاً : مادة [ج ب ر] فهي أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه ، إنما هو للقوة والشدة ، و جهات تراكيب المادة الست مستعملة كلها لم يهمل شئ منها وهي : [ج ب ر] ، [ج ر ب] ، [ب ج ر] ، [ب ر ج] ، [ر ج ب] ، [ر ب ج] .

الأصل الأول [ج ب ر] : تقول : جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما ، ومنه : الجبر : الملك لقوته وتقويته لغيره .

الأصل الثاني [ج ر ب] : تقول : رجل مجرب إذا جرسته الأمور ونجذته ، فقويت منته ، واشتدت شكيمته ، ومنه : الجراب : لأنه يحفظ ما فيه ، وإذا حفظ الشئ وروعي اشتد وقوي .

----

(١) دكتور عبد الغفار هلال : اللغة العربية : خصائصها وسماتها : ج٦/ ، ص/١٧٥-١٧٦ - بتصرف يسير- الطبعة الثالثة ، مطبعة الحضارة العربية سنة ١٤٠٦هـ .

وشائج القربى في العربيّة

بقلم : سعادة الدكتور محمد السيد علي بلاسي
أستاذ جامعي . أديب وكاتب إسلامي - مصر

عربيتنا .. لغة فذّة فريدة من نوعها ، سواء أكان ذلك من حيث ولادتها وتكونها ونشأتها أم من حيث مقوّماتها ومكوناتها وعناصرها ، ومن حيث مبادئها وأسسها وقواعدها ، ومن حيث نواميسها وسننها وقوانينها ، ومن حيث خصائصها وسماتها ومميزاتها ، ومن حيث -بالتالي- فلسفتها وعلها وفقهها ، وبذلك ، فإنها لا تشبه لغة من اللغات ، كما أنها لا تشبهها لغة من اللغات ، فهي نسيج وحدها بينها جميعًا (١) .

ويتأتّى كون اللغة العربية لغة فذّة فريدة في نوعها ، من حيث إن المادة فيها تدور حول معنى واحد ، بمعنى : أنّ كلّ مادة في العربية تدور حول معنى واحد مهما تصرفت ! وتلك ميزة ، عزت أن تكون في لغة من اللغات إلا في اللغة العربية ؟ !

فالألفاظ في اللغة العربية لها أصل ترجع إليه ، تمثل المادة الأصلية التي تدل على المعنى المصدري ، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف ، أو نقصها ، أو تغيير الحركات ، ومع ذلك فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها ،

---

(١) إسماعيل العرفي : اللغة العربية .. أم اللغات ولغة البشرية : ص/١١ - بتصرف يسير- الطبعة الأولى ، دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٦هـ .

أيضًا .. فهي قديمة قدم القائلين بذلك .

ومن هنا ترى الدكتورة باكزة حلمي بأنه يجب علينا - كعرب - تسمية اللغات القديمة في موطنها باسم : لغات شعوب الجزيرة العربية ، لا اللغات السامية ، لأن أقدم لغاتها هي العربية ، التي احتفظت بالقواعد والأسس اللغوية ، التي تمثل كل المراحل التاريخية التي مرت بها ، وأوضحها تاريخا ، وما عداها كانت لهجات بدائية لقبائل بادت ، والتحمت لهجاتهم مع العربية في الشمال والجنوب ، وكونت حضارة وتراثا فكريا مذكورًا وثابتًا .

وأثبتت الدكتورة باكزة أيضًا أن اللغات الأكدية ، والأوغاريتية والمعينية أكثرها اتصافا بالخصائص الأولى للأسرة اللغوية التي تسمى اللغات (السامية)، والتي دلت الدراسات المقارنة الأخيرة على أن (العربية) اليوم ، هي أكثر لغات هذه الأسرة الحية احتفاظا بتلك الخصائص ، بالرغم من تطورها الواسع في مرحلتها التاريخية الحديثة ، الأمر الذي يدعو - بالضرورة - إلى إطلاق اسمها على الأسرة للدلالة على تلك الحقائق (١) .

وقد حددت المخطوطات تاريخ أقدم لهجات هذه الأسرة العريقة بالألف الثالث ق. م. وهو تاريخ سبق تاريخ جميع لغات العالم في التدوين ، ومن المؤكد أن وجود هذه اللغات قد سبق التدوين بها بزمن طويل ، لأن التدوين لاحق لوجود اللغة ونشأتها واستعمالها طبعا .

كما أنه ليس بمستبعد أن تكون اللهجات البابلية والآشورية قد حلت بأرض بابل وآشور قبل « تاريخ التدوين بها بقرون » وعند الحديث عن الأبجدية العربية فيما بعد سنُبيّن ذلك بفضل الله تعالى .

----

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد/٢٤ سنة ١٩٧٤م : ص/١٧٧ بتصرف .

= وجاء في نص بابلي : (ماتو - أربي) أي أرض العرب . ويلاحظ أن الهمزة قامت مقام (العين . والغين . والحاء . والهاء . والخاء) في تلك اللغات أو اللهجات القديمة . كما دلت الكتابة المسارية على ذلك .

وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . في عهد (الهاخامنشيين الفرس) جاء في نصوصهم (عرباية) و (أرباية) . نقلاً عن المصادر الكلدانية المعاصرة لهم . مما يدل على اتصال العرب بالفرس .

كما أن اليونان عرفوا الجزيرة العربية . وحين درسوا طبيعتها ومناخها وشعوبها . قسموها إلى ثلاثة أقسام . كما يذكر الدكتور جواد علي :

١ - العربية السعيدة . وهي أرض اليمن والحجاز .

٢- والعربية الحجرية . وهي أرض الأنباط وكنعان .

٣- والعربية الصحراوية . وهي أرض البادية الفاصلة بين العراق والشام (١).

وفي التوراة جاء ذكر العرب في أسفار أشعيا . وأرميا :

فقـــد جاء نص يقول : « و لا يخيم هناك أعرابي (٢) » و آخر يقول : « وكل ملوك العرب (٣) » .

كما جاء ذكر العرب وموطنهم في جميع اللغات العربية : (AREBI) في الأكدية . و (العرب) في العربية . و (عبريم) في العبرية . و (أربايا) في الآرامية . علما للعرب .

ومعنى هذا أن العربية والعرب وموطن العرب ذكر بكل اللغات أو اللهجات الأخرى على مختلف اللغات وعند المؤرخين . وفي الكتب المقدسة

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : ج/١ ، ص/١١٨ .

(٢) سفر أشعيا : ١٣/٢٠ . (٣) سفر أرميا : ٢٥/٢٤ .

اللغة العربية ، يقول : « أما الذي نؤثره ، ونستند في إيثاره على الأصول المعقولة ، فهو تغليب كلمة (العربية) على كلمة (الفينيقية) أو كلمة (السامية) على اختلاف مدلولاتها ، حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديم ، أو على الأصح من تاريخ تلك اللهجات - كما ينبغي أن تسمى في ذلك الحين - ، لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرنا لهجات تتفرع على أصل واحد قديم » (١)

فربما كانت اللغة السامية المندرجة تحت هذا الاسم لهجات للغة العربية القديمة ، لأن ما اكتشف من لغات في جنوب الجزيرة العربية ، وفي غربها الشمالي ، ودراسة المقارنات دلت على ذلك ، وتقول الدكتورة باكزة حلمي : بأن ذلك ثبت بالدليل القاطع (٢) .

ويرجع ذلك إلى حيوية العربية ومرونتها ومقدرتها على استيعاب وهضم ما يدخلها من طارئ ، وما يصادفها من غريب ، تخضعه لقواعدها دون أن يصيبها خلل أو فساد ، لعراقتها .

بل إن التاريخ يثبت اسم العربية وأرضها منذ أقدم العصور للقبائل البادية الغربية المتاخمة لحدود بلاد آشور :

= « فيذكر نص أشوري (٨٥٤ سنة قبل الميلاد) في عهد الملك شلمناصر الثاني ، أن مشيخة للعرب (AREBI) كانت مصدر قلق دائم لهم على الحدود الغربية » وتاريخ هذا النص يسبق تاريخ تدون التوراة ، الذي بدأ في القرن الثامن ق. م. واستغرق إنجازه ثلاثة قرون .

----

(١) أشتات مجتمعات ، للأستاذ العقاد : ص/٢٤ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد/٢٤ سنة ١٩٧٤م .

حفائر (تل مرديخ) ، وفاقت أيضًا ما عثر عليه من نصوص البحر الميت باللغة العبرية ، والتي يعدها اليهود من أهم وأقدم الوثائق التاريخية الإسرائيلية .

وترجع ميزات كشوف (إيبلا) على ما عداها ، بكثرة نصوصها التفصيلية ، التي ألقت الضوء على حضارة المنطقة ، وكذلك المنازعات والحروب التي كانت بين مملكة إيبلا وجيرانها ، وسبب الصراع يرجع إلى التنافس على التجارة ، والحصول على المعادن المستخرجة من الأناضول ، وتجارة الخشب من غابات الساحل السوري ..

وعلى الجملة نجد أن استقراء نصوص (إيبلا) دلت على حضارة عامة ، وحضارة إنسانية رفيعة لهذه الدولة التي كانت تأوى الغريب وتحميه ، وتهبه كل حقوق المواطن ، ودلت على السمات الأساسية لتراثنا العربي ، والمعتقدات السابقة .. والشئ الكثير عن الأساطير و (الفولكورية) والأفكار التي لم نتوصل إليها إلى اليوم على مستوى العالم العربي .

ذكر العرب والعربية في اللغات السامية :

في الخمسين سنة الأخيرة ، التي أجرى فيها علماء اللغات أبحاثهم ومقارناتهم على لغات الجزيرة العربية، القديمة .. توصل الباحثون إلى أن اللغة العربية لا العبرية هي أقدم هذه اللغات تاريخًا ، وأكثرها احتفاظًا بكل الخصائص اللغوية القديمة ، التي فقدت معظمها لغات الجزيرة الأخرى ، في المرحلة التاريخية الثانية ، على إثر تطورها وتأثرها باللغات المجاورة الغربية .

ويرجح الأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد ، أن العربية هي أصل الساميات ، وأن ما نعده من الساميات كان لهجات للأم والأصل الواحد وهو

من مفردات سامية تطورت إلى اللغة الكنعانية ، التي جاءت منها العبرية القديمة ، وكذلك الأبجدية الفينيقية ..

= و مما يلفت النظر : أن الكثير من مفردات لغة أهل (إيبلا- ٢٢٥٠) قبل الميلاد، لا تزال حية في لغتنا العربية حتى الآن ، مثل : كتب ، ملك ، يد ، حية ، كلب ، رأس ، حنس ، مسمار ، بعل ، عين ، جور ، ضلع ، شعر ، أنثى .. إلخ (١) .

كما تضمنت هذه اللوحات أفكارًا رئيسية عن خلق الإنسان ، وخلق المرأة من الضلع ، وذكر الحية ، والطرد من الفردوس .. إلخ .

وتضمنت أسماء المئات من المدن ، مع بعض تحريفات فيما نتداوله وننطق منها اليوم ، مثل : (أرمان) أو أرمينيا ، في روسيا اليوم ، و (إيما) أي حمص في سوريا ، و (إيماء) أي حماة ، و (ديمشكي) أي دمشق ، وجبيل أو بيبلوس بلبنان ، وقطنة ، وأوغاريت أو رأس الشمرا بالقرب من اللاذقية الحالية الساحلية في سوريا (٢) .

= وأفادتنا كشوف رأس الشمرا ، التي كشفت عام ١٩٢٩م كثيرًا من النصوص التي بينت جوانب كثيرة من جوانب الحضارة ، والمعتقدات للشرق الأدنى القديم ، لقبائل وممالك العرب البائدة ، مثل : عاد ، وثمود (أو سدوم وعمروني) وأسدود ، والعماليق ، وعرفات ، وجرهم ، وكذلك الكثير عن التراث الأسطوري السامي ، والعبري والعربي .

إلا أن كشوف (إيبلا) فاقت هذه الكشوف ، وكذلك ما عثر عليه في

---

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د/محمود فهمي حجازي : ص/٥٢ .

(٢) صحيفة العرب بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٨٢م .

لحضارتنا العربية .

كما حفظ لنا كنزا تاريخيا أثريا ، تضمن الأصول الأولى للغة العربية وآدابها وأساطيرها وملاحمها ، وسيرها محفوظة بالخط المسماري على ألواح من الطين - حولها الحريق إلى فخار - شبيهة بألواح تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في كتاتيبنا إلى اليوم . وقد وصل عددها إلى أكثر من سبعة عشر ألف نص ، والبقية تحت الدراسة والبحث (١) .

وقد أحدثت هذه الكشوف ضجة علمية عالية في القرن العشرين ، وألقت أضواء على مملكة (إيبلا) أو قبلة ، نسبة إلى تقديس هذه المدينة أو هذه المدن التي كانت تطلق على يمين قبلة بلاد الشام .

وقد أطلق العلماء على المخطوطات المسمارية : البابلية والأشورية بلغات بابل وآشور اسم (اللغة الأكدية) .

وفهم من هذه الكشوف كثير من النصوص الأدبية ، والأسطورية ، وأصول المعتقدات والمقدسات ، والجغرافية والتنظيمات الإدارية ، والمراسلات بين الملوك والحكام في تاريخ الشرق الأوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، وهي الفترة التي تعاصر أواخر الدولة القديمة ، وعصر بناة الأهرام في مصر .

كما كشفت عن الحياة الاجتماعية والطبقية والتعليمية ، ومحو الأمية ، ونظم المدارس والتربية ، وتضمنت بعض اللوحات قوائم معجمية لمفردات لغوية شبيهة بالمعاجم الموسوعية في أيامنا ، وما نسميه بالمعاجم المزدوجة : فقد تألفت من مفردات سومرية ، مع ما يقابلها في لغة (إيبلا)

----

(١) صحيفة العرب في ١٩٨٢/١٢/٢٠م - بتصرف - .

بلبنان) واكتشافات (رأس الشمرا) بالقرب من اللاذقية عام ١٩٢٩م ، والتي ترجع نصوصها و وثائقها إلى الألف الثاني قبل الميلاد .

كما تم اكتشاف حفائر ونصوص (إيبلا السورية) في السنوات الأخيرة ، بمدينة إيبلا ، أو القبلى القديمة ، والتي ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، وعثر في هذا الاكتشاف عما يزيد عن ١٦٫٠٠٠ لوحة مسمارية (وهي كتابات في الطين تشبه الأسفين) ، وقد كشفت أوجهاً كثيرة من الحياة في ذلك الوقت في تلك المنطقة .

= وذكر عالم فقه اللغة (جيوفاني بتينانو) خلاصة دراسة هذه الألواح ، بأنها تصف إيبلا (١) بأنها كانت دولة صناعية في المقام الأول وإلى حد بعيد ، وأن اقتصادها اعتمد على المنتوجات الصناعية والتجارة الدولية ، قبل أن يعتمد على الزراعة وتربية الحيوان ، وأنهم كانوا على دراية بالشئون الإدارية .

كما أشارت هذه المكتشفات إلى نصوص أسطورية و (فلكلورية) ، وحروب شبت في المنطقة قديمًا .

والظريف : أن هذه الكشوف حفظها حريق تاريخي هائل ، أضرمه أحد ملوك العراق المغيرين منذ خمسة آلاف عام في قصر ملكي ، فدمر الحريق القصر ، ولكنه شوى - في نفس الوقت - اللوحات ، وحفظ كتاباتها ، ونصوصها ، وأحالها إلى لوحات ارتوازية أو فخارية متينة ، تتحدى الزمن والكوارث ، وأصبحت تعد اليوم من أهم مكتشفات الجذور السامية الأولى

---

(١) مجلة (استيقظ) التي تصدرها جماعة شهود يهوه ، والتي تطبع قرابة التسع ملايين نسخة من كل عدد ، المجلد/٦٥ سنة ١٩٨٤م ، وتصدر بـ ٥٢ لغة .

الدراسة التاريخية السابق ، لبيان المراحل التي مرت في البحث وما شملت من لغات . وبالتالي لمجالسة القرابة فيما بينها ، والسمات المشتركة التي تربط بينها قربا أو بعدا .

العربية والحفائر الأثريـــة :

تاريخ لغة ما والعلم بها يبدأ من أقدم مدوناتها ويدلنا على بدئها ونشأتها وليس قبل ذلك . وقد كشف المنقبون في الجزيرة العربية عن حفائر أثرية ، أزاحت غموض جوانب من اللغات السامية عامة ، والعربية خاصة .

وحاول علماء اليهود استغلال الكشوف الأثرية - كالعادة - لصالحهم ، وإدعاء أن العبرية أقدم وأكمل اللغات السامية ، ولكن الواقع لا يؤيد ذلك ، كما سنرى فيما بعد :

= ففي صيف عام ١٩٤٧م عثر أحد الرعاة على سبع لفائف من النصوص المدونة بالعبرية القديمة ، بالقرب من البحر الميت ، داخل أحد الكهوف المهجورة .

و واصل الحفائر من اليهود في المنطقة (الأركيليجيون) بقيادة عالم الساميات (جون الليجرو) وأجرو الأبحاث ، وفك رموز الكتابات والمحتوى بواسطة المختصين (١) .

وتوفرت النصوص بعدئذ ، وعكف المختصون على دراستها في كثير من المواصم العربية فيها اكتشافات (بيبلوس ، أو جبيل الفينيقية

----

(١) مقال للدكتور شوقي عبد الحكيم ، بصحيفة (العرب) التي تصدر بلندن ، بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٨٣م .

والسبئية ، و الحضرمية ، و القتبانية ، و اللحيانية ، و الثمودية ، والصفوية .

دلت الدراسات على أن هذه اللغات جميعها : قديمها وحديثها ، وشرقيها وغربيها وجنوبها كانت قد نشأت في بيئة جغرافية واحدة ، ونمت في ظروف مناخية وحياتية واحدة ، بل وفي موطن معين وجع العلماء أنه جنوب الجزيرة نفسها ، كما ذكرت الدكتورة باكزة حلمي في بحثها (١) .

وقد أثبتت كل الدراسات التاريخية والبشرية واللغوية على أن الجزيرة العربية كانت موطنا لقبائل بدائية لا حصر لها ، تتصف جميعا بخصائص عرقية متشابهة ، تجعل منها فروعًا لأصل واحد ، ومن لغاتها أثبتت الدراسات اللغوية المقارنة وجود صلات وثيقة وقديمة بين قواعدها وأصولها لهجات لغة واحدة ، الأمر الذي دفع العلماء إلى تصنيفها في : (أسرة لغوية واحدة) ، و جعل (شلوتزر) يختار لها (السامية) علماً ، وتصبح كذلك في دراسات علماء أصول اللغة وكتاباتهم :

وعلماء اللغات يقسمون لغات الجزيرة العربية إلى ثلاث مجاميع ، هي :

١ - المجموعة الشرقية ، وتشمل البابلية والأشورية .

٢- والغربية ، أو الشمالية الغربية ، وتشمل : الكنعانية ، والعبرية والآرامية .

٣- والجنوبية ، أو الجنوبية الغربية ، وهي : العربية والحبشية .

وهذا التقسيم جغرافي ، وبعض الباحثين لا يرتضيه ، ويفضل تقسيم

---

(١) لغات الجزيرة العربية ، مجلة المجمع العلمي العراقي : المجلد/٢٤ سنة ١٣٩٤هـ : ص/١٧٤-١٧٥ .

وخلصة لما ثبت أن اللهجات البدائية لشعوب الجزيرة العربية كانت مرتبطة بروابط تجعل منها وحدة لغوية إلى جانب الوحدة العرقية ، وبحكم البيئة والنشأة ، جعلت من مجموعهم فروع أصل واحد (شعب) ، ومن لغاتهم لهجات (لغة) واحدة ، واللوم يقع على علماء العرب إذا لم يجدوا اليوم تسمية أخرى دقيقة .

ومن ثم اطمأن الباحثون إلى اليوم بأنه توجد -على وجه التأكيد - صلات لغوية وثيقة وقديمة بين لغات أو لهجات تلك القبائل القديمة ، تكون أصلاً واحدًا لفروع هذه الأسرة اللغوية الواحدة في السمات والملامح والخطوط العريضة .

والذي روّج لانتشار هذه التسمية وبقائها حتى اليوم : إن دراسة لغات الشعوب قديما كانت من التوراة ، وأن علماء اليهود قد تنبهوا إلى وجود صلات قوية بين العبرية وبين لغات شعوب الجزيرة العربية الأخرى ، وجاء اسم (سام) في التوارة مشجعا ومسعفا للمستشرقين - وجلهم من اليهود - فنسبوا المجموعة اللغوية كلها إلى السامية ، وأضفوا بالتالي على لغة التوراة قدسية الدين وحلال العلم ، وكمال (المعرفة) (١) .

وقد دلت الدراسات التي أجريت على قواعد جميع لغات الجزيرة العربية : المندثرة والحية ، كالبابلية ، والأشورية ، والأكدية ، والفينيقية ، والكنعانية ، والعربية ، والعبرية ، والآرامية منذ أكثر من قرنين ، ولغات جنوب الجزيرة وغربها منذ مطلع هذا القرن : كالأوغاريتية ، والمعينية ،

----

(١) راجع تاريخ اللغات السامية ، د/إسرائيل ولفنسون : ص/٣٧ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام د/جواد علي : ص/١١٦ ، ولغات الجزيرة العربية د/باكزة رفيق حلمي في بحث بمجلة المجمع العلمي العراقي : المجلد/٢٤ سنة ١٣٩٤هـ وغيرها .

دراسات وأبحاث :

العربية و الساميات و مهدها

سعادة الدكتور توفيق محمد شاهين

صنف علماء أصول اللغة لغتنا العربية تحت مجموعة اللغات السامية ، وقد أطلق العالم الألماني (شلوتزر Schlozer) سنة ١٧٨١م اصطلاح (اللغات السامية) على مجموعة من لغات الشعوب القديمة ، بعد ما قام بدراسة وأبحاث على هذه الشعوب ولغاتها ، للدلالة على ما بين لغات الشعوب التي ذكرت التوراة - على أنها من نسل سام بن نوح - عليه الصلاة والسلام - من قرابة لغوية ، على ما جاء في (سفر التكوين : الاصحاح العاشر) .

وعارض كثير من الباحثين المحدثين والمعاصرين هذا الاصطلاح ، لأنه بعيد عن الدقة والاصطلاح في نظرهم لأسباب ، منها :

= أن الدراسات اللغوية أثبتت فيما بعد : ان التوراة ذكرت أسماء شعوب لها لغات ولكن هذه اللغات لا تمتُّ إلى لغات شعوب الجزيرة العربية بصلة ، مثل الشعبين : العيلامي والليدي .

= وإنه أغفل ذكر الشعب الكنعاني بين أبناء هذه السلالة ، ولكن الدراسات اللغوية والعرقية أثبتت أنه ينتمي إلى السلالة نفسها ، وأن لغته تعد من أهم لغات شعوب الجزيرة العربية ، وأن لغات كثيرة في وقت شلوتزر - وخاصة اللغات الجنوبية - لم تكن قد اكتشفت بعدُ .

شلوتزر كان متسرعًا في نظر الباحثين في إطلاق هذه التسمية ، والواجب بعد أن تقدمت الدرسات اللغوية ، وعلم اللغة المقارن ، وجدت نتائج علمية دقيقة ، أن نبحث عن تسمية أخرى أكثر دقة و وضوحا ،

رواه الدارقطني و ابن حبان في الثقات و حسنه المنذري و صححه الحافظ (١) خروجه من حيز النكارة وكونه من قبيل لا أصل له إلى رتبة الضعيف الذي يقبل الجابر ، أي المرفوع ، ضعيف شديد الضعف لا يصلح للاحتجاج به في باب الفضائل فضلاً عن احتجاجه في باب الأحكام ، فاستفاد الجبران بموقوف عمر - رضي الله تعالى عنه - فصار برتبة الضعيف الذي يحتج به في الفضائل وفي الأحكام أيضًا عند بعض الأئمة ، فصلح لأن يحتج به ويستدل في هذه المسألة عند من يجوز ذلك بشروطه - والله تعالى أعلم - .

وليكن هذا آخـــــــــر الكلام

والحمد لله على حسن التمـــــام

والصلاة والسلام على سيد الأنـــام

وعلى آله و أصحابه و أتباعه الكرام

== == ==

---

(١) راجع للتفصيل ، فيما ورد في الماء المشمس ، (نصب الرأية : ١/١٠١-١٠٢) و (تلخيص الحبير : ١/٢٢-٢٣) (اعلاء السنن : ١/١٩٢-١٩٤) إلا أن صاحب اعلاء السنن اختار (إن هذه الكراهة طبية لا شرعية) وقال أيضًا : (إن المعتمد عندنا عدم الكراهية الشرعية وهو الصحيح عندي) (اعلاء السنن : ١/١٩٤) ، وانه ذكر في المسألة خلافًا وكلامًا في ما جاء في (رد المحتار : ١/١٢١) وجاء من قول الإمام الشافعي أيضًا في كتابه (الام : ١/٢) لا اكره الماء المشمس إلا من بجهة الطب .

الطبراني والدارقطني ، وروى موقوفًا عن عمر عند الدارقطني ، فينجبر الضعف فيه بتعدد الطرق وتعدد المخارج وتعدد الروايات ، وعلى الوهن والضعف في الأسانيد إن التعامل المتوارث بموجبه حجة لتصحيح الأحاديث في الباب ، فإن كان الإسناد به مجهولاً فالتعامل به معلوم وكفى بذلك دليلاً » (١) .

ولي أن أقول من الممكن تقرير مسألة « كراهة استعمال الماء المشمس » (٢) بناء على حديث عائشة وأنس وابن عباس مثالا لهذا الباب أي الاحتجاج بالضعيف غير شديد الضعف في الأحكام .

وذلك لأن المروي مرفوعا فيه ، كل ذلك ضعيف متصف بشدة الضعف ، لأن حديث عائشة ، مع أنه متعدد الطرق ، لكن جميع طرقه لا يخلو واحد منها عن متروك أو متهم بالكذب أو نحوهما ، وكلها تنتهي إلى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، أما حديث أنس فقال فيه العجلي : « فيه سوادة عن أنس مجهول وحديثه غير محفوظ » وحديث ابن عباس فيه انقطاع و « عمر بن صبح » وهو كذاب .

والحاصل ان المرفوع بجميع طرقه ، ضعيف شديد الضعف ، بحيث لا يستفيد بعضها ببعض آخر الانجبار والارتقاء من الضعف إلى الحسن والاعتبار ، إلا أنه يستفيد بموقوف سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه -

----

(١) (معارف السنن : ١٩٧/٢) .

(٢) « الماء المشمس » يريدون به الماء الذي يسخّنونه بالشمس بوضعه في الشمس واستعماله ، مكروهة عند الحنفية والشافعية (رد المحتار : ٨٥/١ و ١٢١ (اعلاء السنن : ١٩٢/١-١٩٤) (نهاية المحتاج : ٥٩/١) شرح ابن علان على (الأذكار : ٨٦/١) .

بنبيذ التمر على القياس وأكثر أهل الحديث يضعفه . وقدم حديث أكثر الحيض عشرة أيام وهو ضعيف باتفاقهم على محض القياس فإن الذي تراه في اليوم الثالث عشر مساو في الحد والحقيقة والصفة لدم اليوم العاشر . وقدم حديث : « لا مهر أقل من عشر دراهم » وأجمعوا على ضعفه بل بطلانه على محض القياس .. إلخ » (١) .

من أراد تصديق ما قلت بل ما ادعاه التهانوي فليراجع مواقع المسائل المذكورة ومظانها من « فتح القدير » لابن الهمام و « البناية » للعلامة العيني – وكلاهما شرحان على « الهداية » في الفقه الحنفي –و « السعاية » للإمام عبد الحي اللكنوي – وهو شرحه على شرح الوقاية – و « اعلاء السنن »

للشيخ ظفر أحمد التهانوي و « معارف السنن » أمالي الشيخ محمد أنور الكشميري مع زيادات وتهذيب الشيخ محمد يوسف البنوري وغيرها من الكتب التي تهدف فقه الإمام أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – :

وكذلك حال المسائل التي جاء ذكرها في كتاب اللكنوي « ظفر الأماني » وفي تعليقات الشيخ عبد الفتاح أبي غدة (٢) وقد نظرت فيها وسبرتها . واكتفى هنا بذكر قول العلامة الكشميري في حديث الترسل في الأذان » ومسألة الترسل في الأذان احدى المسائل التي ذكرها اللكنوي :

« وتنقّح من هذا كله أن الحديث ورد مرفوعًا من حديث جابر من طرق ضعيفة . ومن حديث أبي هريرة عند البيهقي . ومن حديث علي عند

----

(١) (اعلام الموقعين : ١/٢١-٢٢ .

(٢) (الأجوبة الفاضلة – التعليقات : ص/٤٤-٤٦) .

« الضعيف قسمان : ١- خفيف الضعف . ٢- شديد الضعف .

فشديد الضعف لا يقبل في باب الفضائل أيضًا فضلاً عن الأحكام ولو وجد له جابر من تعدد الطرق ، ومثله الموضوع ، وأما خفيف الضعف فإن وجد له جابر واستفاد به فهو الحسن لغيره وإلا فهو ضعيف محض ، إلا أنه له نوع صلاح للقبول والعمل به ، إذا لم يوجد في الباب سواه ولا يعارضه شئ أقوى منه أو مثله » .

٦- أمثلة من ذلك :

إني على رأي الذين يرون أن الضعيف عند المجوزين ، هو الضعيف الاصطلاحي عند المتأخرين ، غير شديد الضعف ، لكن مع تتبعي - وهو ناقص حقًا - للأمثلة لم أقدر على أن أقدم هنا شيئًا من ذلك ، وذلك لأني راجعت أمثلة ذكروها في هذا السياق ، وفي بادى النظر أن المسائل المذكورة مبنية على الاستدلال بالضعيف ، لكن الأمر ليس كذلك عند التفحص حتى فيما يدعيه ابن القيم الضعف إلى حد البطلان والوضع .

بل الواقع يصدق ما قال التهانوي وهو على صدد إثبات موقف الإمامين ابن تيمية وابن القيم من هذا الباب :

« إذا سبرت الأحاديث التي ذكرها ابن القيم مثالاً للضعيف الذي قدّمه أبو حنيفة على القياس ، وجدتها كلها حسانا إما في ذاتها أو لغيرها » (١) .

قال الحافظ ابن القيم : « قدم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس واجمع أهل الحديث على ضعفه . وقدم حديث الوضوء

---

(١) (قواعد في علوم الحديث : ص/٦٧) .

و كذا منه يتضح لنا :

« الذي يجوز به الاحتجاج في الأحكام من الضعاف ، هو ما يصح له ويجوز أن يستفيد بالجابر ويحصل له به من الانجبار والقوة ما يبلغ به رتبة الحسن لغيره لو وجد له ذلك ، فمثل هذا الضعيف إذا روى من وجه واحد وطريق واحد ، وبحيث لا يوجد له جابر مَّا ، جاز لنا أن نحتج به في الأحكام إذا لم نجد في الباب غيره ، ونقدمه على الرأي والقياس » .

مثل كل طريق من طريقين ، قال فيهما السيوطي :

« لابدع في الاحتجاج بحديث له طريقان ، لو انفرد كل منهما لم يكن حجة » (١) ، فالمنفرد والواحد مثل هذا ، هو الذي يجوزون الاحتجاج به هنا في باب الأحكام ، وقد تقدم ذكر ما يقبل الجبر ويفيده وما لا يقبله ويتقاعد عند الجابر ، كما تقدم تقسيم الأستاذ محمد أبو عوامه ، الضعيف إلى أربعة أقسام :

١ - الضعيف المنجبر .　　　　٢ - الضعيف المتوسط .

٣ - الضعيف شديد الضعف .　　　　٤ - الموضوع .

فالآخران لا نصيب لهما من ذلك لشدة ضعفهما وهما لا يستفيدان بالجابر قوة لقوة الضعف فيهما ، والثاني : هو الذي له نصيب وافر من باب الفضائل وهو الذي حَظي بالقبول عند بعض الأئمة في باب الأحكام ولو لم يوجد له جابر ، والثالث : هو الذي إذا وجد له جابر بتعدد الطرق ارتقى من نكارته وكونه من باب لا أصل له ، إلى الضعيف المتوسط .

ولنا أن نختصر ونجمل التقسيم فنقول :

----

(١) (التدريب : ١/١٦٠) .

وخلاصة القول إنما المراد بالضعيف في كلامهم هنا - أي في باب الأحكام - هو الضعيف المصطلح المعروف عند المحدثين ، لكن لا مطلقًا ، وسيأتي .

٥- أي الضعيف يُحتج به في الأحكام :

وبعد أن تحققنا من أن الإمامين أبا حنيفة وأحمد -رحمهم الله تعالى- إنما أرادا بالضعيف - الذي قالا فيه أنه يقدم على الرأي والقياس - الضعيف الاصطلاحي عند المتأخرين ، الذي هو أحد الأقسام الثلاثة المعروفة في كتب المتأخرين وكتب المصطلح اليوم ، وقد تقدم أن الضعيف المصطلح له أقسام كثيرة ، وبعضها مردود ومطروح بلا خلاف وهو الموضوع ، فعلينا النظر في أقسامه التي يصح بها الاحتجاج في الباب ويجوز لهم ولنا الاستدلال بها .

فالذي تبين لنا من نصوص بعض الأئمة والمحققين ، هو أن الضعيف المحتج به هنا ، هو عين الضعيف الذي جوّزوا الاحتجاج والاستناد به في باب الفضائل وله الشروط التي ذكروها هناك ، فقد قال اللكنوي :

« إذا لم يثبت ندب شئ أو جوازه بخصوصه بحديث صحيح و ورد بذلك حديث ضعيف ليس شديد الضعف ، يثبت استحبابه وجوازه به بشرط أن يكون مندرجًا تحت أصل شرعي ولا يكون مناقضًا للأصول الشرعية والأدلة الصحيحة » (١) .

هذا يبين لنا الاشتراط ، الذي ذهبوا إليه في باب الفضائل وفي اعتبار الضعيف في الأحكام أيضًا، ومن أهمها -أن لا يكون شديد الضعف -

---

(١) (الأجوبة الفاضلة : ص/٥٥) .

وآخر كلامه الذي جاء كالنتيجة عما بحث وحقّق :

« إن ظاهر كلام الإمام أحمد يشير إلى أن مراده بالضعيف ، الضعيف الذي لم تحقق فيه شروط القبول ، فإنه يريد أن الرأي لا يعتدّ به عنده ما دام نقل في المسألة نصّ ، ولو ضعيفًا فإن الضعيف خير من الرأى » (١) .

وذكر في تأييد قوله وما حققه ، ما رواه ابن حزم :

« عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سألت أبي عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه ، وأصحاب رأي ، فتنزل به نازلة ، من يسأل ؟ فقال أبي : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي ، ضعيف الحديث أقوى من الرأي » (٢) .

ومما بدأ به بحثه و هو الذي توصل إليه الأستاذ من تحقيقه في الأحاديث الضعيفة وأقسامها ، أنه قال :

« ينبغي أن يجعل الحديث الضعيف في هذا الباب أربعة أقسام :

١ - الضعيف المنجبر الضعف بمتابعة أو شاهد .

٢ - الضعيف المتوسط الضعف .

٣ - الضعيف الشديد الضعف .

٤ - الموضوع .

والظاهر إدخال القسم الثاني في مراد الإمام أحمد ، والإمامان يدخلان الأول فقط (٣) .

----

(١) (قواعد في علوم الحديث - التعليقات : ص/٦٦) .

(٢) (المحلي : ١/٦٨) (قواعد في علوم الحديث - التعليقات : ص/٦٦) (فتح المغيث : ص/٨٠) .

(٣) (قواعد في علوم الحديث - التعليقات : ص/٦٢ ، ملخصا بتغيير .

وقد بحث الشيخ الأستاذ أبو عوامه ، فيما ادعاه الشيخان ابن تيمية وابن القيم - عليهما الرحمة -واختاراه ، وقد جاء بحثه تماما ، كافيا و وافيا ، في تعليقات شيخنا عبد الفتاح أبي غدة ، مع زيادات منه -حفظه الله - على كتاب « قواعد في علوم الحديث » وناقش الشيخ الأستاذ ادّعاء أن التقسيم الثلاثي والحسن الاصطلاحي والضعيف الاصطلاحي اليوم ، إنما ظهر ذلك وعرف فيما بعد الترمذي ، وقال صاحب فتح الملهم العلامة شبير أحمد العثماني :

« يبعد حمل الضعيف في كلام الإمام أحمد على الحسن ، كما حمله الحافظ ابن تيمية في « منهاج السنة » فإن سياق كلامه على ما نقلناه لا يلائمه ، كما ذكر هو بعد ذلك في حمل قول الحنفية عليه أيضًا » (١) .

وكلام الأستاذ أبو عوامه في البحث على نحو ما تقدم من هذا العبد قبل اسطر ، وحاصل نقضه لدعوى الإمامين ابن تيمية وابن القيم ومن تبعهما .

« إن اصطلاح الحسن كان معروفًا لدى المتقدمين من المحدثين من شيوخ الترمذي ومن قبلهم ، حتى حفظ من الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد أيضًا » (٢) .

فإذا ثبت ذلك فادعاء الإمامين بناء على الفاسد فهو منتقض أيضًا ..

---

(١) (فتح الملهم : ١/٢٩) وجاء نحو من ذلك من كلام السخاوي في (فتح المغيث : ص/٨١) .

(٢) ونقله السيوطي عن العراقي ، وعن الحافظ أنه قول الأكثر ، أو الذي استقر اتفاقهم عليه بعد الاختلاف (التدريب : ١/٦٢) .

بذلك حـــــــديث ضعيف ليسّ شديد الضعف . يثبت استحبابه به وجوازه » (١) . ثم ذكر شروط ذلك ويدل عليه لفظ الإمام النووي أيضًا في « الأذكار » فإنه ذكر الجواز في فضائل الأعمال ونفي الاعتبار فيما سواها . ثم قال :

« أو كان في موضع احتياط كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الأنكحة » (٢) .

وهو الذي يرد عليه الإيراد الذي سبق ذكره والجواب عنه . وإلا فإن الحسن - بقسميه الحسن لعينه والحسن لغيره - حجة عند الجمهور لا خلاف في ذلك عندهم إلا شذوذًا . فكما ان « الصحيح لغيره » يرتقي من الحسن إلى الصحة و ينـــال رتبة بين « الصحيح لذاته » و « الحسن لذاته » فكذلك الحسن لغيره وهو الضعيف الذاتي . الحسن الخارج . يرتقي من الضعف إلى درجة الحسن وينال رتبة بين « الحسن لذاته » و « الضعيف الذاتي » .

فإذا كان الأمر كما حقق الأعلام فما اختصاص من خالف في ذلك وامتيازهم عن غيرهم . وما الذي ارتكبوه حينئذ حتى يرد عليهم مثل ما اضطر إلى الجواب عنه القاضي عياض وغيرهم .

----

(١) (الأجوبة الفاضلة : ص/٥٥) .

(٢) (الأذكار : ص/٥-٦ . إلا ان البعض على التفصيل الذي تقدم من ابن القطان المغربي في الفقرة : ص/٧ . بيـــــان قرائن تفيد الضعيف الانجبار . واستحسنه الحافظ كما جاء في (النكت : ص/٤٠٢) وذكره السخاوي واختاره وذهب إلى أن عليه النووي أيضًا (فتح المغيث : ص/٦٨) .

نحو ما ذكرا ، وقال :

« أما الضعيف بالاصطلاح المشهور ، أي ما لم يجمع شروط القبول ، فليس مرادًا كما نقله ابن العربي عن شيخه ، وهو حسن ، به يندفع ما ذكر الكلام في هذا الإمام » (١) .

ونقل عن الزركشي أن مراد الحنفية ، أيضًا فيما نقله ابن حزم عنهم ، بالضعيف هو هذا ، أقول وهذا الذي اختاره التهانوي وذكره مرارًا وبحثًا وتحقيقًا ، فقال في موضع :

« وبالجملة فالمراد بالضعيف في كلام أصحابنا ، أن الحديث الضعيف مقدم على القياس » ، ما يسميه المتأخرون ضعيفا في ذاته ، حسنًا لغيره إذا تأيّد بالشواهد ونحوها ، وإذا سبرت الأحاديث التي ذكرها ابن القيم مثالاً للضعيف الذي قدمه أبو حنيفة على القياس وجدتها كلها حسانًا إما في ذاتها أو لغيرها » (٢) .

لكن الظاهر ، من بيان خلاف الإمامين اهتماما ومن إطلاق العبارات وسياقها ، وقد تقدمت :

أن المراد بذلك عند الحنفية والحنابلة هو « الضعيف المعروف المصطلح عند القوم في المتأخر من الزمان » والذي اعتبره الجمهور و وقع عليه الاتفاق عندهم في باب الفضائل ، ويبدو إليه ميلان العلامة اللكنوي فإنه قال :

« إذا لم يثبت ندب شئ أو جوازه بخصوصه بحديث صحيح و ورد

----

(١) (الأجوبة الفاضلة - التعليقات : ص/٤٧ من (شرح ابن علان : ١/٨٦ .

(٢) (قواعد في علوم الحديث : ص/٦٧ .

الصحيح ، وهو في ذلك من المتناقضين الذين يرجحون الشئ على ما هو أولى بالرجحان منه إن لم يكن دونه (١) .

وأوضح من هذا قوله في موضع آخر :

« كان في عرف أحمد بن حنبل ومن قبله من العلماء ، أن الحديث ينقسم إلى نوعين صحيح وضعيف ، والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به ، وإلى ضعيف حسن ، وأول من عرف أنه قسم الحديث ثلاثة أقسام ، صحيح وحسن وضعيف ، هو أبو عيسى الترمذي ، والحسن عنده ما تعددت طرقه ولم يكن في رواته متّهم بالكذب و ليس بشاذ ، فهذا الحديث وأمثاله يسميه أحمد ضعيفا ويحتج به ، و لهذا مثل أحمد الحديث الضعيف الذي يحتج به بحديث عمرو بن شعيب وحديث إبراهيم الهجري ، ونحوها ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد « غلِط عليه » (٢) .

وإنما أراد - رحمه الله تعالى - بالضعيف المتروك الحديث الضعيف ، شديد الضعف ، الـذي لا انجبار له و لا يفيده جابر قوة و ارتقاء من الضعف ، وقريب بما ذكرت ونقلته عن شيخ الإسلام ، قول تلميذه ابن القيم في بيان مذهب الإمام أحمد وبيان مذهب الإمام أبي حنيفة أيضًا (٣) وتبعها ابن علان في شرح « الأذكار » فذكر في بيان مذهب الإمام أحمد

---

(١) (منهاج السنة النبوية : ٢/١٩١ ، ونقله الشيخ عبد الفتاح في تعليقات و في (الأجوبة الفاضلة : ص/٤٧ .

(٢) (قواعد في علوم الحديث - التعليقات : ص/٦١-٦٢) ، من (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : ص/٨٢-٨٣) ، وهو في (الفتاوى : ١/٢٥١) .

(٣) (إعلام الموقعين : ١/٢٦-٧٧ .

بين الضعيف والموضوع من الأحاديث

[الحلقة الثانية عشرة الأخيرة]

فضيلة الشيخ عبيد الله الأسعدي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية – هتورا – باندا (الهند)

٤- ما هو المراد بالضعيف المعتبر في الأحكام :

الضعيف الذي يعتبره الإمام أبو حنيفة و أصحابه . والإمام أحمد وأتباعه في الأحكام . فما هو ذلك الضعيف ؟ وما يريدون به ؟ الذي ذكره الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحققاه واختارا . وتبعهما في ذلك عامة من جاء بعدهما .

« هو ان المراد به الحسن أو الحسن لغيره أي الضعيف المنجبر » . قال شيخ الإسلام في « منهاج السنة النبوية » :

« قولنا إن الحديث الضعيف خير من الرأي . ليس المراد به الضعيف المتروك . لكن المراد به الحسن . كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وحديث إبراهيم الهجري . وأمثالهما . ممن يحسن له الترمذي حديثه أو يصححه .

وكان الحديث في اصطلاح من قبل الترمذي . إما صحيحًا وإما ضعيفًا . والضعيف نوعان . ضعيف متروك وضعيف ليس بمتروك . فتكلم أئمة الحديث بذلك الاصطلاح . فجاء من لا يعرف إلا اصطلاح الترمذي فسمع قول بعض الأئمة :

« الحديث الضعيف احب إلي من القياس » فظن أنه يحتج بالحديث الذي يضعفه مثل الترمذي وأخذ يرجح طريقة من يرى أنه اتبع للحديث

المحدث مير سيد مبارك في نمو وازدهار الحديث في هذه الأسرة النبيلة .
يقول غلام علي آزاد : « إن علم الحديث وجد في قطب المحدثين مير سيد مبارك البلگرامي ركنًا يستند إليه » . [مآثر الكرام : ج/١ ، ص/٩]

وذاع صيت العلامة مير سيد عبد الجليل في عصر الملك عالم كبير ، وظل في صعود حتى أيام محمد شاه . وكان في أيامه الأخيرة كاتب الأخبار في بلدة بهكر الواقعة في السند ، حيث وجد نسخة لصحيح البخاري ، وبعد انفصاله من منصبه قضى هناك ستة أشهر ، يشتغل فيها بنقل نسخة البخاري ، ولد سنة ١٠٧١هـ وتوفي في ١١٢٨هـ .

وتربى على العلامة مير عبد الجليل العلامة غلام علي آزاد البلگرامي وأخذ عنه علم الحديث والسير ، وكان ابن بنته ، يتحدث عنه فيقول :

« أخذت الحديث والسيرة النبوية الشريفة واللغة والأدب عن جدي وأستاذي ، صاحب الفضيلة العلامة مير سيد عبد الجليل البلگرامي » .

وسافر إلى جزيرة العرب سنة ١١٥١هـ ، للمزيد من الاستفادة ، فقرأ البخاري على الشيخ حياة السندي ، وأخذ عنه الإجازة في كتب الصحاح الستة . [مآثر الكرام : ج/١ ، ص/١٦٢]

و وضع شرحًا على البخاري باسم « ضوء الدراري » لم يتمكن من إتمامه ، وقد اطلع النواب صديق حسن خان على نسخة لكتاب « ضوء الدراري » مكتوبة بخط المؤلف ، ونقل من مقدمة الكتاب عبارة في كتاب « الحطة في أخبار الصحاح الستة » الأمر الذي يدل على أن العلامة غلام علي آزاد كان قد بدأ تلخيص ، « إرشاد الساري » للعلامة القسطلاني ، بقدر ما كان يدرسه كل يوم ، وذلك حينما سافر إلى المدينة المنورة سنة ١١٥١هـ وبدأ يدرس البخاري ، وعثر على شرح العلامة القسطلاني ، لكن تلخيصه لم يتجاوز كتاب الزكاة .

[الحطة في أخبار الصحاح الستة للنواب صديق حسن خان : ص/٩٧] .

القضاء ، ولكنه أبى ، وتوفي سنة ١٠٥٦هـ .

[تاريخ علماء الهند : ص/٥٤]

ويجدر بالذكر من تلاميذ ملا حيدر « بابا داؤد المشكاتي » وهو درس عليه العلوم العقلية ، إلى جانب الفقه والحديث والتفسير ، وكان له شغف زائد بالحديث ، حتى حفظ المشكاة ، ولذلك لقب بالمشكاتي ، و له كتاب : « أسرار الأبرار » في أحوال علماء ومشايخ كشمير وأقوالهم ، وتوجد نسخة خطية منه في (مكتبة دار المصنفين بأعظمجراه) ويشير الكتاب إلى بعض الأحاديث من صحيح البخاري وغيره من دواوين الحديث ، ضمن المسائل الواردة فيه ، توفي صاحبه سنة ١٠٩٧هـ .

[تاريخ علماء الهند : ص/٦٠]

وكان من تلاميذ الشيخ نور الحق نجل الشيخ عبد الحق الدهلوي الفضلاء ، المحدث مير سيد مبارك البلكرامي ، الذي لازم شيخه ينهل من منهله حتى برع في الحديث وأصبح علما من أعلامه ، وقد لقبه صاحب « مآثر الكرام » بقطب المحدثين ، وكتب عنه يقول : « أقام في بيت الشيخ نور الحق بن الشيخ عبد الحق ، طوال مدة إقامته في دلهي ، وأخذ منه الحديث واكتسب براعة كاملة في هذا العلم وظل مشغولا بخدمته مدى الحياة ، وذاع صيته كمحدث في الآفاق ، ولذلك لقبه بقطب المحدثين في هذا الكتاب » .

و فرغ من التحصيل سنة ١٠٦٤هـ ومنذ ذلك الحين اشتغل بتدريس العلوم ، وخاصة الحديث ، وقضى حياته كلها في أداء هذه الخدمة الجليلة ، وكان آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، لا يخاف في ذلك لومة لائم حتى كان يهابه الحكام والأمراء ، توفي سنة ١١١٥هـ .

واشتهر من تلاميذه مير عبد الجليل البلكرامي ، والفضل يرجع إلى

منصب القضاء في بلدة (أكرا) أيام الملك شاهجهان ، وتوفي سنة ١٠٧٢هـ.

كان من أبناء الشيخ نور الحق الدهلوي الحافظ فخر الدين الذي توارث علم أبيه ، وأكمل كتابه « منبع العلم » ويوجد هذا الشرح في مكتبة خدا بخش بتنا ، كما وضع شرحًا على « الحصن الحصين ». [حدائق الحنفية]

وعاش شيخ الإسلام نجل الحافظ فخر الدين ، أيام محمد شاه ، وألف شرحًا فارسيًا للبخاري ، ورسالتين « طرد الأوهام عن أثر الإمام الهمام » و « كشف الغطاء عما لزم للمولى عن الاحياء » وكان قد أخذ الحديث من أبيه . وطبع شرحه للبخاري على حواشي « تيسير القارئ » باسم : « شرح شيخ الإسلام » .

وخلف شيخ الإسلام نجله سلام الله ، الذي انتقل من دلهي إلى رامفور ، واشتهر بالمحدث الرامفوري . وله كتاب « المحلي » شرح « المؤطأ » ألفه سنة ١٢١٥هـ . وترجم « صحيح البخاري » و « شمائل الترمذي » بالفارسية . وصنف رسالة بالعربية في أصول الحديث . وتوفي عام ١٢٢٩هـ . [خزينة الأصفياء للمفتي سرور اللاهوري : ص/٦٢٨]

وهؤلاء المحدثون من أسرة الشيخ عبد الحق الدهلوي . وهناك سلسلة لتلاميذه البارعين ، ومنهم الشيخ معين الدين بن خاوند محمود المتوفى سنة ١٠٥٢هـ ، درس الحديث والفقه والتفسير والأصول على الشيخ عبد الحق . وألف كتابًا يعرف « بكتاب رضواني ». [نفس المصدر: ص/٦٤٢]

ومن تلاميذ الشيخ عبد الحق الدهلوي ملا حيدر الكشميري الذي استفاد - أولا - من علماء وطنه أمثال ملا جوهر نات . والشيخ قطب الدين ثم قصد دلهي ، وتلمذ على الشيخ عبد الحق ، وأكمل دراسة التفسير والحديث والفقه ، وعاد إلى وطنه ، حيث اشتغل بالتدريس وإفادة الخلق ، والدعوة والإرشاد ، ورغم أن حاكم كشمير ضغط عليه أن يقبل منصب

لابن القيم ، وتوفي سنة ١٠٥٢هـ .

جوهر نات الكشميري :

كان من معاصري الشيخ عبد الحق الدهلوي مسلم جديد محدث اسمه جوهر نات الكشميري الذي قصد الحجاز ، بعد إكمال دراسة العلوم العقلية ، في مدرسة السلطان قطب الدين ، وأخذ إجازة الحديث عن الحافظ ابن حجر المكي ، والملا علي القاريْ الهروي ، وكان ينسج الشال ، ويدرس العلوم الإسلامية ، وخلف عددًا من تلاميذه النجباء ، وتوفي سنة ١٠٢٦هـ .　　　[تذكرة علماء الهند : ص/٤٨ ، وأسرار الأبرار]

الشيخ محمد قاسم :

كان الشيخ محمد قاسم من السند سافر إلى جزيرة العرب ، وبرع في علم الحديث ، حتى لقب برئيس المحدثين ، وتوفي هناك وسكن أولاده في برهانفور ، وتوارث علمه نجله الشاه محمد عيسى جند الله ، ثم حفيده باما فتح محمد البرهانفوري .　　　[المصدر السابق : ص/١٦٠]

سلسلة الشيخ عبد الحق الدهلوي :

في أيام السلطان أورنگ زيب عالم كبير قام لفيف كريم من أبناء وتلاميذ الشيخ عبد الحق النجباء بنشر علم الحديث ، وقد خلف الشيخ نجله الشيخ نور الحق الدهلوي ، الذي كان قد تلقى الحديث من أبيه ، وظل مشغولاً بخدمة هذا العلم مدى الحياة ، وبايع الشيخ خواجه محمد معصوم ، و وضع شرحًا فارسيًا وافيًا على البخاري ، يعرف « بتيسير القاريْ » في عدة مجلدات ، طبع ونشر سنة ١٣٠٢هـ ، من المطبعة العلوية بلكناؤ ، بعناية أمير من أمراء تونك ، كما وضع شرحًا على المؤطأ للإمام مالك ، عثرت عليه في (مكتبة خدا بخش بتنا) ، وكان قد بدأ تأليف كتاب « منبع العلم » شرح صحيح مسلم ، ولكنه لم يتم ، وكان يشغل

علم الحديث في الهند

بقلم : العلامة السيد سليمان الندوي

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

تعريب : الأستاذ محمد حشمة الله الندوي

الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي :

برز في آخر أيام الملك أكبر محدث كبير قام بدور كبير في نشر العلوم الإسلامية ، خاصة في أيام الملك جهانگير ، وبذلك أصبحت دلهي عاصمة الحكومة المغولية مركزًا للعلوم الإسلامية ، وقد اعترف العلماء بفضله إذ قالوا : « هو أول من بث علم الحديث في الهند » .

وإن كان هذا القول لا يخلو من المبالغة في ضوء التاريخ الحديث ، ولكنه ليس بعيدًا عن الصدق والواقعية ، فكانت شخصية الشيخ عبد الحق قد وضعت أسس علم الحديث في الهند ، ونالت مؤلفاته القيمة التي تتصف بالأصالة والبحث والتحقيق إعجابًا وتقديرًا من العلماء الراسخين في العلم .

كان الشيخ عبد الحق تركي الأصل وُلد بدلهي في عام ٩٥٨هـ ، وتلقى العلوم على أبيه ، ثم شدّ رحله إلى مكة المكرمة ، وانتظم في حلقة الشيخ عبد الوهاب المتقي ، ودرس عليه كتب الصحاح الستة وبايعه ، وإن كتابه : « أخبار الأخيار » يدل على مدى حبه وإجلاله لشيخه ، وبعد عودته من الحجاز أقام في دلهي ، وألف أكثر من مائة كتاب ، منها كتابه : « اللمعات » شرحها بالفارسية ، و « مدارج النبوة » في السيرة النبوية ..و وضع شرحًا فارسيًا على « سفر السعادة » للفيروزآبادي ، يضاهي «زاد المعاد»

ومعنى ذلك ان السعادة الحقيقية لا تكون إلا بالإقبال على الله تعالى ، وأن العلاج الناجع لعلاج الضيق والحزن والفاقة والقلق ، لا يكون إلا بذكر الله تعالى ، وصدق معاملته ، ودوام ذكره وتذكره ، والإخلاص له ، والاجتماع عليه والفرار إليه ، ولو أعطى المرء الدنيا وما فيها فلن ينجع كل ذلك في سد ما يعانيه المرء من فاقة ، والفقر الحقيقي ليس الفقر من المال ، أو عدم وجود المال مع المرء ، ولكن الفقر فقر الإيمان والمعتقد ، فكلنا فقراء إلى رحمة الله تعالى وعونه ، ومعرفته حق المعرفة ولن نصل إلى ذلك إلا بالإقبال على الله .

والفطرة البشرية الأصيلة هي التي لا تجد سكينتها الحقيقية إلا في الاهتداء إلى الله سبحانه وتعالى والإيمان الحق به ، والالتجاء إلى رحابه أثناء الليل ، وأطراف النهار .

وإذا عرف الإنسان حقيقة العلاقة بينه وبين خالقه ، استقرّ ضميره ، واستقرّ الشعور بعلم الله للظاهر والمستور ، ومن ثم تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله في السر والعلن ، في المستور والظاهر ، ويعمل المرء كل ما يعمل بشعور المراقب من الله ، المراقب لله ، الذي لا يعيش وحده ، ولو كان في خلوة أو مناجاة ، فعلاقة الإنسان بربه علاقة مودة ومحبة ، وعبودية خالصة لله تعالى ، يملؤها الرجاء والخيرية والمناسبة لطبيعة هذا الإنسان وتكوينه كما في قوله تعالى :

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانيةً يرجون تجارة لن تبور • ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ [سورة فاطر ، الآيتان : ٢٩-٣٠] .

والله سبحانه تبارك وتعالى ولي التوفيق والهداية ، وهو بكل شئ عليم .

لا تبديل لخلق الله • ذلك الدين القيّم • و لكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [سورة الروم . الآية : ٣٠] .

وقال سبحانه : ﴿ الذي خلقني فهو يهدين • والذي يطعمني ويسقين • وإذا مرضت فهو يشفين • والذي يميتني ثم يحيين • والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ [سورة الشعراء . الآيات : ٧٨-٨٢] .

واهتداء الإنسان إلى فطرته السوية ليس كسبًا رخيصًا بل هو غنى عظيم ليس بعده ولا قبله غنى ، حيث يعيش الإنسان في سلام و وئام مع نفسه يسبح بحمد الله تعالى :

﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا ﴾ [سورة الإسراء . الآية : ٤٤] .

وستظل الفطرة الإنسانية تُحسّ بالتوتر والألم والقلق ، تحسّ بالجوع والظمأ حتى تجد الله الواحد الصمد ، وتؤمن به وتتوجه إليه ، وعندها تشعر بالاطمئنان ، بالأمان ، بالنقاء ، وتأمن الخوف .

في كتابه : [مدارج السالكين : ج/١ ، ص/٦٥] يقول العلامة ابن قيم الجوزية :

« في القلب شعث لا يلمّه إلا الإقبال على الله ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته ، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ، ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدًا » .

المتين • فإن للذين ظلموا ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون • فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ [سورة الذاريات ، الآيات : ٥٠-٦٠].

ويبين القرآن الكريم أن خلق العالم كله علوية وسفلية ، سماواته وأرضه ، لم تكن الغاية منه إلا أن يعرف الناس جيدًا ربهم القادر على كل شئ ، العالم العليم بكل شئ ، الذي لا تخفى عنه خافية حتى ولو كانت طرفة عين ، وهذه المعرفة هي باب كل هدى ومفتاح كل خير ، يقول المولى سبحانه وتعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما ﴾ [سورة الطلاق ، الآية : ١٢].

فكل ما في الكون خلق من أجل الإنسان ، والإنسان خلق لعبادة ربه الواحد الأحد العلي القدير ، وأداء أمانته في الأرض ، فهو سيد الكون الذي اختص دون غيره بعبادة ربه العلي العظيم ، قال تعالى : ﴿ أ لم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [سورة لقمان ، الآية : ٢٠].

وعند ما عرف الإنسان أن لحياته رسالة وغاية ، وأنه يسير على بينة من أمره وهدى من ربه ، وفطرته التي فطر عليها تطلب الإيمان بالله تعالى ، عرف الحقيقة التي خلق من أجلها ، وأضحى يعيش في سلام وأمن مع نفسه ، ومع الوجود الكبير من حوله .

قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها

يهتدون • أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون • وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ [سورة النحل . الآيات : ٢-١٨] .

والله سبحانه وتعالى صاحب النعم الجليلة العديدة التي لا تعد ولا تُحصى . يعرف نفسه لعباده بصفاته المتفردة ذات الأثر في حياتهم . و وجودهم . ويلمس بها مشاعرهم وقلوبهم وأحاسيسهم . فيثير رجاءهم وطمعهم في آنٍ واحد . كما يثير خوفهم وخشيتهم ويشعرهم بأنهم في قبضته لا مهرب لهم من تصريفه . بيده الأمر . وهو على كل شئ قدير .

قال الله تعالى : ﴿ حمٓ • تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ [سورة غافر . الآيات : ١-٢] .

وهكذا تتضح صلته سبحانه وتعالى بعباده وصلة عباده به . تتضح في مشاعرهم وتصوراتهم وإدراكهم فيعرفون كيف يعاملونه في يقظة . وفي حساسية . وفي إدراك لما يغضبه ويرضيه . [في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٥ . ص/٢٠٦٨] .

والإنسان مخلوق لحكمة أرادها خالقه وجهزه بجهازها . لم يخلقه كيفما اتفق . أو كنوع من العبثية . أو المصادفة . قال تعالى : ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين • ولا تجعلوا مع الله إلَهًا آخر إني لكم منه نذير مبين • كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون • أتواصوا به بل هم قوم طاغون • فتول عنهم فما أنت بملوم • و ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين • وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • إن الله هو الرزاق ذو القوة

عظمة الخالق سبحانه وقدرته عن طريق الانتفاع بما خلق الله لنا ، وهذه الرسالة التي أوتمن عليها تستلزم منه الوعي الكامل والتام بها ، وتستلزم أن يكون من الخبرة والفاعلية ما يمكنه من أدائها على الوجه الأكمل ، وقد أنعم الله تعالى عليه بما يحتاج إليه في هذا السبيل .

لقد منح الله آدم (الإنسان) القدرة على التعلم والانتفاع بكل ما تقع عليه حواسه حين منحه المعرفة التامة لخصائص الأشياء حيث علمه الأسماء كلها .

وأيضًا : ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون • خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين • والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون • وعلى الله قصد السبيل ومنها جائرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين • هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • يُنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقومٍ يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون • وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون • وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارًا وسبلاً لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم

علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى
وكيف تكون طريقًا للتوحيد والخيرية ؟

سعادة الدكتور يُسرى عبد الغني عبد الله

علاقة الإنسان بالله تعالى هي علاقة المخلوق بالخالق الأعظم ، علاقة الموجد بالموجود ، والمحتاج دائمًا وأبدًا إلى المعطى دون حدود ، من الله الرحيم المعطى تكون الرحمة ويكون العطاء ، ويكون الاستخلاف أيضًا ، وبهذا الاستخلاف أخضع الله تعالى للإنسان المخلوقات الأخرى ليتم انتفاعه بها كما ينبغي ، وتلك نعمة إلّهية أخرى أسبغها المولى سبحانه على الإنسان ، إذ سخرها له ، وأسلس قيادها لنفعه : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون • هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم • وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • قال إني أعلم ما لا تعلمون • وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلآء إن كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [سورة البقرة ، الآيات : ٢٨-٢٢] .

وحكمة خلق آدم واستخلافه تعنى تعمير الأرض ، تعنى التعمير بإشاعة الحب والخير والسلام في أرجائها ، والعمل بكل الطاقة على إظهار

أليّة لا أرجع حتى أفيدهن خيرًا أو أموت ، قال : فإنك لميت ، حل عقاله لا أمّ لك ، فقلت : ما هو إلا ما قلت لك ، فقال : إنك لمغرور ، انصب لي خطامه واجعل فيه خمس عجر – أي عقد – ، ففعلت ، فقال : أين تريد اضع سهمي ؟ فقلت : في هذا الموضع ، فكأنما وضعه بيده .

ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم ، فرددت نبلي ، وحططت قوسي ، و وقفت مستسلما فدنا مني وأخذ السيف والقوس ، ثم قال : ارتدف خلفي ، وعرف أني الرجل الذي شرب اللبن عنده ، فقال : كيف ظنك بي ؟

قلت : أحسن ظن ، قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك ، وقد اظفرك الله بي ، فقال : أترانا كنا نهيّجك وقد بتّ تنادم مهلهلاً – يعني والده – قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كن خير آخذ ، فقال : ليس عليك بأس .

ومضى إلى موضعه الذي كان فيه ، ثم قال : أمالو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل فأقم عليّ فإني على غارة .

فأقمت أيامًا ثم أغار على بني نمير فأصاب مأة بعير ، فقال : هذه أحب إليك أم تلك ؟ قلت : هذه ، قال : دونكها ، وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة ، فلقيني نبطيّ ، فقال : يا أعرابي ، أيسرك أن لك بإبلك بستانًا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قرب مخرج نبي يخرج ، فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى أن أحدهم ليتباع البستان من هذه البساتين بثمن بعير ، قال : واحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا جاءنا رسول الله ﷺ فأسلمنا ، وما مضت أيام حتى اشتريت بثمن بعير من إبلي بستانًا بالحيرة . [الأغاني : ج/١٦ ، ص/٤٧]

[illegible]

الوجداني مع الله ، لأن من صدق مع الله راقبة سبحانه في التفامل مع خلقه : فلا يبخس موازينهم ، ولا يطفف مكاييلهم ، ولا يتعيّن نقاط الضعف فيهم ، ولا يزكى بضاعة رديئة ، أو يختار أضعف الأصناف ، ليعلى قدرها عند من لا يدرك خصائصها ، أو يضاعف الأرباح لمصلحة شخصية ، كأن يغشهم بالرديّ ، بعد تلبيسه بالمظهر الجيّد ، كما جاء في قصة صاحب الطعام ، الذي وبّخه رسول الله -ﷺ- بقوله : « هلا جعلته في أعلا ، من غشنا فليس منا » .

وتفاؤلنا بأن يكون عامنا الجديد عام صدق في كل أمر من أمور الحياة ، هو إدراك لنقاط الضعف في التصرفات البشرية ، وأنّ تدارك هذا الأثر لا يتم إلا بتمثّل الصدق الوجداني ، الذي توجهه التقوى وترعاه مراقبة الله -عزوجل- في كل عمل : في السرّ والعلن ، حيث قرنت ذلك الآية الكريمة بهذا التوجيه : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وما ذلك إلا أن المشكلات مهما كانت لا يحل معضلها ، ولا يقضى على نقدها ، إلا ما رسمته تعاليم الإسلام ، التي جاءت من العليم الخبير بما يصلح أحوال البشر في كل عصر ومصر ، ومحور أعمالها التقوى التي هي قمة الإيمان .

زيد الخيـــــل :

ذكر الأصفهاني في الأغاني عند ما مرّ بسيرة هذا الفارس المشهور في الجاهلية والإسلام ، قال أخبر شيخ من بني نبهان قال : أصابت بني شيبان سنة ، ذهبت بالأموال ، فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريبًا من الملك يصيبكم خيره ، حتى أرجع إليكم ، وحلف يمينًا ألا يرجع إليهم ، حتى يكسبهم خيرًا أو يموت .

فتزوّد زادًا ثم مشى يومًا وليلةً ، فإذا هو بمهر مقيّد ، حول خباء فقال : هذا أول الغنيمة ، وذهب يحلّه ويركبه ، فنودي : خلّ عنه واغنم نفسك ،

خير تؤمر به ، أو شر تنهى عنه ، فإن أبناءه في كل مكان مدعوون إلى تسوخّى الصدق في سائر أعمالهم ، ولعلها تكون من ظواهر هذا العام الجديد ، ليكون سمة لتصرفاتهم ، وطريقة في تعاملهم : قولاً وفعلاً ، وسيجدون من النتائج المادّية ما يبرز أثره في محصّلاتهم : بركة من الله وربحًا ماديًا يهيئه سبحانه ، وتآخيًا إنسانيًا فيما بينهم ، وصفاء نفوس ومودة ، علاوة على ما يدّخره الله لهم من جزاء يجدونه عنده سبحانه ذخرًا في معادهم .

ولكي تتكون النتيجة ، يجب أن يبدأ كل واحد بتمثل الصدق في عمله وسلوكه ، والذي من مظاهره حسن التعامل ، ونقاء السريرة ، والمحبة للآخرين كمحبة النفس ، ولا شك مع هذا أن الأبوين عند ما ينشؤون أولادهم على الصدق ، ويطبعون تصرفاتهم بخاتمة ، بأنهم سيخرجون -بإذن الله تعالى- للمجتمع في المستقبل : رجالاً صالحين ، وأمهات مثاليات ، يرجى على أيديهم الخير للأمة ، والسعادة للمجتمع ، والتوجيه السليم البنّاء فيه .

وقد أدرك صحابة رسول الله -ﷺ- ذلك في منهجهم الصادق ، عند ما أخذوا تربيتهم من مدرسة النبوة ، فكانوا صادقين في أعمالهم ، وفي توجيههم وفي كل مقاصدهم ، حيث رسخ في أعماقهم دروسًا تلقوها عن رسول الله في الحث على هذه الخصلة ، وأهمية التمثل بها في كل موقف ، فكانوا نموذجًا فريدًا ، جـــذب الأمم لحظيرة الإسلام كما تواترت التوجيهات في مصدري التشريع الإسلامي : كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- في مجال التعامل بين الناس الذي مطيته الصدق ، لما في ذلك من أثر اجتماعي ، وحماية للضعفاء عن استغلال حاجتهم ، واحتكار سلعهم أو الكذب عليهم وغشّهم ، إذ كل خصلة ذميمة ، هي من منافاة الصدق

وتصديق بالجنان ، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

ولذا يرى المتعمق أن الإيمان بأركانه الستة يدور حول العلاقة الوجدانية ، لأن قول اللسان وحده لا يكفي ، إذا لم يكن المنبع وهو القلب مطمئنًا به ، ولا يصح أن يقول شخص إنني أومن بالله ، وهو في عمله يخالف أمره ، ويرتكب معاصيه ، ولا أنني أومن بالملائكة وهو يفرّق بينهم ، أو يتخذ بعضهم عدوًا كما يعمل اليهود الذين أخبرنا الله عنهم .. وهكذا بقية الأركان : الإيمان بالله وبملائكته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشرّه .

فإذا امتلأ القلب تصديقًا ، فإنه يسيطر على اللسان قولاً ، وتحقق ذلك الجوارح عملاً ، كما يقول الشاعر :

و مهما تكن عند إمرئ من خليقـــــة

و إن خالها تخفى على النـــاس تعلم

وتزداد مكانة الصدق ، الذي هو منبع الإيمان ، وحكت عليه الآية الكريمة ، في الجنان الذي هو القلب بالحرص والطاعة ، الطاعة لله -جل وعلا- في كل أمر ، والحرص على الأوامر الشرعية وتعظيمها : تمكينًا ومحبة وترسيخًا ، كما يخف ميزانه بالابتعاد والمعصية لله -جل وعلا- .. وما ذلك إلا أن الاستخفاف شرع الله ، وتهوين الأوامر ، واستمراء النواهي ، من معصية الله ، ومن كان هذا عمله فإنه لا يكون صادقًا في معتقدة ، ولا في عمله ، وتطغى على هواجسه وأحاسيسه الأثرة ويتغلغل في قلبه الجشع والطمع ، فيصبح وحشًا ضاريًا في ثوب إنسان .

ولكي يتحول المجتمع الإسلامي إلى المنهج الرباني الذي اختاره الله لهم ، وفق هذا النداء الكريم ، حيث روى عن ابن مسعود قوله :

إذا سمعت قول الله : « يا أيها الذين آمنوا » فأصغ لها سمعك ، فهي إما

مقارنة هذا بما هو محسوس في حياة الناس وتعاملهم ، حيث إن بعض الناس لا يقتنعون إلا بما هو بارز أثره ، ظاهرة منافعه .

لكن المسلم الذي توجهه تعاليم دينه يدرك الفائدة في كل توجيه ، انبعثت مؤثراته من الوجدان المرتبط بالله -عزوجل- ، حيث يدرك من سياق هذه الآية الكريمة مثلاً ، أن الخطاب بدأ من الله جلّت عظمته للفئة المؤمنة ، ومعلوم أن الإيمان أرفع منزلة من الإسلام في ميزان العقيدة ، وحسن الإتباع ، كما قال سبحانه في سورة الحجرات : ﴿ قالت الأعراب آمنا ۚ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٤] .

وعلماء الإسلام قد أبانوا هذا الفرق من التعريف لكل منهما : فالإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك وأهله .. وهذه أمور عملية ظاهرة ، كما كانت أركان الإسلام الخمسة ، أمورًا ظاهرة ، تبين في الملأ عند ما تعمل ، نطقًا لسانيًا كالشهادتين ، وبذلاً ماليًا كالزكاة ، وحركات بدنية كالصلاة ، وامتناعًا عن أمور كالصيام ، وسفر إلى بيت الله الحرام من أصقاع الأرض ، ثم نفرة من مكان إلى مكان وفي أوقات مخصصة كالحج .

لكن هذه الأعمال لابد أن يحركها الصدق الوجدانيّ المرتبط بالله -جل وعلا- ، حتى يكون العمل طيبًا ، وحتى لا يداخله ما يخدش طيبته : لأن الله طيّب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا ، وإلا تحوّلت هذه الأعمال الظاهرة إلى أعمال باطلة في نتائجها وجزائها ، إذا لم يقصد بها وجه الله سبحانه ، ومدار ذلك الصدق الاعتقادي ، والله -جل وعلا- أغنى الشركاء عن الشرك .

أما الإيمان فقالوا عنه : لغةً التصديق ، وشرعًا قول باللسان .

ويعتني به العقلاء في مآخذهم التوجيهية ، وبدون تفريق ولا مفاضلة ، لأن كتاب الله -جل وعلا- كله خير وهداية ، وكله رشد وتوجيه كما أمرنا الله بتدبّره ، فقال عزّ من قائل : ﴿ أ فلا يتدبرون القرآن ° أم على قلوب أقفالها ﴾ [سورة محمد ، الآية : ٢٤] لكن الذي أوقفني عند هذا النص الكريم هو : أهمية الصدق في حياة المسلم ، وما ينبنى عليه من صلاح وإصلاح .

فالصدق الذي جاءت مشتقات فعله « صَدَقَ » في القرآن الكريم أكثر من مائة وخمسين مرة ، له أثر كبير في توجيه النفس البشرية لسلامة العمل : عقيدة ترتبط بالله سبحانه ، وكبح جماحها عن الشرور والآثام ، فإذا استشعرته وجدانيًا وعقيدةً ، صار لها كاللقاح البدني عن الآفات المرضية المعهودة في الطب الوقائي ، وما ذلك إلا أن المنافق كاذب في سلامة العقيدة ، وممّوه على الخلق فيما يبرزه أمامهم من مظاهر دينية ، وسبب ذلك عنهم رسوخ الصدق في وجدانه ، فبان عليه عدم الصدق العملي ، كما أخبر النبي الكريم -ﷺ- عن المنافق بأن آيته ثلاث : - أي علامة - « إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » وفي رواية : وإذا أؤتمن خان ، وكل عمل يصدر عن هذه الخصال الثلاث مناف للصدق بالقول أو الفعل ، بل إذا خلا بنفسه أو مع أقرانه عمل ضد ما يبرز للآخرين .

ذلك أن الصدق الذي تدور عليه أعمال المرء وتصرفاته في دنياه ، ينقسم إلى قسمين : باطنيّ ومقرّه الوجدان وظاهري وهو الصدق العملي ، وهذا الأخير له محوران يدور فيهما : قوليّ باللسان ، وفعليّ بالتصرفات والأعمال التي تبرز للعيان عن طريق الجوارح .

ولكي يتبوأ الإنسان المرتبة الرفيعة ، بمكانة الصدق ، فإنه لابد أن تتكون لديه قناعة بدور الصدق ، وما يحقق من مصالح ومنافع .. ويمكن

وتوصّله إلى مرفأ السلامة .

ولم لا ، وقد جعله رسول الله -ﷺ- في آخر حياته : خير وصية لأمته ، وخير مرشد بعد ذهابه عنهم ، وحثّهم في خطبة حجة الوداع على الأخذ به ، والصدور عما فيه ، عند ما قال -ﷺ- : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا : كتاب الله وسنتي » .. ذلك أن كتاب الله -عزوجل- هو حبل دين الإسلام المتين ، وهو صراط الله المستقيم ، وهو الذي يجد الإنسان في حروفه وكلماته ما يعينه على إدراك حقائق الأمور ، وما يرشده إلى استنباط القيم والمثاليات ، التي فيها الخير والسعادة ، وسنة رسول الله -ﷺ- هي المرشدة إلى ذلك كله حيث أمر الله -عزوجل- بالحرص عليها في حسن المآخذ ، وسلامة المنهي ، فقال جل من قائل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ° وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [سورة الحشر ، الآية : ٧] .

وخاطرة مرّت بي أثناء مروري بآية من كتاب الله -جل وعلا- في سورة التوبة ، أما توجيه رفيع المستوى ، وعناية ربانية بالفتنة المؤمنة التي هي دعاء الخيرية ، وموطن التوجيه للعمل النافع حيث قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١١٩] .

فما أجدر المسلمين في كل مكان بأن يأخذوا من دلالة هذا النص مصدر توجيه ، ومبدأ مسيرة في سنتهم الجديدة ، حتى يفتحوا صفحة جديدة في أسلوب التعامل ، وحتى يجدوا طعمًا لذيذًا لمكانة المسيرة في الحياة ، وفي تفتّح الترابط الاجتماعي فيما بينهم ، بزوال الغش والمداهنة ، وبالابتعاد عن الكذب والتدليس .

ذلك أن كتاب الله -جل وعلا- يحتاجه المتبصر في وقفاته التأمّليّة ،

الأرض ، ومن عليها ، حيث يجدون فيه الراحة النفسية والأجوبة المقنع ، والحل الأمثل لأي أمر من أمور الحياة ، مسترشدين في هذا بقول الحق تبارك و تعالى : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيْ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ٣٨] .

ومع مطلع العام الهجري الجديد ، الذي هو مظهر من مظاهر مداولة السنين والحساب ، في حياة البشر ، بل وفي كل مناسبة من المناسبات التي تمرّ بالإنسان ، فإن صاحب العقل المتبصر لا يعدم أن يجد من قبسات كتاب الله الكريم ما يريح نفسه ، وما يفتح له بابًا نورانيًا ، يفيْ أمامه معالم الحياة .. فكم من ضال هداه الله بعد ما تعمّق في معنى آية كريمة ، وكم من ملحق بصّره الله بالنور لسماعه شيئًا من دلالات القرآن الكريم ، بحسب ما يتلاءم مع مدارك عقله ، وما تنشغل به هواجسه ، وكم من غافل انتبه من غفلته ، من جراء موعظة قرآنية لامست أوتار قلبه ، وكم من شاعر أو أديب بهرته معاني القرآن العميق ، وطغت على أحاسيسه أساليبه الرفيعة فوقف عاجزًا أمام بلاغته ، كما وقف العرب البلغار من قبله ، حيث تغيّر مجرى حياته ، ورغب في الإسلام مع هذا المدخل ، وكم من عالم احتار في نظرية ، ففتح الله مغاليق ذهنه بنفحة قرآنية قلبت الموازين في فهمه ، وفتحت قلبه للحق اليقين .. وكم .. وكم ..

ذلك أن عالمية دين الإسلام ، وشمولية القرآن الكريم وإعجازه ، الذي هو المصدر الأول في التشريع لدين الإسلام ، من أقوى العوامل في تحريك المشاعر ، ومن أمكن الهواجس في الدعوة للأخذ بالتوجيه والعلاج لأي مشكلة . إذ أن كل ما يعترض الإنسان ، وكل ما يريده أو يطمع إليه من خير في حياته ويرنو إليه بعد مماته ، فإنه يجد في كتاب الله ما يفتح له كل باب مغلق ، وينير له كل درب مظلم ، حيث ترشده آياته إلى برّ الأمان

الدعوة الإسلامية :

كونوا مع الصادقين

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

يرتبط وجدان الإنسان ، وهو يتأمل في كتاب الله ، أو يسمع آية من قارئ يتلو كتاب الله ، بما يدور حوله من أحداث ، وما يتفاعل في وجدانه من مؤثرات ، سواء كانت هذه الأشياء تمرّ به في نفسه . أو تتحرك في بيئته ، وفيمن حوله ، لا بل وفي العالم أسرة ، بعد أن أصبح كتلة واحدة ، نتيجة الاتصالات ، والمواصلات .

ذلك أن القرآن الكريم : كلام الله الكريم . الذي لا يأتيه الباطل ، ولا يتطرق إليه الشك . أنزلـــه لهداية البشرية إلى الطريق المستقيم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وليتعبّدوا خالقه به تلاوة و ذكرًا ، وتأملاً واستنباطًا ..

ولا عجب إذًا كان الإنسان يجد فيه بحسب ما يرشده عقله السليم إليه من أمور حسنة ، كل حلّ لأي معضلة ومعالجة لما يعترضه في حياته من مشكلات .

ومثلما أنه عالج أحوال المسلمين في الصدر الأول في مثل هذا القول الكريم : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون • وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٠٤] ، فإنه منبع ثرّ من التوجيه والرعاية للمسلمين أفرادًا وجماعات في كل عصر ومصر ، وإلى أن يرث الله

والهرسك) ؟

ولسنا ندري على من سيأتي الدور غدًا . وها هي ذي روسيا بلد الصراعات تفاجئنا بالعجيب حينًا بعد حين . والغيب لله وحده .

وبعد .. فهذه كلمة متواضعة . هي صرخة فؤاد مكلوم يعلم الله أن صاحبه لا يملك غير الكلمة ويصور قول المتنبّي حاله أصدق تصوير :

لا خيـــــل عندي أهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

هذه كلمة وفاء بحق هؤلآء الاخوة ننشرها على صفحات هذه المجلة الغـــراء التي تعيش قضايا المسلمين وهمومهم وقد صارت منذ صدورها -بفضل الله تعالى- للإسلام صوتًا مسموعًا وعلماً مرفوعًا .

ويبقى تساؤل ألا وهو :

هل سيظهر أسد الداغستان مرة أخرى ليحقق الله على يديه النصر الذي جاهد من أجله الأسد الجريح ثلاثين عامًا ؟

هل سيظهر هذا الأسد في داغستان أو شيشان أو في البوسنة والهرسك أو في أي بلد إسلامي مقهور يتربص به الأعداء الدوائر ؟

<u>إنهم يرونه بعيـــــدًا .... !!</u>

إنهم يرونه بعيدًا .. ولكنهم لو صدقوا ما عاهدوا الله عليه لكان قريبًا .

وليقرأ من شاء قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنًا • يعبدونني لا يُشركون بي شيئًا • ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور ، الآية : ٥٥] .

ومن أقدر على الوفاء بالوعد من الله ؟ ﴿ ومن أوفى بعهده من الله • فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

بإبعاد قبائل « الكاراجاي » و « البلقار » و « الشيشان » و « الأنجوش » وتم ترحيلهم إلى مجاهل سيبيريا ، التي كانت مملكة إسلامية في يوم من الأيام وكانت تُسمى : « صابري » ولكن روسيا ابتلعتها أيضًا .

كما تم ترحيلهم إلى آسيا الوسطى أيضًا ، وقد بلغ عدد هؤلاء التعساء ما يقرب من المليونين ونصف ولا يعلم إلا الله وحده كم بقي منهم على قيد الحياة .

ما اشبه الليلة بالبارحة :

ولعلك أخي القاري بعد قراءة هذه الصفحات لا تجد غرابة في موقف روسيا المساند للعدوان الصربي المجرم على مسلمي (البوسنة وانهرسك) . سواء كانت هذه المساندة بالمال والرجال أم بالسلاح أم بالتأييد في المحافل الدولية . وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه في البوسنة والهرسك على أيدي الصرب العنصريين . بدعم من الروس الأرثوذكسيين . ألا ما أصدق قول القائل : ما أشبه الليلة بالبارحة ! كلهم أروغ من ثعلب

ولا شك أن مجزرة البوسنة والهرسك هي جريمة العصر ، ويه وصمة عار في جبين المدنية الغربية التي تدنت إلى هذا المستوى من الوحشية التي تتخجل منها الوحوش في الغابات . ولو أنصفنا لقلنا مجزرة الإسلام في البوسنة والهرسك .

وهذه المجزرة أيضًا وسام خيبة وفشل على صدر الأمين العام للأمم المتحدة وهيئته التي عجزت عن وقفها أو تظاهرت بالعجز عن وقفها . ولا ندري .. أمن أجل هذا أنشئت الأمم المتحدة ؟

وماذا سيقول كل مسلم لربه غدًا حين يسأله عما قدم للمسلمين المقهورين في مختلف أنحاء العالم وفي مقدمتهم مسلمي (البوسنة

وفي شهر شباط (فبراير) ١٨٧١م استأثرت به رحمة الله وهو يكرر ، لفظ الشهادة ولقى ربه مسلما راضيًا مرضيًا - إن شاء الله تعالى - بعد أن سطر بحروف من نور صفحات مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الروسي .

رحم الله الإمام شامل وأنزله وجنوده منازل الأبرار والصالحين .

جرائم الروس بعد الانتصار :

بعد أن تمت الغلبة للروس ، أجبروا القوقازيين على الهجرة خارج بلادهم وكان نصيب تركيا من أولئك البائسين مليونا ونصف ، لقى معظمهم حتفهم بسبب الجوع والمرض ، أو ابتلعته مياه البحر الأسود ، كما توجه ألوف منهم إلى سوريا والأردن كذلك ، أما القبائل التركية التي تسكن بين جبال القوقاز ونهري « الفولجا » و « الدون » فقد أبيدت عن آخرها وحل محلها المهاجرون الروس .

وتتوالي الأحداث دامية وأليمة ، ويتمكن أهل شمال القوقاز من إعلان استقلالهم في الثامن من مايو ١٩١٨م ، ولكن لم يمض غير قليل حتى أصبحت تلك البلاد مسرحًا للمعارك الطاحنة بين القيصريين والبولشفيك ، ولما انتصر البولشفيك صبوا العذاب على أهل هذه البلاد كما فعل القيصرون ، فعملوا على تمزيق وحدتهم وألحقوا إدارتهم الوطنية بحكومة موسكو مباشرة ، ثم بدلوا حروف لغتهم إلى الحروف الروسية ، وشنّوا حربًا ضارية على الدين الإسلامي ، ونهبوا ثروة البلاد وخصصوا أهم المناطق لسكنى المهاجرين الروس ، ولما خرجت دول الحلفاء منتصرة في الحرب الكونية الثانية ، استأنفت روسيا الحمراء إبادة شعب شمالي القوقاز ، فأصدرت قرارًا رسميًا في ٢٣ فبراير ١٩٤٤م

يقول : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون • ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ﴾ [سورة العنكبوت ، الآيتان : ٢-٣] .

استسلام مشرف للأسد الجريح :

ظلت الحرب سجالاً بين شامل وبين الروس حتى كان عام ١٨٥٨م حيث تغلب الروس عليه فاحتلوا ديار « الشاشان » ومشرق « داغستان » وسيطروا عليها . وفي عام ١٨٥٩م سقطت « ودين » في أيدهم أيضًا . وانتقل شامل إلى قرية أخرى هي « كونيب » وكان اليأس من النصر قد دب إلى نفسه . بعد جهاد بطولي دام ثلاثين عامًا !! لم تلن فيها قناته ولا فلّت شباته . ولقد استشهد من جنوده الكثير ، وتفرق عنه من تفرق بسبب قتل الحاج مراد ، وطول فترة الجهاد ، ومواجهة جيوش روسية نظامية ، لا يستهان بها .. وعندئذ لم يجد بدًا من الاستسلام ، وبعد مفاوضات قصيرة سار مستسلما طارحًا سيفه مسلما أمره إلى الله .

ضيق صدره بسكني القصور على سعتها :

أرسل بارتنيسكي الإمام شامل إلى القيصر الكسندر الثاني ، الذي استقبله بالترحيب ، وخصص لإقامته قصرًا واسعًا في « كالوكا » بأطراف موسكو ، ولكن سعة القصر لم تكن لتخفف من ضيق صدره نتيجة أسره .

وفي يوم من الأيام طلب أن يذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، ومر « باسطنبول » فلقي من السلطان العثماني ترحابًا واحترامًا عظيمين ورافقته هذه المظاهر حتى وصل مكة المكرمة . وأدى مناسك الحج ثم انتقل إلى المدينة المنورة ، مدينة رسول الله -ﷺ- .

والانقسامات داخل الحركات الإسلامية وكتائب الجهاد يكون أسوأ أثرًا وأعظم ضررًا من الأخطار التي تتهددها من الخارج ، وهذا ما حدث مع الإمام شامل ، فقد كان له أحد الأعوان ويُدعى الحاج مراد ، وكان ذلك الرجل يتميز بتصرفات شاذة لا تتفق مع الخط الذي يسير عليه شامل ورجاله .

ولما ضاق شامل ذرعًا بتصرفاته ويئس من إصلاحه ، حكم عليه بالموت وكان ذلك عام ١٨٥١م ، ولكن مراد تمكن من الهرب وارتمى في أحضان الروس ، ولكنهم لم يدعموه ، كما ينبغي للثأر من شامل وجنوده ، فهرب منهم وتمكن جنود شامل من القبض عليه فنُفذ فيه حكم الإعدام ، وشهر رأسه المفصول على الناس ، وكانت هذه الحادثة فاتحة شر ، حيث تولى (بارتنيسكي) القيادة العامة مكان فورد نتزوف ، وعزف بخبث على وتر تلك الحادثة فاستمال الكثير من رجال شامل ، وقام بقطع الأشجار التي كانت تساعد على حرب العصابات .

<u>الإفراج عن الأميرات مقابل الإفراج عن ولده :</u>

في صيف ١٨٥٤م كانت أميرات (كرجيات) زوجات القادة الروس يقضين الصيف في (تسينوندال) فأقبل بعض رجال الجبال وداهموا القصر وأخذوا الأميرات وأولادهن وخدمهن عنوة ، وأسلوا الجميع إلى شامل ، وبقيت الأميرات في أسرة ستة أشهر ، في ظروف صعبة ، وأرسل شامل إلى القيصر يشترط عليه الإفراج عن ولده جمال الدين مقابل الإفراج عن الأميرات وتم الإفراج ، عن الابن الذي تلقاه والده بشوق لا يوصف ، ولكن الموت أدركه بعد وقت قصير مما ضاعف آلام والده ، وهكذا المجاهدون لا يودعون محنة إلا لتستقبلهم أخرى وصدق الله العظيم ، إذ

وينقذ ما يمكن إنقاذه .

وابتدأت المفاوضات ولكنها لم تسفر عن شئ . وإمعانًا في خداع شامل والكيد له أرسل « غراب » رهينته إلى العاصمة (بطرسبورج) آنذاك . ولما علم شامل بذلك أدرك أن الروس قد خدعوه وهرّبوا ولده . فأعاد ترتيب رجاله . واستجمع قوته . وقاوم الروس مقاومة شديدة . وبدأ الروس هجومهم الأخير الذي اشترك الأطفال والنساء مع الرجال في صده . فكانوا يهاجمون عساكر الروس ويجردونهم من أسلحتهم وحرابهم . أما الجواسيس فكان شامل لا يرحمهم إذا قبض عليهم . بل كان يفصل رؤوسهم عن أجسادهم ويبعث بها إلى الروس .

وتحققت بفضل الله بطولات خارقة :

١- لم يكن من السهل على شامل وجنوده أن يتقبلوا هذه الهزيمة . فدقت طبول الحرب من جديد عام ١٨٤٠م في داغستان . وشرق القفقاس . واتحد الجراكسة مع بقايا الداغستانيين من المجاهدين وكونوا مواجهة ثانية . وفي ١٠ مايو قاد الجنرال غراب جيشًا مؤلفًا من عشرة آلاف ولكنه هُزم أمام هؤلاء الأبطال هزيمة نكراء وخسر ألفي قتيل . واضطر الروس إلى تغيير قائدهم . فعينوا الجنرال « نيوهارت » مكان غراب المهزوم وكان ذلك في عام ١٨٤٢م .

٢- في عام ١٨٤٥م تبدلت الأمور على الجبهة الروسية وتولى القيادة قائد يدعى (فوردنتزوف) وهاجم (داركو) فاندحر عنها مخلفًا على الساحة من القتلى ٣٥٠٠ من الجنود وبقي من اللواء الحربي الذي كان عليه (كرنيسكي) ٢٤ رجلاً فقط على قيد الحياة .

تصرفات شاذة من أحد أعوان شامل : إن خطر الخلافات

اجتمع حوله أصحابه ، وكانوا قد نذروا أنفسهم للجهاد ، وكانت تميزهم شارة خضراء على غطاء الرأس الذي يلبسونه ، وكانوا يتألفون من عناصر شتى ، وقد انضم إليهم بعض الروس الذين فروا من المعسكرات القيصرية ، خصوصًا أبناء بولونيا فازدادوا بهم قوة إلى قوتهم .

٢- أعدت قيادة الجيش الروسي معسكرًا لها بالقرب من بحر الخزر في مكان يُسمى (دمير خان شورا) . وبالإضافة إلى مصادمات هذا الجيش مع جنود شامل ابتلاهم الله ببعض الأمراض الفتاكة مثل التيفوس والدوسنطاريا ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو .. ﴾ وكان على القيصر أن يرسل في كل عام عشرة آلاف إلى القفقاس ، ولكن هذه الآلاف لم تكن لتكفي عوضًا عما تفقده جيوش القيصر .

٣- تمكن الإمام شامل بمعاونة البولونيين الفارين واللاجئين إليه أن يجعل من قرية (أقولغو) قلعة حصينة ، وفي يوم ٢٩ حزيران (يونيو) ١٨٢٩م . بدأ الجنرال الروسي (غراب) هجومه وكان الصدام بين الفريقين مروعًا ، واضطر الروس أول الأمر إلى التراجع ، ولكن قنابل مدافعهم انهمرت من جانبهم بكثافة ، وتبعها هجوم شديد فتهدمت الأسوار وحوصر مئات المحاربين بين الأنقاض ، وانقطع الغذاء والماء عن القرية الباسلة ، وانتشرت رائحة الجثث المتعفنة وحام البوم فوق القرية كأنه ينعي من بناها .

٤- انتهز الروس هذه الفرصة الذهبية وتحركت جحافلهم إلى الأمام وطلب قائدهم « غراب » رهينة هي ابن الإمام شامل المدعو « جمال الدين » ليكف عن القتال ويبدأ المفاوضات ، وتحت مطارق الحرب الطاحنة اضطر الإمام شامل إلى إرسال ابنه إلى القائد الروسي حتى يلتقط أنفاسه .

تعاليٰ الروس ومنهم أرملة الخان (أي الزعيم العظيم) فاشتبكا مع رجالها في معركة ، وكانت الغلبة لها ولرجالها وكان ذلك في عام ١٨٢٠م .

ويُروى أن الإمام شامل بعد هذا الإخفاق بمدة قصيرة توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وفيها التقى بالمجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري – رحمهما الله تعالى – واتفق الصديقان الجديدان على مباشرة الجهاد لإعلاء كلمة الله ، فأخذ عبد القادر على نفسه مجاهدة الفرنسيين في الجزائر ، وأخذ شامل على نفسه مجاهدة الروس في القوقاز ، وبدأ كل منهما جهاده الذي تعاهدا عليه بعد فترة قصيرة .

وكان الأمير عبد القادر ذائع الصيت ، ونال حظًا موفورًا من الكتابة بحكم عروبته ، أما ذلك الرجل فلم يعرفه إلا القليل بحكم وجوده في موطن بينه و بين العالم العربي بُعد المشرقين و حسب كل من البطلين ، قوله تعالى : ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ۚ وكل شئٍ أحصيناه في إمامٍ مبينٍ ﴾ [سورة يس ، الآية : ١٢١] .

صور من الجهاد المشرف :

١ – في ربيع ١٨٢٢م أعد الغازي رجاله لمباغتة مخافر الروس فجهزوا له جيشًا من عشرة آلاف جندي !! لملاقاته في قرية كمري ولم يكن حوله سوى ٥٠٠ شخص !! من المريدين والأنصار الذين صمدوا حتى آخر نفس ، بل لقد ربطوا أرجلهم في هذه المعركة الضروس غير المتكافئة ، ولم ينج من رجال « الغازي » إلا اثنان كان « شامل » أحدهما .

وخلف الغازي في القيادة « حمزة بك » الذي استشهد وهو قائم للصلاة ، وفي تلك الأثناء حاول شامل أن يُثير الشراكسة ولكنه لم يظفر بنتيجة فلبث في قطاعه واستقر في قرية « أقولغو » في ذروة الجبل ، ومن هناك

حتى القرن التاسع عشر، بل إن المؤرخ الروسي «فاديف» إعترف بما يلي :

« إن الحرب مع سكان جبال القفقاس (القوقاز) قد أفقدتنا جيشًا يكفي عدده لاكتساح المنطقة الواقعة من مصر إلى اليابان » [مجلة القفقاس] ميونيخ ١٩٥٢م المجلد : ١، العدد : ٦، ص/٩ .

وقد بدأ جهاد هؤلاء الرجال منذ أن شنت روسيا القيصرية هجومها في القرن السادس عشر متجهة نحو مصب نهر الفولجا ، و وقف القوقازيون للدفاع عن عقيدتهم وحريتهم وبلادهم ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وبخاصة تحت قيادة المغفور له - إن شاء الله تعالى - الإمام « شامل » الذي اعترف الأعداء - قبل الأصدقاء - بشجاعته حتى إن شيطان الشيوعية وطاغوتها الأكبر « كارل ماركس » نفسه قال :

« أيّتها الأمم اعتبري بما يمكن أن يفعله الرجال في الحالات التي ترغب أن تبقى فيها حرة » [مجلة مشاكل التاريخ - موسكو ١٩٥٦م العدد/٢٧]

فمن هو ذلك الرجل الذي يُلقب « أسد داغستان » ؟

إنه الإمام « شامل » الذي ولد في عام ١٧٩٦م بقرية (كمري) من أبوين شريفين وتربى على الفضائل التي يتحلى بها قومه من حب للفروسية ، واعتزاز بالإسلام والوطنية . ولقد تعلم مبادئ الدين الإسلامي وشيئًا من اللغة العربية على يد معلمه ، رائد المجاهدين الأول (ملا الغازي) الذي كان يقول للمجاهدين :

« إن السلوك بمقتضى الشريعة الإسلامية وحده لا يضع الأمور في نصابها إذا لم يُدعم بعزيمة صادقة تطرد الروس من البلاد » .

تحالف الإمام « شامل » مع « ملا الغازي » :

تحالف الإمام شامل مع ملاالغازي على الجهاد وتصفية العناصر التي

وها هو ذا اليوم يشن عدوانه الوحشي وغزوه البربري لهذه الجمهورية الصغيرة العزيزة الأبية ونسأل الله أن ينصر أبناءها نصرًا عزيزًا على هؤلاء الرعاع ، الذين لم يكفهم ما أنزلوه بمسلمي البوسنة والهرسك من ويلات ونكبات حتى إن بعض الدببة الروسي تقاتل مع الخنازير الصربية .

وقد لا تعجب أخي القارئ للوقفة الشجاعة لأبناء هذه الجمهورية -الصغيرة - إذا علمت شيئًا عن الجهاد المشرف لأبناء « شمال القوقاز » . ضد روسيا القيصرية ، حيث تفتحت شهيتها لابتلاع الأقطار المحيطة بها ، ومعظمها أقطار إسلامية ، لتعرف فيما بعد بالاتحاد السوفياتي الذي هوت به ريح التمزق في وادٍ سحيق .

فهيّا بنا أخي القارئ لتعرف شيئًا عن ذلك الجهاد المسطور بحروف من نور في صفحات التاريخ ، لتعرف أن الشئ من معدنه لا يستغرب ، خاصة وقد أصاب هذه الجمهوريات وأبناءها من التعتيم الإعلامي الشئ الكثير والكثير جدًا ...

شمال القوقاز :   (الموقع والسكان)

يحده شرقًا بحر قزوين (الخزر) وغربًا البحر الأسود ، وشمالاً خط مانيتش ، وجنوبًا سلسلة جبال القوقاز ، ويتميز هذا الجزء بجهاده الطويل الذي قارب ثلاثة قرون ، ويُعرف الجزء الشرقي (بداغستان) .

أما الوسط فيشمل (شيشان) (أوسيت) (قبرطاي) (قاراجاي) (بلقار) .

وأما الجزء الغربي فيُعرف (بشركسستان) أي أرض الشركس .

ولقد اعترف المؤرخون اليونان ، والرومان ، والعرب أن سكان البلاد الحاليين ، هم أبناء المنطقة منذ زمن بعيد ، كما اعترف كثير من الرحالة الأوربيين بعظمة الدور الذي قام به أهل شمال القوقاز للدفاع عن بلادهم

الجمهوريات ومنها :

١ - التركستان الغربية (بلد الإمام البخاري) .

٢- القرم . ٣- القوقاز . ٤- سيبيريا .

ويومها ورمت أنوف وعبست وجوه وبسرت من هذا الحديث ، بل لقد غلقت بعض الجرائد والمجلات أبوابها دون هذه المقالات ، وكانت ضمن سلسلة مقالات عن المآخذ القاتلة على الشيوعية التي تحمل بين أعضائها جراثيم فنائها .

والحقيقة والتاريخ ومن باب عرفان الفضل لأهله ، أقول إن هذه المجلة الغراء أفسحت صدرها لبعض من هذه المقالات في الوقت الذي اعتبرت فيه إحدى الجرائد هذه المقالات خطيئة !! - والعياذ بالله - .

ومن بين الجمهوريات التي تمثل واحدة من جمهوريات روسيا الاتحادية في الوقت الحاضر جمهورية «شيشان» الإسلامية ، التي يتطلع إليها الديمقراطيون الأحرار .

وليس ببعيد عنا ما حدث بهذه الجمهورية حينما هب أبناؤها للمطالبة بحقهم في الاستقلال واختاروا رئيسًا لهم من بينهم ، ولفظوا الحاكم العسكري الذي فرضته روسيا الاتحادية ، فانتفض الدب الروسي فزعًا كالثور الهائج ، وأخذ يلوح بالعصا الغليظة ، ولكنهم وقفوا في وجهه كالبنيان المرصوص لمعرفتهم بطبيعة الدببة والثيران الهائجة وأنها لا تقاد إلا من أنوفها !!

وعندئذ تراجع الدب الروسي وأنزل عصاه طالبًا السلام -ولو على دخن- ولا يدري أحد ماذا تخبئ الليالي بعد الانتخابات الجديدة وصدق القائل : والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب !

من وحي الأحداث :

هل يظهر أسد الداغستان مرة أخرى ؟ !

بقلم : سعادة الدكتور غريب جمعة

ترامت إلى الأسماع أنباء فوز الديمقراطيين الأحرار في الانتخابات التي أجريت في روسيا حول الدستور في شهر ديسمبر ١٩٩٣م ، وهم ينادون بعودة روسيا إمبراطورية عظمى من جديد ، لذلك يسيل لعابهم ويتلمظون لقضم الجمهوريات التي أعلنت استقلالها بعد تقطع أوصال ما كان يُعرف بالاتحاد السوفياتي فهم يرفعون شعاراتهم مثل :

استردّ- بولندا وفنلندا ، وتوسيع الشواطئ الروسية للوصول إلى المياه الدافئة ، ومثل تحويل أوكرانيا والقفقاس إلى ولايات روسية وحل مشكلات روسيا الداخلية في خلال أشهر قليلة .

وقد لا يعرف البعض أن حوالي ثلاثة أرباع مساحة ما كان يُعرف بالاتحاد السوفياتي ، أراضي غير روسية ، استعمرتها روسيا القيصرية ومن بعدها روسيا الشيوعية الحمراء .

ومن بين هذه الجمهوريات : جمهوريات إسلامية وأخرى نصرانية . والحديث عن تلك الجمهوريات الإسلاميّة حديث ذو شجون !!

وقد وفق الله صاحب هذا القلم - المتواضع - إلى الكتابة في هذا الموضوع منذ خمسة عشر عامًا تحت عنوان : « مذابح المسلمين على أيدي الاستعمار الروسي » .

و تطـــــرق الموضوع إلى الحديث عن الجهاد المشرف لأبناء تلك

شبه القارة الهندية وخارجها من الصغار إلى الكبار ومن الطلاب إلى الأساتذة . ولا شك أن هذا العمل العظيم مأثرة من مآثر دائرة المعارف العثمانية وخدماتها العلمية ومننها التاريخية التي عُرفت بين أهل العلم والفضل . ثم قامت دار عرفات بطبعته الجديدة الممتازة تلبية لنداء بعض المحبين والمخلصين ولسد حاجات الباحثين ولتزويد المكتبات الإسلامية والعربية في الدول الإسلامية وخارجها بهذا الكتاب باسم : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

وسوف يقوم ناشر كبير من البلاد العربية بطبعته الخاصة لسد حاجات المكتبات العربية وجامعاتها الإسلامية ومعاهدها العلمية لكي يستطيع أن يستفيد منه الباحثون بكل سهولة عند الضرورة ، ويملؤوا خزائن مكاتبهم العامة مع مكاتبهم الشخصية وأن يزينوها بهذا الكتاب . حتى يكون الباحثون مطلعين على أصحاب الفضل والكمال وعلى الشخصيات الممتازة في شبه القارة الهندية وعلى خدماتهم الدينية والعلمية .

لا شك أن المكتبات ناقصة إذا لم يوجد هذا الكتاب فيها . ذاك أنه ليس كتاب علم فحسب . بل إنه مكتبة مستقلة وخزينة علمية لا يستطيع أحد أن يستغني عنها نظرًا إلى مكانته المرموقة في مجال العلم والتحقيق .

ولأجل ذلك نحن ننشر هذا الموضوع بالنظر إلى أهمية هذا الكتاب . حتى يكون المحققون والباحثون وأصحاب المكتبات العلمية والجامعات الإسلامية مطلعين على هذا العمل الضخم . والمشروع العلمي والتاريخي الجليل . ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

[illegible]

[illegible]

٣١٥٣ [illegible]

[illegible]

٧- [illegible]

٨- [illegible]

٦- [illegible]

[illegible]

٥- [illegible]

٤- [illegible]

٣- [illegible]

٢- [illegible]

[illegible]

١- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولا يثقل عليه ، لأنه يجد فيه حلاوة القصص والحكاية التي يحكيها الأصدقاء ، لا شك فإنه كقصة طريفة توجد فيها الموعظة والنصيحة والدروس والعبر ، هذا هو السبب الأكبر الذي حمل المؤلف على تسمية هذا الكتاب باسم « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » .

« انطباعات العلامة السيد سليمان الندوي » :

نكتفي هنا بنقل انطباعات العلامة السيد سليمان الندوي ، فقد كتب في جريدة « معارف » الشهرية في عددها الصادر عام ١٩٢٢م التي تصدر من دار المصنفين بأعظمجراه الولاية الشمالية (الهند) في اللغة الأردية « لقد ألفت كتب كثيرة عن السير والتراجم وسجلت التواريخ للشعراء والمشايخ والملوك والسلاطين في الهند الإسلامية عبر ألف سنة ، وعلى الرغم من ذلك كله فإننا لم نجد أي رسالة أو أي كتاب مستقل ما عدا مصنفات آزاد بلجرامي التي ألفت حول تراجم المشايخ والعلماء الراسخين في الهند ، ولكن ما شعر أحد من علماء الهند بهذا الفراغ والنقص بل شعر به العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني – رحمه الله تعالى – ، حتى استغرق هذا العمل الجبار وهذا التحقيق الفريد عشرين عامًا ، فما من مكتبة من المكتبات الإسلامية من أقصى الهند إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها إلا وقد طار المؤلف إليها على جناح الشوق والطلب وساقه إليها التجسس والتفحص حتى خرج منها فائزًا بمرامه وأخرج الكتاب في ثمانية مجلدات ضخمة في هذا الموضوع باسم « نزهة الخواطر » وجمع فيها تراجم وسير علماء الهند كلها ، وقد تحلى هذا الكتاب القيم بمقدمة قيمة بقلم المؤلف زادت في قيمته ، مشتملة على تاريخ العلوم الإسلامية

٤ - طبقات الشافعية الكبرى . ٥ - طبقات الحنابلة .

ولكن الكتاب الذي نحن بصدد ذكره « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » للعلامة الشريف عبد الحي الحسني - رحمه الله تعالى - ، فريد في موضوعه . لا يختص بزمن خاص ، ولا يعتني بشخصيات فنية ، ولا بمشاهير مذهب فقهي ولا بنبغاء عهد خاص ، بل إنه شامل جميع الطبقات وجامع للمذاهب والمسالك الإسلامية كلها ، ولا شك أن هذا الكتاب كامل وشامل يفوق ما كتب حول الموضوع من حيث الزمان والمكان والموضوع كذلك ، ولا يوجد أي فرق فيه بين مذاهب الفقهاء وأصحاب الرأي والفكر .

لقد بذل العلامة قصارى جهوده العلمية وكفاءاته الكتابية في تأليف هذا الكتاب ، فإنه عصارة نبوغ المؤلف ومظهر لرحابة صدره ودقة نظره وبراعته ، وتصوير صادق لإخلاصه ، فإنه لم يسلك فيه طرائق قددًا من العصبية أو القومية بل إنه كتب كل ما في حياة المترجم من فضل وميزة بدون أي تكلف . وكذلك أشار إلى ضعف المؤرخين والمصنفين وإلى إفراطهم وتفريطهم مع وجود شفافية الوجدان والشعور ، وكما نجد في هذه الموسوعة سيل قلم المؤلف في بيان الأوصاف الجمالية والكمالية للشخصيات الممتازة بدون أي تردد ، كذلك اعترف بالفضل والنبوغ لكل من ترجم له بدون أيّ تلعثم ، فإنه اختار لنفسه في تأليف هذا الكتاب طريق الاعتدال في المدح والثناء مع الإشارة إلى مواضع الضعف في النقد لا يكاد يُعزل عنه أي فرد من أفراد البشرية ، مع ما يوجد فيه من حلاوة الفصاحة والبلاغة لتنوع عناوينه ، بحيث لا يسئم القارئ من قراءته .

الممتازة من القرن الأول إلى عصر المؤلف زمانًا ، ومن الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب مكانًا ، وقد تناول المؤلف فيه النبغاء ومشاهير العلوم والفنون وأعطى كل ذي حق حقه .

وكل من له إلمام بالتاريخ ويتذوق بدراسته لا يخفى عليه أن الكتب التي ألفت عن التراجم والسير في العالم الإسلامي وخرّجت الشخصيات البارزة إلى حيز الظهور بواسطة هذه الكتب ، فهي إما تتعلق بزمن خاص أو أنها أُلفت حول موضوع فن خاص مثلاً :

١ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، للعلامة ابن حجر ، إن هذا الكتاب يحتوي على أحوال نبغاء القرن الثامن .

٢ - الضوء اللامع في رجال القرن التاسع ، للأستاذ السخاوي ، إنه يحتوي على ذكر شخصيات القرن التاسع .

٣ - النور السافر في رجال القرن العاشر ، للحضرمي ، يشتمل على ذكر الشخصيات الممتازة في القرن العاشر .

٤ - خلاصة الأثر في رجال القرن الحادي عشر ، للمحبي ، يحتوي على رجال القرن الحادي عشر .

٥ - سلك الدرر ، للمرادي يحتوي على أحوال مشاهير القرن الثاني عشر .

٦ - البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع ، للعلامة الشوكاني يشتمل على أحوال شخصيات من بعد القرن السابع .

والكتب التي ألفت في ذكر الشخصيات البارزة في فن خاص أو في مذهب من المذاهب الأربعة ، هي كما يلي :

١ - طبقات الأطباء . ٢ - طبقات النحاة . ٣ - طبقات الأدباء .

نكن مبالغين ، لأنها تشتمل على تراجم العلماء والأدباء والسلاطين والأمراء والمشايخ والشعراء وعلى كل نوع من أرباب العلوم والفنون ، ولا تتعلق بطبقة خاصة بل يحتوي على كل طبقة من الطبقات ، وكذلك فانها لا تختص بعصر تاريخي دون عصر بل نجد فيها ذكر الأعيان والمشاهير للهند من أول عهد المسلمين فيها إلى القرن الرابع عشر ، ولا تتعلق بمنطقة أو بولاية خاصة ولا ببقعة من بقاع الهند ، بل إنها تمتد من ممرّ خيبر إلى خليج بنغال وإلى شاطئ بحيرة العرب ، وكذلك من قمة كشمير إلى « كنيا كماري » آخر ثغور الهند ، ومما يجدر بالذكر أن هذا الكتاب من تصانيف أحد علماء الهند وهو العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني - رحمه الله تعالى - .

الواقع أن الهند واسعة جدًا لذلك تسمى بشبه القارة الهندية - إذا صح هذا التعبير - وإن الإحاطة بعلمائها البارعين وبأهل العلم والفضل وبالشخصيات البارزة وبيان تراجمها حيث إن كثيرا منها تتعلق بالحياة الخاملة ، وعددًا كبيرًا يسكن في الأرياف والبوادي ويعيشون معيشة ضنكا حتى أصبحوا بعيدين عن متناول أيدي المؤرخين الذين يعيشون النعيم والترف ، ويسكنون في المدن المشهورة وفي المراكز الحكومية ، يحتاج ذلك إلى همة عالية لا يستطيع أحد أن يقوم باستيعاب أخبارهم واستقصاء تراجمهم إلا بشق الأنفس وبمجرد توفيق الله تعالى .

وإن المكتبات الإسلامية من تركيا إلى مراكش ومن إندونيشيا إلى ماليزيا ، ينقصها مثل هذا الكتاب الذي يحيط بجميع الشخصيات

حظ علماء الهند أنهم كانوا يجدون الفرص للخروج إلى العرب لأداء فريضة الحج . ويسوقهم الحنين إلى هذه الأرض المباركة وإلى أرض الحجاز المقدسة مرة بعد أخرى . وكثير منهم كانوا يتلقون العلوم الإسلامية ويتلمذون عل أيدي علمائها الكبار . فنهلوا من علومهم ماشاء الله أن ينهلوا حتى بلغوا فيها مبلغا عاليًا خلال مكثهم الطويل في هذه الأرض المقدسة ولا سيما علوم الحديث النبوي الشريف . فلو لا الحج لكان العالم العربي يحتاج إلى كولمبس الذي يكشف الغطاء عن هذه الدنيا البديعة .

وتظهر هذه الحقيقة بغاية من الوضوح بكتاب « الضوء اللامع » للحافظ السخاوي (مشتمل على ١٢ جزءا) ويحتوي على تراجم علماء القرن التاسع فكتب فيه عن سيرة ١١٦١١ شخصًا مع تراجم ٢٨ من علماء الهند . وكذلك العلامة الشوكاني اليمني ما ذكر في كتابه المشهور « البدر الطالع » الذي يحتوي على علماء القرن السابع إلى القرن الثاني عشر إلا سبعة أشخاص من علماء الهند . حيث إنه كان قريبًا من الهند . وذكر المحبي في كتابه المشهور « خلاصة الأثر » ١٤ عالماً من علماء الهند من القرن الثاني عشر . حيث إنه فسح نطاق التراجم التي تبلغ إلى ١٢٩٠ ترجمة . وأخيرا سلك العلامة المرادي مسلك متقدميه في كتابه المشهور « سلك الدرر» فلم يذكر فيه إلا سبعة من علماء الهند من القرن الثاني عشر .

« ميزة نزهة الخواطر » :

إن هذا الكتاب « نزهة الخواطر » للعلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني - رحمه الله تعالى - أكبر كتاب من هذه الناحية في مجال تراجم الرجال . لذلك فإذا قلنا إنه موسوعة إسلامية كبيرة في هذا العصر لم

تصاعدت نشاطات الهجرة وممارساتها للرحيل إلى الهند في فجر القرن السابع بعد غارات التتر على الدول الإسلامية ، وكانت تعرف الهند آنذاك كمركز قوي للإسلام و حكومته ، و قلعة متينة من القلاع الإسلامية لوقوعها على حرف من البلاد الإسلامية ، فازدادت تيارات الهجرة إلى الهند في إيران وتركستان وما وراء النهر ، وكانت هذه النزعة في هذه الدول الإسلامية شديدة ، لأن التتار قد شن عليها الغارة الشديدة في فجر القرن السابع ، وبعد هجمات التتار قامت الهند الإسلامية بالترحيب بتلك القوافل التي حملت إليها العلوم والفنون الإسلامية أعظم ترحيب ، وهي تفسح صدرها وأرضها لأهل الفضل والتقوى ، وكانت القوة التتارية لا تخضع أمام أحد ولا لأي قوة ، حتى فرضت الهيبة على جميع الأقطار الإسلامية وغيرها ، ولكن لما هاجم التتار على الهند واجهوا هزيمة فاحشة حتى تفرقت قوتهم وتمزقت وحدتهم التي كانت تحملهم على الكبرياء ، فإن التاريخ يشهد لنا أن التتار قد غزوا على الهند خمس مرات في عهد السلطان علاء الدين الخلجي ما بين ٦٩٦-٧١٦م ، وعلى الرغم من ذلك كله فإن قوات علاء الدين الخلجي قد هزمتهم شر هزيمة حتى فترت عزيمتهم وتثبطت هممهم إلى الأبد .

وكذلك وجد العلماء فرصة سانحة في هذه البقعة المباركة للتدريس والتأليف ونشر العلوم الإسلامية وفنونها حتى أصبحوا عاكفين عليها زاهدين عن الدنيا وزخارفها ، وتوفرت الإمكانيات والتسهيلات اللازمة لهم لاستثمار طاقاتهم في مجال العلم والدين ، حينما ثارت على العالم الإسلامي كله عاصفة شديدة من كل جانب وساد الانحطاط والتدهور في

حول الاعلام بمن في الهند من الأعلام:

مكانة الهند الدينية والعلمية وعواملها التاريخية

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي
تعريب : الأخ عطاء الرحمن الندوي

كل من له علم بالتاريخ الإسلامي يعرف حق المعرفة أن الهند تحمل مكانة مرموقة في العالم الإسلامي ، وهي حلقة مهمة من سلسلته الذهبية ، وإنها لعبت دورًا هامًا في نشر الأفكار الإسلامية والعلوم الدينية ، وحسبنا شهادة على هذه الحقيقة كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة الشريف عبد الحي الحسني -رحمه الله تعالى- مدير ندوة العلماء الأسبق ، توفي في عام ١٣٤١هـ-الموافق ١٩٢٢م ، لقد صدرت لهذا الكتاب طبعتان من مجمع اللغة العربية بدمشق ، كما قامت دار المصنفين بأعظمجراه (الهند) بطبع ترجمته الأردية ، وهي لغة المسلمين في الهند ، إن هذا الكتاب كدليل على مؤلفات علماء الهند الذين قاموا بخدماتهم في مجال العلوم الإسلامية و العربية ، و إنه فريد في موضوعه ، و إذا ألقينا نظرة خاطفة على كتاب « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » تكشفت لنا هذه الحقيقة كوضوح الشمس في رابعة النهار ، وهي أن الهند قد قامت بأعمال مجيدة في مجال العلوم الإسلامية وفنونها ، ولها دور كبير في إحياء هذه العلوم الإسلامية وهي بذلك فتحت بابًا جديدًا أمام العالم دون أن تكون متخلفة في هذا المجال ، وقامت بدور هام فيه بل فاقت على كثير من البلاد الإسلامية الأخرى .

لقد بدأ قدوم الشعوب الإسلامية إلى الهند من خلال القرن الأول ، ولكن

التوجيه الإسلامي

الندوي الذي تحدث عنها خلال محاضرة علمية ألقاها بمناسبة تأسيس « المعهد العالي للعلوم والتكنولوجيا » في مدينة لكناؤ بالولاية الشمالية الهندية ، يقول :

« إني أهنئ بغاية من السرور على إنشاء هذا المركز في هذه المنطقة في مدينة لكناؤ . وإنني أعتقد أن المسلمين يحتاجون إلى إنشاء و إدارة مثل هذا المركز في كل مكان ، لأن العلوم والتكنولوجيا بفروعها المختلفة لا تـــــــزال تحمل أهمية قصوى ونفعية خاصة في عصر السياسة والديمقراطية والعلم والفن ، الذي نعيش فيه ، بل إن هذه الأهمية ستزداد وتتصاعد في المستقبل ، وإننا لا نستطيع أن نحقق الاكتفاء الذاتي ما لم نكسب كفاءة وبراعة في هذه المجالات ونستفيد منها بقدر من الأقدار » .

وقد بان الآن بكل وضوح وجدّية أن هذا التخلف بدأ يتحدى اليوم وجود المسلمين وبقاءهم على الدرب الإيماني وتسلّمهم زمام القيادة العالمية ، وهل يمكن رد هذا التحدى إلا بامتلاك زمام العلوم والمعارف الكونية الحديثة ، وإلا بالاكتشافات العلمية التي قام بها المسلمون يوم كانوا سادة الشعوب وقادة العالم .

من هنالك كانت مشكلة التعليم العصري بما فيه العلوم الحديثة والصناعة والتكنولوجية من أهم القضايا التي يجب أن تشغل بال العالم الإسلامي بجميع فصائله وطبقاته ، وإن الاهتمام بهذه القضية الخطيرة لمن أولى المسئوليات التي نتحملها الآن كخير أمة أُخرجت للناس مع التركيز على المصدرين الأساسيين (الكتاب والسنة) اللذين تنبع منهما جميع العلوم الكونية والمعارف العصرية ، مما وصل إليه الإنسان وما لم يدركه حتى الآن .

سعيد الأعظمي

ولا سيما المسلمين منهم ، ولو لا أن ذلك أصبح طبيعة فيهم لكان المسلمون قد أقبلوا عليه ، ولكنهم كانوا يعتبرون هذا التعليم علامة للعقلية المستعمرة وكانوا يرونه السبب المباشر للاستعمار والاحتلال الأجنبي في العالم الإسلامي فكان من الضرورة إبداء الكراهية نحوه ، والنفور منه ، والتبرؤ من تبنّيه .

إلا أن الوضع قد تغير اليوم تمامًا ، وأصبح التعليم العصري ضرورة أكيدة لدى المسلمين مع التربية الدينية ، حتى إن الأوساط التعليمية في البلدان الإسلامية اعترفت بذلك ، وجعل المعنيون بالتعليم والتربية يبذلون مجهودات في سبيل الجمع بين العلوم الإسلامية والعلوم العصرية ، وفي سبيل أسلَمة العلوم والتكنولوجيا الحديثة ، وقد أقبلت جامعات المسلمين في كثير من الدول الإسلامية على بذل اهتمامات كبيرة لهذا الجمع بين العلوم الإسلامية والعصرية بالتوازن والقصد ، ولقد كانت ندوة العلماء قبل أكثر من قرن من الزمان في الهند نادت بالجمع المتزن بين الإيمان الراسخ والعلم والواسع ، والتوفيق بين العقيدة والعلم بمعناه الأوسع،مما أثار ضجّة بين الأوساط الإسلامية يومَ ذاك ، واتّهم كثير من علماء الإسلام هذه الرؤية التعليمية المتزنة بالانحراف عن الخط السليم ، ولكن وبَعد مُضيّ مدة طويلة على هذه النظرة التعليمية المعتدلة طفق الناس يتراجعون نحو الاعتراف بأهمية التعليم المعاصر ، ويشعرون بشيْ من القلق والندم بتخلف المسلمين في مجال المعارف الكونية والعلوم العصرية ، وبالمناسبة أحب أن أقدم رؤية نحو نشر التعليم للعلوم العصرية لسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني

الاكتمال والتقدم المطرد .

لا ننكر ما قد وصل إليه بعض الدول العربية من اتساع التعليم بوجود المعادلة الثقافية . وتوافر الوسائل الإنسانية والعقلية فيها وبالحركة العلمية والثقافية التي تتصل بتاريخها القديم . ولكنها لم تتمكن من إثبات غنائها الكامل في مجال التعليم المعاصر من العلوم الحديثة والتكنولوجية والتصنيع . مما يجعلها قادرًا على الإبداع وعصْرنَة التعليم والثقافة . لذلك فإننا لا نستطيع أن نحكم إن قضية التعليم المعاصر في العالم الإسلامي أصبحت تندرج ضمن المشكلات والقضايا التي ستجد جلولا سليمة في أسرع وقت ممكن . بل الواقع أن هذه المشكلة لا تنحل في عالمنا الإسلامي ما لم تتجه العنايات بكاملها نحو تعميق المفاهيم التعليمية في نفوس الناس أفرادًا وجماعات ورصد ميزانية هائلة و وسائل كافية في هذا المجال . والإفادة من البلدان التي تعتمد على التعليم في معنى الكلمة ولا ترى عنه محيصًا ولا تبغى عنه بديلاً . ذلك لأنها تعتبر التعليم نقطة الانطلاق في حياة الأمم والشعوب .

إن مشكلة التعليم والتربية في الحقيقة هي مشكلة المشكلات في العالم الإسلامي . وهي التي تسبب التخلف العام والضعف والانحطاط في جميع الشئون الحيوية . وهي التي تعوق سير التقدم الحضاري وتجعل الشعوب والبلدان كلها عالة على الأسر الاستعمارية التي لا تزال تتحكم في رقابنا وتملى علينا إرادتها . ولو لا أن الاستعمار الغاشم في البلدان الإسلامية قد أثار المقت الشديد والكراهية والنفور في نفوس الشعوب المستعمَرة

الحديث المتواصل يقوم به الآباء والمربون لتنشئة أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها ، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون ، وتربيتهم تربية تُمكّنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة » .

ويدعم فكرة التزامل التعليمي والعقدي ما جاء في كتاب « التربية والغاية الاجتماعية » لـ « ف. و. جارد فورد » (F. W. Gard Ford) أحد خبراء التعليم الغربيين يقول :

« إن أفضل محك لنجاح التربية وإخفاقها هو تقاليد المجتمع والقيم السائدة ، فهي الاسس التي تقوم عليها خصائصها وبقاؤها ، مما لابد منه أن لا تكون بينها وبين التربية فجوة فكرية أو عدم انسجام ، فعلينا أن نلاحظ دائمًا أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التي يؤمن بها هذا الشعب ، فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب التي يقوم بها رجال التربية » (. « نحو تربية إسلامية حرة » لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي) .

ومما لاشك فيه أن مشكلة التعليم في العالم الإسلامي ذات أهمية قصوى ، حيث إن القوى والوسائل المتوافرة فيه لم تبلغ إلى الآن إلى مستوى النضج والكمال في مجال التعليم المعاصر . ذاك أن التجارب التعليمية التي أُجريت في ساحة التعليم العالي لم تحظ بالطاقة الإنتاجية المطلوبة نظرًا إلى نقص الكفاءات العلمية التي ستأخذ وقتا في البلوغ إلى درجة

لكي ترفع صرح السلوكيات والمعروف ، وتفنّد جميع معاني التحرر الخلقي والإباحية المنكرة .

وهنا يمكن أن نربط فكرة التعليم بالعقيدة ونرفع أساسه على القيم الخلقية والإيمانية ، ونجعلهما أمرين متلازمين لا انفصال بينهما في أي حين وفي أي ظرف عصيب ، وسوف لا يتم ذلك إلا بطريق كبار الموجهين من العلماء وخبراء التعليم والتربية في مجتمعاتنا ممن يُعرفون بالعلم والدين والثقافة والاطلاع الشامل على ما يجري في العالم من اتجاهات علمية وحضارية واجتماعية وما يعيشه العالم الإسلامي من أوضاع حقيقية راهنة .

يقول أحد خبراء التعليم والتربية في العصر الحاضر وهو « جان ديوي » (John Dewey) في مقالة له نشرته دائرة المعارف البريطانية :

« إن عملية التربية في أمة وبلاد ليست بضاعة تُصدّر إلى الخارج أو تُستـــورد إلى الداخل كالمصنوعات أو المواد الخام أو الحاجيات والمخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد ، إنما هي كلباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش لها وتموت في سبيلها ، وإن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد ، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز وتسليحها بالدلائل العلمية ، إذا احتيج إليها ، إنها وسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة ، وإن أفضل تفسير لنظام التربية هو أنها السعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

العالم الإسلامي ومشكلة التعليم وتخلف المسلمين

هناك مشكلات ذات أهمية بالغة يواجهها العالم الإسلامي وبالتالي يعيشها الشعوب المسلمة . ومن أهمها وأولاها التي تعرقل مسيرة التقدم وتحبط مجهودات التطور العلمي واستئناف دورة حضارية جديدة . هي الأمّية المتفشية في عالمنا الإسلامي على أوسع نطاق .

ورغم أننا نعتقد بكل جزم وجدّية أن الأمية الفاشية وانخفاض نسبة التعليم في البلدان الإسلامية لمن أعظم أسباب تخلف المسلمين بالمعنى الشمولي . الا أن مجرد القيام برفع نسبة التعليم في المسلمين ونشر العلوم والمعارف على نطاق أوسع بتوفير كافة الوسائل الحديثة في هذا المجال . سوف لا يحقق الغرض المطلوب في البلوغ بهم إلى درجة القيادة العالمية . وإرغام الحضارات الحديثة للخضوع أمام هذه القيادة . ما لم يتزامل التعليم مع التربية في المجتمعات الإسلامية . وما لم يكن هناك توجيه إسلامي مخلص يدعو المسلمين إلى العودة إلى منصبهم القيادي بالتمسك بتعاليم الكتاب والسنة والسير في ضوئها بكل اقتناع علمي إيماني . يحتاج ذلك إلى أن تتوفر هناك جماعة مخلصة على توجيه المسلمين العام حتى لا يحيدوا عن الخط السليم في أيّ مرحلة من مسيرتهم الاجتماعية والحضارية . ويمثلوا دور خير الأمة التي أخرجت للناس .

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد الثاني

المجلد الأربعون

شوال ١٤١٥هـ

فبراير - مارس ١٩٩٥م

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

الدعوة للحضور في دورات هذا المجلس ، فكان يشرّفه ويرأس جلساته في كثير من الأحيان ، وكان يقضي بعض الوقت مع سماحة العلامة الشيخ الندوي في رحاب ندوة العلماء .

رحمه الله تعالى - رحمة واسعة وأغدق عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ خليل الحامدي في ذمة الله

تلقينا مؤخرًا نبأ وفاة الداعية الإسلامي الشيخ خليل الحامدي بغاية من الأسى والأسف ، لقد كان خير ترجمان للجماعة الإسلامية ومن أنجب تلاميذ الأستاذ الكبير أبي الأعلى المودودي والقائمين بدعوته بإخلاص واقتناع ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كان مديرًا لدار العروبة للدعوة الإسلامية التي تولت نشر وترجمة كتب الجماعة الإسلامية ولا سيما مؤلفات العلامة المودودي إلى العربية .

كما كان يدير إدارة المعارف الإسلامية التي أسسها الأستاذ المودودي للبحث والتحقيق والطبع ، لنشر الكتب الإسلامية ونقل ما يجدر منها إلى العربية .

لقد كان يمثّل الجماعة الإسلامية في الدول العربية والإسلامية وفي الندوات والمؤتمرات ، ويُعتبر رمزًا للجماعة وترجمانا للدعوة الإسلامية التي تولتها الجماعة الإسلامية ، كان يتقن اللغة العربية والإنجليزية ، ويرأس كثيرًا من المناسبات الدينية والمخيمات التربوية التي كانت تقام باسم الجماعة .

له مؤلفات عديدة قيمة ، وكان يجمع بين التأليف والترجمة ، كما كان مقبولاً في أوساط الدعوة الإسلامية ومعروفًا بنشاطه الدعوي في كل مكان ، ولا شك أن وفاته خسارة كبيرة للجماعة الإسلامية و بمثابة فراغ في مجال الدعوة الإسلامية ، رحمه الله وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته .

ونحن إذ نشكر فضيلة الشيخ محمد أيوب الندوي مدير دار العلوم تور الإسلام والشيخ محمد علي نائب المدير والشيخ حيدر علي أستاذ دار العلوم وجميع الأساتذة الكرام.نبتهل إلى الله تعالى أن يوفق القائمين على الدار إلى ما فيه خير الإسلام ويهيّئ لهم من الوسائل ما يُمكّنهم من إنجاز مشاريعهم الإنشائية والتربوية ، وما ذلك على الله بعزيز .

أخبار اجتماعية وثقافية :

كتاب جديد باسم :

أمير الشريعة الرابع

أصدرت الإمارة الشريعة لولايتي بيهار وأريسا من مقرها الرئيسي في (بتنا) كتابًا خاصًا بحياة ومآثر فضيلة الشيخ العلامة السيد منة الله الرحماني - رحمه الله تعالى - الذي يعتبر مؤسس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند وكان أمينها العام الأول ، قضى حياة حافلة بجلائل الأعمال والخدمات الغالية في مجال الشريعة الإسلامية .

هذا الكتاب مجموعة لمقالات كتبت حول هذه الشخصية العظيمة التي اختارها الله تعالى لخدمة العلم والدين ، وتعريف أهمية الشريعة الإسلامية ودورها في حياة المسلم ، وهو نجل العلامة الشيخ محمد علي المونغيري - رحمه الله تعالى - مؤسس ندوة العلماء في الهند ، ... والكتاب خير دليل على حياة الفقيد وخدماته ومآثره وأعماله المهمة التي قام بها ، وأعدّ جيلا مشرفا من علماء الشريعة بتربيته الخاصة .

يستهل هذا الكتاب بمقال ضاف كتبه أستاذنا الكبير العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي حول حياته ، فقد كانت علاقته مع الفقيد وطيدة وقديمة ، كما ان الفقيد - رحمه الله - كان ذا اتصال قوي بحركة ندوة العلماء وبرامجها وأعمالها ، إلى آخر لحظة من حياته، لقد كان عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، فقد كان يوجّه إليه

ترحيب في هذه المناسبة قام فيها طلاب المدرسة بمظاهرة تعليمية ، وألقوا خطبًا تشهد على المجهودات التي يبذلها الأساتذة الكرام والعناية التي يتناولون بها الطلاب ، والتربية السليمة التي يتلقونها من حضرات المشرفين .

كانت مناسبة سارة حيث تجولنا في المدرسة والتقينا ببعض أبناء الندوة المتخرجين قديمًا ، وفي مقدمتهم فضيلة الأستاذ محمد عين الحق الندوي والأستاذ شبير عالم الندوي وغيرهما .

والمدرسة قائمة في مبان من الخص ، وهي تحتاج إلى تشييد مبان جديدة ، وإنجاز مشاريع إنشائية ، ولا سيما المسجد الواسع الذي لا يزال في بناية من الخص ، فحبذا لو وفق الله سبحانه بعض عباده المحسنين إلى تشييد هذا المسجد في منطقة لا يوجد فيها مسجد إلى مسافة بعيدة .

دارالعلوم نور الإسلام في جلپا فور

كانت رحلتنا لزيارة دار العلوم نور الإسلام في جلبا فور نيبال مع جماعة من حضرات الأخوة المسئولين عن هذه الدار ، ممتعة ومفيدة ، حيث شاهدنا تطورًا كبيرًا في كل مجال ، والتقينا مع الأساتذة الكرام والطلبة الأعزاء ، وشاركنا ندوة ترحيبية عُقدت في المناسبة ، ألقى فيها الشيخ محمد عباس الندوي رئيس دار العلوم ، كلمة تحية ورحب بنا ، فرددنا التحية بكلمات ألقاها فضيلة الشيخ محمد خالد الندوي وهذا العاجز ، حول موضوع طلب العلم وأدب المتعلم .

وفي الصباح التالي زرنا مدرسة دار العلوم في رام نگر بوتها وقضينا مع مدير المدرسة والأساتذة الكرام وقتا طيبًا ورأينا آثار التقدم في جميع المجالات ، وتحدثنا في حفلة جمعت الطلاب وجميع أعضاء الدار ، وبعد العودة منها حضرنا حفلة وضع حجر الأساس لمدرسة البنات المسلمات في رحاب دار العلوم نور الإسلام - جلبا فور .

دار العلوم أرريا - بير غاشي - بولاية بيهار

وقُدر لنا بعد العودة من جولة لمديرية غازيفور بالولاية الشمالية أن نسافر إلى مدينة (كتيهار) ، ثم (أرريا كوت) شرقي ولاية بيهار للحضور في حفلة سنوية لدار العلوم أرريا - بير غاشي ، على دعوة من المسئوليتن عن المدرسة الذين طلبوا من سعادة مدير دار العلوم لندوة العلماء أن يتكرم بالموافقة على دعوتهم لنا ، وهكذا كان ، فقد قمت أنا وأخي الكريم فضيلة الشيخ محمد خالد الندوي بالسفر إلى هذه المدرسة والحضور في حفلتها السنوية التي ضمّتعديدًا من علماء المدارس الشهيرة ، وكان لخطاب الشيخ محمد خالد الندوي دويّ في أوساط هذه المنطقة العلمية والدينية ، وفي الحفلة الأخيرة التي عقدت في اليوم التالي ليلا كانت لي الكلمة الأخيرة حول مزايا تعاليم الإسلام وما أكرمنا الله به من نعمة الدين ، التي تتطلب منا أن نودى حقها من الشكر بأداء المسئولية التي تعود علينا بطريق عملي .

وقد أعجبنا بهذه المدرسة التي أقيمت منذ مدة قريبة في هذه القرية التي كانت بأشد حاجة إلى نشر التعليم والوعي الإسلامي ، وهي ستقوم بهذا الدور الإسلامي ، وتكون وسيلة ذات أهمية للتعليم والتربية والدعوة الإسلامية في هذه المنطقة وما جاورها من المدن والقرى التي يكثر فيها عدد المسلمين وهم أحوج ما يكونون إلى تعميق جذور الإسلام في نفوسهم ، نشكر المسئولين الكرام على حُسن تلقيهم ، وخاصة الأخ الكريم الأستاذ مسعود عالم الندوي أستاذ دار العلوم الذي كان سببًا لهذه الزيارة ، فجزاه الله كل خير .

وفي اليوم الثاني زرنا دار العلوم بوجفاؤن ، التي هي من فروع دار العلوم لندوة العلماء ، وهي على بعد عشرة كيلو مترات من أرريا كوت ، رافقنا إلى المدرسة مديرها الأستاذ محمد أيوب ، وكان قد أعدّ حفلة

استغرقت ساعة ونصف ساعة ، وفي الأخير كانت في كلمة حول الموضوع في ضوء الواقع والتاريخ ، وانفض الحفل في وقت متأخر بعد مضي منتصف من الليل .

كان المبيت في مبنى المدرسة وزرنا أقسامها في الصباح واجتمعنا مع الأساتذة والطلاب ، وشاهدنا شاطئ النهر الذي اختاره الإمام الشهيد لنزوله في هذه المدينة وإقامته فيها ، كان هناك أحد أتباع الإمام الشهيد واسمه الشيخ فرزند علي ، الذي قدّم ابنه الشاب أمجد علي كهدية متواضعة إليه ليأخذه إلى الجهاد الإسلامي ، ويرزقه الله الشهادة في سبيله وقد حقق الله أمنيته وأكرمه بشهادة ابنه الشاب في ساحة الجهاد الإسلامي في معركة مع الكفار .

وبعد ما انتهينا من الإفطار في الصباح مع فضيلة الشيخ عزيز الحسن والمسئولين عن المدرسة توجهنا إلى بلدة « سيد فور بتري » التاريخية حيث كان مقر للشيخ فرزند علي ، ومسجده الذي كان يصلي فيه ، ولا يزال عامرًا يصلي فيه سكان المنطقة ، وقد أقيمت هناك مدرسة في المكان الذي كان فيه منزل للشيخ فرزند علي ، باسم المدرسة الحميدية ، وهي فرع للمدرسة الدينية يهتمون فيها بتدريس علوم وتحفيظ القرآن الكريم ، وقد اجتمعنا هناك مع المسئولين و وجهاء المنطقة والطلبة ، و زرنا بعض الآثار التاريخية ، وعلى مقربة من المدرسة « تمثال أشوكا » الذي له أهمية كبيرة في تاريخ الهند القديمة ، وهو يُطبع على الأوراق الرسمية والنقدية كشعار رسمي .

نشكر فضيلة الشيخ عزيز الحسن على هذه الدعوة المخلصة والحفاوة البالغة ، وعلى الفرصة الطيبة التي أتاحها لنا لزيارة المدرسة الدينية التي طالما كنا نسمع عنها ، ومشاهدة الآثار والأعمال التي أعجبنا بها .

= = =

وتخليدًا لذكرى هذه الزيارة وآثارها الباهرة أسست هذه الجامعة في نفس المكان الذي نزل فيه السيد الإمام وقضى فيه أيامًا عديدة ، ندعو الله سبحانه أن يجعلها منطلقًا للعلوم الدينية والدعوة الإسلامية ، ويوفق القائمين عليها لتحقيق هذا الهدف العظيم ، ونشكرهم على الحفاوة البالغة التي أكرمونا بها وفي مقدمتهم الشيخ محمد صلاح الدين القاسمي مدير الجامعة ، والشيخ إنعام الحق القاسمي،وقد وُفقنا لزيارة بعض المدارس الأخرى في هذه المناسبة ، منها مدرسة عرفان العلوم في بلدة « مغل سرائ » لصاحبها الشيخ غلام رسول ، وكذلك في « دلدار نگر » الجامعة الكريمية لصاحبها الأستاذ شميم أحمد ، ومدرسة إسلامية غيرهما في المنطقة .

المدرسة الدينية في مدينة غازيفور

قمنا بزيارة المدرسة الدينية في مدينة غازيفور على دعوة من مديرها الكريم فضيلة الشيخ عزيز الحسن الصديقي ، وهي مدرسة قديمة تعنى بتدريس العلوم الإسلامية لأبناء المسلمين ونشر الوعي الديني في المسلمين ، ولها تاريخ مشرق في هذا المجال ، موقعها على شاطئ نهـــر الغنغ ، حيث رست سفينة إمام الهجرة والجهاد أمير المؤمنين أحمد بن عرفان الشهيد ، حين عودته من رحلة الحج التاريخية التي سجلها تاريخ الهند الإسلامي بمداد من النور .

كان فضيلة الشيخ عزيز الحسن قد نظم حفلة عامة في موضوع إصلاح المجتمع ، قُدم فيها تقرير ضاف حول أهمية الموضوع والدور الذي تلعبه هذه المدرسة في هذا المجال بالذات من جرّاء الجهود التي يبذلها فضيلة الشيخ عزيز الحسن وأصدقاؤه وجماعته في مجال نشر العلوم والدعوة الإسلامية ، وإصلاح الشئون العائلية في مجتمعات المسلمين في هذه المنطقة ، ثم ألقى فضيلة الشيخ محمد خالد الندوي خطبة مجلجلة

س. الأعظمي

الجامعة الإسلامية قاسم العلوم - بمديرية غازيفور

سافرت أنا وأخي الكريم فضيلة الشيخ محمد خالد الندوي بأمر من إدارة دار العلوم ندوة العلماء في الأسبوع الثاني من شهر جمادى الثانية ١٤١٥هـ - ١٢ من شهر نوفمبر ١٩٩٤م ، إلى بلدة « زماتيه » بمديرية غازيفور بالولاية الشمالية - الهند ، وذلك على دعوة من المسئولين عن الجامعة الإسلامية قاسم العلوم للحضور في حفلتها السنوية لهذا العام ، كان من ضمن برامجها وضع حجر الأساس لأحد مساكن الطلبة فيها ، عُقدت الحفلة في الساعة الواحدة ظهرًا وبُدئت بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، ثم أدار الحفلة فضيلة الأستاذ أسير أدروي أحد أساتذة الجامعة الإسلامية بمدينة واراناسي ، وألقى فيها فضيلة الشيخ محمد خالد الندوي محاضرة قيمة في موضوع ديني تربوي ، استرعت انتباه الحاضرين المستمعين ، ونالت منهم إعجابا وقبولاً .

وتلاه فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم بخطبة دينية كان لها وقع في النفوس ، ثم ألقيت أنا كلمة بمناسبة الموضوع والمكان ، وبعد ذلك رغب أحد أعضاء المدرسة أن يعلق على ما أُلقي في الحفلة من الخطب ، وبعد ذلك تمّ وضع حجر الأساس بأيدي الحاضرين من العلماء وأعلن عن تبرعات سخيّة تولاها بعض المخيرين لبناء هذا المبنى .

والجدير بالذكر أن هذا المكان الذي أسست فيه هذه الجامعة قد شرفه إمام الهجرة والجهاد أمير المؤمنين السيد أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله تعالى - بزيارته في طريق عودته من رحلة الحج التاريخية في القرن الثالث عشر الهجري (١) وأقام فيه عدة أيام وخلف آثاره الإيمانية فيه ،

---

(١) انظر سيرة الإمام بقلم : العلامة السيد أبي الحسن على الحسني الندوي .

وكان رجال المخابرات يرتادون إلى ندوة العلماء كعادتهم للبحث عن بعض الأشخاص والتعرف على بعض الأمور الإدارية ، وكانت إدارة ندوة العلماء تساعدهم في تلبية طلباتهم ولم يكن يتصور أحد أن المخابرات ستقدم على مثل هذه المغامرة السافلة وتغض البصر عن جميع الاعتبارات القانونية والخلقية .

وقد كان سماحة العلامة الشيخ الندوي في رائ بريلي فأبلغ سماحته بهذا الاعتداء فأعرب عن صدمته الشديدة واحتج بشدة لدى السلطات الإقليمية والمركزية ، وأعربت السلطات الإقليمية عن أسفها وعدم مسئوليتها وأصدر كبير وزراء الولاية المستر مولائم سنغ يادو تعليمات بالافراج عن المعتقلين مباشرة ، ودفع تعويضات ومعاقبة المجرمين ، وحمل الحكومة المركزية المسئولية الكاملة . لأن الهجوم كان يقودها رجال الحكومة المركزية ، وقد طالب المسئولون عن المدرسة بمعاقبة الضباط الذين اشتركوا في هذا الاعتداء ، ودفع تعويضات إلى الطلبة الذين أصيبوا ، وأن تعاهد الحكومة بإيقاف الحملة التي تقودها ضد المدارس الإسلامية ، وتعرب الحكومة عن أسفها على حدوث هذه الإساءة الكبرى إلى ندوة العلماء .

وقد أفادت التقارير الواردة من مناطق الأغلبية الإسلامية أن دور التجارة والصناعة أغلقت احتجاجا على هذا الاعتداء الذي لا يعتبر اعتداء على مدرسة فقط بل اعتداء على شرف المسلمين وكرامتهم ، لأن ندوة العلماء مركز عالمي للدراسات الإسلامية ، ومفخرة للمسلمين في الهند وأرسل القادة والزعماء المسلمون ، والمنظمات الإسلامية برقيات احتجاج إلى المسئولين . [المسلمون - المملكة العربية السعودية]

الشرطة النار على تجمع الطلبة العزل ، فجرح عدد منهم بالطلقات [illegible]
ونقلوا إلى المستشفى للعملية .

وقد أثارت هذه الغارة رد فعل عنيف ليس في أوساط ندوة العلماء بل في مدينة لكناؤ ، ثم انتشرت موجة الغضب والسخط في الهند ، لأن هذه الغارة على مدرسة إسلامية ليست هي الغارة الأولى فقد تعرضت دار العلوم ديوبند ومدارس أخرى لمثل هذه الغارات أو أنها كانت محدودة في السابق . وقد شنت المخابرات الهندية الغارة على ندوة العلماء بنطاق كبير وجمعت لها قوة كبيرة ، ولو لم يلتزم الطلبة بالتحفظ لكانت نتائج هذه الغارة أخطر وأوسع مما حدث بالنسبة للخسائر والإصابات ، وقد تضررت جدران وسقف رواق أطهر بالطلقات النارية .

لم يكن هذا الهجوم هجوما منعزلاً ، وإنما هو حلقة من مؤامرة تحاك منذ مدة ضد نظام المدارس الإسلامية في الهند ، وتبث المخابرات الهندية الشكوك وتساعدها في هذا الأمر الصحافة الهندية التي تسيطر عليها المنظمات الإرهابية الهندوسية ، وتعرض المخابرات الهندية المدارس الإسلامية كأنها أوكار للإرهابيين ، وملاجئ عملاء وكالة المخابرات الباكستانية ، وقد تصعدت هذه الحملة منذ هدم المسجد البابري والأحداث التي وقعت أثر الهجوم .

وتدعى وكالة المخابرات الهندية ان المدارس تقوم بتربية الإرهابيين أو إيوائهم ، واتخذت هذا التصور الخاطئ منطلقا للرقابة على نشاطات المدارس والتجسس عليها ، وعلى المتصلين بها ، والهجوم المباغت عليها حينا بعد حين .

[illegible] رجال [illegible] قد [illegible] ا ندوة [illegible] خلال الأسبوعين الماضيين [illegible] من الطلبة الكشميريين [illegible] [أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية - مكة المكرمة]

[illegible]

غارة ليلية مسلحة على ندوة العلماء بالهند

[illegible] طلبة ندوة العلماء بلكناؤ الهند وأساتذتها في الأسبوع الماضي بعد منتصف الليل - وهم نائمون - بغارة مكثفة للشرطة المسلحة التي كانت تتكون من الكوماندوز وشرطة دلهي ، ورجال المخابرات المركزية ، ورجال شرطة الولاية الشمالية أترابراديش ، وقد أحاطت الشرطة بالحرم الجامعي ، وقطعت جميع الطرق ، وقطعت خط التليفون في غرفة الاستقبال عند المدخل ، وأقفلت جميع أبواب أروقة الطلبة ، واقتحمت جماعة منها غرفة رقم/ ٤٠ من رواق أطهر بعد كسر بابها ، وقامت بالتفتيش داخل الغرفة ، ثم اعتقلت جميع قاطني الغرفة البالغ عددهم ستة طلاب بتهمة أنهم إرهابيون أو لهم صلة بالإرهابيين الكشميريين . ولم يكن في هؤلاء الطلبة المعتقلين إلا طالب كشميري يدرس في الندوة منذ سنين وهو حسن السلوك ، ملتزم بنظام المدرسة .

وظلت المنطقة كلها تحت سيطرة هؤلاء المهاجمين ساعة كاملة وعند ما اعترض المسئولون عن الجامعة على هذه العملية الوحشية ، تعرضوا لسوء السلوك والتهديد ، وقال المهاجمون : إنهم يبحثون عن الإرهابيين وانهم سوف لا يعطلون لأحد ضررهم ، وعلى اعتراض الطلبة والأساتذة على اعتقال الطلبة الأبرياء بهذه الطريقة الاستبدادية ، أطلق رجال

الوزير [illegible]

وإدارة [illegible]

وحدوث [illegible]

وانتشر [illegible] في الأرجاء الأخرى من [illegible] الأساتذة والطلبة محاولين منع الشرطة من اعتقال الطلبة المعتقلين إلى خارج الجامعة إلا أن الشرطة ردت بإطلاق أعيرة نارية في الهواء أدى إلى أصابة طالبين بجروح ونقلت الشرطة الطلبة المعتقلين إلى مركز شرطة (حضرت غنج) بوسط المدينة حيث بدأ استجوابهم الذي دام عدة ساعات.

وكانت جماعة المخابرات القادمة من دلهي تبحث عن معلومات حول شخص يسمى خورشيد أحمد، قيل: إنه أقام بإحدى غرف المبنى قبل أربعة أشهر.

وقد تجاوب رئيس وزراء الولاية ملائم سنغ بسرعة حيث أمر بإطلاق سراح الطلبة المعتقلين وبوقف ضابطين بشرطة لكناؤ بتهمة التصرف بدون إذن سلطات الولاية كما أمر بصرف مبلغ عشرة آلاف روبية لكل من الطالبين الجريحين ومبلغ مائة ألف روبية لندوة العلماء لترميم الأضرار التي ألحقها الحادث بمباني الجامعة الإسلامية، وقد رفعت حكومة الولاية شكوى مكتوبة إلى الحكومة الهندية المركزية تحتج على هذا الهجوم الذي تم بدون استشارة الحكومة الإقليمية.

وقد أغلقت الجامعة في أعقاب هذا الهجوم ومن المتوقع أن تستأنف الدراسة بعد اكتمال التحقيقات.

وقام [illegible] وقت [illegible] الهجوم . وقامت المجموعة [illegible] نارية أدت إلى [illegible] من الطلبة .

وقد بدأ هذا الهجوم المسلح على المؤسسة التعليمية المعروفة في الساعة الثانية إلا الربع بعد منتصف الليل حين اقتحم رجال المخابرات والشرطة حرم هذه الجامعة الإسلامية ودخلوا مساكن الطلاب وقاموا بإغلاق أبواب كل الغرف بالمسكن من الخارج ، ثم اتجهوا إلى الطابق الأول وأمروا كل من بداخلها بالخروج فورا وحين تأخر الطلبة النائمون آنذاك عن الخروج قامت الشرطة الهاجمة بكسر زجاج النوافذ واقتحام الغرف وتمزيق حاجات الطلبة واستولوا على كتبهم وأوراقهم .

وتعليقا على الحادث قال سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي : إن اعتقال الشرطة لعدد من طلاب دار العلوم ثم إطلاق سراحهم كان محاولة للّمس بهيبة هذه المؤسسة العلمية العريقة .

وأضاف سماحة الشيخ الندوي : إن الجامعة كانت دائمًا تتعاون مع السلطات الهندية ، كما أنها تجيب على جميع استفساراتها حول أي طالب .. وبين سماحته أن من المؤسف أن تقتحم الشرطة هذا الصرح التربوي وتبث الذعر في نفوس الطلبة أثناء نومهم دون علم الحكومة أو إذنها .

من جانب آخر أوضح راجيش بايلوت وزير الدولة للشئون الداخلية في الهند لسماحة الشيخ الندوي : إن الوزارة ستتخذ الإجراءات اللازمة لمعالجة ذيول الحادث وانه قد تم توجيه الأوامر من أجل التحقيق في الظروف التي أدت إلى اقتحام المباني السكنية لدار العلوم ، وأضاف

[illegible]

[illegible]

على رجل إرهابي أو عميل باكستاني لكانت تستطيع القيام بأداء هذه المهمة بهدوء كامل عن طريق أخذ الثقة من مسئولي الندوة . ولكن كما شُنت الغارة على ندوة العلماء في ظلام الليل محاطا بها بقوات الأمن لم يكن هدف ذلك إلقاء القبض على الإرهابيين . ولكن كان هدف ذلك تشويه سمعة هذه المؤسسة الجليلة . وتكوين جوّ من التشكيك والتهمة يسود البلاد كلها . وكما هو معلوم لدى الجميع انه كلما يشن مثل هذه الغارة والهجوم على أية مؤسسة تعليمية للبلاد . يتم ذلك باخطار لمسئول من تلك المؤسسة تمامًا قبل ذلك الهجوم . ولا تجترئ الشرطة على اقتحام حرم المؤسسة حتى تحصل على الأذن الصريح من رئيسها أو عميدها .

إن هذا الاعتداء السافر الذي وقع على ندوة العلماء أحدث في العالم كله صدمة . الهند في حاجة ماسة إلى أن يكون لها أصدقاء في العالم . ولا تستطيع أمثال حادثة ندوة العلماء أن تساعدها بصورة ما . وكل ما حدث في ندوة العلماء لم يكن نتيجة لخطأ موظف حكومي أو لسوء نيته . بل إنه جزء من السياسة التي تجرى لأجلها سلسلة الأسر والقبض على المسلمين في جميع البلاد عشوائيا تحت قانون « تاذا » ويكون ضدهم جوّ التشكيك وسوء الظن بهم . وما دامت هذه السياسة و هذه المواقف لكبار زعماء السياسة للبلاد لا يتغير الوضع . ولا يحدث فيها أي تحول أساسي . ولا ينقضي ولا ينتهي هذا الجوّ للتشكيك والريب ضد المسلمين ما دام كبار زعماء البلاد لا يتقدمون إلى أخذ الثقة من مسلمي الهند . و لا يتغير موقف الموظفين الحكوميين ورجال الشرطة نحوهم .

[صحيفة « الرائد »]

= = =

وجاء فيما كتبته الصحف العربية

قال البروفيسور محمد يونس النجرامي:

رئيس جمعية المثقفين المسلمين بالهند

حول هذا الحادث الفظيع:

« لم يكن هذا الاعتداء والهجوم على ندوة العلماء أمرّ ارتجاليًا غير متوقع ، فإن دار العلوم الواقعة بديوبند المشهورة على نطاق دولي ، قد كانت شُنّت الغارة عليها من قبل ذلك ، وكان قد ألقى القبض على بعض الطلبة باسم المخابرات السرّية الباكستانية (آئي. إس. آئي) واتهمت المدرسة الإسلامية المشهورة الواقعة بسهارنفور المدعوة بمظاهر العلوم بهذا الاتهام أيضًا ، وفوق ذلك كله كانت وزارة الداخلية المركزية والوكالات السرية وموظفو الشرطة الكبار كلهم كانوا يقومون بدعاية أن مدارس الهند الإسلامية قد تحولت إلى مراكز للوكالة السرية الباكستانية (آئي. إس. آئي- I.S.I.) .

اعتبر مسلو الهند هذا الاعتداء على ندوة العلماء بوجه خاص وقبلها على دار العلوم ديوبند ومظاهر العلوم سهارنفور مؤامرة قبيحة وخبيثة هدفها الوحيد عرض مسلم الهند كإرهابيين ومعادين للوطن وعملاء لباكسان .

وهذا الأمر لا يعقل ولا يوقن به أحد . إن الوكالات السرية المركزية تجهل تاريخ هذه المؤسسات الإسلامية وأنها لا تقدّر تاريخها وماضيها وتضحياتها وأهميتها في الأيام الحاضرة ؟ فلو كان هدفها إلقاء القبض

وقال سعادة الشيخ محمد الرابع الندوي :

مدير دار العلوم لندوة العلماء

في بيان له : إن هذه الإجراءات العدوانية الفاشمة التي اتخذها رجال البوليس المركزي والإقليمي ، بدون إنذار سابق لا مبرّر لها في أي حال ، وكلما طلب منا رجال المخابرات تفصيلاً عن طالب ، أو أرادوا الالتقاء بنا ساعدناهم مساعدة فورية ، ولكنهم رغم ذلك قاموا بمثل هذا الاعتداء واعتقلوا الطلبة الأبرياء في جنح الليل ، وجرحوهم بإطلاق النار ، وألحقوا أضرارًا بمباني الجامعة ، يدل ذلك على أن هناك مؤامرة مدروسة ضد المراكز الدينية الإسلامية والأمة الإسلامية الهندية ، وقدمت هذه الحادثة صورة مشوهة للهند أمام العالم كله ، وشوهد القلق والاضطراب في العالم الإسلامي كله ، لصلته بالمسلمين الهنود ، ومن المؤسف الشديد أن رجال البوليس للحكومة المركزية والإقليمية اتخذوا هذه الإجراءات العدوانية على أساس التقارير الكاذبة الملفقة ، والآن يقول جميع المسئولين ، إن هذه الإجراءات اتخذت بدون معرفة منهم ، ولقد ركّز كبير الوزراء لأترابراديش المستر « ملائم سنغ يادو » عنايته الخاصة الشخصية على هذه القضية الهامة ، و بُدئت إجراءات إيجابية بأوامره ، و أطلق سراح الطلبة المعتقلين ، و لم يستطع رجال البوليس أن يثبتوا أي جريمة ضدهم ، ومن المخزي أن بعض الجرائد والصحف و وسائل الاعلام الرسمية نشرت أخبارًا مزوّرة ملفقة ، رغم أنها عرفت الأوضاع جيدة ، ودعا فضيلته الصحف إلى أن تمثّل دورًا إيجابيًا في الظروف القاسية العصيبة ، وشكر الجرائد والصحف التي نشرت الأوضاع بصورة صحيحة صادقة . [الترجمة إلى العربية : للأستاذ محمد إكرام الحق الندوي]

« الرائد » تصدران من ندوة العلماء . وتنالان كل تقدير واحترام ، وتناقل الصحف والجرائد والمجلات الأخرى مقالاتها وبحوثها وأخبارها ، كما صدرت مؤلفات قيمة بالعربية بأقلام أساتذة وعلماء ندوة العلماء ، ونالت مكانا مرموقًا في المناهج التعليمية في الجامعات الكبرى للدول الإسلامية . وإن العالم الإسلامي كله يحترم هذه المراكز الدينية . والمعاهد الإسلامية الهندية ، فكان يجب على الهند أن تقدم إلى هذه المراكز كل نوع من المساندة لتواصل أعمالها ، كان يجب عليها أن تفتخر بها ، وتعتز بكتب وخطب ومجهودات وتضحيات علمائها ودعاتها و وعاظها ، وتؤمّن سلامتهم .

كانت الميزة البارزة لهذه المراكز الدينية في عهد حكم الإنجليز أنها لم تقبل أي مساعدة مالية حكومية ، واستغنت عن المساعدات الرسمية والرواتب الحكومية ، وكلما قدمت جهة مسئولة عن الحكومة أيّ مساعدة مالية إلينا اعتذرنا عن قبولها بكل شكر .

إنني اتصلت بوزير الداخلية راجيش پائلت هاتفيًا ، وأخبرته بالواقع المؤسف فأعرب عن أسفه . وقال : إن الحكومة المركزية لا تعرف عن هذه الإجراءات شيئًا . وسوف أوجه الدعوة للنقاش في أسباب هذه الحادثة المخزية وخلفياتها . إلى العلماء والعقلاء و المفكرين والمثقفين للحضور في ندوة على مستوى عموم الهند . لذلك فإنه لابد للمسلمين أن يتمالكوا أعصابهم في هذا الوقت العصيب ويراعوا القيم الخلقية والمثل الإنسانية على كل حال ، ولا يجعلوها حركة سياسية . إن الاضطراب الذي يوجد في صفوف المسلمين يدل على القلق والسخط البالغين اللذين أثارتهما هذه الإجراءات التعسفية والعمليات الاعتدائية .

وتذرف منها العيون . لقد قلت للوزارة الداخلية المركزية والمسئولين الكبار للحكومة الإقليمية : ليست هذه الحادثة مجرد غارة بوليسية بل إنها تماثل عملية قطاع الطريق واللصوص على مركز ديني إسلامي مقبل على العلوم و الفنون بهدوء .

إن الطبقة التي قدمت تضحياتها وضحت بنفسها في تحرير بلاد الهند من براثن الإنجليز ، هي طبقة العلماء والدعاة و الربانيين الذين تخرجوا من المدارس الدينية الإسلامية الهندية ، والمراكز الدينية ، ولكن من المؤسف أن تحاك اليوم مخططات رهيبة ضد هذه المراكز الدينية ، وتُوجه إليها الاتهامات بأنها أوكار الإرهاب والعنف والتطرف ، وتُشوه صورتها ، وتُهدر كرامتها ، وتُجرح حرمتها .

إن هذه الحادثة إنذار خطر لاتجاه البلاد إلى المصير المشئوم . إنني أتساءل الحكومة أن تُبين لنا النوايا التي كانت مختفية وراء هذه المؤامرة الفظيعة ؟ ولمصلحة من دُبّر هذا المخطط في ظلام الليل وفي وقت متأخر منه ، وبصورة مباغتة . كأن هذه المؤسسة العلمية الكبرى مكمن للمجرمين والإرهابيين .

إنني أقول بصراحة : إن الحياة الإنسانية لا تستقر بالبنادق والرصاص ، بل تستقر بالنظام والقانون ومراعاة أمور الناس وتنزيلهم على منازلهم . ولو لا هذا النظام ورعايته لتحولت الحياة إلى أنقاض وأطلال وغابات .

إن الخدمات العلمية والأدبية والدعوية ، التي أنجزتها ندوة العلماء ، لا يمكن صرف النظر عنها . إنها مركز لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيسها و نائبها من هذه الدار ، و مجلة « البعث الإسلامي » و صحيفة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

« غارة مسلحة مفاجئة على جامعة ندوة العلماء »

س. الأعظمي

في وقت متأخر من ليلة الثاني والعشرين لشهر نوفمبر المنصرم وفي الساعة الثانية بالضبط حاصر شرطة المخابرات المركزية بمساعدة من الشرطة الإقليمية بقيادة ضباط منظمة المخابرات المركزية ، جامعة ندوة العلماء حيث أجبروا حُرّاس البوّابة الرئيسية على فتحها ، وهدّدوهم بالمصير السيئ إذا لم يفتحوا الباب ، وهنالك اقتحمت القوات العسكرية مصحوبة بجماعة مسلحة من الكماندوز وغيرها الحرم الجامعي ، وتوجهوا إلى مساكن الطلاب ونحو أكبر الأروقة التي يسكن فيها طلاب الجامعة ، وهو ما يُدعى برواق أطهر في الطابق الأول والغرفة العشرين بالذات التي كان عدد سُكانها ستة ، وذلك بعد ما أغلقوا أبواب الغرف الأخرى في هذا الرواق من الخارج ، واستفتحوا باب هذه الغرفة التي كانت مغلقة على سكانها الطلاب النائمين بعد عناء الدراسة والمذاكرات العلمية ، ودُهش طلبة الغرفة وظنوا أنهم في حالة من الحلم ولكنهم فوجئوا بالبنادق وهُددوا بإطلاق النار عليهم بعد ما كُسرت زجاجات النوافذ ، واقتحم عليهم البوليس المسلح وقبضوا عليهم وهم في لباس النوم واعتقلوهم بتهمة أنهم إرهابيون وفتشوا عن جميع أغراضهم وأوراقهم وأمتعتهم بطريق وحشي غريب ، ثم زجوهم في سيارة البوليس ، وكل ذلك على مرأى ومسمع من التجمع الطلابي وكبار المسئولين الموجودين في الجامعة، ورغم تعرضهم لهم لم يبالوا بشيء ، وذهبوا بالطلاب إلى مكان مجهول .

كان الإسلام دين عقيدة، وصبر ومثابرة، وإقناع وتفهيم وكان الدعاة إلى الإسلام قدوة صالحة، يحتملون المكروه والأذى في سبيل دعوتهم، ويلقون درس المحبة، والعفو، يجزون المسيء بالحسنى، فكانت قلوب الجبابرة والمستبدين، والقتلة والقساة، تلين لهم، وينقادون لهم.

إن الوضع اليوم يختلف اختلافًا بائنًا عن ذلك الوضع، فإن القساة والمستبدين يزدادون قسوة واستبدادًا، ويزدادون جراءة وجسارة وعداوة للإسلام، والكيد له يتصاعد ويتفاقم، وتضيق آفاق الدعوة الإسلامية، وتضيق الأرض بما رحبت للمسلمين في العالم كله، وتتخذ إجراءات لإخراجهم أو فرض القيود على شخصيتهم الإسلامية.

إنه لمن المفاجآت المحيرة للعقول أن الإسلام يعتبر خطرًا على الإنسانية، والمسلمون يعتبرون مصدر قلق واضطراب في العالم، ويواجه المسلمون مضايقات في العيش في بيئات غيرهم.

كانت القوى المعادية للإسلام تشكل عقبات في سبيل الإسلام في كل زمن منذ نشأة الإسلام وكانت لها دول واسعة الارجاء ولكن انتصر الإسلام وسخرت له قلوب، ولانت له النفوس، وغلب المسلمون على مشاكلهم وخرجوا من مآزقهم، وفتحوا أرجاء واسعة من العالم. فكيف يعجز المسلمون اليوم عن حل مشاكلهم وأزماتهم، وما هو العامل الأساسي لهذه الأزمة، إنه هو المنهج للدعوة، والمنهج للحياة، والمنهج للفكر.

= = =

لقد شغلت الفكر الإسلامي أزمة الصومال ، ثم أزمة اليمن ، ثم أزمة أفغانستان ، وهذه هي أزمة باكستان ، وبنغلاديش .

إن هذه الدماء أريقت بأيدي المسلمين وهذا التدمير الواسع لثروة البلاد والاضطراب السياسي الذي حدث ، حدث بأيدي المسلمين ، ولا تقدم هذه الأوضاع إلى العالم تصورًا إلا وهو تصور عجز المسلمين عن حلّ مشاكلهم بأنفسهم ، وأقصى قابلية المسلمين للوقوع في ورطة ، فإذا كان المسلمون غير قادرين على حل مشاكلهم فيما بينهم ، فكيف يمكنهم حلّ مشاكلهم مع من هو أقوى منهم عدة وعتادًا وتخطيطًا .

لقد اختلف الإسلام كدين عن سائر الأديان ، فإن كل دين له زاوية معيّنة للإصلاح ، وسمة خاصة ، تميزه عن غيره ، وهو محصور في تلك الزاوية ، كما أن كل دين له عصر معين ، وله بيئة معينة ، أما الإسلام فهو دين متكامل الأجزاء ، دين الإنسانية كلها ، والأزمنة كلها ، كذلك الحركات التي نشأت في العصر الأخير في أوربا حركات موقتة نشأت في ظروف ، ومجموعة من الناس ، وتأثرت بتفكير شخص معين ومعظمها ناتجة عن ردود فعل ، وانعكاسات الأحداث ، أو سياسات ، ولكن الدعوة الإسلامية ، لها منهج مستمد من التعاليم الإسلامية ، ويقوم بالسلوك الاسلامي ، فإذا انحرف عن هذا السلوك الإسلامي قيد شعرة أتى بنتائج معكوسة ، وحدثت نكسات في العمل .

إن روح المنهج الإسلامي يكمن في التمسك بالتعاليم الإسلامية ، وتتركز نظرة المؤمن فيه على مدى تمسكه بالسلوكيات الإسلامية ، واتباعه للخطوط الإسلامية ، في مواجهة العقبات ، ومعالجة المحن .

المعايير الغربية والمناهج الغربية لتحقيق أهدافهم ، فلا تأتي جهودهم بالنتائج المرتقبة التي تترتب على العمل الإسلامي المنهجي .

تتكثف المشاكل في العالم الإسلامي وتتفاقم الأزمات لأن الانفعال الزايد يغلب عادة على مواقف المسلمين في معالجة قضاياهم المحلية أو الدولية والتهور بدلاً من التدبر والتخطيط ، ويتسرعون إلى الارتياب واتخاذ آخر خطوة بدلاً من التأني والتريث ، وإمعان النظر ، والبحث عن وسائل الحكمة والتدبر ، فتحدث صراعات لاختلاف في الرأي أو المنهج ، وتتطور هذه الصراعات في وقت قصير إلى اشتباكات ، واعتداءات تسبب خسائر فادحة في الأرواح والمتلكات تشوه سمعة البلاد بل سمعة المسلمين ، لتسلم المتطرفين والمتزمتين القيادة سواء كانت هذه المشاكل سياسية أو اجتماعية ، أو مذهبية ، أو طبقية ، وأدت هذه المواقف المتطرفة التي كانت ناتجة عن غلبة قيادات طائشة إلى سفك دماء المسلمين ، في قضايا سطحية ، وأحيانًا حدثت مثل هذه الصراعات العنيفة بين فرق وجماعات إسلامية نفسها .

ومن أسوأ الأمثلة لذلك ما يحدث اليوم في باكستان ، وما حدث أخيرًا في أفغانستان ، وبنغلاديش ، ودول إسلامية أخرى ، فقام المسلمون فيها بتدمير بيوتهم ، وثروتهم ، واستنزفوا قوتهم بأيديهم ، وتفاقم الوضع في بعض الدول إلى هجوم المسلمين أنفسهم على مساجد غيرهم والمدارس الإسلامية ، وقتل الأبرياء ، حتى الأطفال والنساء ، ولا يخرج المسلمون من أزمة إلا وتواجههم أزمة أخرى ومن الحزن على مأسي بلد إلا وتحزنهم مأسي بلد آخر .

قضايا المسلين و منهج معالجتها

واضح رشيد الندوي

إن المشاكل التي يواجهها الإنسان في حياته تتنوع وتخف وتشتد حدتها حسب الظروف ، والأوضاع والبيئة التي يعيش فيها ، كما ترجع حدتها وهوانها على النفوس إلى صلاحية الإنسان وقدرته على معالجتها، والوسائل التي يختارها لمواجهتها ، وحكمته وفراسته ومنهجه .

لا يخلو أي عصر من المشاكل ، ولا تخلو حياة أي إنسان من المشاكل ، فإن الحياة كبحر ، تتلاطم أمواجه حينًا ، وتهدأ حينًا آخر ، ويحدث فيه مد وجزر ، ولا يخاف أهل البصيرة ، و أولو العزم وأصحاب العقيدة الراسخة والايمان والثقة بالنفس ، ما يواجهونه من مشاكل وصعوبات ، وقد تكون المشاكل والمحن منطلقًا إلى المعالي ، ومحوّلة إلى انقلاب في الحياة ، وموجهة إلى آفاق جديدة للعمل ، وكاشفة لزوايا جديدة للفكر .

إن تاريخ الإسلام حافل بالمحن ، والتحديات ، وكانت هذه المحن والتحديات عادة من عناصر ازدهار الإسلام والمسلمين ، لأن الشدة تقوم بعمل التشحيذ ، والتنقية ، وتزيل حالة الجمود والركود ، التي تطرأ على الأمم في النعمة والثراء ، وفي جو الأمن والسلام ، فإن الاطمئنان على النفس يحدث التراخي والدعة والتهاون ، وقد سقطت دول إسلامية في أوج حضارتها ، وقمة ازدهارها وسعتها وتكونت دول إسلامية ، و

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible]

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

= = =

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

= = =

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

وأما البلاذري فيذكر : أن ثلاثة من طيئ اجتمعوا في بقعة ، وهم مرامرة ابن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار ، ثم تعلم عنهم نفر من أهل الحيرة ، ثم انتقل الأمر إلى أهل المدينة المنورة فمكة المكرمة ، وتعلمه الكثيرون وتداولوه (١) .

أو أن ستة أشخاص - كما ذكر القلقشندي عن الجوهري - كانوا أول من اخترعه وألف حروفه ، وهم ستة نزلوا عند عدنان بن أدد ، وأسماؤهم كانت : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن سعفص ، قرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف ، وهي : ثخذ ضظغ (٢) .

وقيل : غير ذلك الكثير مما يؤيد أن الأبجدية العربية من وضع الإنسان واصطلاحه في المقابل الآخر ، لأنها من جملة الصنائع المدنية التي تلزم الناس في معاشهم ، كما ذكر العلامة ابن خلدون (٣) .

وهذا هو القريب إلى الذهن والمعقول ، إذ لابد وأن الكتابة مرت بالطور الصوتي ، والرمزي ، ثم المقطعي والصوتي ثانية ، وأخيرًا الهجائي (٤) .

وينسب بعض الباحثين إلى الخط العربي أنه أول سلسلة في الخط المصري القديم ، و ثاني الحلقات هو الخط الفينيقي ، و هي نسبة إلى

---

(١) فتوح البلدان : ٥٧٩/٢ .

(٢) صبح الأعشى : ٩/٢ .

(٣) راجع المقدمة : ٤١٩ ، وتاريخ الأدب لحفني ناصف : ٤٦ .

(٤) تاريخ الأدب : ص/٥٤ .

أبجد هوز حطي كلمن ، وما جاء في ترتيب الأبجدية العربية على نحو (أ ب ت ث ..) إنما قصد به ضم المتشابه إلى بعضه تسهيلا للتعلم (١) .

« وقد ذكر الدكتور شوقي النجار بأنه بحث عن الحديث المروي عن أبي ذر ، فما وجده في كتب الحديث المعتمدة إطلاقا (٢) » ومن ثم فقد رد الحديث ، وأكد بأنه موضوع ، لما فيه من افتعالات الغضب والتأكيدات التي نسارع إلى ردها ، والتي لا تليق بجلال موقف النبوة والحكمة : حين لا يكون الغضب والوعيد الشديد إلا لأمر عظيم ، أو مخالفة خطيرة .

وكما دارت قضية نشأة اللغة بين الاصطلاح والتوقيف ، نرى قضية الكتابة والأبجدية العربية قد سارت في هذا المضمار :

فهناك رواية تروى عن الفراء بأن العمري حدثه أنه قيل لابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- من أين تعلمتم الكتابة والهجاء والشكل ؟ قال : من حرب بن أمية ، قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال : من طارئ طرأ علينا من اليمن ، قيل : ومن أين علمه ذلك الطارئ ؟ قال : من كاتب الوحي لهود - عليه الصلاة والسلام - (٣) .

على أن حفني ناصف يضيف إلى الخبر : أن حرب بن أمية تعلمها في أسفاره من عدة أشخاص ، منهم بشر بن عبد الملك ، أخو أكيدر صاحب دومة الجندل (٤) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مجلة الدارة عدد/٢ السنة ٨/محرم ١٤٠٢هـ ، السعودية .

(٣) صبح الأعشى : ٣/٢ .

(٤) تاريخ الأدب : ص/٥٧ .

وعند مناقشة ما سبق في إيجاز نرى أن أدلتهم لا تقوى على إثبات شئ ، ولا تثبت أمام النقد : فما الداعي لأن يتعلم آدم كل الألسنة ؟

ولعل المراد من الأسماء في الآية الكريمة (١) : أسماء الموجودات التي عايشت آدم ، ولا دخل للكتابة وحروفها هنا ، والتاريخ يروى أن لسان إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - كان عبرانيا كأبيه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام ، وتعلم العربية من قبيلة جرهم حينما جاورهم وعاشرهم واختلط بهم ، وأصهر إليهم .. فالأمر طبيعي شأن أي نازح مهاجر .

وما رواه القلقشندي لم يثبت تاريخيًا بيقين ، بدليل أنه سيروى ما يقابل ذلك اصطلاحا لا إلهامًا ، ولغة الحديث ليس فيها فصاحة البيان النبوي المعهودة ، وإنما فيها انفعالات وافتعالات مردودة ، وكيف يبرأ الرسول ممن لا يؤمن بأن الحروف تسعة وعشرون حرفًا ، وأن لام ألف حرف واحد ، وليس ذلك من أساسيات الإسلام ، ولا على المسلم أن يلقى الله وهو يؤمن أولا يؤمن بذلك ، وكيف يخلد في النار من لا يؤمن بأن لام ألف حرف أو حرفان ؟

والرسول الكريم -ﷺ- ما كان يغضب هذه الغضبة إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله .

وقد وردت أخبار بأن من رتب الحروف على هذا النحو (أ ب ت ث ..) إنما هو نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر العدواني - في عهد عبد الملك بن مراوان ، في العهد الأموي (٢) كما روى حفني ناصف .

وأن الترتيب الألف بائي الذي كان معروفا في أول عهد الإسلام هو :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣١ .   (٢) تاريخ الأدب : ١/٢٧ .

وقيل : بل أول من وضع الخطوط هو أخنوخ ، أي إدريس - عليه الصلاة والسلام - .

ويوفق القلقشندي بين الرأيين بقوله : « ولا تباين بين هذه الآراء بالجواز أن تنزل على آدم مرة ، وعلى هود مرة أخرى ، فربما نزلت الآية على نبي ، ثم نزلت على نبي آخر : كما أنزلت (البسملة) على سليمان ، ثم أنزلت على النبي الكريم -ﷺ- ، وكما أنزلت الفاتحة مرة بمكة المكرمة ومرة أخرى بالمدينة المنورة ، كما قيل (١) :

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي حديث آخر ، يروى عن أبي ذر الغفاري - رضي الله تعالى عنه - جاء فيه : « سألت رسول الله -ﷺ- فقلت : يا رسول الله ! كل نبي مرسل بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل ، قلت : يا رسول الله ! أي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : أ ب ت ث ج ح .. إلخ ، قلت : يا رسول الله ! كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون ، قلت : يا رسول الله ! عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله -ﷺ- حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا أبا ذر ! والذي بعثني بالحق نبيًا ، ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفا ، قلت : يا رسول الله ! فيها ألف و لام ، فقال -ﷺ- : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ، ومن لم يعد لام ألف فهو بريء مني ، وأنا بريء منه ، ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفا لا يخرج من النار أبدًا » (٢) .

---

(١) راجع مجلة الدارة عدد/٢ للسنة الثامنة محرم سنة ١٤٠٢هـ : ص/١٦٠ من مقال للدكتور أحمد شوقي النجار، نقلا عن صبح الأعشى للقلقشندي : ٢/٨ .

(٢) صبح الأعشى : ٢/٧ .

وابن فارس يقف مع الإلهام كلية في مقدمة كتابه « الصاحبي » (١) ، وجاء عن كعب الأحبار أنه قال :

« أول من كتب الكتاب العبري والسرياني ، وسائر الكتب ، آدم - عليه الصلاة والسلام - قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين ثم طبخه ، فلما أغرق الله -عزوجل- الأرض أيام نوح بقي ذلك ، فأصاب كل منهم كتابهم ، وبقي الكتاب العربي إلى أن خصّ الله به إسماعيل فأصابها وتعلمها » (٢) ، ودليل التوقيفيين أيضًا قوله -عزوجل- : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٣١] .

والعلامة الجاحظ (٢٥٥هـ) : « يرى أن الله القادر فتق لسان إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - بالعربية دون سابق تمهيد أو تعليم ، وبلا تلقين ولا تدريب ، وفطره على الفصاحة العجيبة ، على غير النشوء والتمرين ، وسلخ طباعه من طبائع العجم ، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء ، وركبه اختراعا على ذلك التركيب ، وسواه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصيغة ... » (٣) .

والجاحظ معتزلي ، وغريب ألا تعترض عليه المعتزلة في عصره أو بعده ، ولعلها الحرية الفكرية الكريمة ، التي عرف بها علماؤنا في القديم .

والأديب القلقشندي ينقل عن عالم القراءات أبي عمرو الداني أن الأبجدية العربية نزلت على هود - عليه الصلاة والسلام - .

---

(١) راجع الخصائص : ١/٤٠-٤٦ ، والصاحبي : ص/٥ .

(٢) اتجاهات حديثة في تعليم العربية دكتور علي القاسمي .

(٣) علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين : ٢٩ ، نقلا عن مخطوطة .

الدين ليس من مقومات القومية .

ونعود بعد هذا الاستطراد القصير إلى موضوعنا ، بعد أن نؤكد أن من الواجب الحتمي اليوم أن نعنى بلغتنا العربية ، عناية أجدادنا بها من قبل ، فعزوا وبذوا وسادوا وقادوا .

أولية اللغة العربية وحروفها :

حول أولية العربية وأبجديتها أتى النصيون بشواهد ونصوص ، رقي إليها الطعن ، وتعاورتها الظنة والشبهة ، واعتورتها الاحتمالات ، والدليل متى تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال ، كما يقول الأصوليون .

ومن العلماء من نبّه على أنه لا اعتبار للكتابة وقواعدها في اللغة ، وإنما الاعتبار للفظ وطريقة أدائه ، لأن الكتابة ليست من جوهر اللغة ، وإنما هي عرض ورموز للغة ، التي هي مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، كما يقول العبقري ابن جني – رحمه الله تعالى – : وعلى كل فاللغة أقدم من الكتابة .

من النصيين من يحاول جعل أولية العربية ، بل والخط العربي ، منذ آدم – عليه الصلاة و السلام – باعتباره الإنسان الأول و الخليفة على الأرض :

فالعلامة : أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) ، وابن جنى (٣٩٥هـ) ، وابن فارس (٣٩٥هـ) يرون فيما يرون : أن اللغة وحي وإلهام ، وإن أوحى الفارسي إلى ابن جنى بذلك فقد قوى في نفسه ذلك (اعتقادا) وإن رجح ابن جنى الاصطلاح حين يرد على معتزلي .. وإنما مال إلى ذلك لما وجد في العربية من دقة ورقة وإرهاف وسحر يستولى على المشاعر .

والمحافظة على اللغة الأصيلة ، أو فقدانها .. تكون المجموعة البشرية أمة وشعبًا أصيلا ، أو مجرد أشتات فحسب » (١) .

ومعنى هذا أن العناية باللغة شئ حيوي في حياة الأمم والشعوب .. وانسلاخها عنها أو إهمالهم لها ، أو إدخال ضرة عليها بلا موجب .. تبعية للسيد ، وتنكر للأصل ، وفرار من الهوية ، ومعنى هذا بالتالي : وجوب العناية بلغتنا ، التي هي لسان مقدساتنا ، وعنوان مجدنا ، ورمز وجودنا وعزنا ، وجوب العناية بها رواية ودراية ، وبحثًا ومعرفة ، واطلاعا وانطلاقا ، وخدمة وحبًا ، وشوقًا وهيامًا .

وقد ذكر الفيلسوف الألماني (فيتشه) : « إن الدين واللغة وحب الوطن رمز لوجود الأمة .. وأذكر في هذا الصدد - للتاريخ والذكرى - أن وزير الأزهر في الستينات وكان كمال رفعت من رجال الثورة ، حاضرَنا في قاعة المحاضرات الكبرى لجامعة الأزهر - وكنت وقتها مديرًا لها - حاضرَنا عن « القومية العربية » وقرر أن الدين ليس من مقوماتها » وعند ما تصدى بالتعليق على المحاضرة أستاذنا المرحوم الدكتور محمد البهي ، وذكر أن الدين عامل مهم ، ومقوم أساسي ورابطة وشيجة بين أبناء الوطن الإسلامي الكبير ، والعرب المتعايشين في كل مكان ، ولهم دين يجمعهم .. قوبل تعليقه بعدم ارتياح(٢)ولو كان المحاضر يدرى كيف يردّ لما سكت واكتفى بالتعليق المحلي غير المعروف ولا المقبول » وهو : أن

---

(١) من نداء وجهه يوهان جو تليب فيخته إلى الأمة الألمانية .

(٢) وعلق المرحوم عيسى عبده ليلتها على التعليق قائلاً : إنها رقعة كبيرة واضحة في وجه المحاضرة .

اللغة العربية فرع السامية :

ومن المقرر : أن اللغة العربية هي عين أعيان اللغات السامية ، كما ذكر العلماء ، وكما سنبحث ذلك ونوثقه في حديث آت بفضل الله تعالى ، وإن كان كل ذلك للآن شيئًا افتراضيًا .

والعربية أيضًا فرع جنوبي غربي من شجرة اللغات السامية .

وتنقسم – بعامة – إلى قسمين : عربية جنوبية – وعربية شمالية :

أ – فالعربية الجنوبية تشمل : المعينية ، والسبائية ، والحضرمية ، والقتبانية ، والحبشية .

ب – والعربية الشمالية تنقسم إلى قسمين :

١ – العربية البائدة ، ومنها : اللحيانية ، والثمودية ، والصفوية .

٢ – والعربية الباقية ، وتمثلها : الحجازية ، والتميمية (١) وتمثلها لغتنا الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر الجاهلي في أروع قصائده .

وإذا بادت البائدة ، وماتت الجنوبية ولفتهما أكفان التاريخ ، فلتحيا الباقية .

والفيلسوف الألماني (فيتشه) يقول : « إن وجود أمة من الأمم بوجود (إنيتها) التي هي شخصيتها ، وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين ، واللغة ، وحب الوطن » .

و يقول : « إن اللغة هي رمز وجود الأمة ، و بقدر أصالة اللغة ،

---

(١) راجع دراسات في فقه اللغة ، دكتور صبحي الصالح : ص/ ٧١ ، ط. ثالثة بيروت سنة ١٣٨٨هـ ، وكتابنا (علم اللغة العام) ط. مكتبة وهبة القاهرة : ص/ ٩٧ .

أيديهم دليل مادي من مكتوب بالذات إلا لمامًا . ولا يشفي القليل أحيانًا لبتره . أو غموضه . أو إمعانه في التيه و وادي الظنون : فقد يكون ابن البيئة . وقد يكون نقله عابر سبيل . أو رحّالة آثر أن يشاركه رحلته . وقد يعسر أو يصعب تفسيره وقراءته على نحو يرضي ويقنع . ويكون العود إلى الحيرة والشتات .

أما علماء المواد الأخرى فقد يقنعون بجمجمة يدرسونها . وعظام يفحصونها . وهياكل يعلقون عليها .. ولا يملك الناس إلا تصديقهم وشكر علماء الأجناس والأحياء .

وقد يعثر بعضهم على نوع من عملة قديمة . فيصنفونها . ويعلقون على أهلهــا القدامى بما يفيد القارئ عن حضارتهم وثقافتهم وحضارتهم .. وهلم جرًا .

أما علماء أصول اللغات فحظهم في هذا الجانب النزر اليسير : من لافتة مغمورة أو نص غامض .

وكما اختلف العلماء على أولية ونشأة اللغة العربية . اختلفوا كذلك على نشأة الخط العربي أو الأبجدية العربية . فلنستصحب الأبجديــة العربية معنا . زيادة في الإيضاح (متى نشأت ؟ وكيف تدرجت ؟ ومن أول من خط بها ؟ وهل وعى التاريخ لها نماذج ؟ وما تفسيرات العلماء لها ؟ وما نهاية خط مطافها ؟) .

والثابت للآن : أن اللغويين لا يعرفون من اللغات واللهجات - الشيئ الكثير - إلا ما تطور . وترك خلفه تاريخًا عريضًا . ونقوشًا واضحة مدونة . وألواحًا ذات معنى متكامل . أو يمثل جزءًا تشيع فيه الظاهرة اللغوية المدروسة .

اللغة العربية في تاريخها

أ. د. توفيق محمد شاهين

أولية اللغة الإنسانية - بعامة - شغلت الناس والمفكرين أحيانًا وأزمانًا . وتشابكت أقوال العلماء والفلاسفة وتفارقت وتنوعت وتلونت بلون ثقافاتهم . وتاهت في دنيا الخيال والقرب من الواقع أو المظنون آراءهم .

وأدلينا بدلونا بين الدلاء في ذلك في أبحاث منشورة ومخطوطة ، علّ الحقيقة تسفر عن وجهها . أو تطل برأسها فيهدأ المنقبون والباحثون ومحبو المعرفة وطلابها .

وأولوية اللغة العربية الحبيبة لا تقل حيرة وغرابة وضربًا في مجاهل التاريخ ، وذهابًا في وادي الظنون ، كأولية اللغة الإنسانية عامة سواء بسواء .

وبرغم ذلك ما زالت الأبحاث تتوالى ، والتنقيب يتلو بعضه ، والأبحاث تشد أزر بعضها ، لتضع شمعة على طريق المعرفة ، تنير الطريق للمقيمين والمقبلين .

والبحث في أولية اللغة العربية كالبحث في أولية اللغة الإنسانية يسير معتمدًا على شقين أو على مدرستين : النصيّة والعقلية ، لترضى أصحاب العقول أو العقلانيين والنصيين في نفس الوقت .

ويلاحظ بادئ ذي بدء : أن حيرة علماء اللغة وأصولها - أي لغة - أشد من حيرة غيرهم من العلماء والباحثين ، بسبب أن علماء اللغة لا يقع في

١٠ - الرد على بعض روايات السنن :

وكثيرًا ما يترجم في صحيحه على رد الروايات التي لا تصح عنده سواء كانت في الكتابين المذكورين أو غيرهما من كتب السنن وغيرها ، قال الحافظ (١) : في باب الدفن بالليل ، أخرج فيه حديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال : صلى النبي الكريم -ﷺ- على رجل بعدما دفن بليلة إلخ ، أشار بهذه الترجمة إلى الرد على من منع ذلك محتجًا بحديث جابر ان النبي -ﷺ- زجر أن يقبر الرجل ليلا إلا أن يضطر إلى ذلك ، أخرجه ابن حبان إلى آخر ما قال : إن النهي لسبب تحسين الكفن .

قوله : باب موت الفجأة (٢) :

أورد فيه حديث أن رجلا قال للنبي الكريم -ﷺ- إن أمي اقتتلت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها إن تصدف عنها ؟ قال : نعم .

قال ابن رشيد : مقصود المصنف والله أعلم الإشارة إلى أنه ليس بمكروه لأنه -ﷺ- لم يظهر منه كراهيته لما أخبره الرجل بأن أمه اقتتلت نفسها وأشار إلى ما رواه أبو داؤد بلفظ موت الفجأة وأخذه أسَف (٣) ، وفي إسناده مقال ، فجرى على عادته في الترجمة بما لم يوافق شرطه ، وإدخال ما يومئ إلى ذلك ولو من طرف خفي (٤) .

[يتبع]

---

(١) فتح الباري : ٢/٢٠٨ .
(٢) فتح الباري : ٢/٢٥٤ .
(٣) أسف أي غضب وزناً ومعنى .
(٤) فتح الباري : ج/٢ ، ص/٢٥٤ .

غيرهم للضرورة وعن بعض الحنابلة جواز ذلك في جميع مكة (١) .

قوله : في باب الصلاة على الحصير (٢) .

أورد فيه أنس - رضي الله تعالى عنه - ان جدته مليكة دعت رسول الله -ﷺ- لطعام صنعت له فأكل منه ثم قال : قوموا فلأصلي لكم ، قال أنس فقمت إلى حصير لنا قد أسودّ من طول ما لبس فنضحته بماء فقام رسول الله -ﷺ- وصففت انا واليتيم وراءه والعجوز عن ورائنا فصلى بنا رسول الله -ﷺ- ركعتين ثم انصرف .

قال الحافظ : النكتة في ترجمة الباب الإشارة إلى ما رواه ابن أبي شيبة وغيره من طريق شريح بن هانئ أنه سأل عائشة - رضي الله تعالى عنها - أكان النبي الكريم -ﷺ- يصلي على الحصير ، والله يقول : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا ﴾ ؟ فقالت : لم يكن يصلي على الحصير فكأنه لم يثبت عند المصنف أو رآه شاذا مردودًا لمعارضته ما هو أقوى منه إلى آخر ما قال (٣) .

قال العيني : في باب الاستنجاء بالماء (٤) قصد بهذه الترجمة الرد على من كره الاستنجاء بالماء أو على نفي وقوعه من النبي الكريم -ﷺ- لما رواه ابي أبي شيبة بأسانيد صحيحة إلى آخر ما ذكره .

---

(١) انظر (فتح الباري : ١/٥٧٦) .

(٢) انظر (البخاري : ١/٥٥) و (الكرماني : ٤/٤٤) و (فتح الباري : ١/٤٨٨) و (عمدة القارئ .. إلخ : ٤/١٠٨) و (القسطلاني : ١/٢٩٦) .

(٣) فتح الباري : ١/٤٩١ .

(٤) عمدة القارئ : ٢/٢٨٧ .

فكانت الترجمة بيانا لما هو المراد بالكفر في الرواية ويكون الإصرار على الكبائر مفضيًا إلى الكفر فكان ذلك ردًا على المرجئة (١).

٩- الترجمة للرد على مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة :

أورد أبوابًا في الكتاب غرضه تعقبات على مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة في تراجم مصنفيهما ، ويظهر ذلك بمطالعة فتح الباري وعمدة القارئ .

مثال ذلك باب السترة بمكة المكرمة .

أورد فيه حديث أبي جحيفة قال : خرج رسول الله -ﷺ- بالهاجرة فصلى بالبطحاء الظهر والعصر ركعتين ونصب بين يديه عنزة وتوضأ فجعل الناس يتمسحون بوضوئه .

قال الحافظ : أراد البخاري أن ينكت على ما ترجم به عبد الرزاق حيث قال في باب لا يقطع الصلاة بمكة شئ ، ثم أخرج عن ابن جريج عن كثير ابن كثير بن المطلب عن أبيه عن جده قال : رأيت النبي الكريم -ﷺ- يصلي المسجد الحرام ليس بينه وبينهم أي الناس سترة ، وأخرجه من هذا الوجه أصحاب السنن (٢) ورجاله موثوقون إلا أنه معلول .

فأراد البخاري التنبيه على ضعف هذا الحديث وان لا فرق بين مكة وغيرها في مشروعية السترة واستدل على ذلك بحديث أبي جحيفة وهذا هو المعروف عند الشافعية واغتفر بعض الفقهاء ذلك للطائفين دون

---

(١) لامع الدراري : ١/٥٨٨ .

(٢) أخرجه أبو داؤد في باب مكة من كتاب الحج رقم الحديث : ٢٠١٦ ، أخرجه ابن ماجة : ٢/١٤٤-١٤٥ ، والنسائي كذا في الفتح الرباني .

من الأبواب قد تضمن الرد عليهم ولكن قد يشركهم عندهم من أهل البدع في شئ منها بخلاف هذا . أما الحديث الأول : ففيه : وقتاله كفر . إنه محمول على التشبه . كقوله : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . ومعلوم ان المرء لا يصير كافرًا بضرب الرقاب ولكن لما كان شأن القتل أن يجري بين مسلم وكافر لا بين مسلم ومسلم . فمن ضرب رقبة أخيه وقاتل فقد تشبه بالكفار ومن تشبه بقوم فهو منهم .

والحديث الثاني : ففيه : فتلاحى رجلان : أي تنازعا .

قال الحافظ : إن المخاصمة مستلزمة لرفع الصوت وهو محبط للعمل بالنص . قال الله تعالى : ﴿ ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ إلى أن قال : ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ وبه تتضح مناسبة الحديث للترجمة .

فحذر البخاري من الجرأة على المعاصي وأنه ينبغي للمؤمن أن يخاف من سوء الخاتمة ولا يغتر بكونه على صلاح الحال . فرد على المرجئة القائلين لا تضر مع الإيمان معصية بأن المعاصي من شأنها احباط (١) العمل حتى تؤدي إلى سلب الإيمان (٢) .

>>> للعصاة اسم الإيمان على الكمال . فقالوا : لا يضر مع الإيمان ذلك أصلا ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول . قاله الحافظ في (الفتح : ١/١١٠) .

(١) إن الإحباط إحباطان : أحدهما : إبطال الشئ وإذهابه جملة كإحباط الكفر للإيمان وإحباط الإيمان للكفر . وثانيهما : إحباط الموازنة إذ جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة . فمن رجحت حسناته نجا ومن رجحت سيئاته توقف في المشيئة إما أن يغفر له وإما أن يعذب (فتح الباري : ١/١١٠) .

(٢) انظر (فيض الباري : ١/١٤٢-١٤٣) .

وقاعدًا (١) ، أورد فيه حديث حذيفة قال : أتى النبي الكريم -ﷺ- سباطة قوم فبال قائما ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ .

قال العيني : أي هذا باب في بيان حكم البول حال كونه قائمًا وحال كونه قاعدًا . قيل : دلالة الحديث على القعود بالطريق الأولى لأنه إذا جاز قائمًا فقاعدًا أجوز (٢) .

٨- الترجمة للتوفيق بين النصوص :

إنه قد يترجم بباب إذا تعارضت الأدلة ويكون عنده وجه التطبيق بينهما بحمل كل واحد على محمل .

مثاله : باب خوف المؤمن أن يحبط عمله (٣) أو يجب على المؤمن خوف الحبط في كل ساعة . وهذا رد على المرجئة . أورد فيه حديثين : الأول : أن النبي الكريم -ﷺ- قال : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

والثاني : أن النبي الكريم -ﷺ- خرج يخبر بليلة القدر فتلاحي رجلان فرفعت .

قال الحافظ : هذا الباب للرد على المرجئة (٤) وإن كان أكثر ما مضي

---

(١) انظر (صحيح البخاري : ١/٦٢) و (فتح الباري : ١/٢٢٨) و (الأبواب والتراجم : ١/٤٩) .

(٢) (عمدة القارئ : ٢/١٢٤) .

(٣) انظر (البخاري : ١/١٢) و (الكرماني : ١/١٨٦) و (فتح الباري : ١/١٠٩) و (عمدة القارئ : ١/٢٧٤) و (القسطلاني : ١/١٢٢) .

(٤) المرجئة : بضم الميم وكسر الجيم وبعدها ياء مهموزة يجوز تشديدها . إنهم نسبوا إلى الارجاء وهو التأخير لأنهم أخروا الإيمان عن الأعمال فقالوا : الإيمان هو التصديق بالقلب فقط . و لم يشترط جمهورهم النطق و جعلــوا >>>

موليه بلفظ القذى من المسجد (١).

٧- مطابقة الترجمة بالنص وبالأولوية :

إن البخاري يذكر في الترجمة أمرين : يثبت أحدهما بالنص والآخر بالأولوية كما قال في باب ما يذكر في المناولة (٢) وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان (٣) .

أورد فيه حديثين : **الأول** : حديث النبي الكريم -ﷺ- حيث كتب لأمير السرية كتابًا ، وقال : لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا ، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي الكريم -ﷺ- .

والثاني : حديث ابن عباس فيه ان النبي الكريم -ﷺ- بعث بكتابه رجلا وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين [الحديث] .

فأثبت البخاري بحديثي الباب الأمر الثاني من الترجمة فثبوت الأمر الأول بالطريق الأولى (٤) كذلك قال البخاري ، باب البول قائمًا

---

(١) (عمدة القارئ : ٤/٢٢٠) . القذى : جمع قذاة . قال أهل اللغة : القذى في العين والشراب ما يسقط فيه ، ثم استعمل في كل شئ يقع في البيت وغيره إذا كان يسيرا (فتح الباري : ٢/٢٨٥) . (٢) المناولة : وهي في اللغة من ناولته الشئ فتناوله من النوال وهو العطاء وفي اصطلاح المحدثين هي على نوعين : أحدهما : المقرونة بالإجازة ، صورتها أن يقول الشيخ هذه روايتي أو حديثي عن فلان فاروه عني ، أو اجزت لك روايته عني ، وهذا كالسماع عند جماعة ، والصحيح انها منحطة عن السماع والقراءة وعليه أكثر الأئمة ، ثانيهما : المناولة المجردة عن الإجازة مثل أن يناوله الشيخ مقتصرًا على قوله : هذا سماعي ، ولا يقول : اروه عني أو اجزت لك روايته ، قال : ابن الصلاح لا يجوز الرواية بها على الصحيح ، انظر (عمدة القارئ :١٠/٢٦) .

(٣) صحيح البخاري : ١/٢٢ . (٤) مقدمة لامع الدراري : ص/٢٢ .

رسول الله -ﷺ- مع أهله ساعة ثم رقد . [الحديث] فصحت الترجمة بحمد الله تعالى من غير حاجة إلى تعسف ولا رجم بالظن . فإن قيل : هذا إنما يدل على السمر مع الأهل في العلم فالجواب انه يلحق به أو بدليل الفحوى لأنه إذا شرع في المباح ففي المستحب من طريق الأولى (١) .

ترجم البخاري بباب الفتيا وهو واقف على الدابة (٢) .

فإن قيل ليس في سياق الحديث ذكر الركوب فالجواب أنه أحال به على الطريق الأخرى التي أوردها في الحج فقال : على ناقته (٣) .

وترجم بباب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان (٤) :

أورد فيه حديث أبي هريرة أن رجلا أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد فمات فسأل النبي الكريم -ﷺ- عنه فقالوا : مات . قال : أفلا كنتم آذنتموني به دلوني على قبره أو قال قبرها فأتى قبره فصلى عليه . فإن قيل دل الحديث على كنس المسجد فمن أين يؤخذ التقاط الخرق وما معه ؟ أجاب المتأخرون بأنه يؤخذ بالقياس عليه . والجامع التنظيف . قيل : أشار البخاري بذلك كله إلى ما ورد في بعض طرقه صريحا ففي طريق العلاء كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد . وفي حديث بريدة : كانت

---

(١) (فتح الباري : ١/٢١٢) (المناسبات - باب/٢) .

(٢) (انظر البخاري ١/١٩٠) (فتح الباري : ١/١٨٠) (فيض الباري : ١/١٧٩) .

(٣) (صحيح البخاري : ٢/١٩٠) (باب الفتيا على الدابة عند الجمرة) .

(٤) (صحيح البخاري : ١/١١٨) و (فتح الباري : ١/٥٥٢) والحديث أخرجه مسلم في الجنائز رقم الحديث : ٩٥٦ ، وأبو داؤد : ٣٢٠٣ ، وابن ماجة في الجنائز رقم/٣٢ ، وأحمد في مسنده : ٢/٣٥٢ .

فقه الأبواب والتراجم في صحيح الإمام البخاري

[الحلقة الرابعة]

سعادة الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه بجامعة الإمارات - أبوظبي

٦- الاستدلال على الترجمة بلفظ وارد في بعض طرق الحديث :

قد يترجم بباب ويخرج في الباب حديثا لا يدل هو بنفسه على الترجمة أصلا . لكن له طرق وبعض طرقه يدل عليها إشارة أو عموما ، وقد أشار بذكر الحديث إلى أن له أصلا يتأكد به ذلك الطريق .

مثاله أنه ترجم في أول كتابه : باب السمر في العلم ، وأورد فيه حديث ابن عباس : بت في بيت خالتي ميمونة - رضي الله تعالى نها - إلخ ، ولا ذكر فيه للسمر أصلا (١) .

ذكر الحافظ عدة توجيهات للترجمة ، وكلها معترض عليها ، ثم قال : والأولى من هذا كله أن مناسبة الترجمة مستفادة من لفظ آخر في هذا الحديث بعينه من طريق أخرى ، وهذا يصنعه المصنف كثيرًا يريد به تنبيه الناظر في كتابه على الاعتناء بتتبع طرق الحديث والنظر في مواقع ألفاظ الرواة لأن تفسير الحديث بالحديث أولى من الخوض فيه بالظن ، وإنما أراد البخاري هنا ما وقع في بعض طرق هذا الحديث مما يدل صريحًا على حقيقة السمر بعد العشاء ، وهو ما أخرجه في التفسير وغيره من طريق كريب عن ابن عباس قال : بت في بيت ميمونة فتحدث

----

(١) (انظر البخاري ١/٢٢) و (الكرماني : ٢/١٢٠) و (الفتح : ١/٢١١) و (عمدة القارئ : ٢/١٧٥) و (القسطلاني : ١/٢٠٤) .

الكريم -ﷺ- : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » [رواه الشيخان] .

و الحـــــزن : يحدث في الإنسان شعورا بالكدر والضيق ولذلك يقول النبي الكريم -ﷺ- : « اللهم إني أعوذبك من الهم والحزن » [رواه الستة إلا مسلم] .

التوازن في الشخصية :

وهكذا يبين لنا النبي الكريم -ﷺ- أن المسلم هو صاحب وظيفة عليه أن يؤديها بنجاح وذلك يستلزم اتباع المنهج النبوي في السلوك والتوازن في الشخصية حتى يكون قادرا على أداء وظيفته ، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، فالله تعالى رحيم بعباده وهو يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، فلكل من البدن والروح حاجات تتطلب الإشباع ولابد من الموازنة بين الجانبين والإسلام يقر ترك بعض الفرائض والتكاليف إذا كان في أدائها ضرر بالبدن ويعتبر العمل عبادة ما دام يقصد به وجه الله تعالى ، يقول النبي الكريم -ﷺ- : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » [رواه الشيخان] .

وهكذا يبين لنا علم النفس الحديث السلوك النبوي في إطار أداء المسلم لرسالته في يسر وفهم واتجاه إلى الخير وبذلك ينجح في أداء رسالته فيرضى عن نفسه ويرضى الله تعالى عنه ويعيش آمنًا سعيدًا في الدنيا وفي الآخرة على السواء .

﴿ والله يهدي من يشاء إلى سواء الصراط ﴾

= = =

فاصنع ما شئت » [رواه البخاري وأحمد] ، وفي الحديث : « الحياء لا يأتي إلا بخير » [رواه مسلم] ، وعن عبد الله بن مسعود أن الرسول الكريم -ﷺ- قال : استحيوا من الله حق الحياء قلنا يا رسول الله : انا لنستحيي قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعي والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » [رواه الترمذي وأحمد والحاكم] .

السيطرة على الانفعالات : الانفعالات الأساسية تؤدى وظيفة هامة في الحياة فهي تساعد على التوافق من أجل حفظ الذات وبقاء النوع .

وانفعال الخوف : يساعد على الابتعاد عن مواقف الخطر وعلى توقع الخطر قبل وقوعه فيتخذ الاحتياطات اللازمة للوقاية منه ، والغضب يساعد على الدفاع عن الذات ضد ما يهددها بالأذى والضرر والهلاك ويساعد على التغلب على الصعوبات ، والانفعال الشديد تصاحبه تغيرات بدنية كثيرة قد تؤدى إلى بعض الأمراض البدنية ، ولذلك فإن النبي الكريم أوصـــى بعدم الانفعال : فقد جاء رجل إلى النبي الكريم -ﷺ- ، وقال له : أوصني ، قال : لا تغضب فردده مرارا ، فقال : لا تغضب » [رواه البخاري] ، وسأل النبي الكريم -ﷺ- أصحابه قائلاً : « ما تعدون الصرعة بينكم ؟ قالوا : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : لا ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » [رواه مسلم وأبو داؤد] ، وقد نصح النبي الغاضب بالجلوس إذا كان قائمًا والاضطجاع إذا كان جالسا لأن ذلك يؤدى إلى استرخاء البدن مما يساعد على مقاومة التوتر فيذهب الغضب تدريجيًا ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، ويقول النبي

في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » [رواه الترمذي] . والغضب قد يعطل العقل عن التفكير السليم . وكما قالوا : حبك الشئ يعمي ويصم .. وقد غضبت السيدة عائشة مرة بسبب غيرتها على النبي الكريم فقال لها : « لقد جاء شيطانك » [رواه مسلم والنسائي].

الحسد : الحسد حالة انفعالية شائعة بين الناس وفي القرآن الكريم : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥٤] . وفي الحديث عن ابن عباس : « إن لنعم الله أعداء فقيل من هم ؟ فقال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » [رواه الطبراني] وفي الحديث : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » [رواه أبو داؤد وابن ماجة] . وفي الحديث أيضًا : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » [رواه الشيخان والترمذي] .

الغيـــــرة : الغيرة انفعال مكدر ينشأ عادة إذا شعر الإنسان بأن هناك شخصا آخر ينافسه في الحصول على حب شخص معين عزيز عليه، وفي الحديث الشريف الذي رواه البخاري والترمذي : « إن الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله » . وفي الحديث الشريف الذي رواه أبو داؤد : « من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما التي يحبها الله -عزوجل- فالغيرة في الريبة وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة » .

الحيـــاء : الحياة حالة انفعالية يشعر فيها الإنسان بالخوف والخجل من فعل ما هو مذموم ومستقبح أو غير مقبول دينيًا ، وفي الحديث الشريف : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح

الحب الجنسي : الحب الجنسي أساس في استمرار الحياة ولكن المطلوب أن يكون في إطار العلاقات الزوجية ولذلك قال النبي الكريم -ﷺ- : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » [رواه الشيخان] .

الخوف : والمطلوب أن يكون الخوف المسيطر على الإنسان هو الخوف من الله تعالى وفي ذلك يقول النبي الكريم -ﷺ- : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » [رواه الترمذي] .

حب المخلوقات : الكون خلقه الله تعالى للإنسان والمطلوب أن يكون الكون كله محبوبا من الإنسان فإن ذلك يعينه على أداء رسالته يقول النبي الكريم -ﷺ- : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » [رواه الشيخان والترمذي] . ويقول : « في كل ذات كبد رطبة أجر » [رواه البخاري ومسلم] ، كما يعطينا أمثلة للرجل الذي اشتد عليه العطش ورأى كلبا مثله فسقى الكلب بوضع الماء في نعله فغفر الله له ذنوبه ، وللمرأة التي حبست هرة في الدار فماتت فلا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض فعذبها الله سبحانه وتعالى .

الأعراض البدنية للغضب : من مظاهر الأعراض البدنية للغضب سرعة دقات القلب وانقباض الأوعية الدموية في الأحشاء واتساعها على سطح البدن والأطراف مما يؤدى إلى كثرة تدفق الدم في الأوعية الدموية على سطح البدن وبخاصة الأطراف والوجه فيحمر وجه الإنسان في أثناء الغضب بشكل واضح ، يقول النبي الكريم -ﷺ- : « ألا إن الغضب بجمرة

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ومن ولده والناس أجمعين » [رواه البخاري] . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» [رواه الشيخان والترمذي والنسائي] .

حب الناس : في الإسلام المؤمنون اخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وفي الحديث الشريف ما يرسم الخطة التي تجعل المسلم يسير في هذا الاتجاه حتى يمكنه أن يعيش سعيدا في مجتمع سعيد ، يقول : « و الذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على ما تحبون به ؟ أفشوا السلام بينكم » [رواه الترمذي] .

« المؤمن ألف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » [رواه أحمد] .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [رواه الشيخان] .

« مثــل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » [رواه الشيخان] .

حب الأبناء : وحب الأبناء عنصر أساسي في التربية النبوية وجاء أعرابي إلى النبي الكريم -ﷺ- وقال له : « أتقبّلون صبيانكم ؟ والله ما نقبلهم . فقال -ﷺ- : أو أملك لك إذا نزع الله من قلبك الرحمة » [رواه الشيخان] ، وقد قبّل النبي الكريم -ﷺ- الحسين بن علي وعنده الأقرع ابن حابس التميمي . فقال : « إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا فنظر إليه النبي الكريم -ﷺ- . ثم قال : من لا يرحم لا يرحم » [رواه الشيخان] .

« لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » [رواه أبو داؤد] . ونهي عن السخرية والتحقير والغيبة والغش وأكل أموال الناس بالباطل أو إراقة الدماء . فقال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه » [رواه الشيخان] . وقال : « ليس المسلم بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيئ » [رواه الترمذي] . وقال : « لا يدخل الجنة نمام » [رواه مسلم] .

السيطرة على دافع التملك : يقول النبي الكريم -ﷺ- في ذلك : « ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغنى غني النفس » [رواه الشيخان] . ويقول : « تعس عبد الدرهم والدينار والقطيفة والخميصة إن أعطى منها رضى وإن لم يعط سخط » [رواه البخاري] . وحث على الإنفاق في سبيل الله . فقال « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف » [رواه الترمذي والنسائي] . ويقول : « ما نقص مال من صدقة » [رواه مسلم] .

الانفعالات في الحديث النبوي الشريف : الانفعالات الهامة عند الإنسان هي انفعالات الخوف والغضب والكره والحزن والحياء والحسد والغيرة والكبر والعجب والزهو .

الحب : الحب هو العامل الأساسي في تكوين الأسرة وفي تربية الطفل وفي ترابط أفراد الأسرة وتماسكهم وتعاونهم وفي تكوين العلاقات الاجتماعية .

وحب الله سبحانه وتعالى يقوم بدور هام في حياة الإنسان وكذلك حب الرسول الكريم -ﷺ- وفي الحديث : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان » [رواه أبو داؤد والترمذي] .

« أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » [رواه أبو داؤد] .

عيني في الصلاة » [النسائي] .

السيطرة على الدوافع : والسيطرة على الدوافع تكون عن طريق الاشباع الحلال والذي وضحه النبي الكريم -ﷺ-. فقال : «يا أيها الناس ! إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين . فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ، وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من الطيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل الشعر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له » [رواه مسلم والترمذي] .

والتنظيم : يكون عن طريق عدم الإسراف في الإشباع في ذلك ، يقول النبي الكريم -ﷺ- : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة » [رواه البخاري] . ويقول : « طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة » [رواه الشيخان ومالك والترمذي] .

والسيطرة على الدافع الجنسي تكون عن طريق الزواج المبكر والألعاب الرياضية والأعمال الفنية والأدبية والأنشطة الاجتماعية المختلفة إلى جانب عدم تعرض الشباب للإثارة ، والصوم . يقول النبي الكريم -ﷺ- : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » [رواه الشيخان والترمذي] ويقول في الاختيار : « إذا خطب إليكم من ترضون .. دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » [رواه الترمذي] وقد بين النبي الكريم -ﷺ- أهمية السيطرة على الدوافع في المجتمع الإسلامي حتى يعيش في أمن وسلام ومودة . فقال :

وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً • مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلآء ولا إلى هؤلآء • يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ [سورة النساء ، الآيتان : ١٤٢-١٤٣] ، وقول النبي الكريم -ﷺ- : « مثل المنافق كمثل الشاة العاثرة بين الغنمين تصير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة » [رواه مسلم] ، وكثيرًا ما يقع الصراع النفسي لدى الإنسان بين دوافعه المتعلقة باشباع حاجاته البدنية وأهوائه وشهواته الجنسية وبين دوافعه الدينية وأشواقه الروحية من جانب آخر .. يقول النبي الكريم -ﷺ- : « مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش ، هذه الدواب التي في النار ، يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال : فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقحمون فيها » [رواه مسلم] ، ويوجه النبي الكريم -ﷺ- الناس توجيهًا طيبًا ، فيقول : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » [رواه الشيخان] ، ويقول : « ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء » [رواه الشيخان] .

والخلاص من الصراع يكون بتقوية أحد الدافعين ، يقول الله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ﴾ [سورة طه ، الآية : ١٢٤] ، ولابد من التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في الإنسان الذي ، يقول القرآن الكريم فيه : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٧٧] ، ويقول النبي الكريم -ﷺ- : « حبب إلي من الدنيا ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة

أحدكم صدقة » [رواه مسلم] ، وفي قوله : « من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر » [رواه ابن ماجة]

الدوافع النفسية والروحية : وتظهر في دافع التدين وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [سورة الروم ، الآية : ٣٠] ، ويقول النبي الكريم -ﷺ- : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة » [رواه الشيخان] .

دافع التنافس : ودافع التنافس من الدوافع النفسية وقد حث القرآن الكريم على التنافس في تقوى الله تعالى ، فقال : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ [سورة المطففين ، الآيات : ٢٢-٢٦] ، كما أن النبي الكريم -ﷺ- وضح للمسلمين خطر التنافس في غير الخير ، فقال : « فو الله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلكوا » [البخاري] ، وكان النبي الكريم -ﷺ- يشجع على التسابق بالخيل وغيره .

دافع التملك : وقد بين الرسول الكريم -ﷺ- دافع التملك عند الإنسان وحذر منه أن يسير في غير الطريق السليم ، فقال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » [رواه الشيخان] .

ويــلاحظ أن هناك علاقة بين الدافع والانفعال وقد أشار إلى ذلك رسول الله -ﷺ- في قوله : « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » [النسائي] .

الصراع بين الدوافع : إذا وقع الإنسان تحت تأثير دافعين متساويين في القوة ومتضادين في الاتجاه حدث الصراع مثل موقف المنافقين الذي وضحه القرآن الكريم في قوله : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي ليبين لنا أسلوب تربية النبي لأصحابه من خلال كتابه : « الحديث النبوي الشريف وعلم النفس » . وبذلك يمكننا أن ننظر إلى التربية النبوية نظرة جديدة تجعلنا نقوم بالتربية على هذا المنهج حتى نحقق لأمتنا ما هي في حاجة إليه من التربية السليمة التي تجعل المجتمع الإسلامي قادرا على أداء دوره في الحياة كما قام به السابقون من أبناء الأمة الإسلامية .

دوافع السلوك في الحديث : للإنسان حاجات كثيرة منها ما هو أساسي مثل الطعام والشراب ومنها ما هو ضروري لتحقيق أمنه النفسي ، منها حاجات فسيولوجية مثل الجوع والعطش ومنها ما هو روحي ونفسي ، بعضها يتعلق بأمنه النفسي وسعادته . فالإنسان يشعر بالطمأنينة بمعرفته بخالقه .

دوافع حفظ الذات : وتكون في الطعام والشراب والسكن والزواج وفي ذلك يقول النبي الكريم -ﷺ- : « ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه وثوب يوارى به عورته وجلف الخبز والماء » [رواه الترمذي وأحمد] . والجلف الخبز وحده لا إدام معه . ويقول : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا » [رواه أبو داؤد] .

الجنس والأمومة : يمثلان دافعا بقاء النوع ،فالذكر والأنثى كل منهما ينجذب نحو الآخر فتتكون الأسرة ويحدث التناسل : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [سورة النمل ، الآية : ٧٢] والعلاقة بينهما علاقة مودة ورحمة والصلة بينهما ترتفع إلى مستوى العبادة ويظهر ذلك في قول النبي الكريم -ﷺ- : « وفي بضع

الحديث النبوي الشريف وعلم النفس

للأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي

بقلم : سعادة الدكتور علي القاضي

الإنسان : خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة في الأرض يقوم بتعميرها ونشر العدل والأمن والسلام فيها وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [سورة البقرة، الآية : ٢٠] ولذلك فقد كان أساس التربية في الإسلام دوام الصلة بالله سبحانه وتعالى .

وكان المسلم القريب إلى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الجاه ، بل كان هو الذي يسير على المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٢] .

والإنسان مزيج من الماديات والمعنويات واستخدام الإنسان لطاقاته كلها يحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية أخرى يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذي نراه في المجتمعات الحديثة . فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة في منهج التربية الإسلامية .

والنبي الكريم -ﷺ- هو المعلم الأول الذي ربي هذه الأمة التربية الكاملة المتكاملة وسار المسلمون على هذا المنهج حتى أدوا رسالتهم كاملة طوال فترات طويلة ثم غفل المسلمون عن هذا المنهج . وفي عصرنا الحاضر جاء

القاري ، وإن كان ملا علي القاري من « هرات » ولكن « هرات » كانت خاضعة للامبراطورية المغولية ، ثم هو أخذ العلم من علماء الهند ، وكان مدينًا لفضلهم ، ونالت مؤلفاته شهرة وقبولا أكثر في الهند ، ولذلك فإنه يعد بحق من محدثي الهند .

وكان ملا علي القاريْ نجل الشيخ سلطان محمد ، تلقى التعليم الابتدائي في وطنه ، وقرأ مشكاة المصابيح على الشيخ مير كلان ، ثم سافر إلى مكة المكرمة ، وأكمل دراسة الحديث لدى الشيخ أبي الحسن البكري والسيد زكريا الحسيني ، وابن حجر المكي ، والشيخ عبد الله السندهي ، والشيخ قطب الدين النهروالي ، وتوفي بها سنة ١٠١١هـ ، وخلّف مؤلفات كثيرة ، منها : « المرقاة شرح المشكاة » و « شرح الشفاء » للقاضي عياض ، و «شرح شمائل الترمذي » و «شرح ملا ثبات للبخاري » و « تخريج الأحاديث » و « شرح عقائد النسفي » و « نور القاريْ شرح صحيح البخاري » و « شرح صحيح مسلم » و « شرح الحصن والحصين » و « شرح الأربعين للنووي » و « شرح المؤطأ للإمام محمد » و « سند الأنام في شرح مسند الإمام » (أبو حنيفة) . و « المصنوع في معرفة الموضوع » و « تذكرة الموضوعات » وما إلى ذلك .

درس البخاري في لاهور :

و لأول مرة في تاريخ علم الحديث نجد أن صحيح البخاري يدرس بانتظام في هذه الفترة ، فكان الشيخ محمد مفتيًا في لاهور ، وكان يدرس صحيح البخاري ، وظل مشغولا بتدريسه حتى بلغ من عمره التاسعة والتسعين ، وكان يقيم مأدبة كبيرة يدعو إليها الناس بمناسبة ختم البخاري ومشكاة المصابيح . [يتبع]

المكرمة والمدينة المنورة غير مرة واحدة ، حيث أخذ علم الحديث ، ثم رجع إلى وطنه ، وكان قد تغير كثيرًا عما كان عليه من ذي قبل ، يقول البدايوني :

« ذهب إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عدة مرات ، وتلقى علم الحديث ، ثم رجع إلى وطنه ، ونبذ ما كان عليه آباؤه الأولون ، فأنكر السماع والغناء ، وسلك طريق المحدثين ، واشتغل بالعبادة والزهد والطاعة ، وعاش ورعًا تقيًا نزيهًا » . [البدايوني : ج/٢ ، ص/٨٠]

وكان الملك أكبر يجله إلى درجة أنه كان يسوى حذاءه ، فتعرض الشيخ لحسد الحساد من فقهاء وعلماء البلاط الذين نصبوا له العداء ، الأمر الذي أزال هيبتهم من القلوب ، وفقدت جماعة العلماء ما كانت تتمتع به من مكانة ونفوذ في البلاط ، وتمكن أمثال ملا مبارك الناكوري ، وفيضي وأبو الفضل من التزلف إلى الملك .

ملا علي القارئ وأستاذه :

من كبار المحدثين والعلماء الذين عاشوا أيام الملك أكبر الشيخ مير كلان محدث بلدة أكبرآباد ، كانت له شهادة من علماء العجم ، وكان تلميذا للشيخ ميرك شاه الشيرازي الذي أخذ الحديث من أبيه المحدث السيد جمال الدين مؤلف « روضة الأحباب » ، وسافر إلى جزيرة العرب ، حيث أتقن هذا العلم الشريف ، وكان السيد جمال الدين قد تتلمذ على عمه السيد أصيل الدين الشيرازي ، وكان قد عين أستاذًا للملك جهانكير ، وتوفي سنة ٩٨٢هـ ، يكتب عنه البدايوني : «كان آية من آيات الله في علم الحديث » . [تاريخ البدايوني : ج/٢ ، ص/١٥١]

وكان تلميذ الشيخ مير كلان أيضًا آية من آيات الله ، وقد عرف بملا علي

الشيخ بهلول الدهلوي :

حينما قدم كجرات الشيخ عبد الله والشيخ رحمة الله قصدهما الشيخ بهلول الدهلوي ، ولازمهما بدرس الحديث ، ثم رجع إلى دهلي ، وقضى حياته كلها في تدريس الحديث النبوي الشريف ، يقول عنه البدايوني : « اكتسب مهارة في علم الحديث ، ورغب عن الخلق ، واشتغل بإفادة الطلبة (ص/١١٢) .

والحاج إبراهيم محدث آخر عاش هذه الفترة ، ذهب إلى الجزيرة العربية لينهل من معينها الصافي ، ويستفيد من جهابذة فن الحديث ، ثم رجع إلى الهند ، واشتغل بالإفادة والتدريس راغبًا عن الدنيا ، صابرًا محتسبًا ، يصفه البدايوني ، فيقول : « كان ورعًا تقيًا ، اشتغل بتدريس العلوم الدينية وبخاصة علم الحديث في بلدة آكرا » .

واستطاع بفضل هذا العمل الجليل الذي كان يقوم به أن يضطلع بمسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العاصمة ، أيام الملك أكبر، ولم يقبل أي منصب في البلاط ، وكان - إذا حضر البلاط - لا يلتزم بآداب وتقاليد ملوكية من سجود وخضوع أمام الملك وما إلى ذلك ، بل وعلى العكس من ذلك كان ينصح الملك ويعظه .

[البدايوني : ج/٢ ، ص/١٢٩]

الشيخ عبد النبي الكنكوهي :

ومن علماء هذا العهد الشيخ عبد النبي الكنكوهي حفيد الشيخ عبد القدوس الكنكوهي ، كان يشغل منصب صدر الصدور (شيخ الإسلام) في أيام الملك أكبر ، وكان يميل إلى التصوف في البداية ، ويحب السماع والغناء ، و وفقه الله - سبحانه تبارك وتعالى - أن يقوم بزيارة مكة

وكان الشيخ حميد السندهي شقيق الشيخ رحمة الله السندهي ، وكانت له مرتبة عالية في التفسير والحديث ، رافق « خان أعظم كوكا » إلى جزيرة العرب ، وأصبح قدوة لطبقة أهل الحديث .

[أخبار الأخيار : ص/٢٦٤]

اشتغل الشيخ برخوردار السندهي بالتدريس في الحجاز ، وكان الشيخ محمد طاهر الفتني قد استفاد منه .

[إتحاف النبلاء للنواب صديق حسن خان : ص/٢٩٨]

كانت أسرة الشاه محمد بن فضل الله من بلدة جونفور ، و ولد في أحمدآباد (گجرات) ، ونشأ وترعرع ، ثم سافر إلى مكة المكرمة ، وانتظم في حلقة الشيخ علي المتقي زهاء ١٢ سنة ، ثم رجع إلى الهند ، وسكن في برهانفور حيث قام بالتدريس والإفادة ، وله كتاب في مسألة « وحدة الوجود » اسمه : « التحفة المرسلة إلى النبي » نال تقديرًا وإعجابًا من كبار العلماء حتى قام بشرحه مشهورو علماء جزيرة العرب والشام ، مثل الشيخ عبد الغني النابلسي ، والشيخ إبراهيم الكردي وغيرهما .

وكان الشاه محمد بن فضل الله متبعًا للسنة ، عاضًا عليها بالنواجذ ، فلقب « بنائب الرسول » أنشأ مدرسة في بلدة برهانفور ، واشتغل فيها بتدريس الفقه والحديث والتفسير ، وتوفي سنة ١٠٠٥هـ .

ويجدر بالذكر السيد ياسين الگجراتي من علماء هذا العهد ، أخذ الحديث في الهند من علمائها ، ثم سافر إلى جزيرة العرب للاغتراف من منهلها ، يقول عنه البدايوني في تاريخه :

« قام بأداء فريضة الحج ، وأخذ الحديث من علماء الحجاز ، ونال إجازة فيه ، ثم رجع إلى الهند » .　　[البدايوني : ج/٢ ، ص/١٢٠]

الشيخ محمد طاهر الفتني :

كان الشيخ محمد طاهر الفتني من بلدة « فتن » التي تقع قريبًا من أحمدآباد (گجرات) والفتني نسبة إلى « فتن » وكان الشيخ محمد طاهر ينتمي إلى فرقة « بوهرا » شد رحله إلى مكة المكرمة ، واستفاد هناك من الشيخ علي المتقي ، وألف كتابين : «مجمع بحار الأنوار» في شرح ألفاظ الحديث ، و « المغنى » في أسماء الرجال ، وذكر في هذين الكتابين شيخه بغاية من الحب والإجلال ، الواقع الذي يدل على مدى حبه واحترامه لشيخه ، وإن كتابه : « مجمع البحار » معجم لألفاظ الحديث فيما يبدو ، ولكنه في الحقيقة كما رآه المحدثون شرح لكتب الصحاح الستة ، وله مؤلفات أخرى غيرهما ، منها : « تفكرة الموضوعات » و « قانون الموضوعات » .

ولما رجع الشيخ محمد طاهر من مكة المكرمة إلى الهند بدأ يحاول إصلاح عقائد فرقة (بوهرا) ، وبذل مجهودات كبيرة في دعوتهم إلى التشبث بالكتاب والسنة ، واختيار طريقة أهل السنة ، وجاهدهم جهادًا كبيرًا ، حتى استشهد مجاهدًا في سبيل الله سنة ٩٨٦هـ في قرية سارنگفور ، قريبا من بلدة (أجين) . [المرآة الأحمدية : ج/٢ ، ص/٧٧]

تلاميذ الشيخ علي المتقي :

كان كل من الشيخ عبد الله بن سعد الدين والشيخ رحمة الله من السند ، وكان أبوهما قد هاجر إلى المدينة المنورة ، وكانا من أخص تلاميذ الشيخ علي المتقي ، قدما الهند حوالي سنة ٩٧٧هـ ، وأقاما في گجرات ، وأفادا طلبة الحديث ولكنهما رجعا إلى الحجاز في آخر حياتهما واحدًا تلو الآخر ، حيث وافتهما المنية . [أخبار الأخيار : ص/٢٦٤]

المأثورة ، حتى في آخر أيام حياته ، إذ لم يكن يتحرك من مكانه ، وكان يشتغل بتأليف كتب الحديث وضبطها وتصحيحها ليل نهار » .

وتخرج على الشيخ علي المتقي كثير من علماء الهند المشهورين ، أمثال الشيخ عبد الوهاب المتقي المندوي ، والشيخ محمد طاهر الفتني ، والشاه محمد بن فضل الله البرهانفوري ، والشيخ عبد الله ، والشيخ رحمة الله السندهي ، والشيخ برخوردار السندهي .

الشيخ عبد الوهاب المتقي :

كان الشيخ عبد الوهاب المتقي من سكان هندو (مالوا) ، ولد في برهانفور ، وتجول في گجرات ودكن عشرين سنة ، واستفاد من علمائها ، ثم سافر إلى جزيرة العرب ، وانتظم في حلقة الشيخ علي المتقي في عام ٩٦٣هـ ، ولازمه ١٢ عامًا ، حتى انتقل الشيخ علي المتقي إلى جوار رحمة الله -عزوجل- سنة ٩٧٥هـ ، وكان يشتغل بكتابة مسودات شيخه وتبييضها ، واستفاد من صحبته كثيرًا حتى بلغ مرتبة الكمال ، وجعله علماء الحرمين الشريفين وعلماء مصر والشام واليمن خليفة للشيخ علي المتقي ، فاشتهر الشيخ عبد الوهاب بالمتقي .

وقدم الشيخ عبد الوهاب المتقي الهند مرة واحدة فقط ، وذلك في سنة ٩٧٦هـ ورجع في نفس السنة إلى الحجاز ، (عام ١٠٠١هـ) وخلف عددًا كبيرًا من تلاميذه ، وكان يدرس كتب الصحاح الستة ، ولم يكن له شغل سوى تدريس كتب الحديث ، وتصحيح الكتب النادرة ، وضبطها وتحقيقها .

[راجع للتفصيل « أخبار الأخيار : ص/٢٤٢ » وما بعدها ، والمرآة الأحمدية : ج/٢ ، ص/٥٧]

ولما وصل إلى جزيرة العرب بدأ يدرس على كبار علماء الحجاز والشيوخ عدة سنين . وكان منهم الحافظ ابن حجر المكي مؤلف « الصواعق المحرقة » والشيخ أبو الحسن البكري والشيخ محمد بن محمد السخاوي ، وهذا السخاوي غير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الذي توفي قبله بخمسين سنة في عام ٩٠٢هـ بالمدينة المنورة ، وقد بلغ الشيخ علي المتقي بفضل فطنته وذكائه ومواهبه الطبيعية وتوفيق الله -عزوجل- منزلة أساتذته وشيوخه ، بل وفاق كثيرًا منهم ، ومن مآثره العلمية القيمة موسوعة الحديث الشريف التي اشتغل بتأليفها منذ ٩٥٧ إلى ٩٧١هـ ، وقد عُرفت هذه الموسوعة « بكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » وألف كتابًا آخر باسم : « منهج العمال » وقد أغنت الناس هذه الكتب التي ألفها الشيخ علي المتقي عن مؤلفات الإمام رزين والحافظ السيوطي .

وأثناء هذه الفترة (حتى عام ٩٦١هـ) قدم الشيخ على المتقي گجرات مرتين . واستقبله السلطان محمود الگجراتي بغاية من الإجلال والإكرام . [راجع للتفصيل « ظفر الواله بمظفر واله : ص/٢١٥ ، طبع لندن ، والمرآة الأحمدية : ج/٢ ، ص/٦] .

وخصص للشيخ ولمدرسته والطلاب الذين كانوا يدرسون فيها مبالغ كبيرة من المال ، وتوفي الشيخ علي المتقي عام ٩٧٥هـ ، وقد عاش ٩٥ سنة ، وأصبح في آخر حياته ضعيف الجسم منهوك القوى حتى كان لا يستطيع أن يتحرك من مكانه ، ولكن ذوقه العلمي وشغفه بالتحصيل ظل في صعود ، يقول عنه تلميذه الخاص الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي في كتابه : « أخبار الأخيار : ص/٢٤٢ » :

« كان له شغف زائد بالبحث عن أحاديث النبي الكريم -ﷺ- وسننه

دراسات في السنة :

علم الحديث في الهند

بقلم : العلامة السيد سليمان الندوي

[الحلقة الثالثة]

تعريب : الأستاذ محمد حشمة الله الندوي .

الشيخ علي المتقي :

في منتصف القرن العاشر الهجري شهدت الهند علماً بارزًا في هذا المجال ، طلع من منطقتها الشرقية ، تلك التي سماها : « شاهجهان » بشيراز الهند ، وهو الشيخ علي المتقي .

كان أصله من جونفور ، و ولد سنة ٨٨٥هـ في بلدة برهانفور بدكن ، حيث بايع الشيخ باجن البرهانفوري وهو ولد صغير ، ثم ذهب إلى « ملتان » وهو شاب يافع ، واستفاد من الشيخ حسام الدين المتقي علميًا وروحيًا ، وكان اسم أبيه أيضًا حسام الدين ، وأعتقد أن نسبة المتقي تشير إلى أستاذه وشيخه حسام الدين المتقي الذي انتسب إليه .

وكان الشيخ علي المتقي في السابعة والستين من عمره إذ حالفه التوفيق ، فشد رحله إلى جزيرة العرب ، معرّجًا على كجرات سنة ٩٥٢هـ ، وذلك لمزيد من الاستفادة العلمية ، الأمر الذي يحمل لنا في طيه كثيرًا من الدروس والعبر في سبيل التحصيل ، ويدل على مدى رغبة سلفنا الصالح في الأخذ والاستفادة ، فهذا الشيخ الذي بلغ من عمره السابعة والستين يشد رحله ويتحمل صعوبة السفر في البر والبحر ، ويصل إلى جزيرة العرب .

انبثاق داء جديد يعرف HIV انكلش ، ويخشى ارتفاع عدد المصابين به بسرعة مدهشة ، ويقدر حسب إحصائية هيئة الصحة العالمية مبلغ التكاليف على مشاريع التغلب على هذا الداء العضال في آسيا وحدها بمائة وخمسة بلايين دولار أمريكي .

قد تحقق للمفكرين الغربيين في هذه الأيام بالنسبة لتطبيق المشاريع الإنمائية وخطط التقدم الاقتصادي أنه يجب أن تؤسس الحياة على منهج صالح سليم إلى جانب تأسيس الخطط الاقتصادية لترفيه المجتمع ، والرأى القائل بإعطاء الأولوية لترفيه الحياة الاجتماعية عن طريق الاختراعات الصناعية وتطوير الوسائل والأسباب الإنمائية وتأجيل النظر في إيجاد مجتمع صالح والعمل لحياة سعيدة مطمئنة نوع من الشذوذ وإغضاء عن العواقب الوخيمة ، وإنما يجب النظر والتفكير في الجانبين حتى يوجد مجتمع صالح مثالي نزيه ومتطور ماديًا ومعنويًا ، وفيما سردنا من بعض الحقائق والثوابت داخل المجتمعات الغربية دروس وعبر للبلاد الآسيوية والإفريقية التي تلهث لهثا وراء الحضارة الغربية والطراز الغربي .

من هنا يجب عليها أن تتعظ بمخازى هذه الدول وشرورها المستطيرة كما يجب عليها أن تلاحظ في إجراءاتها ومشاريعها المختلفة ما يناسبها ويصلح لشعوبها من حيث المادة والروح ، وتجنب نفسها تلك الموبقات التي لا يجد الغرب أي سبيل للخلاص منها بل وقد عادت ويلا على نفسه وشعبه وكل من ينتمي إليه من الرجال والبلدان .

أليس ذلك هو العذاب الأدنى الذي صرّح الله سبحانه به في كتابه قائلاً :

﴿ و لنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾

* * *

الجنسين ، وإن الدراسات والبحوث التي قدمها كيسي و وأنس بيكارد تصور ملامح المجتمع الغربي تصويرا صادقا ودقيقا للغاية .

وقد جاء في دراسة ليونيسيف (UNICEF) أن ١٢ مليونا من الفتيات في العالم يحملن كل عام بدون زواج ، وفي أمريكا تحمل واحدة بين كل عشر فتيات في فترة ما بين التعليم الثانوي والجامعي وتصبح أما . وبحسب تقديرات معهد (آلن كوتا) بنيويورك : يجرى كل عام إجهاض ما بين ٤٠/ ٥٠ مليون جنين غير شرعي ، وفي أمريكا وحدها . تحمل ٨-٩٪ من الفتيات ممن تتراوح أعمارهن بين ١٥-١٩ عاما . كما أن ستة آلاف من الفتيات تفتض عذرتهن سفاحًا كل يوم ، وقد أصبح الإجهاض في مثل هذه البيئة المتحررة أمرا خطيرًا . ففي أمريكا وحدها تجرى عملية الإجهاض لمليون ونصف مليون جنين تذهب ضحيتها خمس مائة فتاة ، وتصاب منهن أعداد هائلة بالأمراض العقلية والعصبية ، وقد سبب حمل الفتيات مشاكل معقدة وعصيبة في مجال الصحة والتعليم والمستقبل مما يقلق بال الأولياء والحكام معًا .

وقد تكدست الولادات الغير الشرعية في هذه الدول ففي بعضها تصل هذه الولادات إلى ٧٠٪ وسجل في أمريكا عام ١٩٧٠م نصف مليون و٩٧ ألف ولادة غير شرعية ، وكان ذلك ١٧٪ من مجمل ولاداتها ، وقررت بعض الدول منح جميع الولادات حقوقا متساوية والقضاء على التمييز بينها بناءً على أساس الشرعية وغير الشرعية .

وقد أفضى هذا الخبل إلى تفجر ألوان من الأمراض الخبيثة في العالم مع ما تسيطر على نفوسهم مخاوفها دائمًا ومن أخطرها (أيدز- Aids) الذي يعاني منه اليوم ١٧ مليون شخص ، ويتوقع حتى أواخر هذا القرن

التاريخ عبر العصور ، هذا التسابق المجنون من عقيلات الأسر الشريفة في إشباع الغرائز الجنسية ، كتبت فتاة في مجله (ISIS) الصادرة من أوكسفورد : « لم تعد للبكارة أي قيمة في أوكسفورد » وجاء في تقرير من ألمانيا .. إن جيل الفتيات البواكر في انقراض في ألمانيا ، وقد أذهبت حبوب المنع مخاوف الحمل .. وقال الدكتور إيلبرت إيلس المتخصص في علم النفس : إن الممارسة الجنسية قبل الزواج ليست بضارة ولا منافية للأخلاق ولا يكفى أن يكون هناك سماح مشروع بالممارسة الجنسية قبل الزواج بل يجب التحفيز عليها حتى يتهيأ جنس الذكور والإناث للانسجام في المستقبل ، ويزعم البروفيسور « كارستريروس » : إن التجارب الجنسية إنما توفر فرصة للاعداد المناسب لمجاوزة المراحل فيما بعد الزواج .

وتوصل المراقب الاجتماعي جون كيتس بعد أن اجتمع بأساتذة وطلاب عدة جامعات غربية ، أن أغلبيتهم تعتقد اليوم أن الممارسة الجنسية ليس من المعقول أن تقيّد بالحدود الأخلاقية ، وتوصل « لوانس بيكارد » في بحثه « الوحشية الجنسية » إلى أن النظرة التقليدية عن البكارة فيما قبل الزواج لا يقبلها معظم الفتيان والفتيات ، ومعظم الشباب يرى الممارسة الجنسية قبل الزواج إذا كانت بعد ١٨ عاما بالخطيبة أمرًا معقولاً ، وقالت « دورس فرى » : إن أكثر البلاد المترفة اليوم تميز بين الحب والممارسة الجنسية ، إن الشاب والشابات في السويد يمارسان الجنس بكل حرية قبل الزواج ، وبسبب ذلك انفجر سيل من أولاد الحرام وحالات إجهاض الجنين ، وتفاقمت الأوبئة الجنسية إلى حد مخيف ، وذلك عدا الآثار النفسية والعاطفية في كلا

سهولة . وإن الفتيات الأمريكيات والسوفيتيات تجرى عليهن عدة عمليات إجهاض قبل الزواج عن طلب ورضا .

إن ثورة منع الحمل قد غيرت نفسيه المرأة تغييرا كاملاً وداست بالأقدام كل معاني الاحصان التي كانت زينة المرأة في المجتمع . ويزداد استخدام موانع الحمل في جميع بلاد العالم بسرعة فائقة . ولا يزال العكوف على الدراسة و البحث عن الحلول الجديدة والطرق السليمة السهلة لاستخدامها . وإن أمريكا وحدها تصرف مائتين وخمسين مليون دولار على إنجاز الأدوات المانعة للحمل والمرأة تستعمل الحبوب المانعة بكل رغبة وشهية كما تمضغ الشاكولاتات .

قد تكدست الأدوات المثيرة للغرائز والدواعي المستفزة لمكامن النفس في المجتمع الغربي كله . ويغلب على كل من الفنون اللطيفة والأدب والشعر والإعلانات طابع من الخلاعة والمجون والتهتك والانحلال . وتعرض في صالات الأفلام وشاشات التلفزيون والاعلام الإلكتروني صور عارية مشكّلة ومناظر العنف والاستهتار بكل وقاحة وبشاعة . ولا يترك في عرض مناظر الجنس ومشاهد غرفة النوم أي جانب للقوة المتخلية . تتساءل نقابة الأفلام في الغرب في حيرة مدهشة عن (هالي وود) هل بلغ بها الجنون والخبل إلى آخر المدى ؟ إن الأفلام العارية ومناظر الخلاعة والمجون على شواطئ البحار ورقصات (كيبرائ) المثيرة . والرقصات الخليعة المتعرية والرقصات المتلوية نسفت مشاعر الناس . وتظهر نتائجها الوخيمة المحتومة في أشكال وألوان من الفوضى الجنسية والاجهاض والولادات غير الشرعية وانفكاك نظام الأسرة تمامًا .

إن الإباحية المطلقة جعلت الاحصان نوعـــا من الرجعية . لم يشهد

وأدت هذه التوجيهات دورها في التقليل من أهمية الزواج : وأصبح تعايش الرجال والنساء والممارسة الجنسية بدون زواج شرعي عادة شائعة . وقـــال « مانولاب جارا » (Manolab Jara) المتخصص في علم الاجتماع : إن الزوجين الغير الشرعيين يسافحان ويستمران في الممارسة الجنسية حتى يكون لهما أولاد ، وقد أصبح هذا الأسلوب من التعايش مستساغًا في المجتمع . وكتب .K. D شرما في مقال له صدر في صحيفة (بانير) الإنجليزية اليومية : إن كثرة حالات الطلاق والفرقة بين الزوجين في أمريكا لم تذر للزواج أي قيمة ولا وزن وهي تخلف وراءها من أقبح الآثار والعواقب ، ما قد يعجز التاريخ الحديث عن الاتيان بمثلها ، فكل رابع من عقود زواج ينتهى بالطلاق فإن ٢٠٪ من حالات الطلاق تحدث في أمريكا وحدها على أن عدد سكانها لا يتجاوز ٦٪ من سكان العالم . وقد توصل المفكرون الغربيون الذين قاموا بدراسة عميقة وتحليل دقيق لآثار الثورة الصناعية على المجتمع الغربي إلى أن النهج الصناعي للحياة أحدث أشكالا تعرقل في سبيل التطبيق العادل في متطلبات الحياة . فإن المشاركة العملية من جنس الإناث في المكاتب والمصانع عرّضت نظام الأسرة للخطر ، وقالوا نحن إلى الأمهات اللائي يُحسنّ الرعاية والزوجات اللاتي يُخلصن الحب أحوج من فتيات الصناعة وعارضات الأزياء .

كتب بعض الصحفيين الأمريكيين في صحيفة (Christian Science- Monitor) : إن المجتمع الأمريكي قد عاد إباحيا إلى حد مدهش . لم تعد الممارسات الجنسية أو الاستمرار فيها بدون انخراط في سلك الزواج مما يلام عليه وخصوصا عند الشباب . الاجهاض مسموح به شرعا . ويتم بكل

لاتساع الرقعة الاقتصادية ومن هنالك ارتفعت نسبة الجرائم والتلوثات الحضارية وممارسات العنف والقتل .

إن جهاز الوحدة الأساسية - الأسرة - لا يزال يفقد التماسك على مر الأيام ، ولم يبق لعقد الزواج الشرعي أي قدسية ، ففي كثير من الدول الغربية يعيش الرجال والنساء كالأزواج بدون تقيد برابطة شرعية ، وقد ارتفعت نسبة عدد الأزواج الغير الشرعية إلى ١٢١٪ بالنسبة لعام ١٩٧٠م ، وقد لوحظ ارتفاع كبير في تعدد الزواج كما حدث ذلك سابقا في الطلاق ، والسبب في ذلك أن الشباب يتسرعون غالبا في عقد زواج الحب الذي طالما ينتهي بالطلاق ، كما قد نمت فيهم موضة تبادل الزوجات موقتًا (Wife Swapping) ، وإن العباءة البيضاء للزواج التي كانت رمزا للعفاف والاحصان تحولت لتكون علامة للصيانة والضمان للممارسات الجنسية .

وقال الاخصائي الاجتماعي الشهير الأستاذ « بيتروم سوروكين » : قد أحدق الخطر بالمجتمع الغربي من الجانبين ، فإن قلوب الزوجين تتفرغ عن الحب والانسجام من جانب وتنعدم عاطفة الحدب والعطف فيما بين الآباء والأولاد من جانب آخر .

و تسأل « ماليشا شادوف » (Melissa Shadoff) في كتابها المعروف الشهير الذي نال انتشارًا كبيرًا في المجتمعات الغربية باسم : « المرأة كالحرباء » (The Woman as Chameleon) (هل تحبين أن تكوني امرأة - أمًا - مثالية ؟) ثم ترد بنفسها ، وتقول : لا يخطرن ببالك أن تكوني زوجة مثالية لقرينك ، تشاطره الهموم والأفراح وتبذل له أقصى معاني الحب) وتتقدم « هيلن براؤن » إلى بنات عصرها قائلة : إن الزواج تأمين لأشقى أيام الحياة ، أما في أيام السعادة فلا حاجة لكُنَّ إليه .

والممارسات الجنسية جهارًا .

و قال حاكم نيو يورك و الديمقراطي المعروف « ميريو كومومو » (Mario Cumumo) وهو يعرب عن أسفه الزائد : « إن أكبر خطر تتعرض له أمريكا أنها فشلت في تربية شبابها على القيم الخلقية السليمة و وجّه مسئولية هذا الفشل وهو يبدى قلقه الشديد على العنف المتزايد في البلاد إلى الأسر والمعاهد التعليمية والكنائس والحكومة بأنها تقاصرت عن إيجاد المثل العليا والوعي الصحيح للتمييز بين الحق والباطل والصحيح والسقيم ، وإن الشباب الأمريكيين عادوا يفقدون مؤهلاتهم الإنتاجية » .

و ورد في تقرير صدر من مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية : «إن الشباب في بريطانيا يفقدون الوعي الصحيح والشعور السليم ، هم يعيشون فريسة التمييز العنصري ، ولا يقيمون للمجتمع البريطاني أيّ وزن بصفة أساسية ، وأهاب المجلس بالحكومة وإدارة الكنائس وأساتذة المدارس أن هناك جيلا ينشأ في البلاد و يترعرع على طبيعة الاستغلال وفي يأس من المستقبل ويكاد ينفصل عن مجرى الحياة الاجتماعية بكاملها ، وليس له هدف معين » .

وقال « أيدورد غولد إسمث » المتخصص في علم الاجتماع : إن المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الصناعية اليوم كالعنف والتطرف وأنواع الجرائم في النشء الجديد وكذلك تعاطى الخمور والمخدرات كل ذلك علامة للمجتمع المنهار ، و نشأت هذه المشاكل في تلك المجتمعات مصحوبة بالثورة الصناعية والاقتصادية ، لأن زحمة الحياة الحضارية نتيجة

وقد اكتشف أخيرا السيد « تشارلس إس. روب » (Charles S. Robb) أن ١٥٪ من الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-١٩ عاما سوف يحرمون من قوة الإنتاج والتكافؤ العملي ، نظرا إلى تعاطيهم الخمور والمخدرات واقترافهم للجرائم ، وحمل الفتيات في سن مبكرة ، وعموم البطالة وانفصالهم عن المدارس قبل الأوان .

وجاء في تقرير قدمته هذه اللجنة نفسها أن مليونا من الفتيات الأمريكيات يحملن على طريقة غير شرعية كل عام ، وفي كُلّ ٩٥ دقيقة ينتحر شاب نفسه ، وقد تصاعدت أحداث الحمل في سن مبكرة بالنسبة لعام ١٩٦٠م إلى ١٥٩٪ ، وجرائم الاغتيال التي يمارسها الأحداث ارتفعت إلى ٢٣٢٪ لدى البيض و ١٦٪ عند الملوّنين ، وقالت اللجنة : إن هذه الأحداث تؤشر بوضوح إلى أن الأسرة والمجتمع والمدارس وما إلى ذلك من المؤسسات الأخرى التي تقوم بواجب الترابط والتواصل بين الأفراد والمجتمعات والبيئات أغفلت هذا الواجب المهم .

وكتب الصحفي الأمريكي « روسكو درموند » (Rosco Drummond): هناك عدة مشاكل في المجتمع الأمريكي تبعث على القلق وتثير المخاوف الشديدة ، ذلك أن كمية تعاطى الأدوية المخدرة تفاقمت إلى حد مخيف كما أن حالات الطلاق في تصاعد مستمر ونسبة عدد الزواجات الغير الشرعية في ارتفاع مستمر ، الأمر الذي شكل أزمة هائلة في كل قطاع من قطاعات المجتمع ، وقالت مؤسسة كارنيجي (U.S.A.) في دراسة لها : إن سبعة ملايين من الشباب الأمريكيين ، وهم يشكلون ربع عدد الشباب الذي تتراوح أعمارهم بين ١٥-١٧ عاما يعيشون تحت وطأة المخدرات

الحضارة الغربية في مرآتها

سعادة الدكتور : إكرام الله
تعريب : الأستاذ محمد إبراهيم الندوي

الحضارة الغربية الحديثة تمتّ إلى الحضارتين القديمتين الإغريقية والرومية بصلة القرابة والنسب ومن حيث العنصر والأرومة . ولما كانت الأخيرتان تتميزان بميزة الإلحاد والمادية كان من الطبيعي أن ترتكز دعائم الأولى كذلك على نفس الأساس .

لقد فتحت الثورة الصناعية منذ القرن السادس عشر أبوابا جديدة للاكتشافات العلمية والاختراعات الجديدة والرفاهية الاقتصادية التي وفرت من أسباب الراحة والنعيم ما أدهش الشعوب المختلفة فأصبحوا معجبين بهذه الحضارة إلى آخر المدى وافتُتنوا بسحرها واتخذوها نهجا رائقًا ساروا عليه في حياتهم الفردية والجماعية وهم يرونه طريقا نحو السعادة المنشودة . إلا أننا لو تناولنا هذه الحضارة بدراسة فاحصة متأنية وتتبعناها جيدا اتضح لنا أن هذه الحضارة عندما أسدت إلى العالم أنواعا من العطاء الحضاري وأسباب الرخاء والرفاهية بذرت كذلك بذور الشر والفساد وبثّت ميكروبات سامة في جسد المجتمع البشري ، من الفاحشة والتميع الخلقي و من العرى والإباحية .

وكان من نتيجة هذا التدهور الخلقي والاسفاف العقلي أن خاب الإنسان عن تحقيق الأهداف العالية للحياة ، وحدثت له مشكلات معقدة في جميع المجالات الحيوية وقف أمامها العقلاء والمفكرون مشدوهين لا يدركون لها حلولا ناجعة .

فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : إن تحكم فيّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل . فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ! أ لهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ إئذن لي أن أضرب عنقه .

فقال له المهدي : أسكت ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم ، فنشقى بسعادتهم ؟ اكتبوا عهده على قضاء الكوفة . على أن لا يعترض عليه في حكم .

فكتب عهده ، ودفع إليه ، فأخذه وخرج ، فرمى به في دجلة وهرب ، فطُلب في كل بلد فلم يوجد .

ولما امتنع عن قضاء الكوفة ، وتولاه شريك بن عبد الله النخعي ، قال الشاعر :

تحرّز سفيان وفر بدينـــــه و أمسى شريك مرصدًا للدراهم

ومن حسن تخلصه قيل : إن المهدي قال لزوجته الخيزران : أريد أتزوج ، وكانت بكتاب ، فقالت لـه : لا يحل لك أن تتزوج علي ، قال : بلى ، قالت له : بيني وبينك من شئت ، قال : أ ترضين سفيان الثـــوري ؟ قالت : نعم ، فوجه إلى سفيان ، فقال : إلا أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها ، وقد قال الله -عزوجل- : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى وثلاث ورباع﴾ ثم سكت ، فقال له سفيان : أتمّ الآية ، يريد قول الله تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٣] وأنت لا تعدل .

فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها .. وقد كان يشتغل بالتجارة وينفق على الفقراء أو يحج بهم سنويًا على نفقته [٢/٨٧٢] .

أعود . وكان قد ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدي فلم يعد ، فقال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، فعلم أنه عاد لأخذ نعله ، فغضب ، فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثوري ، وإني لفي المسجد الحرام ، فذهب فألقى بين النساء فخبأنه ، فقيل له : لم فعلت ؟ فقال : إنهن أرحم ، ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : لما قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه ، صار في بعض البساتين ، وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمرّ به بعض العشارين فقال : من أين أنت يا شيخ ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال : أما رطب البصرة فلم أذقه ، ولكن رطب السابرى بالكوفة حلو ، فقال : ما أكذبك من شيخ ، الطلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة ، وأنت تزعم أنك لم تذقه ، فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجبه ، فقال : ثكلتك أمك ، أدركه إن كنت صادقًا ، فإنه سفيان الثوري ، لتتقرب به إلى أمير المؤمنين ، فرجع في طلبه فما قدر عليه ، وقد دخل سفيان يومًا على المهدي ، فكلمه بكلام فيه غلظه ، فقال له عيسى بن موسى : تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام ، وإنما أنت رجل من ثور ، فقال له سفيان : إن من أطاع الله من ثور ، خير ممن عصى الله من قومك .

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب عن حكايات الثوري : قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وقد أتي بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ، ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق ، وقال له : يا سفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن أنالو أردناك بسوء لم نقدر عليك ،

الذي هيأها ، مما يديمها ويعطي حقها ، لأن بالشكر تدوم النعم .

وفوق ذلك يدرك القاعدة الصلبة التي حمى الله بها الإنسان من حيث لا يدري وهي جهاز المناعة ، الذي وهبه الله للإنسان ليكون درعًا في دفاع كل أمر خطير يلمّ بالبدن ، ولما عصى البشر خالقهم ، واستباحوا محارمه أراهم عقابًا عاجلاً أعجزهم وأخافهم بتعطيل هذا الجهاز الذي سمى مرض الأيدز ، ليكون في ذلك عظة وعبرة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٥٢] ، وقد أفرد كارل الفرنسي كجزء من خفايا النفس البشرية وما في جسم الإنسان من عجائب كتابًا كبيرًا سماه : « الإنسان ذلك المجهول » أبان فيه عن أشياء أذهلت البشر وحيّرت العقول » فسبحانه الخلاق العليم الذي أعطى كل شئ خلقه ، وهداه إليه .

المهدي و الثوريّ :

ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان ، أخبارًا لسفيان الثوريّ عن تعرضه لترجمته ، منها ما كان بينه وبين المهدي ، نقتطف منها بعضًا لطرافتها ، وما تحمل من فائدة ، ومن ذلك أنه دخل على المهدي فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم يا أبا عبد الله ؟ ثم جلس ، فقال : حج عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فأنفق في حجته ستة عشر دينارًا ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال ، قال : فأي شئ تريد ؟ تريد أن أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : أبا عبد الله قد كانت كتبك تأتينا فننفذها ، قال : من هذا ؟ قال : أبو عبيد الله وزيري ، قال : احذره فإنه كذاب ، إني ما كتبت إليك ، ثم قام ، فقال له المهدي : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال :

الأجزاء الدقيقة في بدنه .

وهذا التفكر يقود الإنسان إلى التعمق في العمل الدقيق المحكم الدؤوب في جسمه ليخرج بنتيجة أوضحتها الآية الكريمة : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٩١] . إذ كل ما في جسم الإنسان لم يأت مصادفة ولم يوجد عبثًا ، وإنما هو لحكمة بالغة قد تخفى جوانب منها على البشر ، وأن المرء كلما ازداد علمًا ، واتسعت مداركه نتيجة البحث والاستقصاء ، فإنه يدرك سرًا يعجز عن تعليله ، وأن كل عبرة في بدنه ، وكل معجزة في أطرافه .. لم تكن جاءت لغير غاية مقصودة ، ولم تكن مصادفة كما يقول الطبيعيون ، ولم تكن لهوًا أو عبثًا كما يراه الملاحدة ، ولا لأي علة يراها أصحاب النحل والطوائف البعيدة عن الفهم الحقيقي ، لما تدل عليه نصوص شريعة الإسلام ، التي تربط الإنسان بخالقه عبادة ودعوة إلى العمل ، واعترافًا بالفضل .

فدين الله الحق يبين للمتأمل والمتبصر أن كل ما يكتنف بدن الإنسان من أشياء دقيقة وعجيبة ، فإنه ما جاء في جسمه إلا بحكمة ولغاية ، فالحكمة التبصر في مخلوقات الله تعالى ، لإدراك قدرة الخالق وعظمته ، والغاية هي التعمق والفهم فيما جاء الإنسان للحياة من أجله ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له كما جاء في آخر سورة الذاريات : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

فالمتعمق صحّيًا ، والمتابع مخبريًا في خفايا بدن ابن آدم يتبدى له أن الجسم البشري محاط بأسرار عجيبة وبديعة هي من قدرة الله وتسخيره سبحانه ، ليكون خلف كل عمل حماية أخرى هي من الله -جل وعلا- نعمة على العبد يجب شكرها ، والاعتراف بفضلها وقيدها بالشكر لله

ويعمل في خفاء لحماية هذا الجسم والذّود عنه ، هي من الجنود الخفية ، والقوى الكامنة فيه ، لم تأت مصادفة ، وإنما أودعها البارئ -عزوجل- لحماية الإنسان ، والمحافظ على توازن جسمه ، حتى تستمر الحياة التي قدرها الله تبارك وتعالى ، ثم يأتي الأجل الموعود فسبحانه من إله ما أعظمه . أما إذا كان الجرح غائرًا ، أو المشكلة المرضية عويصة كالعظام عند ما يصيبها الكسر ، أو اللحم عند ما يحل به قطع ، أو العصب عندِ ما يتمزّق .. أو يحتاج الجسم إلى عملية جراحية .. أو غير هذا من المسببات الأثر البارز ، الذي لا يجدى في الدفاع حيالها ما تعمله كريات الدم بجهدها الدفاعي المتلائم مع قدرتها ، والذي يتماثل في النواحي العسكرية مع خطر الدفاع الأول ، فإن القدرة الإلهية قد هيأت في جسم الإنسان دفاعات أخرى أكثر قدرة ، وأمكن في العمل كخط الدفاع الثاني ، ثم الثالث في الأعراف العسكرية ، ليحمي هذا الجسم - بتوفيق الله تعالى - من الآفات النازلة عليه ، وليكون للعمل الدفاعي دور في إعادة بناء وترميم ما تأثر من الجسم ، ومن ثم عودته إلى حالته الطبيعية ، وذلك بما تحدثه الخلايا والأنسجة ، من قدرة أودعها الله فيها ، للعمل تلقائيًا لإصلاح أي جزء حصل به الخلل ، وهذه الأعمال هي بأعمال الترميم المحسوسة في المباني أشبه .

فالخلايا وتكوينها وعملها ، والأنسجة وإعادة البناء ، من الأمور العجيبة والغريبة في الجسم البشري ، التي يحتار عقل الإنسان في إدراك كيفية تكوينها ، وماهية عملها ، ولكن المؤمن يُدرك أن ذلك بقدرة العزيز العليم - جل وعلا- ، وأن هذا جزء من مفهوم دلالة الآية الكريمة ، التي تدعو الإنسان إلى التبصر في نفسه ، والتفكر في خفايا وعمل

الحمراء لتساعد بالمدد المتمثل في ضخ الدم النقي ، وزيادة الأوكسجين ، ونقل ما يعيد الكريات على الدفاع والصمود ، وذلك بما في الجسم من أغذية وأمور أخرى تعين على ذلك ..

وبدورها تتحرك الأنسجة والخلايا ، في حركة بطيئة ومعنية ، لتلفظ كل جسم غريب ، وحماية الأجزاء الدقيقة منه ، وترميم ما قد يكون طرأ على أجزاء من الجسم من الخمول أو الخلل .. فسبحانه الخلّاق العليم ، الذي خلق فسوى وقدّر فهدى .

أما إذا كان الألم جرحًا خارجيًا فإن كريات الدم تحرص على الاندفاع للمكان فادية بأنفسها حتى يسلم الجسم ، وتحميه من الميكروبات المنتشرة في الجوّ ، ليتحقق بموتها وتكاثرها عند باب الجرح شيئان : التكاثر في محاوله لسدّ باب الجرح بجثتها ، حتى لا يندفع الدم إلى خارج الجسم ، فيحصل النزيف الذي يفقد به المرء كمية كبيرة من دمه مما يحصل عنه ضرر بالجسم ، ولئلا يتاح للميكروبات والجراثيم المنتشرة في الجوّ دخول البدن من فتحة هذا الجرح .

وعمل كريات الدم هذا هو ما يسميه الأطباء : التجلط ، أما الدارسون لأحوال الجسم البشري فإنهم يطلقون على هذا العمل الجيش الفدائيّ ، أو القوة الانتحارية حسب الأعراف العسكرية .. ومن هنا نجد الأطباء ومن يعاونهم يعطون نصائح لمن نزف الدم من بدنه لأي سبب أن يضغط على مكان النزيف ليساعد في منع الدم من الخروج ، مما يعين كريات الدم في عملها .

وهذه الأعمال وغيرها في أجزاء الجسم ، مما يسير بدقة وانتظام ،

[illegible]

الذاريات ، الآية : ٢١] . ولئن فهم ذلك بعضهم بأنها نظرة عامة ، إلا أنها دعوة لأن يستجمع العقل إحساسه فيتصبر في ذاته أولاً ، وفيما يحركه ويسيطير عليه من دقائق الجسم ، الذي هو كتلة واحدة ، وكيان متماسك الأجزاء ، مترابط الأركان .

فأقل شئ يصيب هذا الجسم ، يوقفه عن القدرة المتكاملة ، وكأن أجزاءه الأخرى هي المصابة بتلك النكسة ، التي لم يتوقف تأثيرها على المكان الذي فيه الإصابة ، بل تفاعلت بقيّة الأعضاء ، وتجاوبت أصداؤها معه ، فكأنها واقفة فيما وقع فيه ذلك العضو ، حيث ضرب رسول الله -ﷺ- المثل بذلك للمجتمع الإسلامي بأفراده وجماعاته ، وما يجب أن يتحملوه نحو إخوانهم في العقيدة ، وما يؤرّقهم من مصائب ، كان وقعها أليمًا عليهم ، أو محنًا تؤثر في كيانهم ، فقال الرسول الكريم -ﷺ- في الحديث الصحيح الشريف : « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » فكل فرد في المجتمع يحسّ بهذه الظاهرة ، إذ أي مرض يصيب جزءًا من الجسم ، يجعل بقية أجزاء الجسم كلها تشعر بالألم ، وكأنها هي المصابة بنفس المرض ، فتتجاوب أصداء الجسم مع موطن الارتكاز الذي جعله الله في الجسم ، إذ يحسّ الإنسان بالصداع كنذير لما ألّم بالبدن ، وإن كان ذلك الألم في البطن والأحشاء ، أحسّ بموطن الارتكاز في أسفل الصدر وفوق المعدة ، فتتحول آثار ذلك إلى إشارات أسرع من الذبذبات اللاسلكية أو الكهربائية ، لتتصل بمركز التحكم في الجسم ، وهو ما يطلق عليه بعضهم حسب الأعراف العسكرية بغرفة العمليات ، لأن غرفة

.. وقد أذيع منه أكثر من مائتي حلقة حتى رأى المختصون في إذاعة القرآن الكريم إيقافه واستبداله بغيره .. أنني قرأت أكثر من ثلاث مائة مرجع ، استرشد منها على ما يدلّني على خفايا الجسم البشري ، وما أودع الله به من أسرار ، فرأيت أنني كلما أزددت قراءة ، وتعمقًا ازددت جهلاً بهذا الجسم ، لما يتبدّى من أمور عجيبة دقيقة ومحكمة ، كيف تعمل ، وما هو تأثيرها ، و وجدت أن دلالة الآية الكريمة ، تدفع المهتم إلى بحر لا ساحل له ، عند ما يغوص في أعماق هواجس النفس وانفعالاتها ، ودقائق الجسم وأعماله .. ولا يجد لذلك جوابًا يريح النفس ، إلا بذكر الله تعالى ، الذي تطمئن به القلوب ، وإراحة الخواطر بقول : سبحانك يا رب ما أعظم خلقك ، وقول عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - : اللهم إيمانًا كإيمان العجائز .

ذلك أن الإنسان قد ينظر إلى البعيد ، ويتغافل عن القريب ، إذ النفس البشرية : جسمًا ماديًا ، وهواجس وجدانية ، وحركات ظاهرة ، وجنودًا خفيّة ، فيها من العجائب والغرائب ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، وفيها من الأسرار الدقيقة والخفية ما يعجز العقل البشري عن إدراكه ، مع أنها أقرب شئ إلى ابن آدم .. وهذا واحد من أسرار أمره بالتعبد نظرًا في ملكوت الله ، المحيط بالإنسان في حياته الدنيا ، كما أمر بالتعبد تمعّنًا في نفسه ، حتى يستجلى أسرارها ، ويتبصر في غرائبها ، مستطلعًا حقائق ما هو مودع فيها ، مما يدله على عظمة الله سبحانه وتعالى ، وقدرته في ملكوته ، ليزداد إيمانًا ، ويعرف واجب ذلك وهو أداء الشكر لله ، حيث يقول سبحانه : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [سورة

سبحانه أكمل خلق الإنسان ، وأبدع صورته ، وكرّمه على كثير ممن خلق ، فقال سبحانه : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم • الذي خلقك فسوّاك فعدلك • في أيّ صورة ما شاء ركّبك ﴾ [سورة الانفطار ، الآيات : ٦-٨] وقد أدرك أحد الشعراء ذلك ، فقال مبرهنًا على أن عظمة المصنوع ، دليل على عظمة المبدع لذلك ، والموجد له من العدم ، وصانعه وهو الله سبحانه المستحق للعبادة :

وفي كل شيئ له آيـــــــة تدل على أنه الواحــــــــد

ومع أن القرآن الكريم ، الذي أعجز الأولين والآخرين ، ومن أي ديانة ونحلة ، في بلاغته وعمق معانيه ، وحيّر الأطباء والمختصين في دراسة الجسم البشري وعجائبه ، قد أبان في آيات كريمات جوانب من التكوين النفسي والخلقي والصحي لبدن ابن آدم ، مما نسف نظريات في الكيمياء و وجهات نظر لدى المختصين في الأنتربيولوجيا ، وقضى على تخرصات علم النفس وعلم الاجتماع ، و وضع مناهج في تقويم طباع النفس البشرية مما يحتاج معه الإنسان في الإبانة والتوضيح ، إلى مجهودات تتقصّف معها أعمار وأعمار . فالمختصون في كل فنّ : طبًا أو علم نفس أو علم إدارة ، أو اجتماع ، أو تربية ، أو كيمياء ، أو أحياء ، أو علم الأجنّة ، أو الخلايا أو التخصصات الدقيقة في كل ناحية من نواحي الجسم ، والتي تزيد عن ألف تخصص ، كل هؤلاء يقفون حائرين أمام ما يجد أمامهم في دقائق جسم ابن آدم ، و أعمالها .. ويحضرني بالمناسبة ، وإن كنت غير مختص كالذين أوقفوا حياتهم لهذا الجسم دراسة ومتابعة وعلاجًا واختبارًا ، أن لديّ برنامجًا إذاعيًا عنوانه : وفي أنفسكم أفلا تبصرون

عجائب النفس البشرية

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

عظمة الخالق سبحانه ، تبرز لأحاسيس الإنسان في أدقّ مخلوقاته عملاً ، وأحكمها صنعًا ، وأعظمها قدرًا ، فمن تلك الأمور الظاهر الذي يبدو للعيان أمام أبسط الناس ، وأقلهم ذكاء وفطنة ، ومنها الدقيق المحكم المتناهي في الإتقان ، الذي لا يدركه إلا من أعطاه الله ذكاءً وقّادًا ، ومنحه فكرًا ثاقبًا .. وتزداد الأهمية عند ما يرتبط ذلك الفكر بالعقيدة الإيمانية ، التي يحدوها حب التبصر ، والحرص على التفكر ، إلى محاولة سد أغوار الأمور ، ليتحول الأمر عند المسلم إلى عبادة ، راسخة ، وعقيدة مكينة .. حيث جاء في الأثر تفكر ساعة خير – أو تعدل – عبادة سنة .

والإنسان عند ما يجيل الطرف فيما حوله من مخلوقات الله سبحانه ، فإنه يحتار أيها أكثر دقّة ، وأيها أتقن عملاً ، إذ كل ما خلق الله جلّت قدرته ، فهو متكامل في نواحيه كلها ، لا يجد الإنسان مدخلاً على تلك الأمور سواء في أحكامها أو عملها ، أو في جملها وعظمتها ، فكان خلق الإنسان في قمة المخلوقات حسنًا وإبداعًا ، ودقة وتكوينًا كما قال سبحانه في سورة التين : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [سورة التين ، الآية : ٤] ، لأن الخلق هو الله القادر على كل شئ ، العالم بما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، والمحيط سبحانه بكل شئ علماً .. لأنه

إصلاحية ثورية فكانوا هم الخطر الأكبر على هذا المخطط اليهودي المسيحي وعائقا أكبر في سبيل تحقق أماني اليهود ونجاحها .

وكان من ضمن تلك الجهود والمؤامرات والمخططات القضاء على قوة المسلمين الإيمانية والمعنوية . في مقدمتها محاولة القضاء على شخصية الأمة الإسلامية المميزة ورسالتها . بالدعوة إلى التجرد من المبادئ الدينية . والقيم الخلقية . والميزات الإيمانية . فتعيش حياة جاهلية كالجاهلية الأولى أو كحياة الدواب والأنعام في غابة أو صحراء .

ثم استعانت أخيرًا بالدعاية ضد « التنمية » التي عرف بها المسلمون بصفة خاصة بفضل تعليماتهم الدينية الطبعية ويشكلون بذلك خطرا على الجبهة المعادية لهم . والقوة العمرانية والمدنية والعسكرية ضد الجبهة اليهودية والمسيحية . فبدأت بعض القيادات المتآمرة والمؤتلفة ضد مستقبل الإسلام والمسلمين وقوة المقاومة التي يملكونها بإقناع بعض الحكومات الإسلامية والقيادات المسلمة بوضع العوائق والعراقيل في سبيل التنمية في الأقطار الإسلامية بطرق غير طبعية وغير شرعية وغير خلقية . هذا إلى غير ذلك من المخططات والمؤامرات الدقيقة التي تحاك للتخلص من نفوذ المسلمين المعنوي والعددي والمبدئي والعقائدي .

فليكن المسلمون بصفة عامة والحكومات والقيادات المسلمة بصفة خاصة على حذر من هذه المؤامرات والمخطط التدميري ويكونوا على بينة من الأمر . ولله الأمر من قبل ومن بعد . وما علينا إلا البلاغ .

•• • ••

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التتاري زمنئذ، الذي اشتركت فيه الدول الأوربية والقيادات العسكرية والدوائر الدينية والسياسية . وكان من أهدافها الاستيلاء على المقدسات الإسلامية والمراكز الدينية الرئيسية . ولكن من الحقائق التاريخية الخارقة للعادة والبعيدة عن القياس والتقدير السابق أن كلتا الغارتين الرهيبتين فشلتا في تحقيق غاياتهما . وذلك لنصر الله للمسلمين وتهيئة أسبابه بتوفيقه لاجتماع كلمة الدعاة الربانيين المخلصين الذين أخضعوا التتار رغبة لا رهبة للدخول في الإسلام . فأسلم التتار عن بكرة أبيهم ، و وُفقوا لإنشاء حكومات إسلامية قوية واسعة . واحتضان الحضارة الإسلامية والعلوم الدينية والسيرة الإسلامية . وأما ما يتصل بالهجوم الصليبي فكان من لطف الله تعالى ونصره للإسلام أن قيّض لإخفاق هذه الغارة ومراميها وجهودها الملك الصالح المجاهد صلاح الدين الأيوبي « وما حديث حليمة بسرّ » .

ولكن مع وجود هذه الحقائق كان من أسباب إخفاق هذه الجهود المدمرة المعادية للإسلام أنه لم يكن عند قادة هذه الهجمات مخطط عقلي عميق وأهداف تطويرية تحويلية . إنما كانت محاولات عسكرية يدفع إليها ويغرى بها حب الاستيلاء العسكري وبسط الحكم السياسي .

ولكن الواقع الرهيب الذي نواجهه الآن ونشعر بخطره على وجود الإسلام والمسلمين كأمة ذات رسالة وعقيدة ودعوة وشرف وحرية ، هو أن الذكاء اليهودي والشطارة اليهودية ومراميها لبسط نفوذها على العالم وتحويل العالم كله – بما فيه من عقائد وآداب وحضارات وقيم ومعايير – إلى بساط للشطرنج يلعبون عليه بحرية ويستطيعون تحويل ما عليه

التوجيه الإسلامي :

الإسلام مستهدف لحركات الإبادة العالمية !

[كلمة ألقاها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) في الجلسة الاستثنائية التي عقدتها الرابطة في ١٤١٥/٣/٢٧هـ - ١٩٩٤/٩/٢م على دعوة من سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله تعالى - رئيس الرابطة ومفتي عام المملكة العربية السعودية .

وذلك للاستنكار لما تضمنه مشروع برنامج المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي تمّ عقده برعاية الأمم المتحدة في القاهرة في الفترة ما بين ٥-١٢ سبتمبر ١٩٩٤م .

نتحف بهذه الكلمة الضافية الصريحة إلى قرائنا الكرام لما تحتوي عليه من إشارات واضحة نحو المخططات اليهودية النصرانية التي التقت اليوم على نقطة القضاء على الكيان الإسلامي ومستقبله ، وهدم معالم العقيدة الإسلامية والقيم الخلقية ومعنوية الأمة الإسلامية ، بكل ما يمكنها من وسائل التدمير وأساليب التخريب الهائلة] [التحرير]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

سادتي وإخواني !

يعلم المطلع على تاريخ الإسلام والمسلمين بل على تاريخ العالم أن المسلمين وبالأصح الأمة الإسلامية والدين الإسلامي استُهدفت لحركات الإبادة ومحاولة القضاء على الكيان الإسلامي ومستقبله ، ولكن كان ذلك بشكل عام عن طريق الهجمات العسكرية والزحف العسكري ، كان من أشدها الهجوم التتاري الذي كان يهدف إلى قطع دابر المسلمين والقضاء على دولهم وحكوماتهم وقوتهم العسكرية ، وكانت غارة شعواء قطعت الرجاء والأمل في إحباط هذه الجهود المدمرة والحروب المستأصلة حتى كان من الأمثال السائرة ، « إذا قيل لك:إن التتر انهزموا فلا تصدق » وكان يليه في الخطر والعنف الهجوم الصليبي وإن كان سابقًا على الهجوم

بها في كسب بعض المنافع أو إشباع شهوات النفس . ولعل هذه المنكرات لها أكبر مجال في الحياة الفردية والعائلية ، والتي نسميها : « الحياة الخاصة » بل الواقع أن الإقبال عليها عاد موضة العصر الحديث ، حتى إذا كان شخص يتجنبها ويعتبرها منكرًا يُفتى عليه بالرجيعة والأصولية ، ويُرثى على سفاهته ويُبكى على عقله وجنونه ، ولا يُعتبر صالحًا للانسجام مع البيئة .

والذي زاد الطين بلّة هو تفرّق المسلمين بين فرق وجماعات شتى ، وإعجاب كل ذيٍّ برأيه ، وانقطاعهم عن مركز الدعوة والتضامن مما أداهم إلى منازعات مذهبية وخلافات طبقية وانقسامات حزبية ، جعلتهم مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ .

هذا على سبيل المثال ، وإن كان هناك شئ كثير مما يؤشر إلى مواضع ضعفنا بل وإلى ضعف صلتنا بالدين وقلة احتفالنا بالعقيدة والإيمان ، ومع وجود هذا الخلل الكبير في حياتنا كيف نستطيع أن نعيش في عزة وسعادة ، كيف نمنع أعداءنا عن التجرؤ علينا وتركيز قواه الهائلة على القضاء علينا جسديًا وإيمانيًا ، إنه لم يترك فرصة ولا حيلة إلا وقد استخدمها في تصفية الوجود الإسلامي ، وترهيب المسلمين من كل ناحية.

لذلك تتجه إلينا المسئولية عن تجديد ثقتنا بالإسلام واعتباره دينًا كاملاً ومنهجًا عادلاً بكامل الاقتناع والإيمان ، والاعتقاد الكلي بأنه يشمل الحياة والمجتمع بعطائه الدائم في كل مجال وفي كل زمان ومكان وفي جميع الظروف والأوضاع .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ فلا دين ولا منهج ولا فلسفة ولا نظام إلا الإسلام والإسلام وحده .

سعيد الأعظمي

عادي لا يؤمن بالله واليوم الآخر . ففي الشئون الاجتماعية لا نراعي تعاليم الإسلام ولا نعامل بالإحسان والنصح ولا نحرص على البر ولا نتسابق في الخيرات والانفاق في سبيل الله تعالى ، وفي الأمور الاقتصادية لا نميز بين الحلال والحرام ، ولا نتجنب كسب الارباح بالكذب والخداع ، وبخس الكيال والميزان ، وبالشح وغمط الحقوق وتزوير الحقائق والوثائق ، والاعتماد على التعامل الربوي جهرًا وعلانية ، لا نرى حرجًا فيما إذا كانت التجارة بكاملها قائمة على أسس من الظلم والعدوان ، والخيانة والاحتكار ، ولا نبالي بإيجاد مجاعة ونقص للحاجيات الأساسية لكسب الأموال وادخار الكنوز ولو كان ذلك كله على حساب الفقراء وأهل الحاجة من طبقة الجماهير ، وما إلى ذلك من أساليب وفنون روّجتها الحضارات المادية الخالصة في بلدان المسلمين ومجتمعاتهم ، أما في الشئون السياسية فيجوز كل نوع من الجرائم كالقتل والفتك والجور والإخلاف والتلوّن ، وتحمّل الذلة في سبيل أقل نفع ، واستبدال الصداقة بالعداوة واستخدام كل نوع من المكر والخديعة والكذب والاضطهاد ، والوعود الكاذبة وحتى شراء الضمائر وتغيير وجهات الأنظار والتظاهر بالتواضع والخضوع ثم التكبر والاستعلاء في سبيل الحصول على أدنى فائدة ، وتحقيق أقل حاجة في مجتمعاتنا .

وقد أصبحت هذه السياسة هي اللون السائد والأسلوب الغالب على جميع مناحي الحياة ، سواء كانت تتصل بالحياة الفردية أو بالنواحي التعبدية ، أو الأعمال الدينية أو كانت لها علاقة بالاجتماع والمصالح الاجتماعية ، لقد أصبحت المنكرات مألوفة لدينا دون أن نتحرج في ممارستها والاعتماد عليها في كثير من شئون الحياة ، وحتى الترهيب

يتجاوزون … ثم السيطرة على ذخائرهما وثرواتهما وأرصدتهما المالية باسم صفقة للأسلحة التي أتى عليها الزمان وأكلتها الأصداء ، وأحيانًا بتوجيه تهمة الانفصالية ، والثورة ، نحو بلد مسلم يقع بجوار دولة كبرى ، وهي لا تتأخر في ضرب شعبه المسلم بالحديد والنار والقذائف والقنابل ، ابتغاء تصفية كاملة له . ولهذه العملية الانتقامية أمثلة كثيرة وشواهد حاضرة يطلع عليها العالم القاصي والداني : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض • والله على كل شئ شهيد ﴾.

هذا واقع : ولكن واقع المسلمين اليوم – إلا من عصمه الله – لا يقل في الخطورة عن الشعوب المعاصرة . وهو يتمثل في أبشع أشكاله حينما نتفقد أحوالهم على عدة مستويات . فعلى المستوى العقدي قبل كل شئ ، إذا فتشنا نجد معظمهم حتى في صفوف الكبار . لا يعلمون أهمية العقيدة أو يعلمونها ولكنهم يغفلونها ولا يهتمون بها . وكثير منهم يعيشون شكوكًا فيما يواجهه الإنسان بعد الموت من عقاب أو ثواب . ومن حشر ونشر وسؤال وحساب . ومن جنة ونار . ويعتقدون كل ذلك أشكالاً من التربية والتعايش مع أفراد المجتمع بأسلوب إنساني مع التمسك بالقيم الرفيعة والمثل العليا . ذلك لكي لا تتحول الحياة إلى جحيم من الشقاء والعذاب النفسي . وتتوافر السعادة في جميع شئون الحياة ما قدّر لها البقاء والعيش . ولو لا هذه « الأشكال التربوية » لما بقي فرق بين الإنسان والبهائم .

بمثل هذا النوع من التفكير نعيش – نحن المسلمين – مجردين عن كل معنى من معاني التورع والتعفف ونمارس في الحياة كل ما يمارسه إنسان

الشريعة والهدوء وساحة الأمن والإنسانية .

إن هذا الشبح المخيف للإسلام الذي يذعر منه هؤلاء الحاقدون من أعداء الإسلام ، يتفاقم لديهم ويتّخذ شكلاً مرعبًا جــدًا عند ما يرون موجة طاغية للفرار من سوءات الحضارة المادية و ويلاتها التي تعمّ في البلدان والمجتمعات التي جرب أهلها الشقاء والثبور إلى مدة طويلة تحت مظلة حضارة اللذات والشهوات الموقتة ، وقرروا أخيرًا أن ينضموا إلى المجتمع الإسلامي باعتناق الدين والدخول في كنف الإسلام والعيش في ظل حضارته الوارفة الظلال ذات الأمن والسلام والعدل والاتزان . ولا شك فإن دراسة الأوضاع التي عاشها الإنسان المادي في ضوء واقعه الحضاري تبرهن على أن فطرته الإنسانية السليمة التي ظلت كامنة تحت أكداس الأهواء النفسية تحركت من خلالها ، وبرزت إلى الوجود باحثة عن الملجأ الطبيعي الذي تأوى إليه . وتتصل بالملكوت الدائم الذي تبثّ إليه آمالها وأشواقها وتفوز بالحياة السعيدة التي لا تعرف الخوف والحزن . وإنما هو العطاء الرباني الذي وعد الله به لعباده المؤمنين الذين استقاموا بعد الزيغ ، واهتدوا بعد الضلال : ﴿ إن الذين قالوا ربُنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ .

ولكن هذه العودة إلى ظلال الدين الحق أثارت في نفوس أعدائه عواطف شديدة للنقمة من أولئك العائدين الذين هدتهم الفطرة إلى الإسلام . فأنزلوا أسواط التنكيل والتعذيب على بلدان المسلمين وشعوبها بأشكال مختلفة وأساليب متعددة . فتارة بالنسف والتدمير بكل طريق ممكن . وتارة أخرى بالاحتلال والاستعمار والغزو الفكري . وحينا بالتحايل والمراوغة لفرض حرب افتراضية فيما بين بلدين

تصدّقها لو لا أنها صدرت من أقلام كبار علمائهم و ذوي الاختصاص في علوم الاجتماع والنفس ، وزعماء الفكر الحضاري وهي تشهد على انهيار الإنسان المادي ، والتدهور الخلقي الذي يعيشه الرجل الغربي في بيته وأسرته ومجتمعه وبلده ، دون أن يكون هناك فرق بينه وبين الوحوش والسباع الضواري ، وربما يكون حظّ منها في التمارس الحيواني وإشباع الغرائز السفلية . أولئك الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجنّ والإنس • لهم قلوب لا يفقهون بها • ولهم أعين لا يبصرون بها • ولهم آذان لا يسمعون بها • أولئك كالأنعام بل هم أضل • أولئك هم الغافلون ﴾ .

إننا لا نريد أن نقوم بتحليل علمي أو نقد حضاري لما يتوافر الآن في المجتمعات المادية من إسفاف خلقي وأدواء غريزية تعمقت جذورها إلى الأعماق . فقد قام بهذا الواجب خبراء علم النفس والاجتماع ، ولكننا نحاول أن نشير إلى الطبائع الاستبدادية والمطامع البهيمية التي تستولى على نفوس أعداء الإسلام من اليهود والنصارى و مَن على شاكلتهم من الحاقدين على الوجود الإسلامي والصحوة الدينية في بلدان العالم . الذين يدوسون القيم الإنسانية بالأحذية . ويشنّون الغارات العشوائية على المجتمعات الإنسانية والمقدسات الإسلامية ولا يدّخرون وسعًا في هدم جميع مقاييس العلم والأخلاق والإنسانية والحب والسلام الذي يدعو إليه المنهج الإسلامي للحياة . ذلك لمجرد أنهم يخافون من الإسلام إذا عاد يومًا ما إلى المجتمعات الموبوءة بالأدواء والجرائم . والأمراض الفتاكة التي انتشرت في هذه المجتمعات واستولت عليها . وآل إليه زمام القيادة لأولئك البؤساء الأشقياء الذين يُسحقون تحت وطأة الشقاء والتعاسة . ويتطلعون إلى حضارة تتولى إخراجهم من الشقاء إلى السعادة ومن ظلمات الإباحية ودياجير الخوف والظلم والبهيمية إلى نور

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نتقدم إليك بالعدد الأول للمجلد الأربعين . ونحمد الله على ذلك حمدًا لا نهاية له . ونشكره سبحانه على هذا التوفيق الغالي الذي ظل حليفنا طيلة هذه المدة التي ليست بقصيرة بل وقد نشأت معها أجيال من الشباب وشهدت ذلك الدور المشرِّف الذي مثّلته هذه المجلة في مجال الصحافة الإسلامية العربية خلال هذه المدة . على رغم الظروف التي تراوحت في الساحة ، وضآلة الوسائل التي تُعاني منها المجلات الإسلامية العربية ، سيما في بلد لا ينطق أهله بلغة الضاد .

كانت المناسبة تتطلب أن نحتفل بآيات من الحبور ومظاهر من السرور على بدء العام الأربعين للمجلة . ولكنك أيها القارئ لعلك تكون قد علمت بتلك المأساة التي حدثت في « ندوتنا العزيزة » ومع طلابنا الأعزاء . في ليلة الثاني والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٩٤م . ومن قبل المخابرات الهندية توخيًا للبحث عن شخص متهم بالإرهابية . وحاشا أن يكون في جامعتنا التليدة وطلابنا الغيارى ما يؤشّر إلى وجود شيئ يشتق من حروف ر. هـ. ب .

لقد كانت الصدمة عنيفة عشنا معها حياة مريرة . ولو لا أن أستاذنا الكبير ومربينا الجليل سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي . قدم لنا أسوة من الصبر والتحمل الإيماني لعشنا في غمرة من الظلام الوحش . ولكنه ما زال يقود أبناءه على درب من الصبر والإيمان ويبشرهم بجائزة السماء .

﴿ و بشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة • قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

[التحرير]

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـأهـا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد الأول

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

شعبان ورمضان ١٤١٥هـ

يناير وفبراير ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهنـــد : مأة روبية

ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم (ALBAAS-EL-ISLAMI)

بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهنـــــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

حضرات أخواننا القراء !

أحييكم بتحية الاسلام و أحمد الله على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة و الفكر و فى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تدخل عامها **الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يتكرم بالتأييد الدائم لنا بروح من الاستقامة والصمود ، والثبات على هذه الجبهة الدقيقه فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمـــة تجتازها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارىء الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .